إعانة الأنام

على فهم بلاغة القرآن

خطوات منهجية للوقوف على بلاغة القرآن

تأليف الدكتور

إيهاب عبد الحميد سلامة

كلية البنات - جامعة عين شمس

زهران للنشر والتوزيع

اسم الكتاب: إعانة الأنام على فهم بلاغة القرآن

اسم المؤلف: د. إيهاب عبد الحميد سلامة

اسم الناشر: مكـــتبة زهران للنشر والتوزيع

رقم الايداع: ٢٦٢٠٣/ ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٧-٩٧٨-٣٤٩-١٣٧-٦

2022 - 2023



15 شارع الشيخ محمد عبده - خلف جامعة الأزهر - الأزهر الشريف

01149383472 - 01222900401 - 01223786418

مكتبة زهران للطبع والنشر والتوزيع /

إعانة الأنام على فهم بلاغة القُرْآن

خُطُوَات مَنْهَجِيَّة للوقوف على بلاغة القُرْآن

تأليف

دكتور / إيهاب عبد الحميد سلامة

كلية البنات - جامعة عين شمس





بسم الله الرَّحْمَن الرحيم



المقدمة

الحمدُ لله صاحبِ الفضلِ ، الغنيِّ الحميدِ ذي الطَّوْلِ ، الذي خلق الإنسانَ عَلَّمَهُ البيان . الحمد لله الذي قال عن كتابه القُرْآن ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء: ٨٨ ، والصلاة والسلام على مَنْ زَكَّاه الله في أخلاقه فقال : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤ وأتاه من فضله ما قَدْ عُلِم ، ومنه إتيانه جوامع الكَلِم . فَصَلِّ اللهم وسَلِّمْ وباركْ على سيدنا مُحَمَّد في الأَوَّلِين والآخِرين وفي الملإ الأعلى إلى يوم الدِّين .

أما بعد ،

أَنْزلَ اللهُ القُرْآن على قلب نَبِيِّه الأَمِين ، بلسانٍ عربيٍّ مبين ، يحوي ألوانًا شتى من الإعجاز ، ومنها الإعجاز البَلاغِيّ الذي ما زال يتجدَّدُ عطاؤه لكل من يرغب في هذا العطاء .

وقد يقع بعضنا في خطإ أنَّ الأقدمين قالوا في القُرْآن كل ما قيل ، وأَنَّه لم يَعُد لإضافة شيء من سبيل ، لبلاغة هذا الكلام النبيل . وأَنَّ السابقين قَدْ استأدوا كل ما في آيات القُرْآن الكريم من معانٍ بَلاغِيَّة ؛ فلم يبقَ لقائلٍ غيرهم من مقالٍ ، وهذا ما نراه إلا خطأً في التقدير ، أو مغالاة في تزكية النفس وإحسان الظن بها ، فما زال القُرْآن عَينًا ثَرَّةً بالمعاني التي لا تنتهي ، والأفكار التي لا تنقضي ، وإنما الحقيقة أنَّ من نظر في آي الكتاب بلغ منها بمقدار حظه من الفهم عنها والتهيؤ لوحيها ، وعلى حسب الحال والطريقة التي يكون عليهما حين النظر والدراسة .

ولعل الباحث البَلاغِيّ الأكثر علمًا والأتم نضجًا والألمع ذهنًا والأصفى روحًا والأسطع إشراقًا إذا رجع إلى آي القُرْآن بمَنْهَجِيَّة وخطوات تحليلية منظمة قَدْ



يقف على ما في هذا الكتاب من إعجاز بلاغي ، ويَسْتَدِرُّ منه معانٍ بَلاغِيَّة ما كان يستطيع أنْ يَتَهَدَّى إليها ويقف عليها إذا خاض البحث البَلاغِيّ بدون هذه المَنْهَجِيَّة والخطوات المنظمة .

وباكتشاف هذه المعاني الخفية يزداد حُبُّنا لهذا الكتاب الكريم ، ولِمَن أنزله ـ جلَّ وعلا ـ وتملؤنا يقينًا فيه ، وفيما حواه : من نعيمٍ كُتبَ له الدوام أو عذابٍ وصفه ربُّنا بالغَرام .

فإذا قمنا بوضع ثمة خطواتٍ مَنْهَجِيَّة محددة ومنظمة للوقوف على البلاغة القُرْآنِيَّة ، وإذا تم الاتفاق والاصطلاح على تلك الخطوات نكون قَدْ يَسَّرْنا الطريق وعَبَّدناه للباحث البَلاغِيّ ، ونكون في نفس الوقت أجبنا عن سؤال من قَدْ يُسائِل نفسه من غير المتخصصين في البحث البَلاغِيّ : كيف السبيل إلى الوقوف على بلاغة القُرْآن ؟ وهو سؤال أحسب أنَّ معظمنا قَدْ حَدَّثَتْه نفسه به ، خاصة أولئك الذين لهم به صلة وُثْقَى .

هذا ما يحاول ذلك الكتاب أن يعتني به ويقدمه ، فهدف الكتاب الذي يطمح فيه ويسعى إليه أنْ يضع بين يدي الباحث البَلاغِيّ وغيره خطوات محددة منظمة متدرجة للوصول من خلالها إلى بلاغة القُرْآن والوقوف عليها ، وسواءً أكان الباحث يدرُجُ بأولى خطواته في مدارج هذا البحث أم قطع فيه أشواطًا فلن يعدم أن يجد ما يفيده بإذن الله .

ونسأل الله أن نصيب أجرين في هذا ، كما نسأله التوفيق والسداد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف / د. إيهاب عبد الحميد سلامة



التمهيد

ما يهدف إليه هذا الكتاب ؟

يَهدُفُ هذا الكتاب إلى تقديم « خُطُوَات مَنْهَجِيَّة » تُعينُ قارئ القُرْآن عامةً والباحث البَلاغِيّ خاصة على كَيْفِيَّة الوقوف على بلاغته وكَيْفِيَّة تَبَيُّنِ فصاحته ، ومن خلال هذه الخُطُوَات الواضحة يستطيع أن يقف على هذه البَلاغَة وتلك الفصاحة .

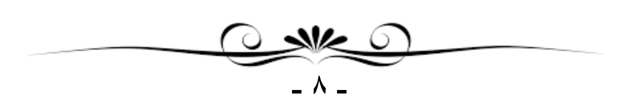
أسباب تأليف الكتاب :

كثيرًا ما كنتُ أجلس إلى كتاب الله مستمعًا له ، ومنصتًا إليه ، وما أن آخذ في الاستماع حتى أشعر بسحرٍ آسرٍ يشُدُّ عقلي وقلبي معًا ، وإذا بالنفس تَنْسِمُ عليها نسمة الأنس في وحشتها وعزلتها ، وإذا بنوعٍ من الخشوع والرهبة يتغلغلان في أعماقها بهذا الكلام العجيب المتلائم الذي يأخذ بعضه بحُجَز بعض .

ويزداد هذا السحر وذلك الخشوع وتلك الرهبة إذا كان الاستماع للقرآن بصوت من الأصوات العذبة الصافية ـ وما أكثرها في أمة الإسلام ! ـ مثل صوت مُحَمَّد صديق المنشاوي ، أو محمود خليل الحصري ، أو عبد الباسط عبد الصمد أو غيرهم .

وكثيرًا ما كنتُ أسائلُ نفسي عن هذا السحر « الجميل » الذي يجذب الوجدان إليه : ما مصدره ؟ وأين مكمنه ؟ كيف وصل هذا السحر إلى الغاية ؛ حتى قهر من البلغاء والفصحاء القُوى والقُدَر ، وقيَّدَ الخواطر والفِكَر . والإجابة التي كنتُ أردُّ بها على نفسي ـ والتي يعلمها القاصي والداني ـ هي أَنَّ هذا السحر الآسر الجميل لا بد أن يكون كامنًا في بلاغة هذا الكلام المعجز وفصاحته ، وفي ابتكار معانيه وصياغة مبانيه.

وكان السؤال الذي يشغل بالي كلما وقفتُ على هذه الإجابة : كيف يستطيع أيُّ إنسانٍ مهتمٌ بالبلاغة القُرْآنِيَّة أن يقف على بلاغة القرآن؟ هل ثَمَّة خُطُوَات مَنْهَجِيَّة



محددة إن قام بها أي شخص يستطيع أن يقفَ على تلك البَلاغَة القُرْآنِيَّة ؟ وكنتُ أتخيَّلُ : لو أنَّ شخصًا سألني كيف نقف على الإعجاز البَلاغِيّ في القُرْآن - بماذا سأجيب ؟ هل سأجيب بأن بلاغة القُرْآن تكمن في « نظمه وفصاحته وإصابته محز البلاغة » ؟ وأكتفي بهذا الرد إجابةً ؟ أم بماذا أجيب ؟ لقد كان يشغلني كيفية الوقوف على البَلاغَة القُرْآنِيَّة ، لا البَلاغَة القُرْآنِيَّة ، فقد كانت المشكلة من وجهة نظري ليست في البلاغة القُرْآنِيَّة ، ولكن في كيفية الوصول إليها من خلال خُطُوَات محددة .

إن كلمة الإعجاز ـ كما يقول د. مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي ـ تقترن بالقرآن في أذهان عامة الناس ، ولكن الذين يُدركون العلاقة العلمية بينهما بجلاء ووضوح فئة قليلة منهم .

ظلت هذه التساؤلات تتردد في ذهني مرارًا ، وحاولت قدر استطاعتي أن أبحث عن « مُؤَلَّف علمي » يضع مثل هذه الخُطُوَات المَنْهَجِيَّة في وضوح مستغلا المعطيات العلمية القيمة التي يقدمها علم اللغَة الحديث[1] ، وغيره من العلوم ، خطوة تلو أخرى ، لكنني ـ حتى كتابة هذه السطور ـ لم أقف على مثل هذا المُؤلَّف .

ولا أزعمُ غرورًا وتَعَالُمًا أنني قرأتُ كل ما كُتِبَ في بلاغة القُرْآن ، ولا أقولُ إنه لا يوجدُ مُؤَلَّفٌ تناول هذه الخُطُوَات المَنْهَجِيَّة التي تُوَصِّلُ إلى بلاغة القُرْآن ، ولكن الذي أزعمه أن ما وقعَ لي من كتب البَلاغَة لم أجدْ في أحدها منهجًا متكاملا يضع خُطُوَات محددة للوصول إلى البَلاغَة القُرْآنِيَّة ، فقد يكون ثَمَّةَ كتاب بهذا المضمون هنا أو هناك لكن الله لم يأذن ولم يقدِّر أن يقع بين يدي .

ولا أدعي أَيْضًا أن المؤلفات البَلاغِيَّة ـ في عصرنا الحالي ـ خلت تمامًا من خُطُوَات التَّحْلِيْل البَلاغِيّ التي تعين على فهم بلاغة القُرْآن والوقوف عليها ، فكثير

(١) من مثل المعطيات الصوتية للحروف ، ونظرية الحقول الدلالية ، ونظرية التَّحْلِيْل التكويني ، ونخص من هذه المعطيات استغلال السِّيَاق ، فمما فات البلاغيين القدماء ـ على الأقل عند أغلبهم ـ ربطُ النص بالسياق والموقف ، والوقوف أمام بيت واحد من قصيدة ، أو آية واحدة يستلونها من سياقها ، فضلا عن أن يكون المستل جزءًا من آية أو شطرًا من بيت . يُنْظَرُ : د. عبد الواحد علام ، القاعدة والنص ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، (بدون بيانات أخرى) ، ص ١٠

من هذه المؤلفات حوت بين دفتيها « نُتَفًا » من هذا المَنْهَج التحليلي ، وتحدثَ بعضُها الآخر عن كثير من هذه الخُطُوَات ، ولكن ـ على قدر علمي المتواضع ـ لم أَجِدْ في أحدها أنه يسجل منهجًا متكاملا يضع خُطُوَات محددة واضحة منظمة متدرجة متتالية ، مستغلًا إمكانات علم اللغَة الحديث للوصول إلى هذه الغاية ، خُطُوَات تجعل من يطبقها يصل إلى البَلاغَة القُرْآنِيَّة .

لذلك ولهذا السبب وقر في نفسي أن أضع هذا المُؤَلَّف أحاول فيه أن أجمعَ شتات هذا المَنْهَج من مَظانِّها التي تقع لي وأجمعها في مكان واحد ، من خلال خُطُوَات منظمة ومحددة ، تهدف في نهاية الأمر أن يقف الباحث عن البَلاغَة القُرْآنِيَّة على بلاغة ما يقرؤه من القُرْآن .

كان السبب السابق هو السبب الرئيس في الاتجاه لتأليف هذا الكتاب ، ولكن عَنَّتْ لي أسبابٌ أخرى دفعتني دفعًا إلى المُضِي قُدُمًا في تأليفه ، وهي :

١ ـ لا شك أن محاولة الوقوف على بلاغة القُرْآن هي نوعٌ من « العبادة » ، لما فيها من تَفَقُّه في كتاب الله وتدبره ، فـ « كل مسلم عربيًّا كان أو غير عربي ، يعلم يقينًا أَنَّ القُرْآن كلام الله ، وأَنَّ مجرد تلاوته عبادة يُثَابُ المرءُ عليها ، وحفظه عبادة أخرى وفهمه عبادة ثالثة ، والتفقه في معانيه عبادة رابعة ، والنظر في كتابته عبادة خامسة ، ولكل شيء من هذه العبادات ثوابٌ »[(١)] .

٢ ـ من الحقائق التي لا مجال للنزاع فيها « أَنَّ هذا الكتاب معجز في واقعه ، فليس لأحدٍ من سبيل إلى صياغة مثله ، أو مثل بضع آيات يسيرة منه ، بل إنها لواحدة من أهم الحقائق العلمية التي تفرض لنفسها ضرورة التبصر والفهم على كل عربي يريد أن يتمتع بزادٍ من الثقافة والعلم »[(٢)] .

٣ ـ في تسهيل معرفة بلاغة القُرْآن من خلال خُطُوَات منظمة واضحة خدمةٌ لبعض الطوائف التي يهمها هذه المعرفة ، ويحرصون على حسن الصياغة لما يقولونه ، من

---

(١) محمود شاكر : أباطيل وأسمار ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (بدون تاريخ للطبعة) ، ص ١٩٢

(٢) د. مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي : الكَلِمَة القُرْآنِيَّة وسر الإعجاز فيها ، مجلة العربي الكويتية ، ع ١٤٤ ، نوفمبر ، (١٩٧٠م) ، ص ٢٠



أمثال الشعراء والأدباء والخطباء ، ومعلمي اللغَة ، والمترجمين والصحفيين ، فهؤلاء جميعهم يستفيدون من هذه المعرفة ، فالشعراء والأدباء ينهلون من هذه البَلاغَة ، ويَتَمَثَّلُون هذا الرحيق الذي يغدو بعد ذلك أشعارًا ونصوصًا أدبية راقية والخطباء الذين يرغبون في التأثير في مَنْ يسمعونهم يجدون مَعِينهم فيه ، ومعلم اللغَة يحتاج إلى هذه المعرفة لكي يُبَيِّنَ بلاغة النصوص القُرْآنِيَّة وغير القُرْآنِيَّة لطلابه والمترجم يحتاج هذا الأمر حتى يتلقى الناس ترجمته بالقبول ، والصحفي حتى تروج مقالاته . وكلما زاد تفاعل هؤلاء مع النص القُرْآنِيّ وبلاغته زاد تأثرهم به ، وتلك حقيقة علمية يثبتها علم النفس فيما يسمى بمبدإ انتقال الأثر . يقول بعض علماء البلاغة : « وكما تناول البلاغيون الفصاحة عندما تتحقق في الخطاب ، وعندما تكون صفة في المبدع تناولوا البلاغة في ارتباطها بالمبدع أَيْضًا ... فهي عندهم مَلَكَة تُعطي لصاحبها القدرة على إنتاج الخطاب البليغ ، ومهمة هذه الملكة سلبية أَيْضًا ؛ لأنها تحول بين المبدع والخطأ في تأدية المعنى المراد ، كما أن لها جانبًا إيجابيًّا في كونها تحقق له قدرة خاصة على تمييز الفصيح من غيره »[(١)] .

٤ - سرت بين شبابنا وشبيبتنا في وقتنا المعاصر موجة من الإلحاد لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية ، لسنا في مقام الإبانة عنها ، ومن أثر هذه الموجة إنكار القُرْآن ، واعتباره مجرد « كلام » ألفه « مُحَمَّد » ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا إعجاز فيه ولا فصاحة ، عياذًا بالله من هذا ، فكان من الواجب بيان ضلال هذا الفكر ، والوقوف ضد هذه الموجة بهذا المُؤَلَّف ؛ وذلك ببيان الإعجاز البَلاغِيّ فيه ، وأنه ليس في طوق البشر أن يأتوا بمثله . قال الإمام الزَّمَخْشَرِيّ (ت ٥٣٨هـ) عند تفسير قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢ : « ... فلما تجاوب كلُّه بلاغةً معجزةً فائقةً لقُوَى البلغاء ، وتناصرَ صحةَ معانٍ وصدقَ إخبار ـ عُلِمَ أنه ليس إلا من عند قادرٍ على ما لا يقدرُ عليه غيرُه ، عالمٍ بما لا يعلمُه أحدٌ سواه »[(٢)] .

٥ ـ الرغبة في الوقوف على بلاغة القُرْآن وتدبر معانيه للاستهداء والتعبد بها لا

(١) د. مُحَمَّد عبد المطلب : البلاغة العربية قراءة أخرى ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، القاهرة ، ص٧٢

(٢) الكَشَّاف : ١/ ٤٦٨

يَتَأَتَّى إلا من خلال التمكن من « اللغَة » وعلومها ؛ لذلك فإن الوقوف على بلاغة القُرْآن فيه « إحياءٌ للغة » ، ودفعٌ إلى الاهتمام بها ، والعناية بعلومها ، وهذا الإحياء للغة في حد ذاته أمر بالغ الأهمية ؛ إذ إنَّ « خزائن العَرَبِيَّة قَدْ ادخرت من نفيس البيان الصحيح عن الفكر الإنساني وعن النفوس الإنسانية ما يُعْجِزُ سائر اللغات ؛ لأنها صُفِّيت منذ الجاهلية الأولى المعرقة في القدم من نفوس مختارة بريئة من الخسائس المزرية ومن العِلل الغالبة ، حتى إذا جاء إسماعيل نبي الله ابن إبراهيم خليل الرَّحْمَن أخذها وزادها نصاعة وبراعة وكرمًا ، وأسلمها إلى أبنائه من العرب ، وهو على الحنيفية السَّمْحة دين أبيهم إبراهيم ؛ فظلت تتحدر على ألسنتهم مختارة مصفاة مبرَّأة ، حتى أظلَّ زمانُ نبي لا ينطق عن الهوى ، فأنزل الله بها كتابه بلسان عربي مبين »[1] . ولهذا الأمر نجد العلماءَ من قديم يهتمون بـ « العَرَبِيَّة » ، ويربطون بينها وبين القُرْآن ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ طيَّبَ الله ثراه ـ (ت : ٧٢٨هـ) : « ... وأيضًا فإنَّ نفس اللغَة العَرَبِيَّة من الدين ، ومعرفتها فرضٌ واجب ؛ فإنَّ فهم الكتاب والسنة فرضٌ ؛ ولا يفهم إلا بفهم اللغَة العَرَبِيَّة ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب »[2] .

ومن ثَمَّ فإن إهمال اللغَة العَرَبِيَّة ، وإهمال تعلُّمها هو إهمال في الوقت نفسه لبلاغة القُرْآن ، وقطع الناس عن اللغَة هو قطع عن القُرْآن وبلاغته[3] .

ومن يتتبع تاريخ الأمم والشعوب صاحبة اللغات ذات العطاء الحضاري يرصد اهتمامها البالغ بدراسة البلاغة وما يتعلق بها ، وعلى سبيل المثال نجد المؤرخ الشهير ول ديورنت ينقل لنا عن الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الثاني ونائبه

---

(١) محمود شاكر : أباطيل وأسمار ، ص ٣٤٦

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم : ت : ناصر عبد الكريم العقل ، دار إشبيليا للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط٢ ، (١٩٩٨م) ، ١/ ٥٢٧

(٣) ومن هنا نتبين مدى فداحة ما قام به المحتلون من إفساد العَرَبِيَّة على أهلها ، وسعيهم الحثيث على نشر العامية ، ونشر لغتهم في البلاد التي احتلوها ، ويتضح لنا أَيْضًا مدى فداحة الكارثة التي يرتكبها الإعلام الذي لا يهتم بالعربية ويأخذ طريق العامية . يُنْظَرُ في هذا الأمر ذلك الكتاب المهم ، د. نفوسة زكريا سعيد : تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر دار المعارف ط٢ ١٩٨٠م

أَنَّهم أعادوا في عام ٤٢٥م تنظيم التعليم العالي في القسطنطينية ، وقرَّروا رسميًّا إنشاء جامعة مؤلفة من واحد وثلاثين مُدَرِّسًا ، منهم واحدٌ للفلسفة ، واثنان للقانون ، وثمانيةٌ وعشرون لـ « نحو » اللغَة اليونانية واللاتينية « وبلاغتهما »[1] .

٦ ـ دراسة بلاغة القرآن تقتضي تنمية « الذوق الأدبي » من خلال النصوص الشعرية الراقية ، ولتنمية الذوق الأدبي فوائد عديدة ، منها ربط العرب المعاصرين بالعرب الأقدمين . يقول د. زكي نجيب محمود ـ الفيلسوف والأديب ـ في مقال مهم له في هذا الموضوع : « ... ثم أضيف ثمرة أخرى ، نجنيها من أبنائنا إذا ما أكسبوا القدرة على تذوق الفنون ، وهي ثمرة أشرت إليها ، وألححتُ عليها في مناسبات كثيرة سابقة ، **وأعني بها الرابطة التي تربط العرب المعاصرين بالعرب الأسبقين ، وهي رابطة في صميم الصميم من إحياء المجد العربي بإحياء تراثه ،** فليس إحياء التراث هو أن نقيم هيكلا ثم نجلس في ظله لنستريح ، بل هو تشرب روح ذلك التراث تشربًا يسري به في الشرايين ، كيف ؟ بأن **يتذوق** الأبناء فنون الآباء ، فقارئ البحتري ـ مثلا ـ إذا قرأه قراءة المتذوق ، بمعنى أن يدخل في جلد الشاعر ؛ ليرى بعينيه ، ويسمع بأذنيه ، كان وكأنه البحتري في رؤيته للعالم وللناس وللأحداث من حوله، ومثل هذا الدمج الذي تحققه لنا لحظات التذوق الفني لتراث أسلافنا ، هو في مقدمة العوامل الكفيلة للمعاصرين أن يجيئوا استمرارًا للأقدمين في الروح والجوهر ، وإن اختلفت بينهما بالضرورة تفصيلات العيش »[2] .

٧ ـ دراسة الكلام البليغ ومعايشته ينقل لدارسه بلاغة الكلام ، والكلام البليغ واستخدامه طريق من طرق الدعوة إلى الله ـ عزَّ وجَلَّ ـ ، قال تَعَالَى : ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾ النساء: ٦٣؛ أي : « وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم »[3] .

(١) قصة الحضارة ، ترجمة : مُحَمَّد بدران ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مكتبة الأسرة ، القاهرة ط١ ، (٢٠٠١م) ، م٦ ، ١٢/ ٢٥١

(٢) مقال بعنوان : علموهم تذوق الفن ، مجلة العربي الكويتية ، ع ٢٥٦ مارس ١٩٨٠م ص ٢١

(٣) ابن كثير : تفسير القُرْآن العظيم ، ٢/ ٣٤٧

٨ ـ في دراسة البلاغة القُرْآنِيَّة وخاصة خواتم الآيات وبيان اتساقها وتناسبها مع معاني الآيات وموضوعاتها وسياقاتها التي تَرِدُ فيها وأغراضها التي جاءت من أجلها ـ « إزالةٌ للشبهات التي ثارت حول بعض الآيات ، وبيان وجه المناسبة فيها بصورة تقطع الشك باليقين ، وتغلق الباب أمام تَخَرُّصات المتخرصين ، ومنهم محرر مادة « إسلام » في دائرة المعارف البريطانية الذي يقول ما ترجمته : يعطي القُرْآن انطباعًا بأنه قد كتب بطريقة عشوائية ... وبخاصة حين يلاحظ القارئ أن عبارات معينة مفضلة ، مثل : إنَّ الله غفور رحيم ، إن الله عليم حكيم ..... لا تتضح صلتها أو يبدو عدم صلتها على الإطلاق بسياق ما قبلها ، مما حدا ببعضهم إلى القول بأن هذه الخواتم إنما جاءت لمراعاة السجع أو الإيقاع فقط »[(١)] .

٩ ـ الرد على شُبَه المستشرقين الذين يتهمون القُرْآن ـ لعُجمتهم ـ بالركاكة في أسلوبه والتكرار في آياته ، كما أن وضع خطوات مَنْهَجِيَّة للوقوف على بلاغة القُرْآن وإعجازه فيه رد على فلاسفة التنوير الوضعي اللاديني الذين يدعون لـ « أَنْسَنَةِ » الدين والكتب المقدسة [(٢)] .

١٠ ـ الوقوف على بلاغة القُرْآن مدخل مهم لبعض العلوم المهمة ، مثل : علم الفقه ، وأصوله ، وعلم التفسير . ففي مجال الفقه نجد أن الفقهاء قَدْ أدركوا منذ وقت مبكر العروة الوثقى بين عملهم وبين فنون البَلاغَة وقد استثمر « الموجهون من أهل المعاني والتفسير هذه الإمكانات الأسلوبية التي تتيحها أوجه الرفع والنصب بناء على تقدير عاملها من الاسمية والفِعْلِيَّة في إبراز بعض الأحكام الفقهية ؛ فيترجح وجه الرفع فيما سبيله سبيل الفرض والواجب ، ويترجح وجه النصب فيما له دلالة على المندوب »[(٣)] ، « ومن ثَمَّ لا تجد كتابًا من

---

(١) د. أحمد مختار عمر : أسماء الله الحسنى ، دراسة في البنية والدلالة ، ص ١١٨

(٢) المقصود بـ « أَنْسَنة » الدين والكتب المقدسة أي اعتبارها كُتُبًا بشرية إنسانية ، والتعامل معها على هذا الأساس ، ومن أمثال هؤلاء : نصر حامد أبو زيد ، مُحَمَّد أركون ، حسن حنفي ، عبد الكريم سروش ، سيزا قاسم .

(٣) أحمد سعد مُحَمَّد : التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط٢ ، (٢٠٠٠م) ، ص ٩٨



كتبهم يخلو من حديث عن مسائل هي من البَلاغَة في الصميم ، ومن يطالع رسالة الشافعي ـ وهي أول محاولة في علم أصول الفقه ـ يقع على فصل خاص باللغة يوضح فيه وظيفتها وأسرارها »[١] .

والحق أن استنباط الأحكام الفقهية إنما يتوقف على فقه باللغة عظيم وإدراك لخواصها كبير ، والتداخل بين علم المعاني وعلم الأصول[٢] هو من الوضوح بمكان ، حتى إن الفصل بينهما يغدو متعسرًا بل مستحيلا . ووصل هذا الامتزاج بين العِلْمَيْنِ إلى أنَّ علماء الأصول ناقشوا في علمهم « كثيرًا من مسائل المعاني والبيان لبحثهم في دلالات الألفاظ والتراكيب ، وتوسعوا في هذا البحث حتى لتصبح كتبهم من الأصول التي يرجع إليها أصحاب البَلاغَة على نحو ما نرى عند السَّكَّاكِيّ »[٣] . يقول بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ) : « واعلم أن علمى أصول الفقه والمعانى فى غاية التداخل ؛ فَإِنَّ الخبر والإنشاء اللذين يتكلم فيهما علم المعانى هما موضوع غالب الأصول ، وإن كل ما يتكلم عليه الأصولى من كون الأمر للوجوب والنهى للتحريم ومسائل الأخبار ، والعموم والخصوص ، والإطلاق والتقييد ، والإجمال والتفصيل، والتراجيح، كلها ترجع إلى موضوع علم المعانى »[٤] .

وفيما يخص علم التفسير يمكن القول « إن التأثير بين البَلاغَة والتفسير كان متبادلا ، أعني أن كلا منهما قَدْ أَثَّرَ في الآخر وتأَثَّر به . .. [و] بعض المفسرين قَدْ اعتمد على كثيرٍ من الفنون البَلاغِيَّة وعددٍ غير قليل من علومها بعد أن أدرك ما لها

---

(١) د.عبد الواحد علام: مدخل إلى البَلاغَة العربية، دار الثقافة العَرَبِيَّة ، القاهرة ، (١٩٨٩م) ، ص٤١

(٢) علم أصول الفقه هو : القواعد التي يُتَوَصَّل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية . يُنْظَرُ : د. مُحَمَّد رواس قلعه جي ، معجم لغة الفقهاء ، دار النفائس ، ط١ ، (١٩٨٥م) ، ص٧٢ ، مادة « الأصول **Principles of jurisprudence** » .

(٣) شوقي ضيف : البَلاغَة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ١٤،ص ٢٩٤

(٤) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، ت: عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، (٢٠٠٣م) ، ١/ ٤٧

من أَهَمِّيَّة في تفسير النص القُرْآنِيّ ، حتى أن الزَّمَخْشَرِيّ جعل من علمي المعاني والبيان علمين مختصين بالقرآن ، ومن ثَمَّ كان على من يريد أن يتصدى لعلم التفسير أن يبرع فيهما ، وأن يتمهل في ارتيادهما آونة ، ويتعب في التنقير عنهما أزمنة ، وبدونهما لا يتحقق للمفسر ما يريد »[1] . يقول د. صبحي الصالح في كتابه الماتع « مباحث في علوم القُرْآن » : « ... فإني لا أكاد أتصوَّر تفسيرًا للقرآن جديرًا أنْ يُؤخَذُ به إلا أن يكون الجانب البياني بارزًا فيه ، لاستجلاء مواطن السحر المعجز في كتاب الله . وأوشك أن أنادي بوجوب الاشتغال بالتفسير البياني في جميع الكليات الشرعية ، العالية والثانوية ، في العالم الإسلامي كله ، وأخص بالذكر كليات الأزهر الشريف ومعاهده في مصر ، وكليتي الشريعة بجامعتي دمشق وبغداد ؛ لأن الجانب الفقهي الذي تُعنى به تلك الصروح العلمية ـ صانها الله من عبث الأيام ـ لا ينبغي أن يعدو على الجانب الأدبي ، فما عرف التأدب بأدب القُرْآن إلا متممًا للتفقه بأحكامه في جميع العصور الإسلامية »[2] .

١١ ـ الوقوف على بلاغة القُرْآن وقوف على جانب من جوانب إعجاز القُرْآن الكريم.

١٢ ـ الوقوف على بلاغة القُرْآن يفتحُ أبوابًا للدراسات البَلاغِيَّة ، فما زالت العطاءات البَلاغِيَّة للقرآن غزيرة وكثيرة .

١٣ ـ التعايش مع « المعاني البَلاغِيَّة للقرآن » و « تَذَوُّقها » يأخذنا بعيدًا عن الحياة بكل ما فيها من توتر إلى باحة من الهدوء والطمأنينة والسكينة ، وهذا فيه ما فيه من الراحة والاستجمام للمؤمن . وإذا كان نُقَّادُ الأدب يَدَّعون أنَّ « لذة التذوق الجمالي » للأعمال الأدبية البشرية « تنتزعنا في هدوء وقسوة في آن واحد من

---

(١) د. عبد الواحد علام : مدخل إلى البَلاغَة العَرَبِيَّة ، ص ٤٠

(٢) د. صبحي الصالح : مباحث في علوم القُرْآن ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١٧، (١٩٨٨م) ، ص ٧، ٨



ملابسات الحياة اليومية ، وتذهب بنا إلى حياة أفضل ... [وأنَّ] التأمُّل الجمالي علاج عظيم لضجر الحياة »[1] فمن باب أولى أن يكون هذا للقرآن .

١٤ ـ لا يستطيع أحدٌ أن يُنكِر أنَّ أعظم التغيرات التاريخية والحضارية كانت بسبب « الكَلِمَة » والتفاعل الذي كان معها . فلا يستطيع أحدٌ أن يجحد « الدور الذي قام به الأدب في التمهيد للثورة الفرنسية مثلا ، أو الثورة الروسية ... وبالمثل كانت لروايات تشارلز ديكنز في بريطانيا أثرها القوي في حركة الإصلاح الاجتماعي هناك ، كما كان للروايات الأمريكية التي تصور مآسي العبيد أثرها في صدور القوانين التي تعمل على إنصافهم ومساواتهم بالبيض ، ومعاملتهم معاملة إنسانية »[2] ، أقولُ : إذا كان هذا الإنجاز الإصلاحي لأعمال بشرية فكيف يكون الحال إذا حاولنا جذب انتباه البشر أكثر وأكثر لمعاني القُرْآن الربانية البَلاغِيَّة الهادية ؟ خاصة إذا سعينا مخلصين في ذلك ؟!

١٥ ـ الدراسة البلاغية توقفنا على الاستخدام الدقيق لألفاظ اللغة ، ويقودنا هذا الوقوف إلى أنه لا ترادف في اللغة ؛ لأنه لا يوجد ترادف في القرآن .

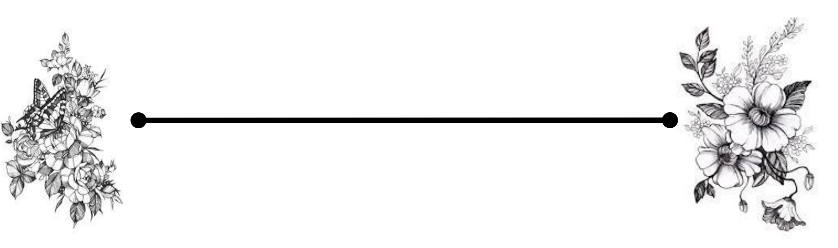
١٦ ـ ما سيتمخض عنه هذا الكتاب من خُطُوَات مَنْهَجِيَّة إن شاء الله ويصلح لدراسة البَلاغَة القُرْآنِيَّة يصلح في الوقت ذاته لدراسة غيره من النصوص الأدبية.

تلك كانت الأسباب والدوافع التي دفعتني لكتابة هذا الكتاب ، وهي كما أظن تلمس وَترًا حساسًا عند المسلم ، يدفعه للاهتمام بهذا الكتاب وبموضوعه ، وأسأل الله أن يرزقنا الإخلاص والصواب والتوفيق في التعبير عنه .

د. إيهاب عبد الحميد سلامة

(١) د. إبراهيم عوض : التذوق الأدبي ، مكتبة الثقافة ، الدوحة ، قطر ، (٢٠٠٥م) ، ص ٩٥
(٢) السابق ، ص ٥٥





الفصل الأول

مُؤَهِّلاتُ الباحثِ البَلاغِيّ وأدواته

- مؤهلات الباحث في البَلاغَةَ القُرآنِيَّة .
- أدوات الباحث في البَلاغَةَ القُرآنِيَّة .





الفصل الأول

مُؤَهِّلاتُ الباحثِ البَلاغيّ وأدواته

بعد أن ذكرنا هدف تأليف هذا الكتاب وسردنا أسباب تأليفه ، ننتقلُ ـ بعون الله ـ إلى الفصل الأول من فصوله ، وَقَدْ جعلناه للحديث عن المؤهلات التي ينبغي أن تتوافر في الباحث البَلاغِيّ الذي يريدُ أن يقفَ على البَلاغَة القُرْآنِيَّة ، وأهم الأدوات التي يجب أن يتسلح بها .

والسبب الذي جعلنا نبدأ بهذا الفصل هو أَنَّ الوقوف على بلاغة القُرْآن ليس في وُسع أي أحدٍ ، ولا في طَوْقِ أي شخص ، بل الأمر يحتاجُ إلى باحث له مواصفات معينة ، يتسلح بأدوات معينة ، فاستشعار حقيقة الإعجاز القُرْآنِيّ « يتوقف على ملكة راسخة وذوق سليم في اللغَة العربية ، وأكثر الناس لا يملكون منها إلا ما لا بد منه في إقامة أسباب معايشهم ونوع علاقاتهم الثقافية بعضهم مع بعض ، فلا مطمع أن يرتقي فهمهم لمدلول الإعجاز القُرْآنِيّ إلى أكثر من عموم الثناء والإطراء ، وهذا سبب يعود إلى الضعف في الثقافة العربية »[(١)] .

وكما أَنَّهُ لا يصلحُ أيُّ شخصٍ أنْ يكونَ طبيبًا أو مهندسًا ... فكذلكَ الحالُ ، لا يصلح أيُّ شخص أنْ يقفَ على بلاغة القُرْآن إلا بعد أن تَتَكَوَّن فيه هذه المؤهلات التي التي سنذكرها تباعًا .

---

(١) د. مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي : الكَلِمَة القُرْآنِيَّة وسر الإعجاز فيها ، مجلة العربي الكويتية ، ع ١٤٤ ، نوفمبر ، (١٩٧٠م) ، ص ١٩، ٢٠



وكما أنَّ الطبيبَ والمهندِسَ وغيرهما لا يستطيعونَ ممارسة أعمالهم بدون« أدواتٍ» تُعينهم على عملهم ، فكذلك الأمر مع الباحث البَلاغِيّ القُرْآنِيّ ، حيث يجب أن يُعدَّ نفسه ويستجهزها بمجموعة من الأدوات تعينه على بُغْيته وهدفه .

ـ **أولا مؤهلات الباحث في البَلاغَة القُرْآنيَّة** :

أول ما ينبغي للباحث البَلاغِيّ القُرْآنِيّ من مُؤَهِّلات للوقوف على البَلاغَة القُرْآنِيَّة أن يمتلك « الحسَّ اللغَوِيَّ والذوقَ الأدبيَّ » اللَّذَيْنِ يتولدانِ من طول مخالطةِ النصوص الأدبية ومعايشتها .

والذي يَدلُّ على مبلغ أَهَمِّيَّة « الحسِّ اللغَوِيِّ والذوقِ الأدبيِّ » في الوقوف على بلاغة القُرْآن تلكَ الرواية الشهيرة التي تناقلتها كتبُ السِّيرِ والحديثِ النبويِّ عن الوليد بن المُغيرةِ . والرواية تقول : « روى إسحاق بن راهويه بسنده عن ابن عَبَّاس : أنَّ الوليدَ بن المغيرة جاء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقرأ عليه القُرْآن ، فكأنه رقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ؛ فأتاه ، فقال : يا عم ، إنَّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالًا . قال: لِمَ؟ قال : ليُعطُوكَهُ ؛ فإنك أتيت محمدًا لتعرض ما قبله .

قال : قَدْ علمت قريشٌ أنِّي من أكثرها مالا .

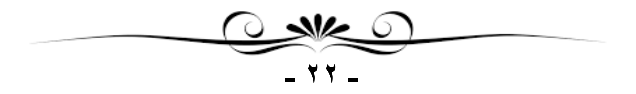
قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكرٌ له .

قال : وماذا أقول؟ فوالله ، ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ، ولا أعلم برَجَزِهِ ، ولا بِقَصِيدِهِ مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ، ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا ، ووالله ، إنَّ لقوله الذي يقوله حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يُعْلَى ، وإنه ليحطم ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال: فدعني حتى أفكر فيه . فلمَّا فكر قال : إن هذا إلا سحر يؤثر، يأثره عن غيره . فنزلت : ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ [المدثر: ١١ – ١٣] الآيات »[1] .

لقد أتى الوليدُ بنُ المغيرة إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وسمع القُرْآن منه

(١) الألباني : صحيح السيرة النبوية ، المكتبة الإسلامية ، عَمَّان ، الأردن ، ط١ ، (١٤٢١هـ) ، ص ١٥٨ ، ١٥٩



وعرف على الفورِ أنَّ هذا « الكلام » الذي يقولُهُ مُحَمَّدٌ ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا يُشبهُ » الكلامَ الذي سمعه من الشعراء والخطباء ، فهو يفوقُ كلامهم « حلاوةً وطَلاوةً ، وإثمارًا ، وإغداقًا » . لقد اكتشف الوليدُ هذا الفارقَ ؛ لأنه كان يملك « الذائقة الأدبية والحس اللغوي » الذي تراكم لديه وتكوَّنَ من « علمه بالشعر : رجزه وقصيده » ؛ فمكنه هذا الحس اللغوي ، وأَقدَرَتْهُ تلك الذائقة على أنْ يكتشف أنَّ للقرآن مَدَبًّا يُبَاينُ ما يقوله الشعراءُ والخطباءُ . وممّا سهَّلَ على الوليد بن المغيرة اكتشاف هذا الفارق بسهولة أنه كان « أعلمَ قريشٍ » بالشعر والشعراءِ.

هذا معنًى من المعاني التي يمكن أن نستنبطها من هذا النص ، وهناك معنًى آخر أحبُّ أن أثبتُه هنا في هذا السِّيَاق وهو : أنَّ المادة الخام التي صُنِعَ منها هذا الكلام (القُرْآن) هي نفس المادة الخام التي صُنِعَ منها كلامُ الشعراء ، وأقصد بالمادة الخام هنا الألفاظ ، فالمادة واحدة ، ومع ذلك لا يوجد تشابه بين الكلامين ، إذن : أين يكمن الفارق بينهما ؟ لا بد أن يكون جزء من هذا الفارق في اختيار الكلام وفي طريقة تأليف الكلام وصياغته ، وإلا فأين يكمن الفارق ؟ يقول الإمام الزَّمَخْشَرِيّ : « القُرْآن ليس بشعر ، وما هو من الشعر في شيء ، وأين هو عن الشعر ؟! والشعر إنما هو كلام موزون مُقفًى يدل على معنى ؛ فأين الوزن ؟ وأين التقفية ؟ وأين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه ؟ وأين نظم كلامهم عن نظمه وأساليبه ؟ فإذا لا مناسبة بينه وبين الشعراء إذا حققت ، اللهم إلا أن هذا لفظه عربي كما أن ذاك كذلك »(١) .

وهذا المعنى تلقفه المتكلمون وعبد القاهر الجرجاني ، وأقاموا عليه ما يعرف بـ« نظرية النظم » التي سيكون لنا معها حديث مفصَّل إن شاء الله .

وبلغ من تَأَثُّرِ بعض العرب بالقرآن وبلاغته « أنهم كانوا يَخِرُّون سُجَّدًا لسماعه من قبل أن تمضي مهلةٌ يوازنون فيها بينه وبين كلامهم ، بل إن منهم من كان يغلبه هذا الشعور ؛ فيفيضُ على لسانه اعترافًا صحيحًا : ما هذا بقول بشر »(٢) .

(١) الكَشَّاف : ٣/ ٦٦٢

(٢) د.محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم ، دار البيان ، القليوبية ، (٢٠١٧م) ، ص٧٥



إذن يمكنُ أن نقولَ بناءً على هذه الرواية **إنَّ السبيلَ للوقوف على البلاغة القُرْآنِيَّة وجودُ الحس اللغوي والذائقة الأدبية ، وإِنَّ السبيل لتكوين « الحس اللغوي والذوق الأدبي » هو معايشة النصوص الأدبية ، وتَذَوُّقها شعرها ونثرها .**

هذا الذي فهمناه من نص الوليد بن المغيرة من أنَّ السبيل لتكوين الحس اللغوي والذوق الأدبي معايشةُ النصوص الأدبية تَنَبَّهَ له كثيرٌ من العلماء والأدباء والباحثين قبلنا بقرون ؛ فوجَّهوا النظر إليه . قال ابنُ قُتَيْبَة (ت: ٢٧٦هـ) : « وإنَّما يعرفُ فضل القُرْآن مَنْ كَثُرَ نظرُه ، واتسع علمه ، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب ، وما خَصَّ الله به لغتها دونَ جميع اللغات ؛ فإنَّه ليس في جميع الأمم أُمَّةٌ أُوتِيَتْ من العارِضة والبيان ، واتساع المجال ما أُوتِيَتْهُ العربُ خِصِّيصَى من الله »[(١)] .

وتقاطرت أقوال علماء البَلاغَة ونُقَّاد الشعر وغيرهم بعد ابن قُتَيْبَة مُؤَكِّدةً على أَهَمِّيَّة أمر « الذوق الأدبي » في الوقوف على بلاغة الكلام عامة والقرآن خاصة . ينقل الإمام السيوطي فيما ينقل عن ابن أبي الحديد (ت : ٦٥٦هـ) قوله: « ... وقال ابن أبي الحديد : **اعلَمْ أنَّ معرفةَ الفصيحِ والأفصحِ والرشيقِ والأرشق من الكلام أمرٌ لا يُدْرَكُ إلا بالذوق ولا يمكن إقامة الدلالة عليه** »[(٢)] .

وعقدَ ابنُ خَلْدُون (ت : ٨٠٨هـ) في مقدمته فصلا بعنوان « تفسير الذوق في مصطلح أهل البيان وتحقيق معناه وبيان أنه لا يحصل للمستعربين من العجم » قال فيه : « اعلم أنّ لفظة الذّوق يتداولها المعتنون بفنون البيان ومعناها حصول ملكة البَلاغَة للّسان »[(٣)] .

وينقل د.شوقي ضيف ـ مختصرًا ـ عن الإمام الباقِلَّانِي (ت: ٤٠٣هـ) إشارته

(١) تأويل مشكل القُرْآن ، شرح ونشر : السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، (بدون بيانات أخرى) ، ص١٢ ، والمقصود بـ « العارِضة » : قوة الكلام وتنقيحه ، والرأي الجيد .

(٢) الإتقان في علوم القُرْآن ، ت : مركز الدراسات القُرْآنِيَّة ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف السعودية ، ج ٦ ص٢٢٩٥

(٣) المقدمة ، ت: د. علي عبد الواحد وافي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ط١ ، (٢٠٠٦م) ، ٣/ ١١٤٩



لهذا الأمر ، فيقول : إنَّه لا يقف على إعجاز القُرْآن « إلا من عرف معرفة بَيِّنَةً وجوه البَلاغَة العَرَبِيَّة ، وتكوَّنت له فيها مَلَكَة يقيس بها الجودة والرداءة في الكلام ؛ بحيثُ يَمِيزُ بين نمطِ شاعرٍ وشاعرٍ ، ونمط كاتبٍ وكاتبٍ ، وبحيثُ يعرفُ مراتبَ الكلامِ في الفصاحة » ، ويعلِّق د. شوقي على كلام الباقِلَّانِي بقوله : « **وكأنَّهُ يَرُدُّ المسألة إلى الذوق ، وحُسْنِ تدربه على تمييز أصناف الكلام** »[1] .

ويتعرَّضُ ضياءُ الدين المعروف بابن الأثير (ت : ٦٣٧هـ) لأمر « التذوق » ويُفَرِّق بين نوَعين منه : نوعٌ يسميه « الذوق السليم » ، ويقصِدُ به « المَلَكة الفطرية التي يُدْرِكُ بها الإنسانُ مواطن الجمال في الأدب » ، ونوعٌ ثانٍ يسميه « ذوق التعليم » ويقصد بهذا النوع « الذوق المصقول الذي درس صاحبه قواعد البَلاغَة والنقد »[2] . ويفضل ابن الأثير النوع الأول على الثاني ، يقول : « واعلم ـ أيها الناظر في كتابي ـ أن مَدَار علم البيان على حاكِمِ الذَّوق السليم ، الذي هو أنفعُ من ذَوْق التعليم »[3] .

ولعل أبرز إشارات علماء البَلاغَة في أمر « الذوق الأدبي » وأهميته إشارة إمام البَلاغَة عبد القاهر الجرجاني (ت : ٤٧١هـ) ، إذ كثيرًا ما يلوذ هذا الإمام بـ « ذوق القارئ » ويحتكم إلى بصيرته الأدبية في تحليله لدلالات الأساليب المختلفة ، يقول : « وَاعلمْ أنَّه لا يصادِفُ القولُ في هذا البابِ موقعًا من السامِعِ ، ولا يَجِدُ لديه قَبولًا ، حتى **يكونَ من أهلِ الذَّوْقِ والمعرفةِ** ، وحتى يكونَ ممن تُحَدِّثُهُ نفسُه بأنَّ لِمَا يُومِئُ إليه من الحُسْن واللُّطْف أصْلاً ، وحتى يختلفَ الحالُ عليه عندَ تأمُّلِ الكلام ، فيجَدَ الأَرْيَحِيَّةَ تارةً ، ويَعْرَى منها أُخْرى ، وحتَّى إذا عجَّبْتَهُ عَجِبَ ، وإذا نَبَّهْتَهُ لَموضع المزيةِ انْتبَه. فأمّا من كان الحالانِ والوجهانِ عنده أبدًا على سَواء ، وكان لا يتَفَقَّد من أمرِ « النَّظْمِ » إلا الصحَّةَ المُطلقةَ ، وإلاَّ إعرابًا ظاهرًا ، فما أَقَلَّ ما يُجدي الكلامُ معه.

(١) البَلاغَة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٤ ، (بدوت تاريخ للطبعة) ، ص١١٢

(٢) د. إبراهيم عوض : التذوق الأدبي ، مكتبة الثقافة ، الدوحة ، قطر ، (٢٠٠٥م) ، ص ١٩

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ت: أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، (بدون تاريخ للطبعة) ، القسم الأول ص٣٥

فَلْيَكُنْ مَنْ هذه صِفتُهُ عندكَ بمنزلةِ مَنْ عَدِمَ الإحساسَ بوزِن الشِّعر ، والذوقِ الذي يُقيمه به، والطَّبعَ الذي يُميِّزُ صحيحَه من مكسورِه ، ومُزاحَفَهُ من سالِمِه، وما خرجَ مِن البحرِ مما لم يَخْرُج منهُ ـ في أنَّك لا تتصدَّى له ، ولا تتكلَّفُ تعريفَه ، لِعلْمِكَ أنَّه قَدْ عدِمَ الأداةَ التي معها يَعرفُ ، والحاسَّةَ التي بها يَجِدُ . فليكُنْ قَدْحُكَ في زَنْدٍ وارٍ، والحكُّ في عُودٍ أنت تطمعُ منه في نار »[١] .

ونُوجِّهُ العناية هنا إلى أمر مهم وهو أنَّ تذوق اللغة ليس « أمرًا عشوائيًّا ، ولكنه نابع من فهم تقاليد اللغَة الخاصة ، ودلالة مفرداتها الحقيقية والمجازية ، ووضعها في بناء جملتها ، ووسائل ترابطها مع العناصر الأخرى المُكَوِّنَة لبناء الجُمْلَة »[٢] .

نخلص مما سبق أنه يبغي لَمن يريد أنْ يفهمَ بلاغة القُرْآن ونظمه من « ذوق » يستطيع به أن يدرك أسراره ، ومن فقد هذا الذوق أعياه هذا الفهم ، فالذوق هو الأداة التي بها تُعرَفُ بلاغة القُرْآن وتُدرك وتُفهم .

ويَجُرُّنا الفهمُ الذي فهمناه من كلام الوليد بن المغيرة في الرواية السابقة ، وما ذكرناه من إشارات العلماء إلى توضيح بعض الأمور التي تتعلق بـ « الذوق الأدبي » أحسِبُ أنَّ إغفالها لا يليق بنا في هذا المقام ، وهي :

أ- ما المقصود بـ « الذوق الأدبي » ؟

ب- ما الطريق إلى التذوق وكيف نكوِّنُه ؟

أ ـ **المقصود بالذوق الأدبي** :

يتفق أصحابُ المَعاجِم على أن لكلمة « الذوق **Taste** » معنىً مادِيًّا يتعلق بتذوق الطعوم . غير أن التطور الدلالي أصاب هذه الكَلِمَة ؛ واتسع معناها ليشملَ معانٍ غير مادية ، تضم كل ألوان الطيف في عالم الإحساس الجسمي والشعور الوجداني والإدراك العقلي .

ولا يُعرف على وجه التحديد متى انتهى الأمر إلى التوسع في معنى « الذوق » على هذا النَّحْو ليشمل الجوانب التي أشرنا إليها ، يقول الكفَوي (ت: ١٠٩٤ هـ) :

(١) دلائل الإعجاز ، ت : محمود شاكر ، دار المدني والخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، (١٩٩٢م) ، ص٢٩١

(٢) د. مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف : بناء الجُمْلَة العربية ، ص ١٠



« الذوق في الأصل تعرف الطعم ، ثم جعل عبارة عن كل تجربة »[1] .

وفي شعر الجاهليين والمخضرمين شواهد غير قليلة على استعمال كلمة « الذوق» خارج دائرة المطعوم والمشروب ، وأحيانًا خارج دائرة الإحساسات الجِسمية كلها ، مثل قول عنترة :

فإذا ظُلِمْتُ فإنَّ ظُلْمِيَ باسلٌ   مرٌّ مذاقته كطعم العَلْقَمِ

وقد تَلَقَّفَتِ المعاجمُ الأدبية والفلسفية المُتخصِّصة ، وبعض الدراسات الأدبية هذا اللفظ ، واعتبرته « مُصْطَلَحًا أَدَبِيًّا » ، عملت على توضيح المراد منه وتعريفه. وأنا هنا أضع بين يديِّ القارئ عددًا من هذه التعريفات لهذا المصطلح ، وبعد أن نضعها متتالية نعلِّقُ عليها مجتمعة ، محاولين من خلال مجموع هذه التعريفات الإبانة عن المقصود بـ « الذوق الأدبي » وتقديم تصور له .

تعريفات مصطلح « الذَّوْق » :

١ ـ الذوق « قوة إدراكية ، لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية »[2] .

٢ ـ الذوق هو « مَلَكَة الإحساس بالجمال ، والتمييز بدقة بين حسنات الأثر الفني وعيوبه ، وإصدار الحكم عليه »[3] .

٣ ـ الذَّوْقُ « قدرةُ الإنسان على التفاعُل مع القيم الجمالية في الأشياء ، وخاصة في الأعمال الفنية »[4] .

٤ ـ الذَّوْق هو « الإحساس المعنوي بطبيعة الأعمال التي تصدر عن الإنسان في شتى نشاطاته ، لا سيما الفنية ، وتمييز مراتبها من الجودة ، والحكم عليها بالاستحسان أو الاستهجان »[5] .

(١) الكليات ، ت : د. عدنان درويش ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢، (١٩٩٨م) ، ص ٤٦٢

(٢) د. جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، (١٩٨٢م) ، ١/ ٥٩٧

(٣) جبور عبد النور: المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، (١٩٨٤م) ، ص ١١٨

(٤) مجدي وهبة ، كامل المهندس : معجم المصطلحات العَرَبِيَّة في اللغَة والأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط٢ ، (١٩٨٤م) ، ص١٧٣

(٥) د. إميل بديع يعقوب ، ميشال عاصي : المعجم المفصل في اللغَة والأدب ، دار العلم للملايين بيروت ، ط١ ، (١٩٨٧م) ، ١/ ٦٤٩

٥ ـ الذَّوْق هو « حس معنوي يصدر عن الإنسان للتمييز بين النشاطات الأدبية والفنية ، وهو ما يُدْعَى بِمَلَكَة الإحساس بالجمال ، ويُسَهِّلُ في معرفة قيمه »[١] .

٦ ـ الذَّوْق « تلك المَلَكَة النفسية التي من شأنها إدراك نواحي الجمال في نتاج كاتبٍ ما والتلذذ بها ، وكذلك الالتفات إلى جوانب النقص فيه ، والنفور منها »[٢] .

٧ ـ الذوق : « هو مَلَكَة الروح التي تميِّز وتفرق بين مواطن الجمال ومواطن العيب والنقص عند كاتب ما بالرضى وعدم الرضا »[٣] .

تلك أهم التعريفات التي وقعت بين يدي فيما يتعلق بتعريف مصطلح « الذوق» ، ومن خلالها يمكن أن نحدد الذوق ونتصوره على أنه :

- مَلَكَة أو قدرة أو حس أو قوة إدراكية نفسية .
- هذه المَلَكَة أو القوة لها القدرة على : « الإحساس بالجمال ، وإدراكه ، والتفاعل معه » ، و« التمييز بدقة بين حسنات الأثر الفني وعيوبه » و« إصدار الحكم بالاستحسان أو الاستهجان » .

أي أن هذه المَلَكَة تتلخص وظيفتها في ثلاثة أمور : الإحساس ، التمييز ، إصدار الحكم بالاستحسان أو الاستهجان .

هذا المقصود بـ« الذوق الأدبي » ، والجدير بالملاحظة في هذا السِّيَاق أنَّ النُّقَّادَ والبلاغيين العرب أشاروا إليه ودرسوه . ولم تكن تلك الإشارة إشارة عابرة ، بل دراسة مستفيضة ومستوعبة ، ذكروا فيها أهميته في الوقوف على بلاغة النصوص الأدبية عامة والنص القُرْآنِيّ خاصة ، ودخل ميادين البَلاغَة والنقد لديهم ، واعتبروه أحد مقاييس النقد الأدبي ، وتناوله الآمدي (ت:٣٧١هـ) بالتحليل ، « وذكر أنه ثلاثة أقسام :

---

(١) د. مُحَمَّد التونجي : المعجم المفصل في الأدب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، (١٩٩٩م) ، ١/ ٤٦٦

(٢) د. إبراهيم عوض : التذوق الأدبي ، مكتبة الثقافة ، الدوحة ، (٢٠٠٥م) ، ص ٢٠

(٣) **J.A.Cuddon, A Dictionary of Literary Terms and Literary Theary, fifth edition, 2013, p. 712** ، وهذا التعريف للناقد جوزيف إديسون .



١) الطَّبْع : وهو القوة التي فُطِرَ عليها الناقد .

٢) الحِذْق : وهو القوة التي يكتسبها الناقد بالمران والدُّربة .

٣) الفِطْنة : وهو امتزاج الطبع بالحذق .

وصاحبُ الفطنة أقدرُ على الحكم من صاحب الطبع أو صاحب الحذق وحده »[١] .

ب ـ **الطريق إلى التذوق وكيفية تكوينه** :

بعد أن ذكرنا إشارة علماء البَلاغَة إلى عظم أمر « الذوق الأدبي » في الوقوف على بلاغة النصوص الأدبية عامة والنص القُرْآنِيّ خاصة ، وبعد أن أعطينا تصورًا للمقصود بهذا المصطلح ، نأتي إلى نقطة مهمة وهي : إذا كان « الذوق» عليه المُعَوَّلُ في الوقوف على بلاغة النص القُرْآنِيّ ؛ فلا بد من الحديث عن « الطريق » إلى هذه المَلَكَة ، و« كيفية تكوينها » ؛ لأنه ما لا يتمُّ الواجبُ إلا به فهو واجب .

وكما هو واضح من عنوان هذه الجزئية فإنها تَتَكَوَّن من نقطتين : « الطريق إلى التذوق أو الذوق » ، و« كيفية تكوينه » .

الطريق إلى « الذَّوْق الأَدَبِيّ » ، أو بتعبير آخر الطريق إلى « مَلَكَة الإحساس بالجمال الأدبي » يبدأ بـ « عملية عقلية » هي « **فهم** » النص الأدبي شعرًا كان أم نثرًا ، فـ« **في مجال الآداب لا تَذَوُّقَ دون فهم** »[٢] .

وهناك ـ كما يقول الباحثون ـ علاقة طردية بين « فهم النص الأدبي » و« اللذة » الحاصلة من هذا التَّذَوُّقِ ، فـ « **كلما زاد فهم النص والتغلغل في أغواره وأبعاده**

(١) مجدي وهبة ، كامل المهندس : معجم المصطلحات العَرَبِيَّة في اللغَة والأدب ، ص١٧٣، وبقليل من التأمل يمكن التوفيق بين المصطلحات الثلاث « الطَّبع ، الحِذق ، الفِطْنة » أقسام التذوق عند الآمدي ، والعناصر التي استنبطناها من تعريفات التذوق : « الإحساس ، التمييز ، إصدار الحكم » ؛ فالطبع ـ وهو القوة التي فُطِرَ عليها الناقد ـ تساوي المَلَكة والقدرة والحس والإحساس ، والحذق ـ وهو القوى التي يكتسبها الناقد بالمران والدربة ـ تساوي التمييز ، والفطنة ـ وهي امتزاج الطبع بالحذق ـ تساوي إصدار الحكم .

(٢) د. إبراهيم عوض : التذوق الأدبي ، ص ١٨



ازدادت اللذة الحاصلة من هذا التَّذَوُّق »[1] . فالقارئ لا يمكنه تَذَوُّق العمل الأدبي إلا إذا فهمه أولا ، وبناء على هذا الأساس يمكن أن نقول إن للتذوق الأدبي جانبًا عقليًّا ، يتمثل في عملية الفهم التي أشرنا إليها ، فـ « الذوق في الأدب ليس مسألة وجدانية فحسب ، بل هو أمر عقلي أَيْضًا ، وهذا العنصر العقلي لا بد أن يجئ أولا ؛ إذا ما أردنا أن يكون هناك تَذَوُّق ثانيًا »[2] .

وهناك عدة طرق تؤدِّي إلى « فهم » النص الأدبي ، وهي :

١) **اللغة** :

الذوق الأدبي يحتاج إلى معرفة القارئ بـ « اللغَة » التي كُتِبَ بها النصُّ الأدبي ، فمما هو بدهي أننا لا نستطيع أن نَتَذَوَّقَ قصيدةً أو قصةً أو حتى مثلًا سائرًا أو حتى صورة بَلاغِيَّة إذا كانت مكتوبة بلغة غريبة علينا ، واللغة ـ كما نعرف ـ « نظام من الرموز ، ينبغي لمن يريد فكَّ شفراته أن يعرفَ كيفَ تُكتَبُ الحروف ، وكيف تُنطَقُ ، وكيف يتم تركيبها كتابة ونطقًا ، وما الذي تعنيه كلُّ كلمة على حدة ، وما الذي تعنيه داخل سياقها التعبيري والتركيبي ... »[3] .

والاهتمام بالعربية كطريق للوقوف على بلاغة القُرْآن الكريم أمر من القوة والخَلاقَةِ بالقبول بمنزلٍ ، وذلك ـ كما يقول الزَّمَخْشَرِيّ (ت : ٥٣٨هـ) ـ « أَنَّ القُرْآن إنما نزل بلسانٍ العرب ، مصبوبًا في أساليبهم واستعمالاتهم »[4] . وقال أَيْضًا « **وما جاء القُرْآن إلا على طرقهم وأساليبهم** »[5] .

والباحث البَلاغِيّ « كلما ازداد بصيرة بأسرار اللغَة ، وإحسانًا في تصريف القول وامتلاكًا لناصية البيان ازداد خضوعًا بكليته أمام أسلوب القُرْآن »[6] .

---

(١) السابق ، ص ١٨ ، ويُنظَرُ أَيْضًا ص ٢٢

(٢) السابق ، ص ٤٢

(٣) السابق ، ٤٤

(٤) الكَشَّاف ، ١/ ٣٠

(٥) الكَشَّاف ، ٣/ ٥٨٨

(٦) د. مُحَمَّد عبد دراز : النبأ العظيم ، ص ٦٧ ، ٦٨



ومن بديع أقوال شيخنا الشيخ مُحَمَّد الغزالي ـ رحمه الله وطيب الله ثراه ـ قوله : « ولست أدري كيف يكون عالمًا بالإسلام من ليس له ذوق أدبي ، وقدم راسخة في فقه اللغَة : شعرها ونثرها ؟ »[(١)] .

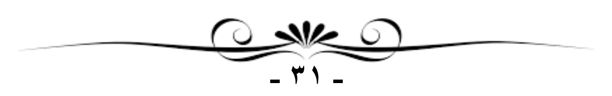
ولعلنا في ضوء ذلك نفهم لماذا مَنَّ الله على المسلمين بنزول القُرْآن بالعربية ، فقال في أكثر من آية :

- ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف: ٢
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ طه: ١١٣
- ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ الزمر: ٢٨
- ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ فصلت: ٣
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ الشورى: ٧
- ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الزخرف: ٣
- ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥

ويعلق الإمام الزَّمَخْشَرِيّ على آية سورة الشعراء تعليقًا رائعًا ذكيًّا يبين فيه أَهَمِّيَّة العربية في فهم القُرْآن قائلا :

« ... وإمَّا أنْ يَتَعَلَّقَ (يقصد قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾) بـ « نَزَلَ » ؛ فيكون المعنى : نزل باللسان العربي لتنذر به ؛ لأنه لو نزله باللسان الأعجمي ؛ لتجافوا عنه أصلا ، ولقالوا: ما نصنع بها لا نفهمه ؛ فيتعذر الإنذار به . وفي هذا الوجه : أن **تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك ؛ لأنك تفهمه ويفهمه قومك . ولو كان أعجميًّا لكان نازلًا على سمعك دون قلبك ؛ لأنك تسمع أجراسَ حروفٍ لا تفهم معانيها ولا تعيها ، وَقَدْ يكون الرجل عارفًا بعدّة لغات ، فإذا كُلِّمَ بلغته التي لُقِّنَها أولًا ، ونشأ عليها وتطبع بها ـ لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام ؛ يتلقاها بقلبه ، ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت ، وإنْ كُلِّمَ بغير تلك اللغَة ـ وإنْ كان ماهرًا بمعرفتها ـ كان نظره أولًا في ألفاظها ثم في معانيها . فهذا**

(١) كيف نفهم الإسلام ، ص ٨٩



تقريرٌ أَنَّهُ نزل على قلبه لنزوله بلسان عربى مبين »[1] .

ونستبق الحديث هنا ونُنَبِّهُ في هذا السِّيَاق على أمر مهم يَتَعَلَّقُ بطبيعة اللغَة ينبغي للباحث البَلاغِيِ القُرْآنِيّ من الوقوف عليه ، وهو أنَّ اللغَة عُرضةٌ للتغيير على كافة مستوياتها ، « الأصوات والتراكيب والعناصر النَّحْوِيَّة وصيغ الكلمات ومعانيها كل هذه المستويات معرضة للتغير والتطوُّر»[2] ، كما أَنَّ المفردات لا تستقر على حال وذلك لأنَّ « الحياة تشجع على تغير المفردات ؛ لأنها تضاعف الأسباب التي تؤثر في الكلمات ، فالعلاقات الاجتماعية والصناعات ، والعُدد المتنوعة تعمل على تغير المفردات ، وتقصي الكلمات القديمة ، أوتحور معـناها ، وتتطلب خلق كلمات جديدة» [3] ، وكل جماعة لغوية تترابط لغويا ، وتتحول إلى جماعة ثقافية متميزة تصوغ بين الحين والآخر مدلولات جديدة للكلمات بحكم استخدامها للأشياء ومرورها بتجارب مختلفة ، ولهذا كانت المدلولات سابقة لدوالها[4] ، وتزداد سرعة التطور اللغوي بازدياد انتشار اللغَة بين غير أهليها ، وبازدياد عدد الذين يتكلمونها وتنوعهم[5] .

ومما أقره العلماء بشأن التطور الدلالي للكلمة أَنَّهُ مما يساهم في هذا التطور « كثرة دورانها في الحديث ، فإننا نلاحظ أَنَّ معنى الكَلِمَة ، يزيد تعرضًا للتغير كلما زاد استعمالها ، وكثرة ورودها في نصوص مختلفة ؛ لأن الذهن في الواقع يُوجَّه كل مرة في اتجاهات جديدة ، وذلك يوحي إليها بخلق معان جديدة » [6] . ومما أقروه

---

(١) الكَشَّاف ، ت : عادل عبد الموجود ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، ٤/ ٤١٥ ويتضمن نصُّ الإمام الزَّمَخْشَرِيّ أَيْضًا إشارة تربوية تعليمية مهمة ، وهي : أَهَمِّيَّة أن يكون التعليم باللغة الأم لأي علم من العلوم ؛ لأنها ستكون أسرع وأمكن في الفهم والنفس والقلب ، وهي المعلومة التي ما فتئ التربويون يرددونها حتى بُحَّت أصواتهم ، ولكن لا حياة لمن تنادي .

(٢) د.كمال بشر : دور الكَلِمَة في اللغَة ، ص ١٥٣

(٣) د. رمضان عبد التواب : التطور اللغوي ، ص ١١، ١٢ .

(٤) د.كريم زكي حسام الدين : التَّحْلِيْل الدلالي ، إجراءاته ومناهجه ،١/ ١١

(٥) د.رمضان عبد التواب : التطور اللغوي ، ص ١٢ .

(٦) السابق ، ص ١١٣

أَيْضًا « أنَّ جزءًا من معنى الكَلِمَة يأتي من تحديد مستواها في اللغَة الذي يختلف تبعًا لاختلاف الأسلوب ، أو الزمان والمكان أو الطبقة الاجتماعية أو الثقافية »[١] .

إذن مما ينبغي توجيه العناية إليه **الوقوف على دلالة الألفاظ التي ارتبطت باللفظ عند كتابة النص ، وأنه مما قَدْ يسبب سوء فهم النص اعتماد الدلالات الجديدة التي تطورت إليها دلالة الألفاظ بعد كتابة هذا النص** .

لذلك نجد أنَّ العلماء الذين كانوا يشرحون الشعر القديم تنبهوا لهذا التطور الدلالي عند شرحهم ؛ فنبهوا عليه وأوضحوه ، ومن هؤلاء مثلا أَبُو العَلاء المَعَرِّي (ت : ٤٤٩هـ) الذي قام بشرح شعر أبي تمَّام (ت: ٢٣١ هـ) ، فقد انتبه إلى التطور الدلالي الذي وقع في ألفاظ شعره خلال الفترة الزمنية التي فصلت بينهما والتي امتدت لأكثر من مائتي عام[٢] .

ويترتب على هذا أن القارئ قَدْ لا يجد صعوبة في فهم نص أدبي مكتوب بلغته المعاصرة ، ولكنه يجد صعوبة كبيرة في قراءة عملٍ أدبي مكتوب بنفس اللغَة في عصر غابر ، وما ذاك إلا أنَّ القارئ لا يألفُ التراكيب ودلالات الألفاظ التي كُتِبَ بها هذا النص ؛ لذلك فالباحث البَلاغِيّ القُرْآنِيّ يجب أن « يُدَرِّبَ » نفسه على قراءة تلك النصوص القديمة خاصة الشعر الجاهلي حتى يألف الدلالات التي كانت ترتبط بهذه الألفاظ .

ونرتب أخيرا على ما سبق أَنَّ القُرْآن يجب أن يُفْهَمَ بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله ، و« الأفضل أن يُفهَمُ اللفظ من القُرْآن نفسه ، بتتبع دورانه في الآيات المختلفة ، وتكرره في مواضع منه ؛ فيحصى تلك المعاني ، ويوزعها في الآيات حسب ما يتطلبه المعنى »[٣] .

---

(١) د. أحمد مختار عمر : المكنز الكبير ، شركة سطور ، الرياض ، ط١ ، (٢٠٠٠م) ، ص ٩

(٢) د. إيهاب عبد الحميد : شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ص ٣٦٠ وما بعدها .

(٣) عبد الوهاب حموده : القُرْآن وعلم النفس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، (١٩٨٥م) ، ص ٧٣



كلمة عن أهم المعاجم اللغوية :

إذا كانت اللغةُ ـ خاصةً معاني ألفاظها ـ إحدى الطرق المؤدية إلى فهم النص الأدبي ؛ فيجب أن يكون لنا ثَمَّةَ كلمة عن الأدوات التي تيسر لنا الوقوف على معاني ألفاظ اللغة . وأقصد بهذه الأدوات « المعاجم اللغوية » .

وكل ما سنقوم به هنا أن نضع بين يدي القارئ نبذة مختصرة عن أهم المعاجم اللغوية التي يمكن أن يعتمد عليها الباحث للوصول إلى هذا الأمر ، أمر الوقوف الدقيق على معاني الألفاظ .

وقد اخترت من هذه المعاجم ثلاثة معاجم : لسان العرب ، القاموس المحيط ، تاج العروس .

- **المُعْجَمُ الأَوَّلُ لسانُ العَرب :**

من أهم المعاجم اللغوية التي يمكن أن يعتمد عليها الباحث البَلاغِيّ للوقوف على المعاني المعجمية للفظ العربي معجم « لسان العرب » لابن منظور (ت: ٧٧١هـ).

وهو من المعاجم الموسوعية العامة التي جمع فيه صاحبه كل ما حوته خمسة معاجم سابقة عليه وهي :

أ- تهذيب اللغة للأزهري (ت: ٣٧٠هـ) .
ب- المَحكم لابن سِيده (ت : ٤٥٨هـ) .
ت- الصِّحاح للجوهري (ت : ٣٩٣ هـ) .
ث- حواشي ابن بري (ت : ٥٨٣هـ) على الصحاح .
ج- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير الجزري (ت : ٦٠٦ هـ) .

فقد أخذ ابن منظور **ما وجده في هذه المعاجم ونقله نقلا** ، ونلاحظ أن المعجم الأخير (النهاية في غريب الحديث) معجم متخصص في غريب ألفاظ الحديث النبوي .

- **المُعْجَمُ الثَّاني القاموس المُحيط :**

القاموس المحيط للفيروزأبادي (ت : ٨١٦ هـ) ، وفي هذا المعجم اعتمد الفيروزأبادي على معجمين موسوعيين هما : « المُحكم » لابن سِيده ، و « العُباب » للصاغاني ، ويعتمد كل منهما على معاجم أخرى سبقتهما ، فـ « المُحكم » يضم ما جاء

في معجم « العين » وجمهرة اللغة والبارع ، أما العباب فيضم مادة معجم مقاييس اللغة والصحاح والمعاجم المؤلفة حول الصِّحاح ؛ **وبذلك يقوم عمل الفيروزأبادي على كل هذه الجهود** ، وأضاف إلى هذه المادة معلومات جديدة خاصة بالأعلام وبالنباتات ؛ وبذلك ضم القاموس المحيط مادة لغوية متنوعة ، قد شرحت شرحًا بسيطًا .

- **المُعْجَمُ الثالث تاجُ العَروس :**

تاج العروس للزَّبِيدِي (١٢٠٥هـ) ، وهو أكبر المعاجم العربية على الإطلاق ، لقد ألف الزَّبيدي تاج العروس شرحًا للقاموس المحيط ، ولكن عمله تجاوز حدود الشرح اللغوي البسيط ؛ فأصبح تاج العروس أضخم المعاجم العربية وأكثرها مادة وشرحًا.

اعتمد الزَّبيدي على المعاجم العربية الكثيرة التي اتيحت له ، منها الصحاح للجوهري ، وتهذيب اللغة للأزهري ، والمحكم لابن سِيده ، ولسان العرب لابن منظور ، وأساس البلاغة للزمخشري ، والمجمل لابن فارس ، والمعاجم الكثيرة التي ألفت إكمالا لهذه المعاجم أو تلخيصًا لها .

ولم يكتف الزَّبيدي بهذه المعاجم بل اعتمد على المعاجم القُرْآنِيَّة والحديثية ، والكتب اللغوية ، وكتب الطبقات ، وشروح اللغويين على النصوص الأدبية . واعتمد الزَّبيدي على مجموعة من معاجم ألفاظ القُرْآن والحديث ، مثل : كتاب الغَرِيبَيَنِ لأبي عُبيد الهَروي ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير الجزري ، والمفردات للراغب الأصفهاني ، ومشكل القُرْآن لابن قتيبة ، إلى جانب كتب القِراءَات ، مثل : الحُجَّة في قراءات الأئمة السبعة لابن خالويه .

واعتمد الزَّبيدي على مجموعة كبيرة من كتب الدراسات اللغوية والتثقيف اللغوي ، مثل : فصيح ثعلب ، وإصلاح المنطق لابن السكيت ، والخصائص لابن جني ، وسر صناعة الإعراب لابن جِنِّي ، والمقصور والممدود للقالي ، والأضداد لأبي الطيب اللغوي ، وتهذيب الأبنية والأفعال لابن القطاع . واعتمد الزَّبيدي أيضا على كتب كثيرة في الطبقات والأعلام والتراجم ، مثل : جمهرة الأنساب لابن حزم ، وطبقات الشافعية للسبكي ، والوافي بالوفيات للصَّفَدي ... واعتمد الزَّبيدي أيضًا

على شروح الدواوين والمجموعات الشعرية مثل شرح ديوان الهذليين للسكري وشرح المعلقات السبع لابن الأنباري .

ولكن الزَّبيدي أخذ ما أخذه من هذه المصادر المتنوعة دون تعديل أو تعليق أو إضافة (١) .

٢) تحديد السِّيَاق الذي قيل فيه النص :

مما يُعينُ على فهم النص الأدبي (أو أي نص) معرفة السِّيَاق الذي قيل فيه ففهمنا للنص الأدبي يزداد ويعمق إذا ألممنا بكل ما نستطيع الوصول إليه من معلومات تتعلق بالسياق والموقف والظروف التي أُبْدِعَ فيها النص ، ومن قام بهذا الإبداع : حياته ، وشخصيته ، إلى غير ذلك من أمور يتوقف عليها الإدراك السوي للنص .

وإذا كان هذا واجبًا في حق النصوص البشرية لكي نستخلص منها المعاني على وجهها الصحيح فهو في حق القُرْآن واجب من باب أولى للوقوف على معانيه ، فـ « السِّيَاق القُرْآنِيّ (بكل أنواعه) هو العمدة في استشفاف تلك المعاني »(٢) .

ويرتبط النص القُرْآنِيّ على وجه التحديد في بعض آياته بسياق خاص ، وهو ما يعرفه العلماء بـ « أسباب النزول » .

والوقوف على هذه الأسباب أمر له أهميته في بيان بلاغة القُرْآن ، يوضح ذلك الإمام الشاطبي قائلا : « معرفة أسباب التَّنْزِيلِ لازمة لمن أراد علم القُرْآن ، والدليل على ذلك أمران :

أحدهما: أن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القُرْآن فضلا عن معرفة مقاصد كلام العرب ؛ إنما مداره على معرفة مُقْتَضَيَاتِ الأحوال : حال الخطاب من جهة نفس الخطاب ، أو المخاطِب ، أو المخاطَب ، أو الجميع ؛ إذ الكلام

(١) ما كتبناه هنا عن هذه المعاجم أخذناه من : د. محمود فهمي حجازي : علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن ، دار غريب ، القاهرة ، ط ١ ، (بدون بيانات أخرى) ، ص ١٠٥ وما بعدها

(٢) د. أحمد سعد مُحَمَّد : التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط٢ ، (٢٠٠٠م) ، ص ٣٨



الواحد يختلف فهمه بحسب حَالَيْنِ ، وبحسب مُخَاطَبَيْنِ ، وبحسب غير ذلك ؛ كَالِاسْتِفْهَامِ ، لفظه واحد ، ويدخله معانٍ أخر من تَقْرِيرٍ وَتَوْبِيخٍ وغير ذلك ، وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها ، ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجة ، وعمدتها مقتضيات الأحوال ، وليس كل حال يُنقل ، ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول ، وإذا فات نقل بعض الْقَرَائِنِ الدَّالَّةِ ؛ فات فَهْمُ الْكَلَامِ جُمْلَةً ، أو فهم شيء منه ، ومعرفة الأسباب رافعة لكل مُشْكِلٍ فِي هَذَا النَّمَطِ ؛ فهي من الـمُهِمَّاتِ في فهم الكتاب بلا بد ، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال ، وينشأ عن هذا الوجه :

الوجه الثاني: وهو أن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشُّبَهِ وَالْإِشْكَالَاتِ ، ومورد للنُّصوص الظاهرة مورد الإجمال ؛ حتى يقع الِاخْتِلَافُ ، وذلك مَظِنَّةُ وُقُوعِ النِّزَاعِ »[1] .

وتظهر أَهَمِّيَّة السياق مع النص القُرْآنِيّ من خلال زاوية أخرى هي الإيجاز ، وذلك أن الإيجاز من حلية القُرْآن ـ كما قال الإمام الزَّمَخْشَرِيّ ـ ، وبما أنَّ الحذف هو أهم صور الإيجاز فلا شَكَّ أنَّ السياق يُؤدِّي دورًا بَلاغِيًّا مُهِمًّا ؛ وذلك لأن « سياق الكلام هو الذي يُعِينُ الْمُتَلَقِّي على تعيين المحذوف ، أو تقديره بتقديرات مُتَعَدِّدَةٍ أو مختلفة أحيانًا بحسب ما يُمليه منطق التعبير ، وأحسب أنَّ هذا التَّعدُّد أو الاختلاف دليل صحة في التوجيه البَلاغِيّ ؛ لأنه يُرشِدُ في نظري إلى إدراك القيمة التعبيرية الكُبرى التي تُتِيحها ظاهرة الحذف في العربية ، بالإضافة إلى الإيجاز والاقتصاد في التعبير ، **وأعني بها تكثيف دلالة التركيب بتعددها أو اختلافها من متلقٍّ إلى آخر بحسب نظره إلى السياق** »[2] .

---

(١) الموافقات ، ت : مشهور بن حسن ، دار ابن عفان ، السعودية ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، ٤/ ١٤٦

(٢) د. أحمد سعد مُحَمَّد : التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة ، ص ٢٦١



ومن خلال الفهم العميق للسياقات التي وردت فيها الآيات القُرْآنِيَّة استطاع الإمام الزَّمَخْشَرِيّ أن يقف على « تعريضات » القُرْآن ، فكثيرًا ما قرأنا مُصطلح « التعريض »[(١)] في تفسير هذا الإمام .

٣) **الاستعانة بالعلوم التي تعيننا على فهم النص** :

يُساعدُنا على فهم النص أَيْضًا أن نستعينَ بالعلوم التي تُمكنُنا من فهمه ، سواءً أكانت علوم لغوية أم غير لغوية . وأقصد بالعلوم اللغوية : النَّحْو والصرف واللغة ، وَالبَلاغَة ... ، وأقصدُ بالعلوم غير اللغوية : التاريخ وعلم النفس والاجتماع والاقتصاد والسياسة والفلك والطب والجيولوجيا ...

ولقد أشار عددٌ غير قليل من النُّقَّاد إلى أَهَمِّيَّة العلوم غير اللغوية في فهم النص والوقوف على دلالاته ، يقول د. مُحَمَّد النويهي في كتابه « ثقافة الناقد الأدبي » : « أفيظن أحدُنا أنه يستطيعُ أنْ يفهم الشعر الجاهلي صحيحًا دون إلمامٍ حَسَنٍ بعلم الحيوان أو ببسائط الفلك ؟ أم يظنُّ أنه يستطيع أن يفهمَ شعرَ ابنِ الرومي فهمًا صحيحًا دون إلمام حَسَنٍ بشتى علوم الأحياء والدراسات النفسانية »[(٢)] .

وأمر الاستعانة بالعلوم غير اللغوية لفهم النص مثلما ينطبق على النصوص الأدبية البشرية ينطبق على النص القُرْآنِيّ الإلهي ، فكما يحتاج النص القُرْآنِيّ إلى العلوم اللغوية يحتاج أَيْضًا إلى العلوم غير اللغوية ؛ لذلك أشار الباحثون إلى أنَّ تفسير القُرْآن « يستلزمُ الإلمام الجيد بطائفة كبيرة من العلوم العَرَبِيَّة والشرعية والإنسانية ، وهي النَّحْو والصرف والمعاجم والمعاني والبيان والقراءات والفقه وأسباب النزول

---

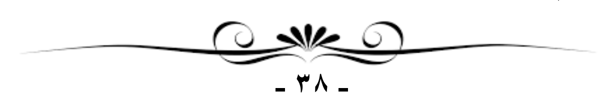
(١) يتردد مصطلح « التعريض Innuendo » في علم البيان ، ويُقصدُ به « الهجاء الذي ينطوي تحت كلمات ليست في ظاهرها هجاء » ، مثال ذلك قول المتنبي (٣٥٤هـ) يُعرِّض بسيف الدولة :

إذا ساءَ فعلُ المرء ساءت ظنونُه وصَدَّقَ ما يعتادُهُ من تَوَهُّمِ

وكما هو واضح فإن المرء لا يتسنى له الوقوف على هذا التعريض إلا إذا كان ملما بالخلفية التاريخية التي كانت بين المتنبي وسيف الدولة.

ينظر د. مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ص١١١

(٢) نقلا عن د. إبراهيم عوض : التذوق الأدبي ، ص ٣٧



والقصص والناسخ والمنسوخ والمكي والمدني والأحاديث النبوية وكتب التفسير والتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس والاقتصاد والسياسة والفلك والطب والجيولوجيا ، وغير ذلك مما لا غنى عنه في تفسير آيات الكتاب المجيد »[(١)] .

ونحن إذ نقول بأهمية الاستعانة بالعلوم غير اللغوية في فهم النص القُرْآنِيّ وغير القُرْآنِيّ لا نطلب « التَّعَمُّق » في الاطلاع على تلك المعارف ، بل يكفي في ذلك كله الحد الأدنى الذي يسمحُ بالفهم .

ويشهد لما قلناه في السطور السابقة من احتياج النص لكثير من العلوم لفهمه ومن ثَمَّ تَذَوُّقه ما قرأناه للشيخ « محمود شاكر » في كتابه الماتع « أباطيل وأسمار » ، إذ يَهتبل الشيخُ شاكرُ الفرصةَ ـ وهو في معرض ردِّه على الكاتب « لويس عوض » الذي افترى كذبًا على شيخ المعرَّة « أبي العلاء المعري » ، وادعى عليه ما ليس عنده ـ ليوضِّحَ كيف يُقرَأُ النصُّ الأدبي وكيف يُدرَسُ؟ يقول الشيخ شاكر ـ رحمه الله وطيَّبَ الله ثراه ـ : « فإذا اتخذنا شيخ المعرَّة مثلا موضِّحًا ، فدارسُه ينبغي أن يكون مُطيقًا لقراءة نصوصه جميعًا من نثر وشعر ، لا من حيث هما لفظان مُبهمان غامضان : « نثر» أو « شعر » ، بل من حيثُ تضمُّنهما ألفاظًا دالةً على المعاني ، وألفاظًا قَدْ اختزنت مرَّ الدهور في استعمالها وتطورها قدرًا كبيرًا من نَبْض اللغَة ونمائها الأدبي والفكري والعقلي ، إلى كثير من الدِّلالات التي يعرفها الدارسون ، ثم من حيثُ هي ألفاظٌ قَدْ حملت سِماتٍ مميِّزةً من ضمير قائلها بالضرورة الملزمة ؛ لأنَّه إنسانٌ مُبين عن نفسه في هذه اللغَة بما يسمَّى « شعرًا » أو بما يسمَّى « نثرًا » . وواضحٌ جدًّا بعد ذلك ـ لمن يُحسِنُ أن يتأمَّلَ بعض التأمُّلِ ـ **أنَّ هذا كُلّه يقتضي أن يكون الدارس قَدْ رحل رحلةً طويلةً في آدابِ اللغَة السابقةَ لعهد شيخ المعرَّة ، فَدَارَسَ فيها الماضين من شعراء هذه اللغَة وكُتَّابها مُدارسةً متقنة جادَّةً غير هازلة ، مشحوذةً بالذكاء والتنبُّه ، مصقولةً بحسنِ التمييز والتدبُّر ؛ ليكون في مأمنٍ من اختلاط شيء منها بشيء مخالفٍ له أو مناقضٍ** . وذلك لأن تُراث كلِّ لغة من اللغات ، وإن كان وحدةً لا تكاد تتجزَّأ ، إلا أنّ اختلاف الأزمنة والأمكنة يمنحُ كلَّ نصٍّ وَسْمًا بائنًا من سواه ، ويُفيضُ عليه لونًا مُتفرِّدًا من غيره ، فهذا أمرٌ كما ترى شديدُ المِراس لمن لم يملك ناصيته ، فلا يهجُمُ

(١) د. إبراهيم عوض : التذوق الأدبي ، ص ٢٩



عليه بلا أداة ، وبلا رويَّةٍ ، وبلا استعداد ، وبلا فهم ، إلا كلُّ مَن ظنَّ في نفسه الظنون ، إمّا جهلا وإمّا رُعُونةً .

وليتَ الأمرَ في دراسة الآداب يقف بنا عند هذا الحدِّ ! فإنَّه لأهولُ من ذلك في كلِّ زمان ومكان ، وفي كل لغة ذات بيانٍ ، إنه لأمرٌ مفروغٌ منه ، **أمر ارتباط الآداب بتاريخ الأمَّة وعاداتها وأخلاقها ودياناتها ، وما شئتَ من شيء تُعَدُّ به الأمة ذات كيان قائم متميِّز . فدارس الآداب إذا لم يكن مطيقًا لذلك كلِّه ، بصيرًا به ، حَسَن التصرُّف في جليله ودقيقه ، جيِّدَ الفهم لغوامضه ومبهماته ، فهو حَرِيٌّ أنْ يشوَّه الصورة عند تركيبها تشويهًا فيه من الشناعة ما دراسته مُثْلةً بمن يدرسه** »(١) .

هذا هو تصور الشيخ شاكر ومنهجه في دراسة شعر شاعر « بشري » ، وهذه هي الأدوات التي يجب أن يتسلح بها مَنْ يريد « فهم » شعره . وإذا كان هذا هو المطلوب مع كلام البشر فهو من باب أولى مطلوب مع كلام خالق البشر .

تلك هي الطرق التي تقدِّمُ لنا يد المساعدة لفهم النص : اللغَة ، السِّيَاق ، العلوم التي تعيننا على هذا الفهم . وكل طريق من هذه الطرق بمثابة مصباح يُنيرُ جانبًا من جوانب النص ، فالعمل الأدبي بالنسبة للقارئ أشبه بشيء غارقٍ في الظلام « فإذا عرف القارئ لغة النص انجاب بعض ذلك الظلام ، وإذا عرف ظروف تأليفه انجاب جانب آخر ، وإذا عرف حياة مؤلفه وشخصيته تكاثرت أشعة الضوء المُبددة للظلام »(٢) .

بعد الحديث عن الطرق إلى الذوق الأدبي نأتي إلى ما يتعلق بـ « كيفية تكوينه » .

كيف يتكوَّنُ الذوق الأَدَبِيّ ؟

نجيب عن هذا السؤال قائلين : إن الذوق الأدبي ـ كذائقة إحساسية ـ قابلٌ للتنمية والتهذيب والصقل ؛ لتبلغ أرقى درجات الدِّقَّة والإرهاف ، ويمكنُ تنمية هذا الذَّوْق وتهذيبه وتثقيفه « **بمطالعة روائع الآثار ، وتداوُلها تكرارًا ، تشَبُّعًا من**

---

(١) أباطيل وأسمار ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، (٢٠٠٥م) ، ص ٢٠ ، ٢١

(٢) د. إبراهيم عوض : التذوق الأدبي ، ص ٢٧ ، بإقرارنا لأهمية الفهم في التذوق البَلاغِيّ يمكن أن نسارع هنا ونضع خطوة من خطوات المَنْهَج للوقوف على البَلاغَة القُرْآنِيَّة ، وهي خطوة « فهم النص القُرْآنِيّ » .



مناخاتها ، واكتناهًا لخصائصها الإبداعية والجمالية »[1] ، فالذوق الأَدَبِيّ يسمو « **بالمطالعة والدراسة »**[2] ، وهو ـ كمَلَكَة يمكنُ من خلالها إدراك وتمييز الجودة في الأعمال الأدبية ـ « قابل للاكتساب »[3] .

ويؤكدُ هذا الأمر ـ أمر إمكانية تنمية الذوق من خلال المطالعة والدراسة ـ كثيرٌ من العلماء والنقَّاد والأدباء والشعراء ، نذكر منهم : العلّامة ابن خلدون ، والزمخشري ، والشاعر الناقد كوليردج ، يقول ابن خلدون : « ... وَقَدْ مَرّ تفسير البَلاغَة ، وأنّها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواصّ تقع للتّراكيب في إفادة ذلك. فالمتكلّم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرّى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم ، وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده ، **فإذا اتّصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه ، وسهل عليه أمر التّركيب ، حتّى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البَلاغَة الّتي للعرب وإن سمع تركيبًا غير جار على ذلك المنحى مجّه ونبا عنه سمعه بأدنى فكر، بل وبغير فكر، إلّا بما استفاد من حصول هذه الملكة . فإنّ الملكات إذا استقرّت ورسخت في محالّها ظهرت كأنّها طبيعة وجِبِلَّة ذلك المحلّ »**[4] .

ويشير الإمام الزَّمَخْشَرِيّ ـ وهو في معرض حديثه عن الأسباب الموصلة إلى فهم القُرْآن وتفسيره ـ إلى أنَّ الباحث في هذا يجب « أن يكون آخذًا من سائر العلوم بحظٍّ جامِعًا بين أمرين : تحقيقٍ وحفظٍ ، كثيرَ المطالعات ، طويلَ المراجعاتِ ، قَدْ رجعَ زمانًا ورجعَ إليه ، وَرَدَّ ورُدَّ عليه ، فارسًا في علم الإعراب ، مقدَّمًا في حَمَلَةِ الكتاب ، وكان مع ذلك مسترسلَ الطبيعة منقادَها ، مشتعِلِ القريحةِ وقّادَها ، يَقْظانَ النفسِ درَّاكًا للَّمحةِ وإن لَطُفَ شأنُها ، متنبهًا على الرَّمزةِ وإن خَفِيَ مكانها ، لا كَزًّا جاسيًا ، ولا غليظًا جافيًا ، متصرّفًا ذا دُرْبةٍ بأساليب النظم والنثر ، مرتاضًا غيرَ ريِّضٍ بتلقيح

(١) د. إميل بديع يعقوب : المعجم المفصل في اللغَة والأدب ، ١/ ٦٤٩

(٢) د. مُحَمَّد التونجي : المعجم المفصل في الأدب ، ١/ ٤٦٦

(٣) A. F. Scott, Current Literary Terms, A Concise Dictionary of their Origin and Use, p.288

(٤) المقدمة ، ٣/ ١١٤٩



بنات الفِكْر ، قَدْ عَلِمَ كيف يرتِّبُ الكلامَ ويؤلِّف ، وكيف ينظِّم ويرصفُ ، طالما دُفِعَ إلى مضايقه ، ووقع في مداحضِه ومزالقه »[1] .

ونذكر مقولة الشاعر والناقد الإنجليزي كوليردج **Coleridge** (ت : ١٨٣٤م) إذ يقول :

« **الذَّوْقُ الجيدُ مثله مثل كثير من الأشياء الجيدة ، هو نتاج الفكر والدراسة المخلصة لأفضل النماذج** »[2] .

إن مُطالعة روائع الآثار ومدارستها ومعايشتها كفيلة إلى حد بعيد بتنمية الذَّوْق الأَدَبِيّ ومَلَكَة الإحساس بالجمال الأَدَبِيّ ، فأَيُّ ذوق مهما كان ـ سواءً أكان أدبيًّا أم غير أَدَبِيّ[3] ـ يحتاج إلى إدراكات الحواس والدراسة ، وقراءة الكتب والتفكير العقليّ فمن أراد أن يتذَوَّق بلاغة القُرْآن يجب أن يُعايِشَ ويُطالِعَ ويدرُس روائع الشعر والنثر ، خاصة الشعر والنثر الجاهليين ؛ فكلما كثرت المعايشة والمطالعة والدراسة نمت الذائقة الأدبية . وإذا كان علماؤنا ومثقَّفونا يَنْصحوننا عند دراسة شاعر مثل أبي العلاء لنتذوق شعره أنْ الدَّارِس له يجب أن يكون « **قَدْ رحل رحلةً طويلةً في آدابِ اللغَة السابقة لعهد شيخ المعرَّة ، فدَارَسَ فيها الماضين من شعراء هذه اللغَة وكُتَّابها مُدارسةً متقنة جادَّةً غير هازلة ، مشحوذةً بالذكاء والتنبُّه ، مصقولةً بحسنِ التمييز**

---

(١) الكَشَّاف ، ١/ ٩

(٢) **A. F. Scott, Current Literary Terms, p.288** ، ونَصُّ كوليردج في هذا الموضع هو : « **Good taste must be acquired, and like all other good things is the result of thought and the submissive study of the best models.** »

(٣) أقصد بالذوق غير الأدبي هنا الذوق الذي يُعانيه الصُّوفيُّ ، فالقول الذي يقول إنَّ هذا الذوق يتكَوَّنُ لديهم بعيدًا عن إدراكات الحواس هي دَعوى لا تُسَلَّمُ لهم ؛ لأنَّ هذه الحال لا تتحقَّقُ لغير الأنبياء ؛ إذ يُنَزِّلُ الله سبحانه عليهم وحيه ؛ فيقوم مقام الكتب والدراسة بالنسبة لنا نحنُ البشر العاديين ، وما يَحُسُّه المتصوِّف مما يزعمونه تَجَلِّيًا لله سبحانه على قلبه ليس إلا محصلة لما اكتسبه من معارف تعلمها من الكتب ، أو أخذها عن المشايخ ، أو استقاها من تجارب الحياة اليومية ، ولما أَدَّاه إليه عقله من أفكارٍ ووجدانات ، فهذا حقيقة الأمر ولا شيء غير ذلك . يُنظَرُ هذا الرأي د. إبراهيم عوض : التذوق الأدبي ، ص ١٦ ، ١٧

والتدبُّر »[1] كما يقول الشيخ شاكر فمن باب أولى أن يكونَ هذا في جنب القُرْآن الكريم الذي يفوق أي شعر أو أي نثر بل أي كلام بلاغةً .

ومن الملاحظ أنَّ إهمال تكوين هذه الذائقة الإحساسية الأدبية يؤدِّي بنا إلى ضعف التفاعل الوجداني مع النص القُرْآنِيّ وغيره ؛ لذلك فمن الأهمية بمكان التَّجرُّد والتَّدَرُّب والصبر والمثابرة ، وطول الكد والتنقير والبحث لاكتساب هذه الملكة ، وتكوين هذه الذائقة .

ونشير هنا إلى أنَّ مطالعة النصوص الأدبية و مداومة مدارستها سيولد لدى الدارس « الحس اللغوي » الذي يتمثل في معرفة وجوه الأساليب وخصائصها المعنوية ، وحِذْق الأسباب المُعِينة على تمييز صور الكلام البيانية ، والتفرقة بين المتنافر منه والمنسجم . هذا الحس الذي يُمَكِّنُهُ عند سماع تركيب غير جارٍ على منحى البَلاغَة التي للعرب أن « يَمُجَّه » و « ينبو » عنه سمعه بأدنى فكر ، بل بغير فكر كما يقول ابن خلدون . يقول الإمام البَاقِلَّانِيّ (ت:٤٠٣هـ) : « فأَمَّا مَن كان قَدْ تناهى في معرفة اللسان العربي ، ووقف على طرقها ومذاهبها ـ فهو يعرف القدر الذي يَنتَهِي إليه وُسْعُ المتكلم من الفصاحة ، ويعرف ما يخرجُ عن هذا الوُسع ، ويتجاوز حدود القدرة ـ فليس يخفى عليه إعجاز القُرْآن ، كما يميز بين جنس الخطب والرسائل والشعر ، وكما يميزُ بين الشعر الجيد والرديء والفصيح والبديع ، والنادر والبارع والغريب »[2] .

*****

ـ ثانيًا أدوات الباحث في البَلاغَة القُرْآنيَة :

كنا قَدْ ذكرنا في بداية هذا الفصل أننا قَدْ خَصَّصْناه للحديث عن مُؤَهِّلات من يريد الوقوف على بلاغة القُرْآن وأدواته . وانتهينا في الأسطر السابقة من الإبانة عن الشطر الأول من عنوان هذا الفصل ، وهو مؤهلات من يريد أن يقف على بلاغة القُرْآن ، ونحاولُ هنا خلال الأسطر الآتية الحديث عن الشق الثاني من عنوان هذا الفصل : أدوات الباحث البَلاغِيّ القُرْآنِيّ . وسنحاول هنا الحديث عن أهم الأدوات

(١) أباطيل وأسمار ، ص ٢٠

(٢) إعجاز القُرْآن ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ص١٧١



التي يجب أن يحتازها ويتسلح بها في رحلة بحثه في البَلاغَة القُرْآنِيَّة .

نقول : إن من أهم أدوات الباحث البَلاغِيّ :

أـ الاستعانة بالعلوم الآتية :

١ـ علم النَّحْو :

يُعَدُّ علم النَّحْو من أهم العلوم اللُّغَوِيَّة في العَرَبِيَّة ، فهو عَصَبُها ، وركنها الرَّكين ، وله في خدمة العَرَبِيَّة القِدْحُ المُعَلَّى ، والقدمُ الأولى ، وهو من الفضل عليها بأعلى مناط العِقدِ . وهو من بين العلوم التي تخدم العَرَبِيَّة مناطَ الثريّا . وَقَدْ ظل علم النَّحْو « منذ ما يقرب من أربعة عشر قرنًا من الزمان سبيلا نهجة إلى تفسير تراكيبها وتحليلها ، ووسيلة طيعة لغير المجيدين لها أن يتقنوها ويبرعوا فيها ، ولم نعرف أنه قصر في تحقيق الغاية التي من أجلها وجد ، ولنيلها طلب »[(١)] .

وقد عَبَّرَ أسلافُ أُمَّتِنا عن فضله ، فقالوا :

- قال الخليل : «النَّحْو للسان بمنزلة الطعام للأبدان»[(٢)] .
- وقال الزُّهْرِيُّ : «ما أحدث الناسُ مروءةً أحبَّ إليَّ من طلب النَّحْو»[(٣)] .
- وقال حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ : «من يطلب الحديث ولا يعرف النَّحْو ، مثل الحمار عليه مخلاة ليس فيها شعير»[(٤)] .
- وروي عن الأصمعيِّ أَنَّه قال : «أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النَّحْو أَنْ يَدخُلَ في جُمْلَة قولِ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « منْ كذب عليّ متعمِّدًا فليتبوأ مقعده من النار »[(٥)] ؛ لأَنَّه [صلى الله عليه وسلم] لم يكن يلحن ،

---

(١) د. مُحَمَّد حماسة : بناء الجُمْلَة العربية ، ص ٧

(٢) أبو حيان التوحيدي :البصائر والذخائر ، ت : وداد القاضي ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، (١٩٨٨م)، ٣/ ١٢٥

(٣) أبو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر ، ٦/ ١٨٩

(٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ، ت : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ (١٩٩٣م)، ٣/ ١١٩٩

(٥) حديث صحيح ، خرجه الإمام الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، برقم : «١٣٨٣». ينظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، مكتبة المعارف للنشر ، الرياض

فمهما رَوَيْتَ عنه ولحنت فقد كذبت عليه »[(١)] .

• ومن نفائس أقوال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ عن هذا العلم الجليل قوله : « من تبحّر في النَّحْو اهتدى إلى جميع العلوم »، وقوله : « لا أُسْأَلُ عن مسألة في الفقه إلّا أجبت عنها من قواعد النَّحْو »[(٢)] .

• ومَنْ يُطالِع ويدرس تفسير الإمام الطبري ـ طَيَّبَ الله ثراه ـ (ت : ٣١٠هـ) يجد أن هذا الإمام الجليل يعتمد على هذا العلم اعتمادًا أساسيًّا ، فهو يستعين به في كل شيء ، « في استخلاص الحكم الفقهي من الآية ، وفي مناقشة القضايا العَقَدية التي تتضمنها الآية أو المسائل التاريخية المتعلقة بها ... بل إنه أحيانًا ما يكتفي في تفسير بعض الآيات بما قاله النُّحَاة »[(٣)] .

ويضيق المقام بتتَبُّع هذه الأقوال أو الاقتباسات التي توضح مكانة هذا العلم ومنزلته ، فهي أكثر من تحصى ، أو يأتي عليها العد .

وتكمنُ أَهَمِّيَّة علم النَّحْو في أَنَّهُ يساعدنا على « فهم تحليل بناء الجُمْلَة تحليلا لُغويًّا يكشف عن أجزائها ، ويوضح عناصر تركيبها ، وترابط هذه العناصر بعضها مع البعض الآخر ، بحيث تؤدي معنى مفيدًا ، ويُبَيِّن علائق هذا البناء ، ووسائل الربط بينها ، والعلاقات اللغوية الخاصة بكلٍ وسيلة من هذه الوسائل »[(٤)] . وبعبارة أخرى فإن علم النَّحْو هو : « علمٌ بأصولٍ يُعرَف بها صحة الكلام وفساده »[(٥)] . فبهذا العلم نفهم بناء الجُمْلَة وتتضح عناصر تركيبها ، وكيف تترابط هذه العناصر ،

ط١ ، ١٩٩٥م ، ٣/ ٣٧١ ، وفي كتابه «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان » قال الألباني عن هذا الحديث إِنَّهُ : «صحيح متواتر ». ١/ ١٦١

(١) ياقوت الحموي : معجم الأدباء، ١/ ٢٩

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ت : محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت ط١، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) ، ٢/ ٤٠٧

(٣) د. إبراهيم عوض : دراسات في مناهج التفسير ومذاهبه ، دار النهضة العَرَبِيَّة ، القاهرة ، ط١ (٢٠١٠م) ، ص ٥٨

(٤) د. مُحَمَّد حماسة : بناء الجُمْلَة العربية ، ص ١٩

(٥) الجرجاني : التعريفات ، ص ٣٠٨

ووسائل هذا الترابط ، كما أننا نعرف الكلام الصحيح من الفاسد ، فمما هو معلوم أن فساد الكلام واختلاله ينجمان عن مخالفة قواعد النَّحْو وأحكامه ، و« **أَنَّ الالتزام بتلك القواعد في الكلام ، وترتيب الألفاظ وفقًا لها هو مناط المزية والفضل** »[(١)] .

ومما تجدر الإشارة إليه ـ وهي إشارة واجبة ـ أن نعلم أنَّ علم النَّحْو يرتبط بمصطلح آخر يتردد معه ، وَقَدْ يقع في نفس الدارس أنهما بمعنى واحد ، ألا وهو مصطلح « الإعراب » ، وأَوَدُّ أن أوضح العلاقة بينهما ، فمعرفة هذه العلاقة أمر مطلوب .

يمكن أن نقول إن العلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص ، فالإعراب أعمُّ من النَّحْو ، فمصطلح الإعراب يراد به أمران في نصوص تراثنا النَّحْوِيّ : « **أولهما : ما يرادف علم النَّحْو Syntax** ... **ثانيهما : العلامات الإِعْرابِيَّة** »[(٢)] .

والإعراب ـ بمعنى العلامة الإِعْرابِيَّة ـ يساهم في « الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم ، لتعاقب العوامل في أولها »[(٣)] ، ويتفق النُّحَاة على أَنَّ « الإعراب يُبِينُ عن المعاني ويكشف عنها ، ولولاه لكان الكلام مبهما غير مفهوم ولا معلوم »[(٤)] ، وأنَّ « القول بأن الإعراب إِنَّما هو للدلالة على المعاني المختلفة حقيقة لغوية ليس فيها شك »[(٥)] .

والإلمام بهذا العلم علم النَّحْو (أو علم الإعراب) غايةٌ في الأهمية للوقوف على البَلاغَة القُرْآنِيَّة ، فقد اعتمد عليه إمام البَلاغَة وشيخها الأكبر عبد القاهر الجرجاني (ت : ٤٧١ هـ) في تفسير إعجاز القُرْآن وبلاغته ، وفي تكوين نظرية « النظم » التي

(١) د. شفيع السيد : البحث البَلاغِيّ عند العرب تأصيل وتقييم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (بدون تاريخ للطبعة) ، ص٥٥

(٢) د. مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف : العلامة الإِعْرَابِيَّة في الجُمْلَة بين القديم والحديث ، دار غريب ، القاهرة ، ط ١ ، (٢٠٠١م)، ص ٢١٤، ٢١٥

(٣) ابن يعيش : شرح المُفَصَّل ، ١/ ١٩٦

(٤) د. فاضل السامرائي : الجُمْلَة العَرَبِيَّة والمعنى ، ص ٣٠

(٥) السابق : ص ٤٠



فسر بها بلاغة القُرْآن ، فالنظم البَلاغِيّ للقرآن يرتبط عنده بالدور الحيوي « الذي يقوم به الإعراب في الكلام ، فالألفاظ ـ كما يقول ـ مغلقة على معانيها ، والإعراب هو الذي يفتحها ، والأغراض كامنة فيها ، والإعراب هو الذي يتولى استخراجها ، فهو المعيار الذي لا يَتَبَيَّنُ نقصان كلام ورجحانه حتى يُعرَضَ عليه ، والمقياس الذي لا يُعرَف صحيحٌ من سقيمٍ حتى يُرجَع إليه »(١) . والذي يُطالعُ مبحث التقديم والتأخير في كتاب « دلائل الإعجاز » لعبد القاهر الجرجاني يجد أن الشيخَ ينطلق في كثير من آرائه معتمدًا على ما ذكره سيبويه في كتابه(٢) .

ولأهمية علم النَّحْو والإعراب في الناحية البَلاغِيَّة بدأ به الإمام ابنُ الأثير الجزري (ت: ٦٣٧هـ) ضمن مجموعة العلوم التي ينبغي لغير العربي (المولد) أن يتعلمها إذا أراد الوقوف على البَلاغَة ، يقول : « وأصلها (؛ أي : البَلاغَة) في العرب الطبع ، وتَتَرَكب من بسائط يفتقر المولَّدُ إلى اكتسابها ؛ لتعينه عليها ، وتوصله إليها ، وتكونُ ميزانًا لها ، فمنها ما تجب معرفته ، ومنها ما تستحب :

- فالأول : **إتقان الإعراب** والتصريف والعروض والقوافي والتوسع في اللفظ بحفظ اللغَة ، وتخصيص ما اتفقت حروفه لفظًا ووزنًا ، أو لفظًا دون وزنٍ ، واختلفت معانيه ، ومعرفة المقصور والممدود والسماعي ، وفعلت وأفعلت مختلفي المعنى ونحو ذلك .
- والثاني : معرفة أسماء البديع على سبيل الإجمال والتفصيل ، وساعات القول ونحو ذلك مما يحتاج إليه »(٣) .

ومن الطرق التي يَفُضُّ بها علم النحو مغاليق المعاني تقديم التوجيهات النحوية الممكنة للفظ أو الجملة ، ومع كل توجيه مختلف يكون هناك معنى مختلف ، وتعدد المعاني وتنوعها دليل على بلاغة هذا اللفظ ، ونأخذ على سبيل المثال التوجيهات النحوية الممكنة لكلمة « ذكرى » في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾

(١) د. شفيع السيد : البحث البَلاغِيّ عند العرب ، ص٥٤

(٢) د. مُحَمَّد جلال الشيخ : أضواء على البحث البَلاغِيّ ، دار الاتحاد للطباعة ، القاهرة ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، ص٣٩

(٣) كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب ، ص٣٣



ﮋﺫِﻛۡﺮَﻯٰ ﻭَﻣَﺎ ﻛُﻨَّﺎ ﻇَٰﻠِﻤِﻴﻦَﮊ الشعراء: ٢٠٨ – ٢٠٩ ، فقد ذُكر لها الإعرابات الآتية[1] :

⇦ حال من الضَّمِير في منذرون .
⇦ مفعول لأجله لينذرون أو أهلكنا .
⇦ خبر مبتدأ محذوف .
⇦ صفة ؛ بمعنى منذرون ذوو صفة .
⇦ مفعول به لفعل محذوف (جعل) .
⇦ منصوبة بمعنى تذكرة.

والمؤلفات العلمية التي تتناول هذا العلم كثيرة ومتنوعة ، وننصح للباحث أن يقتني منها ما يقف بها عليه ، وننصح أن يكون من ضمن هذه المؤلفات :

- « النَّحْو الوافي » ، للأستاذ : عَبَّاس حسن .
- « بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة » ، د. مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف .
- « الجُمْلَة العَرَبِيَّة ، تأليفها وأقسامها » ، « الجُمْلَة العَرَبِيَّة والمعنى » ، « معاني النَّحْو » ، د.فاضل السامرائي .

ولا ننسى ـ ونحن في معرض الحديث عن علم النَّحْو وأهميته في الوقوف على البَلاغَة القُرْآنِيَّة ـ أن نشير إلى أَهَمِّيَّة المُؤَلَّفات العلمية التي أُلِّفَت خاصة في « إعراب القُرْآن » ، فالباحث البَلاغِيّ قَدْ يحتاج إليها عند تحليله النحوي للآية التي يدرسها بَلاغِيًّا ، باعتبار أن تحليل الآية وجملها نَحْوِيًّا إحدى خُطُوَات المَنْهَج المنشود للتحليل البَلاغِيّ القُرْآنِيّ ، يقول الإمام أبو البَقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَرِيّ (ت: ٦١٦هـ) في مقدمة كتابه « التبيان في إعراب القُرْآن » : « فإنَّ أولى ما عُنِي باغِي العلم بمراعاته وأحقَّ ما صرف العناية إلى مُعاناته ، ما كان من العلوم أصلا لغيره منها ، وحاكمًا عليها ولها فيما يَنْشأ من الاختلاف عنها ، وذلك هو القُرْآن المَجِيد ، الذي لا يَأتيهِ الباطل من بين يَدَيْه ولا مِن خَلْفه ، تنزيلٌ من حكيم حميد ... وأقوم طريقٍ يُسلَك في الوقوف على معناه ، ويُتَوصَّل به إلى تبين أغراضه ومَغْزاه ، معرفةُ إعرابه واشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه ، والنظر في وجوه القِراءَات المنقولة عن الأئمة الأثبات »[2] .

(١) ينظر تفسير الإمام الزَّمَخْشَرِيّ لهذه الآية ، الشعراء ٢٠٩

(٢) التِّبيان في إعراب القُرْآن ، ت : على مُحَمَّد البجاوي ، (بدون بيانات أخرى) ، ص١



والمؤلفات التي نرشحها للقارئ في هذا الفن :

- التِّبيان في إعراب القُرْآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَرِيّ .
- البيان في غريب إعراب القُرْآن ، أبو بركات الأنباري .
- إعراب القُرْآن ، لأبي جعفر النحاس .
- إعراب القُرْآن الكريم وبيانه ، محيي الدين الدرويش .
- إعراب القُرْآن ، الأصبهاني .

وإذا كان الشيء بالشيء يُذكَر ؛ فإنه مما يرتبط بعلم النَّحْو ويتصل ببلاغة القُرْآن الحديث عن المؤلفات العلمية التي تتكلم عن « الأدوات النحوية » ، أو ما يُسَمَّى بـ « حروف المعاني » .

والاهتمام بهذه الحروف والوقوف على معانيها أمر له خطره في البحث البَلاغِيّ القُرْآنِيّ ، إذ كانت « مقاصد كلام العرب على اختلاف صنوفه ، مبنيًّا أكثرها على معاني حروفه »[(١)] ، وكانت ـ من بين أقسام الكلام ـ « أكثرَ دورًا ، ومعاني معظمها أشد غورًا ، وتركيب أكثر الكلام عليها ، ورجوعه في فوائده عليها »[(٢)] .

والمؤلفات التي نرشحها في هذا الباب :

- الجنى الداني في حروف المعاني ، للحسن بن قاسم المرادي .
- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، أحمد بن عبد النور المالقي .
- المعجم الوافي في أدوات النَّحْو العربي ، د. علي توفيق الحمد ، يوسف جميل الزغبي[(٣)] .

٢ـ **علم الصَّرْف** :

علم الصَّرْف هو العلم الذي يتناول دراسة أحوال أبنية الكَلِمَة التي ليست بإعراب ولا بناء ، كتحويل الكَلِمَة إلى أبنية مختلفة لأداء ضروب من المعاني :

---

(١) الحسن بن قاسم المُرادِيّ : الجَنَى الدَّاني في حروف المعاني ، ت : فخر الدين قباوة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط١ ، (١٩٩٢م) ، ص١٩

(٢) أحمد بن عبد النور المالقي : رصف المباني في شرح حروف المعاني ، ت: أحمد مُحَمَّد الخراط ، القاهرة ، ط٣ ، (٢٠٠٢م) ، ص ٩٧

(٣) ونذكر أَيْضًا أن ابن قتيبة (ت : ٢٧٦هـ) في كتابه : تأويل مشكل القُرْآن ساهم في الإبانة عن معاني هذه الحروف والأدوات من خلال ورودها في كتاب الله ، وقد نفذ إلى دقائق ملاحظات تدل على رسوخ قدمه وسعة أفقه .

كالتصغير والتكسير والتثنية والجمع ، وأخذ المشتقات من المصدر ، وبناء الفعل المجهول ، أو تغيير الكَلِمَة عن أصل وضعها لغرض آخر غير اختلاف المعاني ، كالحذف ، والزيادة ، والإبدال والقلب ، والنقل والإدغام [(١)] .

والجانب الذي يمكن أن يخدم به علم الصَّرْف البلاغةَ القُرْآنِيَّة يتمثل في الدلالات الصَّرْفِيَّة التي يقدمها علماء هذا العلم للأوزان والبنى الصَّرْفِيَّة ، حيث يتضافر المعنى الصَّرْفِيّ للبنية الصَّرْفِيَّة مع بقية الدلالات (المعجمي ، السياقي ، النحوي) لإبراز المعنى البَلاغِيّ في القُرْآن .

ومن قديم فرَّق العلماء بين الصيغ الصَّرْفِيَّة المختلفة ، ونبَّهوا على ما يمكن أن تُحدِثه الأبنية الصَّرْفِيَّة المختلفة من آثار في المعنى . يقول أبو هلال العسكري (ت : ٣٩٥هـ) : « وَلَا يجوز أَن يكون فَعَلَ وأَفْعَلَ بِمَعْنًى وَاحِد ،كَمَا لَا يكونَانِ على بناء واحد إلا أن يجيء ذلك في لغتين ؛ فأمَّا في لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد ، كما ظن كثير من النحويين واللغويين . وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة ، وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها ، ولم يعرف السامعون تلك العلل والفروق ؛ فظنوا ما ظنوه من ذلك ، وتأولوا على العرب ما لا يجوز في الحكم . وقال المحققون من أهل العربية : لا يجوز أن تختلف الحركتان في الكلمتين ومعناهما واحد ، قالوا : فإذا كان الرجل عدة للشيء قيل فيه : مِفْعَل ، مثل : مِرْحَم ومِحْرَب ، وإذا كان قويًّا على الفعل قيل : فَعولٌ ، مثل: صبور وشكور ، وإذا فعل الفعل وقتًا بعد وقتٍ قيل : فَعَّال ، مثل : عَلّام وصَبَّار. وإذا كان ذلك عادة له قيل : مِفْعَال ، مثل : مِعْوان ومِعْطاء ومِهداء . ومن لا يتحقق المعاني يظن أن ذلك كله يفيد المُبَالَغَة فقط ، وليس الأمر كذلك ، بل هي مع إفادتها المُبَالَغَة تفيد المعاني التي ذكرناها .

وكذلك قولنا : فعلت يفيد خلاف ما يفيد أفعلت في جميع الكلام ، إلا ما كان من ذلك لغتين ؛ فقولك : « سقيت الرجل » يفيد أنك أعطيته ما يشربه ، أو صببت ذلك في حلقه ، و « أسقيته » يفيد أنك جعلت له سقيًا أو حظا من الماء . وقولك : « شرقت الشمس » يفيد خلاف غربت و « أشرقت » يفيد أنها صارت ذات إشراق ،

---

(١) د. مُحَمَّد عبادة : معجم مصطلحات النَّحْو والصرف ، ص ١٨٣



« ورعدت السماء » ؛ أتت برعد ، و « أرعَدَت » ؛ صارت ذات رعد . فأما قول بعض أهل اللغَة إن الشعر والشعر والنهر والنهر بمعنى واحد فإن ذلك لغتان »[1] .

إذن بناء على ما قاله أبو هلال العسكري فإنَّ اختلاف الوزن الصرفي لا بد أن يستتبعه اختلاف في الدلالة الصَّرْفِيَّة ، حتى وإن اشترك هذا الوزن مع غيره في عنوان عام يشملها ، فالأوزان « فَعُول ، فَعَّال ، ومِفْعال » هي أوزان للمبالغة ، لكن لكل وزن معنى أخر يخصه بجوار معنى المُبَالَغَة كما أشار أبو هلال .

من هنا فإنَّ استخدام القُرْآن لبنية صَرْفِيَّة معينة وترك أخرى يمكن أن تحل محلها أمر يجب أن يكون له دلالته الخاصة ، لأن هناك فروقًا لغوية بين تلك الأبنية ، فهناك فروقٌ بين أوزان الصِّفَة المُشَبَّهَة ، وبين أوزان صيغ المُبَالَغَة ، وبين أوزان الصفة المشبهة وصيغ المبالغة واسم الفاعل وبين أوزان جموع القلةوأوزان جموع الكثرة[2] .

فعلى سبيل المثال ، الوزن « فَعِيل » والوزن « فَعِل » من أوزان الصِّفَة المُشَبَّهَة ، يمكن أن يأتي فيها الفعل « عسر » ؛ فنقول : عَسِير ، وعَسِر ، ونجد أن القُرْآن استخدم اللفظ الأول في موقف واللفظ الثاني في موقف آخر :

- ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾ المدثر : ٧ – ٩
- ﴿مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ﴾ القمر : ٨

ولا بد أن وراء هذا الاستخدام أسرارًا بَلاغِيَّة .

ومن أهم المؤلفات العلمية التي ننصح بها في هذا الباب :

- « معاني الأبنية في العربية » ، د. فاضل صالح السامرائي .
- « معجم الأوزان الصَّرْفِيَّة » ، د.إميل بديع يعقوب .
- « معجم الأوزان الصَّرْفِيَّة لكلمات القُرْآن الكريم » د. حمدي بدر الدين إبراهيم .
- « أسماء الله الحُسنى دراسة في البنية والدلالة » ، د. أحمد مختار عمر .

٣ـ البلاغة وعلومها :

من نافلة القول أن نُنَبِّهَ على أَهَمِّيَّة دراسة البَلاغَة وعلومها : علم البيان ، وعلم

(١) الفروق اللغوية ، ص ٢٣ ، ٢٤

(٢) د. فاضل صالح السامرائي : معاني الأبنية في العربية ، دار عمار، ط٢ ، (٢٠٠٧م) ، ص٥، ٦



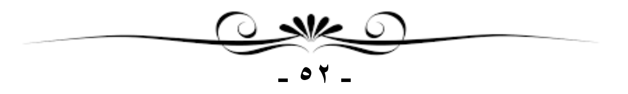
المعاني ، وعلم البديع ، للوقوف على بلاغة القُرْآن وغيره من النصوص الأدبية ، فلسنا في حاجة إلى مزيد كلام لبيان هذا الأمر ، لكن لا يمنعنا هذا من نقل بعض أقوال العلماء التي تؤكِّدُه وتنوِّهُ به ، ومنهم :

» أبو هلال العسكري (ت : ٣٩٥هـ) إذ يقول : « إنّ أحقَّ العلوم بالتعلُّمِ ، وأَوْلَاهَا بالتحفُّظِ ـ بعد المعرفة بالله جلَّ ثناؤه ـ علمُ البلاغة، ومعرفةُ الفصاحة ، الذى به يُعرَفُ إعجازُ كتابِ الله تَعَالَى ، الناطقِ بالحقّ ، الهادى إلى سبيل الرُّشد ... وَقَدْ علمنا أنَّ الإنسانَ إذا أَغْفَلَ علمَ البَلاغَة ، وأَخَلَّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمُه بإعجاز القُرْآن من جِهَةِ ما خصَّهُ اللهُ به من حُسْنِ التأليف ، وبَراعَةِ التركيب ، وما شَحَنَه به من الإيجازِ البديع ، والاختصار اللطيف ؛ وضمَّنَهُ منَ الحَلاوة ، وجلَّلَه من رَوْنَقِ الطَّلاوَة ، مع سهولة كَلِمِهِ وجَزَالَتِها ، وعذوبَتِها وسلاسَتِها ، إلى غير ذلك من محاسنه التى عجز الخلقُ عنها ، وتحيَّرت عقولُهم فيها »[1] .

» والإمام الزَّمَخْشَرِيّ (ت: ٥٣٨هـ) يجعل علمي المعاني والبيان أهم عُدَّة لمن يريد أن يُفَسِّرَ التنزيل ؛ إذ بدونهما لا تستقيم له الدلالات ولا تتضح له الإشارات ، ولا لطائف ما في الذِّكر الحكيم من الجمال البَلاغِيّ المعجز الذي عنت له وجوه العرب ، وخروا له ساجدين . يقول في مقدمة تفسير الكَشَّاف عن علم « التفسير » أنه « لا يتمُّ لتعاطيه وإجالة النظر فيه كلُّ ذى عِلْمٍ، كما ذكر الجاحظ في كتاب « نظم القُرْآن » ؛ فالفقيهُ وإن برَّز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام ، والمتكلِّم وإن بَزَّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافِظُ القصصِ والأخبار وإن كان من ابن القِرِّيَّة أحفظ، والواعظُ وإن كان من الحسن البصري أوعظ ، والنحويُّ وإن كان أَنْحَى من سيبويه، واللغويُّ وإن علكَ اللغاتِ بقوّة لحييه ـ لا يتصدّى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من

---

(١) الصناعتين الكتابة والشعر ، ت: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العَرَبِيَّة ، القاهرة ، ط١ ، (١٩٥٢م) ، ص١



تلك الحقائق إلا رجلٌ قَدْ برع في علمين مختصَّينِ بالقرآن: وهما علمُ المعاني وعلم البيانُ ، وتمهَّل في ارتيادِهما آونةً ، وتَعِبَ في التنقير عنهما أزمنة ، وبعثته على تتبُّعِ مظانِّهما هِمَّةٌ في معرفة لطائف حجَّة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله »[(١)] .

وسنفرد الفصل الآتي ـ إن شاء الله ـ لتعريف البَلاغَة وما يتعلق بها . وننصح للباحث البَلاغِيّ أن يقتني بعض المؤلفات التي توضح علم البَلاغَة وعلومها : البيان والمعاني والبديع ، ونخص بالذكر من بينها : « دلائل الإعجاز » و « أسرار البَلاغَة » ، لإمام البَلاغَة عبد القاهر الجرجاني . وننصح للباحث أَيْضًا أن يكون بين يديه معجمٌ متخصصٌ في مصطلحات البلاغة أو أكثر ، ومن هذه المعاجم المعجم القيم الذي ألفه أستاذنا الدكتور أحمد مطلوب ، وعنوانه « معجم المصطلحات البَلاغِيَّة وتطورها » ، وهو من مطبوعات المجمع العلمي العراقي .

٤ـ علم القراءات:

أشرنا من قبل إلى أنَّ الفهم طريق إلى الذوق الأدبي ، ونشير هنا أن الإلمام بالقراءات القُرْآنِيَّة يساهم في تعميق الفهم للآيات القُرْآنِيَّة ، إذ إن ـ كما يقول علماء القِراءَات وَالبَلاغَة ـ لكل قراءة دلالةٌ واعتبار ، والوقوف على هذه الدلالات والاعتبارات يساهم في إثراء معاني النص القُرْآنِيّ ، وهذا بدوره يؤدي إلى تعميق تذوقنا البَلاغِيّ للقرآن وآياته ، يقول د. سيد رزق الطويل في معرض رده على المستشرق جولدتسهير الذي حاول أن يقدح في القِراءَات القُرْآنِيَّة : « إنه لو ألقى عليها نظرة واعية لعلم حقيقة هذه الاختلافات بين القِراءَات ، وأنها اختلاف تَنَوُّع وتَغايُر ، لا اختلاف اضطراب وتناقض ، وأنَّ مُحَصَّلة هذه القِراءَات واحدة ، بل **إنَّ لها ثمارًا تشريعية وبلاغية** تُبرزُ جوانب العظمة في الآية القُرْآنِيَّة التي أفحمت أساطين

(١) الكَشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، ت : يوسف الحمادي ، مكتبة مصر ، القاهرة ، (بدون بيانات أخرى) ، ١/ ٩



الفصاحة والبيان »[1] .

وإذا كان الإيجاز من حلية القُرْآن فإن علم القِراءَات يساهم في إبراز هذه الحلية حيث تساهم هذه القِراءَات في الإيجاز القُرْآنِيّ بطريق غير الطرق المعهودة ، وذلك من خلال اعتبار كل قراءة من القِراءَات المتواترة للفظة القُرْآنِيَّة « دلالة على حِدة ، لا بقدر اللفظة ، بل بمقدار آية كاملة ، ومن ثَمَّ يكون تعاقب الأوجه القِرائِيَّة على كلمة واحدة قائمًا مقام آيات متعددة يتحملها النسق ويتغياها السياق في مواضعه »[2] .

وقد أشار الإمام السيوطي (٩١١هـ) إلى الجانب البَلاغِيّ للقراءات فيما ينقله عمن سبقه من العلماء فذكر « لاختلاف القِرَاءَة وتنوعها فوائد :

- منها التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة ....
- ومنها إظهار سر الله في كتابه وصيانته له عن التبديل والاختلاف، مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة .
- ومنها المُبَالَغَة في إعجازه بإيجازه ، إذ تنوع القِراءَات بمنزلة الآيات، ولو جعلت دلالة كل لفظة آيةً على حدة لم يخْفَ ما كان من التطويل »[3] .

ومن المؤلفات المهمة التي نرشحها في هذا العلم :

- « معجم القِراءَات القُرْآنِيَّة » ، د. أحمد مختار عمر .
- « التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة » ، د. أحمد سعد مُحَمَّد[4] .

---

(١) في علوم القِراءَات مدخل ودراسة وتحقيق ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ط١ ، (١٩٨٥م) ، ص٢٦٣

(٢) د. أحمد سعد مُحَمَّد : التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة ، ص ٣٠٥

(٣) معترك الأقران في إعجاز القُرْآن ، ت : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ (١٩٨٨م) ، ١/ ١٢٧

(٤) ومن يُطالع هذا الكتاب الماتع للدكتور أحمد سعد يجد أن سيادته أثبت كثيرًا من المؤلفات العلمية التي تهتم بالقراءات بوجه عام تفسيرًا وإعرابًا وبلاغةً ، ومنها ـ كما في ثبت مراجعه :

- الإبانة عن معاني القِراءَات ، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ) .
- إبراز المعاني من حرز الأماني في القِراءَات السبع ، لأبي شامة الدمشقي (ت ٦٦٥ هـ) .
- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، للبنا الدمياطي (ت ١١١٧هـ) .

* **تنويعات الرسم العثماني للفظ القُرآنِيّ :**

ومما يرتبط باللفظ القُرْآنِيّ ويساهم في إثرائه الدلالي ومن ثَمَّ ثراء الجانب البَلاغِيّ ما تنبه إليه بعض علماء القِراءَات من تنوع الرسم الإملائي (الرسم العثماني) لبعض اللفظ القُرْآنِيّ وارتباط ذلك عندهم بجانب دلالي في اللفظ القُرْآنِيّ . فقد لاحظ المفسرون وعلماء القِراءَات أنَّ « خطَّ المصحف لم يراعِ في كثيرٍ منه حد المصطلح عليه في علم الخَطِّ »[1] . ولاحظوا أنَّ هناك ألفاظًا من آي الذكر الحكيم برسم إملائي معين في موضع وبرسم إملائي آخر في موضع آخر .

وكمثال لتوضيح المقصود بتنويعات الرسم الإملائي نذكر الأمثلة الآتية :

١ ـ الفعل « يدعو » فعل مضارع « مرفوع » في الآية رقم ٦ من سورة القمر ، وفي الآية رقم ٦ من سورة فاطر ، لكنه :

» في سورة القمر يكتب : ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾ القمر:٦ بدون « واو » .

» وفي سورة فاطر يكتب : ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ فاطر:٦ ، بـ« الواو »[2] .

٢ ـ والفعل « سعى » أتى مسندًا لـ « واو الجماعة » في الآية رقم ٥ في سورة سبأ ، والآية رقم ٥١ من سورة الحج ، لكنه :

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود العمادي (٩٨٢هـ) .
- إعراب القِراءَات السبع وعللها ، لابن خالويه (٣٧٠ هـ) .
- إعراب القِراءَات الشواذ ، لأبي البقاء العكبري (ت : ٦١٦ هـ) .
- البرهان في توجيه متشابه القُرْآن لما فيه من الحجة والبيان ، لمحمود بن حمزة الكرماني (ت ٥٠٥هـ) .

(١) الزَّمَخْشَرِيّ : الكشاف ، ٤/ ٥٦٠

(٢) وحاول الإمام الزَّرْكَشِيّ أن يتلمس توجيها دلاليا لهذا الأمر فقال : « حذف الواو لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة » . يُنظَر : البرهان في علوم القُرْآن ، ت: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ، ١/ ٣٩٨

* في آية سورة سبأ كتب بدون ألف ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ سبأ: ٥ [(١)] .
* وفي سورة الحج أثبتت الألف : ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ الحج: ٥١

٣ـ والفعل « أخَّر » جاء مسندًا إلى تاء الفاعل وياء المتكلم في الآية رقم ٦٢ سورة الإسراء ، والآية رقم ١١ من سورة المنافقون ، إلا إنها :

➢ في آية الإسراء تم الاكتفاء بـ« كسرة عن ياء المتكلم » : ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٦٢

➢ وفي آية المنافقون أُثبتت الياء كاملة : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ المنافقون: ١٠ [(٢)] .

ومما نحب أن ننبه عليه هنا أن اعتبار الرسم الإملائي (الموافق للمصحف العثماني) أمر له أهميته في قبول أو رفض القِرَاءَة القُرْآنِيَّة الصحيحة ، فقد اشترط علماء القِراءَات للقراءة الصحيحة شروطًا ثلاث هي : موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، صحة السند ،موافقة العربية ولو بوجه[(٣)] .

قال ابن الجَزَرِيّ (ت : ٨٣٣ هـ) :

---

(١) وقال العلماء في توجيه ذلك : « ... حذفت الألف لأنه سعي في الباطل ، لا يصح له ثبوت في الوجود » ، ينظر د. أحمد سعد مُحَمَّد : التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة ، ص ٢٧

(٢) ويعلل الإمام الزَّرْكَشِيّ لهذا الاختلاف الإملائي بقوله : « في آية الإسراء هو التأخير بالمؤاخذة لا التأخير الجسمي ؛ فهو بخلاف قوله : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ المنافقون: ١٠ ؛ لأن هذا تأخير جسمي في الدنيا الظاهرة » . . يُنظَر : البرهان في علوم القرآن، ١/ ٤٠٠

(٣) موافقة العربية شرط لقبول القِرَاءَة إذا كانت بطريقة الآحاد ، أما إذا كانت متواترة فإنها تصير حجة يستدل بها لا عليها .



فَكُـــلُّ مَا وَافَـــقَ وَجْهَ نَحْـوِ وَكَانَ للرَّسْمِ احْتِـــــــمَالًا يَحْوِي
وَصَــحَّ إسْنَـــادًا هُوَ الْقُـــرآنُ فَهَـذِهِ الثَّـــلاثَةُ الأَرْكَـــانُ[1] .

ومما يجب توضيحه هنا أيضًا أن العلماء منقسمون في كون أن اختلاف الرسم الإملائي له دلالته أم لا ، فهم ليسوا في هذا الأمر لسانًا واحدًا ، فهناك من اتجه هذا الاتجاه ، أي أن لهذه الاختلافات دلالات معينة ، وهناك من رفضه ونقده « بحجة أن المعاني التي تداركها لم تَدُر بخَلَد الصحابة وهم يكتبون الوحي ، ولم تقم على أساس من حقائق العلم والمعرفة بتاريخ الكتابة ، فضلا عن أنها تحتاج إلى لون معين من ألوان الثقافة أشبه بغنوص المتصوفة »[2] .

وإذا كان لا بد من ترجيح بين الاتجاهين فإننا نميل إلى اعتبار أن اختلاف الرسم الإملائي ذات دلالة ، والدليل :

» أن الله يهيئ من الصحابة من يكتب هذا الحرف القُرْآنِيّ بما تعلمه بطريقته هو ولا يهيئ صحابيا آخر يكتب هذا الحرف بطريقته الأخرى التي تعلمها هو، وبكيفية معينة سمعها لا تتوافر في الصحابي الأول. فقد يسمع صحابي جملة « تسألني » ، فيكتبها أحدهما بالياء ، فتأتي في الآية هكذا ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴾ الكهف: ٧٠ ، ويسمعها آخر فيكتبها بدون الياء ، فتأتي الآية هكذا ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ ﴾ هود: ٤٦

» إذا كان الأمر لا قيمة له ، فلماذا تُرِكَ في كتاب الله ولم يُصَوَّب ويُضبَط ؟ وإذا كان الله يقول في كتابه عن مخلوقاته المادية الأقل قيمة من كتابه :﴿ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴾ النمل: ٨٨ ، أليس من الإتقان أن يضبط هذا الأمر ويصوب بدلا أن يترك هكذا ؟ وألا يدخل كتاب الله في عموم هذه الآية ؟

» إذا قلنا إن هذا الأمر لا قيمة له ، ألا يوحي هذا بـ « عشوائية » ، « وفوضى

(١) منظومة طيبة النشر في القِراءَات العشر ، ت : د. أيمن رشدي سويد ، مكتبة ابن الجزري ، دمشق ، ط١ ، (٢٠١٢م) ، ص ٢

(٢) د. أحمد سعد مُحَمَّد : التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة ، ص٢٧

كتابية » و« عدم اهتمام » نُجِلُّ كتاب الله المعجز عنها ؟ !

ومن العلماء المعتبرين الذين اعتبروا أنَّ الإخلال بالرسم الإملائي له دلالة بَلاغِيَّة الإمام الزَّمَخْشَرِيّ ؛ ففي قوله تعالى :﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾ الفرقان: ٧ نلاحظ قوله تعالى ﴿ مَالِ هَٰذَا ﴾ عدم اتصال حرف الجر باسم الإشارة ، بالصورة المتعارف عليها « لهذا » [(١)] ، ويعلل الإمام هذا الإخلال بالرسم الإملائي تعليلا نفيسًا بقوله : « وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا ، خارجة عن أوضاع الخط العربي ، وخطُّ المصحف سُنَّةٌ لا تُغَيَّر ، وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطَنْز ، كأنهم قالوا : ما لهذا الزاعم أنه رسول. ونحوه قول فرعون﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴾ الشعراء: ٢٧ »[(٢)] .

ففي فصل اللام عن اسم الإشارة لمحة بَلاغِيَّة ، وهي إبراز سخريتهم واستهزائهم بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ [(٣)] .

٥ـ علم الدلالة وعلم الأصوات:

من العلوم التي يمكن أن تخدم النص القُرْآنِيّ خدمة بَلاغِيَّة جليلة « علم اللغَة » وهو العلم الذي يدرس اللغَة وفقًا لمبادئ علمية .

والمادة النظرية التي تُدرَس في إطار علم اللغَة : الأصوات **Phonetics**

---

(١) ورد اتصال اسم الإشارة « هذا » بحرف الجر « اللام » في موضعين :

* ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ **الأعراف: ٤٣**
* ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ **فصلت: ٢٦**

وورد انفصاله في موضعين ، موضع في الكهف في قوله ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا ﴾ **الكهف: ٤٩** ، والفصل هنا لا شك في أنه لإبراز خطورة هذا الكتاب وجلالة شأنه . والموضع الثاني موضع الفرقان الذي معنا .

(٢) الكَشَّاف ، ٣/ ٣١٦ ، والطَّنْزُ : السُّخرية .

(٣) من المؤلفات القيمة التي أُلِّفَت في هذا الشأن ـ الدلالة البلاغِيَّة للرسم الإملائي ـ كتاب : « موسوعة الجلال والجمال في رسم الكلمة وعلاقته بالجرس والنظم في القرآن الكريم » ، د. سامح القليني ، مكتبة وهبة ، ط ٥ ، ٢٠١٥م .

Phonology ، بناء الكَلِمَة (الصَّرْف) **Morphology, Morphematics** ، بناء الجُمْلَة (النَّحْو) **Syntax** ، المفردات ودلالتها (الدلالة) **Semantics** .

ويهمنا هنا الحديث عن علمي الدلالة والأصوات ، فقد سبق الكلام عن علمي النَّحْو والصرف ، وبيان علاقتهما بالجانب البَلاغِيّ .

* **علم الدلالة** :

علم الدلالة هو : علم دراسة المعنى[1] ، والجوانب المتعلقة بهذا المعنى . ويُقصَد بالجوانب المتعلقة بالمعنى : المعنى الصوتي وما يتصل به من نبر وتنغيم ، والمعنى الصَّرْفِيّ ، والمعنى النحوي والمعنى المعجمي والمعنى السياقي ؛ وذلك لأن المعنى اللغوي هو حصيلة هذه المستويات كلها[2] .

ومع دراسة المعنى وجوانبه يهتم البحث الدلالي بالقضايا الآتية : تَغَيُّر المعنى ، وأسباب هذا التَّغَيُّر ، ومظاهره ، ودراسة العلاقات بين الألفاظ ، وصناعة المعجمات على تنوعها .

ويدرس علم الدلالة معنى الجانب الصوتي من عدة زوايا ، منها « التنغيم **Intonation** » . والتنغيم ـ كمصطلح في هذا العلم ـ يُقصدُ به « تنويعٌ في درجة النَّغم أو طبقة الصوت على امتداد الكلام الملفوظ . وَقَدْ يُصْحَبُ الشكل الخارجي للتنغيم بتنويع في ارتفاع الصوت والإيقاع ، أو بوقفات لمدد مختلفة . ويمكن استخدام التنغيم لأغراض متعددة ، مثل : الإشارة إلى حدود نحوية (عبارة ، جملة صغرى ...) ، أو إلى أنماط الجمل : خبرية ، استفهامية ... ، وإلى موقف المتكلم ، على سبيل المثال : التَّفاجُؤ ، السخرية »[3] .

وكمثال على قدرة التنغيم على التفريق بين أنماط الجمل قدرته على التفريق بين الجملة الاستفهامية والإثباتية في قول الله ـ تَعَالَى ـ في سورة يُوسُف بعد فقد صُواع

(١) **Keith Brown and Jim Miller, The Cambridge Dictionary of Linguistics, University Cambridge Press, p. 399**

(٢) د.محمد داود : العربية وعلم اللغَة الحديث ، دار غريب ، القاهرة ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، ص ١٧٧

(٣) **Keith Brown and Jim Miller, The Cambridge Dictionary of Linguistics, p. 239**

المَلِك : ﴿ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ﴾ يوسف: ٧٥ ، فلا شكَّ أنَّ تنغيمَ جملة ﴿ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ ﴾ بنغمة الاستفهام ، وجملة ﴿ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ﴾ بنغمة التقرير سيُقَرِّبُ معنى الآية إلى الأذهان ، ويكشف عن مضمونها [(١)] .

والحق أنَّ « **مراعاة طرائق الأداء النطقي للكلام بما يكسوه من موسيقى ونغمات مع أخذ المقام في الحسبان ـ من خير السبل وأنجحها في التحليل اللغوي ، وبخاصة في توجيه الإعراب عند وقوع أكثر من صورة له أو احتمال هذا الوقوع** »[(٢)] .

والدلالة الصَّرْفِيَّة التي تدخل في نطاق دراسة علم الدلالة تتمثل في أَنَّ الوحدة الصَّرْفِيَّة **Morpheme** لها تأثيرٌ مباشر على المعنى ، فمثلا تختلف دلالة اسم الفاعل عن دلالة اسم المفعول ، وكلاهما يختلف عن دلالة صيغة المُبَالَغَة : قائل ، مقول ، قَوَّال .

كذلك تؤثر الصيغ الصَّرْفِيَّة على التركيب ، مما يؤثر على المعاني النحوية ، وبالتالي على المعنى العام ؛ مثل اكتفاء الفعل اللازم بفاعله ، فإذا استخدمنا صيغة فعل متعدٍّ ، فإن الفعل يتعدَّى إلى مَفْعُوْل ولا يكتفي بفاعله ، مثال ذلك : قام مُحَمَّد ، وأقام مُحَمَّد ندوة [(٣)] .

وتتمثل الدلالة النحوية التي يدرسها علم الدلالة في أنها مرتبطة بتغيير مواقع الكلمات في الجُمْلَة ، فتغير الوظيفة النحوية يتبعه تغير في المعنى ، فجملة : « الأستاذُ يُكَرِّمُ الطالبَ » تختلف في معناها عن « الطالبُ يُكَرِّمُ الأستاذ » ، وهذا التغير في المعنى ناشئٌ عن تغير مواقع الكلمات ؛ أي : تَغَيُّر الوظيفة النحوية .

ويدخل في نطاق بحث علم الدلالة ما يُسمَّى بـ « المعنى المُعجَمِيّ » و« المعنى السياقي » ، والمعنى المعجمي هو المعنى الذي تدل عليه الكلمات حال انفرادها ، وهذا المعنى لا يخضع للضبط ولا للتقعيد ـ كما يخضع المعنى الوظيفي (الصوتي ، والصرفي ، والنحوي) ـ وإنما هو معنى يحدده العرف العام . أما المعنى السياقي فهو

---

(١) د. أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٥ ، (١٩٩٨م) ، ص ١٣

(٢) د. كمال بشر : التفكير اللغوي ، ص ٤٧٣

(٣) د.محمد داود : العربية وعلم اللغَة الحديث ، ص ١٨٣



معنى واحد محدد ، على خلاف المعنى المعجمي الاحتمالي المتعدد . ويُطْلَقُ عليه ؛ أي المعنى السياقي ـ : المعنى الاجتماعي ، أو المعنى المقامي ، وهو معنى يُستنبط من القرائن اللغوية ، مع مراعاة الظروف الخارجية والأحوال التي تتصل بها (١) .

ومن النظريات المهمة التي تُستخدَمُ في دراسة المعنى ويتناولها علم الدلالة بالبحث والدراسة نظريتان مهمتان نحب أن نسلط عليهما الضوء للفائدة التي يمكن أن تقدمها هاتان النظريتان للتحليل البَلاغِيّ القُرْآنِيّ .

✓ **النظرية الأولى** :

نظرية الحقول الدلالية **Semantic Field Theory** ، وتسمى أحيانًا الحقول المعجمية **Lexion Field** ، وأحيانًا الحقول الترابطية **Associative field** (٢) .

والنظرية الثانية نظرية التَّحْلِيْل التكويني **Componential Analysis Theory** .

والمقصود بالحقل الدلالي أو الحقل المعجمي أو الحقل الترابطي « مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها ، وتوضَعُ عادة تحت لفظ عام يجمعها »(٣) . أو هو : « طائفة من الكلمات المعجمية تشير إلى موجوداتٍ تنتمي إلى منطقة مفاهيمية معينة » (٤) .

مثال ذلك كلمات الألوان في اللغَة العربية ، فهي تقع تحت المصطلح العام « لون » ، وتضم ألفاظًا ، مثل : أحمر ، أزرق ، أصفر ، أخضر ، أبيض ...

وتقول هذه النظرية إنه لكي تُفهَمَ معنى كلمة يجب أنْ تُفهَمَ كذلكَ مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليًّا ، لذلك يُعرِّفُ بعضُ العلماء معنى الكَلِمَة بأنه محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي (٥) .

وقد وسَّعَ بعضهم مفهوم الحقل الدلالي ليشمل الأنواع الآتية :

١) الكلمات المترادفة والكلمات المتضادة .

٢) الأوزان الاشتقاقية ، وأطلق عليها اسم الحقول الدلالية الصَّرْفِيَّة

---

(١) السابق ، ص ١٨٤

(٢) **Keith Brown, The Cambridge Dictionary of Linguistics, p. 262**

(٣) د. أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، ص ٧٩

(٤) **Keith Brown, The Cambridge Dictionary of Linguistics, p. 262**

(٥) د. أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، ص ٨٠



. **Morpho-Semantic field**

٣) أجزاء الكلام وتصنيفاتها النحوية .

٤) الحقول السنتجماتية **Syntagmatic fields** ، وتشمل مجموعات الكلمات التي تترابط عن طريق الاستعمال (١).

كيف تخدمنا هذه النظرية في التَّحْلِيْل البَلاغِيّ ؟

نقول إن أحد أوجه الإعجاز البَلاغِيّ في القُرْآن دقة اختيار اللفظ ، وفي تصوري أننا لا نستطيع أن نقف على هذه الدِّقة بدون أن نقف على الفروق الدلالية التي بين هذا اللفظ والألفاظ التي تأتي معه في نفس حقله الدلالي . ومن خلال نظرية الحقول الدلالية ونظرية التَّحْلِيْل التكويني نستطيع أن نثبت عن معاينة أنَّ اللفظة القُرْآنِيَّة « تمتاز عن سائر مرادفاتها اللغوية بتطابق أَتَمّ للمعنى المراد ، ومهما استبدلت بها غيرها لم يسدَّ مسدها ، ولم يُغنِ غناءها ولم يؤدِّ الصورة التي كانت تُؤدِّيها ... [وأنَّه] يتناول من الكلمات المترادفة أدقها دلالة ، وأتمها تصويرًا بالنسبة إلى نظائرها ؛ فإذا استنفدَتِ اللغَة طاقتها ، ولا تزال بقية من المعنى أو الصورة شاردة وراء حدود اللغَة اتسعت لها الكَلِمَة القُرْآنِيَّة وشملتها عن طريق الجَرْس والوزن والإيقاع »(٢) .

فمن خلال استحضار كل كلمات المجال الدلالي الذي تنتمي إليه اللفظة القُرْآنِيَّة ، ودراسة لماذا استخدمت الآية لفظة معينة من هذا المجال وتركت أخرى يتبين لنا وجه الإعجاز في اختيار هذا اللفظ .

ونقرب الأمر بمثالين :

(١) في قَوْله تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ٢ لماذا اختار القُرْآن لفظ « ريب » من المجال الدلالي « رَيْب ، شَكٌّ ، ظَنٌّ ، مِرية » الدال على الشك ؟ ما المعنى الذي ستؤل إليه الآية لو استخدمنا كلمة « شك أو ظن » بدل « ريب » .

أعتقد إن البحث وراء سر هذا الاختيار في هذه الآية وفي غيرها جدٌّ مفيد عند التَّحْلِيْل البَلاغِيّ .

(٢) وفي قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ الحشر: ١٨

(١) السابق ، ص ٨٠

(٢) الكَلِمَة القُرْآنِيَّة وسر الإعجاز فيها ، مقال د. مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي ، مجلة العربي الكويتية ، الكويت ، ع ١٤٤ ، (١٩٧٠م) ، ص ٢١



لماذا اختارت الآية كلمة « غد » بدل « يوم القيامة » من ألفاظ المجال الدلالي الدال على المستقبل ؟ [(١)] .

وهنا قَدْ يعرض سؤال : إذا كانت الحقول الترابطية أو المعجمية يمكن أن تخدمنا في البحث البَلاغِيّ القُرْآنِيّ فهل ثَمَّة مؤلفات علمية تهتم بالحقول الدلالية في العربية ؟

الإجابة : نعم ، ومن هذه المؤلفات وأهمها « المَكنَز الكبير » لأستاذنا الدكتور أحمد مختار عمر ـ رحمه الله وطيَّبَ ثراه ـ . وأستميح القارئ عذرًا أن نلقي بعض الضوء على هذا المعجم القيم وبيان الفائدة التي يمكن أن نجنيها منه بَلاغِيًّا .

معجم « المَكْنَز الكبير » معجمٌ شامل للمجالات الدلالية والمترادفات والمتضادات . وهو معجم ضخم يجمع بين دفتيه : معجمًا للموضوعات أو المعاني أو المجالات ، وفي نفس الوقت يضم أَيْضًا معجمًا للمترادفات والمتضادات ، ومعجمًا لمعاني الكلمات ، ومعجمًا للألفاظ أو الكلمات . وما يهمنا في هذا المعجم جانب المجالات الدلالية ؛ إذ يحوي المعجم على « ١٨٥١ » مجالا دلاليًّا .

ويَتَمَزَّى هذا المعجم عن غيره من المعاجم بمنهج ينفرد به ، يتمثل في التزامه بـترتيب معين ، والتدقيق في المعاني ، وإعطاء معلومات تتعلق بدرجتها في الاستعمال.

والطريقة التي نُظِّمَ بها هذا المعجم تتمثل في مجموعة من الخطوات ، يهمنا منها الخطوات الآتية [(٢)] :

١ ـ تحديد المجال الدلالي العام الذي تنتمي إليه مجموعات الكلمات المترادفة أو المتضادة ، والاجتهاد بالنسبة لكلمات المعاني أنْ يُستَخْلَصَ لكل مجال اسم

---

(١) يجيب الزمخشري عن هذا الاختيار بتعليل بديع فيقول : « والغد : يوم القيامة، سماه باليوم الذي يلي يومك **تقريبا له** وعن الحسن : لم يزل يقربه حتى جعله كالغد. ونحوه قوله تعالى « كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ » يريد: **تقريب الزمان الماضي**. وقيل: **عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران: يوم وغد** » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٧٢] .

(٢) يُنْظَرُ : د. أحمد مختار عمر : المكنز ، شركة سطور ، الرياض ، ط١ ، (٢٠٠٠م) ، المقدمة ص ٧ وما بعدها .



المجال المضاد له ، مع وضع اسم لكل مجال دلالي واسم لكل مجال مضاد له ويأخذ كل مجال دلالي رقْمًا محددًا .

٢ ـ في حالة إذا ما أردنا الوصول إلى مجال دلالي معين نذهب إلى الفهارس الموجودة في نهاية المعجم ونختار الفهرس ذا العنوان « فهرس المجالات الدلالية » ، وهو فهرس يقوم بترتيب أسماء المجالات الدلالية ترتيبًا ألفبائيًّا[١] ونبحث في هذا الترتيب الألفبائي عن اسم المجال الدلالي الذي نريده ، وعند الوصول إلى اسم المجال نجد الرقم التسلسلي الذي يَخُص هذا المجال. فمثلا إن أردنا أن نعرف الألفاظ التي يشملها المجال الدلالي المُسَمَّى بـ « الشُّكر » نذهب إلى « فهرس المجالات الدلالية » في حرف الشين وسنجد هذا المجال يأخذ الرقم ١٢٦٠ وهو يخص الأفعال التي يضمها هذا المجال ، وسنجد أَيْضًا الاسم مكررا ويأخذ الرقم ١٢٦١ وهو يخص الأسماء التي يضمها هذا المجال ، ونجد الاسم مكررًا مرة ثالثة ويأخذ الرقم ١٢٦٢ ، وهو يخص صفات هذا المجال . فإذا أخذنا هذه الأرقام التسلسلية وذهبنا إلى متن المعجم سنجد أن المجال الدلالي المسمى بـ « الشُّكر » الذي يحمل الرقم ١٢٦٠ موجود في ص ٥٣١ ، ويحوي الأفعال : « استحسن ، امتنَّ ، جازَى ، حَدَّثَ ، حَمِدَ ، شكرَ ، عَرَفَ » ، وبعده نجد المجال « الشُّكر » رقم ١٢٦١ ويحوي الأسماء « استحسان ، امتنان ، حَمْدٌ ، شُكْر ، شكران ، عرفان مجازاة » ، وبعده نجد المجال « الشُّكر » رقم١٢٦٢ ويحوي الصفات: « حامد ، حمود ، حميد ، شاكر ، ممتن ، ممنون » .

٣ ـ وإذا فرضنا أننا نريد « لفظة معينة » تنتمي إلى مجال دلالي معين وليس عنوان المجال نفسه ؛ في هذه الحالة نذهب إلى الفهارس ، ونختار الفهرس ذا العنوان « فهرس الكلمات » ، وسنجده يرتب كل الألفاظ الموجودة في المجالات الدلالية الموجودة في المعجم ألفبائيًّا ، بمعنى أنَّ كل الألفاظ التي

(١) نصَّ المعجم في مقدمته أنه اعتمد على الترتيب الألفبائي المستخدم في نظام ويندوز « Windows » وهذا الترتيب كما يأتي : « ء ، آ ، أ ، ؤ ، إ ، ئ ، ا ، ب ، ة ، ت ، ث ، ج، ح ، خ ، د، ذ، ر، ز، س ، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك ، ل ، م، ن، هـ ، و، ى، ي » .



تبدأ بحرف ـ وليس أصل ـ الهمزة في حرف الهمزة ، وكل الألفاظ التي تبدأ بحرف الباء موجودة في حرف الباء ، وهكذا . وبداخل كل حرف تُرَتَّبُ الألفاظ التي تبدأ بهذا الحرف مرة ثانية ترتيبًا ألفبائيًّا . فإذا وصلنا للفظ المنشود الذي نبحث عنه سنجد بجواره رقم المجال الدلالي الذي يحويه . وإذا كان اللفظ محل البحث له أكثر من معنى سنجد أن اللفظ مكررًا وبجوار كل تكرار رقم المجال الدلالي الذي يحتويه . ومثال ذلك لفظ « أسيف » الذي يتكرر ثلاث مرات غير متتالية ، ويأخذ أرقام المجالات الدلالية ٧١٥ ، ١٥٠٣ ، ١٥٨٥ . ونلاحظ أنَّ المعجم يقوم بترتيب ألفاظ المجال الدلالي المعين تريبًا ألفبائيًّا أيضًا لتسهيل البحث أكثر .

٤ ـ وإذا أردنا أن نعرف كل المشتقات المتعلقة بـ« جِذرٍ » ما نذهب إلى الفهارس ونختار « فهرس الجذور ومشتقاتها » ، و نبحث ، وعند الوقوف على الجذر نجد بجواره كل مشتقاته .

٥ ـ ومن مَيزات هذا المعجم أنَّهُ يحدد في كل مجال دلالي معين الألفاظ القُرْآنِيَّة ؛ أي : الألفاظ التي وردت في القُرْآن الكريم من هذا المجال ، ويستخدم المصطلحات الآتية : إيجابي معاصر، إيجابي تراثي ، إيجابي قرآني معاصر أو إيجابي قرآني تراثي . ويوضح المعجم هذه المصطلحات كما يأتي :

(أ) الإيجابي المعاصر : وَصْفُ اللفظ بأنه من الرصيد الإيجابي المعاصر لا يعني أنه استجد في العصر الحديث ؛ وإنما يعني أنه مستعمل في العصر الحديث حتى لو كان قديمًا .

(ب) الإيجابي القرآني المعاصر : الألفاظ القُرْآنِيَّة المستخدمة في العصر الحديث.

(ت) الإيجابي القرآني التراثي : ألفاظ قرآنية غير مستعملة في العصر الحديث

(ث) الإيجابي التراثي : المستخدم في اللغة التراثية .

والألفاظ التي توسم بأحد هذه الأوسام أو الإشارات الاستعمالية هي مبتغانا في ألفاظ المجال الدلالي عند التحليل البلاغي ، فالقرآن يختار ألفاظه مما هو موجود في وقته . وسنستبعدُ ما وسم بغير تلك الأوسام [(١)] .

---

(١) هناك أوسام وإشارات استعمالية أخرى غير التي ذكرناها استعملها هذا المعجم مثل إشارة : من لغة المثقفين ، مولد أو مُحْدَث ، لهجة أو لغة محلية ، سلبي ، مصطلح علمي ، مبتذل ، محظور ، رسمي . يُنْظَرُ معاني هذه الإشارات وأهميتها مقدمة المعجم ، تحت عنوان دليل التصنيف ص ١٧

كيف نستفيد من هذا المعجم بَلاغِيًّا ؟

سبق أن قلنا إن إحدى أوجه الإعجاز في القُرْآن الكريم الدقة المتناهية في اختيار الألفاظ ، وقلنا إنه لكي نقف على هذه الدقة يجب أن نتبين معنى اللفظ القُرْآنِيّ ـ محل الدراسة البَلاغِيَّة ـ من خلال مقارنته بألفاظِ حقله الدلالي ، كالمثالين اللذين قدمناهما قريبًا في الآية الثانية من سورة البقرة والآية رقم ١٠ من سورة الحشر. ومن هذه النقطة تأتي أَهَمِّيَّة معجم « المَكْنَز الكبير » الذي يقدم هذه المجالات الدلالية بصورة مرتبة وشاملة ودقيقة أكثر من غيره من المؤلفات التي اهتمت بنفس الموضوع [(١)] .

وسبق أن أشرنا إلى أنَّ المجال الدلالي الذي يقدمه « المَكْنَز الكبير » للفظ ما يشمل ما هو قرآني وغير قرآني . وعند التَّحْلِيْل البَلاغِيّ لألفاظ القُرْآن أعتقد أنه من الأفضل أن يكون هذا التَّحْلِيْل مقصورًا على الألفاظ القُرْآنِيَّة التي تأتي في المجال الدلالي ، وترك بقية ألفاظ المجال التي لم ترد في القُرْآن . وأنا هنا أقول « أُفَضِّلُ » ولا أقول « يجب » ؛ وذلك لأسباب ، منها :

- أَنَّه قَدْ يتسع المجال الدلالي لبعض الألفاظ فيضم عددًا كبيرًا من الألفاظ ، الوضع الذي يصبح معه دراسة الفروق الدلالية لكل هذه الألفاظ أمر شديد الصعوبة ، ومرهق أَيَّما إرهاق للباحث ، مما قَدْ يحول بينه وبين مواصلة عمله ، أو يتحول البحث البَلاغِيّ إلى بحث دلالي . فإذا كانت ألفاظ المجال الدلالي محدودة ؛ فلا بأس من بيان الفروق الدلالية بين كل الألفاظ الموجودة فيه قرآنية وغير قرآنية .
- النص القُرْآنِيّ « نص محكم ودقيق ، وهذا يُسَهِّلُ مهمة الباحث في تحديد الفروق الدلالية بين الكلمات ، ويرجع ذلك إلى دقة المفردة القُرْآنِيَّة وإحكامها ، بحيث لا يُستطاع استبدال لفظة بأخرى ، وأيضًا إلى إحكام تراكيبه ودقتها ، بحيث لا

---

(١) من المؤلفات الدلالية التي اهتمت بالمعاني والفروق اللغوية بين الألفاظ : المُخَصَّص لابن سِيده ، فقه اللغَة للثعالبي ، الألفاظ الكتابية للهمذاني ، جواهر الألفاظ لقُدامة بن جعفر ، تهذيب الألفاظ لابن السِّكِّيت ، الإفصاح في فقه اللغَة لعبد الفتاح الصعيدي ، الألفاظ المترادفة للرماني ، الفروق لأبي هلال العسكري ، الكليات لأبي البقاء الكفوي ، معجم المعاني للمترادف والمتوارد والنقيض لنجيب إسكندر ...



يمكن تقديم ما أَخَّره البيان القُرْآنِيّ ولا تأخير ما قدَّمه ، ولا يمكن حذف شيء مما ذكر فيه ، ولا إضافة شيء لم يذكره »(1) .

ولا ينبغي أن ينتهي حديثنا هنا عن المكنز دون التنويه إلى معجم آخر يفيدنا في هذا المقام إلى جانب إفادة المكنز ، وهو معجم « الفروق الدلالية في القُرْآن الكريم» ، لأستاذنا الدكتور : مُحَمَّد محمد داود .

ففي هذا المعجم القيم يتم دراسة الكلمات القُرْآنِيَّة متقاربة المعنى والأساليب المتشابهة ، وهو يتضمن ثلاثة أقسام :

١) القسم الأول الفروق الدلالية بين معاني الكلمات .
٢) القسم الثاني : الفروق الدلالية بين الأبنية الصَّرْفِيَّة المتشابهة ، وهو في هذا القسم يدرس الفروق الدلالية الناشئة عن اختلاف الصيغ الصَّرْفِيَّة للكلمات ، كالفرق مثلا بين صيغة المفرد والجمع في المفردتين « ريح ، رياح » ، حيث يُستعمل المفرد في سياقات الرحمة والعذاب ، بينما اقتصر استعمال القُرْآن الكريم لصيغة الجمع على سياقات الخير والرحمة . وكالفرق أَيْضًا بين الصيغ الصَّرْفِيَّة المختلفة ، نحو : « سِخْرِيًّا ، سُخْرِيًّا » ، فالسِّخْرِيُّ ـ بالكسر ـ السُّخرية والهُزْء . والسُّخْرِيُّ ـ بالضم ـ السُّخرة والاستعباد .
٣) القسم الثالث : الفروق الدلالية بين التراكيب المتشابهة : مثل تركيب الفعل مع حرف الجر ، مثل التركيب « فَرَّ من » والتركيب « فرَّ إلى » ، حيث يستعمل الأول بمعنى الخوف ، بينما يستعمل الثاني بمعنى اللجوء إلى مصدر الأمن(2) . فإذا قمنا بتحديد ألفاظ مجال دلالي للفظة قرآنية معينة نحللها بَلاغِيًّا ، وحددنا الألفاظ القُرْآنِيَّة في هذا المجال ـ فمن الممكن أن نلجأ لـ « معجم الفروق الدلالية » للكشف عن هذه الفروق ، ولكن مما يعيب هذا المعجم أنه تنقصه كثير من المجالات الدلالية ، وأَنَّه قَدْ لا يسعف الباحث فيما يبحث عنه أحيانًا ، ولكنْ هذا لا يغض من قيمته وأهميته .

✓ **النظرية الثانية :**

---

(1) د. مُحَمَّد داود : معجم الفروق الدلالية في القُرْآن الكريم ، دار غريب ، القاهرة ، ط١ ، (٢٠٠٨م) ، ص ١٥

(2) د. مُحَمَّد داود : معجم الفروق الدلالية في القُرْآن الكريم ، ص١١ وما بعدها .



النظرية الثانية التي نود أَنْ نَخُصَّها بمزيد من البيان والإيضاح نظرية التَّحْلِيْل التكويني .

وتأتي أَهَمِّيَّة هذه النظرية في أنها تُسهمُ بشكل دقيق وواضح في « تحديد الفروق الدلالية المميزة بين مجموعات الكلمات متقاربة المعنى ، التي وإنْ صحَّ وقوع الترادف بينها في سياقات مختلفة ؛ فإن هذا لا يعنى التساوي بين دلالات الألفاظ المختلفة ، وإنما هو وجهٌ من وجوه تقارب المعنى »[1] .

ويبدأ عمل هذه النظرية بعد الانتهاء من تحديد الحقول الدلالية ، وحشد كلمات كل حقل مع بعضها ؛ فلكي نتبين معنى كل كلمة بدقة ، وعلاقة كل منها بالأخرى يجب أنْ تُجمَعَ الكلمات في حقول دلالية ؛ لذلك يعتبر علماء الدلالة هذه النظرية امتددا لنظرية الحقول الدلالية أو المجال الدلالي .

بعد هذا التجميع يأتي دور نظرية التَّحْلِيْل التكويني « لتَمُدَّ الباحث بأهم الملامح الدلالية ، سواء تلك الملامح التي تشترك فيها ألفاظ المجال الدلالي ، أو تلك الملامح التي تميز بين ألفاظ المجال الواحد ، حيث إن معنى الكَلِمَة يتحدد عند أصحاب هذه النظرية بمجموع الملامح الدلالية التي تحملها »[2] .

وكما ترتبط نظرية التَّحْلِيْل التكويني بنظرية الحقول الدلالية ترتبط أَيْضًا بنظرية السِّيَاق[3] ، فثَمَّة علاقة بين هاتين النظريتين « حيث إن السِّيَاق خطوة تمهيدية لنظرية التَّحْلِيْل التكويني ... [حيث] يجمع المعجمِيُّ عددًا من السياقات المُمَثِّلَة التي تَرِد فيها كلمة معينة ، وحينما يتوقف أي جمع آخر للسياقات عن إعطاء أي معلومات جديدة ، يأتي الجانب العملي إلى نهايته ، ويصبح المجال مفتوحًا أمام المَنْهَج التحليلي »[4] .

ويتركز دور نظرية التَّحْلِيْل التكويني في التحديد الدقيق لمعنى الكَلِمَة من

(١) السابق ، ص ١٠

(٢) د. مُحَمَّد داود : العربية وعلم اللغَة الحديث ، ص ٢٠٣

(٣) سبق الإشارة إلى السياق وأهميته عند الحديث عن الطريق إلى التذوق وكيفية تكوينه ، وستأتي إشارة إليه عند الحديث عن التعريف الأخير للبلاغة .

(٤) د. مُحَمَّد داود : العربية وعلم اللغَة الحديث ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤



خلال تحديد « الملامح التمييزية **Distinctive Features** ، أو الملامح الدلالية **Semantics Features** » لكل لفظة في حقل دلالي معين ، وذلك من خلال استقراء السياقات التي ترد فيها الكَلِمَة ، فكما أنَّ هناك ملامح دلالية تجمع طائفة من الكلمات في مجال دلالي واحد ـ يمكن أن يطلق عليها « ملامح عامة » ـ فهناك أَيْضًا ملامح دلالية تميِّز كل كلمة داخل المجال الدلالي الخاص بها ، ويمكن أن يُطلَق عليها « ملامح خاصة » ، وهذه الملامح الخاصة هي التي تميز بين معاني كلمات المجال الدلالي الواحد ، وتُظهر الفروق الدقيقة بين معاني الكلمات المترادفة .

ويلخص العلماء الخطوات الإجرائية لتحديد العناصر التكوينية في الآتي[(١)] :

١ ـ أول خطوة يتخذها الباحث هي استخلاص مجموعة من المعاني (بصورة مبدئية) تبدو الصلة القوية بينها بحيث تشكل مجالا دلاليا خاصًا نتيجة تقاسمها عناصر تكوينية مشتركة ، ومثال ذلك كلمات : أب ، أم ، ابن ، بنت ، أخت ، أخ ، عم ... فكلها تتقاسم قابلية التطبيق على الكائن البشري ، وتتعلق بالشخص الذي يتصل بآخر إما عن طريق الدم أو المصاهرة.

٢ ـ ويعقب ذلك تقرير الملامح التي تستخدم لتحديد المحتويات التي تُستعمل للتمييز ، وهي بالنسبة للكلمات السابقة ستكون ملامح : الجنس والجيل والانحدار المباشر وقرابة الدم أو المصاهرة .

٣ ـ ويلي ذلك تحديد المكونات التشخيصية لكل معنى على حدة ؛ حتى نقدر على القول بأن معنى أب مثلا يتميز بتملكه للملامح أو المكونات كذا وكذا .

٤ ـ وأخيرًا توضع تلك الملامح في شكل شجري أو في شكل جدول [(٢)] .

كما في الجدول الآتي[(٣)] :

المكونات التشخيصية	أب	أم	عم	عمة	أخ	أخت	ابن	ابنة	ابن عم	زوجة	حم
۸ ـ ذكر = ذ	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ

(١) يُنْظَرُ : د. أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، ص١٢٣

(٢) وقد قمنا بتطبيق هذه النظرية عند دراستنا البَلاغِيَّة لآيات سورة مريم والفجر والنساء في الأمثلة التطبيقة ، فلتنظر هناك .

(٣) د. أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، ص ١٢٣



	أنثى= ث											
الجيل	+١ -١ نفسه	+١	+ ١	+١	+١	نفسه	نفسه	-١	-١	نفسه	نفسه	+١
الاتصال	مباشر =م +١ +٢	م	م	+١	+١	+١	+١	م	م	+٢	م	+١
القرابة	دم=د مصاهرة =ص	د	د	د	د	د	د	د	د	د	ص	ص

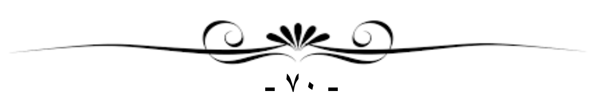
* **علم الأصوات** :

من العلوم التي يدرسها علم اللغَة علم الأصوات ، وهو « الدراسة العلمية لأصوات الكلام . وينقسم غالبًا إلى علم الأصوات النطقي ، الذي يدرس الطريقة التي تنتج بها أصوات الكلام من خلال أعضاء الحديث ، وعلم الأصوات السمعي الذي يدرس الخصائص السمعية للأصوات ... وعلم الأصوات الآلاتي الذي يدرس أصوات الكلام باستخدام الأدوات التي تسجل وتحلل المادة الخام . وعلم الأصوات العام يعتني بدراسة أصوات الكلام اعتمادًا على استخدامها في أي لغة ، بينما علم الأصوات اللغوي يهتم بدراسة أصوات الكلام في لغة معينة »(١) .

وقد أفاد علمُ الأصوات ودراساته الصوتية علمَ البلاغة والبلاغيين « عندما تكلموا عما سموه « التلاؤم والتنافر بين الحروف » ، وراحوا يضعون قواعد وقوانين عامة لهذين الضربين من التأليف ؛ حتى يكون الأمر واضحًا أمام المنشئين للكلام نثرًا ونظمًا . وَقَدْ حاول هؤلاء العلماء ـ على اختلاف مناهجهم ـ أنْ يربطوا هاتين الظاهرتين (وغيرهما) بصفات الأصوات ومخارجها ، وما تتسم به من مميزات أخرى ، على ما هو معروف في البلاغة التقليدية »(٢) .

(١) **Keith Brown, The Cambridge Dictionary of Linguistics, p. 341**

(٢) د. كمال بشر : التفكير اللغوي ، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣



ومن الأمور الصوتية التي يمكن أن تفيدنا في الدراسة البلاغية دراسة الفترة الزمنية لنطق الصوت . فالوقوف على الفترة الزمنية التي ينطق فيها الحرف صوتيًّا قَدْ يكون له إفراز دلالي مكثف .

مثال ذلك نجد أن الفترة الزمنية التي نستغرقها لنطق « الضمة » أقصر من الفترة الزمنية لنطق « واو المد أو الضمة الطويلة » . هذه المعلومة الصوتية البدهية التي يمكن لأي شخص أن يقف عليها استغلها الإمام الزركشي ، حيث لحظ « أن بعض الأفعال ترد في الخطاب القُرْآنِيّ وَقَدْ قصرت حركتها الطويلة في الكتابة تبعًا لإسقاطها في النطق ، وعلل لهذا الإسقاط بأنه للتنبيه على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل **وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود ، وهو ما يعني أن الناحية الصوتية الخالصة قَدْ يكون لها إفراز دلالي مكثف في مثل قَوْله تَعَالَى: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ العلق: ١٨ ، ففيه سرعة الفعل ، وإجابة الزبانية وقوة البطش** »(١) .

ومما يبحثه علم الأصوات صفات الحروف ومخارجها وتصنيفها بحسب قوة الإسماع وغيره .

وقد استعان بعض المفسرين بالخصائص الصوتية للحروف في توضيح بعض المعاني التي قَدْ تشتملها بعض الآيات ، مثال ذلك ما فعله الإمام البِقاعي في مفتتح سورة مريم ، حيث توصل من خلال الخصائص الصوتية لحروف هذه السورة « ك هـ ي ع ص » إلى بعض المعاني (٢) .

٦ـ علم النفس :

من العلوم التي ننصح للباحث البَلاغِيّ الإلمام بطرف منها علم النفس ؛ لأنه يساعدنا على الوقوف على جانب من جوانب الإعجاز النفسي في القُرْآن ، وأثر ذلك بَلاغِيًّا في صياغة الجُمْلَة . يقول أ. مجدي وهبة في معجمه « معجم المصطلحات العربية في اللغَة والأدب » ص٥٠ ، تحت مادة « الإعجاز النفسي **Psychological Inimitability** » : « من أهم وجوه إعجاز القُرْآن الكريم وقعُهُ في النفس حسبما كشف العلم من صفاتها وأسرارها ، ويترتب على ذلك وجوب تفسيره تفسيرًا نفسيًّا **وأن يُعلَّلَ على هذا الأساس إيجازه وإطنابه ، وتوكيده وإشارته ، وإجماله وتفصيله ،**

(١) د. مُحَمَّد عبد المطلب : البلاغة العربية قراءة أخرى ، ص ٥٥
(٢) نظم الدرر ، ١٢/ ١٥٧



وتكراره وإطالتَه ، وتقسيمه وترتيبه ، ومناسباته . فالقرآن الكريم ردد ذكر الجنة والنار ؛ لأنَّه خاطب جميع الأمم من عرب وعجم ، وأكثرهم غافل أو مكابر ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ كما قال الجاحظ في كتاب « الحيوان » : إذا خاطب العرب أخرج الكلام مَخرَجَ الإشارة والوحي والحذف ، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطًا وزاد في الكلام » .

وعلم النفس ـ كما يعلم معظمنا ـ هو العلم الذي موضوعه الإنسان « من حيث هو كائن حي يرغب ويحس ويدرك وينفعل ويتذكر ويتعلم ويتخيل ويفكر ويعبر ويريد ويفعل ، وهو في كل ذلك يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه ، ويستعين به ، ولكنه قادر على أن يتخذه مادة لتفكيره وأن يؤثر فيه »(١) .

فنحن بتعمقنا في هذا العلم المهم نتعلم كيف ينفعل الإنسان وكيف يحس وكيف يرغب وكيف يدرك ؟ وهي أمور مهمة ؛ إذ إن جزء من بلاغة الكلام هو مراعاة حال المخاطب الذي يحتويه سياق معين ، ولكي نقف على البلاغة في هذا الجانب يجب أن نقف على التحليلات والمبادئ النفسية التي يقدمها هذا العلم .

بدون ذلك قَدْ يَصعبُ علينا أن نفهم استخدام لفظة لغوية معينة ، أو التركيب اللغوي الذي أتى به القُرْآن في بعض المواضع .

إن الفهم الدقيق لهذه الألفاظ أو التراكيب لا يتأتَّى إلا بعد « إدراك ما استخدمه القُرْآن من ظواهر نفسية ونواميس روحية أدار عليها بيانه مستدلا وهاديًا ومُقنِعًا ومجادلًا ومثيرًا ومهدِّدًا ... فالقرآن الكريم قَدْ راعى قواعد نفسية عن مظاهر الاعتقاد ومسارب الانفعال ونواحي التأثير ، وأَثَارَ مِنْ هذا ما أَيَّدَ به حُجَّتَه وأظهرَ دعوتَه ، وهو في ذلك يُسايِرُ من شئون النفس الإنسانية ، ويتغلغل في شعابها وجوانبها مما لم يهتدِ إليه العلم إلا حديثًا ، فوق أَن يهتدي إليه ذلك النبيُّ الأُمِّيُّ ، لولا أَنَّه من صنع خالق القوى والقُدَر »(٢) .

ونضرب مثالَيْنِ يُبَيِّنان أَهَمِّيَّة علم النفس في التحليل البَلاغِيّ :

المثال الأول : نقرأ في كتاب الله ـ عزَّ وجَلَّ ـ من سورة « يوسُف » قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ إِذْ

(١) د. يوسف مراد : مبادئ علم النفس العام، دار المعارف، القاهرة، ط٣ ، (١٩٥٧م) ، ص ١٠

(٢)عبد الوهاب حمودة : القُرْآن وعلم النفس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، (١٩٨٥م) ، ص ٧٧



قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ **يوسف:** ٨ ، ونقف عند استخدام القُرْآن للفظة « أَحَبّ » التي أتت في صيغة أفعل التفضيل ، وهي صيغة تدل على اشتراك شيئين في صفة مع زيادة أحدهما على الآخر في تلك الصِّفَة . وعلى هذا يمكن أن نفهم من الآية أن سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ « يحب » كل أولاده ، ولكنه « يُفضل في الحب » يوسف وأخاه . والسؤال الآن : لماذا استخدم القُرْآن اسم التفضيل « أَحَبّ » ولم يستخدم مثلا الفعل « يُحِبُّ » لتصبح الجُمْلَة في الآية مثلا « إن أبانا يحب يوسف وأخاه ... » ؟!!

إن الإجابة عن هذا السؤال لا نجدها إلا في علم النفس ، فمما يبحثه هذا العلم « علاقة الطفل الأصغر بإخوته الأكبر منه » ، وأحب أن أعترف هنا أن الذي هداني لهذا المثال والإجابة عليه عالمٌ من علماء علم النفس الغربيين المشهورين هو ألفرد أدلر **Alfred Adler** (ت: ١٩٣٧م) حيث أشار في كتابه الماتع « معنى الحياة » : « إن جميع أطفال الأسرة لهم من يتبعهم ما عدا الطفل الأصغر ، وهذا يجعل من الممكن لأي طفل منهم يفقد عرشه ما عدا الطفل الأصغر ؛ لأنه لا يوجد من يتبعه ... إنه الطفل الصغير آخر العنقود ، وأكثر أفراد الأسرة تعرضًا للتدليل ... [و] لأنه يتعرض للكثير من التحفيز **Stimulation** بسبب كثرة المنافسة ؛ فإنه ينمو ويتطور بمعدل أعلى من العادي ، ويتقدم بسرعة أكبر من الأطفال الآخرين في الأسرة ...إن موقف ووضع الطفل الأصغر ظل كما هو بلا أي تغيير منذ فجر التاريخ ، وسنجد في أقدم الأساطير وصفًا مفصلا للكيفية التي تمكن بها الأخ الأصغر من التفوق على إخوته وأخواته ... فيوسف الصديق نشأ معظم حياته وهو يحتل مكانة الطفل الأصغر ؛ هذا لأن بنيامين وُلِدَ بعده بسبعة عشر عامًا ؛ وبالتالي فإنه لم يلعب أي دور في نمو وتطور يوسف . وأسلوب حياة يوسف يعتبر مثالا صادقًا ونمطيًّا لأسلوب حياة الطفل الأصغر ... فهو دائمًا يؤكد ويحاول إثبات تفوقه حتى في أحلامه ... لقد كَسَفَ بظهوره ضوء جميع إخوته الأكبر منه ... إن الطفل الأصغر غالبًا ما ينجح في اتخاذ وضع عميد العائلة ، ولا يمكن أن يكون هذا محض مصادفة ، والناس كلهم قَدْ عرفوا هذه الحقيقة وكثيرًا ما حكوا القصص والأساطير عن قوة الطفل الأصغر ، وهو على صواب ؛ فإن الطفل الأصغر في وضع يُحسَد عليه ؛ فالأب والأم يساعدانه والإخوة والأخوات أَيْضًا . وعندما يحصل على هذا التحفيز فإن طموحاته

ومجهوداته تمكنه من تحقيق هدفه في التفوق ؛ خاصة أنه لا يوجد من يتبعه أو يحاول عرقلة تقدمه »[1] .

فمن خلال هذا التحليل نقف على مدى دقة اللفظة القُرْآنِيَّة في التعبير عن الحالة النفسية للمتكلم الذي أتت على لسانه العبارة . فيوسف الأصغر سنًّا هو الأحب للأب ؛ لذلك استخدمت الآية اسم التفضيل « أَحَبُّ » ولم تستخدم الفعل المُضَارِع « يحب » .

المثال الثاني :

ومما يدل على أثر الجانب النفسي للمخاطب في بناء الجُمْلَة وتركيبها المثال الآتي وقبل ذكره نقدم بين يديه بالتمهيد الآتي .

من المشكلات النفسية التي يبحثها علم النفس مشكلة « عقدة النقص » أو « مركب النقص » أو « الشعور بالنقص » ، وهي مشكلة يحاول صاحبها أن يعالجها أو يعوضها .

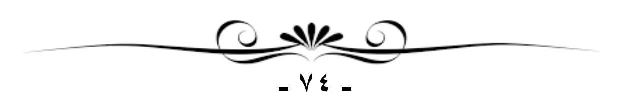
والمُصاب بهذه العقدة إذا كان ذا روح عدائية فقد يحاول قهر الشعور بالنقص بالظهور بالسيطرة والغطرسة والمكابرة ، وغير ذلك من المواقف التي تندرج عادة تحت اسم الغرور .

ومن أعراض عقدة النقص قلقٌ مبعثه شعور بالخوف من افتضاح أمره واكتشاف نقصه ؛ فيتخذ لذلك مسلكًا يعوض نقصه ، ويخفي به قلقه .

بناء على هذا فإننا إذا وقفنا أمام قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ المنافقون: ١ وجدنا فيه عددًا من المؤكدات هي :

- استخدام الفعل « نشهد » الذي يجري مجرى اليمين ؛ ولذلك تُلُقِّيَ بِمَا يُتَلَقَّى بِهِ الْقَسَمُ كما قال أبو حيان في البحر المحيط في بداية تفسيره لسورة « المنافقون » .
- استخدام « إِنَّ » في صدر جملة جواب القسم .
- استخدام « اللام » في خبر إنَّ .

(١) ألفرد أدلر : معنى الحياة ، ترجمة : عادل نجيب بشرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ط١ ، (٢٠٠٦م) ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، وهذا الكتاب ننصح بقراءته لما فيه من فوائد نفسية جمة مفيدة .



- استخدام الجُمْلَة الاسمية .

ووراء استخدام هذه المؤكدات في الآية تفسير نفسي هو: تَحَصُّنُ المنافقين ليخفوا شعورهم بعقدة النقص ، فقد دفعهم خوفهم من افتضاح أمرهم واكتشاف نقصهم من اتخاذ مسلك التأكيد الذي عبرت عنه الآية [(١)] .

٧ـ **علم التاريخ** :

لا جدال ولا مرية أن دراسة التاريخ مهمة لفهم كثير من النصوص القُرْآنِيَّة وبالتالي الوقوف على بلاغتها ، لهذه الأهمية كان « التاريخ كعلم مقررًا ومعترفًا به (عند العرب)، وكان يُدرس منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي لضرورته لتفسير القُرْآن والحديث ومعرفة رجال السند » [(٢)] .

ومما يتصل بدراسة التاريخ دراسة السِّيرة النبوية ؛ فالإلمام بالسيرة يَفُضُّ مغاليق كثير من الآيات القُرْآنِيَّة التي تبدو غامضة .

٨ ـ **العلوم العلمية المادية** :

من المعلوم أن القُرْآن ضَمَّ الكثير من الآيات التي تحوي إشارات علمية : كونيَّة جيولوجية ، طبية ... ، ونحنُ في احتياج إلى هذه العلوم لكي نُوَجِّهَ في ضوئها هذه الآيات توجيهًا صحيحًا ونفهمها الفهم الدقيق ، ومنْ ثَمَّ نقف على البَلاغَة القُرْآنِيَّة فيها . واحتياجنا لهذه العلوم وتلك المؤلفات لا مِرْيَةَ فيه ، وإلا فكيف نقف على بلاغة قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ** ﴾ المؤمنون: ١٢ – ١٤ ، بدون إيضاح وبيان من علم الطب وعلم الأجنة **Embryology** ؟ وكيف نقف على قَوْله تَعَالَى: ﴿ **فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ** ﴾ الواقعة: ٧٥ – ٧٦ ، ونتبيَّنُ لماذا اختارت الآية قوله « مواقع النجوم » ، بدلا من « النجوم » بدون معرفة بعلم الكون **Cosmology** والنجوم والضوء ؟ وكيف نقف على بلاغة قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا**

(١) عبد الوهاب حمودة : القُرْآن وعلم النفس ، ص ٨٠ وما بعدها .

(٢) التاريخ والمؤرخون ، مقال د. حسين مؤنس ، مجلة عالم الفكر ، المجلد ٥ ، عدد أبريل ١٩٧٤م ، فلسفة التاريخ ، الكويت ، ص ٦١

﴿ أَلْوَانُهَاۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ فاطر: ٢٧ بدون الوقوف على علم الجيولوجيا (علم طبقات الأرض **Geology**) ؟

بـ الاستعانة بكتب التفسير :

تحت عنوان أدوات الباحث العلمي في البلاغة القُرْآنِيَّة السابق بدأنا الحديث عن الأدوات التي تعين الباحث البَلاغِيّ وبدأنا هذه الأدوات بالإلمام بمجموعة من العلوم . ونكمل هنا بقية هذه الأدوات ، التي منها الاستعانة بكتب التفسير .

ونقول :إذا كان الذوق الأدبي اللازم للوقوف على بلاغة القُرْآن يتطلبُ « فهمًا» لما نقرؤه فلا بد أن نستعينَ بكل ما يأخذ بأيدينا لهذا الفهم ، ولا جدالَ أنَّ كتب التفسير هي أفضل ما يقدم يد المساعدة في هذا الشأن .

ومن الملحوظات المهمة الجديرة بالتسجيل هنا « أنَّ كثيرًا من المفسرين قَدْ أدرك الجوانب الجمالية والقيم التعبيرية في النص القُرْآنِيّ على نحو لم يدركه معظم البلاغيين وَقَدْ استقامت حجج البلاغيين ، وقوي إدراكهم لهذه الجوانب وتلك القيم حين وضعوا أقوال المفسرين نصب أعينهم »(١) .

وكتب التفسير التي قامت بتفسير النص القُرْآنِيّ كثيرة ، تناولته من جوانب متعددة ، وأنا هنا أقترحُ ـ مجرد اقتراح ـ مجموعة من التفاسير التي تعين على فهم النص القُرْآنِيّ :

١) ***تفسير الإمام الطَّبَرِيّ : جامِعُ البيان عَنْ تَأْوِيل آي القُرْآن*** :

الذي يجعلني أقترح هذا التفسير وأرشحه للقارئ هو أنَّ الإمام مُحَمَّد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠هـ) عَلَمٌ من أعلام التفسير ، وهو ـ بالإضافة إلى كونه مفسِّرًا ـ عالِمٌ باللغة وقواعدها ، وبدقائق التعبير فيها ، متعمِّقٌ إلى أقصى حد ، واسع الإحاطة بلغة الكتاب الكريم ، عالمٌ بشعر العرب ، وقادرٌ على الاستشهاد به على كل ما يريد توضيحه أو إثباته والمنافحة عنه أو تخطئته وتفنيده ، كان ذا ذوق نقديٍّ وأدبيٍّ ولغويٍّ راقٍ ومرهفٍ ، وحسٍّ أدبيٍّ عالٍ أمكنه من التقاط أَخفى الفروق اللغويَّة بين العبارات اللغوية ، وفهم مرامي الكلام ، وتذوق وجوه حُسْنه وإبداعه ، افْتَنَّ في تحليل العبارات وإعرابها ممّا يجعلنا نضعه في مصاف الجهابذة من أهل صناعة النَّحْو ،

(١) د. عبد الواحد علام : القاعدة والنص ، ص٩



له رأيه في تفسير القُرْآن ، يؤسسه على براهين مستمدة من ذوقه اللغوي المرهف وحسه الأدبي والأسلوبي والمنطق الإنساني العام .

وبدراستنا تفسير الإمام الطبري نجده يهتم بالنص القُرْآنِيّ على مستويين رئيسيين:

- **الأول** : مستوى النص القُرْآنِيّ ذاته من داخله ، وذلك من خلال :

إيراده ما قاله علماء اللغَة في شرح ما في النص من مفردات وعبارات ، وما بينهم من اختلاف ، ويفعل مثل ذلك مع النُّحَاة والقُرَّاء ، ثُمَّ يوردُ كل ما بلغه من روايات في تفسير الآية أو بعضها تحت عنوان « قال أهلُ التأويل » ، وكان كثيرًا ما يلحُّ على هذه القاعدة التفسيرية المهمة ، وهي « إِنَّمَا يجوز تَوْجِيهُ معاني ما في كتاب الله الذي أنزله على مُحَمَّد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الكلام إلى ما كان موجودًا مِثْلُهُ في كلام العرب دون ما لم يكن موجودًا في كلامها »[(١)] .

ونلاحظ في تفسير الإمام الطبري اعتماده على الروايات وأسانيدها ، فنواة هذا التفسير هي في الغالب هذه الروايات ، وكثيرًا ما يستخدم محصوله من الروايات الحديثية التي يحفظها في خدمة الجانب اللغوي ، يقولُ الأستاذُ محمود شاكر : « تبين لي مما راجعته من كلام الطبري، أن استدلال الطبري بهذه الآثار التي يرويها بأسانيدها، لا يراد به إلا تحقيق معنى لفظ، أو بيان سياق عبارة »[(٢)] .

ومما أعانه على هذا التفسير اللغوي محفوظه الشعري الواسع ، هذا المحفوظ الشعري كان يستعين به للتفرقة بين تعبيرين متقاربين ، أو لاستخدام لفظة ما في معنى معين ، أو لإعطاء معلومات عن شيء ما ، أو للتشابه في الإعراب مع الآية التي يفسرها ، أو لنكتة أسلوبية ، أو للتدليل على أنَّ العبارة مما تعرفه العرب ، أو أنَّ العرب تستخدم نفس الفعل لكن بغير حرف جر مثلا ، أو للاستشهاد على لغة من لغات العرب ، أو على صحة تركيب غريب لا يجري على السنن المعهود ، أو ورود صيغة من صيغ جمع التكسير في كلام العرب ، أو على ورود تركيب بمعنى تركيب آخر ، أو على فساد توجيه بعض العلماء لآية من الآيات نَحْوِيًّا ، أو على صواب فكرة

(١) جامع البيان ، ت: محمود مُحَمَّد شاكر وأحمد مُحَمَّد شاكر ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط٢ ، (بدون تاريخ للطبعة) ، ٣/ ١٦١

(٢) السابق ، ١/ ٤٥٣ ، الهامش ، وينظر أَيْضًا : د. إبراهيم عوض : دراسات في مناهج التفسير ومذاهبه ، ص ٥١



استطرد إليها[1] .

وهو في استعانته بالشعر يطبق مقولة ابن عَبَّاس التي تقول : « إذا تَعاجَمَ شيء من القُرْآن فانظروا في الشعر ، فإن الشعر عربي »[2] .

وإلى جانب اهتمامه بالإبانة عن المعاني اللغوية لألفاظ النص القُرْآنِيّ كان يهتم بجانب القِراءَات القُرْآنِيَّة المتعلقة بهذه الألفاظ ، وربما استقصى في الكَلِمَة الواحدة كل ما أثر فيها من لغات سواءً في ذلك ما كان قراءة أم لم يكن .

والإمام الطبري ـ رحمه الله ـ يَصْدُرُ في أمر « القِراءَات » عن علمٍ جَمٍّ غزير ، فقد كان من علماء القِراءَات المشهورين ، ألف فيها مؤلَّفًا خاصًا في ثمانية عشر مجلدًا ، ذكر فيه جميع القِراءَات ، من المشهور والشاذ ، مع تعليل كل ذلك وشرحه ، وللأسف الشديد ضاع هذا المؤلف بمرور الزمان .

وذكر القِراءَات القُرْآنِيَّة مَيزَةٌ مهمة لهذا التفسير ، إذ يساعدنا هذا في التعمُّق البَلاغِيّ الذي نريده ونرجوه .

▪ **الثاني** : الاهتمام بالنص القُرْآنِيّ خارجيًّا ، وذلك من خلال :

مراعاته للسياق ، والمحافظة على صلة الآية بما سبقها من آيات . فمن الأمور التي تحسب لهذا الإمام الجليل التفاتُه في وقت جد مبكر من تاريخ التفسير والنقد الأدبي إلى أَهَمِّيَّة « **السِّيَاق والوحدة** » التي تربط بين الآيات المتجاورة بدلا من تمزيقها عِضين ، كما يفعل كثير من المفسرين الذين أَتَوا بعده .

وقد استغلَّ الإمام الطبري « السِّيَاق » استغلالا أمثل في عدة أمور منها :

١ ـ الموازنة بين الروايات المختلفة (من حيث المعنى)، وترجيح واحدة على الباقيات.
٢ ـ تفسير الآيات التي لم يرد في تفسيرها روايات .
٣ ـ تفسير ما يعود عليه « الضَّمِير » أو ما يشير إليه « اسم الإشارة » في هذه الآية أو تلك . فكلنا يعلم أنَّ القُرْآن يُكْثِرُ من استخدام الضمائر وأشباهها من أسماء

(١) د. إبراهيم عوض : دراسات في مناهج التفسير ومذاهبه ، ص ٥٥ ، ٥٦ ، وكل المعلومات في النقاط الآتية هي من هذا المصدر .
(٢) جامع البيان ، ١٦/ ٦٤٢ عند تفسير سورة الحج .



الإشارة . وإدراكُ ما يعود عليه الضَّمِير وشبهه يحتاجُ في بعض الأحيان إلى حساسية فائقة ، فما أكثر المواضع في القُرْآن التي يردُ فيها ضمير يمكن إرجاعه إلى أكثر من شخص أو شيء ، ولا يُسعف المفسر إلا مراعاة السِّيَاق .

ومن حرص الإمام الطبري على الربط السياقي للآيات القُرْآنِيَّة ومفهوم الوحدة نراه في بعض الأحيان يربط بين آيات تبدو لكثير منا متباعدة لا صلة بينها .

بقي أن نشير إلى أنَّ من حسنات هذا التفسير أن الإمام الطبري كان يهتمُّ بتحليل عبارة القُرْآن في كثير من الآيات بَلاغِيًّا وأسلوبيًّا ، وهو أمر لم يلتفت إليه من تعرضوا لجهود الإمام الطبري ؛ لذلك يمكننا القول إن الإمام الزَّمَخْشَرِيّ (ت: ٥٣٨هـ) ليس أول من وقف عند الصور البيانية والمجازات فحللها ، وليس هو أوَّلُ مفسر اهتمَّ بتبيين ما في كلام ربنا ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ من حسن بديع ، وتنزُّه تام عن العور والعيب كما قَدْ يُفهَم من عبارة بعض من كتبوا عن ميزة تفسيره رحمه الله .

٢) ***تفسير الإمام البِقَاعي: نَظْم الدُّرَر في تَنَاسُب الآيات والسُّور*** :

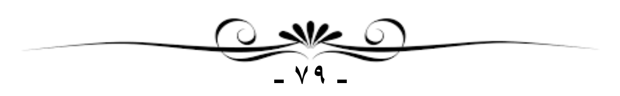
التفسير الثاني الذي ننصح للباحث أن يستعينَ به في وقوفه على البَلاغَة القُرْآنِيَّة تفسير العَلامة البِقاعِيّ (ت : ٨٨٥ هـ ـ ١٤٨٠م)[١] المُسَمَّى « نَظْم الدُّرَر في تناسُب الآيات[٢] والسور » ، المعروف باسم « مناسبات البِقاعِيّ » أو « تفسير البِقاعِيّ » .

ونصيحتُنا للباحث البَلاغِيّ أن يستعينَ بهذا التفسير تَنْبعُ من أنَّ هذا التفسير يهتمُّ بتفسير أسباب تتابع السور وآياتها وبيانها على الطريقة الموجودة في المصحف الشريف ، بمعنى أن هذا التفسير يوضح على سبيل المثال لماذا أَتَتْ سورة البقرة بعد سورة الفاتحة ، ولماذا أتت آل عمران بعد البقرة وهكذا ، وفي داخل كل سورة يهتم ببيان لماذا تتابعت آيات السورة المعَيَّنَة على الصورة التي وردت عليها ؛ أي أَنَّ الإمام البِقاعِيّ يقوم ـ باختصار ـ ببيان « مناسبة » السور وآياتها مع بعضها البعض . يقول

---

(١) الإمام البِقَاعِيّ هو : إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن على بن أبي بكر البِقَاعِيّ ، أبو الحسن برهان الدين ، نزيل القاهرة ثم دمشق ، وُلِدَ عام ٨٠٩هـ ـ ١٤٠٦م ، عالمٌ ، أديبٌ ، مفسِّرٌ مُحدِّث ، مُؤَرِّخ ، له مؤلفات عديدة ، منها : « عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران » ، « جواهر البحار في نظم سيرة المختار » ، تُنظَرُ ترجمتُه : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة ، ١/ ٤٩ ، وخير الدين الزركلي : الأعلام ، ١/ ٥٦

(٢) في بعض كتب التراجم : الآي .



الإمام البِقاعِيّ في مقدمة تفسيرة : « وبَعدُ ، فهذا كتابٌ عجاب ، رفيع الجَناب ، في فن ما رأيتُ مَنْ سبقني إليه ، ولا عول ثاقب فكره عليه ، أَذكُرُ فيه ـ إن شاء الله ـ مناسبات ترتيب السور والآيات ، أَطَلْتُ فيه التَّدَبُّرَ ، وأَنْعَمْتُ فيه التَّفكُّر لآيات الكتاب »(١) .

وإبراز مناسبة السور وآياتها مع بعضها البعض بالصورة الموجودة في المصحف تَكَفَّلَ بدراستها علم يُسَمَّى « علم المُناسَبَة » ، ويُعَدُّ تفسير « نَظْم الدُّرَر في تناسُب الآيات والسور » للبِقاعِيّ لبنة أساسية مِن لبنات هذا العلم .

ولارتباط تفسير البِقاعِيّ بعلم المُناسَبَة ، ولارتباط علم المُناسَبَة نفسه بجانب من جوانب الإعجاز البَلاغِيّ في القُرْآن وفهمه ؛ أراني هنا في محلِّ الاضطرار إلى استيفاء الحديث عن هذا العلم : تعريفه ، وذكر أسمائه ، ووظيفته ، وأقسامه ، وأهميته ، وذكر تفاوت المفسرين في الاهتمام به ، وأهم المؤلفات التي وضعت فيه ، والتنبيه على أنه علم اجتهادي ، والإشارة إلى كيفية الإجادة في هذا العلم .

وذكر هذه التفصيلات في هذا العلم ليس خروجًا عن سياق موضوعنا ، بل هو في صلبه ؛ إذ إن إبراز هذه التفصيلات فيه إيضاح لمكانة هذا العلم ، وأهميته ، وينعكس هذا على قيمة تفسير « نَظْم الدُّرَر في تناسُب الآيات والسور » الذي ننصح به الباحث البَلاغِيّ وهو بيت القصيد .

علم المُناسَبَة :

نبدأ حديثنا عن هذا العلم ببيان المقصود به لغة واصطلاحًا ، فنقول :

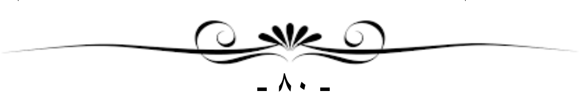
المناسبة في اللغَة : المقاربة والمشاكلة ، يقال : « بين الشيئَيْنِ مناسبة وتناسب ؛ أي: مُشاكَلة وتَشاكُل »(٢) ، وقال ابن فارس : « النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء . منه النَّسب ، سُمِّي لاتصاله وللاتصال به »(٣) .

يقول الإمام الزَّرْكَشِيّ (ت: ٧٩٤هـ) : « واعلَم أَنَّ المُناسَبَة عِلْمٌ شَرِيفٌ تُحْزَرُ

(١) نظم الدُّرَر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، (بدون بيانات أخرى) ، ١/ ٢

(٢) الزَّبِيدِي : تاج العروس من جواهر القاموس ، وزارة الأعلام ، الكويت ، ط٢ ، (١٩٨٧م) ، ٤/ ٢٦٥ ، مادة « ن س ب » .

(٣) مقاييس اللغَة : عبد السلام مُحَمَّد هارون ، دار الفكر ، القاهرة ،(١٩٧٩م) ، ٥/ ٤٢٣



بِهِ العقُولُ ، وَيُعْرَفُ بِهِ قَدْرُ الْقَائِلِ فِيمَا يَقُولُ ، والمناسَبَة فِي اللغَة : المُقَارَبَةُ ، وَفُلَانٌ يُنَاسِبُ فُلَانًا ؛ أَي : يَقْرُبُ مِنْهُ وَيُشَاكِلُهُ » [(١)] .

أما « علم المُناسَبَة » اصطلاحًا فمن التعريفات التي قيلت فيه أَنَّهُ :

- علم « تُعْرَفُ منه علل ترتيب أجزائه » [(٢)] .
- « وجه الارتباط بين كلمات الآية الواحدة ، وبين كل آية بما قبلها وما بعدها ، والسورة بما قبلها وما بعدها » [(٣)] .
- « الكشف عن علل اختيار النظم وترتيبه » [(٤)] .

ويتضح من التعريفات التي سقناها لهذا العلم أمران :

أ- الأمر الأول :أنَّ موضوعه « أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب » ، وثمرته « الاطلاع على الرُّتْبَة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلُحمة النسب » [(٥)] .

ب- الأمر الثاني : يمكن أن نقسم هذا العلم إلى قسمين : قسمٌ « يبحث الآي بعضها لبعض ، بحيث يظهر ارتباطها وتناسقها كأنها جُمْلَة واحدة » [(٦)] . وكما ينقل الإمام السيوطي في « الإتقان » في النوع الثاني والستون من علوم القُرْآن : في مناسبة الآيات والسور ، عن ابن العربي قوله : « ارتباط آي القُرْآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم » [(٧)] . والقسم الثاني : قسم يبحث عن مناسبة السور بعضها لبعض .

---

(١) البرهان في علوم القُرْآن ، ت: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، ١/ ٣٥

(٢) البِقَاعِيّ : نظم الدُّرَر ، ١/ ٦

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب : مقال « برهان الدين البِقَاعِيّ ومنهجه في تفسيره » المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية) ، المجلد٦ ، ع٢ ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م ص٣١

(٤) السابق ، ص ٣١

(٥) البِقَاعِيّ : نظم الدُّرَر ، ١/ ٥

(٦) د. فضل حسن عباس : إتقان البرهان في علوم القُرْآن ، دار الفرقان ، القاهرة ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، ٢/ ٢٨٤

(٧) الإتقان ، ٥/ ١٨٣٧



وتتبَّع بعضُ الباحثين أسماء هذا العلم تاريخيًّا فقالوا إن هذا العلم ظهر أولا باسم « ارتباط الآي » ، و« ترتيب الآي » ، كما نجد لدى أبي بكر بن العربي الذي أَلَّفَ كتابًا بعنوان « ترتيب آي القُرْآن » الذي ذكره في كتابه « الناسخ والمنسوخ » أثناء كلامه على سورة الأنعام ، وكذلك نجد استخدام هذا المصطلح لدى الرازي المفسر (ت : ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) الذي يقول : أكثر فوائد القُرْآن مودعة في الترتيبات والروابط »[(١)] .

ونجد الإمام الزمخشري يستخدم مصطلح « التعلق » ، ومصطلح « الاتصال » للتعبير عن معنى المناسبة ، دليل ذلك قوله عند تفسير آية سورة « الشرح » : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴾ الشرح: ٧ « فإن قلت: **فكيف تعلق** قوله ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴾ بما قبله؟ قلت : لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة ، بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها ، وأن يواصل بين بعضها وبعض، ويتابع ويحرص على أن لا يخلى وقتا من أوقاته منها. فإذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى »[(٢)] . وفي أكثر من موضع من تفسير الكشاف نجد يردد هذه العبارة « كيف اتصل قوله ... بـ» .

أهمية هذا العلم :

يتضح من كلام المفسرين الذين اهتموا بهذا العلم ، ومن خلال كلام الإمام البِقاعِيّ أنَّ هذا العلم تكمن أهميته في :

١ ـ أنَّ أكثر لطائفَ القُرْآن مودعة في الترتيبات والروابط ، كما قال الإمامُ الرَّازِيُّ ، وتبعه في ذلك أبو حيان في البحر المحيط ، وبعد ذلك الإمام الألوسي في تفسيره روح المعاني ، والسيد رشيد رضا في المنار وغيرهم[(٣)] .

٢ ـ بيان ارتباط القُرْآن ببعضه ، وأنه « لا وقف تام في كتاب الله ، ولا على آخر سورة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ، بل هي متصلة ـ مع كونها آخر القُرْآن ـ بالفاتحة

(١) السابق ، ص ٣١

(٢) الكشاف ، ٤/ ٦٠٩

(٣) د. فضل حسن عباس : إتقان البرهان في علوم القُرْآن ، ٢/ ٢٨٣



التي هي أوله ، كاتصالها بما قبلها بل أشد »[(١)] .

٣ـ يُتَبَيَّنُ من خلاله « أسرار القَصص المكررات ، وأنَّ كلَّ سورة أُعيدت فيها قصة فلمعنى أدعى في تلك السورة ، استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سبقت له في السورة السابقة »[(٢)] .

٤ ـ أنَّ هذا العلم يُعينُ على فهم النظم القُرْآنِيّ دلالة وتركيبًا . فمن حيث « الدلالة » فإتقان هذا العلم والأخذ به « **يُوقِفُ على الحقِّ من معاني آياتٍ حار فيها المفسرون** »[(٣)] ، ومَن أهمله وحاول « تَأَمُّل ربط كل جُمْلَة بما تَلَتْهُ وما تلاها خفي عليه وجه ذلك ، ورأى أنَّ الجمل متباعدة الأغراض متنائية المقاصد ؛ فظنَّ أنها متنافرة ؛ فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهز والبسط ، [و] ربما شَكَّكَهُ ذلك بكثير ؛ وزلزل إيمانه وزحزح إيقانه »[(٤)] .

وَقَدْ وضع الإمام البِقاعِيّ هذا الأمر السابق موضع التنفيذ ؛ إذ قام بإجراء تجربة عملية للتأكُّد من صحة ما قاله ؛ إذ سأل أحد الفضلاء عن شيء من القُرْآن ، فلم يتلقَ إجابة ، وردَّ عليه هذا الفاضلُ بأنَّ هناك « إِشكالا » في فهم الآيات التي عرضها عليه البِقاعِيُّ ، فما كان من الإمام إلا أنه أوضح سياق الآيات ، وبيان وجه الارتباط بما قبلها وبعدها ، فما هي إلا أنْ تسابقت معاني الآيات في وضوح إلى ذهن هذا الفاضل[(٥)] .

وفي جانب « التركيب » نجد أنَّ « **النظمَ القُرْآنِيّ** » مرتبطٌ بالسياق والأغراض ، وأن اختلاف الأغراض والسياقات يؤثر في « بناء الجُمْلَة » من حيث التقديم والتأخير والحذف وغير ذلك . يقول الإمام البِقاعِيُّ : « ... ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب الأغراض ، وتَغيرَت النظومُ بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل ،

---

(١) البِقَاعِيّ : نظم الدُّرَر ، ١/ ١٥

(٢) السابق ، ١/ ١٤

(٣) السابق ، ١/ ١٣

(٤) السابق ، ١/ ١١

(٥) السابق ، ١/ ١٤

مع أنها لا يُخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة ، وعلى قدر غموض تلك المناسبات يكونُ وضوحُها بعد انكشافها »[(١)] ، ويقول في موضع ثانٍ : « فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القُرْآن ، وإذا فعلته تَبَيَّنَ لك ـ إن شاء الله ـ وجه النَّظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة سورة والله الهادي »[(٢)] ، وفي موضع ثالث يقول : « فعلم مناسبات القُرْآن علم تُعرَفُ منه علل ترتيب أجزائه ، وهو سر البَلاغَة ، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها ، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها ؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النَّحْو »[(٣)] .

٥ ـ دراسة هذا العلم يُظهرُ جانبًا من جوانب الإعجاز القُرْآنِيّ ، هو جانب « تناسُب الآيات » . يقولُ الإمام الرَّازِيُّ ـ رحمه الله ـ عند تفسير الآية رقم ٢٨٥ من سورة البقرة : « ومَنْ تأمَّلَ في لطائفِ نظمِ هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القُرْآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو أَيْضًا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا : إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك ، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف ، غير متنبهين لهذه الأمور »[(٤)] ، وهذا ما يؤكده الإمام البِقاعِيّ ، إذ يشير إلى أنَّ للقرآن طريقين للإعجاز « أحدهما : نظم كل جُمْلَة على حيالها ، بحسب التركيب ، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب »[(٥)] ، وَيُنْقَلُ عن بعض العلماء قولهم : « في كل آية معنى تنتظم به بما قبلها ، ومعنى تَتَهَيَّأ به للانتظام بما بعدها ؛ وبذلك كان انتظام الآي داخلا في معنى الإعجاز الذي لا يأتي الخلق بمثله ولو كان بعضهم لبعض

(١) السابق ، ١/ ١٤

(٢) السابق ، ١/ ١٨

(٣) السابق ، ١/ ٦

(٤) مفاتيح الغيب ، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط١ ، (١٩٨١م) ، ٧/ ١٣٩

(٥) البِقَاعِيّ : نظم الدُّرَر ، ١/ ١١



ظهيرًا »[1] .

ويُبرِزُ هذا العلم جانبًا آخر من جوانب إعجاز القُرْآن من زاوية أخرى ، وهي أن آيات القُرْآن لم تنزل دفعة واحدة ، بل نزلت مُنَجَّمَة على مدار أكثر من عشرين عامًا ، فالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي نُزِّلَ عليه الذِّكرُ « لم يتربص بترتيب نجومه حتى كملت نزولا ، بل لم يتريث بتأليف سورة واحدة منه حتى تمت فصولا ، بل كان كلما ألقيت آية أو آيات أَمَرَ بوضعها من فوره في مكان مرتب من سورة معينة. على حين أن هذه الآيات والسور لم تتخذ في ورودها التنزيلي سبيلها الذي اتبعته في وضعها الترتيبي ؛ فكم من سورة نزلت جميعًا أو أشتاتًا في الفترات بين النجوم من سورة أخرى ، وكم من آية في السورة الواحدة تقدمت فيها نزولا وتأخرت ترتيبًا ، وكم من آية على عكس ذلك »[2] .

فإذا كانت جُلُّ آيات القُرْآن نزلت متفرقة خلال فترات طويلة ، ومع ذلك يثبت هذا العلم تناسبها وترابطها ، فهذا من أدل الأدلة على إعجاز القُرْآن ، وأنه ليس من صنع البشر ؛ إذ ليس في طوقهم فعل ذلك ، فمن المحال أن يقول أديب أو شاعر كلامًا في موضوع واحد على الأقل ثم بعد ذلك بأعوام أو أشهر أو بل حتى أيام فيقول كلاما آخر في نفس الموضوع ، ويجئ كلامُه في الموضعين مترابطًا متماسكًا على ماء واحد .

إن ترابط آيات القُرْآن والتوزيع الفوري لآياته عند نزولها على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدل على أن « هنالك خطة تفصيلية شاملة قَدْ رسمت فيها مواقع النجوم كلها من قبل نزولها ، بل من قبل أن تخلق أسبابها ، بل من قبل أن تبدأ الأطوار الممهدة لحدوث أسبابها ، وأن هذه الخطة التي رسمت على أدق الحدود والتفاصيل قَدْ أبرمت بآكد العزم والتصميم ، فما من نَجم وضع في سورة ما ثم جاوزها إلى غيرها ، وما من نجم جعل في مكان من السورة آخرا أو أولا ، ثم وجد

(١) السابق ، ١/ ٢٣٤ـ ٢٣٥

(٢) د. مُحَمَّد عبد الله دراز : النبأ العظيم ، ص١٢٥



عنه باد الدهر مصرفًا أو متحولا »[(١)] .

هذه الخطة المرسومة لم تجعل آيات القُرْآن « تنتسق » معانيها كما تنتسق الحجرات في البنيان ، بل أدت إلى أنها « تلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان ، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسها ، كما يلتقي العظمان عند المفصل ، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب ، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعضاء . ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين ، وتؤدي بمجموعها غرضًا خاصًا ، كما يأخذ الجسم قوامًا واحدًا ، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية »[(٢)] .

٦ ـ الأهمية السادسة لهذا العلم إنّ إبراز وجه المناسبات الدقيقة يُدخِلُ الطمأنينة إلى القلب ، وهذه الأهمية مترتبة على الأهميات السابقة ؛ إذ الفهم الدلالي لآي القُرْآن ، والوقوف على جوانب إعجازه يُؤدِّي إلى زيادة الإيمان وطمأنينة القلب.

تلك أَهَمِّيَّة هذا العلم[(٣)] ، ومن العجيب أنه على الرغم من فوائد هذا العلم وثماره التي ذكرناها إلا أنَّ المفسرين لا يَصدرون في استغلاله والاستفادة منه وإقرار أهميته عن قوس واحدةٍ ، وليسوا في بيان قدره لسانًا واحدًا بل منهم من أقره واستخدمه وهم كُثُر ، ومنهم من أنكره[(٤)] .

وممن أكثر من استغلاله الإمام الرَّازِيُّ ، وممن أنكره الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير[(٥)] .

وحجة بعض من أنكر هذا العلم من المفسرين الذين لم يستفيدوا به أنَّ القُرْآن

---

(١) السابق ، ص ١٢٦

(٢) السابق ، ص ١٣٠

(٣) بعد وقوفنا على أَهَمِّيَّة هذا العلم ومناقشة جوانب هذه الأهمية يمكن أن نضع ضمن الخطوات المَنْهَجِيَّة التي توصلنا إلى البَلاغَة القُرْآنِيَّة خطوةَ : بيان مناسبة الآية لما قبلها ولما بعدها ومناسبتها للسورة نفسها إلى آخره من هذه المناسبات .

(٤) عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب : مقال « برهان الدين البِقَاعِيّ ومنهجه في تفسيره » المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية) ، المجلد٦ ، ع٢ ، ١٤٢٦ ص٣١

(٥) فضل حسن عباس : إتقان البرهان في علوم القُرْآن ، ٢/ ٢٨٢

نزل مُفرَّقًا ومُنَجَّمًا في أزمنة متباعدة وموضوعات مختلفة . وَقَدْ ردَّ الإمام البِقَاعِيّ على هذا الزعم قائلا : « وفصلُ الخطاب أنها (الآيات والسور) على حسب الوقائع تنزيلا ، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا وتأصيلًا ، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أُنْزَلَ جُمْلَة إلى بيت العزة »[(١)] .

وفي العصر الحديث قام الأستاذ الدكتور عبد الله دراز في كتابه الماتع « النبأ العظيم » ـ وهو من المؤلفات القيمة التي ننصح باقتنائها وقراءتها في هذا الشأن ـ بالرد على هذه الحجة ردًّا رائعًا قائلًا : « وأَنَا لكَ زَعم بأَنَّكَ لن تجد البتة في نظام معانيها أو مبانيها ما تعرف به أكانت هذه السورة قَدْ نزلت في نَجْمٍ واحدٍ أم في نُجُوم شتَّى. ولسوف تحسب أن السبع الطول من سورة القُرْآن قَدْ نزلت كل واحدة منها دفعة ، حتى يحدثك التاريخ أنها كلها أو جلها قَدْ نزلت نجومًا. أو لتقولنَّ: إنَّها إنْ كانت بعد تنزيلها قَدْ جمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع ؛ كمثل بنيان كان قائمًا على قواعده فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه قدرت أبعاده ورقمت لبناته ، ثم فرق أنقاضًا فلم تلبث كل لبنة منه أن عرفت مكانها المرقوم ، وإذا البنيان قَدْ عاد مرصوصًا يشد بعضه بعضًا كهيئته أول مرة »[(٢)] .

فلا مجال إذن لإنكار أَهَمِّيَّة هذا العلم بعد البيان الشافي من الإمام البِقَاعِيّ والأستاذ عبد الله دراز . ونذكر هنا ما نقله الإمام الزمخشري عن هذا هذا العلم ، إذ ينقل عن بعض العلماء أن « القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض »[(٣)] .

وإذا أتينا إلى أهم المؤلفات التفسيرية التي اهتمت بعلم المُنَاسَبَة ذكرنا منها : « البرهان في مناسبة ترتيب سور القُرْآن » لأبي جعفر بن الزبير ، وكتاب « تناسق الدُّرَر في تناسب السور » للسيوطي ، ومنها كتاب « جواهر البيان في تناسب سور القُرْآن » لأبي الفضل عبد الله مُحَمَّد الصديق الغماري ، وكتاب « إمعان النظر في نظام الآي والسور » للدكتور مُحَمَّد عناية الله أسد[(٤)] .

---

(١) نظم الدُّرَر ، ١/ ٨

(٢) النبأ العظيم ، دار البيان ، القاهرة ، ط٢ ، (بدون تاريخ للطبعة) ، ص١٢٩

(٣) الكشاف ، ٤/ ٥٠٥

(٤) فضل حسن عباس : إتقان البرهان في علوم القُرْآن ، ٢/ ٢٨٣



ولا يخلو كتاب تفسير قديمًا وحديثًا من الإشارة إلى ربط الآيات بما قبلها وما بعدها ، بين متوسع في ذلك ومختصر .

ومن هؤلاء المفسرين : « مُحَمَّد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (٤٢٠هـ / ١٠٢٩م) في تفسيره « دُرَّة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز » ، والكرماني محمود بن حمزة (٥٠٥هـ / ١١١٠م) في تفسيره « غرائب التفسير وعجائب التأويل » ، وللكرماني أَيْضًا كتاب « البرهان في متشابه القُرْآن » ، والزمخشري (٥٣٨هـ / ١١٤٣هـ) في تفسيره « الكَشَّاف » ... والعلامة أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله المرسي (٦٥٥هـ / ١٢٥٧م) [في تفسيره] « رِيُّ الظمآن في تفسير القُرْآن » ، والإمام فخر الدين الرَّازِيُّ في تفسيره « مفاتيح الغيب » ، وأبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م) في تفسيره « مِلاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل » ، والإمام أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ / ١٣٤٤م) ، في تفسيره « البحر المحيط » ... ومن المتأخرين الذين ذكروا المناسبات بين الآيات وبين السور أبو السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد العمادي ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م) في تفسيره « إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم » والألوسي في تفسيره « روح المعاني في تفسير القُرْآن والسبع المثاني » »[(١)] .

ويشير الإمام البِقَاعِيّ في مقدمة تفسيره إلى تفسير « البرهان في علوم القُرْآن » لبدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله الزَّرْكَشِيّ المصري الشافعي ، حيث تحدَّثَ هذا التفسير ـ البرهان في علوم القُرْآن ـ تحت عنوان « مَعْرِفَةُ الْمُنَاسَبَاتِ بَيْنَ الْآيَاتِ» عن هذا العلم وفصل فيه بعض التفصيل[(٢)] .

بقي من أمر حديثنا عن علم المُنَاسَبَة أن نشير إلى أمرين :

- الأول : أن إيجاد الروابط بين الآيات من جهة وبين السور بعضها مع بعض من جهة أخرى أمر اجتهادي ، يفتح الله ما يشاء على من يشاء ، فهناك آيات لا تدرك مناسباتها لما قبلها وما بعدها بسهولة ويسر ، بل لا بد من التدبر ، وإعادة النظر

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب : مقال « برهان الدين البِقَاعِيّ ومنهجه في تفسيره » المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية) ، المجلد٦ ، ع٢ ، ١٤٢٦ ص٣٢، ٣٣

(٢) نظم الدُّرَر ، ١/ ٦



لإدراك هذه المناسبات ، فـ « الوصول إلى معرفة المناسبات ليس بسهل ، فربَّ آية أقام البِقَاعِيّ في تأملها أشهرًا لمعرفة المُنَاسَبَة فيها »[1] . وبناء على ذلك فقد يكون مجال هذه الإبانة مجالا للإبداع التفسيري ، وهذا الإبداع لكي يُؤتى أكله يحتاج إلى « بذل الجُهد في التتبع والاستقصاء اللغوي لدلالات الألفاظ القُرْآنِيَّة ، والإحاطة بأسباب النزول ، والتوسع في أفانين علم البَلاغَة والأساليب البيانية ، وفوق كل ذلك ينبغي أن يكون الباحث ذا تقوى عالية وحس مرهف ونفس شفافة وذكاء لَمَّاح ؛ ليدرك سر هذا الترتيب للآيات التي وضعت بجوار بعضها »[2] .

- الأمر الثاني : من السبل التي تُعين على الوقوف على مناسبات الآيات والسور ـ كما يقول الإمام البِقَاعِيّ ـ أن تنظر « **الغرض الذي سِيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات ، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البَلاغَة شفاء العليل ، ويدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها** »[3] ، ومع الآيات ينبغي أن « يبحث أول كل شيء عن كونها تكملة لما قبلها ، أو مستقلة ، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ، ففي ذلك علم جم »[4] . أي أن الإمام البِقَاعِيّ ـ ويتفق معه في هذا كثير من حُذَّاق هذا الفن ـ ينصح للباحث البَلاغِيّ الذي يبحث عن العلاقة بين الآيات ألا يُقصِرَ بحثه على الآيات محل الدراسة ، بل يجب أن يمتد بحثه إلى النظر في السورة كلها التي تتضمن الآيات بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها ، فلا غنى لتفهم نظم سورة عن استيفاء النظر في جميعها ؛ فمن الخطأ أن يغض الناظرون أبصارهم عن هذا النظام الكلي الذي

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب : مقال « برهان الدين البِقَاعِيّ ومنهجه في تفسيره » المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية) ، المجلد٦ ، ع٢ ، ١٤٢٦ ص ٣٨

(٢) السابق ، ص٣٥

(٣) نظم الدُّرَر ، ١/ ١٨

(٤) السابق ، ١/ ٨



وقعت عليه السورة في جملتها ؛ فبهذا النظر يقف على أروع نواحي النظم [(١)] .

بعد هذا التطواف في علم المُنَاسَبَة تعريفًا وبيان أَهَمِّيَّة نعود إلى مفسرنا البِقَاعِيّ ، وتفسيره نظم الدُّرَر ملخصين منهجه في هذا التفسير في نقاط محددة ، هي :

أ- بَيَّنَ مقصود السورة ؛ لأنه الباب لمعرفة تناسبها .

ب- طابق بين مدلول اسم السورة (أو أسمائها) ومضمونها ؛ لأن اسم السورة معبِّر عن مضمونها ومسمَّاها [(٢)] .

ت- فسر البسملة بما يناسب مقصود السورة .

ث- فسر الكَلِمَة لغويًّا بما لا يخرج عن مدلولها اللغوي .

ج- فسر الكَلِمَة القُرْآنِيَّة بكلمتين فأكثر ، بسبب أن الكَلِمَة الواحدة لا تقوم مقام كلمة من القُرْآن ، وهذا لأنه لا ترادف في القُرْآن عنده .

ح- التزم ذكر الروابط والتناسب بين أول السورة وآخرها .

خ- فسر الكَلِمَة حسب سوابق الكلام ولواحقه ، مع المحافظة على القانون اللغوي .

د- أضاف أنواعًا عديدة من الروابط بين الآيات والسور ، مما لم يذكره في المقدمة [(٣)] .

ولا شك في أن هذا التفسير سيفيدنا في بعض الخطوات المنهجية في الوصول للبلاغة القرآنية .

٣ـ تَفْسِيرا الكَشَّاف والظِّلال :

---

(١) د. مُحَمَّد عبد الله دراز : النبأ العظيم ، ص ١٣٣

(٢) قال الإمام البِقَاعي : « وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب ، أنَّ اسم السورة مترجِمٌ عن مقصودها ؛ لأن اسم كل شيء تظهر المُنَاسَبَة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه ، وذلك هو الذي أنبأ به آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ عند العرض على الملائكة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، ومقصود كل سورة هادٍ إلى تناسبها » . نظم الدُّرَر ، ١/ ١٨ ـ ١٩

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب : مقال « برهان الدين البِقَاعِيّ ومنهجه في تفسيره » المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية) ، المجلد٦ ، ع٢ ، ١٤٢٦ ص ٣٧



مما ننصح للباحث البَلاغِيّ أن يستعين به من التفاسير في مسعاه للوقوف على البَلاغَة القُرْآنِيَّة تفسير : « الكَشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل » ، للإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزَّمَخْشَرِيّ ، وتفسير « في ظلال القُرْآن » لسيد قطب .

وبعيدًا عن المآخذ العَقَدية والفكرية التي أخذها العلماء على هذين التفسيرين فإنهما يتمتعان بكثير من الميزات التي تساعدنا في الوقوف على بلاغة القُرْآن ، فهذا الجانب البَلاغِيّ هو مبتغانا وهدفنا ، نائين بأنفسنا عن اعتراضات العلماء عليهما عَقَدِيًّا وفكريًّا .

ونبدأ بالأقدم منهما تفسير الكَشَّاف ، ونقول إن ميزات هذا التفسير متعددة منها :

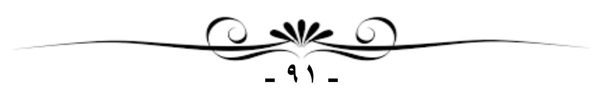
أ- أَنَّ الزَّمَخْشَرِيَّ في تفسيره الكَشَّاف يحتفي بالنحو والإعراب والاشتقاق والتصريف احتفاء كبيرًا ، وهذا الاهتمام بالنحو الذي أبداه الزَّمَخْشَرِيّ سيفيدنا في منهجنا للوقوف على البَلاغَة القُرْآنِيَّة ، فالنحو لبنة أساسية وركن ركين في هذا المَنْهَج . وعلى قدر الزَّمَخْشَرِيّ في علم النَّحْو يأتي قيمة هذا الجانب في تفسيره ، وهو في هذا العلم علم النَّحْو له القدح المعلى ، وهو في هذا العلم في أعلى مناط العقد ومناطَ الثريا ، قال عنه صاحب « إنباه الرواة على أنباه النُّحَاة » : « كان ـ رحمه الله ـ مِمَّن يُضْرَبُ به المثل في علم الأدب والنحو واللغة ...أعلم فضلاء العجم بالعربية في زمانه ، وأكثرهم أنسًا واطلاعًا على كتبها ، وبه خُتم فضلاؤهم »(١) . ومن مؤلفاته النَّحْوِيَّة : « النموذج ، المُفَصَّل ، الأمالي ، حاشية على المُفَصَّل ، شرح كتاب سيبويه ، نكت الأعراب في غريب الإعراب (في إعراب القُرْآن) ، صميم العَرَبِيَّة »(٢) .

ب- اهتمامه بالتطبيق العملي لنظرية النظم التي أبان عنها إمام البَلاغَة عبد القاهر الجرجاني ، وبثها في كتابيه : « دلائل الإعجاز » ، و« أسرار البَلاغَة » ، فالعلاقة وثيقة بين « الكَشَّاف » ونظرية « النظم » عند عبد القاهر ، فقد فسر الآيات القُرْآنِيَّة في ضوء هذه النظرية تفسيرًا رائعًا .وضَمَّنَ كتابه كثيرًا من التحليلات

---

(١) القِفطي ، ت: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١ ، (١٩٨٦م) ، ٣/ ٢٦٥ ، ٢٧٠

(٢) السابق ، ٣/ ٢٦٦، هامش ١



البَلاغِيَّة والنقدية ، تصلح هذه التحليلات لتكوين « كتاب على حدةٍ يكون هاديًا لمن يحبون أن يروا أحد العقول الكبيرة والأذواق المرهفة أثناء تحليله ما في النص القُرْآنِيّ من روعة وإبداع ، سواءً في اللفظ أو في التركيب ، إن الزَّمَخْشَرِيّ لا يكاد يترك عبارة قرآنية إلا وينبه على ما فيها من كنوز الدقائق البَلاغِيَّة »[(١)] . ونالت الألفاظ القُرْآنِيَّة نصيبها من هذا التَّحْلِيْل والتذوق حتى حروف الجر . يقول الزَّمَخْشَرِيّ في نهاية تفسيره للقرآن عن تفسيره أنه : « المُلَخِّصُ لِنُكَتِه ولطائف نظمه، المنَقِّر عن فقره وجواهر علمه ، المكتنز بالفوائد المفتنة التي لا توجد إلا فيه ، المحيط بما لا يكتنه من بدع ألفاظه ومعانيه، مع الإيجاز الحاذف للفضول، وتجنب المستكره المملول ، ولو لم يكن في مضمونه إلا إيراد كل شيء على قانونه، لكفى به ضالة ينشدها محققة الأخبار، وجوهرة يتمنى العثور عليها غاصة البحار »[(٢)] .

ومما تعلمه الإمام الزَّمَخْشَرِيّ من إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني عنايته باستحضار مسرح مُتَخَيَّل ومُتَصَوَّر يفسر في ضوئه الآية ، بحيث نشعر أننا أمام مشهد حي ينبض بالحياة ؛ يدفعنا إلى التفاعل مع الآية وبلاغتها . مثال ذلك :

أ- ما نقرؤه عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ الشعراء: ١٠ – ١١ ، حيث يُوَجِّهُ الإمام الزَّمَخْشَرِيّ العناية في هذه الآية إلى أنَّه توجد قراءة لقوله ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ بالتاء « ألا تَتَّقُون » ، ولكي يُفَسِّر هذه القِرَاءَة قال الآتي : « ... وأمّا من قرأ : « أَلَا تَتَّقُون » على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم ، وَجَبْهِهِم وضربِ وجوههم بالإنكار والغضبِ عليهم ، **كما ترى من يشكُو من رَكبَ جِنايةً إلى بعض أخصَّائه ـ والجاني حاضر ـ فإذا اندفعَ في الشكاية ، وحَرَّ مزاجُه ، وحَمِيَ غضبه قطع مُبَاتَّةَ صاحبه ، وأقبل على الجاني يُوَبِّخُه ، ويعنف به ، ويقول له : ألم تتق الله؟ ألم تستحي من الناس ؟** »[(٣)] .

---

(١) د. إبراهيم عوض : دراسات في مناهج التفسير ومذاهبه ، ص ١٧٢

(٢) الكشاف : ٤/ ٦٥٨

(٣) الكشاف ، ٤/ ٣٧٩ (طبعة مكتبة العبيكان ، ط١ ، ١٩٩٨م) .



ب- ونقرأ عند تفسير قوله تعالى ﴿يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ المعارج: ١١ ، « فإن قلت : ما موقع يبصرونهم؟ قلت: هو كلام مستأنف، كأنه لما قال « وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا » قيل: لعله لا يبصره ، فقيل: يبصرونهم ، ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم »[(١)] .

ولعلنا نتعلم من كلام هذا الإمام الجليل أننا يمكن أن نتعلم خلق هذا المسرح اللغوي مع **كل التفات يقابلنا في القُرْآن** .

وثاني هذين التفسيرين « الظلال » ، وَقَدْ جمع كثيرًا من المحاسن الأدبية ، ومنها[(٢)] :

١ـ اهتمام صاحب الظلال بالتذوق الأدبي للنص القُرْآنِيّ اهتمامًا شديدًا ، فهو يستعينُ كثيرًا بألفاظ يُبرزُ بها جمال العبارة القُرْآنِيَّة ، مثل : « الظِّلال ، والأضواء ، والإيقاع ، والتناسق الفني ، والتقابل التصويري ، والإيحاء ، وجرس الألفاظ » وهذا التذوق الأدبي للنص القُرْآنِيّ يخدمنا في وجهتنا التي نُولِّيها للبلاغة القُرْآنِيَّة وَقَدْ سَبَقَتْ سطورٌ أثبتنا فيها أَهَمِّيَّة هذا التذوق في هذا الأمر.

٢ـ اهتمامه بالعثور على الخيط الذي يربط آياتها كلها بعضها ببعض ، وهو ما يسمِّيه صاحب الظلال « المحور » الذي تدور عليه آيات السورة ، وموضوعاتها ، ويجعل منها وحدة فكرية ونفسية معًا ، لقد كان من منهج صاحب الظلال أَنَّهُ يَمُدُّ يده في أعماق السورة محاولًا أن يستخرج سِرَّها المكنون الذي يُؤَلِّفُ بين آياتها ، رغم ما يبدو للنظرة العجلى من تَفككها ، وبعد أن يستعرض موضوعات السورة المختلفة مبرزًا بعض ما فيها من أسرار الجمال إبرازًا سريعًا ، يقسمها أجزاءً مسمِّيًا كل جزء منها « حلقة أو شوطًا أو جولة أو درسًا » ، وواقِفًا عند كل حلقة يطيل التأمُّل فيها ، ويستبطن معانيها ، ويتذوق حلاوتها آية آية وكلمة كلمة ، رابطًا بين الكلمات في الآيات ، والآيات في الحلقات ؛ حتى لتبدو السورة عنده في النهاية بناء فكريًّا وفنيًّا صُلبًا ليس فيه خلل[(٣)] . وهو بذلك يساهم في

(١) الزَّمَخْشَرِيّ : الكَشَّاف ، ٤/ ٤٦٣

(٢) د. إبراهيم عوض : دراسات في مناهج التفسير ومذاهبه ، ص ٢٥٠ ، وما بعدها .

(٣) السابق ، ص ٢٥٢



إبراز « المُناسَبَة والتناسب بين الآيات » ، ويلتقي بشكل كبير مع الإمام البِقَاعِي في تفسيره « نظم الدُّرَر » .

٣ـ اهتمام صاحب الظلال بالصورة القُرْآنِيَّة والتناسُق الفني والجرس الصوتي ، فقد نالت هذه الجوانب عناية منه ، ففي جانب الصورة القُرْآنِيَّة اهتمَّ بها تحليلا وتبيين قوة أثرها في تحويل الفكرة المعنوية إلى مشهد حِسِّي واضح الخطوط عنيف الألوان ، وفي جانب التناسق الفني اهتمَّ كاتبُنا بهذا التناسُق ، وحرص على بيانه بين أجزاء السورة كلها ، وفي تذوقه الأدبي للنص القُرْآنِيّ الكريم يقف مفسرنا المتميز بوجه خاص عند جَرْس الحروف والكلمات وأثر الحركات والسكنات والمدات على المشاعر . فمثلا يقول صاحبُ الظلال في قوله تعالى ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾ الشعراء: ٩٤: « وإنَّنا لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تَدَفُّعهم وتَكَفُّئهم وتساقُطهم بلا عناية ولا نظام ، وصوت الكركبة الناشِئ من الكبكبة ، كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف ، فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه »[1] .

بهذه الكلمات ينتهي حديثنا عن مؤهلات الباحث البلاغي ، وننتقل إلى الكلام عن الفصل الآتي .

---

(١) الظلال ، دار الشروق ، القاهرة ، ط٣٢ ، (٢٠٠٣م) ، ١٩/ ٢٦٠٥







الفصل الثاني

تعريفات البلاغة

كمصدر للخُطُوَات المَنْهَجِيَّة للوقوف على البلاغة القرآنية

- **التعريف الأول : تعريف صُحار بن عَيَّاش (٤٠ هـ).**
- **التعريف الثاني : تعريف الآمدي (٣٧٠هـ).**
- **التعريف الثالث : تعريف علي بن عيسى الرماني (٣٨٦هـ).**
- **التعريف الرابع : تعريف الفصل والوصل .**
- **التعريف الخامس : تعريف السَّكَّاكِيّ (٦٢٦هـ).**
- **التعريف السادس : تعريف القزويني (٧٣٩هـ).**
  - **نظرية النظم .**
  - **الخُطُوَات المَنْهَجِيَّة .**







الفَصْلُ الثَّاني
تعريفات البلاغة
كمصدر رئيس للخُطُوَات المَنْهَجِيَّة للوقوف على البلاغة القُرآنية

ذكرنا في المقدمة أنَّ الهدف الأساسيَّ لهذا الكتاب تقديمُ خُطُوَات مَنْهَجِيَّة منظمة للوقوف على بلاغة القُرْآن ، وحتى تسير فصول الكتاب بمنطقية وترابط خصَّصْنا الفصلَ الأوَّلَ للحديثِ عن مُؤَهِّلاتِ الباحث الذي يريد أن يقف على بلاغة القُرْآن ، وأهم الأدوات التي يحتاجها ليتمكَّنَ من هذا الوقوف .

ونأتي هنا إلى الجزء الرئيسي من هذا الكتاب ، وهو بيان الخطوات المَنْهَجِيَّة التي تأخذ بأيدينا للوقوف على البلاغة القُرْآنِيَّة .

وسيكون أول ما يقابلنا لإنجاز هذا الأمر السؤال الآتي : هل ثَمَّة أبواب إذا طرقناها ، أو سُبُلٌ إذا سلكناها ، أو طُرُقٌ نَهْجَةٌ إذا مشينا فيها فُرِقَ لنا عن بعض هذه الخُطُوَات المَنْهَجِيَّة التي تُفضي بنا إلى البلاغة القُرْآنِيَّة ؟

والإجابة نعم ، يوجد مَعِينٌ ثَرٌّ ، وسبيلٌ مُعَبَّدَةٌ ، وطريق نَهْجَةٌ تمدنا بهذه الخُطُوَات ، ذلك المَعِين وتلكم السبيل وهذه الطريق هي « التعريفات » التي قدمها علماء البَلاغَة لهذا العلم ، فهذه التعريفات مصدرٌ رئيس لكثير من الخُطُوَات التي نرجوها للوقوف على البَلاغَة القُرْآنِيَّة ، فإليها سنلتجئ وعليها سنتكئ في معظم خُطُوَات هذا المَنْهَج .

وفي واقع الأمر لا تحقق لنا التعريفات التي قدمها علماء البَلاغَة مبتغانا بوضع

أيدينا على خُطُوَات منظمة للوصول إلى البَلاغَة القُرْآنِيَّة فقط ـ بل هي في نفس الوقت تقدم لنا بداية منطقية نبدأ بها هذا الفصل من هذا الكتاب ، وتعطينا صورة عن البَلاغَة نفسها . أي أننا بدراستنا لتعريفات البَلاغَة نحقق هدفين :

⇦ الأول تقديم تعريف للبلاغة نفسها ، وهو هدف مهم في حد ذاته في بداية هذا الفصل ؛ لأننا إذا كان هدفنا الذي نهدُفُ إليه ونسعى من أجله تقديمَ خُطُوَات مَنْهَجِيَّة منظمة للوقوف على بلاغة القُرْآن ، فهذا يقتضي مِنَّا أولا أن « نُعَرِّفَ » مصطلح « البلاغة» ونبيِّنَ ماهِيَّتَها وكُنهَها وإلَّا كيف يستقيمُ أنْ نُقدِّمَ خُطُوَات مَنْهَجِيَّة لشيء غير محددٍ ولا معلوم؟ فحتى يقوم الكلامُ على ساقٍ صحيحةٍ لا بُدَّ أولًا من « تعريف البَلاغَة » تعريفًا شاملًا قدرَ الطاقة .

⇦ الثاني استخلاص الخُطُوَات المبتغاة للوقوف على البَلاغَة القُرْآنِيَّة .

وقبل أن أَبدأَ بتقديم هذا التعريفات أحبُّ أنْ أشيرَ إلى نقطتين :

- الأولى : أنَّ التعريفات التي قيلت في تعريف البَلاغَة كثيرة ومتنوعة ، وفيما أعتقد أنَّ كثرةَ هذه التعريفات ناجمٌ عن تعدُّدِ جوانب البَلاغَة ، وأَنَّ كل تعريفٍ نظر إلى البَلاغَة من زاويةٍ تختلف قليلًا أو كثيرًا عن الزاوية التي نظر من خلالها تعريفٌ آخر ، وأظنُّ أنَّ اختلافَ هذه التعريفات هو من باب اختلاف « التنوُّع » وليس من باب اختلاف « التضاد » ، فكل تعريف أصاب حقيقة البَلاغَة بوجه من الوجوه . بناءً على ذلك لا نستطيع أنْ نقولَ إنَّ هناك تعريفًا خطأ وتعريفًا صحيحًا ، فكل التعريفات صحيحة بدرجة ما ، ومن وجه ما ؛ وهذا ما دعانا أن نذكر عدة تعريفات لنغطي قدر المستطاع الجوانب المختلفة لمصطلح البَلاغَة ، وبالتالي استخلاص أكبر قدر ممكن من الخُطُوَات المَنْهَجِيَّة .
- الثانية : في نهاية كل تعريف سنحاول أن نضع تعليقًا على هذا التعريف ونختتمه بالخطوة أو الخُطُوَات المَنْهَجِيَّة التي يمكن استخلاصها منه .

*****



تعريف البَلاغَة لغة :

أصل مادة كلمة « البَلاغَة » تدور حول « **وصول الشيء إلى غايته ونهايته ، أو إيصال الشيء إلى غايته ونهايته** » :

- قال ابن فارس : « البَاءُ وَاللَّامُ وَالْغَينُ أَصْلٌ وَاحِدٌ ، وَهُو الْوُصُولُ إِلَى الشَّيْءِ تَقُولُ : بَلَغْتُ الْمَكَانَ ، إِذَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ »(١) .
- وفي تاج العروس : « بَلَغَ المَكَانَ، بُلُوغًا ـ بالضَّمِّ ـ وَصَلَ إليْهِ وانْتَهَى »(٢) .

تعريف البَلاغَة اصطلاحًا :

١ ـ ***التَّعْرِيفُ الأول: تَعْرِيفُ صُحار بن عَيَّاش (ت : ٤٠هـ)*** :

لعل أوَّلَ ما تردد من معنى البَلاغَة ما ورد في الحوار الذي نقله الجاحظُ (ت : ٢٥٥هـ) بين معاوية بن أبي سفيان وصُحَار بن عَيَّاش العبديِّ (ت: ٤٠هـ) ، إذ قال مُعاوية لصُحار : « ما تَعُدُّونَ البَلاغَة فيكم ؟ قال : الإيجاز . قال معاوية : وما الإيجاز ؟ قال صُحارُ : أنْ تُجِيبَ فلا تُبطِئُ ، وتقولُ فلا تُخطِئُ »(٣) .

في هذا الحوار سأل معاويةُ صُحارًا : « ما البلاغة؟ » ؛ فكانت إجابة صحار أنها تتلخص في « الإيجاز » ، وعندما استوضح معاوية صُحارًا ماذا يقصد بالإيجاز أجاب « أن تُجيبَ فلا تبطئ ، و تقول فلا تُخطئ » .

* **التعليق على هذا التعريف** :

إذا تأملنا إجابة صحار هذه ، وجدنا أنها تَرُدُّ البَلاغَة إلى أمرين متصلين :

- أمر يتعلق بالقائل .
- وأمر يتعلق بالمقول .

ما يتعلق بالقائل « **أنْ يُجيبَ فلا يُبطئ** » يدل على أنَّ القائلَ يجب أن يفهمَ ما

(١) مقاييس اللغَة ، ١/ ٣٠١

(٢) الزَّبيدي ، ٢٢/ ٤٤٤

(٣) البيان والتبيين ، ت : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٧ ، (١٩٩٨م) ، ١/ ٩٦ ، وينظر أَيْضًا : د. أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البَلاغَة وتطورها ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (١٩٨٣م) ، ١/ ٤٠٢



يسمع ، وأنْ يملك من ناصية اللغَة ، ومن المهارات العقلية واللسانية ما يُسعفه على الردِّ السريع ، وهذا ما لا يستطيعه أيُّ أحدٍ بسهولة ، إلا إذا كان مُؤهَّلا ، ولديه الملكة والحس اللغوي والذوق الأدبي[(١)] .

أما الشق الثاني من الإجابة « **أن تقول فلا تُخطئ** » فهو أهمُّ الشقَّينِ ، ويشير إلى أنَّ جانبًا من البَلاغَة هو « ألَّا تُخطئ في القول » ، والخطأ الذي يمكن أن يقع في القول قَدْ يكون في واحد مما يأتي أو فيها جميعها :

- تركيب الجُمْلَة ، بأن تأتي على غير قواعد النَّحْو .
- عدم الدقة في اختيار الألفاظ المُناسبَة للتركيب النحوي .
- ألا يتطابق الكلام مع السِّيَاق الذي يُقالُ فيه .

بناء على هذا التعريف فإنَّ الكلام يكون بليغًا إذا كان خاليًا من « **الخطأ** » ، بأن تكون جُمَلُهُ موافقةً لقواعد النَّحْو ، أو لقواعد اللغة ، غير خارجة عليها ، وأن تكون ألفاظ هذه الجمل دقيقة مفهومة للسامع والمخاطب ، وأن يتطابق الكلام مع السِّيَاق الذي يقالُ فيه ، لا يطولُ ولا يقصُر .

وشعور السامع أن المتكلم قَدْ « أخطأ » يعني أن هناك « نظامًا لُغويًّا » مركوزًا في أذهان أبناء اللغَة ، نظامٌ يتكون من أنماطٍ تركيبية نمت في الأذهان بفعل الاستماع المتكرر للأنشطة الكلامية بين أبناء هذه اللغَة ، هذه الأنماط التركيبية المترسبة من هذه الأنشطة سمحت ـ على الرغم مما فيها من تنويعات تركيبية مقبولة ـ بمعرفة « خطأ » المتكلم عندما خرج عليها ، وعدم التأثر بَلاغِيًّا بما يقول . **ويدل هذا الكلام على أن الوقوف على هذه الأنماط وسيلة مهمة للوصول إلى بلاغة المتكلم .**

* **الخُطُوَات المَنهَجِيَّة البَلاغيَة المُستخلَصَة من هذا التعريف** :

(١) ولعل هذا الأمر ـ امتلاك ناصية اللغة ـ يرتبط بشكل ما بما يسمى بـ « السجِيَّة » في التعريف الذي نقله أبو حيان التوحِيدي (ت ٤٠٠هـ) في كتابه « البصائر والذخائر » ١/٢٢٨ ـ ٢٢٩ للبلاغة : « وقِيل لسَهل بن هارون : ما البلاغة ؟ فقال : الكلامُ المُتَحدِّرُ عن الغَريزَة على رسل ، تَحَدُّرَ الدُّرُّ أَسْلَمَتْه كفُّ جارية إلى جحرها ، لا يُحْمَلُ فيه اللسانُ على غير مَذْهَب السجية ؛ فيظهر فيه قُبحُ التكلف » .



مما نَسْتَخلِصُه من هذا التعريف :

أ- أن إحدى خُطُوَات الوقوف على بلاغة « الكلام » تحليله نَحْوِيًّا للوقوف على صحته ، بأن نوضح الجُمْلَة أو الجمل المكونة له ، من حيث اسميتها أو فعليتها ، ومن حيث أركانها ومتعلقاتها ، ومن حيث العناصر الإسنادية وغير الإسنادية ، ومن حيث طولها وقصرها ، وما حذف منها وما لم يحذف. وهذا يستلزم بالضرورة أن يكون بين أيدينا « عيارٌ » أو « مقياس » نقيس إليه صحة الكلام نَحْوِيًّا ، ويبين لنا الأنماط التركيبية الأساسية التي يتيحها النظام اللغوي ، والحدود والتنويعات التي يسمح بها هذا النظام ؛ ومن خلال ذلك يتضح: هل اتفق هذا الكلام ـ أو بتعبير أدق جُمَل هذا الكلام ـ مع هذا المعيار أم خالفته ؟ وهل المخالفة في « حدود » ما يسمح به هذا المعيار ؟ أم أن المخالفة تجاوزت الحدود التي وضعها هذا المعيار بالكلية ؟

ب- نستخلص أَيْضًا أن عملية « الفهم » تلعب دورًا في التصور البَلاغِيّ ، فالفهم يضمن « سرعة » الرد ، وعدم الوقوع في الخطأ . ويجب أن يكون الفهم من جانب السامع (أو القارئ) أَيْضًا ، فكيف يتفاعل السامع بَلاغِيًّا مع كلام لا يفهمه . ومن نافلة القول وبداهة العقول أن فهم الكلام حقَّ الفهم لا بد أن يكون على مستويات :

- فهم معاني الألفاظ معجميًّا وسياقيًّا .
- فهم التركيب النحوي الذي سُلِكَت فيه هذه الألفاظ ، وفهم الوظائف النحوية التي تكوَّن منها .
- فهم مناسبة الكلام للسياق الذي قيل فيه .

****

٢ ـ ***التَّعْرِيفُ الثاني : تَعْرِيفُ الآمِدِيِّ (ت : ٣٧٠هـ)*** :

ذكر الآمِدِيُّ في كتابه « الموازنة بين أبي تمام والبُحتريّ » تعريفًا للبلاغة فقال : « وَالبَلاغَة إنَّما هي إصابة المعنى ، وإدراك الغرض ، بألفاظ سَهْلة عذْبة مستعملة سليمة من التكلُّف كافية ، لا تبلغُ الهَذَر الزائد على قدر الحاجة ، ولا تنقصُ نقصانًا يقف دون الغاية ... فإن اتفق ـ مع هذا ـ معنى لطيف ، أو حكمة غريبة ، أو أدب حسن ؛ فذلك زائد في بهاء الكلام ، وإن لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه ، واستغنى عما

سواه »(١) .

* **التعليق على هذا التعريف** :

بتحليل تعريف الآمِدِيّ للبلاغة نجد أننا أمام جُمْلَة من العناصر تقوم عليها البَلاغَة عنده ، بعض هذه العناصر « أساسيٌّ » ، وبعضها « ثانويٌّ » . وتتمثَّل العناصر الأَسَاسِيَّة التي تقوم عليها البَلاغَة عنده في :

١ ـ إصابة المعنى .

٢ ـ إدراك الغرض .

٣ ـ استخدام ألفاظ سهلة ، عذبة ، مستعملة ، سليمة من التكلف ، كافية .

٤ ـ التعبير بالألفاظ على قدر المعنى المطلوب التعبير عنه بلا زيادة أو نقصان .

وإذا فصَّلْنا القول في هذه المجموعة قلنا : إنَّ « إصابة المعنى » يُقصَدُ بها أنْ يُعبر المتكلم عن مراده بشكل صائب وصحيح ، و « وإدراك الغرض » ؛ أي : يحقق الغرض من كلامه الذي ساقه إليه . وإصابة المعنى وإدراك الغرض يستلزمان الصحةَ النَّحْوِيَّة للكلام ، واختيار تركيب الجُمْلَة الأمثل المعبر عن المقام ، واختيار الألفاظ المعبرة عن المعنى المقصود ، وفهم تام لأبعاد السِّيَاق أو المقام الذي يُلقَى فيه الكلام ، فلا يُتَصور إصابة للمعنى ولا إدراك للغرض بدون فهم القائل للسياق ، ولا يتصور تأثر السامع بما يقال بدون فهم هذا السِّيَاق وملابساته .

وقد يساعد في إصابة المعنى استخدام صور بيانية (تشبيه أو استعارة أو مجاز ...) أو محسنًا بديعيًّا ما .

ويشترط الآمِدِيُّ في الألفاظ أن تكونَ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف. والتَّكَلُّفُ ـ كمصطلح بَلاغِيّ ـ يقصد به « الابتعاد عن الطبيعي في الأسلوب أو في التعبير عن المشاعر ، أو هو التضحية بالتعبير الطبيعي في سبيل المُبَالَغَة في استعمال الألفاظ »(٢) . ويشترط الآمِدِيُّ أَيْضًا أن تكونَ الألفاظُ على قدر المعنى ، لا تكون هَذَرًا ؛ أي : لا تكون زائدة ، لا يُعبَأُ بها ، ولا تَنقُصُ نقصانًا يقف دون الغاية . ويمكن أن نضع معيارًا لـ « الهَذَر » من الكلام ، وهو : أن الهذر ما

(١) ت: السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، (بدون تاريخ للطبعة) ، ١/ ٤٢٤

(٢) مجدي وهبة ، كامل المهندس : معجم المصطلحات العَرَبِيَّة في اللغَة والأدب ، ص١١٨

يمكن حذفه والاستغناء عنه ، ولا يتأثر المعنى البَلاغِيّ بهذا الحذف .

وتتمثَّلُ الأمور « الثانوية » في تعريف الآمِدِيّ :

أ- معنى لطيف .
ب- حكمة غريبة .
ت- أدب حسنٌ .

والمجموعة الثانية عند الآمِدِيّ وظيفتها أنها تُزيدُ « بهاءَ الكلامِ » ، ولكنها لا تؤثر في الماهية البَلاغِيَّة للكلام ، فالمهم عنده تحقق المجموعة الأولى .

* **الخُطُوَات المَنهَجيَّة البَلاغيَّة المُستخلَصَة من هذا التعريف** :

طبقًا لهذا التعريف فإن الخُطُوَات المَنْهَجِيَّة التي يمكن خلالها أن نصل إلى بلاغة القُرْآن :

أ- أهمية التَّحْلِيْل النحوي للجمل المكونة للكلام .
ب- تحديد السِّيَاق والمقام الذي قيل فيه الكلام .
ت- بيان دقة التركيب ودقة الألفاظ المستخدمة فيه للموقف والسياق .
ث- تحديد درجة الألفاظ من حيث العذوبة والاستعمال والسلامة من التكلف [(١)] .
ج- تحديد المعاني اللطيفة والحكمة الغريبة والآداب الحسنة .
ح- التحقق من مدى إصابة الكلام للمراد ، وإدراك الغرض الذي من أجله صيغ الكلام .
خ- بيان أنَّ الألفاظ على قدر المعنى .

****

٣ ـ التَّعْرِيفُ الثالث : تَعْرِيفُ عليّ بن عيسى الرُّمَّانِيّ (٣٨٦هـ):

قال عليُّ بن عيسى الرُّمَّانِيّ (ت: ٣٨٦هـ) : « البَلاغَة إيصال المعنى إلى القلب في أحسنِ صورة من اللفظ »[(٢)] .

ورد هذا التعريف للرُّمَّانِيّ المُعتزلي في بداية رسالته « النكت في إعجاز القُرْآن »

---

(١) مما نوجه العناية إليه أن هذا الشرط ليس مطردًا ، بمعنى أن غرابة اللفظ وشدة أصواته قَدْ تكون مطلوبة أحيانًا في الآية القُرْآنِيَّة ، خذ على سبيل المثال كلمتي « ضيزى » و « إدًّا » ، حيث نجد أن المعطيات الصوتية لهذين اللفظين وغرابتهما تناسبان السِّيَاق الذي وردت فيه .

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القُرْآن ، ت : مُحَمَّد خلف الله أحمد ، مُحَمَّد زغلول سَلَّام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، (بدون تاريخ للطبعة) ، ٧٥، ٧٦



* **التعليق على هذا التعريف** :
يسترعي الانتباه في تعريف الرُّمَّانيّ أن تعريفه للبلاغة يتكون من شِقَّيْنِ : الأول : « إيصال المعنى إلى القلب » ، والثاني : « في أحسن صورة من اللفظ » ، فالبلاغة عنده تتوقف على هذين الشقين .

ونتساءل : ما الأداة الرئيسية التي من خلالها يتم إيصال المعنى ؟ والإجابة : الأداة بلا شك هي « اللغَة » ، وحتى يكون « إيصال المعنى » ناجحًا لا بد أنْ تكون وسيلة الإيصال (اللغَة) سليمة ؛ أي : صحيحة نَحْوِيًّا ولُغويًّا . واستخدام الرُّمَّانيّ لكلمة « القلب » في تعريفه يشير إلى الجانب الأدبي والانفعالي والوجداني في هذه اللغَة ، فهي تُخَاطِبُ « القلب » و « العقل » ، وَقَدْ يكون مما يثير هذا الانفعال والوجدان ما تشتمل عليه هذه اللغَة من صور بيانية تثير القلب بروعتها وجدتها .

ومما يتضمنه ويستلزمه إيصال المعنى إلى القلب والتفاعل معه وجدانيًّا أن يعبر عن « المقام » الذي قيل فيه و « يتطابق » معه ؛ لأن هذا أدعى إلى الفهم ، والفهم العقلي يؤدي إلى الامتاع الوجداني ؛ إذ كيف يتفاعل القلب مع شيء لا يفهمه العقل ؟

ونقف أمام الشق الثاني من تعريفه للبلاغة « ... **في أحسن صورة من اللفظ** » ، وهذه العبارة مهمة تثير عند تأملها عددًا من المعاني :

الأول : في هذه العبارة يشير الرُّمَّانيُّ إلى أَنَّ جانبًا من البَلاغَة يتوقف على « اللفظ » ، وما يفهمه القارئ من هذه العبارة أن دلالة اللفظ على المعنى تأخذ عدة درجات ، منها درجة أن يعبر اللفظ عن المعنى ويكون اللفظ « غثٌّ ومستكره ونافر ومتكلف » ، ومنها درجة يعبر فيها اللفظ عن المعنى ويكون اللفظ « غير غثٍّ ولامستكره ولانافر ولامتكلف » ، وهذه الدرجة التي يكون فيها الكلام غير غثٍّ ولامستكره ولانافر ولامتكلف درجات ، منها الحسن ومنها الأحسن . ويرشدنا تعريف الرُّمَّانيّ أن الاختيار البَلاغِيّ يكون من الدرجة التي تحوي الحسن والأحسن واستخدام الرُّمَّانيّ لاسم التفضيل « **أحسن** » في تعريفه يشير إلى هذه « الدَّرَجِيَّة » إن صح التعبير .

ويؤيد صحة فهمنا لما قلناه السِّيَاق الذي ورد فيه تعريف الرُّمَّانيّ للبلاغة ، إذ يقول قبل ذكر تعريفه : « وليست البَلاغَة إفهام المعنى ؛ لأنه قَدْ يُفْهِمُ المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عيي ؛ ولا البَلاغَة أَيْضًا بتحقيق اللفظ على المعنى ؛ لأنه قَدْ

يحقق اللفظ على المعنى وهو غثٌّ مستكره ونافر متكلف ، وإنما البَلاغَة ... »[1] .

الثاني : عبارة الرُّمَّانيّ « أحسن صورةٍ من اللفظ » **عبارة شاملة وعامة** ، فالأديب البليغ الذي يختار ألفاظه من مستوى الألفاظ غير الغثة ولا المستكرهة يحقق « أحسن صورة من اللفظ » بأشكال متعددة وبطرق مختلفة :

- ✓ فقد تكون أحسن صورة من اللفظ متمثلة في اختيار أدق لفظ من ألفاظ المجال الدلالي الذي يمكن أن تحل ألفاظه محل اللفظة الموجودة في الآية ، ويقتضي فهمنا لـ« الدَّرجِيَّة » التي أشرنا إليها أن نحاول عند التَّحْلِيْل البَلاغِيّ للقرآن أن نجمع كل الألفاظ التي يمكن أن تحل نظريًّا محل اللفظ المستخدم في التعبير القُرْآنِيّ ، ونعقد مقارنةً بين اللفظ الذي اختاره القُرْآن ، والألفاظ التي لم يستخدمها ، وأعتقد أن هذه المقارنة ستكشف أسرارًا وفوائد بَلاغِيَّة كثيرة [2] .
- ✓ وقد تكون أحسن صورة من اللفظ في هذا المستوى متمثلة في معنى اللفظ أو معانيه ، و« مواءمة » هذا المعنى أو تلك المعاني للسياق الذي تقال فيه .

وأقصد هنا أن الآية القُرْآنِيَّة يكون أمامها بَدَائِل من ألفاظ متعددة ، بعضها له معنى واحد والآخر له أكثر من معنى ، أو يحتمل أكثر من معنى ؛ فتختار الآية اللفظة التي تتحمل أكثر من معنى التي تتوافق مع السياق .

وقد أشار العلماء إلى أنَّ أهم ما تتميز به اللفظة القُرْآنِيَّة ، أنها « تنطوي على دلالات متعددة ؛ تستجيب للظروف كلها وأحوال الناس كلهم ، طالما كانت الكَلِمَة تتعلق بمعنى يختلف من عصر إلى عصر آخر ، أو من جماعة إلى أخرى . ومكان الغرابة والعجب في هذه الكلمات أن دلالاتها لا تتناقض رغم اختلافها ، ولا يَنِدُّ شيء منها عن قواعد اللغَة ومقتضياتها . والتقاط مثل هذه الكلمات من اللغَة يتوقف على جهد لا ترتقي إليه طاقة بشر ، مهما أوتي من قوة الحفظ أو خارق الفصاحة والبيان »[3] .

---

(١) السابق ، ص٧٥

(٢) وهذا ما يمكن أن تخدمنا فيه نظرية الحقول الدلالية ، ونظرية التحليل التكويني كما أشرنا من قبل في الفصل الأول .

(٣) د. مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي : الكَلِمَة القُرْآنِيَّة وسر الإعجاز فيها ، مجلة العربي الكويتية ، ع ١٤٤ ، (١٩٧٠م) ، ص ٢٣



وكمثال على هذا الثراء الدلالي للفظة القُرْآنِيَّة قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ التوبة: ٤١ ، حيث نجد المفسرين يُعددون معاني قوله « خِفافًا وثقالًا » ؛ فيقولون : « خِفافًا في النفور ؛ لنشاطكم له ، وثِقالًا عنه ؛ لمشقته عليكم ، أو خِفافًا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها ، خِفافًا من السلاح وثقالا منه ، أو رُكبانًا ومشاة ، أو شبابًا وشيوخًا ، أو مهازيل وسمانًا ، أو صحاحًا ومراضًا »(١) .

- ✓ وقد تكون أحسن صورة من اللفظ متمثلة في الناحية الصَّرْفِيَّة ، بمعنى أن تكون هناك حرية اختيار من بين عدة أوزان صَرْفِيَّة ، فيتم اختيار وزن معين ويستبعد الآخر ، فمثلا في قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ الملك: ١ ، اختارت الآية الوزن الصَّرْفِيّ « فَعِيل » ـ أحد أوزان الصِّفَة الُمشَبَّهَة ـ لتضع فيه لفظة « قَدِيْر » من دون بقية أوزان الصِّفَة الُمشَبَّهَة: « فَعْل فَعَل ، فَعِل ، فُعْل ، فُعُل ، فُعَل ، فَعَال ، فُعَال ، فَعُول ، فَعْلان ، فُعْلان ، وأَفْعَل الذي مؤنثه فَعْلاء » ، ولا بد أن وراء هذا سِرًّا قرآنيًّا بَلاغِيًّا .
- ✓ وقد تكون أحسن صورة من اللفظ من ناحية « الصوت » (أو بالمصطلح البَلاغِيّ : السهولة) ، بمعنى أن اختيار لفظة معينة هو الأنسب صوتيًّا للسياق وهو الأنسب للكلمات المجاورة لها ، فمثلا في قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴾ مريم: ٨٩ ، لماذا اختارت الآية لفظة « إدّ » من بين ألفاظ المجال الدلالي الدال على « الاستقباح » : « إدّ ، بَشِع ، شَنيع ، فظيع ، كريه ،مُستقبح مُستنكَر ، مستهجن ، ممجوج ، مُنكر ، نُكْر »(٢) ؟ لابد أن تكون الإجابة ـ أو بعض منها على الأقل ـ أنها الأنسب صوتيًّا ومعنويًا لسياق الآيات .
- ✓ وقد تكون أحسن صورة من اللفظ من ناحية اختيار الاسم المشتق من دون الفعل ، ففي قَوْله تَعَالَى : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ غافر: ٣ ، اختارت الآية لفظة « غافر » دون لفظة « يغفر » .
- ✓ وقد تكون أحسن صورة من اللفظ من ناحية اختيار « الاسم الظاهر » بدلا من

---

(١) الزَّمَخْشَرِيّ : الكَشَّاف ، ٢/ ٣٠٠ـ ٣٠١

(٢) د. أحمد مختار عمر : المَكنَز الكبير معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادات ، شركة سطور ، السعودية ، ط١ ، (٢٠٠٠م) ، ص١٤٧



« الضَّمِير المساوي له » والعكس ، انظر مثلا إلى الآيتين الآتيتين :

أ ـ ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة: ٢٠

ب ـ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الأحقاف: ٣٣

في ختام آية البقرة ٢٠ اختارت الاسم الظاهر « الله » ولم تختر الضَّمِير المساوي له « هو » ، وفي آية الأحقاف ٣٣ اختارت الضَّمِير بدلا من الاسم الظاهر . ولا بد أنَّ لذلك علة وسبب .

الثالث : تقودنا عبارة الرُّمَّانيّ « أحسن صورةٍ من اللفظ » ـ بل كامل تعريف الرُّمَّانيّ ـ إلى ما يمكن أن أسميه بفكرة « الأَحْسَنِيَّة » ، فحتى يكون النص بليغًا يجب أن تكون هناك أَحْسَنِيَّة في اللفظ كما أشرنا، وَقَدْ تكون هذه الأَحْسَنِيَّة في التركيب أَيْضًا (١) . وتقتضي الدرجية أو هذه « الأَحْسَنِيَّة » أن تكون هناك « خيارات » أو « بَدَائِل » أمام واضع النص سواءً على مستوى اللفظ أو على مستوى التركيب ليتمكن من الاختيار ، وإلا لما كانت لتلك « الأَحْسَنِيَّة » أو الدرجية وجود . هذه الخيارات أو البَدَائِل لا يمكن أن تكون مطلقة بطول ألفاظ اللغَة وتراكيبها ، بل هي خيارات أو بَدَائِل محدودة و معينة ، خيارات أو بَدَائِل تناسب المعنى أو السِّيَاق الذي تُقالُ فيه ، يمكن أن نسميها « حقولا » .

بناء على المعاني الثلاث السابقة ، فـ« الأَحْسَنِيَّة » تتوزع بين درجية أو أَحْسَنِيَّة في اللفظ ودرجية أو أَحْسَنِيَّة في التركيب ؛ ويمكننا أن نقسم هذه الخيارات أو البَدَائِل الدرجية أو الأحسنية إلى : حقول لفظية وحقول تركيبية .

ويمكن أن نقسم الحقول اللفظية إلى أنواع متعددة :

- حقل دلالي .

---

(١) وذلك إذا أخذنا معنى « اللفظ » في قول الرماني : « ...أحسن صورة من اللفظ » بمعنى « الجملة » ، وذلك كقول ابن مالك :

كلامنا لفظٌ مفيدٌ كـ « اسْتَقِمْ »　　　واسْـــمٌ وفعلٌ ثُمَّ حرفٌ الْكَلِم

فقد عبر ابن مالك عن الجملة « استقم » باللفظ .



- حقل صرفي .
- حقل فعلي .
- حقل حرفي.
- حقل يضم الاسم الظاهر والضمير المساوي له .
- حقل يضم المصدر الصريح والمصدر المؤول ......

إلى غير ذلك من الحقول .

ونضرب عددًا من الأمثلة توضح ما أقول: فيما يتعلق بالحقل الدلالي والحقل الصرفي : في آية سورة البقرة رقم ٢٠ التي ذكرناها سابقًا اختارت لفظة « قدير » من بين المجال الدلالي المعين المعبر عن « النفوذ » الذي يحوى ألفاظ أخرى هي « سلطان سيطرة ، نفوذ ، هيمنة ، طول » لتعبر عن القدرة الإلهية . واختارت من حقل الأوزان الصَّرْفِيَّة للصفة المُشَبَّهَة الذي يضم « فَعْل ، فَعَل ، فَعِل ، فُعْل ، فُعُل ، فُعَل ، فَعَال ، فُعَال ، فَعُول ، فَعْلان ، فُعْلان وأَفْعَل الذي مؤنثه فَعْلاء » الوزنَ « فَعِيل » لتضع فيه هذا اللفظ .

وكمثال على ما أقصده بالحقل الفعلي ، نجد في قَوْله تَعَالَى ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ هود: ٧٤ نجد الآية اختارت الفعل « المُضَارِع » « يُجَادِلُنَا » في جواب الشرط بدلا من الفعل « الماضي » « جَادَلَنَا » . وذلك على الرغم من أن الصورة النمطية النَّحْوِيَّة للأداة « لَمَّا الشرطية » هي : « لما + فعل ماضٍ وفاعله + فعل ماضٍ وفاعله »[1] . فالآية كانت أمام حقل فعلي يضم « فعل ماضٍ ، فعل مضارع » ، كلاهما يصلح للاستخدام ، فاختارت الفعل المُضَارِع .

ومثال الحقل الحرفي الذي أقصده قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ الروم: ٣٦ ، فالآية استخدمت الحرف « إذا الفجائية » بدلا من « الفاء السببية » على الرغم أن الصورة النمطية النَّحْوِيَّة تقول إنه في أسلوب الشرط إذا جاءت جُمْلَة الجواب اِسْمِيَّة اقترنت بالفاء . لقد كان أمام الآية حقل حرفي يضمُّ حرفين « إذا ، الفاء » ؛ فاختارت الحرف إذا مع جواب الشرط « إذا هم يقنطون » .

---

(١) د. مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف : بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة ، دار غريب ، القاهرة ، (٢٠٠٣م) ، ص٢١٤

ومثال الحقل الذي يضم الاسم الظاهر والضمير المساوي له الآية رقم ٢٠ من سورة البقرة والآية رقم ٣٣ من سورة الأحقاف ، الآيتان اللتان أثبتناهما قريبًا ، فقد كان أمام الآيتين حقل يضم « الله ، هو » ، فاختارت آية البقرة « الله » ، واختارت آية الأحقاف « هو » .

ومثال الحقل الذي يضم « المصدر الصريح والمصدر المؤول » قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٨٤، فضلت الآية « المصدر المؤول » « أن تصوموا » على « المصدر الصريح » « صيامكم » .

ولا بد أن يكون في كل ما قلناه آنفًا أسرارٌ بَلاغِيَّة ، تحتاج إلى بحث وتنقيب . وينبغي عند بحثنا البَلاغِيّ في الألفاظ أن نحدد الحقل أو الحقول اللفظية التي اختِيرت منها ، فهذا يساعدنا بشكل كبير على الوقوف بلاغة تلك الألفاظ ، من خلال أن نبحث لماذا اختارت الآية هذا اللفظ ولم تختر أيا من الألفاظ التي معها في نفس الحقل .

وفيما يتعلق بالحقول التركيبية ، فالمقصود بها أن واضع النص كان أمام بَدَائِل تركيبية يختار من بينها الأحسن للسياق ، فمثلا يمكن أن نقول إن هناك حقلا تركيبيًّا يضم الجُمْلَة الاسْمِيَّة ، يتمثل في :

- « مبتدأ + خبر » .
- « خبر مقدم + مبتدأ معرفة مؤخر » .
- « خبر مقدم + مبتدأ نكرة » .
- « مبتدأ + خبر محذوف » .
- « مبتدأ محذوف + خبر » ....

هذا الحقل يختار منه الأديب أو واضع النص ما يناسب السِّيَاق والمقام .

وقبل الانتقال إلى التعريف الآتي نختم تعريف الرُّمَّانيّ بالملحوظة المهمة الآتية:

من علماء البَلاغَة الذين أتوا بعد صُحار بن عياش والآمديّ والرُّمَّانيّ ضياءُ الدين المعروف بابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ) ، وقدَّمَ تعريفًا للبلاغة جمع فيه بين تعريفات : صُحار والرُّمَّانيّ والآمديّ ، يقول ابن الأثير : « البَلاغَة : إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ ، مع الإيجاز غير المخل ، والإطناب غير الممل ،

من غير تعب على المخاطِب »[(١)] .

- فقول ابن الأثير : « البَلاغَة : إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ » هو بنصه تعريف الرُّمَّانيّ مع استبدال كلمة « أهداء » بـ « إيصال » التي توحي بمزيد الاهتمام الذي يجب على المتكلم أن يراعيه في كلامه.
- وقوله : « مع الإيجاز غير المخل ، والإطناب غير الممل » هو التعبير بصيغة أخرى لتعريف الآمديِّ « البَلاغَة إنما هي إصابة المعنى ... بألفاظ ... لا تبلغ الهَذَر الزائد على قدر الحاجة ولا تنقص نقصانًا يقف دون الغاية » .
- وقوله : « من غير تعب على المخاطِب » ، هو قول صحار : «أنْ تُجِيبَ فلا تُبطِئُ ، وتقولُ فلا تُخطِئُ » .

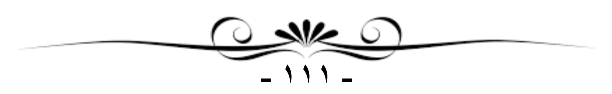
ونلاحظ أنَّ ابن الأثير عَبَّر عن مضمون كلام الآمديِّ بالمصطلحين البلاغيين « الإيجاز والإطناب » ؛ أي : أنَّ ابن الأثير والآمديِّ يشتركان في جعل « **الإيجاز والإطناب** » أساسين من أسس الماهية البَلاغِيَّة للكلام . لذلك يجب علينا في عُجالة أن نوضح المقصود بهذين المصطلحين :

➢ **أولا الإيجاز Brachylogy** :

أسلوب الإيجاز من أهم خصائص اللغَة العَرَبِيَّة ، فقد كان العربُ لا يميلون إلى الإطالة والإسهاب ، وكانوا يَعُدُّون الإيجاز هو البَلاغَة [(٢)] . وَقَدْ أشار لهذه الخصيصة العالم اللغوي ابن جِنِّيِّ (ت: ٣٩٢هـ) فقال : « **واعلم أن العرب إلى الإيجاز أميل وعن الإكثار أبعد** »[(٣)] ، ومن القواعد التي أقرها النحاة وتسير في فلك هذا الميل وذلك الاتجاه : « ما لا ضرر في حذفه لا خير في ذكره »[(٤)] ، أو بتعبير آخر : « ما يَستحدِثُ معنى ، أو يَزيد في غيره لا يُطعنُ في وجوده ، ولا يستغنى عنه ، وما لا فائدة منه لا خير في ذكره »[(٥)] .

---

(١) كفاية الطالب في أدب الشاعر والكاتب ، ص٣٣
(٢) د. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البَلاغِيَّة وتطورها ، ص ١/ ٣٤٤
(٣) الخصائص ، ت : مُحَمَّد علي النجار ، المكتبة العلمية ، القاهرة ، ١/ ٨٣
(٤) عباس حسن : النَّحْو الوافي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١/ ٤٠٠ ، الهامش
(٥) السابق ، ١/ ٤٨٩



والتعريفات التي قيلت في حد الإيجاز لا تخرج كلها عن القول بأن الإيجاز هو التعبير عن المعنى بألفاظ قليلة تدل عليه دلالة واضحة ، ومن هذه التعريفات :

- « قلة عدد اللفظ مع كثرة المعاني »[١] .
- « هو إثبات المعاني المتكاثرة باللفظ القليل »[٢] .
- « هو في مصطلح أهل هذه الصناعة عبارة عن تأدية المقصود من الكلام بأقل من عبارة متعارف عليها »[٣] .

من هذه التعريفات تتضح القيمة البَلاغِيَّة للإيجاز ، كلمات قليلة تعطي معانٍ كثيرة ، وهذا أحسن الكلام ؛ قال الجاحظ « وأحسن الكلام ما كان قليله يُغنيك عن كثيره »[٤] .

وللقيمة البَلاغِيَّة للإيجاز فقد أَكْثَرَ القُرْآن منه ، إلى الحد الذي جعل الإمام الزَّمَخْشَرِيّ يقول : « الإيجاز من حلية القُرْآن »[٥] .

ومع أَهَمِّيَّة هذا الأسلوب ، وأنه من أهم خصائص اللغَة العَرَبِيَّة ، وأنَّ العرب كانوا يميلون إليه إلا أنه ليس بمحمود في كل موضع ، ولا بمختار في كل كتاب ، بل لكل مقام مقال ، وإلى ذلك أشار ابنُ قتيبة : « لو كان الإيجاز محمودًا في كل الأحوال لجرَّده الله ـ تَعَالَى ـ في القُرْآن ، ولم يفعل الله ذلك ، ولكنه أطال تارة للتوكيد ، وحذف تارة للإيجاز ، وكرر تارة للإفهام »[٦] .

إذن مما يفهم من كلام ابن قتيبة أن البلاغة تُوجِبُ أن يُجْمَلَ ويُوجَز في مَظان الإجمال والإيجاز ، وتُوجِب أن يُفَصَّلَ وَيُشْبَعَ في موارد التفصيل والإشباع .

ومما يُفهم من كلام ابن قتيبة أَيْضًا أن هذا الأسلوب مهم كغيره إذا أراد المتكلم أن يكون كلامه مطابقًا لمقتضى الحال .

وفكرة الإيجاز واعتبارها جزءًا من بلاغة الكلام يَجُرُّنا إلى أَهَمِّيَّة وضع معيارٍ

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ، ٢/ ٢٨

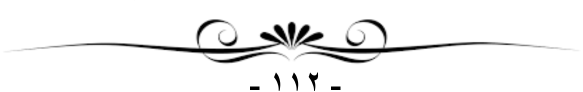
(٢) ابن الزَّملكاني: التبيان في علم البيان، ت: د. أحمد مطلوب، ط١، (١٩٦٤م)، ص ١١٠

(٣) يحيى بن حمزة العلوي : الطراز المتضمن لأسرار البَلاغَة وعلوم حقائق الإعجاز ، مطبعة المقتطف ، مصر ، ط ، (١٩١٤م) ، ٣/ ٣١٦ـ ٣١٧

(٤) البيان والتبيين ، ١/ ٨٣

(٥) الكَشَّاف : ١/ ٩٧

(٦) أدب الكاتب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، (١٩٨٨م) ، ص٢٠



نقيس إليه الكلام الموجَز والكلام المُطْنَب ، ولا بد أن يكون أحد هذه المعايير « **تحديد البنية الأساسية** » التي تَتَكَوَّن منها الجُمْلَة العربية ، فإذا قلنا على سبيل المثال إن الحذف هو نوع من الإيجاز ، فإننا « لا يمكن الحكم بأن أحد العناصر محذوف إلا إذا كانت البنية الأساسية تقتضي تركيب الجُمْلَة على نحو معين ، وهذا النَّحْو المعين هو البنية الأساسية »(١) .

وتأخذ البنية الأساسية عند أهل العربية مُسمَّى « أصل الوضع » وهي « قاعدة تفترض أن التركيب لا بد أنْ يشتمل في أبسط صوره على طرفين ، يقال لهما المسند إليه والمسند ، ثم ما يلحق بهما مما يكمل به معنى الكلام ، يطلق عليه مصطلح الفضلة أو القيد ، فإذا ما اقتضى المقام وطبيعة الكلام الاستغناء عن شيء منها ساعدهم اعتبار ذلك الأصل ـ في مقام الضبط والتحليل ـ على معرفة المستغنى عنه وتقديره وبيان مواضعه »(٢) .

ويوجه بعض الباحثين عنايتنا إلى أَنَّ القيمة البَلاغِيَّة للحذف في القُرْآن الكريم لا يُقتَصر فيها على قيمة الإيجاز أو الاقتصاد في التعبير « بل تتعداها إلى الدلالة على قيم بَلاغِيَّة تُستفَاد من السياق وقرائن الأحوال »(٣) .

➢ **ثانيًا الإطناب Circumlocution, Periphrasis** :

الإطناب من أقدم الفنون التي تحدَّثَ القدماء عنها ، ومنهم الجاحظ الذي أشار إليه كثيرا .

وقَدَّمَ ابنُ الأثير تعريفًا له فقال : « هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة . فهذا حده الذي يميزه عن التطويل ؛ إذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة ، وأما التكرير فإنَّه دلالة على مُرَدَّدًا ، كقولك لمن تستدعيه : أَسرعْ أسرِعْ ؛ فإن المعنى مردَّد واللفظ واحد »(٤) .

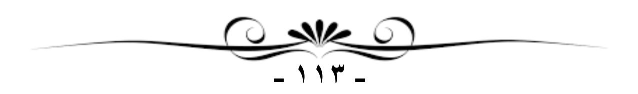
وحاول علماءُ البلاغة وضع تعريف يضع حَدًّا يفصل بين الإيجاز والإطناب

(١) د. مُحَمَّد حماسة : بناء الجُمْلَة العربية ، ص٢٤٢

(٢) د. أحمد سعد مُحَمَّد : التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة ، ص ٢٥٥

(٣) السابق ، ص ٢٥٦

(٤) المثل السائر ، ت : د. أحمد الحوفي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط٢ ، (بدون تاريخ للطبعة) ، ٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥ ،



كليهما ، فقال « هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات مُتَعَارف الأوساط ، والإطناب هو أداؤه بأكثر من عباراتهم »(١) . وَقَدْ وقع خلاف بين الباحثين في تحديد المقصود بـ « عبارات مُتَعارف الأوساط » ؛ فأرجعها بعضهم إلى المقام ، وبعضهم إلى العُرف ، ووضعها آخرون إزاء قاعدة « أصل الوضع » (البنية الأساسية) ؛ إذ إن البلاغيين « اتخذوها مهادًا أَوَّلِيًّا في بحثهم البَلاغِيّ ، ووزانًا لبيان معايير الإطناب ، والإيجاز الذي يعد الحذف أحد طرائقه المشهورة »(٢) .

وقد أجمع البلاغيون على أنَّ هذا الفن أسلوب له أهدافه في التعبير ، ولذلك يقف إلى جانب الإيجاز والمساواة ؛ لأن لكل واحد منها هدفه الذي لا يحققه غيره أحسن تحقيق (٣) .

وقدَّمَ ابنُ الأثير للإطناب تقسيمات وتفصيلات أرى للفائدة أن ألخصها في الآتي(٤) :

(١) **مكان وجوده** :

- في الجُمْلَة الواحدة من الكلام : حقيقة ، مجازًا .
- في الجمل المتعددة ، وأضربه :

١ ـ أن يُذكر الشيء فيؤتى فيه بمعان متداخلة إلا أن كل معنى يختص بخصيصة ليست للآخر .

٢ ـ النفي والإثبات ، وهو أن يكون الشيء على سبيل النفي ثم يذكر على سبيل الإثبات أو بالعكس ، ولا بد فيه أن يكون في أحدهما زيادة ليست في الآخر وإلا كان تكريرًا .

٣ ـ أن يذكر المعنى الواحد تامًّا لا يحتاج إلى زيادة ثم يضرب له مثال من التشبيه .

٤ ـ أن يستوفي معاني الغرض المقصود من كتاب أو خطبة أو قصيدة ، وهذا أصعب الأنواع ، لأنه يتفرع إلى أساليب كثيرة من المعاني .

(٢) **أساليبه وأنواعه** :

---

(١) السكاكي : مفتاح العلوم ، ص ٢٧٧

(٢) د. أحمد سعد مُحَمَّد : التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة ، ص ٢٥٥

(٣) د. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البَلاغِيَّة وتطورها ، ١/ ٢٢٦

(٤) المثل السائر ، ٢/ ٣٤٦ وما بعدها . ويُنظَرُ أَيْضًا : د. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البَلاغِيَّة وتطورها ، ١/ ٢٢٦ وما بعدها .



١ ـ الإطناب بالاعتراض.
٢ ـ الإطناب بالإيضاح .
٣ ـ الإطناب بالإيغال .
٤ ـ الإطناب بالبسط .
٥ ـ الإطناب بالتتميم .
٦ ـ الإطناب بالتذييل .
٧ ـ الإطناب بالتكرير .
٨ ـ الإطناب بالتكميل .
٩ ـ الإطناب بالتوشيع .
١٠ ـ الإطناب بذكر الخاص .
١١ ـ الإطناب بالزيادة .

ويسترعي هذا المصطلح وتقسيماته وتفصيلاته التي ذكرها ابن الأثير الانتباهَ إلى أَهَمِّيَّة إدراك العلاقة بين الجُمْلَة ومعناها ، ويسترعي أَيْضًا أَهَمِّيَّة الوقوف على العلاقات الدلالية التي تربط بين الجمل المُكَوِّنَة للنص : هل يوجد بين الجمل إطناب أم تكرير أو تطويل ؟ وإذا كان هناك إطناب فما ضربه وما نوعه ؟

ولا شك أن المقام والسياق الذي يرد فيه النص يساعد بشكل كبير على فهم معاني الجمل وعلى فهم العلاقات الدلالية فيما بينها . وبناء على ما سبق يمكن أن نقول إنَّ تحديد معنى الجُمْلَة والوقوف على العلاقات فيما بينها دلاليًّا هو جزء من البَلاغَة .

وقبل الانتقال إلى الخُطُوَات المستخلصة من هذا التعريف تعريف الرماني نُبَيِّنُ موقف القُرْآن من الإيجاز والإطناب على وجه العموم ، ونقول إن « القُرْآن الكريم يستثمر دائمًا برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني ، [فـ] تلك ظاهرة بارزة فيه كله ، يستوي فيها مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام الإيجاز ، ومواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب »[1] . وفي جانب الإيجاز خاصة فقد حافظ عليه « القُرْآن الحكيم ؛ فهو المثل الأعلى في حسن الإيجاز »[2] .

والمعاني البَلاغِيَّة للإطناب متعددة ، تُستشف من السياق الذي يُقال فيه ، منها على سبيل المثال :

---

(١) د. مُحَمَّد عبد الله دراز : النبأ العظيم ، ص ١٠٧
(٢) السابق ، ص ١٠٩ الهامش

⇦ المبالغة في نفي محل الكلام لنفي الشبهة ، مثل : ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ الزخرف: ٨١ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض، **وهو المبالغة في نفى الولد والإطناب فيه**، وأن لا يترك الناطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد، وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها، فكان المعلق بها محالا مثلها، فهو في صورة إثبات الكينونة والعبادة، وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها. ونظيره ... إن كان الله تعالى خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا، فأنا أول من يقول: هو شيطان وليس بإله، فمعنى هذا الكلام وما وضع له أسلوبه ونظمه نفى أن يكون الله تعالى خالقا للكفر، وتنزيهه عن ذلك وتقديسه، **ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا، مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب إليه، والشهادة القاطعة بإحالته والإفصاح عن نفسه بالبراءة منه، وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه**. ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ للحجاج حين قال له: « أما والله لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى » لو عرفت أن ذلك إليك ما عبدت إلها غيرك »[1].

⇦ الدلالة على التعيير ، مثل :﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ الزخرف: ٢٩ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ « مَتَّعْتُ » بفتح التاء؟ قُلْت : كأن الله تعالى اعترض على ذاته في قوله « وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ » فقال : بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق، حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد، **وأراد بذلك الإطناب في تعييرهم**، لأنه إذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والإيمان، لا أن يشركوا به ويجعلوا له أندادا، فمثاله أن يشكو الرجل إساءة من أحسن إليه، ثم يقبل على نفسه فيقول: أنت السبب في ذلك بمعروفك وإحسانك، وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله »[2].

* **الخُطوَات المَنهَجِيَّة المُستخلَصَة من هذا التعريف** :

بعد هذا التطواف يمكن أن نستخلص الخطوات الآتية من تعريف الرماني السابق

(١) الكشاف : ٤/ ١٦٩

(٢) الكشاف ، ٤/ ١٥٤



ونضيف إليه ما استخلصناه من تعريف ابن الأثير :

أ- بيان المعاني المتعددة والمختلفة للفظ القُرْآنِيّ إن وُجِدَت ، وبيان انسجام هذه المعاني المتعددة والمختلفة مع السياق .

ب- بيان الحسن الصوتي أو المميزات الصوتية الموجودة في الكَلِمَة وإيقاع الآية .

ت- أَهَمِّيَّة تحديد التركيب النحوي والسياق ، وتحديد العناصر المحذوفة ـ إن وجدت ـ من الجُمْلَة .

ث- الاجتهاد في وضع الحقول « اللفظية المختلفة » و« التركيبية » البديلة الممكنة للفظ القُرْآنِيّ وتركيبه ، وعقد مقارنة بين اللفظ القُرْآنِيّ والتركيب المختارَيْنِ في الآية والألفاظ والتراكيب التي تم استبعادها ، وكما قلنا فإن الحقول اللفظية كثيرة ، فقد يكون حقل دلالي ، وَقَدْ يكون حقل صرفي ، وَقَدْ يكون حرفي ، وَقَدْ يكون حقلا يضم الاسم الظاهر والضمير المساوي له ، أو حقلا يضم الاسم المشتق والفعل ، أو حقلا فعليًّا يضم فعلًا ماضيًا ومضارعًا .....

ج- تحديد العلاقات بين الجمل المُكَوِّنَة للنص قيد الدراسة البَلاغِيَّة ، وهل توجد بين الجمل علاقة إطناب أم تكرير أم إطالة .

*****

٤ـ التَّعْرِيفُ الرابع :

من التعريفات التي قُدمت للبلاغة قولهم : « البَلاغَة معرفة الفصل والوصل »[١] .
بل قصر « بعض أئمة علم المعاني البَلاغَة على معرفة الفصل والوصل »[٢] .

* التعليق على هذا التعريف :

تعريف البَلاغَة أنها معرفة « الفصل والوصل » يعني معرفة مواقع كل منهما ومكان استعماله ، وهذا المبحث أكثر التصاقًا بعلم النَّحْو .

ومن أوائل من تكلموا عن أمر الفصل والوصل من البلاغيين الجاحظُ ، حيث أشار إليه في جُمْلَة التعريفات التي وضعها لحد البلاغة[٣] . ووقف عنده أبو هلال العسكري (ت: بعد ٣٩٥هـ) في كتاب « الصناعتين » وقفة طويلة ، وذكر أقوالا كثيرة تدل على أَهَمِّيَّة هذا الأسلوب . ويُعَدُّ إمام البَلاغَة عبد القاهر الجرجاني (ت :

(١) أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، ت : علي مُحَمَّد البجاوي ، دار إحياء الكتب العَرَبِيَّة ، القاهرة ، ط١ ، (١٩٥٢م) ، ص٤٣٨

(٢) السَّكَّاكِيّ : مفتاح العلوم ت نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (١٩٨٣م) ص ٢٥١

(٣) البيان والتبيين : ١/ ٩١



٤٧١هـ) من أشهر الذين بحثوه بحثًا مفصلا ، يقوم على التقسيم والتحديد وربطه بالعطف ، فقد وضع أصول هذا المبحث وقوانينه ، وذكر الأمثلة الكثيرة ، وحللها تحليلا علميًّا وأدبيًّا ، وجاء علماء البَلاغَة فاختصروا بحوثه وبوبوها ، وكان تحديدهم أدق ضبطًا ، وقواعدهم أكثر تقييدًا [١] .

والاهتمام بمبحث الفصل والوصل ينتج عن :

- أنَّ العناية به يساعد على « تحقيق الوضوح في النص الأدبي ، والنأي به عن كل ما يغلفه من غموض أو لبس ، بل كل ما عَسَى أن يجعله محتملا للتأويل »[٢] .
- وإن العناية به « يوسع دائرة البحث لتشمل دراسة علاقة الجُمْلَة الأولى بالثانية ، وعلاقة الثانية بالثالثة وهكذا ، ومن ثم ترى أنَّ الفصل والوصل لا يقف عند الجزئيات بل ينظر إلى الأسلوب نظرية كلية قائمة على أساس العلاقة التي تربط بين جمله وعباراته »[٣] .
- أنَّ الإمام عبد القاهر جعل الفصل والوصل من أسرار البلاغة .

والمقصود بالفصل في البَلاغَة « ترك عطف بعض الجمل على بعض ، والوصل عطف بعضها على بعض »[٤] . وفي بعض المصادر هو : « عطف جملة على غيرها بالواو ، والفصل ترك هذا العطف »[٥] .

والجمل التي يشملها مبحث الفصل والوصل هي الجمل التي ليس لها محل من الإعراب ؛ « لأن العطف في هذه الحال لا يكون بغرض إشراك كل من المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الإعرابي كما هو الشأن في عطف المفردات وعطف الجمل التي لها محل من الإعراب ، وكذلك لا يكون ترك العطف منظورًا فيه إلى قصد عدم الإشراك في ذلك الحكم ، لسبب جد يسير هو أنه ليس ثمة موقع إعرابي لهذه الجمل أساسًا ، فهذا الضرب هو الذي يشكل أمره »[٦] .

---

(١) د. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البَلاغِيَّة وتطورها ، ٣/ ١١٨ ـ ١١٩

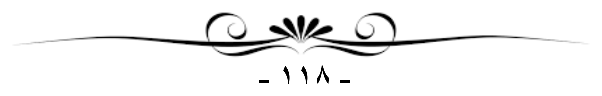
(٢) د. عبد الواحد علام : القاعدة والنص ، ص ١٦

(٣) السابق ، ص ١٣

(٤) د. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البَلاغِيَّة وتطورها ، ٣/ ١١٨

(٥) مجدي وهبة : معجم المصطلحات العربية في اللغَة والأدب ، ص ٢٧٤

(٦) د. عبد الواحد علام : القاعدة والنص ، دراسة في الفصل والوصل ، ص ٢٠



والجمل التي لا محلَّ لها من الإعراب تسع [(١)] :

١ ـ الابتدائية ، وهي التي تكون في مفتتح الكلام .

٢ ـ الاستئنافيَّة ، وهي التي تقع في أثناء الكلام ، منقطعة عمَّا قبلها ؛ لاستئناف كلام جديد ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ النحل: ٣، وَقَدْ تقترن بالفاء أو الواو الاستئنافيتين . فالأول كَقَوْلِهِ ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الأعراف: ١٩٠، والثاني كقوله : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ آل عمران: ٣٦

٣ ـ التعليليَّة ، وهي التي تقع في أثناء الكلام تعليلا لما قبلها ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ التوبة: ١٠٣ ،وَقَدْ تقترن بفاء التعليل ، نحو : « تمسَّكْ بالفضيلة ؛ فإنها زينةُ العقلاء » .

٤ ـ الاعتراضية ، وهي التي تَعترض بين شيئين متلازمين ؛ لإفادة الكلام تقوية وتسديدًا وتحسينًا ، كالمبتدأ والخبر ، والفعل ومرفوعه ، والفعل ومنصوبة ، والشرط والجواب ، والحال وصاحبها ، والصفة والموصوف ، وحرف الجر ومتعلقه ، والقسم وجوابه ، مثل : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ البقرة: ٢٤ ،ومثل :﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ الواقعة: ٧٦

٥ ـ الواقعة صلة للموصول الاسمي ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ الأعلى: ١٤، أو الحرفي [(٢)] ، كقوله : ﴿ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ المائدة: ٥٢

٦ ـ التفسيرية ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ الأنبياء: ٣ ، والتفسيريَّة ثلاثة أقسام : مجرَّدة من حرف التفسير ، كما في الآية ، ومقرونة بـ « أي » ، نحو : « أشرتُ إليه ؛ أي : اذهب » ، ومقرونة بـ « أَنْ » ، نحو : « كتبتُ إليه أَنْ وافنا » .

٧ ـ الواقعة جوابًا للقسم ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾ الأنبياء: ٥٧

(١) يقول الشيخ مصطفى الغلاييني: كثير من النحاة يجعل الجمل التي لا محل لها من الإعراب سبعًا ؛ فيجعل الابتدائية والاستئنافية والتعليلية شيئًا واحدًا .

(٢) المراد بالموصول الحرفي : الحرف المصدري ، وهو يؤول وما بعده بمصدر ، وهو ستة أحرف : أَنْ ، أَنَّ ، وكي ، وما ، ولو ، وهمزة التسوية .



٨ ـ الواقعة جوابًا لشرط غير جازم ، مثل قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ البقرة: ٢٥١

٩ ـ التابعة لجملة لا محل لها من الإعراب [١] .

وسبب العطف في الجمل التي ليس لها موقع إعرابي يرجع إلى « المعاني التي تكون بين هذه الجمل ، من حيث تباين المعنى الأول واختلافه عن المعنى الثاني ، أو من حيث توكيده وبيانه ، إلى غير ذلك من أمور دقيقة لا يستطيع الوقوف عليها إلا من عرف أسرار التعبير ، وخبر الأساليب العربية ووقف على دقائقها »[٢] .

ولقد عني البلاغيون عناية فائقة بالبحث عما أسموه « جهة جامعة » تجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ، مفردين كانا أو جملتين ـ حتى يصح العطف ، أما إذا لم تكن ثمة جهة فإن العطف حينئذ يمتنع .

يمكن أن ننفذ مما سبق إلى أنَّ مبحث الفصل والوصل يعتمد على مجموعة من الأسس التي تضافرت جميعها فكان ذلك المبحث ، وهي :

(١) اختيار حرف الواو دون سائر حروف العطف ، لما في العطف به دون غيره من إشكال .

(٢) وقصر العطف على الجمل التي ليس لها محل من الإعراب دون ما عداها من عطف المفرادات وعطف الجمل التي لها محل من الإعراب .

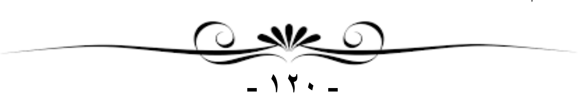
(٣) ثم وجوب تحقق الجهة الجامعة ليصح العطف .

وقد تكفلت كتب القِراءَات ببيان مواضع الفصل والوصل في القُرْآن على نحو قلَّ أنْ نجدَ له نظيرًا ، وَقَدْ عالجوا ذلك تحت ما أسموه « الوقف والابتداء » ، فهناك وقف تام وحسن وقبيح إلى آخر ما ذكروا ، وكان أساس تقسيمهم هو تمام المعنى أو عدم تمامه . ومن هنا قبُحَ الوقف على ما لا يتم الكلامَ ، ولم يجز إلا لضرورة من انقطاع نَفَسٍ ونحوه ، وَقَدْ عللوا لهذا الوقف القبيح « بعدم الفائدة أو لفساد المعنى » بل إنَّ هذا الوقف القبيح ليس في درجة واحدة ، إذ قَدْ يكون بعضه أقبح من بعض ، فأقبحه « ما يُحيل المعنى » ، مثل الوقف على قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ النساء: ١١ ، ... وإلا انقلب المعنى كما يقول أبو جعفر النحاس ، كما أنَّ ثمة

---

(١) مصطفى الغلاييني : جامع الدروس العربية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، (٢٠٠٩م) ، ٣/ ٦٠٦ وما بعدها .

(٢) د. عبد الواحد علام : القاعدة والنص ، ص ٢٠



من الأوقاف ما يتأكَّد استحبابه لبيان المعنى المقصود ، وهو كما يقول ابن الجزري : « ما لو وصل طرفاه لأوهم معنى غير المراد » ، ومن ذلك الوقف على قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾ يونس: ٦٥ ، لئلا يوهم أنَّ ذلك من قولهم [١] .

ويساعد رسم المصحف بما يحمل من علامات الوقف على معرفة مواضع الوقف الصحيح الذي يساهم في تحديد المعنى ، فثمة علامة للوقف اللازم وعلامة للوقف الممنوع ، وثالثة للوقف الجائز جوازًا مستوي الطرفين ، ورابعة للوقف الجائز مع كون الوصل أولى ، وخامسة للوقف الجائز مع كون الوقف أولى ، وأخيرًا علامة تعانق الوقف بحيث إذا وقف على أحد الموضعين لا يصح الوقف على الآخر .

ونشير في هذا المقام إلى بعض المصطلحات التي تقترب في معناها من مصطلحي الفصل والوصل ، وهي : الوقف والابتداء ، أو القطع والاستئناف . وهي كلها مصطلحات تتردد بكثرة في كتب القِراءَات على خلاف في الدرجة ، وهي مصطلحات تقوم على أساس مراعاة المعنى أولا وأخيرًا .

وفيما يلي تلخيص لمواضع الفصل والوصل كما وردت في التراث البَلاغِيّ [٢] .

وجوب الفصل :

١ ـ أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وهو « كمال الاتصال » ، وذلك أن تكون الجُمْلَة الثانية تأكيدًا للأولى ، والمقتضى للتأكيد دفع توهم التجوز والغلط .

٢ ـ أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع وذلك أن تختلف خبرًا وإنشاءً لفظًا ومعنًى

٣ ـ أن تكون الجُمْلَة الثانية جوابًا عن سؤال يفهم من الجُمْلَة الأولى ؛ فتنزل منزلته ، ويسمى هذا « شبه كمال الاتصال » أو« الاستئناف » .

٤ ـ أن يكون بين الجملتين « شبه كمال الانقطاع » وذلك بأن تكون الجُمْلَة الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى ، وينبغي هنا الفصل لأن عطفها عليها موهم لعطفها على غيرها ، ويسمى هذا الفصل « قطعًا » .

٥ ـ أن تكون الجملتان متوسطتين بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع مع قيام المانع من الوصل كأن يكون للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه الثانية .

---

(١) السابق ، ص ١١٨ ، ١١٩

(٢) يُنظَرُ هذه المواضع وغيرها من التفصيلات د. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البَلاغِيَّة وتطورها ، ٣/ ١١٩ وما بعدها



وجوب الوصل :

١ ـ أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع الإيهام ، وذلك بأن تكون إحداهما خبرية والأخرى إنشائية ، ولو فصلت لأوهم الفصل خلاف المقصود .

٢ ـ أن تكون الجملتان متفقتين خبرًا وإنشاءً لفظًا ومعنًى ، أو تكونا متفقتين خبرًا وإنشاءً معنًى لا لفظًا .

٣ ـ أن يكون للجملة الأولى محل من الإعراب ، وقُصِدَ إشراك الجُمْلَة الثانية لها في الحكم الإعرابي ، وهذا كعطف المفرد على المفرد ؛ لأن الجُمْلَة لا يكون لها محل من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد ، وينبغي هنا أن تكون مناسبة بين الجملتين .

ولنا بعد هذا التقسيم إشارة وهي : إذا كانت البَلاغَة تُعَرَّفُ بأنها الفصل والوصل ؛ فهذا يعني أَهَمِّيَّة دراسة العلاقة الدلالية بين الجمل دراسة متأنية ، للبصر بالحاجة إلى وصل الجمل أو تركها . ومن البدهي أن معرفة العلاقة الدلالية بين الجمل أمر تالٍ لمعرفة المعنى الدلالي للجملة على حدة . وبهذا يشترك مبحث الفصل والوصل مع مبحث الإطناب في التأكيد على أَهَمِّيَّة العلاقات الدلالية بين الجمل .

والباحثون الذين تَعَمَّقوا في هذا المبحث البَلاغِيّ وجَّهوا بعض سهام النقد إليه ، وأشاروا إلى أنَّ قواعد البلاغيين في هذا المبحث ليست ضربة لازب ، لا تَريم ولا تتغير

ومن سهام النقد التي وُجِّهت إلى أقوال البلاغيين في هذا المبحث :

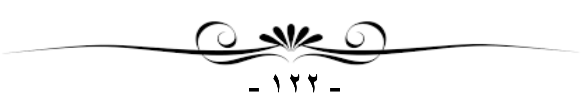
أ- أَنَّ في القُرْآن الكريم كثيرًا « من الآيات التي اتفقت في الخبرية أو الإنشائية وجاءت مفصولة ؛ لأنها تسعى إلى تحقيق أهداف وإصابة لأغراض تسمو على ذلك الاتفاق الشكلي وتعلو ، وتتأبى على قواعد البلاغيين تأبيًا يفرض إعادة النظر في تلك القواعد فرضًا »[1] .

ب- ليست كل الجمل التي تُرِكَ فيها الوصل لا صلة بينها ، بل لا بد أن تكون هناك مناسبة من نوع ما ، « فليس هناك عاقل يرمي إلى رصِّ جُمَل بعضها إلى بعض دون أَنْ يهدفَ إلى إصابة غرض وتحقيق هدف حتى لو خفي ذلك علينا لأول وهلة »[2] . فقد يكون وراء إلغاء أدوات الربط بين الجمل « الكثير من المشاعر والأحاسيس تفوق في طبيعتها ذلك الاتساق الشكلي الذي وقفت عنده البلاغة

---

(١) عبد الواحد علام : القاعدة والنص ، ص ١٠٠

(٢) السابق ، ص ٩٥



العربية لا تحير »[1] .

ت- أنَّ الواو التي خُصَّت في مبحث الفصل والوصل لا تفيد « الجمع المطلق » باتفاق ، فهناك من النصوص الرفيعة ـ لا المصنوعة ـ أتى فيها حرف الواو وله من الأهداف والغايات والمرامي ما هو أبعد من القول الشائع المريح « إن الواو لمطلق الجمع » ، « بل ثَمَّةَ من رأي أنها تفيد الترتيب ، بل هناك من ذهب إلى أَنَّ استعمالها فيما لا ترتيب فيه مخالف لأصل الوضع ، وأخيرًا هناك من جَوَّزَ أن يكون بين متعاطفيها تراخٍ ، وكل هذه أمور أغفلها البلاغيون ، [ذلك] الإغفال كان وراءه كثير من المشكلات الأسلوبية المتعلقة باستخدام هذا الحرف »[2] .

ث- الوصل الذي يُعرفه أبو هلال هو أنْ تتصل الجمل في الأسلوب اتصالا قائمًا على أساس من النظر إلى المعنى ، وما دام المعنى لم يكتمل فالوصل ، أما إذا اكتمل المعنى فالفصل ، فالأساس في الفصل والوصل هو تمام المعنى أو عدم تمامه . وذلك مفهوم أعم من مفهوم البلاغيين وأشمل ؛ لأن الوصل في هذه الحال قَدْ يصاحبه العطف أو لا يصاحبه ، وكذلك الفصل[3] .

* **الخُطُوَات المَنهَجِيَّة المُستخلَصَة من هذا التعريف** :

بعد دراسة هذا التعريف وتأمله نأتي إلى الخطوات المنهجية المُستخلصة منه :

- بيان المواقع الإِعْرابِيَّة للجمل المكونة للآية .
- وإذا كانت الجملة لا محل لها من الإعراب نحدد نوعها (ابتدائية ، استئنافية ......) .
- تحديد لماذا اختارت الآية الفصل بين الجمل إذا كان في الإمكان الوصل أو العكس ، وهل تسير الآيات من حيث العلاقة بين جملها مع قواعد البلاغيين في مبحث الفصل والوصل أم تخالفه .
- دراسة العلاقة بين الجمل المُكَوِّنَة للآية أو الآيات محل الدراسة من حيث فصلها ووصلها.
- البحث عن العلاقات بين الجمل حتى ولو لم تكن موصولة ، والاستفادة من

(١) السابق ، ص ١٠١

(٢) السابق ، ص ٣٧

(٣) السابق ، ص ١١٧



علامات الوقف .

علامة الوقف	دلالتهـــا
مـ	علامة الوقف اللازم.
لا	علامة الوقف الممنوع.
ج	علامة الوقف الجائز على مستوى الطرفين ، اى وقفت عندها أم لم تقف سواء.
صلے	علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى.
قلے	علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولى.
∴ ∴	علامة تفيد جواز الوقف بأحد الموضعين وليس فى كليهما.

*****

٥ التَّعْرِيفُ الخَامس: تَعْرِيفُ السَّكَّاكِيّ (ت : ٦٢٦هـ):

يقول السَّكَّاكِيّ في تعريفه للبلاغة في كتابه مفتاح العلوم ص ٤١٥ : « هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدًّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها ».

* **التعليق على هذا التعريف** :

يمكن أن نقسم تعريف السَّكَّاكِيّ هنا إلى قسمين :

- القسم الأول قوله : « بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدًّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها » .
- القسم الثاني قوله : « إيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها » .

والذي يُفْهَمُ من تعريف السَّكَّاكِيّ قسمه الأول أننا إذا كان لدينا « متكلم» لديه « معنًى » يريد أن يؤديه من خلال اللغَة ؛ فإن اللغَة تقدم له مجموعة من « **التراكيب اللغوية** » ، لكل تركيب في هذه المجموعة خاصية بَلاغِيَّة تميزه ، وتصلح مجموعة التراكيب هذه التي تقدمها اللغَة أن يعبر المتكلم بأي منها عن المعنى الذي يريده ويقصده ، وتكمن البَلاغَة في أن يختار المتكلم من هذه المجموعة أحقها أو أنسبها في تأدية المعانى التي يريدها . وبالطبع فإن أنسب هذه التراكيب وأحقها بالاستخدام من قِبَل المتكلم البليغ هو ما يناسب مقتضى الحال.

ومما نستنبطه من كلام السَّكَّاكِيّ أَيْضًا أن اللغَة « **تُنْتَظَمُ** » في تراكيب « **نَمَطِيَّة**» ـ وهذا ما يُفهَم من قوله « اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها » ـ ، لكل تركيب خاصية بَلاغِيَّة ، **وأنَّه للوقوف على الخصائص البَلاغِيَّة لهذه الأنماط التركيبية لا بد للمتكلم البليغ من تَتَبُّعها في السياقات البَلاغِيَّة المختلفة حتى تَتَكَوَّن**

لكل تركيب قيمته البَلاغِيَّة والمقام الذي يناسبه لديه[1] **، ومن ثَمَّ يعيد استخدامها وتوظيفها في « كلام » بَلاغِيّ جديد يعبر به عما يريده . ومؤدَّى هذا الاستنباط أن الوقوف على هذه التراكيب وتحديد عناصرها ، ومعرفة القيم البَلاغِيَّة المرتبطة بها مهمة أساسية للباحث البَلاغِيّ** [2] .

ويفهم من القسم الثاني من التعريف أن الكلام إذا احتوى تشبيهًا أو مجازًا أو كناية ؛ فيجب أن يأتي المتكلم بهذا التشبيه أو المجاز أو الكناية على وجهه ؛ أي : بمعيار الجودة التي اتفق عليها البلاغيون .

كلمة عن التشبيه والمجاز والكناية :

ربط تعريف السكاكي السابق بين البلاغةَ ـ في جزء منها ـ وبين التشبيه والمجاز والكناية ، كما هو واضح في التعريف . وأجد أنه من المفيد للباحث أن نلقي بعض الضوء على هذه المصطلحات الثلاث ، وبيان أفضل الوجوه التي يمكن أن تأتي عليها هذه المصطلحات .

* **أولا التشبيه Comparison** : خلاصة التعريفات التي قدَّمها البلاغيون للتشبيه أنَّه « رَبط شيئين أو أكثر في صفة من الصفات أو أكثر »[3] .

ومما يُقرِّه البلاغِيُّونَ أنَّ التشبيه يستند إلى « دلالتين اثنتين : إحداهما المقارنة ، والأخرى الوصفُ غير المباشر . وهذه الدلالة الثانية ناشئة عن الأولى ومرتبطة بها، فنحن حين نعمد إلى تشبيه شيء بشيء إنَّما نعقد بينهما نوعًا من المقارنة في الظاهر ، وهي مقارنة لا تهدف إلى تفضيل أحد الشيئين على الآخر ، وإنَّما ترمى إلى وصف أحدهما بما اتصف به الآخر »[4] .

هذه المقارنة والوصف غير المباشر يلجأ إليهما الأديب من خلال التشبيه ليؤدي المعنى أداءً غير مباشر ، وفائدة ذلك توضيح فكرة ، ونقل الحقائق وتقريبها إلى الأذهان ، وتصوير الإحساس ، وإثارة الخيال ، وتحريك وجدان المتلقي ، وإثارته وتفجير مشاعره ، وتوليد استجابات معينة في نفس المتلقي تماثل أو تقترب بما

(١) وقد كفانا البلاغيون والمفسرون مؤنة البحث عن كثير من هذه القيم البلاغية في مؤلفاتهم البلاغية ، وتفاسيرهم القُرْآنِيَّة .
(٢) وهذا ما سنقوم به في الفصل الآتي إن شاء الله .
(٣) د. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البَلاغِيَّة وتطورها ، المجمع العلمي العراقي ، (١٩٨٦م) ، ٢/ ١٧٠
(٤) د. شفيع السيد : التعبير البياني رؤية بَلاغِيَّة نقدية ، ص ١٨



استحوذ على نفس الشاعر ، وجاشت به أحاسيسه وانبثقت عنه رؤيته . ومن علامة التشبيه الجيد بقاء أثره بعد التأمل والتمحيص ويلامس الوجدان وينطبع فيه .

قال الزَّمَخْشَرِيّ : « الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها ، وتكشف عنها » . وقال : « التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها ؛ لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها »[1] .

وقد حاول بعض البلاغيين بيان أغراض التشبيه التي تعود إلى المُشَبَّه والتي تعود إلى المشبه به ، فذكروا أن :

- من أغراض التشبيه التي تعود إلى المُشَبَّه :
  - ✓ بيان أن وجوده أمر ممكن .
  - ✓ بيان حاله واستطرافه .
  - ✓ بيان مقدار حاله في القوة والضعف والزيادة والنقصان .
  - ✓ تقرير حاله في نفس السامع .
  - ✓ تزيينه للترغيب فيه . وتشويهه للتنفير منه .
- ومما يعود من أغراض التشبيه إلى المشبه به :
  - ✓ إيهام أن المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه ، وذلك في التشبيه المقلوب .

ومما يَزِيدُ من جودة التشبيه عدة أمور :

* ملائمة التشبيه للسياق ، وجدته .
* جودة صياغة عبارته وبنائها .
* أن يقوم على أساس صحيح من الحس والواقع أو الشعور والوجدان .
* وإذا كان التشبيه لأمرين متباعدين في الجنس ؛ فيجب أن يكون الشبه بينهما صحيحًا معقولًا حتى يكون هناك سبيل إلى التأليف بينهما ، وكلما كان التباعد بين الشيئين أشد كانت قيمة التشبيه الفنية أعظم ؛ لأنه يشيع في النفس البشرية حب التطلع إلى الجديد وشغفها به ؛ فقد فُطِرت على الإعجاب بما يظهر من مكان لم يعهد ظهوره فيه ، وعلى الاحتفاء بما يخرج من موضع ليس بمعدن له .
* وبقدر ما تكثر التفاصيل في التشبيه يكون سمو درجته في الطرافة والإبداع ، لما يدل عليه ذلك من ملاحظة أدق لمظاهر الاشتراك بين الطرفين واقتران أشد من كمال التطابق بينهما .
* وإذا كان التشبيه حِسيًّا يقف عند حدود المظاهر الخارجية وملامحها المدركة

---

(١) الكشاف ، ٣/ ٤٨٨ ، ٣/ ٥٠٩



بإحدى الحواس ، فكلما أثار الشعور والوجدان بما يتناغم مع الجو النفسي الذي يشيع في السياق زاد من قيمة التشبيه وأكسبه مزيدًا من الحس والجمال.

ومما يرتبط بالتشبيه ما يسميه البلاغيون التشبيه التمثيلي(١) ، والفرق بينه وبين التشبيه الأصلي ـ كما يقول عبد القاهر الجرجاني ـ يتمثل في أمرين :

ـ أحدهما : أن يكون تشبيه الشيء بالشيء من جهة أمر بَيِّنٍ لا يحتاج فيه إلى تأويل وهذا هو التشبيه الأصلى .

ـ ثانيهما : أن يكون التشبيه محصلا بضرب من التأويل ، وهذا هو التشبيه التمثيلي أو التمثيل .

ولذلك فكل تشبيه يكون الوجه فيه حسيًّا مفردًا أو مركبًا أو كان من الغرائز والطباع العقلية الحقيقة هو « تشبيه غير تمثيلي » ، وكل تشبيه كان وجه الشبه فيه عقليًّا مفردًا أو مركبًا غير حقيقي ومحتاجًا في تحصيله إلى تأول هو « تشبيه تمثيلي » ، وهذا هو الفرق بين الضربين ، ومن ملحوظات إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني قوله : « كل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيل »(٢) .

والتمثيل الذي أولى أن يُسمى كذلك ما لا يحصل إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر ؛ حتى كأن التشبيه كلما أوغل في كونه عقليًّا محضًا كانت الحاجة إلى الجُمْلَة أكثر كَقَوْلِهِ تَعَالَى﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يونس: ٢٤

وتكمن القيمة البَلاغِيَّة للتشبيه التمثيلي :

⇦ في أنَّ « تشخيص المعاني وتجسيد المشاعر والخواطر يكسبها قوة ، ويضاعف من تأثيرها النفسي »(٣) .

⇦ كما تكمن فيما يُضفيه هذا التمثيل « على المعاني ـ في أكثر الأحيان ـ من خَفاء يحتاج في إدراكه والكشف عنه إلى قدر من التأمل والتفكير ؛ وذلك أمر تستعذبه

(١) التشبيه التمثيلي هو : التشبيه الذي يكون على شكلِ لوحةٍ تُصَوِّرُ أكثر من مفرد ، ووجه الشبه فيه لا يكون مأخوذًا من مفرد بعينه ؛ بل يكون مأخوذًا منه ومن غيره ، أو من الصورة العامة . ينظر : عبد الرحمن حسن حبنكة : البلاغة العربية ، ٢/ ١٨٤ .

(٢) د. أحمد مطلوب : معجم المطلحات البَلاغِيَّة وتطورها ، ص ١٨٤

(٣) د. شفيع السيد : التعبير البياني ، رؤية بَلاغِيَّة نقدية ، ص ٦٠



النفس ، وتستمتع به ، فضلا عن أَنَّه يكون أدعى إلى بقاء المعاني واستقرارها في النفس مدة أطول ؛ لأن النفس البشرية مطبوعة على الحرص على ما جهدت في سبيله وتعبت من أجله »[1] .

⇦ كما تكمن أَيْضًا في طرافته التي تتمثل في الجمع بين أشياء أبعد ما تكون عن التقارب والائتلاف ؛ إذ تتعانق فيه المعاني الذهنية والحالات الشعورية مع الأشياء المجسمة ، وكلا الأمرين من وادٍ بعيد عن الآخر[2] .

ومما هو جدير بالملاحظة أَنَّ التشبيه التمثيلي أو تشبيه المعنوي بالحسي ـ بخصائصه البلاغية الفريدة ـ كَثُرَ وروده في القُرْآن الكريم ، وزاد من روعته وضاعَفَ من جماله في أماكن وروده في القُرْآن مواءمته للسياق وجمال بناء العبارة .

* **ثانيًا المجاز Trope** :

المجاز ـ كما قال الجاحظ ـ هو مفخر العرب في لغتهم ، وبه وبأشباهه اتسعت.

والمجازُ « كل الصيغ البلاغية التي تحتوي تغييرًا في دلالة الألفاظ المعتادة ، ويندرج تحت هذا كل أنواع المجاز في البلاغة العربية ما عدا الكناية التي لا يمنع استعمال ألفاظها في غير ما وضعت له من إرادة المعنى الأصلي لهذه الألفاظ »[3] .

ويقسم البلاغيون المجاز إلى قسمين أساسيين :

أ- المجاز الإسنادي [4] . ب ـ المجاز الإفرادي .

والمجاز الإسنادي هو المجاز « الذي يكون في الإسناد أو التركيب، وقد سمي كذلك لأنه متلقى من جهة الإسناد ، وهو المجاز العقلي. وهذا النوع من المجاز تستعمل فيه الألفاظ الفردة في موضوعها الأصلي ، ويكون المجاز عن طريق الإسناد» [5] .

ومثاله قول جرير :

لقد لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلانَ فى السُّرَى ونمْتِ وما لَيْلُ الْمَطِيِّ بنائمِ

والليل لا ينام ، ولكن ينام فيه .

---

(١) السابق ، ص ٦١

(٢) السابق ، ص ٦٢

(٣) مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ص ٣٣٣

(٤) ويأخذ المجاز الإسنادي مسميات أخرى هي : المجاز العقلي ، والمجاز الحكميّ ، والمجاز في الإثبات ، والإسناد المجازيّ ، والمجاز في التركيب ، ومجاز الملابسة .

(٥) د. أحمد مطلوب: معجم مصطلحات البلاغة ٣/ ١٩٩



والمجاز الإفرادي أحد أنواع المجاز اللغوي ، وهو « المجاز المرسل الذي تكون علاقته بين ما استعمل فيه ، وما وضع له ملابسة غير التشبيه »(١) . وجاء في معجم مصطلحات الأدب أنَّ المجاز الإفرادي هو « دلالة اللفظ على غير معناه الذي وضع له لعلاقة ما ، كالمجاز المرسل والاستعارة ، ولا تدخل فيه الكناية التي لا يُمنَعُ استعمال ألفاظها في غير ما وضعت له ، من إرادة المعنى الأصلي لهذه الألفاظ» (٢) .

والعلاقة بين دلالة اللفظ الأصلية المستقرة في عرف المتحدثين باللغة والدلالة الأخرى الجديدة قَدْ تكون علاقة مشابهة أو علاقة غير المشابهة (الملابسة) . فإذا كانت العلاقة علاقة مشابهة فنحن أمام « استعارة » ، وإذا كانت العلاقة غير المشابهة فنحن أمام ما يسميه البلاغيون « المجاز المرسل » . وعلى هذا يمكن أن نقسم المجاز إلى نوعين : الاستعارة والمجاز المرسل .

ولا جدال أن المجاز بنوعيه ـ اعتمادًا على الخيال ـ مصدرٌ من مصادر إبداع الصورة الفنية في الكلام ، وطريق فَعَّال للتأثير الوجداني ، ونقل المشاعر والأحاسيس والمعاني البَلاغِيَّة .

ولنفصل القول قليلا في الاستعارة والمجاز المرسل :

- **الاسْتِعَارَة Metaphor** : هي « ادِّعاءُ معنى الاسم للشيء ، أو هي نقل اللفظ بمعناه من مجال إلى مجال آخر لعلاقة المشابهة بينهما »(٣) .

والبلاغيون يعدون التشبيه أصلا للاستعارة ، ويشيرون إلى أنها تَتَمَزَّى على التشبيه بـ :

- ✓ أنَّ المتكلم في الاستعارة يتناسى التشبيه ، ويدعي أن المشبَّه قَدْ أصبح فردًا من أفراد المشبه به وداخلا تحت جنسه ؛ وبذلك يتأكد المعنى ويزداد رسوخًا ؛ وبذلك تصبح أعلى درجة من التشبيه ؛ لأن التشبيه يقتضي وجود الطرفين فيه ضرورة لفظًا أو تقديرًا ؛ وذلك يوهن دعوى الاتحاد والمماثلة بينهما .
- ✓ أن التعبير بها يعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ (٤) .

---

(١) د. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ٣/ ٢٠٥

(٢) مجمع اللغَة العربية ، القاهرة ، ط١ ، (٢٠٠٧م) ، ١/ ١٣٦

(٣) د. شفيع السيد : ، التعبير الأدبي رؤية بَلاغِيَّة نقدية ، ص ١٠٣ ، وللوقوف على الاستعارة وأقسامها وأنواعها ومصطلحاتها المختلفة يُنظَر للأهمية : د. أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البَلاغِيَّة وتطورها ، ١/ ١٣٦

(٤) السابق ، ص ١٠٠

وتكمن القيمة البَلاغِيَّة في الاستعارة **في أنها تَعَدُّ بابًا يُقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته ، وتصورًا جديدًا للأشياء ، وتكتسب فيها وجودًا جديدًا غير وجودها في الواقع ، وتعبر عن المراد وتؤكد المعنى ، وتثير الإحساس المطلوب بشكل أعمق وأشد تأثيرًا** . وتزداد قيمة الاستعارة إذا ما راعينا ـ عند تحليلها ـ إيقاع التعبير كله ، وجرس الكلمات المصاحبة .

وقبل الانتقال إلى النقطة الآتية نشير إلى أن للقرآن صور بيانية وغير بيانية لم يسبق إليها ، وإن جرت على سنن التعبير العربي .

- **المَجَازُ المُرْسَل Hypallage; Synecdoche** :

هو ذلك النوع الذي من المجاز الذي يقوم الارتباط فيه بين المعنى الأول للكلمة ومعناها الثاني على ملابسة من نوع ما ، هي علاقة غير المشابهة . وهذا الارتباط بين المعنيين على هذا النَّحْو من التعميم يفسح المجال لاستيعاب عدد كبير من العلاقات (الكلية ، الجزئية ، الحالية ، المحلية ، السببية ، المُسَببية ، اعتبار ما كان ...) .

وأهم قيمة بلاغية للمجاز المرسل « **الإيجاز** » ، وهو من الأغراض البلاغية الكبرى ، هذا بالإضافة لأغراض بلاغية أخرى ، مثل التأكيد ، أو توجيه النظر إلى أمر معين ،أو التعميم ، أو الإشارة إلى أمر مرتبط بالسياق الذي تُساقُ فيه الآية [(١)] .

ومن أنواع المجاز التي نحب أن نوجه العناية إليها ونسلط عليها بعض الضوء :

(أ) التبادل بين الصيغ الصَّرْفِيَّة ، مثل : إقامة فاعل بمعنى مفعول ، ومفعول مقام فاعل ، وفعيل بمعنى مفعول ، ومجئ المصدر على فُعول ، وإقامة الفاعل مقام المصدر ، وإقامة المفعول مقام المصدر ، ووصف الشيء بالمصدر ، ومجئ المصدر بمعنى المفعول [(٢)] .

(ب) مجاز التضمين ، وهو « أن تُضَمِّنَ اسمًا معنى اسم لإفادة معنى الاسمين ، فتعديه تعديته في بعض المواطن » [(٣)] . مثل قوله : ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ هود: ٢٣

---

(١) يُنظَرُ لبيان هذه القيم البلاغية مع أمثلة عليها : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، (١٩٩٦م) ، ٢/ ٢٧٥ وما بعدها .

(٢) د. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ٣/ ٢٠٩، وأشار د. أحمد إلى أن هناك مؤلفات تحدثت عن المجاز في القُرْآن ، منها : البرهان في علوم القُرْآن ، للزركشي ، والاتقان في علوم القُرْآن ، ومعترك الأقران للسيوطي .

(٣) د. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ٣/ ٢١٠

ضمن« وأختبوا » معنى أنابوا لإفادة الإخبات والإنابة جميعًا .

* **ثالثا الكناية Metonymy**:

الكناية ـ لغةً ـ أن تتكلم بشيء وتريدُ غيره .

واصطلاحًا فالكناية هي « أن يُريدَ المتكلمُ إثباتَ معنًى من المَعاني، فلا يذكُرُه باللّفظِ الموضوعِ له في اللُّغة ، ولكنْ يَجيءُ إلى معنى هو تاليهِ ورِدْفُه في الوجود ، فيومئ به إليهِ ، ويجعلهُ دليلاً عليه »[(١)] .

والتعريف الراجح عند ابن الأثير في الكناية إنها « كل لفظةٍ دلَّت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز، بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز »[(٢)] .

ويتداخل هذا المصطلح مع كثير من المصطلحات البَلاغِيَّة الأخرى ، مثل: الإرداف والتتبيع والمماثلة والإيماء والتعريض والتلويح والتمثيل والرمز والإشارة[(٣)] .

ومن الأغراض التي تستخدم فيها الكناية عند المبرِّد الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره ، كقوله تعالى في المسيح وأمه : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ المائدة: ٧٥ ، وهو كناية عن قضاء الحاجة . وتحدث ابن سنان عن حسن الكناية عما يجب أن يكنى عنه في المواضع التي لا يحسن التصريح فيها ، وعده أصلا من أصول الفصاحة وشرطا من شروط البلاغة[(٤)] .

وفي استخدام الكناية لمحة دالة واختصار ، وتلويح يعرف مجملا ، ومعنًى بعيد من ظاهر لفظه .

وقسم السكاكي ومن سار على نهجه كالقزويني وشراح التلخيص الكناية إلى :

١ـ الكناية المطلوب بها نفس الموصوف ، مثل قول الشَّاعِرُ :

الضَّارِبِيْنَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مِخْذَمٍ   وَالطَّاعِنِيْنَ مَجَامَعَ الْأَضْغَانِ

(١) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ت : محمود شاكر ، ص ٦٦

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط١ ، (١٩٣٩م) ، ٢/ ١٩٤

(٣) د. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البَلاغِيَّة وتطورها ، ٣/ ١٥٦ وما بعدها .

(٤) السابق ، ٣/ ١٥٦



ومجامع الأضغان كناية عن القلوب (الأبيضُ : السيف ، المِخْذَمُ: الْقَاطِعُ، وَالضِّغْنُ: الحِقْدُ).

٢ـ الكناية المطلوب بها نفس الصفة ، مثل قول الشاعر كناية عن الكرم :

لِعَبْدِ العَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمُ نِعَمٌ غَامِرَهْ
فَبَابُكَ أَلْيَنُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَأْهُولَةٌ عَامِرَهْ
وكلْبُكَ آنسُ بالزائرينَ مِنَ الأَمِّ بالابْنَةِ الزائرَهْ

٣ـ الكناية التي يطلب بها تخصيص الصفة بالموصوف وهي الكناية عن نسبة ، ويراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه ، مثل قول أبي نواس :

فَما جازَهُ جُودٌ ولا حلَّ دُونَه ولكنْ يَصيرُ الجُودُ حَيْثُ يَصيرُ

* **الخُطُوَاتُ المَنهَجِيَّةُ المُستخلَصَةُ من هذا التعريف** :

أ- الوقوف على تركيب الجُمْلَة ، وأنماطها المختلفة .
ب- تحديد القيم البَلاغِيَّة الممكنة لهذا التركيب إن أمكن ، من خلال السياق .
ت- في حالة اشتمال الآية القُرْآنِيَّة على تشبيه أو مجاز أو كناية نوضحه ونقدم الأسرار البَلاغِيَّة التي اتفق عليها البلاغيون لهذه الألوان البَلاغِيَّة ، أو التي يجود بها السياق .

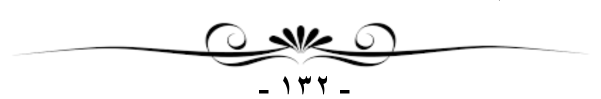
*****

٦ **التَّعْريفُ السادس : تَعْريفُ الخَطِيب القَزْوِينِيّ (ت : ٧٣٩هـ)**:

نأتي إلى التعريف الأخير من تعريفات البَلاغَة ، تعريف القَزْوِينِيّ ، وآثرنا أن يكون هذا التعريف آخر ما نذكره ونتكلم عنه لأهميته ، ولكثرة التفصيلات المهمة المرتبطة به ، ولكون صاحب التعريف القَزْوِينِيّ آخر من وقف عند البَلاغَة من المتأخرين ، ولكون المتأخرين لم يخرجوا عن هذا التعريف[1] .

ينصُّ القَزْوِينِيّ في كتابه « الإيضاح في علوم البَلاغَة » على أن بلاغة الكلام هي:

(١) د. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البَلاغِيَّة وتطورها ، ١/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦



« **مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته** »[(١)] .

* **التعليق على هذا التعريف** :

في هذا التعريف يشير القَزْوِينيّ إلى أن البَلاغَة ترتبط بفكرة « مطابقة الكلام لمقتضى الحال » ، وَقَدْ أصبحت هذه الفكرة عند المتخصصين في علم البَلاغَة **أهم أصول التفكير البَلاغِيّ ، وأصبحت حجر الزاوية عند البلاغيين المتأخرين** ، وتمثل هذه القاعدة عند البلاغيين « **أساس الحكم على الكلام من حيث كفايته في أداء الغرض وإحراز المنفعة** »[(٢)] .

---

(١) الإيضاح في علوم البَلاغَة ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، ص٢٠ ، وقد ارتضى كثير من المعاصرين من البلاغيين هذا التعريف ، واعتمدوه في مؤلفاتهم البَلاغِيَّة مع بعض التعديلات والإضافات التوضيحية اليسيرة ، منهم الشيخ عبد الرحمن الميداني ، في كتابه « البَلاغَة العَرَبِيَّة : أسسها وعلومها وفنونها » ؛ إذ يوضح البَلاغَة بقوله : « **هي مطابقة الكلام لمقتضى حال من يُخَاطَب به مع فصاحة مفرداته وجُمَله** » . دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٦م ، ١/ ١٢٩ ، واختار معظم أصحاب المعاجم الأدبية المختصرة المعاصرة هذا التعريف وعَيَّنوه تعريفًا للبلاغة مع بعض التعديلات التوضيحية اليسيرة أَيْضًا ، من هذه المعاجم :

- معجم « المعجم الأدبي » ويعرف البَلاغَة بأنها : « هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة مفرداته ومركباته وسلامتها من تنافر الحروف وغرابة الاستعمال والكراهة في السمع » . د. جبور عبد النور ، ص ٥١
- ومنها « معجم المصطلحات العَرَبِيَّة في اللغَة والأدب » ؛ إذ يعرف البَلاغَة **eloquence** ، بأنها : « مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال » ، مجدي وهبة ـ كامل المهندس ، مكتبة لبنان ط٢، ١٩٨٤م ، ص ٧٩
- ومنها « المعجم المفصل في اللغَة والأدب » ؛ إذ يقول : « البَلاغَة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة مفرداته ومركباته ؛ أي : سلامتها من تنافر الحروف وغرابة الاستعمال والكراهة في السمع » . د. إميل يعقوب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٨٧م ، ١/ ٣٢٨
- ومنها « المعجم المفصل في الأدب » ؛ إذ يقول : « البَلاغَة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال » . د. مُحَمَّد التونجي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط٢،١٩٩٩م ،١/ ١٩٢

(٢) د. كمال بشر : التفكير اللغوي بين القديم والحديث ، دار غريب ، القاهرة ، ط١ ، (٢٠٠٥م) ص ٣٧٣



وبتَأَمُّل تعريف القَزْوِينِيّ نجد أنه لكي تُوجَدُ البَلاغَة يجب أن يكون هناك في الأساس « كلام » ، وأن يكون هناك « حالٌ » ، وأن « يتطابق هذا الكلام مع الحال » ؛ لأنَّ هذا الحال« يقتضيه » ، وأن يكون هذا الكلام « فصيحًا » . أي أنَّ هذا التعريف يضم أربعة عناصر أساسية ، هي :

أ- الكلام .
ب- الحال ومقتضاه .
ت- مطابقة بين الكلام والحال .
ث- الفصاحة .

ويستوجب المقام ويقتضي أن نفصل الكلام في هذه العناصر ؛ لأهمية هذا التفصيل في خدمة هدفنا الأساسي وهو الوقوف على البَلاغَة القُرْآنِيَّة .

أ- **الكلام** :

هذا العنصر يشتمل ضمنًا على متكلم يوجه الكلام ، ومُخَاطَب يتجه إليه الكلام وطبيعة الأمور أنه لا يُخَاطِبُ إنسانٌ آخر إلا إذا دعا موقفٌ أو سياقٌ لهذا الكلام ، فأي كلام يتكلمه الإنسان لا بد أن يكون مشمولا بسياقٍ يُقالُ فيه هذا الكلام ؛ إذ « لا نَصَّ ـ أيًّا كان ـ بدون سياق »(١) . يقول د. كمال بشر موضحًا العلاقة بين الكلام والسياق ، وَأَهَمِّيَّة السِّيَاق بالنسبة للكلام : « والسياق بمثابة العنصر الفاعل في توضيح الكلام ، بل في صحته ، والوصول به إلى درجة القبول في مبناه ومعناه . ومعنى ذلك أن عدم الاهتمام به وأخذه في الحسبان قَدْ يميل الكلام إلى مجرد ضوضاء تلقى في الهواء »(٢) .

ولكي يكون هناك تفاعلٌ واستجابةٌ وتأثرٌ وتَذَوُّق من المُخاطَب لكلام المتكلم يجب أن يكون الكلام مفهومًا لديه ، ولكي يكون مفهومًا يجب أن يُصاغَ الكلام طبقًا لقواعد النَّحْوواللغة المركوزة في ذهن المخاطبين .

ب- **الحال ومقتضاه** :

الحال هو العنصر الثاني من عناصر البَلاغَة في تعريف القَزْوِينِيّ ، وأول ما نشير

---

(١) د. إيهاب عبد الحميد : قرينة السِّيَاق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه ، رسالة دكتوراه ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ص ٢٠٥

(٢) التفكير اللغوي بين القديم والحديث ، ص ٣٦٧ ، ٣٦٨



إليه هنا أنَّ مصطلح « الحال » يتردد أحيانًا في مؤلفات البلاغيين باسم آخر هو « المقام » ، فالحال أو المقام مصطلحان مترادفان ، لهما نفس المعنى ونفس القيمة البَلاغِيَّة ، مثال ذلك ما نقرؤه في كتاب « علوم البَلاغَة » : « **الحال (المقام)** هو الأمر الذي يدعو المتكلم إلى إيراد خصوصية في التركيب »[1] .

وأدخل علماؤنا المعاصرون مصطلحًا ثالثًا يترادف مع المصطلحين السابقين هو مصطلح « السِّيَاق » ، وحتى يكون ترادف هذا المصطلح دقيقًا مع المصطلحين الآخرين « المقام ـ الحال » ؛ فإن هؤلاء العلماء يُقيدون هذا المصطلح بـ « غير اللغوي » أو « الحال » ؛ فيقولون : « السِّيَاق غير اللغوي » أو « سياق الحال » ، وذلك حتى يُمَيِّزوا بينه وبين نوع آخر من السِّيَاق هو « السِّيَاق اللغوي أو سياق المقال » ، ويوضح أستاذنا الدكتور كمال بشر هذا المصطلح ـ مصطلح سياق الحال ـ ، ويثبت العلاقة بينه وبين مصطلح المقام بقوله : « وَقَدْ جرى العرف في الحديث على النظر فيه (؛ أي : السياق) من جانبين ، سمى أحدهما « السِّيَاق اللغوي » أو « سياق المقال **linguistic context** » ، والثاني « السِّيَاق غير اللغوي أو سياق الحال **non-linguistic context** » والمقصود بالأول وضع لبنات الكلام من حيث المواءمة والتآلف أو اللزوم بالنظر فيما بينهما من ارتباط وموقعية ، وصلاحية هذه اللبنة أو تلك في موضعها بالنسبة لما يسبقها ويلحقها من لبنات . ويتمثل الثاني في الظروف والملابسات الاجتماعية التي تلف الكلام في الموقف المعين الذي يلقى فيه . وهذه الظروف والملابسات تشكل فيما بينها وحدة متكاملة يشار إليها عادة بالمصطلح الإنجليزي **context of situation** أو المقام باللغة العَرَبِيَّة »[2] .

وإذا تركنا أمر المصطلحات المرادفة لمصطلح الحال ، انتقلنا إلى نقطة مهمة تتعلق بهذا المصطلح ، وهي « ما المقصود بهذا المصطلح عند علماء العربية؟ » .

نجيب قائلين عن هذا السؤال إن « فكرة المقام عند العرب يتسع مفهومها ليشمل **عناصر وظواهر أخرى غير الكلام وشخوصه من مرسلين ومستقبلين . إنهم**

(١) أحمد مصطفي المراغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، (١٩٩٣م) ، ص٣٦

(٢) التفكير اللغوي بين القديم والجديد ، ص ٣٦٨



يأخذون في الحسبان أَيْضًا ما يصاحِبُ هذا الكلام وما يبدو من شخوصه من حركات وإشارات جسمية وإيماءات ذات أشكال وألوان ، بوصفها جميعًا عناصر فاعلة أو طلاء مميزًا يمنح البناء خصوصيات تزيد من قيمته وتكمل هيئته التي ترشحه لأداء دوره في عملية التواصل الاجتماعي على خير وجه »[1] . فللعرب سبق مؤكد في حسبان الحركات الجسمية وما يصاحبها من إشارة قسيمة للكلام أو نائبة عنه في البيان وَالبَلاغَة وتوضيح القصد[2] .

---

(١) السابق ، ص ٣٧٥

(٢) يمكن أن نقدم وصفًا تفصيليًّا عن مكونات السِّيَاق غير اللغوي بأن نقول إنه يتكون من المكونات الآتية :

١ ـ **المُتكَلِّم** : ويتعلق به : عاطفته ومشاعره وحالته النفسِيَّة : الحَنَق أو العقاب أو التهديد أو الغضب أو الرضا أو التشجيع أو القبول أو الدهشة ، وبما تحدِّثُه نفسه . النبر وما تواكبه من تلوينات صوتيَّة . درجة الصوت من ارتفاع وانخفاض وما يرتبط بهذا أو ذاك من تلوين موسيقى الكلام التنغيم ، وإيقاعه ، والتأفُّف والفحفحة والتأَوُّه وأصوات الشفتين المختلفة ، وضغط المُتَكَلِّم على بعض أجزاء كلامه أو مقاطعه أو حروفه ، ونوع سكتاته ووصلاته وهمساته وسرعته في الكلام أو بطئه ، والشدة التي يركزها على هذه الكَلِمَة أو تلك . ونوع الأصوات . كونه ذكرًا أو أنثى . درجة انتباهه وتركيزه العقلي فيما يقول . قدرته على التذكر . إلى من يُتَوَجَّه بالحديث إذا كان المخاطَبون كثيرين . توقُّع ما يرد على ذهن المخاطب . إشارات اليدين والإيماءة وتعبيرات الملامح وغمزات العينين ورفع الحاجب وهز الرأس . ما يوجد في المُتَكَلِّم من عيوب وعاهات . العقيدة التي يؤمن بها . الفترة الزمنية المتاحة للمتكلم . العلاقة بين المُتَكَلِّم والمخاطب وسبق المعرفة بينهما .

٢ ـ **السامع والمخاطب**: من يشهد الكلام والمشاهدون وأعمالهم ، وكيفية رد المُتَكَلِّم على الخطاب وما يصحبهم من إشارات اليد أو النظرات ذات الدِّلَالَة بالعين أو هَزّ الكتفين أو التصفيق والغمغمة ومصِّ الشفاة ، أو استجابة ورفض أو اشمئزار أو سخرية أو ضحكة أو غمزة ولمزة . والمستوى العلمي والثقافي الذي عليه المُتَكَلِّم ، فكلامنا للمتعلِّمين لن يكون بنفس الصورة للعامَّة ، وكلامنا لمن هم في المراحل العمرية الأولى لن يكون بنفس أسلوب كلامنا للمراحل المتقدِّمة ، وكلامنا للمُتَخَصِّصين أو المهتمِّين بأمر ما لن يكون عين كلامنا لغير المتخصِّصِين أو غير المهتمِّين بنفس هذا الأمر . والعقيدة التي يعتنقها المخاطب .



هذا هو المقصود بمصطلح الحال ، وهذه هي الدائرة التي يشملها ، وهذه هي حدوده . ولا شك أنَّ تَصَوُّر « الحال » بهذه الأبعاد كلها أمر له خطره في فهم الكلام فـ « استماع الكلام وحده ، خاليًا مما يكسبه الوفاء بدوره من مشاهدة ملامح الشخوص لا يُغني في مقامه ، ولا يستحق الإصغاء والإقبال عليه »(1) .

ويؤكد أَهَمِّيَّة المقام والحال في فهم ما يقال بَلاغِيًّا عدد من كبار البلاغيين واللغويين ، منهم الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) ، ابن جني (ت : ٣٩٢هـ) ، وأبو حيان (ت: ٤٠٠هـ) ، عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) ، فلكل منهم إشارة أو إشارات تشير إلى أَهَمِّيَّة المقام في فهم الكلام :

✓ أما الجاحظ فقد اهتم بهذا الأمر اهتمامًا كبيرًا ؛ حتى « ليسوغ لنا القول بأن

---

٣ ـ **البيئة المحيطة بالكلام** ، وتشمل : الأجناس وما تتعارف عليه من نظم سياسية واجتماعيَّة وثقافيَّة وحضارِيَّة وتربويَّة . الأوضاع الاجتِماعِيَّة والاقتصادية المتصلة بالحدث اللغويّ . السِّيَاق الثقافيّ ومستواه والخلفيَّة المعرفيَّة**Background knowledge** ، والمستوى الاجتماعيّ والثقافة الشعبِيَّة ونسيجها . الاعتبارات التاريخِيَّة والجُغْرافِيَّة . وأحوال المخلوقين وعاداتهم وظاهر أمرهم وموضوع جِبِلَّتهم . عدد المشاركين ، ومستوى الشكليات أو الرسميات وطبيعة الأنشطة الجارية والدائرة .

٤ ـ الشيء أو الموضوع المُتَحَدَّثُ عنه ، فإِنَّنا نَتَكَلَّم في العادة من أجل أَنْ نبلغ هدفا ، هذا الهدف يؤثِّر لا محالة في القول الذي نقول .

٥ ـ الظروف والملابسات المحيطة بالكلام (سياق الموقف) ، وهذا يشمل : المكان والزمان وأسباب النزول (مع الآيات القُرْآنِيَّة) ، والإيقاع .

٦ ـ طبيعة النَّصّ ، فنوع النَّصّ يؤثِّر في دلالته ، فإذا كان اللفظ واردا في نصّ شرعي انصرف المعنى إلى الدِّلَالَة الشَّرْعِيَّة .

٧ ـ مقدار الفترة الزَّمَنِيَّة المُخَصَّصَة للكلام .

٨ ـ أثر الحدث اللغويّ في المشتركين في الكلام والحضور من حيث الإقناع ، الفرح ، الألم ، التصديق ، التكذيب.

٩ ـ الوظيفة الكلامِيَّة: مدح ، هجاء ، طلب .... والسِّياق العاطفي والقيمة العاطِفِيَّة.

١٠ ـ سياق التخَصُّص والمهنة ، مثل : السِّيَاق الموسيقيّ ، السِّيَاق الأدبيّ . يُنْظَرُ : د. إيهاب عبد الحميد : قرينة السِّيَاق ودورها في التقعيد النحوية ، رسالة دكتوراة ، جامعة عين شمس ، ص ٤٧

(1) التفكير اللغوي بين القديم والحديث ، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦

أفكاره في هذا الموضوع جديرة أن تُشَكِّلَ دراسة علمية عميقة في إطار النظر الاجتماعي للتواصل اللغوي وبيان العلاقة بين الكلام وحركات الشخوص وإشاراتهم في الموقف الاجتماعي المعين ، تلك العلاقة الموسومة في الدرس اللغوي والأدبي الحديث بالمصطلح **Kinescis** ، ومعناه دراسة الحركات والإشارات وما إليها بصفتها مصاحبة أو جزءًا من نظام التواصل باللغة »(١) .

يقول الجاحظ في إحدى إشاراته عن هذا الأمر : « والإشارة واللفظ شريكان ، ونِعْمَ العونُ هي له ، ونِعْمَ الترجمانُ هي عنه. وما أكثَرَ ما تنوب عن اللَّفظِ ، وما تُغْنِي عن الخطِّ . وبعدُ فهل تَعدو الإشارةُ أن تكون ذاتَ صورةٍ معروفةٍ ، وحِلْية موصوفة ، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها. وفي الإشارة بالطَّرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومَعُونة حاضرة ، في أمورٍ يستُرها بعضُ النَّاسِ من بعض، ويخفونها من الجليسِ وغيرِ الجليس ، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة ...

وقد قال الشاعر في دلالات الإشارة:

أشارتْ بطَرْفِ العين خِيفةَ أهلِها ... إشارةَ مذْعورٍ ولم تتكَلَّمِ

فأيقنْتُ أنَّ الطَّرْفَ قَدْ قال مرحبًا ... وأهلًا وسهلًا بالحبيب المتيَّمِ » (٢) .

- ✓ وإليه يشير ابن جني بقوله : « فلو كان استماع الأذن مغنيًا عن مقابلة العين مجزئًا عنه لما تكلف القائل ولا كلف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه ، وعلى ذلك قال:

العينُ تبدِي الذي في نفسِ صاحبِها ... من العداوة أو وُدٍّ إذا كانا

وقال الهُذَلِيُّ :

رَفَوْنِي وقالوا : يا خُويلدُ ، لا تُرَعْ ... فقلت ـ وأنكرتُ الوجوه ـ : هم هم

أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه ، وجعلها دليلا على ما في النفوس. وعلى

(١) د. كمال بشر : التفكير اللغوي بين القديم والحديث ، ص ٣٧٦

(٢) البيان والتبيين ، ١/ ٧٨



ذلك قالوا: رب إشارة أبلغ من عبارة »[1] . ويستمر ابن جني في تأكيد أَهَمِّيَّة المشاهدة الفِعْلِيَّة بين المُرسل والمُستقبل ، فيقول : « وقال لي بعض مشايخنا ـ رحمه الله ـ : أنا لا أحسن أن أكلم إنسانًا في الظلمة »[2] .

- ✓ ويشير فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة أبو حيان التوحيدي في بعض مؤلفاته إلى دور المقام في فهم الكلام ، يقول : « وملح هذه الحكاية ينتثر في الكتابة ، وبهاؤها ينتقصُ بالرواية دون مُشاهدة الحال وسماع اللفظ ، وملاحة الشكل في التحرك والتثَنِّي ، والترنُّح والتَّهادي، ومدّ اليد ، وليِّ العنق ، وهزّ الرأس والأكتاف ، واستعمال الأعضاء والمفاصِل »[3] .
- ✓ أما عبد القاهر الجرجاني فإن الدارسين والمُحققين له ينصون على « أن عبد القاهر الجرجاني في طرحه فكرة النظم التي شغلته وشغلت اللغويين العرب من بعده ، لم يقتصر اهتمامه (على ما يظن البعض) على سياق المقال بإشاراته المتناثرة هنا وهناك في كتاب « دلائل الإعجاز » إلى وجوب رعاية التآخي والتآلف بين لبنات أو مكونات الكلام ، بل تعدَّى هذه النظرة الضيقة إلى إكمال معيار الإبانة وإحراز المتعة بتطبيق هذا الكلام على مقتضى المقام بمراعاة سياق الحال . وهذا الذي نقول هو ما تنطق به أكثر من عبارة في كتابه »[4] .

والحال الذي أوضحنا مصطلحاته والمقصود به وأهميته له « **مقتضًى** » ؛ أي : استلزام واستدعاء واستيجاب ومطالبة ، فعندما نقول إن الحال « يقتضي » كذا ؛ فهذا يعني أنه : يستلزم ويستدعي ويطالب ويستوجب كذا ، **وهذا المقتضى هو الرابط والجامع الذي يجمع بين الكلام والحال** .

والأحوال التي تستدعي اختلافًا في طرائق الكلام وأساليبه تكاد لا تُحصَر :

- فمن الأحوال ما يستدعي ويقتضي من الكلام إيجازًا .
- ومنها ما يستدعي ويقتضي من الكلام بسطًا متوسطًا .

(١) الخصائص ، ١/ ٢٤٧

(٢) السابق ، نفس الصفحة .

(٣) مثالب الوزيرين ، ت : مُحَمَّد بن تاويت الطنجي ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، (١٩٩٢م) ، ص ١٤٠

(٤) د. كمال بشر : التفكير اللغوي بين القديم والحديث ، ص ٣٧٠



- ومنها ما يستدعي ويقتضي من الكلام بسطًا مطولا .
- ومنها ما يستدعي ويقتضي خطابًا بصورة مباشرة .
- ومنها ما يستدعي ويقتضي خطابًا بصورة غير مباشرة .
- ومنها ما يستدعي تنكيرًا أو يستدعي تعريفًا .
- ومنها ما يستدعي ويقتضي إطلاقًا أو يستدعي تقييدًا .
- ومنها ما يستدعي ذكرًا ومنها ما يستدعي حذفًا .
- ومنها ما يستدعي وصلا بحرف العطف أو يستدعي فصلا .
- وخطاب الذكي يُخَالِفُ خطاب الغبي .
- وحال الوعظ يستدعي خطابًا غير حال البيان العلمي .
- وخطاب أهل العلم والمعرفة يُخَالِفُ خطاب الذين لا علم لديهم .
- وخطاب الملوك والأمراء يُخَالِفُ خطاب العامَّة .
- وخطاب المنكر للحكم حال يستدعي التأكيد للحكم .
- وخطاب أهل الحضر يُخَالِفُ خطاب أهل البداوة وأهل المَدَر .
- ولكل أهل صنعة يُخَالِفُ خطاب يلائم صناعتهم .
- والصغارُ وأحداثُ الأسنان لهم ألوان من الخطاب تلائم حداثتهم ، وصغر أعمارهم .
- إلى غير ذلك من أصناف المخاطبين وأحوالهم النفسية والاجتماعية ، وأحوال المتكلم وظروف الكلام[(١)] .

ونوه هنا إلى أنَّ اختيار الأسلوب من الكلام الملائم للمخاطب أو الأكثر ملاءمة له يحتاج فطنة عالية وذكاءً حادًّا ، وخبرات كثيرة بخطاب الناس .

والقارئ الذي تابع حديثنا في السطور السابقة وعرف ما المقصود بالمقام أو الحال وأَلَمَّ بدوره في فهم الكلام قَدْ يستوقفنا ليسألَ سؤالا منطقيًّا مهمًّا هو : إنَّ تصور دور الحال أو المقام أو السِّيَاق في فهم الكلام إنما يتعلق بالكلام « **المنطوق** » ، فأين دور المقام أو السِّيَاق مع الكلام « **المكتوب** » ؟

حاول بعضُ اللغويين المعاصرين علاج هذا النقص مع الكلام المكتوب من

(١) عبد الرحمن الميداني : البَلاغَة العَرَبِيَّة : أسسها وعلومها وفنونها ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٦م ، ١/ ١٢٩ ـ ١٣٠ ، وانظر أَيْضًا : القزويني ، الإيضاح ، ص ٢٠



خلال « تصور » أو « إنشاء **Create** » مقام أو مسرحٍ لغوي يناسب النص الذي بين أيدينا . يقول د. كمال بشر : « ... لم يشأ (؛ أي الجاحظ) أن يدخل أو أن يشير إلى تفاصيل السمات اللازمة لمقام الكلام المكتوب ، وبخاصة أن هذا المقام محروم من عنصر النطق ، وهو عنصر ذو أَهَمِّيَّة بالغة في عملية الإيصال والتوصيل ، وَقَدْ راعى اللغويون المُحدَثون ـ وعلى رأسهم فيرث وحواريوه ـ علاج هذا الأمر (وهو غياب المقام) بوضع خطة جديدة ، من شأنها أن تُعَوِّض هذا النقص . يُقَرِّرُ هؤلاء أَنَّهُ في استطاعتنا بالنسبة لهذا المقام المفقود أو الغائب (في عرف العرب) **أن نتصور أو نُنشئ (create) مقامًا أو مسرحًا لغويًّا يناسب النص الذي بين أيدينا . وتَصَوُّر هذا المسرح الغائب يحتاج إلى لباقة وذكاء ، كما يحتاج إلى ثقافة واسعة . ذلك الأمر في هذه الحالة يوجب علينا تَعَرُّف ما يلف هذا النص من ظروف وملابسات : زمنه ، ومكانه وكاتبه ، وثقافة هذا الكاتب ، ومناسبة الكتابة ، والجو العام والخاص الذي يحيط بتأليف هذا النص وكاتبه** »(١) .

ويستلزم هذا أننا « قَدْ نكون في حاجة إلى استشارة علوم التاريخ والأدب والاجتماع والسياسة المعاصرة لهذا النص وصاحبه ... ويمكننا في كل الحالات أن نتصور موقفًا (أو مسرحًا) حقيقيًّا مستمدًّا تصورنا له من واقع المواقع الحية الموجودة بالفعل أو التي كانت موجودة في البيئة المعينة ، موقفًا ملائمًا ـ فيما نتصور ـ لهذا النص بوصفه وحدة من عناصره المتكاملة »(٢) .

ويمكن لعلم النفس أن يُفيدَنا بشكل فَعَّالٍ في كثير من جوانب هذا السِّيَاق المُنشَأ أو المخلوق .

ومَن يُطالِع تفسير « الكَشَّاف عن حقائق التنزيل » للإمام الزَّمَخْشَرِيّ ـ رحمه الله ـ يجد أَنَّه كان يلجأ إلى نوعٍ ما من هذا « الإنشاء السياقي » إن صحَّ التعبير ، وهو وإنْ كان إنشاء سياقيًّا غير مفصل إلا أنه موجود ، ففي مواضع كثيرة من تفسيره نجد مثل هذا الخلق السياقي ، خاصةً عند إيضاح الجمل القُرْآنِيَّة الاستئنافية ، على سبيل

(١) د. كمال بشر : التفكير اللغوي بين القديم والحديث ، ص ٣٧٧، ٣٧٨

(٢) السابق ، ص ٢٣٣



المثال عند تفسيره للآية رقْم ٤ من سورة يوسف : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ يقول : « فإنْ قُلْت : ما معنى تكرار « رأيت » ؟ قُلْت : ليس بتكرار ؛ إنها هو كلامٌ مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابًا له ، كأنَّ يعقوب ـ عليه السلام ـ قال له عند قوله « إنِّي رأيتُ أحدَ عشرَ كوكبًا »: كيف رأيتَها ؟ سائلا عن حال رؤيتها ، فقال : رأيتُهم لي ساجدين »[١] .

وقال الإمام عند قوله تعالى ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ عبس:٣ « وفي الإخبار عما فرط منه ، ثم الإقبال عليه بالخطاب : دليل على زيادة الإنكار ، كمن يشكو إلى الناس جانيًا جنى عليه ، ثم يقبل على الجاني إذا حمى في الشكاية مواجها له بالتوبيخ وإلزام الحجة . وفي ذكر الأعمى نحو من ذلك ، كأنه يقول : قد استحق عنده العبوس والإعراض لأنه أعمى وكان يجب أن يزيده لعماه تعطفًا وترؤفًا وتقريبًا وترحيبًا »[٢] .

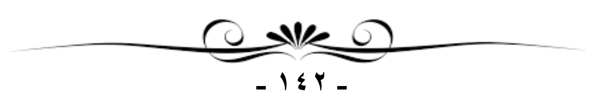
ت- **مطابقة بين الكلام والحال** :

العنصر الثالث من عناصر تعريف الخطيب القزويني عنصر المُطابقة ، المطابقة بين الحال والكلام . وتتجَلَّى أَهَمِّيَّة المطابقة بين الكلام والحال في أنها أساس البَلاغَة عند البلاغيين ؛ فـ « لا تتحقق بلاغة الكلام عند أرباب المعاني إلا إذا كان الكلام فصيحًا مُطابقًا لما يقتضيه حال الخطاب »[٣] ، كما أنه « لا إحراز لمنفعة أو إدراك لمعنى الكلام ما لم يكن هذا الكلام منظومًا ومؤلفًا على وجه يُطابق الحال »[٤] .

والمقصود بالمطابقة **أن يتعادلَ الكلامُ ويتوازنُ هيئةً وبناءً مع المقام أو الحال الذي يُلْقَى فيه أو يُصنَع من أجله**[٥] .

ونلاحظ أنَّ تعادُلَ الكلام وتوازنه هيئةً وبناءً مع المقام أو الحال الذي يلُقى فيه على درجاتٍ ، دليل ذلك أننا فيِ المقام الواحد قَدْ نجد أكثر من كلام يعبر عنه ، ونجد بالدراسة البَلاغِيَّة أن هذا الكلام الذي قيل في هذا المقام ليس على درجة واحدة من البَلاغَة ، مثال ذلك : قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ البقرة: ١٧٩، وقول

(١) الكَشَّاف ، ٢/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥
(٢) الكشاف ، ٤/ ٥٤٥
(٣) د. بدوي طبانة : معجم البَلاغَة العَرَبِيَّة ، دار المنارة ، جدة ، ط٣ ، (١٩٨٨م) ، ص٨٤
(٤) د. كمال بشر : التفكير اللغوي بين القديم والحديث ، ص ٣٦٩
(٥) السابق ، ص ٣٧٣



العرب : « القتلُ أنفى للقتل » .

وأبلغ مراتب البَلاغَة هي التي يصل فيها الكلام إلى أفضل الألفاظ مع أفضل التراكيب اللغوية التي تتواءم وتتعادل وتتوازن مع المقام أو الحال ، وبعبارة أخرى نقول إن البَلاغَة التي تنتج عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال أو المقام إنما هي « اختيار على مستوى المفردات وعلى مستوى التركيب أو العلاقات النَّحْوِيَّة »[(١)] ؛ لذلك يصح أن نقول إن هناك علاقة طردية بين البَلاغَة ومطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فـ « فكلما كان الكلام مع فصاحة مفرداته وجمله أكثر مطابقة لحال المخاطب وتأثيرًا في نفسه كان أعلى حسنًا ، وأرفع منزلةً في مراتب البَلاغَة ودرجاتها . وتتنازل الدرجات وتنحطُّ بمقدار بُعدِ الكلام عن مطابقته مقتضى حال المخاطب وضعف تأثيره في نفسه »[(٢)] .

وأشار العلماء إشارة مهمة تتعلق بالمطابقة ، وهي أنَّ « **مطابقة الكلام للمقام لا تتم ، ولا يمكن أن تتم إلا بعد مراعاة قواعد النَّحْو** »[(٣)] ، فمراعاة قواعد النَّحْو شرط أساسي وجوهري في هذه المطابقة ، وهذا ما أدركه عبد القاهر الجرجاني في مؤلفاته ، وهذا ما يظهر عند السَّكَّاكِيّ (ت: ٦٢٦هـ) ؛ إذ نجد « أنه لم يستطع أن يفلت من هذه الحقيقة ، فنراه من وقت إلى آخر يلجأ إلى قواعد النَّحْو لتوضيح أو تفسير قاعدة أو فكرة ترتبط بعلم المعاني »[(٤)] .

ولأهمية الدور الذي تؤديه المطابقة في فهم الكلام وإحراز المنفعة اهتم بها العلماء على اختلاف مشاربهم وتخصصاتهم ، فقد أشار إليها الخليل وسيبويه وابن هشام من النُّحَاة وغيرهم من رجال التفسير والحديث . وبالطبع على القمة من هؤلاء رجال البَلاغَة الذين جعلوا هذا التطابق معيارًا أساسيًّا في التعامل مع بضاعتهم ، ولعل أول من حاز قصب السبق في الإشارة إلى فكرة المطابقة هذه هو

---

(١) د. شفيع السيد : البحث البَلاغِيّ عند العرب تأصيل وتقييم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (بدون بيانات أخرى) ، ص ١٤٢

(٢) عبد الرحمن الميداني : البَلاغَة العَرَبِيَّة : أسسها وعلومها وفنونها ، ١/ ١٣٠

(٣) د. كمال بشر : التفكير اللغوي بين القديم والحديث ، ص ٣٠٠

(٤) السابق ، ص٣٠٠

أحد أقطاب المعتزلة وألمع شعرائها وخطبائها بشر بن المعتمر (ت: ٢١٠هـ) ، وَقَدْ نقل لنا الجاحظ صحيفته التي تتضمن هذه الفكرة .

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن « القُرْآن حاز أعلى البلاغة في إنزاله مطابقًا لما تقتضيه الأحوال بحسب الأزمان ، ثم رُتِّبَ على أعلى وجوه البلاغة بحسب ما تقتضيه المفاهيم من المقال »[1] . وأن القُرْآن كان ﴿ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾ الزمر: ٢٣ ، بمعنى أنه « مطلق في مشابهة بعضه بعضًا ؛ فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والإحكام ، والبناء على الحق والصدق ، ومنفعة الخلق ، وتناسب ألفاظه ، وتناصفها في التخير والإصابة ، وتجاوب نظمه وتأليفه في الإعجاز والتبكيت »[2] .

بقي من أمر المطابقة والكلام فيها تلك الإشارة المهمة التي ذكرها الخطيب القزويني ، وهي : « **وهذا ـ أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال ـ هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم ، حيث يقول : النظم تآخي معاني النَّحْو فيما بين الكلم على حسب الأغراضِ التي يُصاغُ لها الكلام** »[3] . في هذا الاقتباس يربط القزويني بين « النظم » ، وبين « مطابقة الكلام للمقام » ، ويجعل مصطلح النظم مرادفًا للمطابقة بين الكلام ومقتضى الحال .

هذا الربط بين مصطلح النظم والمطابقة يجب أن يستوقفنا قليلا ، ويدفع إلى بؤرة شعورنا ، ومجال انتباهنا بالسؤالين الآتيين :

١ ـ ما المقصود أساسًا بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ؟

٢ ـ وكيف أن هذه النظرية « ترادف وتساوي » مطابقة الكلام لمقتضى الحال ؟

للإجابة عن هذين السؤالين وغيرهما سنخصص المساحة الآتية ، ولكن قبل الشروع في هذا البيان أوضح أمرًا مهمًا . إن توضيح المقصود بنظرية النظم ، ومعرفة كيف أن النظم عند عبد القاهر « يرادف ويساوي » مطابقة الكلام لمقتضى الحال هدف مهم من أهداف هذا الكتاب ، فالوقوف على هذه المعرفة وهذا الترادف بين

(١) البقاعي : نظم الدرر ، ٥/ ١٧٠

(٢) الزَّمَخْشَرِيّ : الكشاف ، ٤/ ٤٧ ، وتناصفها : من النصفة والعدالة ؛ أي : تعادلها واتساقها .

(٣) الإيضاح ، ص ٢٠



نظرية النظم عند عبد القاهر ومطابقة الكلام لمقتضى الحال ليس نافلة من القول نستكثر بها الكلام ، ونخرج به عن حد ما هو مطلوب في هذا المقام ؛ فهذا وقوف واجب ؛ لأنه لا يصح أن نتحدث عن خُطُوَات مَنْهَجِيَّة للوقوف على بلاغة القُرْآن ، ولا يكون هناك حديث عن نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ، النظرية التي ما زال لها بريقٌ وعطاء إلى الآن في هذا المجال .

*** النظم عند عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) :**

يمكن أن نقول إجمالا إنَّ النظم عند عبد القاهر الجرجاني هو : تَوَخِّي معاني النَّحْو في الكلام وترتيب الألفاظ وفقًا لها . أو هو بعبارة أخرى : وضع الكلام في المواضع التي يقتضيها علم النَّحْو أو علم الإعراب ، وبعبارة ثالثة هو : معاني النَّحْو التي يدور عليها تعلق الكلام بعضه ببعض[1] .

ولتفصيل هذا الكلام نقول :

النحو في العَرَبِيَّة ينظر في ثلاثة أمور أساسية متصلة غير منفصلة بالإضافة إلى عنصر رابع له أهميته بمقدار معين .

- الأمر الأول : مادة تشكيل بناء النظام اللغوي وقواعده ، وكيفية اختيار هذه المادة ؛ أي أن هذا العنصر يُقصَدُ به الصيغ أو الألفاظ المختارة من حيث مناسبتها أو عدم مناسبتها لهذا التركيب أو ذاك .
- الأمر الثاني : القواعد المقررة وأنماط النظم التي تحدد مواقع الألفاظ المختارة ومدى ملاءمتها لجارتها .
- الأمر الثالث : الطرائق أو وسائل الربط بين مكونات البناء ، وهذه الوسائل الرابطة هي التي تحقق التماسك والسبك بين الصيغ أو مكونات البناء ومواقعها ، وبدون هذه الوسائل الرابطة لا جدوى للبناء ولا هيئة معينة ولا قوام خاص.

فعلم النَّحْو إذن بعبارة موجزة يُعنَى بـ « الكشف عن موقعية مفردات الجُمْلَة ، وبيان العلاقات وأوجه الربط بينها ، وفي هذا الكشف وذاك البيان ما فيه من إدراك

(١) د. شوقي ضيف : البَلاغَة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٩ ، (بدون تاريخ) ، ص١٦٨



خواص الجُمْلَة برمتها بوصفها بناء متكاملا في مبناه ومعناه »[1] .

ويمكن أن نضرب مثالا ماديًّا يُقَرِّبُ ما قلناه عن العناصر المُكَوِّنَة لعلم النَّحْو . لو أردنا بناء منزلٍ « جميل » تطلب هذا أمورًا أساسية وهي : مواد للبناء (رمل ، حديد ، حصى ، لبنات ...) ، وتصميمًا هندسيًّا (يبين كيف نختار مواد البناء ومقدارها وكيف نخلطها ، والشكل الذي عليه البناء ...) ، وعمال مهرة يقومون بتنفيذ التصميم الهندسي من خلال مواد البناء المحددة النوع والمقدار والكيفية .

فهؤلاء الثلاثة : مواد البناء ، والتصميم الهندسي ، والعمال لا بد من وجودهم كلهم أجمعين لإخراج البناء وظهوره .

هذه العناصر الثلاثة تمثل الحد الأدنى لبناء المنزل « فقط » ، أيَّ منزل (قطعة أرض محاطة بجدران وعليها سقف) ، وليس منزلا « جميلا » ، فقد اخترنا من مواد البناء مواد كثيرة كلها تصلح للبناء ، ومن التصاميم الهندسية تصاميم كلها تصلح للبناء ، ومن العمال عمال كثيرون كلهم يصلحون للبناء . أما المنزل « الجميل » فيقتضي أولا أن ندقق في اختيار مواد البناء ، فقد يتفاضل بعضها على بعض في الجودة والصمود أمام الوقت ومرور الأيام .

والتصميم الهندسي الذي يقوم عليه البناء يمكن أن نختار أبسط التصاميم الهندسية التي تكفل إقامة المنزل ، أما إذا كانت النية بناء منزل « جميل » فيقتضي هذا التأني في اختيار التصميم الهندسي الذي يناسب البيئة المحيطة وينسجم معها ، ويثير الإعجاب ، فقد توجد عدة تصاميم هندسية لإنشاء المنزل ، لكن هناك منها ما يناسب المكان والبيئة ، ومنها ما لا يناسبها ، والتصاميم التي تناسب المكان والبيئة تتفاوت في مقدار التناسب ، وصاحب البيت العبقري هو الذي يختار التصميم الأنسب .

ويقتضي بناء المنزل الجميل ثالثا أن نختار العمال المهرة الذين يتولون عملية التنفيذ ، فقد يكون من العمال عمال مهرة لهم خبرة وباع وذوق فني في البناء ، وَقَدْ يكون منهم من لا خبرة له ولا ذوق ، وما هو إلا البناء .

فمواد بناء المنزل تشبه الألفاظ والصيغ التي تساهم في بناء الجُمْلَة ، ومواد البناء التي تصلح لبناء منزلٍ كثيرةٌ ، وكلما تخيرنا من بين مواد البناء التي يمكن أن نبني

(١) د. كمال بشر : التفكير اللغوي بين القديم والحديث ، ص ٤٩١



منها هذا المنزل أحسنها وأفضلها وأنسبها للتصميم الهندسي كان هذا أدعى لقوة المنزل وجماله . والأمر كذلك مع ألفاظ التركيب ، فهناك عدد من الألفاظ (وليس كل ألفاظ اللغَة) يمكن أن يحل في الموقع الإعرابي للجملة أو التركيب ، وتكون الجُمْلَة صحيحة بأيٍّ منها ، أما إذا أردنا أن تتناسب الألفاظ مع المقام الذي قيلت فيه حتى يكون الكلام بليغًا فيجب أن « نختار » من بين هذه المجموعة الصالحة أفضلها وأنسبها لهذا المقام .

ويُشَابِهُ التصميمُ الهندسيُّ في مثال المنزل القواعدَ النَّحْوِيَّة ، فكما أنَّ مواد البناء المُختارة لا قيمة لها بدون وجود « تصميم هندسي » يوضح كيف نضع مواد البناء مع بعضها لتكون المنزل ؛ كذلك الأمر مع القواعد النَّحْوِيَّة ، فهي واجبة لِتُكَوِّنَ من الألفاظ والصيغ جملا مفيدة ، وكما أنه في الإمكان أن نختار لبناء المنزل أفضل التصاميم الهندسية المقدمة لبناء المنزل المرجو التصميم الذي يُزيده جمالا وتناسبًا وتناسقًا مع البيئة المحيطة به ، فكذلك القواعد وأنظمة بناء الجُمْلَة ، فقد تقدم اللغَة بنية أساسية للجملة تكفل به الصحةَ المطلقةَ للجملة ، لكن داخل هذه البنية تنويعات وبدائل يمكن أن يختار منها المتكلم الأنسب للمقام والحال .

وتماثل أدواتُ الربط التي تتولى الربط بين عناصر الجُمْلَة عُمَّالَ البناء الذين يقومون بوضع مواد البناء « المختارة » وفق التصميم الهندسي « المختار » ، فكما أنه لا وجود للمنزل بدون هؤلاء العمال فكذلك لا وجود للجملة بدون أدوات الربط التي تربط بين عناصرها [1] .

---

(١) حتى وقت كتابة هذا المثال الذي ضربته لم أكن اطلعت على كتاب « النبأ العظيم » للدكتور عبد الله دراز ـ رحمه الله وطيب الله ثراه ـ ، وأثناء مطالعتي للكتاب وجدت د. دراز يستشهد بمثال قريب مما ذكرته توضيحًا لنفس القضية التي نحن بصددها ، وإليك ما قاله في مثاله نذكره لزيادة التوضيح والتوكيد: « ... فهل ذهب عنك أن مثل صنعة البيان كمثل صنعة البنيان ، فالمهندسون البناءون لا يخلقون مادة بناء لم تكن في الأرض ، ولا يخرجون في صنعتهم عن قواعدها العامة ، ولا يعدو ما يصنعونه أن يكون جدرانًا مرفوعة ، وسقفًا موضوعة ، وأبوابًا مشرعة ، ولكنهم تتفاضل صناعاتهم وراء ذلك في اختيار أمتن الموارد وأبقاها على الدهر ، وأكنها للناس من الحر والقر ، وفي تعميق الأساس وتطويل البنيان ، وتخفيف المحمول منها على حامله ، والانتفاع بالمساحة اليسيرة في المرافق الكثيرة ، وترتيب الحجرات والأبهاء ، بحيث يتخللها الضوء والهواء ، فمنهم من يفي بذلك كله أو جله ، ومنهم من يخل بشيء منه أو أشياء ، إلى فنون

بناء على هذا التصور الذي قدمناه لعلم النَّحْو ووظيفته وما دعمنا به هذا التصور من مثال يمكن أن نفهم بشكل أوضح وأجلى مفهوم النظم عند عبد القاهر إذ يقول : إن النظم ليس « إِلا أن تضعَ كلامكَ الوضعَ الذي يَقتضيهِ علمُ النَّحْو ، وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه ، وتعرفَ مناهجَه التي نُهِجتْ فلا تزيغَ عنها ، وتحفَظُ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك ، فلا تُخِلَّ بشيءٍ منها »(1) .

إن فكرة النظم عنده تعتمد في أساسها على اتباع قواعد النَّحْو من حيث وضع الكلام في مواقعه ، ومن حيث النظر في العلاقات بين وحدات التركيب ومدى موافقة ذلك لقواعد النَّحْو .

ونوضح كلام عبد القاهر هذا بمجموعة من الأمثلة اللغوية :

أ- لا يجوز في نظام اللغَة العَرَبِيَّة أن نبدأ الجُمْلَة الاسْمِيَّة بـ « نكرة » خبره « شبه جملة » ، ونقول مثلا : « أزهارٌ في الحديقة » ، فهذا تركيب مرفوض في نظام اللغَة لا يُقبَل ممن يقوله ، طالما أنه لا توجد فائدة تحصل من ذلك ، ولكي تكون الجُمْلَة صحيحة نَحْوِيًّا يجب أن أقول « في الحديقة أزهار » .

ب- لا يجوز أن أقول مثلا : « لَمْ حَافَظَ محمدًا على ال يُصَلِّي » ؛ فضم الكلمات المُكَوِّنَة لهذه الجُمْلَة مع بعضها بهذا الترتيب ونظمها بهذه الألفاظ وبهذا التركيب والتعليق بينها بهذا التعليق مرفوض ، ولا معنى له ؛ لأن نظام اللغَة يرفض ذلك فهو ـ أي نظام اللغَة ـ يُوجِبُ أن يأتي بعد أداة الجزم « لَمْ » فعل مضارع ، وأن يكون الفاعل مرفوعًا ، وإذا كان مفردًا تكون علامة الرفع الضمة ، ويقتضي نظام اللغَة أن يأتي بعد « أل » اسمٌ لا فعلٌ ولا حرفٌ . والصواب في الجُمْلَة السابقة الذي يقبله نظام اللغَة أن نقول : « لم يحافظْ مُحَمَّدٌ على الصلاة » .

من الزينة والزخرف يتفاوت الذوق الهندسي فيها تفاوتًا بعيدًا . كذلك ترى أهل اللغَة الواحدة يؤدون الغرض الواحد على طرائق شتى ، يتفاوت حظها في الحسن والقبول ، وما من كلمة من كلامهم ولا وضع من أوضاعهم بخارج عن مواد اللغَة وقواعدها في الجُمْلَة ، ولكنه حسن الاختيار في تلك المواد والأوضاع قَدْ يعلو بالكلام حتى يسترعي سمعك ، ويثلج صدرك ، ويملك قلبك . وسوء الاختيار في شيء من ذلك ، قَدْ ينزل به حتى تمجه أذنك وتغشى منه نفسك وينفر منه طبعك » . ص ٧٥ ، ٧٦

(١) دلائل الإعجاز : ت: محمود شاكر ، مطبعة مدني ، الرياض ، ص٨١



ت- لا يجوز في نظام اللغَة أن نقولَ : « خالدٍ لَنْ وَصَلَ إلى اِبْتَغَاهُ » ، فضم ألفاظ هذه الجُمْلَة بهذا الترتيب ، ونظمها بتلك الألفاظ وبهذا التركيب ، والتعليق بينها بهذا التعليق مرفوضٌ في نظام اللغَة وغير مقبول ، فنظام اللغَة يرفض أن يأتي الفاعلُ قبل فعله ، ويقتضي أن الفاعل مرفوع ، وإذا كان الفاعل مفردًا يكون مرفوعًا وعلامة الرفع الضمة ، ويرفض نظام اللغَة أن يأتي بعد « لَنْ » فعلٌ ماضٍ أو أمر أو اسم أو حرف ، فالمسموح به فقط أن يأتي بعدها فعلٌ مضارعٌ ، ونظام اللغَة يرفض أن يأتي بعد حرف الجر فعلٌ أو حرف ويسمح فقط أن يأتي بعده اسم ؛ لذلك صواب الجُمْلَة السابقة الذي يقبله نظام اللغَة « لنْ يَصِلَ خالدٌ إلى مبتغاه » .

يبدو لنا مما قدمناه من الأمثلة أَهَمِّيَّة اختيار الألفاظ وَأَهَمِّيَّة الضم وتعليق الألفاظ ببعضها البعض بطريقة صحيحة ، وهذه أسس أو أركان في نظرية النظم عند عبد القاهر ؛ إذ إنه بنى نظريته في النظم عنده « على قواعد النَّحْو وقوانينه ، لا على إعرابه . وكان يعنى بقواعد النَّحْو وقوانينه ، تلك الجهات التي أشرنا إليها من اختيار وضم وتعليق صحيح ، بل إن التعليق عنده هو أساس النظم »(1) .

ونظام اللغَة مثلما يحدد الكلام المرفوض نَحْوِيًّا يحدد أَيْضًا قواعد المقبول نَحْوِيًّا وأنماطه ، ويحدد الإمكانات والبدائل والتنويعات المختلفة لهذه القواعد والأنماط.

ولنضرب مثالا :

يحدد نظام اللغَة « بنية أساسية » للجملة تَتَكَوَّن من : مُسنَد ومسنَد إليه ، وإذا أتى « المُسْنَد إليه » في بداية الجُمْلَة ، وبعده « المُسْنَد » ، وربطت بينهما « علاقة إسناد » كانت الجُمْلَة « اسْمِيَّة » . إذن الجُمْلَة الاسْمِيَّة تَتَكَوَّن من :

« مُسْنَد إليه » (مبتدأ) + « مُسْنَد » (خبر)

ويقول نظام اللغَة أن « رتبة » المُبْتَدَأ أن يأتي أولا ، و« رتبة » الخبر أن يأتي بعد المُبْتَدَأ . هذا التركيب الأساسي للجملة الاسْمِيَّة له بَدَائِل وتنويعات متعددة كلها صحيحة يقبلها نظام اللغَة ويسمح بها ، هي :

١ ـ « مبتدأ معرفة + خبر مفرد (معرفة أو نكرة) » .

---

(١) د. كمال بشر : ، التفكير اللغوي بين القديم والحديث ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦



٢ ـ « مبتدأ معرفة + خبر شبه جُمْلَة » .

٣ ـ « خبر شبه جُمْلَة + مبتدأ معرفة » .

٤ ـ « خبر شبه جُمْلَة + مبتدأ نكرة » .

٥ ـ « مبتدأ معرفة + خبر جُمْلَة اسْمِيَّة » .

٦ ـ « مبتدأ معرفة + خبر جُمْلَة فعلية » .

٧ ـ « مبتدأ معرفة + خبر محذوف » .

٨ ـ « مبتدأ نكرة (له مسوغ) + خبر » .

٩ ـ « مبتدأ محذوف + خبر » .

ومع أسلوب الشرط والحال نجد كثيرا من التنويعات والبدائل التي يقرها نظام اللغَة ، فنراه يقر « إنْ تخرج أخرج ، وإنْ خرجتَ خرجتُ ، وإن تخرج فأنا خارجٌ ، وأنا خارجٌ إن خرجتَ ، وأنا إن خرجتَ خارجٌ . وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك : جاءني زيد مسرعًا ، وجاءني يسرع ، وجاءني وهو مسرع ، أو هو يسرع ، وجاءني قَدْ أسرع ، وجاءني وَقَدْ أسرع »[(١)] .

هذه البَدَائِل كلها صحيحة نَحْوِيًّا يسمح بها نظام اللغَة ، ومن هذه البَدَائِل التركيبية يختار الأديب البليغ ما يناسب المقام الذي يقول فيه هذا التركيب لكي يكون كلامه بليغًا .

لعلنا بهذا التفصيل نكون قَدْ أَجبنا عن أحد السؤالين اللذين بدأنا بهما الحديث عن نظرية النظم عند عبد القاهر ، وهو : ما المقصود بنظرية النظم عنده ؟ وبقيت الإجابة عن السؤال الثاني ، وهو : كيف أن هذه النظرية « ترادف وتساوي » مطابقة الكلام لمقتضى الحال ؟

ونقول إجابة عن هذا السؤال :

الاهتمام باختيار التركيب المناسب جزء من أجزاء نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ، إذ تركز هذه النظرية « على طرائق التعبير أو التنويعات اللغوية لاختيار الأنسب منها ، والأوقع في النفس والأقرب إلي الذوق »[(٢)] .

---

(١) د. شوقي ضيف : البَلاغَة تطور وتاريخ ، ص ١٦٩

(٢) د. كمال بشر : التفكير اللغوي بين القديم والحديث ، ص ١٩٩ ، ويشير د. بشر إلى نوعين من « الاختيار والضم » ، نوع يمثل الصحة النحوية المطلقة ، ونوع يمثل الجانب البَلاغِيّ ، يقول



ولا تتوقف بلاغة الكلام فقط على اختيار التركيب المناسب للمقام ، بل لا بد أن يكون هناك اختيار صحيح للألفاظ التي تملأ المواقع الإِعْرابِيَّة في الجُمْلَة ، فمثلا جُمْلَة : استمع أحمدُ إلى القُرْآن ، موقع الفاعلية في هذه الجُمْلَة يسمح بمجموعة معينة من الأسماء (لا الأفعال ولا الحروف) يمكن أن تحل محل الفاعل « أحمد » ، مثل : « الرجل ، الطفل ، الصبي ، البشر ، الناس ، .... » ، ولا يسمح أن أقول مثلا : « الماء

سيادته : « ... والاختيار والضم معًا يكونان ما يمكن أن نعده نظيرًا لفكرة « النظم » عند عبد القاهر الجرجاني . والفرق الأساسي بين الاتجاهين أن النظم عند عبد القاهر الجرجاني يُعنى في الأساس باختيار الأفضل والأكثر مواءمة للمقام ، وبضمه كذلك على طريق أنسب وأوقع في التأثير والتعبير ، على حين أنا هنا ـ في الاختيار والضم ـ إنما نعنى بالصحة المطلقة من الناحية النحوية لا بما هو أحسن أو أفضل ؛ **إذ إن وظيفة النَّحْو البحث عن الصحة المطلقة** . أما ربط الكلام بالمقام للبحث عن وجوه البَلاغَة ، فهو يمثل درجة أعلى ، تدخل في الأساليب وعلوم النقد الأدبي » ، ص ١٨٤ ، ويقول د. بشر في موضع ثانٍ موضحًا نفس الفكرة ـ فكرة الاختيار والضم عند النُّحَاة واللغويين وعند البلاغيين والفرق بينهما ـ فيقول : « وهنا نلمس شبهًا واضحًا بين النهج الذي ارتآه دي سوسير ، وما جاء به عبد القاهر الجرجاني من أفكار رئيسية في النظم . ذلك أن فكرة النظم هذه تعتمد في أساسها على اتباع قواعد النَّحْو من حيث وضع الكلام في مواقعه ، ومن حيث النظر في العلاقات بين وحدات التركيب ومدى موافقة ذلك لقواعد النَّحْو . وهنا يبرز الشبه بين ما قرره عبد القاهر ، وما ارتآه دي سوسير من النظر الأفقي للتراكيب ، فالنظر السنتجماتيكي عند دي سوسير يناظر فكرة « الاختيار » عند عبد القاهر التي هي جزء مكمل لفكرة النظم ، حيث إن النظم الصحيح إنما يكون باختيار العنصر اللغوي (الكَلِمَة ، أو جزء الكَلِمَة) المناسب لموقعه في التركيب ، غير أن فكرة الاختيار عند عبد القاهر أوسع . إن الاختيار عنده على ضربين :

(أ) مجرد اختيار أو التقاط الصيغ المفردة المُنَاسَبَة للتركيب المعين ، وهذا هو ما يشبه النظر الرأسي عند دي سوسير .

(ب) اختيار المفردات أو التركيب اختيارا مقصودًا بتفضيل تركيب على آخر (يؤديان معنى عاما واحدًا متقاربًا ، ولكن أحدهما أفضل) لملاءمته للمقام .

وهذا النوع الثاني لا شأن لدي سوسير به إطلاقًا ؛ لأنه من أعمال البلاغيين أو رجال الأسلوب . هذا بالإضافة إلى أنَّ عبد القاهر ... يختلف عن البِنَوِيِّين (أو معظمهم) في اهتمامه بالعوامل الخارجية للنص المتمثلة في السِّيَاق غير اللغوي أو المقام الذي يعد ركيزة البحث البَلاغِيّ عند العرب » . التفكير اللغوي ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٦

القلم ، الساعة ... » . ويسمح نظام اللغَة بمجموعة من الأفعال يمكن أن تحل محل الفعل « استمع » في هذه الجُمْلَة ، مثل : « أصغي ، أنصت ، ... » ، إذا حل أي اسم من هذه الأسماء محل الفاعل « أحمد » فالجملة صحيحة ، وإذا حل أيُّ فعل من هذه الأفعال محل الفعل « استمع » فالجملة صحيحة . لكن لكي يكون الكلام « **بليغًا** » يجب أن يختار من هذه المجموعة الأنسب والملائم للمقام والحال ، فالأبلغ في هذه الجمل الآتية :

- استمع البشر للقرآن .
- استمع القوم للقرآن .
- استمع الناس للقرآن ...

هو ما يناسب المقام والحال الذي يقال فيه ، والأبلغ في الجمل الآتية :

- استمع أحمد إلى القُرْآن .
- أنصت أحمد إلى القُرْآن .
- أصغى أحمد إلى القُرْآن .

هو ما يناسب المقام والحال الذي يقال فيه .

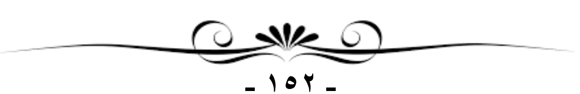
لقد وجَّه البلاغيون « اهتمامًا كبيرًا ـ نظرًا وتطبيقًا ـ إلى أساسيات التَّحْلِيْل النحوي بمعناه الدقيق ، وبخاصة فيما يتعلق باختيار مكونات التركيب ومواقعها وضمها بعضها إلى بعض ، والتعليق أو الربط بينها ... ولقد رسم هذه الخطوط الأَسَاسِيَّة في تحليل التراكيب جماعة من رواد البلاغيين ، وعلى القمة منهم عبد القاهر الجرجاني ، في حديثه الفذ عن النظم وطرائق تأليف الكلام ، معتمدًا في ذلك كله على معاني النَّحْو وأحكامه ، وما يمكن أن تقدمه هذه المعاني والأحكام من إمكانات ترشد المؤلف أو الناظم إلى جودة التراكيب وسبكها »[1] .

واهتمام نظرية النظم عند عبد القاهر أن تأتي الألفاظ والتركيب موائمة ومنسجمة مع السياق والمقام هو ما قصده الخطيب القزويني بقوله : « وهذا ـ أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال ـ هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم » .

تلك كانت ـ في عُجالة سريعة ـ نظرية النظم عند عبد القاهر والعلاقة بينها وبين تعريف القزويني .

---

(١) د. كمال بشر : التفكير اللغوي بين القديم والحديث ، ص ٥٠٣ ـ ٥٠٤



نعود بعد هذا الاستطراد إلى بيان بقية عناصر تعريف القزويني .

ث- **الفصاحة** :

نأتي إلى تجلية العنصر الرابع من عناصر تعريف الخطيب القزويني في تعريفه للبلاغة ، وأُذَكِّرُ القارئ بما عساه قَدْ نساه لطول الفاصل بين هذا العنصر والعنصر الذي قبله .

لقد بدأنا في التعريف الأخير للبلاغة وهو تعريف الخطيب القزويني الذي يقول إن البَلاغَة « مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته » ، وقلنا : إن هذا التعريف يشمل أربعة عناصر أساسية ، هي : الكلام ، الحال ، المطابقة ، الفصاحة . وَقَدْ تناولنا بالشرح والإيضاح والتحليل العناصر الثلاثة الأولى .

وها نحن أولاء مع العنصر الأخير في تعريف القزويني : الفصاحة .

ونبدأ بالمعنى اللغوي للفصاحة .

يُشير الجذرُ اللغوي لكلمة « الفصاحة » إلى معنى « الخلوص والنقاء » ، قال ابن فارس : « الفاء والصاد والحاءُ أصلٌ يدل على خُلُوصٍ في شيْءٍ ، ونَقاءٍ من الشَّوْب »(١) ، وفي لسان العرب : « الفصاحةُ : البيان ... تقول : رجلٌ فَصيح ، وكلام فصيح ؛ أي : بليغ ، ولسانٌ فصيح ؛ أي : طلق »(٢) ، وذكر تاج العروس : « الفَصْحُ والفصاحة : البَيَان ، قال شيخنا : قال أئمة الاشتقاق وأهل النظر : مدار تركيب الفصاحة على الظهور »(٣) .

وقبل أن نقدم تعريفًا اصطلاحيًّا للفصاحة يجب أولا أن نُبَيِّنَ موقف علماءُ البَلاغَة من هذا المصطلح ؛ إذ إنهم لا يصدرون في شأنه عن قوس واحدة ، وليسوا في تعريفه وإبراز أهميته لسانًا واحدًا .

يمكن أن نقسم موقف البلاغيين من مصطلح الفصاحة قسمين :

أ- قسم لا يفرق بين الفصاحة وَالبَلاغَة ويعتبرهما مصطلحينِ مترادفَينِ .

ب- قسم يُفرِّقُ بينهما ويحدد لكلٍ مجالا محددًا .

يمثل القسم الأول عدد من البلاغيين ، منهم الجاحظ الذي « لم يضع حدًّا واضحًا بينهما ، وإنما أجراهما بمعنى واحد في مواضع كثيرة من كتابه البيان

(١) مقاييس اللغَة ، ٤/ ٥٠٦

(٢) ٢/ ٥٤٤

(٣) ٧/ ١٨



والتبيين »[1] .

ومن هذا القسم أَيْضًا إمام البَلاغَة عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) ، فلم يشغل عبد القاهر نفسه بتعريف الفصاحة ، وربما كان ذلك لإيمانه بترادف الكلمتين ، بل إنه يضم إليهما كلمة ثالثة وهي « البيان » ، ويستخدم الثلاثة بمعنى واحد : وكأنها جميعًا ذات دلالة واحدة [2] ، ويقرِّر « أن الفصاحة والبيان وَالبَلاغَة تُردُّ جميعًا إلى خصائص في الكلام وراء ألفاظه ومعانيه ، وهي خصائص تعود إلى النظم وترتيب الكلمات »[3] . فمدلول الفصاحة عنده يطابق البَلاغَة والنظم . وتابع عبدَ القاهر في عدم التفريق بين الفصاحة وَالبَلاغَة الزَّمَخْشَرِيُّ والفخرُ الرازي .

أما القسم الثاني الذي يُفرِّقُ بين الفصاحة وَالبَلاغَة فيضمُّ عددًا آخر من البلاغيين هم : أبو هلال العسكري (ت : ٣٩٥هـ) ، ابن سنان الخفاجي (ت : ٤٦٦هـ) ، السَّكَّاكِيّ (ت : ٦٢٦هـ) ، ضياء الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ) ، بدر الدين مُحَمَّد بن جمال الدين الأندلسي (ت : ٦٧٦هـ) .

ويُلاحَظُ من تاريخ وَفَيَات هؤلاءِ العلماء أنَّ التفرقةَ بين هذين المصطلحين لم تنشأ في الواقع على أيدي المتأخرين من علماء البَلاغَة ، بل إن جذور هذه التفرقة « عند أبي هلال ، ثم اتضحت بشكل حاسم عند ابن سنان »[4] .

ونقول إن التفرقة بين المصطلحين اتضحت بشكل حاسم عند ابن سنان ؛ إذ نجده يتلقف رأي أبي هلال في هذه التفرقة وينميها بشكل أعمق ، ويجعل من الفصل بين مصطلحي الفصاحة وَالبَلاغَة أساسًا أقام عليه كتابه « سر الفصاحة » .

وتفرقة هذه المجموعة من العلماء بين هذين المصطلحين يثير فينا بضعة تساؤلات :

أ- إذا كانت الفصاحة غير البَلاغَة عندهم ؛ فما العلاقة بين المصطلحين ؟

ب- وما مجال كل منهما ؟

ت- ومتى تكون الكَلِمَة فصيحة ؟

---

(١) د. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البَلاغِيَّة وتطورها ، ٣/ ١١٠

(٢) د. شوقي ضيف : البَلاغَة تطور وتاريخ ، ص ١٦١، وينظر أَيْضًا : د. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البَلاغِيَّة وتطورها ، ١/ ٤٠٤ ، وهناك نجد د. أحمد يضيف مصطلحًا رابعًا هي كلمة « البراعة » ، يقول : « والفصاحة وَالبَلاغَة والبراعة والبيان عنده بمعنى واحد » .

(٣) د. شوقي ضيف : البَلاغَة تطور وتاريخ ، ص ١٦٨

(٤) د. شفيع السيد : البحث البَلاغِيّ عند العرب تأصيل وتقييم ، ص ١٣٥ ، ١٣٦



ث- وما التعريف الذي يقدمه هذا الفريق للفصاحة ؟

✓ **العلاقة بين المصطلحين** :

وإجابة عن السؤال الأول في هذه التساؤلات نجيب بأن العلاقة بين المصطلحين تتمثل في الآتي :

أن المصطلحين ـ من الناحية اللغوية ـ يئولان إلى معنى واحد هو « الإبانة عن المعنى والإظهار له » ، على الرغم من اختلاف الأصل اللغوي لكل منهما .

أما على المستوى الاصطلاحي فنجد أن العلاقة بين الفصاحة وَالبَلاغَة عند هؤلاء العلماء تظهر في أن الفصاحة ـ كما يقول ابن سنان الخفاجي ـ « مقصورة على وصف الألفاظ ، وَالبَلاغَة لا تكون إلا وصفًا للألفاظ مع المعاني . لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة ، وإن قيل فيها فصيحة ، وكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغًا »[1] .

والجملة الأخيرة في اقتباس ابن سنان « كل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغًا » تشير إلى أن بين البَلاغَة والفصاحة عند هؤلاء البلاغيين عموم وخصوص مطلق ، فـ « البَلاغَة أخص ، والفصاحة أعم ، وأن كل ما يطلق عليه لفظ « البليغ » كلامًا ، كان أو متكلمًا يطلق عليه « الفصيح » ... وليس كل ما يطلق عليه لفظ الفصيح يطلق عليه لفظ البليغ »[2] .

✓ **مجال الفصاحة وَالبَلاغَة** :

بناء على ما سبق فإنه إذا اجتمع الكلام مع بعضه ، وكوَّن جملا يجوز أن يوصف بالبلاغة والفصاحة ، أما إذا انفرد الكلام ألفاظًا مفردة فلا يوصف إلا بالفصاحة[3] .

وهنا نُنَبِّه على أمر دقيق ومهم يجب الالتفات إليه ، وهو أنَّ الفصاحةَ إذا أتت

(١) سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٩٨٢م) ، ص ٥٩ ، وينظر تردد هذا الكلام نفسه في عدد من المراجع : جبور عبد النور: المعجم الأدبي ص ٥١ أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البَلاغِيَّة وتطورها ١/ ٤٠٤ ، ٤٠٦ وبدوي طبانة ، معجم البَلاغَة العَرَبِيَّة ص ٤٩٩

(٢) د. بدوي طبانة : معجم البَلاغَة العَرَبِيَّة ، ص ٨٥

(٣) د. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البَلاغِيَّة وتطورها ، ١/ ٤٠٤



وصفًا للكلام البليغ يكون لها معنًى ، وإذا أتت وصفًا للألفاظ المفردة يكون لها معنًى ؛ أي أن هناك فرقًا بين « فصاحة الكلام » و « فصاحة اللفظ » ، فنحن إذن أمام مستويين من الفصاحة :

⇦ المستوى الأول : فصاحة على مستوى الكلام أو داخل الكلام .

⇦ المستوى الثاني : فصاحة على مستوى اللفظ .

أما المقصود بالفصاحة داخل الكلام أن « تسلم الجُمْلَة من ضعف التركيب وتنافر الكلمات والتعقيد ، وكثرة التكرار ، وتتابع الإضافات »[1] ، أو بتعبير آخر : فإن فصاحة الكلام تعني « أن يخلو من التعقيد اللفظي والمعنوي ، ومخالفة القياس النحوي ، ومن تنافر الكلمات مع فصاحة المفردات »[2] .

ويقصد بـ « ضعف التركيب » أو « ضعف التأليف » أن يكون « تأليف الكلام على خلاف القانون النحوي الذي استمده العلماء مما أَلِفَهُ العرب في لغتهم ، وتداولته ألسنتهم في الكثير الغالب »[3] ، ويُقصد بـ « تنافر الكلمات أن تكون الكلمات ثقيلة على اللسان ، وإن كان كل منها فصيحًا »[4] ، ويقصد بـ « التعقيد » : « أن يكون الكلامُ خَفِيَّ الدلالة على المعنى المراد ، وذلك إما لاختلاف نظم الكلام بحيث لا تكون الألفاظ مرتبة على وفق ترتيب المعاني ، أو بأن يحذف من الكلام ما لا دليل عليه ، كالفصل بين المُبْتَدَأ والخبر ، والصفة والموصوف ، والبَدَل والمبدل منه ... [وإما لـ] استعمال المجازات أو الكنايات البعيدة التي يصعب معها انتقال الذهن من المعنى المفهوم بحسب اللغَة إلى المعنى المقصود بطريق المجاز أو الكناية »[5] . قال أبو هلال : « التعقيد والإغلاق والتقعير سواء ، وهو استعمال وحشي الكلام ، وشدة تعليق الكلام بعضه ببعض حتى يستبهم المعنى »[6] .

---

(١) جبور عبد النور : المعجم الأدبي ، ص ١٩١

(٢) د. شوقي ضيف : البَلاغَة تطور وتاريخ ، ص ١٥٤

(٣) د. بدوي طبانة : معجم البَلاغَة العَرَبِيَّة ، ص ٣٤٩ ، ويُنظَر هناك الأمثلة التي قدمها .

(٤) السابق ، ص ٦٧٠

(٥) السابق ، ص ٤٣٥

(٦) الصناعتين ، ص ٤٦



ويشير ابن سنان إلى أن « التأليف لا يستحب فيه كثرة الكلام الوحشي الغريب كما لا يستحب فيه العاميُّ . ويجعل في مقابلة عدم مخالفة اللفظة للعرف الصَّرْفِيّ أن لا يخالف الكلام العرف النحوي ، ويطلب أن لا تكون الصِّيْغَة مستعملة في أمر مستكره ، كما يطلب أن لا تكثر الكلمات طويلة الحروف . وكل ذلك جمعه المتأخرون في قولهم إن فصاحة الكلام أن يخلو من التعقيد اللفظي والمعنوي ومخالفة القياس النحوي ، ومن تنافر الكلمات مع فصاحة المفردات »[1] . ويدخل في باب التعقيد أَيْضًا تتابع الإضافات ، فهذا الأمر أَيْضًا من الأمور التي تُخِلُّ بالفصاحة ، وهو « كون الاسم مضافًا إضافة متداخلة غالبًا »[2] .

إذا خلا الكلام من الأمور السابقة استأهلَ أن يوصف بالفصاحة ، وإذا زاد الكلام ـ بعد خلوه من الصفات السابقة التي تقلل من فصاحته ـ بأن كان واضحًا ظاهرًا جليًّا خاليًا من فضول الكلام ـ زادت فصاحته وحسنه .

✓ **متى تكون الكَلِمَة فصيحة؟** :

أما المستوى الثاني الذي يتعلق بفصاحة اللفظ ، فإن اللفظ الفصيح ـ كما قال ابن سنان ـ هو الذي تتوافر فيه الشروط الثمانية الآتية :

١ـ أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج[3] ؛ لأن الحروف ما هي إلا أصوات ، والأصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر ، والألوان المتباينة كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة ، ومثال التأليف من الحروف المتباعدة كثير ، وجُلُّ كلام العرب عليه ، أما تأليف الحروف المتقاربة فمثل : « الهعخع » في قول الأعرابي الذي سئل عن ناقته

---

(١) د. شوقي ضيف : البَلاغَة تطور وتاريخ ، ص ١٥٤

(٢) د. بدوي طبانة : معجم البَلاغَة العَرَبِيَّة ، ص ١٠٦ ، وينظر في هذا الموضع الأمثلة على ذلك.

(٣) حتى لا تثقل على اللسان ، وأن تحسن في السمع ، وقد قدم ابن سنان فكرة متكاملة في هذا الشأن ، شأن عدم تنافر الكلمات وحروفها ، لم يكد البلاغيون يزيدون عليها شيئًا فيما بعد . فقد أوضح في كتابه المبدأ الخاص بنقاء الكلام وسلامته من التنافر في الحروف والألفاظ معًا ، والذي أطلق عليه اسم « الاقتران » ، فبعض الحروف لا يقارن بعضها الآخر ، كالجيم فإنها لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين ولا الضاد ولا الذال . وبهذا اهتدى البلاغيون المتأخرون ، وجعلوا سلامة الكَلِمَة من تنافر الحروف شرطًا لفصاحتها . يُنظر : د. شفيع السيد : البحث البَلاغِيّ عند العرب ، ص ٦٥

فقال : « تركتها ترعى الهعخع »(١) .

٢ـ أن تجد لتأليف اللفظة في السمع حسنًا ومزية على غيرها وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة ، كما أنك تجد لبعض النغم والألوان حسنًا يتصور في النفس ، ويدرك بالبصر والسمع دون غيره مما هو من جنسه ، كل ذلك لوجه يقع التأليف عليه ، ويتضح ذلك بالمقارنة بين كلمتي « غصن » و« عسلوج » ، فمن تأليف كل منها من حروف متباعدة المخارج فإن أولاهما أحسن وقعًا على السمع من الثانية .

٣ـ أن تكون الكَلِمَة غير متوعرة وحشية ؛ أي : تكون الألفاظ مأنوسة في الاستعمال غير مهجورة .

ولكن المثير للاهتمام أن موقف النقد القديم لم يكن رافضًا رفضًا مطلقًا للتعامل مع مثل هذه الدوال المتوعرة الوحشية ، ونجد الجاحظ يحتكم إلى السياق في استخدام الألفاظ العامية والوحشية ؛ فيربط الصياغة بطبيعة متلقيها (والمتلقي أو المخاطَب عنصر من عناصر السياق) ، « فلا مانع أن يحتوي الكلام على الوحشي من الألفاظ ؛ إذا كان موافقًا لطبيعة التوحش في المتلقي ، وبالمثل يجوز استخدام العاميِّ إذا كان المجال مجال تعامل مع السوقة ، وكما يكون هناك احتياج للجزل في بعض المواضع ، كذلك يكون هناك احتياج لسخيف اللفظ في بعض المواضع أَيْضًا ، بل ربما كان ذلك أمتع من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ »(٢) وابن سنان نفسه يربط

---

(١) القزويني : الإيضاح في علوم البَلاغَة ، ص ٢٢ ، ونسجل هنا أنَّ هذا الأمر ـ أمر تقارب الحروف في الكَلِمَة ـ ليس دائما يُسَلَّم به ، فقد يكون لهذا التعقيد في حروف اللفظ أمر له دلالته البَلاغِيَّة ، ويكون مطلوبا ، ولننظر ـ مثلا ـ في كلمة « ضيزى » فهي « ولا شك ليس لها من انسيابية النطق وجمال الوقع على الأذن ما للكلمة المرادفة لها « جائرة » لكنا نزعم أنها في موقعها من قول الله تَعَالَى في سورة النجم يخاطب المشركين :﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ النجم: ٢٢، دالة أبلغ دلالة على المراد ، وهو فساد القسمة وحيفها بشكل يولد في النفس ـ عند نطق الكَلِمَة ـ إحساسًا بثقلها وبُغضها ، والنفور منها ، وهي دلالة لا تتفجر من الكَلِمَة المرادفة السابقة » . يُنظَر د. شفيع السيد : البحث البَلاغِيّ ، ص ١٣٦

(٢) د. محمد عبد المطلب : البلاغة العربية قراءة أخرى ، ص ٥٣



« المفردة بالسياق حيث يقتضي السياق أحيانًا استخدام اللفظة الموصولة بالتوحش ، وحيث لا يكون للمبدع مخرج عنها »[1] .

٤ـ أن تكون الكَلِمَة غير ساقطة عامية [2] .

٥ـ أن تكون الكَلِمَة جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة ، ويدخل في ذلك كل ما ينكره أهل اللغَة ، ويرده علماء النَّحْو من التصرف الفاسد في الكَلِمَة [3] .

٦ـ ألا تكون الكَلِمَة قَدْ عُبِّر بها عن أمر آخر يكره ذكره .

٧ـ أن تكون الكَلِمَة معتدلة غير كثيرة الحروف ، فإن الكَلِمَة إذا زادت حروفها على الحد المعتاد أصبحت سمجة قبيحة خارجة عن الفصاحة ، وذلك مثل كلمة « سويداوات » في قول المتنبي :

إِنَّ الكـــــــرامَ بِلا كِـــــــرامٍ مِنهُمُ ... مِثْلُ القُـــــــلوبِ بِلا سُوَيــداواتِها

ويقدم ابن الأثير رأيًا جيدًا في هذه المسألة ، حيث « رفض الحكم بالقيمة على اللفظة لكثرة حروفها واستدل على ذلك بما ورد في القُرْآن الكريم من الكلمات طالت حروفها ، ومع ذلك فهي حسنة رائعة ، كقوله تَعَالَى « فَسَيكفيكهم الله » ،

(١) السابق ، ص ٤٩

(٢) ولنا على هذا الشرط اعتراض ، ماذا نقول في نص قديم فصيح بليغ تحولت إحدى ألفاظه إلى اللغَة العامية ، هل تسقط فصاحة هذا النص ؟ وإذا سلمنا بسقوط فصاحته ، فهل هذا يعني أن النص يكون فصيحًا في وقت ، وليس فصيحًا في وقت آخر ، ويترتب على هذا أَيْضًا : هل الفصاحة ترتبط بالعصر الذي تقال فيه ؟

(٣) وقد جعل البلاغيون الالتزام بالقياس اللغوي في صوغ المفرادات شرطًا أساسيًّا لفصاحتها ، ويرى بعض الباحثين أن اتباع نظام موحد في التعامل مع اللغَة حفاظًا على سلامة النظام اللغوي في أبنيته ومفرداته أمر له أهميته ، لكن لا ينبغي ـ في الوقت نفسه ـ التعويل دائمًا على القياس والخضوع المطلق لكل ما يفرضه ، فبعض ما يجيزه القياس يتحاماه عرف الناس في الاستعمال ، وينبو عنه الذوق السليم ، لذا فرأي ابن الأثير في هذه القضية هو الأقرب للصواب ، وهو أن يكون الاعتداد بالحسن في الاستعمال لا بما يجيزه الناس . يُنظَر د. شفيع السيد : البحث البَلاغِيّ ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩

وقوله « ليستخلفنهم ... » ، فالحكم النهائي لا يرجع إلى الطول والقصر ، وإنما إلى نظم الحروف بعضها مع بعض »[1] .

٨ـ أن تكون الكَلِمَة مصغرة في موضع عبر بها فيه عن شيء لطيف أو خفي أو قليل أو ما يجري مجرى ذلك ، ومثاله قول ابن أبي ربيعة :

وَغابَ قُمَـيرٌ كُنتُ أَرجو غُـيوبَهُ ... وَرَوَّحَ رُعـيانٌ وَنَوَّمَ سُـمَّرُ

وهذا تصغيرٌ مختار في موضعه .

كل هذه الصفات التي ذكرنا في فصاحة الكَلِمَة « لخصها البلاغيون المتأخرون ـ ومنهم القزويني ـ في قولهم إنها : خلوص الكَلِمَة من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي أو الصَّرْفِيّ »[2] .

ونلاحظ أن مصطلح الغرابة لم يرد بلفظه في الشروط الثمانية ، ولكنه في معناه قريب من الشرط الثالث ، وقام البلاغيون بتحديد معناه فقالوا : « الغرابة هي وصف في الكَلِمَة يخل بفصاحتها ؛ لكونها غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة الاستعمال عند العرب ، وقسم البلاغيون الغرابة إلى قسمين : ما يوجب حيرة السامع في فهم المعنى المقصود من الكَلِمَة التي تتردد بين معنيين أو أكثر ، والثاني : ما يعاب استعماله لاحتياجه إلى تتبع اللغات ، وكثرة البحث عن معناه في المعجمات وكتب اللغة[3] .

وينبه البلاغيون على أن « معظم هذه الشروط تدخل في فصاحة الألفاظ المؤلفة والإخلال بها قَدْ يؤدي إلى زيادة القبح والتنافر في الكلام ؛ لأنه حين تكون الألفاظ

(١) د. محمد عبد المطلب : البلاغة العربية قراءة أخرى ، ص ٤٦

(٢) د. شوقي ضيف : البَلاغَة تطور وتاريخ ، ص ١٥٣ ، وينظر أَيْضًا : د. أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البَلاغَة وتطورها ،٣/ ١١٦

(٣) د. بدوي طبانة : معجم البَلاغَة العَرَبِيَّة ،ص ٤٦٩ ـ ٤٧٠ ، والحق أن بعض البلاغيين علق الحكم بالغرابة أو الألفة على الذوق السليم ، ولذلك دلالته في إدراكهم لطبيعة التطور في استخدام اللغَة ، وما ينجم عنه من ألفة الكَلِمَة بكثرة تداولها بين أهل اللغَة ؛ فيأنس الذوق إليها ، ويرتاح لها أو غرابتها بهجران الناس لها وتجنبهم إياها فينبو الذوق ، وينكرها الاستعمال ؛ ولذلك دلالته أَيْضًا في اختلاف الأذواق باختلاف البيئات والعصور . يُنظَر د. شفيع السيد : البحث البَلاغِيّ ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨



مجتمعة تحتاج إلى دقة في التركيب واختيار اللطيف منها »[١] .

ويقف بعض الباحثين عند المستوى الأول من الفصاحة الذي أوضحناه في السطور السابقة ويتساءل : ما علاقة الفصاحة داخل الكلام بالبلاغة ؟ وهل كل كلام بليغ يستلزم أن يكون فصيحًا ؟ وهل كل كلام فصيح يستلزم أن يكون بليغًا ؟

سبقت إشارة تُجيب عن هذه الأسئلة ونؤكدها هنا مرة ثانية فنقول بأن الكلام البليغ يستلزم أن يكون فصيحًا ، وهذا ما أشار إليه أبو هلال العسكري ؛ إذ الفصاحة عنده شرط أساسيٌّ في مفهوم البَلاغَة ، يقول : « البَلاغَة كلُّ ما تُبُلِّغ به المعنى قلبَ السامع فتمكِّنه في نفسه كتمكُّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن . وإنما جعلنا حُسنَ المعرض وقَبُولَ الصورة شرطا فى البَلاغَة ؛ لأنّ الكلامَ إذا كانت عبارته رثّةً ومعرضه خَلَقًا لم يُسَمَّ بليغًا، وإن كان مفهوم المعنى ، مكشوف المَغْزَى »[٢] . وهذا ما يظهر في تعريف القزويني نفسه .

أما الكلام الفصيح فلا يلزم أن يكون بليغًا ، فقد يكون الكلام فصيحًا ولكنه غير بليغ ؛ لأنه غير مطابق لمقتضى الحال ، أو أن هناك متكلمًا ذا ملكة يقتدر بها على الفصيح غير المطابق لمقتضى الحال[٣] .

✓ **تعريف الفصاحة** :

بعد الأخذ في الحسبان كل الكلام السابق يمكن أن نقدم تعريفًا للفصاحة عند من يفرقون بين البَلاغَة والفصاحة ، ونقول إنها « إبانة عن فكرة أو صورة بكلام خالٍ من التعقيد ، ومن اللفظ الكريه الجَرْس »[٤] .

* **الخُطُوَاتُ المَنهَجِيَّةُ المُستَخلَصَةُ من تعريف القزويني** :

بعد هذه الرحلة وهذا التطواف نأتي إلى الخطوات المستخلصة من هذا التعريف :

---

(١) د. أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البَلاغَة وتطورها ، ٣/ ١١٥

(٢) الصناعتين ، ص ١٠ ، وينظر أَيْضًا : د. شفيع السيد : البحث البَلاغِيّ عند العرب تأصيل وتقييم ، ص ٧٨

(٣) د. بدوي طبانة : معجم البَلاغَة العَرَبِيَّة ، ص ٨٥

(٤) د. جبور عبد النور : المعجم الأدبي ، ص ١٩١



أ- تحديد السِّيَاق بكل أبعاده ، ومحاولة خلقه إن أمكن .
ب- بيان الحال ومقتضاه .
ت- بيان الفصاحة على مستوى الألفاظ ، وبيان تحقق الشروط التي وضعها ابن سنان الخفاجي .
ث- بيان الفصاحة على مستوى الجُمْلَة بدراسة الفصاحة على مستوى الكلام من حيث ضعف التركيب ، وتنافر الكلمات والتعقيد وعدم التكرار ، وعدم تتابع الإضافات ....
ج- الصحة النحوية ، ودراسة بناء الجُمْلَة وتركيبها في ضوء البنية الأساسية .
ح- البحث عن مطابقة الكلام ألفاظًا وتراكيب للسياق الذي قيل فيه الكلام .
خ- محاولة تحديد بَدَائِل ممكنة للألفاظ والتراكيب قدر المستطاع .

*****

* الخُطُوَات المَنهَجيَّة لدراسة البَلاغَة القُرآنِيَّة :

من مجموع التعريفات التي قَدَّمناها لتعريف البَلاغَة ، وما أوضحناه من مؤهلات الباحث البَلاغِيّ وأدواته يمكن أن نضع التصور الآتي للخُطُوَات المَنْهَجِيَّة المرجوة للوقوف على البَلاغَة القُرْآنِيَّة .

ويمكن أن نقسم هذه الخُطُوَات المَنْهَجِيَّة إلى ثلاث مراحل ، كل مرحلة تضم جملة خُطُوَات .

وهذه المراحل الثلاث هي على الترتيب :

⇦ المرحلة الأولى : وتضم خُطُوَات متعلقة بالسياق والمعنى .
⇦ المرحلة الثانية : وتضم خُطُوَات متعلقة باللفظ .
⇦ المرحلة الثالثة : وتضم خُطُوَات متعلقة بالجملة .

* المرحلة الأولى : المتعلقة السِّياق والمعنى:

وتضم الخُطُوَات الآتية :

١) تحديد سياق السورة الأعم (مكي ـ مدني) [(١)] .
٢) تحديد الجو العام للسورة أو مقصدها ، وأهم الموضوعات فيها .
٣) **تحديد مناسبات السورة :**

(١) وهناك نوع من السياق يمكن أن نسميه السياق الأكثر عمومية ، وهو المتعلق بتاريخ العرب في الجاهلية قبل الإسلام ، ويتعلق بتاريخ السيرة النبوية .



أ- تحديد مناسبة السورة لما قبلها .

ب- بيان مناسبة الآية أو الآيات لما قبلها ولما بعدها .

ت- وكذلك مناسبة الجمل المكونة للآيات فيما بينها .

ث- وإن كانت الآية محل البحث البَلاغِيّ هي أول آية في السورة يكون بحث المناسبة بينها وبين آخر آية في السورة التي قبلها .

ج- تحديد مناسبة الآيات لاسم السورة . مع الإشارة إلى تأثير هذه المناسبات على الكلام باعتبار المناسبة جزء من مقتضى الحال إن أمكن هذا .

٤) تحديد السياق الخاص (أسباب النزول) للآية أو الآيات إن وُجدتْ ، وهذا التحديد مهم ؛لأن معرفة السبب يعني معرفة مقتضى الحال كما قال الإمام الشاطبي .

٥) تحديد معاني الآية :

أ- تحديد المعنى اللغوي الدقيق لألفاظ الآية بما فيه المعنى السياقي اللغوي[١] ، أو المعنى السياقي غير اللغوي إن وجد[٢] .

---

(١) المقصود بالسياق اللغوي هو ورود الكَلِمَة في حشد من الكلمات ترتبط بهن ؛ فيصبح لها معنى متأثر بما كان معها من كلمات ، مثال ذلك كلمة « وجه » إذا وضعناها في سياقات مختلفة ، ماذا تعني في هذه السياقات المقالية أو اللغوية فيما لو قُلْت : وجه الحقيقة ، وجه النهار ، وجه الورقة . وكلمة يد ماذا تعني لو قُلْت : يد السكين ، وبعته يدًا بيد ، هم يد على من سواهم ، هذه يدي لك ، طلع يده من الاتفاق . ينظر : د. عيد مُحَمَّد الطيب : المعجم والدلالة ، ص ١٩٦

(٢) كمثال على الدلالة السياقية دلالة كلمة « الناس » في قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ آل عمران: ١٧٣ ، فلا يُعقل أن كل الناس قالوا لكل الناس ، فلا يبقى أن يكون المعنى أن « بعض الناس » قالوا « لبعض الناس » . ويُزِيدُ د. عيد مُحَمَّد الطيب في كتابه « المعجم والدلالة » ص ١٩٦ـ ١٩٧ السياق غير اللغوي بيانًا فيقول : « سياق الموقف ، ونعني به أنَّ الكَلِمَة قَدْ تُقال في موقف معين ، فيتحول معناها المعجمي إلى معنى آخر فيما لو قُلْت : يرحم الله صديقنا ، فقد كان رجلا صالحًا ، وفيما لو قُلْت لمن عطس : يرحمك الله . وكلمة « الناس » يراد بها جميع الخلق من البشر في قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ النساء: ١ ، أما قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ النساء: ٥٤، فالمعنى السياقي هنا حدد الناس بأنهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه الذين كان اليهود يحسدونهم على نعمة الإيمان ... ،

ب- ويدخل في المعنى السياقي دراسة اللفظ دلاليًا على مستوى القُرْآن لمعرفة السياقات التي يأتي فيها ، فورود اللفظ القُرْآنِيّ في سياقات معينة دون أخرى أمر ذو مغزى وهدف يجب أن يراعى[1] . وذلك طبعًا إذا احتجنا إلى هذه الدراسة .

ت- وإذا كان للفظة القُرْآنِيَّة أكثر من معنى مختلف نُبَيِّنُ انسجام هذه المعاني مع سياق الآية.

ث- وإذا احتوت الآية على جانب علمي نلجأ إلى المراجع العلمية التي توضحها .

ج- تحديد إعرابات الألفاظ ، وبيان المعنى مع كل توجيه إعرابي ، إن كان هناك تعدد للأوجه الإعرابية ، وكان في ذكر هذا التعدد إضافة للمعنى .

٦) بيان القِراءَات القُرْآنِيَّة للفظ إن وجدت[2] ، وتوظيف دلالات القراءات القُرْآنِيَّة المعجمية والصرفية والنحوية والإعرابية ، وتوضيح معنى الآية مع تلك القراءات المختلفة ، وذلك إن كانت القِرَاءَة مرتبطة بالمعنى[3] .

٧) وكذلك بيان اختلاف الرسم الإملائي للفظ إن وجد ، وبيان أثر ذلك على المعنى .

٨) توضيح الحال ومقتضاه ، ومحاولة خلق مسرح للحدث اللغوي للآية أو الآيات وتكوينه ، وبيان العناصر المكونة لهذا الحال أو هذا المسرح :

⇦ المتكلم ، أو المخَاطِب .

⇦ السامع والمخاطب .

⇦ البيئة المحيطة بالكلام .

وفي قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أشيروا عليَّ أيها الناس » كان يقصد الأنصار الذين لم تنص معاهدة المدينة على أن يخرجوا معه للقتال ، بل نصت أن يحموه ما دام في المدينة » .

(١) نشير هنا إلى أَهَمِّيَّة هذا التتبع السياقي في القُرْآن ؛ لأن المعاجم أحيانًا لا تُمكننا من إعطاء الفروق الدقيقة بين الألفاظ ؛ فيكون الحل اللجوء إلى السياقات القُرْآنِيَّة ، ومعرفة كيف استخدم القُرْآن هذا اللفظ ، وهذا ما وقع لي عند البحث عن الفرق اللغوي بين « جاء ـ أتى » في قوله تعالى: « لَقَد جِئتُم شَيئًا إِدًّا » . ومن المراجع التي قَدْ تُعيننا على هذا التتبع لألفاظ القُرْآن في السياقات المختلفة « المعجم المفهرس لألفاظ القُرْآن الكريم » ، لخادم السنة الشيخ مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي ـ رحمه الله ـ .

(٢) سبق أن أشرنا إلى أَنَّ اختلاف قراءة اللفظ القُرْآنِيّ بِنْيَةً أو إعرابًا أو كلاهما يسهم في إثراء معنى الآية دلاليًّا ومن ثَمَّ بَلاغِيًّا .

(٣) في بعض الأحيان قد تكون القِرَاءَة مرتبطة ببنية الكلمة ولا ترتبط بالمعنى ، مثل قراءة لفظة « إرم » في الآية رقم ٧ من سورة الفجر ، حيث وردت بعض قراءاتها : « أَرِمَ ، أَرْمَ ، أَرَمَ ... » .



⇦ الموضوع المتحدث عنه .

⇦ الظروف والملابسات المحيطة بالكلام (سياق الموقف)...[١] .

⇦ وإبراز الحالة النفسية التي عليها المخاطب والمستمع[٢] .

٩) بيان أن الألفاظ على قدر المعنى ، والتحقق من مدى إصابة الكلام للمعنى المراد ، وإدراك الغرض الذي من أجله صيغ الكلام .

* **المرحلة الثانية : مرحلة البَدَائِل اللفظية :**

وتضم الخطوات الآتية :

١) دراسة دقة ألفاظ الآية القُرْآنِيَّة للسياق الذي وردت فيه من خلال تحديد البَدَائِل الممكنة للفظة القُرْآنِيَّة التي تضيف معنى بلاغيًّا[٣] ، ولسنا في حاجة لأن نقرر أنَّ البَدَائِل الممكنة هي البَدَائِل التي يمكن أن يسمح بها سياق الآية ، **وأن اختيار بديل وترك آخر لا بد أن يكون له تفسير يتعلق بسياق الآية ومعناها .**

ومن البَدَائِل الممكنة :

أ- بدائل المجال الدلالي الذي تنتمي إليه اللفظة ، وتحديد دلالة اللفظة القُرْآنِيَّة في ضوء دلالات الألفاظ في نفس المجال ، وتحديد الميزات الدلالية والصوتية[٤] التي تميزت بها هذه اللفظة على غيرها من ألفاظ نفس المجال ، إنْ وجدَت مثل هذه السمات الصوتية ، ونُبَيِّنُ تناسب هذه المميزات الصوتية مع السياق الذي تُقال فيه . ودراسة اللفظ دلاليًا على مستوى القُرْآن لمعرفة السياقات التي يأتي فيها إذا أفادنا هذا في التحليل البلاغي.

ب- البدائل الإضمارية أو الظاهرية ، وأقصد بها استخدام الضَّمِير محل الاسم الظاهر

---

(١) سبق أن فصلنا هذه المكونات عند حديثنا عن السياق غير اللغوي في التعريف السادس تعريف القزويني ، فليراجع .

(٢) وقد سبق أن أشرنا ـ عند الحديث عن علم النفس ضمن أدوات الباحث البلاغي ـ إلى أنَّ الجانب النفسي له ارتباط بالإيجاز والإطناب والإجمال والتفصيل والتكرار والإطالة ..

(٣) وأقصد بالجملة التي وضعت تحتها خطًّا أن أشير إلى أنَّه إذا كان بيان البديل وبيان العلاقة بينه وبين اللفظ القُرْآنِيّ سيضيف معنى بَلاغِيًّا ما ، نمضي في دراسته ، أما إذا كانت العلاقة واضحة فلا داعي للاهتمام به ، ونركز على ما يخفى معناه .

(٤) كما أشرنا من قبل فإن إبراز خصائص الجانب الصوتي للفظ داخل في جانب من جوانب البلاغة . يراجع تعريف الرماني ومناقشتنا لقوله في التعريف « أحسن صورة من اللفظ » .



واستخدام الاسم الظاهر محل الضمير[(١)] ، أو تفضيل نوع معين من الضمائر على آخر ، مثل : تفضيل ضمائر الغائب على المخاطب أو العكس .

ت- البدائل الضميرية ، وأقصد به الضمير المؤنث أو المذكر .... [(٢)] .

ث- البدائل الموصولية ، وأقصد به البَدَائِل بين الاسم الظاهر والاسم الموصول ، والاسم الموصول المختص والمشترك ، والموصول المشترك للعاقل وغير العاقل ، والبدائل بين الاسم الموصول واسم الإشارة[(٣)] ، والاسم الموصول واسم الشرط[(٤)] ، واسم الشرط مع الاسم الموصول[(٥)] .

ج- إمكانية التعريف والتنكير[(٦)] .

---

(١) وكمثال على استخدام الاسم الظاهر محل الضَّمِير قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ يوسف: ٩٠ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فوضع المحسنين موضع الضَّمِير لاشتماله على المتقين والصابرين » [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٩٤] . وينظر أيضًا ما كتبناه في الأدوات النحوية تحت عنوان الضمير .

(٢) مثل قوله : ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ ﴾ الجاثية: ٩ قال الزَّمَخْشَرِيّ : « بلغه شيء من آياتنا وعلم أنه منها اتَّخَذَها أى اتخذ الآيات هُزُوًا **ولم يقل: اتخذه ؛ للإشعار بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله** تعالى على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ **خاض في الاستهزاء بجميع الآيات؛ ولم يقتصر على الاستهزاء بها بلغه** » [الكَشَّاف ، ٤/ ١٨٧]

(٣) مثل : ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ ﴾ **محمد: ٣٨** فـ « هؤلاء : موصول بمعنى الذين ، صلته تدعون » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٢٤] .

(٤) الاسم الموصول يضمن معنى الشرط . الكشاف : ٢/ ٢٧ ، مثل : ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾ ق: ٢٦ حيث نجد أن الذي « مبتدأ مضمن معنى الشرط ؛ ولذلك أجيب بالفاء » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٧٢] .

(٥) مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ ﴾ النساء: ٣٣

(٦) مثل كلمة « كثير » في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٌ ﴾ الحجرات: ١٢قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... فإن قُلْت : بَيِّنْ الفصلَ بين كَثِيرًا ، حيث جاء نكرةً وبينَهُ لو جاء معرفةً! قُلْت : مجيئه نكرةً يفيد معنى البعضية ، وإنّ في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين ، لئلا يجترئ أحدٌ على ظنّ إلا بعد نظر وتأمّل ، وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة ، مع استشعار للتقوى والحذر، ولو عُرِّفَ لكان الأمر باجتناب الظنّ منوطًا بها يكثر منه دون ما يقل ، ووجب أن يكون كل ظنّ متصف بالكثرة مجتنبا، وما اتصف منه بالقلة مرخصا

ح- بديل اسم الإشارة والضمير [1] .

خ- البدائل الحرفية ، أي الحروف البديلة الممكن استخدامها مكان الحرف الذي استخدمته الآية ، وعقد مقارنة بين الحرف المستخدم أو الحرف . وتحديد القيمة البَلاغِيَّة للحرف المستخدم [2] .

د- البدائل الضِّدِّيَّة ، وأقصد به استخدام الكلمة أو ضدها [3] .

في تظننه » . الكشاف ٤/٢٥٨ ، ومثل قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ فاطر: ١٥ ، « فإن قلت: لِمَ عَرَّفَ الفُقَراء؟ قُلْت : قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء، وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم ؛ لأن الفقر مما يتبع الضعف ، وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر ... ولو نُكِّرَ لكان المعنى أنتم بعض الفقراء » [الكَشَّاف ، ٣/٦٢٨] وفي بعض الأحيان نجد أن اللفظ جمع التعريف في قراءة والتنكير في قراءة أخرى ، مثل :﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ الفاتحة: ٦، وفي قراءة﴿ اِهْدِنَا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ يُنْظَرُ : د. أحمد مختار عمر : معجم القِراءَات القُرْآنِيَّة ، ط٢ ، ١٩٨٨م ، ١/١٢

(١) مثل : ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ﴾ يوسف: ٣٦ : « والضمير يجرى مجرى اسم الإشارة في نحوه ، كأنه قيل : نبئنا بتأويل ذلك »[الكَشَّاف ، ٢/٤٦٧] .

(٢) يمكن أن نعطي بعض الأمثلة على البَدَائِل الحرفية :

- تتعدد « حروف النفي » في العربية « ما ، لا ، لن » ، وبالطبع فإن استخدام كل أداة له موضعه ودلالته .
- بدائل حروف التعدية التي يتعدَّى بها الفعل (مثل : اصطبر على ـ اصطبر لـ) .
- بدائل حروف العطف ، مثل قوله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ الإنسان: ٢٤ ، فلم استخدمت الآية حرف العطف « أو » ولم تستخدم « الواو » ؟ يقول الزمخشري : « فإن قلت : معنى أو ولا تطع أحدهما، فهلا جيء بالواو ؛ ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا؟ قلت: لو قيل: ولا تطعهما، جاز أن يطيع أحدهما، وإذا قيل: لا تطع أحدهما، علم أنّ الناهي عن طاعة أحدهما عن طاعتهما جميعا أنهى. كما إذا نهى أن يقول لأبويه: أف، علم أنه منهى عن ضربهما على طريق الأولى »[الكَشَّاف ، ٤/٥٢١] .
- بدائل الأدوات التي تدل على التوكيد ، مثل : « إنَّ وأنَّ المفتوحة على مذهب التنوخي القائل بأنها لتأكيد النسبة ، لام الابتداء ، والقسم ، وألا الاستفتاحية ، وأما ، وها التنبيه ، وكأنَّ ، ولكنَّ ، وليت ، ولعل ، وضمير الشأن ، وضمير الفصل ، وأما في تأكيد الشرط ، وقد والسين ، وسوف ، والنونات في تأكيد الفعلية ، ولا التبرئة ، ولن ، ولما في تأكيد النفي » . ينظر الكليات للكفوي ، ص ٢٦٩

(٣) مثل: وراء ـ قدام ، مثل قوله : ﴿ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ﴾ الجاثية: ١٠؛ أي : من قُدَّامهم . الكشاف ، ٤/١٨٨



ذ- تحديد البَدَائِل النحوية لبعض الألفاظ ، مثل :

١- بَدَائِل التوجيهات النحوية لبعض الألفاظ في الآية .

٢- تأنيث الصفة أو تذكيرها[١] .

٣- بَدَائِل الاسم واللقب[٢] .

٤- المصدر الصريح والمصدر المؤول .

٥- بدائل التعريف والمضاف إليه[٣] .

٦-بدائل ألفاظ التوكيد المعنوي[٤] .

٧- البديل بين الاسم الموصول واسم الإشارة[٥] .

٨- البديل بين الضمير واسم الإشارة[٦] .

ر- البدائل الصَّرْفِيَّة والاشتقاقية ، والمقارنة بين الوزن الصَّرْفِيّ المستخدم والأوزان الصَّرْفِيَّة البديلة التي كان من الممكن أن تستخدمها الآية ، وإذا كان اللفظ مشتقًا نبحث ، هل من الممكن أن يأتي اللفظ في مشتق (أو فعل) بديل لما أتى فيه ؟ ولماذا اختار اللفظ القُرْآنِيّ هذا المشتق دون غيره ؟

ومن البَدَائِل الصَّرْفِيَّة الممكنة :

(١) بدائل المفرد والجمع ، لماذا استخدت الآية المفرد ولم تستخدم الجمع أو العكس .

(٢) البدائل الزمنية (ماض ، مضارع ، أمر) .

---

(١) مثل قوله : ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ الحاقة: ٧حيث « ذَكَّرَ صفة نخل على اللفظ ، ولو حملها على المعنى لأَنَّثَ ، كما قال : ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ القمر: ٢٠ » الكشاف : ٤/ ٣١١

(٢) مثل : « أبو لهب ـ عبد العُزَّى » في سورة المسد .

(٣) مثل قوله : ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ البقرة: ٢٥ ، فيجوز أن نقول : تجري من تحتها أنهارها . الكشاف : ١/ ١٢٩

(٤) مثل استخدام كل أو أجمع ، ففي قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ آل عمران: ٨٧ ، لماذا استخدمت الآية أجمع ، ولم تستخدم كل ؟

(٥) مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ النساء: ٣٣

(٦) مثل قوله تعالى ﴿ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ﴾ النساء: ٤ « الضَّمِير في « منه » جار مجرى اسم الإشارة » . الكَشَّاف ، ١/ ٤١٢



(٣) البَدَائِل الزمنية : ماض ، مضارع ، أمر ، مشتق .

(٤) اختيار الجمع القياسي أو غير القياسي [١] .

(٥) استخدام اسم الجمع بدل الجمع[٢] .

(٦) بدائل اسم الفاعل والصفة المشبهة [٣] .

(٧) بدائل جمع القلة أو الكثرة[٤] .

(٨) بدائل الضبط للفظ [٥] .

(٩) اختيار مصدر معين من عدة مصادر ممكنة .

(١٠) اختيار لفظ التوكيد المناسب (كل ، جميع) .

ز- البدائل اللهجية : فمن البَدَائِل التي يلجأ إليها القُرْآن البَدَائِل اللَهْجِيَّة ، حيث يُفضل لهجة قبيلة معينة على أخرى [٦] .

٢) بيان القِراءَات القُرْآنِيَّة للفظ إن وجدت ، وكذلك بيان اختلاف الرسم الإملائي للفظ إن وجد (في هذه المرحلة من جانب البلاغة) .

٣) دراسة فصاحة الألفاظ من حيث السهولة والعذوبة والاستعمال والسلامة

---

(١) مثل كلمة « دَعِيّ » فَعيل بمعنى مفعول في قوله تعالى :﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ الأحزاب: ٤ حيث جمعت على « أَدْعِيَاء » شذوذًا . ينظر الزَّمَخْشَرِيّ : الكَشَّاف ، ٣/ ٥٤٨

(٢) مثل قوله : ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ القيامة: ١٥« المعاذير ليست بجمع معذرة ؛ إنما هو اسم جمع لها ، ونحوه المناكير في المنكر » . الكشاف : ٤/ ٨٠٨ ، والمقصود باسم الجمع « هو ما يدل على أكثر من اثنين، وليس له مفرد من لفظه ومعناه معًا، وليست صيغته على وزن خاص بالتكسير، أو غالب فيه » . النحو الوافي ، ١/ ١٤٨

(٣) مثل : مَيِّت ومائت ، ينظر الزَّمَخْشَرِيّ : الكَشَّاف ، ٤/ ٥١

(٤) مثل قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ الفرقان: ٧٤ ، لماذا استخدمت الآية جمع القلة « أعين » ، ولم تستخدم جمع الكثرة ؟ ، نقول: استخدمت الآية « أعين دون عيون لأنه أراد أعين المتقين ، وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ سبأ: ١٣، ويجوز أن يقال في تنكير أعين أنها أعين خاصة ، وهي أعين المتقين » [الكَشَّاف ، ٣/ ٥٤٦]

(٥) مثل اختيار « الوَثاق » بالفتح ، وترك « الوِثاق » بالكسر في قوله تعالى﴿ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ ﴾ محمد:٤٤

(٦) مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ هود: ١٠٥ ، فـ « يأت » بدون ياء ، فالأصل أن نقول : « يأتي » . قال الزَّمَخْشَرِيّ : « **وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل** » . الكَشَّاف ، ٢/ ٤٣٠

وعدم الغرابة من التكلف في ضوء مقاييس ابن سنان الخفاجي [١] .

* **المرحلة الثالثة : المتعلقة بالجملة** :

وتضم الخطوات الآتية :

١) التحليل النحوي للجملة محل الدراسة البَلاغِيَّة ووصفها من حيث :

أ- اسميتها أو فعليتها وتحديد القيمة البلاغية للجملة والعناصر المكونة لها.

ب- تحديد العناصر الإسنادية وغير الإسنادية فيها .

ت- معرفة مراجع الضمائر وأسماء الإشارة والمتعلقات [٢] .

ث- البحث هل تم تقديم جزء من الجملة على غيره أم لا ؟ مع بيان السبب إذا حدث تقديم أو تأخير .

ج- بيان المحذوف منها ـ إن كان هناك حذف ـ مع بيان السبب البلاغي لهذا الحذف .

ح- بيان سبب إطالة الجُمْلَة إن كان هناك إطالة ، وعلاقة ذلك بالإيجاز أو الإطناب إذا كانا ملحوظين في الآية ، وبيان نوع الإطناب : اعتراض ، إيضاح ، إيغال ...[٣] .

خ- بيان هل للجملة موقع إعرابي أم لا .

د- والتَّحَقُّق من وجود الروابط التي تربط بين عناصر الجُمْلَة .

٢) وإذا احتوت الجُمْلَة على معطوفات بالواو نبحث لماذا أتى ترتيب المعطوفات على هذا النَّحْو ، ولم يأت على ترتيب آخر [٤] .

(١) هذا الشرط عام في كل القُرْآن ، فألفاظ القُرْآن غير متوعرة وغير وحشية ، وجارية على العرف العربي الصحيح ، حسنة الوقع على الأذن ، وما قَدْ يبدو منها لا يتفق مع هذه المقاييس ، فهو لا بد أن يكون خروجه لعلة بَلاغِيَّة جليلة تطلبت هذا الخروج ، فالقرآن هو مصدر المقاييس البلاغية والنحوية وغيرهما .

(٢) وذلك لمعرفة هل يوجد التفات في الكلام أم لا ، والوقوف على تماسك الجملة والنص .

(٣) سبق أن أشرنا إلى الإطناب وأنواعه وإلى الإيجاز عند الحديث عن تعريف الرماني للبلاغة.

(٤) مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ عبس: ٣٤ – ٣٦ لماذا بدأت الآية بـ« الأخ » ولم تبدأ بـ« الابن » ؟



٣) تحديد البَدَائِلِ التنغيمية للجملة إن وُجِدَتْ[1] .
٤) تحديد البَدَائِلِ النحوية لبعض التراكيب ، مثل :
أ- تحديد الأوجه الإِعْرابِيَّة المختلفة لألفاظ الآية أو الآيات ، وبيان الأثر البلاغي لهذه الأوجه الإِعْرابِيَّة [2] .
ب- إمكانية تعدِّي الفعل بالمفعول أو بحرف الجر[3] .
ت- إمكانية ذكر شبه الجملة أو عدمه [4] .
ث- نصب الفعل المُضَارِع وترك نصبه[5] .
ج- ترك فاء الجزاء أو إثباتها [6] .
ح- الجزم بحذف حرف علة أو السكون[7] .
خ- ذكر حرف العلة وحذفه مع الفعل الناقص المُضَارِع في حالة الرفع[1] .

(١) وقد سبق أن قدمنا مثالا على أَهَمِّيَّة التنغيم ، وإمكانية تحويل الجملة من خبرية إلى استفهامية ، ونعطي مثالا آخر هنا ، وهو قوله تعالى : ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ الليل: ١١فالآية يمكن ـ من خلال التنغيم ـ أن تكون استفهامية أو خبرية منفية .

(٢) وسبق أن استغللنا التوجيهات الإعرابية في مرحلة المعنى لإبراز المعاني الموجودة في الآية ، أما هنا فنستغلها في الجانب البلاغي .

(٣) مثل : ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الحجرات: ١٢ ، « فإن قلت: هلا عُدِّى بإلى كما عدّى في قوله « وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ » وأيهما القياس؟ قُلْت : القياس تعدّيه بنفسه؛ لأنه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه. تقول: كرهت الشيء ، فإذا ثُقِّل استدعى زيادة مفعول، وأما تعدّيه بإلى، فتأوّل وإجراء لكره مجرى بغض، لأنّ بغض منقول من بغض إليه الشيء فهو بغيض إليه، كقولك: حُبَّ إليه الشيء فهو حبيب إليه »[الكَشَّاف ، ٤/ ٢٦٠] .

(٤) مثل قوله تعالى : ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ الأحزاب: ٤ ، فـ« أي فائدة في ذكر الجوف ؟ ... **ذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتَّجَلِّي للمدلول عليه** ؛ لأَنَّه إذا سمع به صور لنفسه جوفًا يشتمل على قلبين ؛ فكان أسرع في الإنكار »[الكَشَّاف ، ٣/ ٥٤٧]

(٥) مثل قوله تعالى :﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ القلم: ٩ فـ« إن قُلْت : لِمَ رفع فَيُدْهِنُونَ ولم ينصب بإضمار «أن» وهو جواب التمني؟ قلت: قد عدل به إلى طريق آخر: وهو أن جُعِلَ خبر مبتدإ محذوف ؛ أي: فهم يدهنون ... على معنى: ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ. أو ودوا إدهانك فهم الآن يدهنون؛ لطمعهم في إدهانك »[الكَشَّاف ، ٤/ ٤٤١ ـ ٤٤٢] .

(٦) مثل قوله تعالى :﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ الكهف: ٧١

(٧) في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ الفجر: ٦ ففي هذه الآية قُرِئ قوله ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ « ألم تَرْ تَرْ ـ بسكون الراء ـ **للجدِّ في إظهار أثر الجازم** »[الكَشَّاف ، ٤/ ٦٣٣] .

د- إمكانية تأنيث الفعل وعدم تأنيثه (٢) .

ذ- بدائل جواب الشرط جملة فعلية أو اسمية (٣) .

٥) ذكر البَدَائِل الممكنة لتركيب الجُمْلَة ، والبحث عن : لماذا اختار القُرْآن هذا التركيب وترك غيره ، والبحث عن نظائر لهذا التركيب في القُرْآن الكريم ـ إن كان له نظائر ـ لمعرفة هل تغير التركيب أم لا ، وإذا كان تغير فلماذا تغير في هذا الموضع ؟ (٤) .

٦) دراسة فصاحة الجُمْلَة ببيان عدم تنافر الكلمات وعدم التعقيد ، وعدم التكرار وعدم تتابع الإضافات .

---

(١) مثل : ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ العلق: ١٨

(٢) مثل قوله تعالى :

⇦ ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ الشعراء: ٢١٠

⇦ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ الشعراء: ٢٢١

(٣) مثل قوله تعالى ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ الجن: ١٣وقولنا : « فَمَن يؤمن بِرَبِّه لا يَخفْ » ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فَلا يَخافُ فهو لا يخاف ؛ أى : فهو غير خائف ؛ ولأنّ الكلامَ في تقدير مبتدإ وخبر دَخَلَتْ الفاء ، ولولا ذاك لقيل: لا يخف. فإن قلت: أى فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدإ قبله حتى يقع خبرا له ووجوب إدخال الفاء ، وكان ذلك كله مستغنى عنه بأن يقال : لا يخف؟ قُلْت : الفائدة فيه أنه إذا فُعِلَ ذلك فكأنه قيل : فهو لا يخاف ؛ فكان دالا على تحقيق أنّ المؤمن ناج لا محالة وأنه هو المختص بذلك دون غيره » [الكَشَّاف ، ٤/ ٤٧٨] .

(٤) نأخذ على سبيل المثال :

- ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ الأنعام: ٩٢ ، ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ الأنبياء: ٥٠
- ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ القصص: ٢٠ ، ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ يس: ٢٠
- ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ الأنعام: ١٥١ ، ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ الإسراء: ٣١

ونود الإشارة إلى أن المؤلفات التي ألفت في هذا الشأن ـ الآيات المتشابهة في القُرْآن ـ كثيرة ، منها على سبيل :

⇦ آيات متشابهات الألفاظ في القُرْآن الكريم ، وكيف التمييز بينها ، عبد المحسن بن حمد العباد ، دار الفضيلة ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٢م

⇦ دليل المتشابهات اللفظية في القُرْآن الكريم ، د. محمد بن عبد الله الصغير ، دار طيبة ، الرياض ، ط١، ١٩٩٧م



٧) بيان الألوان البيانية والصورة الجمالية (تشبيه أو استعارة أو مجاز أو بديع ...) إن وجدت في الآية ، وبيان قيمة هذه الصورة من حيث التوضيح والبيان والفهم .

٨) بيان علاقة الجُمْلَة بغيرها من الجمل : إيجازًا أوإطنابًا ، فصلا أو وصلا ، تكريرًا أم تأكيدًا ....

٩) الكشف عن أوجه المطابقة بين بناء الجُمْلَة والمقام [(١)] .

١٠) بيان المعاني اللطيفة والحكم الغريبة ، والآداب الحسنة في الآية .

* **مَلْحُوْظَةٌ مُهِمَّةٌ :**

يجب أن ينتبه الباحث البَلاغِيّ إلى أنني هنا وضعتُ « خطوات مَنْهَجِيَّة ممكنة » للتحليل البَلاغِيّ لأية آية قرآنية ، **وبالطبع لا يلزم تطبيق كل هذه الخطوات عند التحليل البَلاغِيّ ، وإنما نُطَبِّقُ منها ما يمكن تطبيقه ، وما يكون له أثر بلاغي في التحليل ، أما الخطوات التي لا يترتب عليها دلالة بَلاغِيَّة فيجب إهمالها ، والانتقال إلى الخطوة التي بعدها .**

****

تلك هي الخطوات التي يجدر بنا أن نتوخَّاها للوقوف على البلاغة القُرْآنِيَّة وبيان أسرارها وخَبْء معانيها ، وبالتأمل في هذه الخطوات ـ خاصة خطوات المرحلة الثالثة ـ نجد هذه الخطوات لن تُؤْتِيَ إِتاءَها وأُكُلَها وثمرتَها المرجوَّة بشكل جيد بدون أن نُفردَ مساحة للحديث عن الجُمْلَة ومكوناتها وتركيبها ؛ فكما هو واضح من تحليل التعريفات البَلاغِيَّة التي قدمناها أن هذا التحليل يقودنا إلى أَهَمِّيَّة الإلمام بتركيب الجُمْلَة العربية ، والأنماط والتنويعات المختلفة التي يمكن أن تتفرع إليها هذه الأنماط والتنويعات . كما يقودنا إلى أَهَمِّيَّة حروف المعاني ودورها الفعال في إبراز الجانب البلاغي، ويقودنا كذلك إلى أَهَمِّيَّة الجانب الصرفي في التحليل البلاغي .

وحتى يكون حكُّنا في زندٍ وارٍ وفي عودٍ نطمع منه في نار يجب أن نُلِمَّ بتصور

---

(١) وأنصح للباحث البَلاغِيّ نصيحة لعلها تُفيده ، وهي أن يُعَنِّيَ نفسه قليلا ويقوم بتلخيص هذه الخطوات على **هيئة خريطة ذهنية على ثلاث ورقات كبيرة بحجم A3** ، كل مرحلة في ورقة كبيرة ، وتكون أمامه عند التحليل.

عن هذا التركيب ومكوناته ، وأن نقف على الاستعمالات البلاغية لحروف المعاني ، وأهم المسائل الصرفية التي تخدم الجانب البلاغي .

ونكون قَدْ سلكنا طريقة مُثلى إذا قَرَنَّا هذه الدراسة التركيبية للجملة العربية بالقيم البَلاغِيَّة الممكنة التي قَدْ تأتي مع هذا التركيب وتلك الحروف والجوانب الصرفية ، قدر الاستطاعة .

وهذا ما سنقوم به في الفصول الآتية ، فنسأل الله السداد ، وأن نصيبَ أجرين في ذلك .

*****





الفصل الثالث
بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة وتركيبها والقيم البَلاغِيَّة المرتبطة بها

- البنية الأَساسِيَّة للجملة العَرَبِيَّة .
- تعريف البنية الأَساسِيَّة .
- مكونات البنية الأَساسِيَّة .
- التصنيفات والأنماط التي تتفرع إليها البنية الأَساسِيَّة وعناصر هذه الأنماط .
- إطالة الجُمْلَة .
- الترابط بين عناصر الجُمْلَة .
- ملحوظات عند تحليل الجُمْلَة .



الفصل الثالث

بِنَاءُ الجُمْلَةِ العَرَبِيَّةِ وتَرْكِيبِها والقِيَمِ البَلاغِيَّةِ المرتبطة بها

من خلال ما ذكرناه في الفصل الأول ، ومن مجموع التعريفات التي ذكرناها في الفصل السابق ، وما استخلصناه منها من خطوات مَنْهَجِيَّة للوقوف على البلاغة القُرْآنِيَّة يتبين لنا أَهَمِّيَّة الوقوف على بناء الجُمْلَة العربية ، وكيفية تركيبها ، وَأَهَمِّيَّة وجود تصور مجمل لها في ذهن كل من يرغب في التَّحْلِيْل البَلاغِيّ للقرآن الكريم ، وَقَدْ سبق أن أشرنا أن هذا التصور بمثابة « العيار » أو « المقياس » الأساسي الذي نقيس إليه البَدَائِل أو التنويعات التي استخدمتها الآية ، وذلك لأنَّ العربية درجت « في صياغة كلامها على ما يقتضيه ظاهر الحال من المطابقة والوضوح ؛ لتؤدي بذلك معانيها التي ترد عليها وضعًا واستعمالا ، **وربما عدلت عن ذلك الظاهر غير عابئة بما تستوجبه سنن المطابقة في التعبير ، وأحكام الصنعة** ، لا اجتراءً ولا عبثًا ؛ بل قصدًا منها إلى إشارة لطيفة أو ملحظ دقيق ؛ إذ في هذا العدول يكمن السر ، وإليه يكون المصير حين التفكر فيه ؛ للنفاذ إلى كنهه ومرماه » [1] .

والحقُّ الذي لا مريةَ فيه ولا جدال أن الاعتماد على بناء الجُمْلَة في دراسة النص ـ أيِّ نصٍّ ـ وتفسيره أمرٌ لا محيد عنه ، ولا بديل له لمن يريد أن يَسْبِرَ أغواره ويقف على خَبْءِ معناه وأسراره ؛ فـ « تفسير أيِّ نص من نصوص العَرَبِيَّة لا بد أن يعتمد في مرحلته الأولى على **فهم بنائه اللغوي ، وفهم بناء جمله النَّحْوِيَّة** » [2] .

---

(١) د. أحمد سعد مُحَمَّد : التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة ، ص ١٥٦

(٢) د. مُحَمَّد حماسة : بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة ، دار غريب ، القاهرة ، ط١ ، (٢٠٠٣م) ، ص ١٥



ولا شك أن علم النَّحْو وسيلة طيعة لهذا الفهم ، ومَركَبٌ ذلولٌ وسبيلٌ نَهجَةٌ لتفسير تراكيب العَرَبِيَّة وتحليلها منذ ما يقرب من أربعة عشر قرنًا من الزمان وحتى الآن .

ويزداد اقتناعنا بأهمية القدوم على تقديم موجز لتركيب الجُمْلَة العربية اشتمال القُرْآن الكريم على تراكيب متشابهة بنفس الكلمات ، لكن مع تقديم كلمة في آية وتأخيرها في أُخرى ، مثل[1] :

- ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾ الرعد : ٤٣
- ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗا﴾ العنكبوت: ٥٢

فلكي نستطيع أن نقف على بلاغة هذه الآيات وغيرها يجب أن نبدأ بدراسة التركيب النحوي للجملة .

ومما تعلمناه أَيْضًا من جملة التعريفات السابقة خاصة التعريف الخامس تعريف السكاكي أَهَمِّيَّة تحديد القيم البَلاغِيَّة للتراكيب النحوية كلما أمكن ، وأقصد بالقيم البَلاغِيَّة تلك القيم التي أشار إليها البلاغيون في شروحهم وتعليقاتهم البَلاغِيَّة على آي القُرْآن ، والنصوص الأدبية .

وأحسب أن تقديم التركيب النحوي ومتعلقاته ، وما يرتبط به من قيم بَلاغِيَّة كلما أمكن هو خدمة نسديها للباحث البَلاغِيّ ، فعندما يأتي بخطوة تحليل الجُمْلَة نحويا يجد بين يديه القيمة أو القيم البَلاغِيَّة الممكنة لهذا التركيب مما يساعده في تحليله البَلاغِيّ .

وأُنَبِّهُ هنا في بَدْء هذا الفصل إلى نقطة مهمة وهي أن القيم البَلاغِيَّة التي نقدمها مع تركيب الجُمْلَة أو أحد عناصرها ليست ضربة لازب ، بمعنى أنَّ نمطًا معينا من الجُمْلَة إذا جاء يجب أن يؤدي ويرتبط بقيمة بَلاغِيَّة معينة ، فهذا ليس واجبًا ، بل هو مجرد إشارة إلى أن هذه القيمة البَلاغِيَّة ارتبطت بهذا التركيب في سياقات أخرى ، وعلى الباحث أن يستشير السياق ؛ ليأخذ بهذه القيمة أو يبحث عن قيمة بَلاغِيَّة أخرى . فعلى سبيل المثال « فليس بلازم أن يكون تقديم كل متعلق مقصورًا على إفادة التخصيص ؛ **لأن إدراك أسرار التقديم وغيره من الأساليب مرجعه في الأساس**

(١) جمع الأستاذ الدكتور مُحَمَّد داود عددًا من تلك الآيات المتشابهة التركيب ، وبين الفروق الدلالية بينها في كتابه : « معجم الفروق الدلالية في القُرْآن الكريم » .



إلى استقراء السياق ، واعتبار قرائن الأحوال ، ولا تحده ـ فيما أرى ـ مثل هذه المعيارية التي تشبث بها بعض البلاغيين »(١) .

لذلك نوجه عناية القارئ أننا سنسير في هذا الفصل في خطين متوازيين : بيان التركيب النحوي للجملة العربية ، وبيان القيمة البَلاغِيَّة لهذا التركيب كلما أمكن ذلك ، والله نسأل السداد والتوفيق (٢) .

- **البِنْيَةُ الأَسَاسِيَّة للجُمْلَةِ العَرَبِيَّة**(٣) :

وأول ما أحبُّ إثباتَه هنا ـ ونحن في معرض حديثنا عن بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة ـ أنَّ النُّحَاة العربَ في تحليلاتهم وتفسيراتهم النَّحْوِيَّة التي نقرؤها في أبواب النَّحْو المختلفة يأخذون بتصور يقول بوجود « **بنية أساسية** » للجملة العَرَبِيَّة ، تقوم عليه تلك التحليلات والتفسيرات .

وصحيح أن مصطلح البنية الأَسَاسِيَّة « لم يقع في تعبيرهم ، ولكنه يتبدى بصور مختلفة في كثير من اصطلاحهم الذي يوحي به ، ويومئ إليه، وما قولهم « أصله كذا » أو « قياسه كذا » أو « هو على تقدير كذا » أو « تأويله كذا » إلخ ، إلا رجوع إلى ذلك النموذج أو الأصل ، أو ـ إن شئت ـ البنية الأَسَاسِيَّة »(٤) .

ولننظر مثلا كيف تعامل النُّحَاة مع قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾ الانشقاق: ١، إذ قَدَّروا فعلًا محذوفًا وجوبًا بعد أداة الشرط إذا ؛ لأنه لا يصح في رأي البصريين أن تكون « السماء » فَاعِلًا للفعل بعدها ، ولا يصح أن تأتي بعد إذا الشرطية ؛ لأنها لا يأتي بعدها إلا « فعل » . أقول : « هذا النوع من الحذف من أَدَلِّ الدلائل على أنَّ النُّحَاة كانوا في تحليلهم لبناء الجُمْلَة يتعاملون مع البنية الأَسَاسِيَّة للجملة الاسْمِيَّة

(١) د. أحمد سعد مُحَمَّد : التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة ، ص ٢١١

(٢) كان العزم وكانت النية أن نربط الحديث عن البنية بقيمتها البَلاغِيَّة ، ولكننا وجدنا أن ذلك قد يُشتت انتباه القارئ ؛ فآثرنا أن نضع كل هذه الارتباطات البَلاغِيَّة في نهاية هذا الفصل تحت عنوان ملحوظات عند تحليل الجملة .

(٣) اعتمدت هنا في الحديث على البنية الأساسية للجملة العربية ، وجُلُّ التفصيلات التي قلتها في هذا الفصل على كتاب أستاذنا الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف : بناء الجملة العربية ، رحمه الله وطيب الله ثراه ، وهذا اعتراف واجب ؛ لأن من بركة العلم أن ينسب إلى أهله .

(٤) د. مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف : بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة ، ص ١٢

والجملة الفِعْلِيَّة . فالجملة قَدْ تكون في ظاهرها المنطوق غير مستوفية لعنصريها الإسناديين ، ولكنها تنتمي إلى نموذجها الخاص بها »[(1)] .

والاعتراف بوجود « بنية أساسية » للجملة العَرَبِيَّة أمر له فوائده هي :

- أننا بتصور هذه البنية الأَسَاسِيَّة نفهم ونفسر وندرك التغييرات والعوارض التي تعتور الجُمْلَة ، فالجملة يعرض لها من العوارض المختلفة ما يجعلها مطابقة أو غير مطابقة للبنية الأَسَاسِيَّة ، و« من غير المعقول أن تتعدد النماذج بتعدد الجمل المتكررة المتعددة ، فهذا ضرب من الفوضى التي لا ضابط لها . وإنما تحصل اللغات وتدرَك عن طريق إدراك النماذج الأَسَاسِيَّة الي تحكم أبنيتها الكثيرة المتنوعة المتكررة » ، إننا لا يمكننا ضبط اللغَة « إذا لم تكن النماذج التي تحكم تراكيبها محصورة في عدد معين يمكن ضبطه »[(2)] . إننا نحتاج إلى الوقوف على أصل الجملة لكي نرد إليها كثير من التنويعات المتاحة في اللغة ، ولا يكون هذا الرد « بدعوى الحذف فقط ، بل بدعوى الزيادة أو التفسير أو التضمين أو التعويض أو التقدير ، وتحت التقدير فروعٌ كثيرة »[(3)] .
- البنية الأَسَاسِيَّة وراء كثير من التفريق بين ظواهر متشابهة ، فهي وراء التفرقة بين الحال والمفعول الثاني في بناء الجُمْلَة الذي يحتوي على فعل ينصب مفعولين أصلهما المُبْتَدَأ والخبر ، وهي وراء التفرقة بين البَدَل وعطف البيان ، وهي وراء التفرقة بين الإضافة اللفظية والمعنوية ، وهي وراء فكرة الجمل التي لها محل من الإعراب ، وهي وراء ما يُعرَف بالمصدر المؤول ، وهي وراء كثير من الحذف في بناء الجُمْلَة ، وهي وراء كل ما يقال عن التقديم أو التأخير في بناء الجُمْلَة بعناصرها المختلفة ، سواء أكانت الجُمْلَة اسْمِيَّة أو فعلية . فلا يمكن الحكم على عنصر ما في الجُمْلَة بأنه مقدم من تأخير ، أو مؤخر من تقديم إلا إذا كانت بنية الجُمْلَة الأَسَاسِيَّة تحكم بوضع هذا العنصر أو ذاك في موضع معين أو رتبة محددة وهذا ما يعبر عنه النُّحَاة بقولهم ـ مثلا ـ رتبة المُبْتَدَأ التقديم ورتبة الخبر التأخير ،

---

(1) السابق ، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ، وأيضًا ص ٢٧٤

(2) السابق ، ص ١٤ ، ص ٢٧٩

(3) د. تمام حسان: التمهيد في اكتساب اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، ١٩٨٤م ، ص ١١



مع أن هناك مواضع معينة يلزم فيها أن يأتي الخبر مقدمًا والمبتدأ مؤخرًا . ولولا النظر إلى هذه الرُّتْبَة المقررة لكلا العنصرين ، لم يحكم بتقديم هذا أو تأخير ذاك. والبنية الأَسَاسِيَّة أَيْضًا وراء افتراض التركيب الموازي في أسلوب النداء ، وأسلوب الاخْتِصَاص ، والتحذير والإغراء ، والتعجب القياسي (١) .

- بدون تصور هذه البنية لا نتصور كيفية إبداع النص . ففي مجال الشعر مثلا يُجري الشاعر « أثناء بناء قصيدته موازنة دقيقة بين عدد من التراكيب ، ويكون في ذهنه عدد من البَدَائِل اللغوية ، وأنماط متعددة من التراكيب ، وفي النهاية يختار عليها جميعًا ما يرتضيه ويقدمه في قصيدته ، فهو يعنى ما يقول ، ويقصده على الهيئة التي جاء بها في مواءمة فذة بين النظام اللغوي العام ، والإبداع الشعري الخاص . وَقَدْ كان بوسعه أن يأتي بالجملة قصيرة ؛ فاختار أن يأتي بها طويلة ، وأن يأتي بالكلمة فَاعِلًا فاختار أن يجئ بها مفعولا به . وَقَدْ كان في مقدوره أن يأتي بالحال مفردة فأتى بها جُمْلَة ... وَقَدْ كان في مكنته أن ينعت هذا الاسم أو ذاك بنعت واحد ، ففضَّلَ أن يعدد نعته ، وأن يُزاوج بين النعت المفرد والنعت بالجملة الاسْمِيَّة أو الفِعْلِيَّة . وَقَدْ كان أمامه أن ينفي هذا الفعل بهذه الأداة أو تلك فاختار عليها ما قدمه ، وهكذا ما شئت من قيم استبدالية مختلفة على مستوى الكَلِمَة المفردة وعلى مستوى الجُمْلَة » (٢) .
- أننا في بعض الأحيان نجد في بعض الآيات القُرْآنِيَّة خروجًا عن المألوف في بناء الجُمْلَة وتكوينها الأساسي وشروط عناصرها ، فيكون هذا مدعاة للتساؤل البَلاغِيّ ، ونحن لن نستطيع الوقوف على أسباب الخروج عن المألوف في تكوين الجُمْلَة إلا إذا علمنا « المألوف » منها أولا ومعرفة بنيته الأَسَاسِيَّة (٣) .

• تَعريفُ البِنْيَةِ الأَسَاسِيَّةِ وأهميتها:

والمقصود بالبنية الأَسَاسِيَّة « النظام اللغوي التجريدي الثابت لتصور تركيب الجُمْلَة في الحالة الأولى من حالاته » ، فهذه البنية « نموذج » أو « معيار » تجريدي .

(١) السابق ، ص ١٢

(٢) السابق ، ص ٣١٢

(٣) خذ مثلا قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الروم: ٢٤ ، حيث أتت ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ ، في محل المبتدأ ، وهذا ممتنع عند النُّحَاة .



ويُعَدُّ « الكلام » أو « بناء الجُمْلَة » تنفيذًا حيًّا واقعيًّا لهذا النموذج أو المعيار أو البنية الأَسَاسِيَّة ، فـ« بناء الجُمْلَة هو التركيب المنطوق الذي يوحد الفكرة النظرية والنطق الفعلي . فالبناء لا يكون إلا وفقًا لصورة ذهنية سابقة » . فإذا قلنا مثلا إن الجُمْلَة الاسْمِيَّة تَتَكَوَّن من « المُبْتَدَأ والخبر » ، فهذا حديث عن بنيتها الأَسَاسِيَّة ، وأما الحديث عن أية جُمْلَة واقعية منطوقة أو مكتوبة ، فهو حديث عن بنائها .

هذا البناء تعرض له عوارض مختلفة تحوله من معنى إلى آخر مع المحافظة على البنية الأَسَاسِيَّة كالتقديم والتأخير في مكونات البنية الأساسية ، وكالحذف أَيْضًا والنفي والاستفهام والتأكيد وغير ذلك من العوارض التي تعتور التركيب المنطوق ؛ فتضيف إلى معناه الأول معنى آخر إضافيًّا عن طريق إضافة بعض العناصر الأخرى أو التبادل في مواقع بعض العناصر[١] .

وقد يأخذ الكلام المنطوق أو البناء الظاهري مسالك مختلفة في تحقيق هذه البنية الأَسَاسِيَّة ، وليس التأويل في النَّحْو العربي إلا محاولة للتوفيق بين البناء الظاهري والبنية الأَسَاسِيَّة ، برد البناء المنطوق إلى قوانين البنية التي يحددها النظام اللغوي لتركيب الجُمْلَة .

البِنْيَة الأَسَاسِيَّة هي الصحيحة ، وهي التي ينبغي أن تنتج الجمل الصحيحة بتكرار لا يعرف الملل . ومهما تنوعت الأبنية المنطوقة فإن أساسها واحد ، وتكمن الخصائص الفردية للمتكلمين في استخدام البناء الظاهري وفقًا للبنية الأَسَاسِيَّة ، فلكل متكلم باللغة المعينة أن يقول جملا صحيحة ما دام يراعي البنية الأَسَاسِيَّة ، ولكن الذي يختلف هو ما يشغل الوظائف من المفردات اللغوية ووضع هذا كله في « سياق » خاص يخلقه المتكلم[٢] .

• مُكونات البِنْيَة الأَسَاسِيَّة :

تقوم البِنْيَة الأَسَاسِيَّة للجملة العَرَبِيَّة على وظيفتين هما الدعامة الأصلية في الجُمْلَة : « المُسْنَد » و « المُسْنَد إِلَيه » . و المُسْنَد ـ في عرف النُّحَاة ـ : « الحكم المراد

(١) د. مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف : بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة ، ص ٢٣٧

(٢) السابق ، ص ٢٤٤



إسناده إلى المحكوم عليه »[1] ، أو هو ـ بعبارة أخرى ـ : « ركن من أركان الجُمْلَة وهو المحكوم به »[2] . والمُسْنَد إِلَيه هو : « الجزء المحكوم عليه »[3] ، أو هو : « ركن من أركان الجُمْلَة ، وهو محكوم عليه »[4] .

والاسم بحسب الوضع يصلح لأن يكون مُسْنَدًا و مُسْنَدًا إليه ، والفعل يصلح لكونه مُسْنَدًا لا مُسْنَدًا إليه ، والحرف لا يصلح لأحدهما .

والمُسْنَد والمُسْنَد إِلَيه لا يُسْتغنى واحدٌ منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بدًّا وبهذين العنصرين الأساسيين تنعقد الجُمْلَة العَرَبِيَّة[5] ؛ لذلك فالجملة لا تخلو منهما معًا لفظًا أو تقديرًا ، وهذا ما يقرره النظام النحوي للعربية ، إذ يُقرر « أن أقل قدر من الكلام يتم بعنصري الإسناد ، وما سواهما زيادة قَدْ تكون ضرورية ، وَقَدْ يُستَغنَى عنها ، ولكنها لا تبني جُمْلَة في الأساس من حيث هي . فإذا كان الكلام مفيدًا فإن العنصرين الأساسيين ، لا بد أن يكونا موجودين لفظًا أو تقديرًا »[6] .

ومما قرره النُّحَاة أَيْضًا أن الكلام ـ بمعنى الجمل المفيدة ـ لا يتأتى إلا من اسمين أو من اسم وفعل ، فلا يتأتي من فعلين ، ولا حرفين ، ولا اسم وحرف ، ولا فعل وحرف ، ولا كلمة واحدة ؛ **لأن الإفادة إنما تحصل بالإسناد** ، وهو لا بد له من طرفين : مُسْنَد والمُسْنَد إِلَيه ؛ وإذن لا بد من وجود الاسم في كل جُمْلَة مفيدة .

ويمثل « المُسْنَد » في الجُمْلَة الاسْمِيَّة : الخبر .

ويمثله في الجُمْلَة الفِعْلِيَّة :

١ ـ الفعل التام .

٢ ـ ما في قوة الفعل من الأوصاف المُشَبَّهَة له « كاسم الفاعل ، والمصدر ، والصفة المُشَبَّهَة ، واسم التفضيل ، وأسماء المُبَالَغَة ، وأسماء الأفعال ،

---

(١) د. مُحَمَّد سمير نجيب اللبدي : معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، مؤسسة الرسالة ، دار الفرقان ، لبنان ، ط١ ، (١٩٨٥م) ، ص ١٠٧

(٢) د. مُحَمَّد إبراهيم عبادة : معجم مصطلحات النَّحْو والصرف والعروض والقافية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ١ ، (٢٠١١م) ، ص ١٧٠

(٣) د. مُحَمَّد سمير نجيب اللبدي : معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، ص ١٠٨

(٤) د. مُحَمَّد إبراهيم عبادة : معجم مصطلحات النَّحْو والصرف والعروض والقافية ، ص ١٧٠

(٥) ومن هنا قيل في تعريف مصطلح الجُمْلَة أنها « ما تركبت من جزأين أساسين يؤديان معنى مفيدًا ، وهما يسميان : طرفي الجُمْلَة أو ركنيها » ، ينظر : النَّحْو الوافي ، ١/ ٤٤٦ ، هامش ٥

(٦) د. مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف : بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة ، ص ٣٥

وما قام على الاستعارة والتشبيه ، من مثل : « أَكرِمْ رجلًا مِسكًا خلقه » ، أو « قابلتُ رجلا أسدًا ولده » ، فكلمتا « مسكًا ، وأسدًا » أشبهتا الفعل في تحملهما المرفوع ؛ لأنهما في قوة الفعل يشبه »(١) .

ويمثل « المُسْنَد إِلَيه » في الجُمْلَة الاسْمِيَّة :

١ ـ المبتدأ (٢) .

٢ ـ اسم إن وأخواتها .

٣ ـ اسم كان وأخواتها .

ويمثله في الجُمْلَة الفِعْلِيَّة :

١ ـ الفاعل . ٢ـ نائب الفاعل .

وقد يكون المُسْنَد إِلَيه « معنًى » كما يكون « ذاتًا » ، فمن الأول : انتشر الفساد في الأرض . فـ « الفساد » معنًى وهو مُسْنَد إِلَيه معنى من المعاني وهو « الانتشار » ، ومن الثاني : حضر الغلام . فـ « الغلام » ذات ، وهو مسند إليه (٣) .

والمُسْنَد إِلَيه المُبْتَدَأ والفاعل ونائب الفاعل ـ بما أنه المُحَدَّثُ عنه ـ لا يكون جُمْلَة بل يجب أن يكون مفردًا ، بعكس الخبر الذي قَدْ يكون مفردًا وغير مفرد ، وَقَدْ جعل النُّحَاة من أحكام الفاعل ونائبه ألا يكونا جُمْلَة .

ويربط بين المُسْنَد والمُسْنَد إِلَيه : الحكمُ ؛ أي : الإسناد . فهو يمثل الرابطة المعنوية الكبرى بينهما .

والإسناد لغة : « هو ضم شيء إلى شيء ، وهو في اصطلاح النُّحَاة : ضم إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة ؛ أي : على وجه يحسن السكوت عليه »(٤) .

وبالإسناد يتم بناء الجمل ، وبدونه لا يمكن للجملة أن تكتمل ، فهو « جزء » غير منطوق به في الجُمْلَة ، ولو تجرد الكلام من الإسناد ، لكان في حكم الأصوات

---

(١) د. مُحَمَّد سمير نجيب اللبدي : معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، ص ١٠٧

(٢) عند سيبويه المبتدأ مسند وليس مسندًا إليه ، والخبر مسند إليه وليس مسندًا ، على عكس ما ذهب إليه النُّحَاة واشتهر بينهم .

(٣) د. مُحَمَّد سمير نجيب اللبدي : معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، ص ١٠٨

(٤) السابق ، ص ١٠٧



التي ينعق بها كما يقول الزمخشري(١) .

والإسناد نوعان(٢) :

- إسناد أصلي ؛ أي : بالأصالة ، وذلك كإسناد الخبر للمبتدإ ، وإسناد الفعل إلى الفاعل أو نائب الفاعل . وهذا الإسناد الأصلي هو أساس الجُمْلَة الاسْمِيَّة والفِعْلِيَّة . أما المشتقات والمصادر المُسْنَدة إلى مرفوعاتها فلا يُعَدُّ إسنادًا أصليًّا ؛ ولذلك لا تكون جملا إلا إذا قوي شبه المشتقات بالفعل بتقدم الاستفهام أو النفي؛ كما في قولنا: أقائم أخوك ؟ وما مهمل أخوك(٣) . فإذا قوي الشبه بتقدم الاستفهام أو النفي كان الأسناد أصليًّا(٤) .
- وإسناد تَبَعي ؛ أي : بالتبعية ، كإسناد البَدَل والمعطوف بالحرف ، بعكس التوابع الأخرى ؛ فإنه لا إسناد فيها .

وما سوى المُسْنَد والمُسْنَد إِلَيه في الجُمْلَة يُسمى « الفضلة »(٥) ، وهي « الاسم الذي لا يكون ركنًا أساسيًّا في الجُمْلَة ، وهو ما خلا من العلاقة الإسنادية ، كالمفعول به ، والمفعول فيه ، ولأجله ، ومعه ، والمفعول المطلق ، والحال ، والتمييز ، والمستثنى غير المفرَّغ ، والأسماء التي تلي حروف الجر . أما المستثنى المفرَّغ : فإذا أُعرب خبرًا ، أو فَاعِلًا ، أو نائب فاعل ـ عُدَّ عمدة ؛ مثل : ما مُحَمَّد إلا رسول ، ما فاز إلا المجد ، ما يُعاقب إلا المهملُ ، ويُعدُّ فضله في غير ذلك »(٦) . فجميع هذه العناصر غير

---

(١) د. مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف : بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة ، ص ٩٧

(٢) د. مُحَمَّد سمير نجيب اللبدي : معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، ص ١٠٧

(٣) د. مُحَمَّد إبراهيم عبادة : معجم مصطلحات النَّحْو والصرف والعروض والقافية ، ١٦٩

(٤) ويُطلق بعض الباحثين على الإسناد الأصلي اسم « الإسناد الجُمَلي » تفرقة بينه وبين نوع آخر يسميه الإسناد « الإفرادي » ، ويشمل الإسناد الجملي عنده على : إسناد فعلي بين الفعل والفاعل ، وإسناد خبري بين المبتدأ والخبر ، وإسناد وصفي بين الوصف ومرفوعه المكونين لجملة ، مثل : أناجح المحمدان ؟ والآخر هو الإسناد الإفرادي ، وهو الذي يكون في مركب اسمي يعد عنصرًا في جُمْلَة ، ويكون في المصدر وفاعله ، والاسم المشتق وفاعله ، مثل : جاء مُحَمَّد ضاحكًا وجهه . ينظر : مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف : بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة ، ص ٩٥ ـ ٩٦

(٥)د.إميل بديع يعقوب: موسوعة النَّحْو والصرف والإعراب، (بدون بيانات أخرى)،ص ٤٨٧

(٦) د. مُحَمَّد إبراهيم عبادة : معجم مصطلحات النَّحْو والصرف والعروض والقافية ، ص ٢٣٠ ٢٣٠

إسنادية ؛ بمعنى : أنها ليست عناصر مكونة ومؤسسة للجملة ؛ بل هي عناصر تطيل الجمل .

والفضلة ـ بحسب الدلالة اللغوية ـ قَدْ يشعر بالزيادة ، وأنه يجوز ذكره وحذفه سواء ، وهذا غير صحيح ، ولكن هذه مصطلحات للتفريق بين العنصر الذي تَتَكَوَّن به الجُمْلَة وغيره . وفي بعض الأحيان لا يمكن حذف الفضلة ؛ لأن في حذفها إخلال ببناء الجُمْلَة ، مثل : ضربي العبد مسيئًا . فـ « مسيئًا » حال ، لا يمكن حذفه ؛ لأن الباقي « ضربي العبد » لا يؤدي معنى يحسن السكوت عليه ، والحال ـ هنا ـ تقوم مقام الخبر من حيث هو الجزء المتمم للفائدة ، فهي حال سدت مسد الخبر(١) .

- **التَّصْنِيفَاتُ والأَنْمَاطُ التي تَتَفَرَّعُ إِلَيها البِنْيَةُ الأَسَاسِيَّة وعَنَاصِرُ هذه الأنماط :**

يُعَدُّ عنصرا البنية الأساسية ـ وما بينهما من ترابط (إسناد) بحيث يجعل من اجتماع هذين العنصرين مع بعضهما البعض « كلامًا مفيدًا » ـ نموذجًا لـ « الجُمْلَة البسيطة » .

وتُصَنَّفُ الجمل البسيطة في العَرَبِيَّة ـ بناء على فكرة الإسناد ـ إلى نوعين رئيسيين : الجُمْلَة الاسْمِيَّة والجملة الفِعْلِيَّة .

ويقوم هذا التصنيف على أساس وضع المُسْنَد في الجُمْلَة ، ونوع الكَلِمَة التي تقوم به . فإذا كان المُسْنَد متأخرًا عن المُسْنَد إِلَيه ، فالجملة لا بد أن تكون اسْمِيَّة أيا كان نوع المُسْنَد . وإذا تقدم المُسْنَد وكان فعلا أسند إلى الفاعل الموجود في الجُمْلَة نفسها ، كانت الجُمْلَة فعلية .

وقد حاول بعض النُّحَاة وضع نماذج أخرى للجملة العَرَبِيَّة غير الاسْمِيَّة والفِعْلِيَّة ، فقالوا بالجملة الشرطية والجملة الظرفية ، ولكن رُدَّ عليهم بأنه يمكن بسهولة رد كل هذه النماذج إلى هذين النوعين ، فالجملة الشرطية ـ وَقَدْ زادها الزَّمَخْشَرِيّ وغيره ـ يمكن ردها إلى الجُمْلَة الفِعْلِيَّة . وأما الجُمْلَة الظرفية ، وهي ـ كما حددها ابن هشام ـ المُصَدَّرة بظرف أو مجرور، نحو: « أعندك زيد » و « أفي الدار زيد» إذا قدرت زيدًا فَاعِلًا بالظرف والجار والمجرور لا بالاستقرار المحذوف ، ولا مبتدأ مخبرًا عنه بهما ـ أقول : القول بهذه النماذج هو قول غير مُسلَّم به ، ويمكن ردها إلى

(١) د. مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف : بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة ، ص ٣٥



الجُمْلَة الاسمية(١) .

والجملة البسيطة « الفعل + الفاعل » و « المُبْتَدَأ + الخبر » هي التي سماها النُّحَاة « الجُمْلَة الصُّغرى » ، ومنها تَتَكَوَّن الجُمْلَة « المركبة » التي يسميها النُّحَاة « الجُمْلَة الكبرى » (٢) .

---

(١) السابق ، ص ٣٧

(٢) السابق ، ص ٣٢، ونحب أن نوجه العناية إلى أمر مهم للغاية وهو أن النحاة يختلفون فيما بينهم على مسميات أنواع الجُمْلَة وأصنافها :

- من هذه المسميات ما ذكره الأستاذ عباس حسن ، حيث ينقل عن النحاة قولهم : « ... ويقول النحاة: إن الجُمْلَة ثلاثة أنواع: « أ » الجُمْلَة الأصلية ، وهي التي تقتصر على ركني الإسناد (أي: على المبتدأ مع خبره، أو ما يقوم مقام الخبر أو تقتصر على الفعل مع فاعله، أو ما ينوب عن الفعل) « ب » الجُمْلَة الكبرى ؛ وهي ما تتركب من مبتدأ خبره جملة اسمية أو فعلية، نحو: الزهر رائحته طيبة ؛ أو: الزهر طابت رائحته. « ج » الجُمْلَة الصغرى ، وهي: الجُمْلَة الاسمية أو الفعلية إذا وقعت إحداهما خبرًا لمبتدأ. » . يُنْظَرُ : النَّحْو الوافي : ١/ ١٦

ويقسم د. مُحَمَّد أحمد قاسم في كتابه « علوم البلاغة » الجملة كما يأتي :

« ... وقد رأى النحاة أنواعا أخرى للجملة نذكر منها:

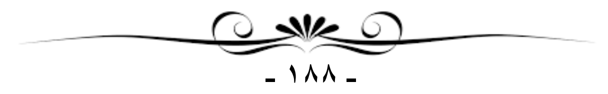
١ـ الجملة النواة : وهي الجملة الفعلية أو الاسمية التي تتألّف من الأركان الأساسية فقط نحو: تشرق الشمس (فعلية) ، الشمس مشرقة (اسمية).

٢ـ الجملة البسيطة: هي الجملة التي تتألّف من الأركان الأساسية ومن زيادة تسمّى فضلة تغنيها من الداخل، نحو: تشرق الشمس (أركان أساسية) + كلّ صباح (فضلة).

٣ـ الجملة المركّبة : هي التي تتألّف من مقاطع جملية عدّة تجمع بينها الرّوابط ، نحو: تركت الباخرة ، ووقفت على الرّصيف أحدثه.

٤ـ الجملة المقيّدة: هي التي تقيّد بمفرد:

١) كالمفعول، نحو: أكل الولد تفاحة.
٢) كالنعت، نحو: الطالب المتفوّق محبوب.
٣) كالمجرور، نحو: استعرت الكتاب من المكتبة، عاد أبي من الحقل.
٤) كالمضاف إليه، نحو: حضر أمين السرّ.
٥) كالحال، نحو: خرجت مسرعا.
٦) كالتمييز، نحو: اشتريت عشرين كتابا.
٧) كالظرف، نحو: سآتيك غدوة.
٨) كالنّاسخ، نحو: أوشك المطر أن ينهمر.



وتتولد عن الجُمْلَة أشكال نحوية متنوعة ومتعددة في كل من نوعي الجُمْلَة الأصليين .

➤ الجُمْلَة الاسْمِيَّة :

اصطلح النُّحَاة على أن الجُمْلَة الاسْمِيَّة هي : « الجُمْلَة المُصَدَّرة في الأصل باسم ؛ مثل : زيدٌ قائم ، وهيهاتَ العقيقُ ، وقائمٌ الزيدان ، عند من جوَّزه ـ وهم الأخفش والكوفيون ـ وفي الحقيبة كتاب ، ورُبَّ رجلٍ كريم لقيته »[1] .

وحيثما وُجِدَ المُبْتَدَأ فالجملة اسْمِيَّة ، وليس من اللازم أن يوجد الخبر ، فهناك في بنية الجُمْلَة العَرَبِيَّة جمل اسْمِيَّة تَتَكَوَّن من المُبْتَدَأ فحسب ، ويكون المكون الثاني غير خبر ، وهو ما يسميه النحويون بما يسد مسد الخبر ، وذلك إذا كان المُبْتَدَأ وصفًا رافعًا لما يكتفى به ، مثل : « أقائم المحمدان » ، ويشترط البصريون أن يكون الوصف في هذه الحالة معتمدًا على نفي أو استفهام .

كما تقيّد بجملة تكون إما :

أ- مفعولية، نحو: علمت أنك مسافر (علمت سفرك).

ب- نعتيّة، نحو: في القاعة طلاب يقرأون (قارئون).

ت- ظرفيّة، نحو: نهضنا حين طلع الفجر.

ث- حالية، نحو: مررت على المروءة وهي تبكي (باكية).

ج- جملة الموصول، نحو: من عاش مات.

ح- جملة شرطيّة، نحو: إن تدرس تفز.

خ- مجرورة بحرف الجر، نحو: جئت لأنه دعاني » .

ينظر : د. مُحَمَّد أحمد قاسم : علوم البلاغة :البديع والبيان والمعاني ، المؤسسة الحديثة للكتاب لبنان ط١ ، ٢٠٠٣ م ، ص ٢٦٢

ويشير الأستاذ علي الجارم في كتابه « البلاغة الواضحة » ، ص ١٤٠ : « تنقسم الجملة عند علماء المعاني إلى جملة رئيسية وجملة غير رئيسية ، والأولى هي المستقلة التي لم تكن قيدًا في غيرها . والثانية : ما كانت قيدًا في غيرها ، وليست مستقلة بنفسها » .

من هذه التعريفات نقول إن الجملة التي تتكون من مسند ومسند إليه قَدْ يطلق عليها عند بعض النحاة الجملة البسيطة أو الجملة الأصلية أو الجملة النواة أو الجملة الصغرى أو الرئيسية المستقلة هذا بالإضافة إلى الجملة الكبرى والمركبة التي تتكون من جملة مربوطة بأداة ربط أو جملة كبرى بداخلها جملة صغرى أو غير الرئيسية غير المستقلة . وعلى الباحث البَلاغِيّ أن يحدد المصطلحات التي سيسير عليها في بحثه في بدايته .

(١) د. مُحَمَّد إبراهيم عبادة : معجم مصطلحات النَّحْو والصرف والعروض والقافية ، ص ٨٥

والمبتدأ وظيفة إفرادية ؛ لأنه مسند إليه ، وهو مُحَدَّثٌ عنه ، ولا بد أن يكون اسمًا ولا يمكن أن يكون جُمْلَة .

وتتعاور على الجُمْلَة الاسْمِيَّة عوارض متعددة تتمثل في دخول النواسخ المختلفة ، وما تحمله من معاني التحديد الزمني أو النفي أو التوكيد أو الرجاء والشروع والمقاربة أو غير ذلك .

➤ **الجملة الفعْلِيَّة** :

واصطلح النُّحَاة على أن الجُمْلَة الفِعْلِيَّة هي « الجُمْلَة المبدوءة في الأصل بفعل ، ولم يفرق ابن هشام بين الفعل الناقص والفعل التام »[١] ، ويدخل فيها « الجُمْلَة المبدوءة بحرف النداء »[٢] .

ولبناء الجُمْلَة الفِعْلِيَّة الأساسية عوارضها المتنوعة كذلك من النفي والاستفهام والتأكيد والتقييد والشرط وغيرها من الأشكال النَّحْوِيَّة [٣] .

ولا تكون الجُمْلَة فعلية إلا إذا كان ما يطلب الفاعل هو « الفعل الصَّرْفِيّ » ، ويُقْصَدُ بالفعل الصَّرْفِيّ ما يكون على صيغة الفعل ، فاشتراط الصِّيْغَة المعينة في الفعل أساس لوجود الجُمْلَة الفِعْلِيَّة لا لوجود الفاعل . وأما الفاعل فلا يلزم من وجوده وجود الجُمْلَة الفِعْلِيَّة ؛ وذلك لأن ما يحتاج إلى الفاعل في بناء الجُمْلَة هو « الحدث » الذي يدل عليه الفعل ، أو ما في معناه ، فمثلا : الوصف المعتمد على نفي أو استفهام يأتي بعده الفاعل ، وجملته جُمْلَة اسْمِيَّة [٤] :

» أناوٍ رجالك قتل امرئ .
» أقاطنٌ قوم سلمى .
» أمنجز أنتم وعدًا .

واسم الفعل يأتي بعده فاعل[٥] وجملته جُمْلَة اسْمِيَّة ، مثل : هيهات العقيقُ ، شتان بين هذا وذاك ، دونكه ، أفٍّ .

---

(١) السابق ، ص٨٩

(٢) عباس حسن : النَّحْو الوافي ، ١/ ٤٤٦

(٣) د. مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف : بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة ، ص ٣٢

(٤) وسماها بعض الباحثين الجُمْلَة الوصفية ، يُنظَرُ : مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف : بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة ، ص ٥٤

(٥) وهو مستتر وجوبًا مع اسم الفعل المُضَارِع ، واسم الفعل الأمر .



والفاعل في الجُمْلَة الفِعْلِيَّة من العناصر الإفرادية(١) ، ويشكل الفعل مع فاعله جُمْلَة حيثما وجد ، أما الخبر فقد يكون مفردًا وغير مفرد .

* **الرتبة بين عناصر الجُمْلَة** :

من استقراء العلماء لأنماط الجمل في العَرَبِيَّة ، تبين لهم أن طرفي الإسناد في الجُمْلَة الاسْمِيَّة لهما حرية الرُّتْبَة إلا لعارض ، وأن الترتيب مُلْتَزَمٌ به في الجُمْلَة الفِعْلِيَّة .

والرتبة هي : الموقع الذكري للكلمة في جملتها ، أو هي : موضع الكَلِمَة وفقًا لوظيفتها النَّحْوِيَّة في بناء الجُمْلَة ، فيقال : رتبة الفاعل التقدم على المفعول ، ورتبة المفعول التأخر عن الفاعل ، ورتبة المُبْتَدَأ أن يتقدم على الخبر ، ورتبة الخبر أن يتأخر عن المُبْتَدَأ . فإن تقدمت الكَلِمَة في الجُمْلَة بحسب رتبتها المقررة لها قيل فيها إنها متقدمة رتبة ، وإن تأخرت عما هو مقرر لها قيل إنها متأخرة رتبة . ففي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ البقرة: ١٢٤، يقال في المفعول به « إبراهيم » متقدم لفظًا ومتأخر رتبة ، كما يقال في الفاعل وهو « ربه » متأخر لفظًا متقدم رتبة (٢) .

* **إطالة الجُمْلَة**(٣) :

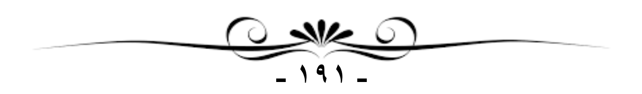
---

(١) ذهب النُّحَاة في مسألة كون المسند إليه جُمْلَة مذاهب مختلفة :

- ✓ الأول : المنع ، وهو الصحيح كما يقول ابن هشام ، والأصح كما يقول السيوطي .
- ✓ الثاني : الجواز ، واستدلَّ من يرى جواز هذا بقوله تَعَالَى : ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يوسف: ٣٥ ، وقد أعرب الكوفيون جُمْلَة « ليسجننه » فَاعِلًا .
- ✓ الثالث : وهو رأي الفراء وجماعة من النحويين أن جوازه مشروط بشرطين : أولهما أن يكون الفعل المسند قلبيًّا ، والثاني أن تقترن جُمْلَة المسند إليه بأداة معلقة ، مثل : « ظهر لي أقام زيد » ، و « علم هل قعد زيد » .
- ✓ الرابع : وهو رأي ابن هشام ، أن المسألة جائزة بشرط أن تكون الجُمْلَة معلقة بالاستفهام خاصة دون سائر المعلقات ، وعلى أن يكون الإسناد إلى مضاف محذوف لا إلى الجُمْلَة الأخرى ، مثل : « ظهر لي أقام زيد » ... ومع تعدد هذه الاتجاهات يظهر أن المنع هو الذي غلب عليها ، وهو الأصح كما يقول السيوطي. ينظر : د. مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف : بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة ، ص ٤٢ ، ٤٣

(٢) د. مُحَمَّد إبراهيم عبادة : معجم مصطلحات النَّحْو والصرف والعروض والقافية ، ص ١٣٩
د. مُحَمَّد سمير نجيب اللبدي : معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، ص ٩٢

(٣) يُنْظَر ما كتب تحت هذا العنوان د. مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف : بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة ، ص ٥٧ وما بعدها



تُعَدُّ الجُمْلَة قصيرة إذا اكتفى بعنصريها المؤسسين فحسب ، وَقَدْ تطول الجُمْلَة من خلال عناصرها المؤسسة نفسها ، وذلك إذا كانت العناصر الإفرادية فيها مكونة من « مركب اسمي » ، بأن يكون اسمًا دالا على « الحدث » يحتاج إلى ما يحتاج إليه الفعل . وَقَدْ تطول الجُمْلَة عن طريق العناصر غير الإسنادية ، وهي كثيرة متنوعة ، ويمكن توزيع هذه العناصر التي تؤدي إلى طول الجُمْلَة على عدة مجموعات ، بحيث يكون طول الجُمْلَة في هذه الحالة آتيًا من عدة أمور ، هي : طول التقييد ، طول التبعية ، طول التعاقب ، وطول التعدد ، وطول الترتب ، وطول الاعتراض .

وعلى ذلك يمكن أن نقسم أسباب إطالة الجُمْلَة إلى قسمين رئيسيين ، نتناولهما بالإيضاح كما يلي :

أ- **إطَالَةٌ إسْنَادِيَّةٌ عَنْ طَرِيقِ إطَالةِ الجُمْلَة عَبْر عَنَاصِرِهَا المُؤَسِّسَةُ نَفْسِها مَنْ خِلالِ المُرَكَّبِ الاسْمِي :**

قد تكون إطالة الجُمْلَة من خلال إطالة عناصرها المؤسسة عن طريق المركب الاسمي . والمقصود بالمركب الاسمي « كل مجموعة وظائف نحوية ترتبط ببعضها عن غير طريق التبعية ؛ لتتمم معنى واحدًا يصلح أن يشغل وظيفة واحدة أو عنصرًا واحدًا في الجُمْلَة ، بحيث إذا كانت وحدها لا تكون جُمْلَة مستقلة »[١] .

ويصدق ذلك على ما يأتي :

(١) التركيب الإضافي ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾ المائدة: ١١٩[٢] .

(٢) الأسماء التي تحتاج إلى ما تحتاج إليه أفعالها﴿ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ ﴾ الكهف: ١٨ [٣] .

---

(١) د. مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف : بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة ، ص ٥٩

(٢) هذا : مبتدأ ، يوم : خبر ، وجملة « ينفع » : في محل جر بالإضافة ، والصادقين : مفعول به مقدم ، وصدقهم : فاعل مؤخر . يُنْظَرُ : محيي الدين الدرويش : إعراب القُرْآن الكريم وبيانه ، اليمامة / دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت ، ط٣ ، (١٩٩٢م) ، ٣/ ٥٤

(٣) الواو للحال ، وكلبهم : مبتدأ ، باسطٌ : خبر ، ذراعيه : مفعول به ، بالوصيد : متعلقان بباسط. يُنْظَرُ : محيي الدين الدرويش : إعراب القُرْآن ، ٥/ ٥٥٣



(٣) المصدر المؤول ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الحديد: ١٦ [(١)] .

(٤) الاسم الموصول ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ يونس: ٢٢ .

(٥) الاسم المميز (تمييز الفرد) ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ الأحقاف: ١٥.

ويلاحظ أن عنصري الإسناد كليهما قَدْ يكونان مركبين اسميين ، وَقَدْ يحتوي كل منهما في داخل تركيبه على مركب اسمي آخر ، وبذلك يتعقد بناء الجُمْلَة ويتشابك من غير أن تنضاف إلى عنصري الإسناد عناصر أخرى غير إسنادية .

ب- **إِطَالَةٌ غير إسنادية عن طريق العَنَاصر غير المُؤَسِّسَةُ للجُمْلَة** :

قد تطول الجُمْلَة كما قلنا عن طريق العناصر غير الإسنادية ، وهي كما قلنا كثيرة ومتنوعة ، بعضها يطلبه الفعل ، وبعضها يطلبه الاسم . ويمكن ـ كما أشرنا ـ توزيع هذه العناصر التي تؤدي إلى إطالة الجُمْلَة على عدة مجموعات ، هي كالآتي :

١) **طول التقييد** :

يقع طول التقييد في الأفعال والأسماء المشتقة التي تتضمن الحدث الفعلي ؛ فتحتاج إلى ما يحتاج إليه الفعل . ولكن عناصر التقييد مع الفعل تمثل عناصر جديدة في بناء الجُمْلَة ، وهي مع الأسماء عناصر متممة للاسم المشتق بحيث تكون معه مركبًا اسميًّا .

والفعل يستطيل عن طريق المقيدات ، وهي ما يسميه النحويون المعمولات، وهذه المقيدات تعمل على تخصيص جهات الفعل المختلفة من حيث وقوع الحدث المتضمن فيه على جهة معينة :

- فيكون « المفعول به » تقييدًا لجهة وقوع الفعل ؛ إذا كان الفعل متعديًّا .
- ويكون « المفعول فيه » ـ وهو الظرف ـ تقييدًا لزمان حدوث الفعل أو مكانه.
- ويكون « المفعول لأجله » تقييدًا لجهة بيان علة حدوث الفعل .
- ويكون « المفعول معه » تقييدًا لجهة بيان المصاحب لحدوث الفعل .
- ويكون « المفعول المطلق » تقييدًا لجهة عدد مرات حدوثه أو نوعه[(١)] .

---

(١) أن وما في حيزها فاعل « يأنِ » ؛ أي : ألم يقرب وقتُ خشوع قلوبهم ، ويجئ وقته . محيي الدين الدرويش : إعراب القُرْآن ، ٩/ ٤٦٧



وهناك عناصر أخرى غير المفعولات تكون تقييدًا للفعل ، وهي :

- الحال ، ويقول بعض النُّحَاة إن الحال هو مَفْعُوْل مع قيد مضمونه ، فمثلا الفعل « جاء » في قولنا : « جاء زيد راكبًا » ، هو فعل مع قيد « الركوب » الذي هو مضمون راكبًا(٢) .
- المستثنى ـ في حالة المستثنى المنصوب ـ ، وهو مَفْعُوْل بشرط إخراجه ، ويُعدُّ تقييدًا تطول به الجُمْلَة كذلك . أما المستثنى غير المنصوب فإنه لا يُعربُ مستثنى ؛ ولذلك يدخل تحت أنواع أخرى من المقيدات .
- التمييز ، وهو كذلك من المقيدات . والمقصود بالتمييز المقيد هنا هو ما يسميه النُّحَاة تمييز النسبة . لأنه يرفع الإبهام الذي تحتمله نسبة الفعل إلى الفاعل ؛ وبذلك تتحدد جهة النسبة الحاصلة بين طرفي الإسناد . وأما تمييز المفرد فهو من متممات الاسم .
- ومن أصناف تقييد الفعل ما يتعلق به الجار والمجرور . فحروف الجر تقيد الفعل من جهة المعنى ، حيث تدل على معان مرتبطة بالفعل ، فـ « حرف الجر الأصلي وما أُلحق به بمثابة قنطرة توصل المعنى من العامل إلى الاسم المجرور، أو بمثابة رابطة تربط بينهما ؛ ولا يستطيع العامل أن يوصل أثره إلى ذلك الاسم إلا بمعونة حرف الجر الأصلي أو ما أُلحق به؛ فهو وسيط، أو وسيلة للاتصال بينهما ، ومن أجل هذا كان حرف الجر الأصلي وملحقه مؤديًا معنى فرعيًا، وهو في الوقت نفسه أداة من أدوات تعدية الفعل اللازم لمفعول به معنىً ، « أي: حكمًا » ، وهذه الأداة تتغير وتتنوع طبقًا للمعنى

---

(١) تقييد جهة الفعل واضح في المفعول المطلق المبين للنوع ، وواضح كذلك في المفعول المطلق المبين لعدد مرات حدوث الفعل ، وأما المفعول المطلق المؤكد للفعل فهو أشبه بالتوكيد اللفظي ؛ لأنه إعادة للحدث من غير نفس صيغة الفعل ، وهو غالبا ما يذكر تمهيدًا وتوطئة لبيان النوع ؛ فينعت الفعل عن طريق نعت مصدره . والتوكيد الذي يكون بالمفعول المطلق المؤكد للفعل يرفع التجوز أو توهم التجوز الذي قَدْ يُفهم عند عدم ذكره ، فإذا قُلْت : « ضربتُ زيدًا » فقد يُفهم منه أن الفعل مستعمل على معنى غير معنى الضرب الحقيقي بأن يكون مستعملا على جهة المجاز ، وعند ذكر المفعول المطلق المؤكد للفعل يُرَفعُ هذا التجوز أو توهمه . يُنْظَرُ : د. مُحَمَّد حماسة ، بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة ، ص٦١ ، ٦٢

(٢) يُنْظَرُ : د. مُحَمَّد حماسة ، بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة ، ص ٦٣



الذي يراد منها أن تؤديه »[١] .

٢) **طول التبعية** :

تقييد التبعية أنواع ، بعضها يخص الاسم وحده ، وهو تبعية النعت ، وبعضها الآخر ـ وهو تبعية التوكيد وتبعية البَدَل وتبعية العطف ـ لا تخص الاسم وحده ، بل تكون في الاسم وغير الاسم ، وهي :

- النعت ، وهو يتمم منعوته بدلالته على معنى فيه أو في متعلقه ، يطلبه بحسب ما يقتضيه المقام من تخصيص أو إيضاح أو تعميم أو مدح أو ذم أو ترحم أو توكيد أو إبهام أو تفصيل . وأيًّا ما كانت هذه المعاني واختلافها فإنها تجري مجرى تقييد المطلق بالصفة . والتابع في هذا الضرب مشتق أو بمعنى المشتق ، فإن كان التابع جامدًا سماه النُّحَاة عطف البيان ؛ لأنه يوضح متبوعه إن كان معرفة ، ويخصصه إن كان نكرة . والنعت مع منعوته كالاسم الواحد . وما يسميه النُّحَاة « النعت السببي » ينطبق عليه ما أطلقنا عليه فيما سلف المركب الاسمي .
- التوكيد ، وهو نوعان : توكيد لفظي ، وتوكيد معنوي . وَقَدْ عرفوا التوكيد المعنوي ـ وهو مختص بالأسماء ـ بما يؤكد أنه تقييد للمؤكد ، فهو التابع الرافع احتمال إرادة غير الظاهر . وعَرَّفُوا التوكيد اللفظي بأنه إعادة اللفظ أو تقويته بموافقة معنى ، وفي تقويته بإعادة اللفظ رفع احتمال التجوز أو توهم التجوز بمعنى من المعاني ؛ فيصير بذلك تقييدًا كذلك .
- البدل ، وهو من المقيدات ؛ لأنه لا يخلو عن بيان أو إيضاح ، وإن لم يكن المقصود منه بالذات ذلك ، وإذا كانت التوابع الأخرى مكملات للمقصود بالحكم ، فإن البَدَل هو المقصود بالحكم .
- العطف ، وتبعيته تكون بالتشريك بواسطة حروف العطف بين المعطوف والمعطوف عليه على جهة الإيجاب أو النفي ، والتقييد في تبعية العطف آتٍ من أن المعطوف عليه غير مطلق في انفراده بالحكم الذي يكون له . وليس هناك حد تقف عنده تبعية العطف مع بعض الحروف ، كالواو والفاء وثم على سبيل المثال.

(١) عباس حسن : النَّحْو الوافي ، ٢/ ٤٣٧



وقد يكون في الجُمْلَة الواحدة نوع واحد من تقييد التبعية ، أو عدة أنواع منها كأن يجتمع ضربان أو أكثر في جُمْلَة واحدة ؛ فتطول بذلك الجُمْلَة .

٣) **طول التعدد** :

كفل النظام اللغوي لعدد من الوظائف النَّحْوِيَّة أن يتعدد في الجُمْلَة الواحدة ، وبعضها يتعدد إلى حد معين ، وبعضها يتعدد بلا تحديد ، ومن هذه الوظائف :

- ✓ المفعول به ، فهو من الوظائف النَّحْوِيَّة التي تتعدد في الجُمْلَة الواحدة ، ولكن تعدد المفعول به مرتبط بمعنى الحدث الذي يطلبه ، فهناك أحداث تطلب مفعولا به واحدًا ، وهي الأفعال المتعدية لمفعول واحد ، وهناك أحداث تطلب مفعولين ، وهي الأفعال المتعدية لمفعولين ، وهناك أحداث تطلب ثلاثة مفاعيل . وعن طريق التحول في صيغ بعض الأفعال يصبح اللازم متعديًا لمفعول ، مثل : « أجلست الضيف » .فقد تحول الفعل إلى متعدٍّ بعد أن كان لازمًا ، وهكذا المتعدي لمفعول واحد يتحول إلى متعدٍّ لمفعولين ، والمتعدي لمفعولين يتحول إلى متعدٍّ لثلاثة مفاعيل . والتعدد في المفعول به يتناهي عند هذا الحد ، فلا توجد جُمْلَة واحدة فيها أكثر من ثلاثة مفاعيل .
- ✓ الخبر ، وهو من الوظائف النَّحْوِيَّة التي تتعدد ، سواء أكان في جُمْلَة اِسْمِيَّة غير منسوخة أم في جُمْلَة دخل عليها أحد النواسخ ، مثال ذلك قَوْله تَعَالَى : ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ البروج: ١٤–١٦ ، وَقَدْ علَّلَ النُّحَاة جواز تعدد الخبر بأنه حكم على المُبْتَدَأ ، والشيء الواحد قَدْ يحكم عليه بأحكام متعددة .
- ✓ النعت ، وهو ـ كوظيفة نحوية ـ تتعدد ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ التحريم: ٥ ، وإذا قطع النعتُ عن منعوته بأن يخالفه في الإعراب ، كأن يرفع إذا كان المنعوت مجرورًا أو منصوبًا ، أو ينصب إذا كان المنعوت مجرورًا أو مرفوعًا .
- ✓ ومن الوظائف النَّحْوِيَّة التي أتاح لها النظام أن تتعدد « الحال » ، وَقَدْ علل النُّحَاة جواز تعددها بشبهها بالخبر والنعت .

٤) **طول التعاقب** :



المقصود بالتعاقب هنا إحلال الجُمْلَة أو شبه الجُمْلَة محل المفرد ، وصلاحيتها في بعض المواقع أن تقوم بما يقوم به وتعاقبه حيث يقع . والجمل التي تعاقب المفرد هي الجمل ذات المحل الإعرابي . وَقَدْ أتاح النظام اللغوي لعدد من الوظائف النَّحْوِيَّة أن تُشغل إما بالمفرد وإما بالجملة . ويؤدي شغل هذه الوظيفة النَّحْوِيَّة أو تلك بالجملة إلى طول الجُمْلَة الأساس ، وهي الجُمْلَة المركبة التي تكون الجُمْلَة المعاقبة للمفرد عنصرًا فيها . وذلك لأن هذه الجُمْلَة قَدْ تستطيل هي الأخرى بالوسائل اللغوية المتاحة ؛ فيؤدي ذلك إلى تعقد البناء .

والجملة تعاقب المفرد في المواضع الآتية :

» الخبر ، سواء أكان خبرًا للمبتدأ أم خبرًا لناسخ من النواسخ .

» الحال كذلك تعاقب الجُمْلَة فيه المفرد ؛ فيجيء مفردًا وجملة ، مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ النساء: ٤٣ ، وقوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾ الشعراء: ١١١، وَقَدْ تتداخل الحال بأن تشتمل جُمْلَة الحال نفسها على حال أخرى ، مثل قَوْله تَعَالَى :﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ الأنبياء: ٢، فجملة ﴿ ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ كلها حال ، وجملة ﴿ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ ، حال من فاعل استمعوه ، والحال الثانية ، جُمْلَة اِسْمِيَّة خبرها جُمْلَة فعلية ﴿ يَلۡعَبُونَ ﴾ ، وهكذا تتداخل الجمل ويتعقد البناء .

» النعت ، من الوظائف التي تعاقب الجُمْلَة فيه الفرد ، ولكن ذلك مشروط بأن يكون المنعوت نكرة ، ومشروط كذلك بأن تكون الجُمْلَة محتملة للصدق والكذب .

» المضاف إليه ، من الوظائف النَّحْوِيَّة التي تعاقب الجُمْلَة فيها المفرد ، وهناك من الأسماء ما يلزم إضافته إلى الجُمْلَة ، ولكن ـ لأن الإضافة في أصل أمرها للمفرد ـ اعتبرت الإضافة إلى الجمل فيها معاقبة للمفرد ، وهذه الأسماء هي : « إذ ، وإذا ، وحيث ، ولما الحينية » . والأسماء التي تجوز إضافتها إلى الجمل محددة في العَرَبِيَّة ، منها أسماء الزمان ، ظروفًا كانت أو أسماء ، نحو : ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ ﴾ مريم: ٣٣ ، ونحو :﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ ﴾

إبراهيم: ٤٤ ، ونحو :﴿ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ﴾ غافر: ١٥ -١٦، ونحو :﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾ المرسلات: ٣٥

» المفعول به ، يقع المفعول به جُمْلَة في مواضع معينة ، هي :

١ ـ إذا كان مقولا للقول ، مثل قَوْله تَعَالَى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ مريم: ٣٠، وهنا تكون الجُمْلَة محكية .

٢ ـ إذا كانت الجُمْلَة الواقعة مفعولا به خبرًا في الأصل ، ودخل عليها فعل من باب ظن وأخواتها ؛ فإنها تكون في محل المفعول الثاني .

٥) **طول الترتب** :

المقصود بالترتب هنا : توقف جُمْلَة على أخرى ، واحتياجها إليها ، وتعليق حكم مفهوم من جُمْلَة على حكم آخر ، سواء أكان ذلك عن طريق أداة ـ غير أدوات العطف ـ تربط بينهما ، وتجعل الأولى شرطًا في حدوث الثانية ، أم لم يكن عن طريق أداة مستقلة ، بحيث يكون ذلك متوقفًا على دلالة الجُمْلَة الأولى على الطلب الذي يترتب عليه ما بعده ويتسبب عنه . واحتياج الجُمْلَة الأولى إلى الثانية ، وتوقف الثانية على الأولى يؤدي إلى طول الجُمْلَة المفيدة ، وتعقيد تركيبها .

ويمكن تلمس طول الترتب في عدة مواضع :

* منها أسلوب الشرط ، وهو يتكون من ثلاثة أجزاء : أداة شرط رابطة ، وجملة الشرط ، وجملة الجواب . وتترابط جُمْلَة الشرط في معناها ترابطًا جعل بعض النُّحَاة يجعلها قسمًا من أقسام الجُمْلَة مع الجُمْلَة الاسْمِيَّة والفِعْلِيَّة ، ولكنه في حقيقة الأمر جملتان عَلَّقَتْ أداةُ الشرط حكم إحداهما بالأخرى .
* ومنها الجُمْلَة الفِعْلِيَّة التي يقع فعلها مجزومًا في جواب الطلب ، مثل قَوْله تَعَالَى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ﴾ الحجر: ٣ ، وقوله تَعَالَى : ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ إبراهيم: ٣١ ، ولا يشترط في الطلب هنا أن يكون على صورة مخصوصة ، بل يكفي أن يكون مفهمًا للطلب ، ولو كان خبرًا قصد به الطلب .
* ومن ذلك الفعل المنصوب بعد « فاء السببية وواو المعية » في جواب نفي محض ، مثل قول الله تَعَالَى : ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ ﴾ فاطر: ٣٦ ، وقوله تَعَالَى : ﴿ وَلَمَّا



﴿ يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٤٢، أو طلب محض بأنواعه المختلفة ، وهي : الأمر ، والنهي ، والدعاء ، والاستفهام ، والعرض ، والتخصيص ، والتمني ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖ ﴾ طه: ٦١، وقوله تَعَالَى : ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾ يونس: ٨٨ ، ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ ﴾ الأعراف: ٥٣ وقوله تَعَالَى : ﴿ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ ﴾ المنافقون: ١٠ ، وقوله تَعَالَى : ﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴾ النساء: ٧٣ . ولا يختلف النُّحَاة في أن الفعل المنصوب بعد الفاء والواو واقع في جواب النفي أو الطلب : فلو لم تكن الفاء أو الواو ، لكان الفعل مجزومًا في جواب الطلب .

* ومن طول الترتب كذلك أسلوب القسم ، إذا كان القسم بجملة سواء أكانت اسْمِيَّة أو فعلية ، ففي هذا الأسلوب جملتان ترتبت إحداهما على الأخرى ، وأتي بالأولى من أجل توكيد ما يقسم عليه من نفي أو إثبات . ولما كانت الجُمْلَة عبارة عن كل كلام مستقل ، فإن هذه الجُمْلَة لا تستقل بنفسها حتى تتبع بما يقسم عليه نحو : « أقسم بالله لأفعلن » ، ولو قُلْت : أقسم بالله ، وسكت لم يجز ؛ لأنك لم تقصد الإخبار بالحلف فقط ، وإنما أردت أن تُخبر بأمر آخر ، وهو قولك : لأفعلن ، وأكدته بقولك : « أحلف بالله » .

٦) **طول الاعتراض** :

يتيح النظام اللغوي أن يذكر بين عناصر الجُمْلَة جُمْلَة أخرى ، يسميها النُّحَاة والبلاغيون : الجُمْلَة الاعتراضية . والجملة الاعتراضية من حيث التَّحْلِيْل النحوي لا محل لها من الإعراب ؛ أي أنها لا تمثل عنصرًا إسناديًّا ولا غير إسنادي في بناء الجُمْلَة . ولكنها من وجهٍ آخر لا تنفك عن الجُمْلَة الأصلية ، ولا تزول عنها من حيث معناها ؛ لأنها تعترض بين عنصرين متضامين متلازمين لإفادة الكلام تقوية وتسديدًا أو تحسينًا . وَقَدْ عبر ابن هشام عن التلازم بالتطالب ، والاعتراض عند النحويين هو ما يكون بين شيئين متطالبين ، والتطالب هو أن يطلب كل منهما الآخر، فالفعل يطلب فاعله ، والمتعدي منه يطلب مفعوله ، والمبتدأ يطلب خبره ، والخبر يطلب المُبْتَدَأ ، والنعت يطلب المنعوت ، والشرط يطلب جزاءه ، والقسم يطلب جوابه وهكذا ، وصحيح أن الاعتراض هو كل كلام أدخل في أجنبي غيره

بحيث لو أسقط لم تختل فائدة الكلام ، وأن المعترض فيه هو كل كلام أدخل فيه كلام آخر بحيث لو أسقط لبقي الكلام على حاله في الإفادة ، لكن مع هذا ينبغي ألا نغفل أمرين :

⇦ **أولهما** : أن وضع الجُمْلَة المعترِضة نفسه بين عنصرين متلازمين أو متطالبين يثير الانتباه ، ويلفت التفكير . وإلا فلماذا كان سلوك العَرَبِيَّة هنا أن تضع ما يسمى اعتراضًا بين عنصرين كل منهما يطلب الآخر طلبًا شديدًا بحيث يتوقع المستمع ذكر ثانيهما عند ذكر أولهما ؟ مثل قول القُرْآن الكريم في الاعتراض بين النعت ومنعوته : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ الواقعة: ٧٦، فإنه وسَّطَه بين الصِّفَة وموصوفها ، تفخيمًا لشأنه ، وتعظيمًا لأمره ، كأنه قال : وإنه لقسم لو علمتم حاله أو تحققتم أمره ، لعرفتم عظمة وفخامة شأنه . وقول القُرْآن بين الشرط وجزائه ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ﴾ النحل: ١٠١، وقوله : ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ البقرة: ٢٤

⇦ **ثانيهما** : أننا على أي نحو تدبرنا الاعتراض لن نجده معزولا في معناه عن معنى الجُمْلَة التي اعترض بين أجزائها ، ولا يكون للجملة الأصلية نفس المعنى إذا سقط هذا الاعتراض .

وقد جعل البلاغيون الاعتراض وسيلة من وسائل الإطناب . ويمكن أن نعتبره في نفس الوقت وسيلة من وسائل طول الجُمْلَة الأصلية وتركبها ، فكل ما يتعلق بالجملة يعد منها ، وإن لم يكن له موقع من الإعراب ، كما رأينا مع جواب القسم ، فإنه لا محل له من الإعراب ، ومع ذلك لا يعد النُّحَاة الجُمْلَة القسمية دون جواب القسم كلامًا ؛ لأنه غير مفيد .

وعند التَّحْلِيْل النحوي لجملة تحتوي في داخلها على جُمْلَة اعتراضية لا يمكن بحال أن نغفل هذه الجُمْلَة الاعتراضية ؛ لأنها ـ شئنا أم أبينا ـ جزء من الجُمْلَة الأصلية .

*****

- **الترابط بين عناصر الجملة :**

لا يكون الكلام مفيدًا إلا إذا ترابط بعضه مع بعض ، وتآلفت أجزاء جمله فيما بينها ، ويدخل في صميم مفهوم مصطلح الجُمْلَة أن عناصرها مترابطة ترابطًا محكمًا ،



ومتماسكة تماسُكًا يجعل من عدد من الكلمات وحدة كلامية ذات معنى مفيد يحسن السكوت عليه .

وقد أوجد النظام اللغوي عددًا من وسائل الترابط في الجُمْلَة ، بعضها يعتمد على الفهم والإدراك الخفي للعلاقات ، وبعضها الآخر يعتمد على الوسائل اللغوية المحسوسة . وسواء أكانت هذه الوسائل المعنوية واللفظية بين العناصر الإسنادية في الجُمْلَة ـ وهي التي لا تنعقد الجُمْلَة بدونها ـ أم بين العناصر غير الإسنادية في الجُمْلَة أم بين العناصر الإسنادية وغير الإسنادية في الجُمْلَة ، فإنها تؤدي غايتها بالقدر المقسوم لها .

ووسائل ترابط أجزاء الجُمْلَة متعددة متنوعة ، وكلها تهدف إلى وضوح العلاقة في الجُمْلَة ، وعدم اللبس في أداء المقصود منها ، وعدم الخلط ـ كذلك ـ بين عناصرها ولذلك لا تلتبس العناصر بعضها ببعض برغم وجود مشابهة كبيرة بينها في كثير من الأحيان .

ومن أهم الوسائل التي تعمل على ترابط أجزاء الجُمْلَة وإحكام بنائها الإعراب والرتبة بين الأجزاء في الجُمْلَة .

أما الإعراب فإن أهميته تبدو ـ بجوار كونه وسيلة ذات خطر في ترابط أجزاء الجُمْلَة ـ في « تبيان المعاني ، ويُستعَانُ به على فهم السياقات والتركيبات اللغوية التي لا تتضح في كثير من الأحيان إلا بضبط الكَلِمَة وتبيان موقعها الإعرابي »(١) .

وينبثق من مصطلح الإعراب ثلاثة مصطلحات فرعية ، هي : « الموقع الإعرابي ، الحالة الإِعْرابِيَّة ، العلامة الإِعْرابِيَّة » . أما الموقع الإعرابي فهو الوظيفة النَّحْوِيَّة المعينة التي يحددها نظام بناء الجُمْلَة وعلاقة الإسناد وعلاقة العناصر الإسنادية بغيرها ، فالفاعلية والابتدائية والخبرية والمفعولية والإضافة كلها مواقع إعرابية .

وكل موقع إعرابي معين له حالة إعرابية خاصة به ، فالفاعلية حالتها الإِعْرابِيَّة الخاصة بها هي الرفع ، والمفعولية حالتها الإِعْرابِيَّة هي النصب ، والإضافة حالتها الإِعْرابِيَّة هي الجر .

(١) د. مُحَمَّد سمير اللبيدي : معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، ص ١٤٩



أما علامة الإعراب فيراد بها « ما يظهر على آخر الأسماء المعربة من ضمة في حالة الرفع ، أو فتحة في حالة النصب ، أو كسرة في حالة الجر ، وما يظهر على آخر الفعل المُضَارِع المعرَب من ضمَّة في حالة الرفع ، أو فتحة في حالة النصب ، أو سكون في حالة الجزم »(١) .

وتتعاون العلامة الإِعْرابِيَّة مع الموقع الإعرابي والحالة الإعربية مع بقية الوسائل الأخرى على ترابط أجزاء الجُمْلَة ووضوحها ، وكل ما يؤدي إلى الوضوح وعدم اللبس يؤدي بالضرورة إلى التماسك والترابط .

أما الوسيلة الثانية ، وهي « الرُّتْبَة » ، فإنها تقوم بدور بارز في تماسك أجزاء الجُمْلَة . وينبغي هنا التفريق بين الرُّتْبَة والتقديم والتأخير . فالمقصود بالرتبة الموضع الأصلي للعنصر ، فيقال إن المفعول مثلا رتبته التأخر عن الفاعل ، والخبر رتبته التأخر عن المُبْتَدَأ ، والفاعل رتبته التأخر عن فعله ، وهكذا . وأما التقديم أو التأخير فلا يكون إلا بالنظر إلى البنية الأساسية التي يحددها النظام اللغوي لترتيب عناصر بناء الجُمْلَة . وذلك أن بناء الجُمْلَة قَدْ يلزم باتباع الرُّتْبَة المقررة في مواضع ، ويتيح الحرية في عدم الالتزام بها في مواضع أخرى . ومدار ذلك كله هو الترابط ومقتضيات السِّيَاق . ولا يمكن القول بأن هذه الكَلِمَة أو تلك مقدمة من تأخير أو مؤخرة من تقديم إلا إذا كان النظام المعروف لها هو غير الذي نراه عليها .

وهناك الرُّتْبَة المحفوظة أو الملتزمة أو المقيدة بين بعض الأجزاء وبعضها الآخر ، وهناك الرُّتْبَة الحرة بين بعض الأجزاء وبعضها الآخر . وَقَدْ يعرض للرتبة الحرة أو غير المحفوظة ما يقيدها . ولا يكون ذلك إلا إذا كان ترك عدم تقييدها بوضع معين مؤديًا إلى تفكك بين الأجزاء أو عدم ترابط بينها ، بحيث تؤدي إلى غموض أو التباس . وَقَدْ يكون اللجوء إلى الرُّتْبَة ضروريًّا بوصفها بديلًا عن العلامة الإِعْرابِيَّة في تمييز العناصر ، حيث تخفى العلامة الإِعْرابِيَّة أو تتعذر .

وتتعاون العلامة الإِعْرابِيَّة والرتبة على « اتساع الجُمْلَة » ، هذا الاتساع الذي يكون بالتقديم والتأخير الذي مكن بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة من الغنى والتنوع ، بحيث « اتسعت » لتصرف الشعر العربي اعتمادًا على نهوض الرُّتْبَة بالإيضاح عند خفاء

(١) د. مُحَمَّد إبراهيم عبادة : معجم مصطلحات النَّحْو والصرف والعروض ، ص ٢٢٠



العلامة الإِعْرابِيَّة أو تعذرها .

وعندما تكون الرُّتْبَة ضرورية في ترابط الجُمْلَة ، بحيث تصبح الحرية فيها مفضية إلى الغموض أو الإلباس ، نجد النُّحَاة ينصون على ضرورة الالتزام بها . ولذلك كان من الضروري اعتبارها وسيلة من وسائل الترابط حيثما كانت ملتزمة أو مقيدة .

والإسناد بطبيعة الحال « جزء » غير منطوق به في الجُمْلَة ، ولكن تحكمه أمور أخرى متعددة تتلاحم معه بحيث تشكل جميعًا بناءً متماسكًا يمكن تتبعها فيما يأتي :

أ- **الترابط بين عنصري الإسناد** :

١ـ أولا بين المُبْتَدَأ والخبر :

يرتبط المُبْتَدَأ بالخبر عن طريق الإسناد الخبري ، وتتعاون مع الإسناد الخبري ، أمور مختلفة كلها تعمل على وضوح الترابط بينهما ، منها :

١) الصيغة الاسْمِيَّة للمبتدأ ، فلا يكون المُبْتَدَأ إلا اسمًا أو مركبًا اسميًّا (مصدر مؤول مثلا) ، ومن هنا كان ما ليس اسمًا يجب تأويله ليكون كذلك .

٢) التعيين في المُبْتَدَأ ، بمعنى أن يكون أحد المعارف : الضَّمِير ، العلم ، اسم الإشارة ، الاسم الموصول ، المعرف بأل ، المضاف لواحد منها . أو نكرة مخصصة أو ما هو في حكمها ، حتى تحصل الفائدة في الإخبار ؛ لأن الإخبار حكم ، ولا يحكم على مجهول .

٣) الحالة الإِعْرابِيَّة للمبتدأ والخبر .

٤) لا بد من المطابقة بينهما في النوع ؛ أي : التذكير والتأنيث ، إذا كان الخبر مفردًا ، فلا يُذكَّر أحدهما ويؤنث الآخر ؛ لأن ذلك يحل عقدة الترابط .

٥) المطابقة في العدد ؛ أي : الإفراد والتثنية والجمع ، فلا يقال : « المحمدان ناجح ، ولا المحمدون ناجح ، ولا مُحَمَّد ناجحان ، ولا مُحَمَّد ناجحون » ، ولا يخرج الجزءان عن هذا الضرب من المطابقة إلا في مواضع يسمح بها الوضع اللغوي ، مثل : ﴿وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ التحريم: ٤

٦) يتحمل الخبر المفرد ضميرًا يعود على المُبْتَدَأ مطابقًا له إذا كان الخبر مشتقًا ، مثل: « مُحَمَّد قائم » ؛ أي : هو ، أو جامدًا مؤولا بالمشتق ، مثل : « مُحَمَّد أسد » ، فأسد

بمعنى « شجاع » ، وهي مشتقة ، وإذن يتحمل الخبر ضميرًا يعود على الْمُبْتَدَأ .

٧) لزوم تقديم الْمُبْتَدَأ وتأخير الخبر عند خوف اللبس ، وعدم معرفة المحكوم عليه من المحكوم به ، وذلك في مواضع معينة :

(أ) إذا تساوى كل من الْمُبْتَدَأ والخبر في « التعيين » ؛ أي : « التعريف والتنكير » مع عدم وجود قرينة من نوع ما تبين المخبر عنه من المخبر به بأن كانا معًا معرفتين ، مثل : « زيد أخوك » . وكذلك إذا تساوى الْمُبْتَدَأ والخبر في التنكير ، على أن يكون كل منهما صالحًا للابتداء به ، مثل : « أفضل منك أفضل مني » ؛ فيلزم النظام اللغوي هنا أن يكون المتقدم منهما هو الْمُبْتَدَأ والمتأخر هو الخبر ، إذ لا قرينة تكشف أحدهما وتبينه ، وأما مع وجود القرينة فإن الرتبة بينهما تصبح حرة .

(ب) ومنها أن يقترن بإلا أو إنما مثل ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ آل عمران: ١٤٤، ومثل ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ هود: ١٢ ، حتى لا يلتبس المحصور فيه ـ وهو الخبر هنا ـ بالمحصور وهو الْمُبْتَدَأ ، والحصر هنا معنى طارئ على أصل الجُمْلَة ، ومع ذلك يجب أن يقدم النظام اللغوي ما يكفل الوضوح في كل حالة ، ولو أباح النظام اللغوي هنا تقديم الخبر لانعكس المعنى المقصود ، ولأشعر التركيب حينئذ بأن الْمُبْتَدَأ هو المحصور فيه .

(ت) أن يكون المبتدأ اسما مستحقًا للصدارة فى جملته ؛ إما بنفسه مباشرة، كأسماء الاستفهام ، وأسماء الشرط، وما التعجبية، وكم الخبرية ؛ مثل : مَن القادمُ ؟ وأيُّ شريف تصاحبْه أصحابه ، ما أطيبَ خُلُقك ! كم صديق عرفتُ فيه الذكاء! وإما بغيره ؛ كالمضاف إلى واحد مما سبق ؛ فالمضاف إلى اسم استفهام نحو: صاحبُ مَن القادم؟ والمضاف إلى اسم شرط نحو: غلامُ أيِّ رجل شريف تعاونْه أعاونْه. والمضاف إلى كم الخبرية نحو: خادمُ كم صديق عرفت فيه الذكاء .

٨) ومما يساعد الإسناد في تحققه على وجهه المفيد أن يلزم بعكس الوضع الأصلي ؛ فيتقدم الخبر على الْمُبْتَدَأ في مواضع معينة بحيث إذا التزم بالوضع الأصلي صار الكلام ملبسًا ، وخرج عن الغرض المقصود . وَقَدْ ألزم نظام العربية أن يتقدم الخبر في مواضع محددة ، يختل وجه الإسناد إذا لم يتحقق



فيها تقديم الخبر . ومن هذه المواضع ما يأتي :

- إذا كان الخبر محصورًا والمبتدأ محصورًا فيه ، مثل :﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ المائدة: ٩٩ ، ومثل : ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ الرعد: ٤٠
- إذا الخبر متضمنًا لمعنى الاستفهام ، والاستفهام من المعاني التي تتسلط على الجُمْلَة ، ولذلك يجب أن تتصدر ، مثل : « أين محمد؟ » .
- إذا كان المُبْتَدَأ نكرة ، والخبر ظرفًا أو جارًا ومجرورًا ، مثل : « عندك مال » .

ربط الخبر الجُمْلَة بالمبتدأ :

إذا كان الخبر جُمْلَة ، فإن الترابط ضروري بين المُبْتَدَأ والخبر حتى لا يفهم من جُمْلَة الخبر أنها مستقلة عن المُبْتَدَأ ، وهنا نجد أن الضَّمِير يقوم بوظيفة أساسية في الربط بين المُبْتَدَأ والخبر ، وهذا الضَّمِير المشترط في الخبر هو ضمير المُبْتَدَأ نفسه ، فكأن المُبْتَدَأ يُذكَر مرة أخرى في جُمْلَة الخبر ؛ لأن الضَّمِير وما يعود عليه واحد في المعنى .

ولا يعدل التركيب عن الضَّمِير إلا لغاية يتغياها ، ومعنى يريغ إليه في مواقف معينة تقتضي ذلك ، وَقَدْ نظر النُّحَاة لوسائل الربط الأخرى على أنها نائبة عن الضَّمِير ، على اعتبار أن الضَّمِير هو الأصل في الربط ، ومرادهم بالأصل أنه الأكثر الشائع في الاستعمال ، لا الأصل الذي تتفرع عنه فروع أخرى ، ووسائل الربط غير الضَّمِير يمكن حصرها فيما يأتي :

١ ـ إعادة المُبْتَدَأ بلفظه ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ الحاقة: ١ – ٢ ، وأكثر ما يكون ذلك في مواضع التفخيم والتهويل وَالتَّعْظِيْم .

٢ ـ الإشارة إلى المُبْتَدَأ ، مثل قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ الأعراف: ٢٦ . واسم الإشارة في موضعه يكشف عن ضرب من التوكيد والإحاطة والحصر لا تستشعره مع الضَّمِير لو استخدم مكانه . وَقَدْ أشار البلاغيون إلى كثير من الأمور التي تترتب على جعل المسند إليه اسم إشارة .

روابط إضافية بين المُبْتَدَأ والخبر:

هناك وسيلتان للربط بين المُبْتَدَأ والخبر غير ما تقدم ، ولكنهما غير لازمتين ، بمعنى أن الجُمْلَة بدونهما لا يختل فيها وجه الإسناد ، ولا يحدث فيها لبس يؤدي إلى عدم وضوح عنصري الإسناد . وتكون وسيلة الربط الإضافية بين المُبْتَدَأ وخبره بـ



« الفاء في مواضع معينة » و« ضمير الفصل أو العماد في مواضع معينة »(١) .

ومن أمثلة الفاء :

- ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ البقرة: ٢٧٤ (٢) .
- ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ الجمعة: ٨
- ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ المائدة: ٣٨
- الذي عندك فله درهم .
- رجل يسألني فله درهم .
- كل الذي تفعل فلك أو عليك .
- كل رجل يتقي الله فسعيد .

ومن أمثلة ضمير الفصل أو العماد :

- ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ البقرة: ٢٥٤(٣) .
- ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٦﴾ الزخرف: ٧٦
- ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝٣٩﴾ الكهف: ٣٩

وفائدة الفصل في الربط هنا أنه يحدد الخبر فلا يجعله يلتبس بالنعت ؛ ولذلك سماه البصريون فصلا . وكما يكون الفصل بين المُبْتَدَأ والخبر يكون بين اسم كان وخبرها . ويتفق علماء العربية على أن الفصل ـ برغم صحة الكلام بدونه ـ يفيد التوكيد والحصر والاختصاص .

التراابط بالإسناد بعد دخول النواسخ :

يظل الإسناد هو الرابطة بين المُبْتَدَأ والخبر حتى بعد دخول النواسخ عليهما ، وَقَدْ تتغير المصطلحات في التَّحْلِيْل النحوي ، ولكن الإسناد لا يتغير بينهما ؛ وذلك لأن

---

(١) يُنْظَرُ د.محمد حماسة : بناء الجُمْلَة العربية ، ص ١١٤ وما بعدها .

(٢) ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ البقرة: ٦٢ « فلهم ... » الفاء رابطة للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها ، ولما في الموصول من رائحة الشرط . يُنْظَرُ : محيي الدين الدرويش : إعراب القُرْآن وبيانه ، ١/ ٤٢٣

(٣) جاء في إعراب هذه الآية : الواو استئنافية ، الكافرون مبتدأ ، هم مبتدأ ثان ، والظالمون خبره والجملة الاسمية خبر الكافرون . وهناك توجيهٌ آخر : هم ضمير فصل أو عماد ، والظالمون خبر الكافرون . يُنْظَرُ : محيي الدين الدرويش : إعراب القُرْآن وبيانه ، ١/ ٣٨٠



البنية الأساسية في الجُمْلَة المنسوخة هي المُبْتَدَأ والخبر ، وإن تغيرت المصطلحات الدالة عليهما وفقًا للتغير الحادث .

٢ـ ثانيًا الترابط بين الفعل والفاعل :

الإسناد الفعلي هو القرينة الكبرى التي تربط الفعل والفاعل ، وتجعل الفاعل هو الذي يقوم بالفعل أو يتصف به . وتعاونُ الإسنادَ لكي يُكَوِّنُ رابطةً بين الفعل والفاعل عدةُ أمور أخرى ، هي :

(١) الصيغة الصَّرْفِيَّة ، وهي في الفاعل أن يكون اسمًا أو مركبًا اسميًّا (مصدر مؤول مثلا) ، وهي في الفعل أن يكون على هيئة المبنى للمعلوم .

(٢) الرتبة ، وهي ملتزمة هنا بأن يتقدم الفعل ويتأخر الفاعل .

(٣) صلاحية الفعل للإسناد ، بأن يكون دالا على الحدث والزمن لا الزمن فقط ومن هنا لا تكون « كان وأخواتها » مع المرفوع بعدها فعلا وفاعلا في حالة نقصانها ؛ لأنها غير صالحة للإسناد لدلالتها على الزمن فقط .

(٤) الحالة الإِعْرابِيَّة الخاصة بالفاعل ، وهي الرفع ، فلا يوجد في الجُمْلَة الفِعْلِيَّة اسم مرفوع إلا الفاعل فقط . وإذا وجد اسم مرفوع آخر فإنما يكون بالتبعية للفاعل ، أو لكونه عنصرًا في مركب اسمي يكون هو نفسه فَاعِلًا أو عنصرًا آخر غير الفاعل .

(٥) المطابقة في النوع « التذكير والتأنيث » ، وتكون لازمة عندما يكون الفاعل مؤنثًا حقيقي التأنيث غير مفصول من الفعل ، أو ضميرًا يعود على مؤنث ، ويكون تأنيث الفعل بإلحاق علامة التأنيث بالماضي في آخره ، وهي تاء التأنيث الساكنة ، أو التاء في أول المُضَارِع ، ويكون تذكير الفعل بتركه على هيئته دون أن يلحقه شيء على الإطلاق ، إذا كان الفاعل مفردًا أو جمعًا سالمًا مذكرين . ولاحقة التأنيث اختيارية فيما عدا ذلك .

(٦) عدم المطابقة في العدد بين الفعل والفاعل ؛ فيظل الفعل مفردًا ، وإن كان الفاعل مثنى أو جمعًا .

(٧) عدم جواز حذف الفاعل ، فإذا لم يكن موجودًا فهو مقدر ، وهذه الفكرة نابعة من اعتبار البنية الأساسية للجملة الفِعْلِيَّة ، وهذه البنية الأساسية الخاصة بالجملة الفِعْلِيَّة تقرر أن الفعل لا بد له من فاعل ، ولا تحدث الأفعال من تلقاء



نفسها . وَقَدْ اطردت هذه الفكرة في اللغَة ؛ فلزم لذلك أن يكون لكل فعل فاعل ظاهر أو مقدر ، مستتر أو بارز ، لكنه لا يحذف . وَقَدْ يكون الفاعل ضميرًا لا يعود على اسم سابق ذكره في الكلام ، ولكنه مفهوم من الموقف والملابسات . وليس هذا معيبًا ، فليست اللغَة إشارات صماء ، ولكنها نظام من الإشارات الصوتية أنتجه العقل البشري لأداء حاجات معينة .

ب- **الترابط بين العناصر غير الإسنادية** :

الترابط بين العناصر غير الإسنادية ، يدور غالبًا في فلك أحد عنصري الإسناد ، ولا بد أن تترابط هذه العناصر غير الإسنادية مع ما تدور في فلكه ، وتكون علاقتها بأجزاء الجُمْلَة الأخرى من خلال علاقاتها النَّحْوِيَّة بما ترتبط به ، إذ إن العنصر غير الإسنادي قيد لما يرتبط به .

وليس من اللازم أن تترابط العناصر غير الإسنادية بعضها مع البعض الآخر . وليس من اللازم أَيْضًا في كثير من الأحيان ـ في غير الحال وتمييز النسبة ـ أن ترتبط ارتباطًا مباشرًا بعنصري الإسناد معًا ، بل ترتبط بما هي متممة له أو تابعة أو مقيدة ، وفي كثير من المواضع قَدْ يكون ما تتممه أو تتبعه أو تقيده من غير عنصري الإسناد .

وقد تتوافر كل الوسائل التي من شأنها تحديد الوظائف النَّحْوِيَّة وتمييزها ، ولكن يظل التردد بين نسبة الكَلِمَة في الجُمْلَة إلى وظيفة نحوية أو أخرى قائمًا في بعض الأحيان ، لأن الوسائل الموجودة أحيانًا قَدْ تُرَشِّحُ الكَلِمَة لوظيفتين ، وهنا يوجد ما يسمى تعدد الأوجه الإِعْرابِيَّة في الجُمْلَة ، بحيث يكون اختيار كل وجه منها له ما يسنده من البناء اللغوي للجملة ، وتعدد الأوجه في حقيقته ليس غموضًا ولا تلبيسًا ولا قصورًا في التفسير النحوي ، بل قَدْ يكون ثراء وخصوبة في البناء اللغوي ، وقدرة على تعدد العطاء الذي يتنوع بتنوع التفسير ؛ لأن المعول في اختيار أحد التفسيرات على الآخر يكون على فهم « السِّيَاق » والمعنى الذي يحدده .

ويتضح هذا أكثر ما يتضح في اللغَة المكتوبة ، حيث يفقد الكلام في هذه الحالة كثيرًا من عناصر التنغيم والوقف والابتداء التي قَدْ تساعد على تحديد نوع الكلام ،

وبخاصة في النص الأدبي الذي يعتمد في بنيته على تعدد الإيحاء وتنوع الدلالة [(١)] .

وسماح نظام بناء الجُمْلَة بهذه الاحتمالات لا يمثل نقصًا في وسائل الترابط بين عناصر الجُمْلَة ، ولكنه يقدم بابًا مفتوحًا لعبقرية المبدعين باللغة والشارحين لها جميعًا وإلا كانت الأبنية اللغوية قوالب مصبوبة لا تتيح الحرية للإبداع والابتكار .

ويمكن حصر أنواع الترابط بين العناصر غير الإسنادية في عدد من الأنواع ، هي :

أولا ترابط مقيدات الفعل :

يُقَيَّد الفعل في الجُمْلَة بعدد من الوظائف النَّحْوِيَّة ، يشغلها المفعول به والمفعول المطلق والمفعول فيه (الظرف) والمفعول معه والمفعول لأجله ، والحال والتمييز والاستثناء والجار والمجرور . ولعل الأولى أن يُقال مقيدات « الحدث » ؛ ولكن هذه المقيدات عندما تكون مع غير الفعل تعد متممات للاسم ؛ لأنها تكون مع ما يطلبها من الأسماء « مركبًا اسميًّا »(٢) .

ويترابط الفعل مع مقيداته المختلفة برباطين : أحدهما معنوى مستمد من مادة الفعل ودلالته المعجمية . والآخر هو الحالة الإِعْرابِيَّة التي هي النصب في كل هذه المقيدات باستثناء الجار والمجرور . وعندما يُقال « مقيدات الفعل » فالمقصود هو

---

(١) مثال ذلك قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ آل عمران: ٧ ، فالنظام اللغوي يجعل من الواو حرف عطف يعطف المفردات كما يعطف الجمل ، فإذا أخذنا بأنها هنا لعطف المفردات كانت « الراسخون » معطوفة على لفظ الجلالة « الله » ، وهنا لا يترك نظام بناء الجُمْلَة جُمْلَة ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ هملا ، بل يجعلها « حالا » من الراسخين في العلم ، ويصير المعنى بناء على هذا التَّحْلِيْل : أن الراسخين في العلم مشتركون مع الله سبحانه في العلم بتأويله في حال قولهم آمنا به . وإذا قلنا بأن الواو لعطف الجمل ؛ فإن « الراسخون » تكون في هذا التفسير مبتدأ ، وجملة ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ تكون هي الخبر ، ويكون المعنى على ذلك : أن الله وحده هو الذي يعلم تأويله ، والراسخون في العلم هم الذين يؤمنون بذلك ، ويصدقون به . وهنا يتساوى الاحتمالان ويصبح ترجيح أحدهما على الآخر خارجًا عن نطاق الصِّيْغَة اللغوية ؛ وذلك لأن البناء اللغوي للجملة أراد هذا ما دام السِّيَاق يتناول المحكم والمتشابه من آيات الله . ومثال ذلك أَيْضًا قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ يونس: ٤٤ ، وقوله تَعَالَى : ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ الفتح: ٢٩

(٢) يُنْظَرُ : د.محمد حماسة : بناء الجُمْلَة العربية ، ص ١٤٠



مقيدات الفعل بوصفه واقعًا من الفاعل أو واصفًا له . وبما أن الفعل مرتبط بفاعله حتى قال النُّحَاة إنهما كالشيء الواحد ، وَقَدْ رتبوا على ذلك أحكامًا كثيرة ، فإن كل مقيد للفعل يعد مقيدًا للفاعل ، وكل مقيد للفاعل يعد مقيدًا للفعل وكذلك كل مقيد لعنصر آخر يتقيد به الفعل أو الفاعل . ومقيدات الفعل هي :

(أ) الفعل مع المفعول به :

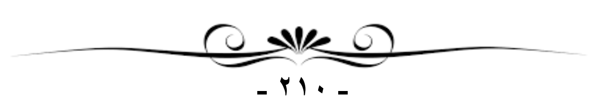
يرتبط المفعول به مع فعله عن طريق دلالة الفعل على المجاوزة ، وهي التعدية المدلول عليها بحالة النصب . وتعدية الفعل إما أن تكون بدلالة الفعل المعجمية من غير وسيلة أخرى ، أو بوسيلة من وسائل التعدية . وهذه الأفعال منها ما يتعدى إلى مَفْعُوْل واحد وتكون أفعالا علاجية أو غير علاجية . والأفعال العلاجية ما تفتقر إلى استعمال جارحة أو نحوها ، نحو : « ضربت زيدًا » ، وغير العلاجية ما لم تفتقر إلى ذلك بل يكون مما يتعلق بالقلب ، نحو : « ذكرت زيدًا ، وفهمتُ الحديث » .

ومن الأفعال ما يقتضي مفعولين ؛ لأن الحدث الذي يدل عليه لا يكتمل إلا بذكر مفعولين له ، كأفعال المنح والإعطاء ، فهي أفعال مؤثرة تنفذ من الفاعل إلى المفعول ، وتؤثر فيه ، نحو : « أعطى زيدٌ عبد الله درهمًا » .

إذن قابلية الفعل للمجاوزة أو التعدية ـ وهي من دلالة الفعل المعجمية ـ وصلاحية الاسم للمفعولية ، أي قبول وقوع الحدث الفعلي عليه ، جانبان معنويان لتحديد المفعول به في الجُمْلَة ، وينضم إليهما جانب لفظي هو العلامة الإِعْرابِيَّة ، وتحديد موقعه في بناء جملته . وهذان الجانبان المعنوي واللفظي يتعاونان في ترابط المفعول به مع فعله وفاعله .

وإذا كانت العلامة الإِعْرابِيَّة واضحة في الفاعل والمفعول به أو في أحدهما ، ولم يطرأ على بناء الجُمْلَة ما يغير رتبة المفعول به تغييرًا ضروريًّا ، فإن المفعول به يمكن وضعه في الجُمْلَة في أحد ثلاثة مواضع : بعد الفاعل ، وهذا هو الأصل ، أو قبل الفاعل ؛ أي : بين الفعل وفاعله ، أو قبل الفعل نفسه . وكل هذا بالنظر إلى طبيعة البنية الأساسية للجملة التي يوجد فيها المفعول به ، وهي : (الفعل المبني للمعلوم + الفاعل + المفعول به). وهذا كما يقولون هو الترتيب الأصلي ، ومن هنا يأخذ المفعول به رتبته الأساسية وكل تغيير بعد ذلك ينظر فيه إلى هذه البنية الأساسية (١) .

(١) يجب تقديم المفعول به على الفعل :



(ب) الفعل مع المفعول المطلق :

يترابط المفعول المطلق مع فعله بالحالة الإِعْرابِيَّة ، وهي النصب كما في سائر المفاعيل الأخرى ، ولا يكفي النصب وحده لتحديد المفعول المطلق وتمييزه مما سواه. ولذلك فإن صيغة المفعول المطلق نفسها تساعد كذلك على تحديده ، فهو لا بد أن يكون مصدر الفعل المذكور ، بمعنى أن يكون كل من الفعل والمصدر من مادة واحدة ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ النساء: ١٦٤ ، ومن أجل هذا عُدَّ كل ما يؤدي معنى المفعول المطلق ، وليس من مادة الفعل المذكور نائبًا عن المفعول ، ولا بد بالإضافة إلى هذا أن يكون من غير العنصرين الإسناديين ؛ أي : يكون فضله.

ولا يكون موقعه إلا بعد الفعل إذا كان الفعل منطوقًا به في بناء الجُمْلَة ؛ لأن المفعول المطلق نتوصل به إلى أحد أمور ثلاثة :

» إما إلى توكيد الفعل ، مثل : « جلستُ جلوسًا » .

⇦ إذا كان اسم شرط ، مثل : ﴿أَيًّا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ الإسراء: ١١٠

⇦ اسم استفهام ، مثل : ﴿وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ غافر: ٨١

⇦ إذا كان المفعول به ضميرًا منفصلا إذا تأخر لزم اتصاله وضاع بذلك الغرض من تقديمه ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥

ويجب تقديم المفعول به على الفعل فيما إذا كان بناء الجُمْلَة على صورة من هاتين :

- أما + المفعول به + الفاء +لا الناهية + الفعل ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ الضحى: ٩
- المفعول به + الفاء + فعل أمر ، مثل : ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ المدثر: ٥

ويمتنع في بناء الجُمْلَة أن يتقدم المفعول به على الفعل نفسه في مواضع خاصة بعضها يتعلق بالمفعول به ، وذلك إذا كان « مركبا اسميا من المصدر المؤول » ، مثل : « عرفت أنك منطلق» وبعضها يرجع لمضامة الفعل أدوات معينة سابقة أو لاحقة ؛ فيمتنع تقديم المفعول به على الفعل إذا سبقت الفعل إحدى الأدوات الآتية :

» حرف مصدري ، مثل : من البر أن تكف لسانك .
» لام قسم ، مثل : والله لأكرمن الضيف .
» لام الابتداء ، مثل : ليضربُ زيدٌ عمرًا .
» قد ، مثل : والله قَدْ أكرمتُ محمدًا .
» سوف ، مثل :سوف أكرم عليًّا .



» وإما إلى بيان نوع الفعل ، مثل :﴿وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾ الإسراء: ٤
» وإما إلى بيان عدد مرات حدوث الفعل ، مثل : « ضربتُ ضربتين » .

(ت) الفعل مع المفعول له :

يترابط المفعول له مع الفعل بعدة أمور ، يذكرها النُّحَاة على أنها شروط لنصبه . وهذه الأمور بعضها لفظي ، وبعضها معنوي ، وهي :

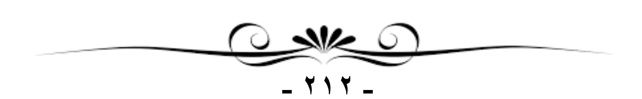
(١) النصب ، وهو حالة يدل عليها بعلامة لفظية ، وكل ما بيَّن العلة ، ولم يكن منصوبًا ، لم يفسر على أنه مَفْعُوْل له .
(٢) الصيغة ، فلا بد أن يكون بصيغة المصدر ، وهي أمر لفظي .
(٣) كونه مصدرًا قلبيًّا ، وهذا آتٍ من دلالته المعجمية ، ومعاني الكلمات باتفاق الوضع .
(٤) كونه علة .
(٥) مخالفة مادته لمادة فعله .
(٦) مشاركته لفعله في الوقت والفاعل ، بأن يكونا متفقين في زمن الحدث وفاعله .
(٧) ومن حيث موقعه في بناء الجُمْلَة يجوز أن يتقدم على ما يعلله .

والنحاة يتناولون كل هذه الأمور التي توثق رباط الفعل بالمفعول له ، ولكنهم يجعلونها شروطًا لنصبه فحسب ، ولكنها في حقيقة الأمر من أجل تقييد الفعل به على هذه الهيئة المخصوصة .

(ث) الفعل مع المفعول فيه :

يمكن أن نحدد روابط الفعل بالمفعول فيه (ظرف الزمان وظرف المكان) من خلال ما يأتي :

(١) النصب ، وهو حالة مشتركة بين المفعول فيه وغيره ، ولكنها مهمة في تفسيره على أنه ظرف (مَفْعُوْل فيه) ؛ لأن الاسم لو دل على الظرفية ، ولم يكن منصوبًا لم يفسر في النَّحْو على أنه ظرف .
(٢) صلاحية الاسم للظرفية ، وأسماء الزمان كلها صالحة للظرفية ، المبهم منها والمختص ، وأما أسماء المكان فلا يكون صالحًا للظرفية منها إلا المبهم . وَقَدْ يقع المصدر موقع ظرف الزمان كثيرًا ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ



﴿ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ الطور: ٤٩

(٣) كون الظرف متضمنًا معنى « في » باطراد .

ولقوة ارتباط الظرف بالفعل فإنه لا يشترط له موقع معين ، فيأتي معه سابقًا أو لاحقًا ، وَقَدْ عبروا عن ذلك بأنه يتوسع في الظرف والجار والمجرور ما لا يتوسع في غيرهما ، ولا تتاح مثل هذه الحرية لعنصرما في بناء الجُمْلَة إلا إذا كانت علاقته بغيره واضحة ، وارتباطه بما ينبغي أن يرتبط به لا يصيبها غموض أو لبس من تقديمه إذا كانت رتبته أن يتأخر ، أو تأخيره إذا كانت رتبته أن يتقدم . وَقَدْ أتاحت حرية موقع الظرف مع الفعل غنى في تعدد صور الجُمْلَة الفِعْلِيَّة مكن من استغلاله في تنوع التعبير ودلالته .

(ج) الفعل مع المفعول معه :

هناك وسائل معينة لترابط المفعول معه مع الفعل :

١ـ الأداة ، وهي الواو التي بمعنى « مع » ؛ أي التي تفيد المصاحبة .

٢ـ النصب .

٣ـ لزوم المفعول معه التأخر عن الفعل ، فلا يجوز تقديمه على الفعل .

٤ـ وجود مانع لغوي أو معنوي من العطف . والمانع اللغوي أن يكون ما قبل الواو ضميرًا للرفع أو مستترًا ، مثل : « ما زلت أسير والنيل » ، والمانع المعنوي ، مثل : « استوى الماء والخشبة » .

(ح) ترابط الحال بجملته :

الحال من الوظائف النَّحْوِيَّة التي تعاقب فيها الجُمْلَة أو شبه الجُمْلَة المفردَ وهو ـ على أي نحو ـ لا بد أن يرتبط بصاحبه ، ومن خلال ترابطه بصاحبه يترابط مع الفعل ؛ لأن الحال ـ كما يقول النُّحَاة ـ قيد للفعل ، فوقوع الفعل من فاعله أو على مفعوله يكون بذكر الحال من أحدهما أو منهما مقيدًا بهذه الهيئة .

أ- **الحال المفرد** ، يترابط مع صاحبه بعدة وسائل مختلفة :

(١) النصب .

(٢) مخالفة الحال لصاحبها في التعيين (التعريف والتنكير) ، فالحال نكرة وصاحبها معرفة ، وَقَدْ تخرج الحال أو صاحبها عن ذلك ، فيلزم وجود



مسوغات لمجئ صاحب الحال نكرة بأن تكون عامة لوقوعها في سياق نفي أو شبهه ، أو خاصة عن طريق وصفها أو إضافتها أو تقديمها على الحال . ولا يُعَرَّفُ الحال ؛ لأنه لو عرف يلتبس بالنعت .

(٣) يغلب على الحال أن يكون مشتقًا . وَقَدْ يغني عن اشتقاقها أن تنعت بمشتق ويسميها النُّحَاة الحال الموطئة ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ مريم: ١٧ ، والمشتق يتحمل ضميرًا ، فإذا قُلْت : « جاء عبد الله راكبًا » ، فـ « راكبًا » مشتق وفيه ضمير يعود على صاحبه . وإذا جاء الحال اسمًا جامدًا فإنه يكون مؤولا بالمشتق ، واختلف النحاةُ في وقوع المصدر حالا .

(٤) هناك جانب معنوي لا بد من مراعاته عند ترابط الحال ، هو دلالة الحال على هيئة صاحبه . وهذا الجانب المعنوي له أهميته في التفريق بين الحال وكثير من المنصوبات الأخرى .

ب- الحال غير المفردة :

الحال غير المفردة هي الحال الجُمْلَة أو شبه الجُمْلَة . وشبه الجُمْلَة في النَّحْو يقصد به الظرف والجار والمجرور ، ولا يكون حالا إلا إذا وجد أمران مهمان :

- الأول : عدم وجود ما يمكن أن يتعلق به الظرف والجار والمجرور . ففي الجُمْلَة « شاهدتُ الهلال بين السحاب » لا يتعلق الظرف بالفعل « شاهدت» لأن المشاهدة ليست بين السحاب . وكذلك في الجار والمجرور « شاهدتُ محمدًا في البيت » ، فالمشاهدة ليست في البيت . ولما كان الظرف والجار والمجرور هنا يتعلقان بمحذوف فالنحاة يقدرونه فعلا أو اسمًا مشتقًا ، ويلزمون وجوب حذفه ، وكأن الجُمْلَة هنا كانت في الأصل « شاهدت الهلال مستقرًّا بين السحاب » ، أو « شاهدت الهلال يستقر بين السحاب » . وعند تقدير الأول يكون رابطُ الحال « شبهُ الجُمْلَة » هو ما يربط المفرد ، وعند تقدير الثاني يكون رابط الحال شبه الجُمْلَة هو ما يربط الحال بصاحبها.
- الثاني : كون صاحبها صالحًا لبيان الهيئة ، أو بعبارة أخرى يصلح لأن يكون صاحب الحال ، وهنا لا بد أن يكون معرفة أو نكرة مخصصة . فلو كان نكرة غير مخصصة ، كان شبه الجُمْلَة نعتًا ، وذلك لأن حاجة النكرة إلى أن توصف أولى من حاجتها إلى بيان هيئتها .

وأما الجُمْلَة التي تقع حالا فإنها لا بد فيها من رباط لفظي ، وهذا الرابط اللفظي أحد أمرين : الواو التي تسمى واو الحال ، أو الضَّمِير ، أو هما معًا . وَقَدْ اجتمع الرابطان الواو والضمير معًا في قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ﴾ النساء: ٤٣ ، وَقَدْ وردت الجُمْلَة الاسْمِيَّة في الشواهد القُرْآنِيَّة حالا ولا رابط لها إلا الضَّمِير ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ البقرة: ٣٦ ، وإذا خلت الجُمْلَة الحالية منها (الواو أو الضَّمِير) لفظًا قدر أحدهما ، نحو : « مررت بالبر قفيز بدرهم» .

وقد تقع الجُمْلَة الاسْمِيَّة حالا ، وليس فيها الواو أو الضَّمِير لا لفظًا ولا تقديرًا ؛ وذلك لأن الموقف يكشف عن أنها حال ، ولا تحتاج عندئذ إلى رابط ، نحو : « خرجت زيد على الباب » .

وبالإضافة إلى الرابط في الجُمْلَة الحالية ، سواء أكان الضَّمِير أم الواو أم هما معًا هناك شرطان آخران لا بد من توافرهما حتى تترابط الجُمْلَة الحالية مع جملتها التي تكون الحال جزءًا منها :

- أولهما : أن تكون الجُمْلَة حالية الزمن بالنسبة للفعل ، والمقصود بذلك أن تكون مصاحبة للفعل أو قريبة منه .
- والآخر : أن تكون الجُمْلَة الحالية جُمْلَة خبرية ؛ أي : محتملة للصدق والكذب لذاتها ، فلا تكون إنشائية ؛ لأن الحال صفة لصاحبها في المعنى ، والإنشاء لا يوصف به .

وبكون الجُمْلَة الحالية خبرية ، ومصاحبة لزمن الفعل في الجُمْلَة ، ومشتملة على رابط يربطها بجملتها وبكونها دالة على هيئة صاحبها ، وبكونها في محل نصب ، تترابط الجُمْلَة الحالية مع جملتها وتصبح جزءًا غير إسنادي من أجزائها .

(خ) ترابط تمييز النسبة مع جملته :

ونخص هنا تمييز النسبة وحده ؛ لأن تمييز المفرد من متممات الاسم ، فارتباط تمييز المفرد أو الذات بأجزاء جملته لا يكون إلا من خلال الاسم الذي يتم به.

وقد جمع النُّحَاة النوعين معًا لاتفاقهما في عدد من الأمور : النصب ،



والاسمية ، والتنكير ، وغلبة الجمود ، والبيان والتفسير ، وإن كانا مختلفين في مُفَسَّرِهما . فتمييز النسبة يفسر نسبة غامضة بين الفعل والفاعل ، أو بين الفعل والمفعول به . ويسميه بعض النُّحَاة التمييز المحوَّل ، ويعنون بذلك أن التمييز في أصل التركيب كان ينبغي أن يكون فَاعِلًا أو مفعولا به لو أراد المتكلم أن يصوغ هذا المعنى بطريقة أخرى ، ولكنه يعدل إلى هذا الأسلوب لضرب من المُبَالَغَة والتأكيد ، مثل إذا قُلْت : « تَصَبَّبَ عرقًا » ، فتقديره : تصبب عرقُه .

وتوجد شرائط أخرى تساعد على تحديد التمييز من غيره سواء أكان تمييز جُمْلَة أم تمييزًا متممًا لاسم قبله ، وهي :

- أن يكون نكرة دالة على الجنس .
- أن يكون مقدرًا بـ « من » . وهذا جانب معنوي ، وهو أهم ما يميز التمييز عن غيره ، وعلى هذا الجانب يكون الاعتماد في معرفة التمييز من غيره مما يلتبس به وأهمها الحال . وبما أن التمييز بمعنى « من » جاز أن يجر كل تمييز بها إلا في مواضع معينة هي التمييز المحول من الفاعل والمفعول ، وتمييز أفعل التفضيل ، وتمييز العدد والتمييز الواقع بعد فعل المدح .
- وإلى هذا وذاك يجب أن يكون منصوبًا ؛ فما يؤدي وظيفة التفسير والبيان وهو غير منصوب لا يُحَلَّلُ في بناء الجُمْلَة على أنه تمييز في التَّحْلِيْل النحوي ، بل يكون غالبًا مضافًا إليه أو مجرورًا بحرف الجر .

ونشير هنا مرة أخرى إلى أن التمييز الذي لا يكون في الجُمْلَة الفِعْلِيَّة يعد تمييزًا متممًا للاسم ، ولا يكون في الجُمْلَة الفِعْلِيَّة إلا ما يسمى بالتمييز المحول أو المنقول عن الفاعل ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ مريم: ٤ ، أو عن المفعول ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ القمر: ١٢ ، وما عداهما يعد متممًا للاسم ؛ لأنه يفسر غموضًا في احتمالات دلالته المتعددة .

(د) ترابط المستثنى بجملته :

نقصد بالمستثنى هنا ما يعد في التَّحْلِيْل النحوي لبناء الجُمْلَة كذلك ؛ أي : الاسم المنصوب أبدًا ؛ لأنه مستثنى ، فلا يعد مستثنى إلا ما كان منصوبًا على أنه مستثنى ، وهو الاسم المنصوب الواقع بعد « إلا » ، أو هو كلمة « غير أو سوى » في

حالة النصب على الاستثناء ، وما عدا هذا فإنه يعد في التَّحْلِيْل النحوي شيئًا آخر غير المستثنى .

والمستثنى لا بد أن تصحبه سابقة عليه أداةُ الاستثناء الخاصة ، وهي « إلا » ، وهي وسيلة لفظية لتعيين المستثنى إذا توافرت خصائصه في التركيب .

ولا بد أن تتعاون عدة أمور في التركيب ليكون الاسم« مستثنى نَحْوِيًّا » هي : أن يكون منصوبًا ، وأن يكون واقعًا بعد إلا أو واقعًا غير أو سوى المنصوبتين ، وهو مجرور بالإضافة ، وأن يكون الكلام تامًّا موجبًا ، أو غير موجب بشرط اختيار النصب في الاسم الواقع بعد « إلا » أو نصب « غير و سوى » ، وينضم إلى ذلك كون الاسم خارجًا عن الحكم المقرر لما قبله إثباتًا أو نفيًا . وبهذا نفسه يترابط المستثنى مع أجزاء جملته حيث يكون ارتباطه بالحكم المستفاد من التركيب الأساسي إما بالخروج من الاتصاف مما ثبت في التركيب الأساسي أو بالدخول فيما نفى في التركيب الأساسي نفسه .

وكل جانب من جوانب ترابط المستثنى بجملته لا يمكن أن يستقل وحده ويؤدي ما تؤديه خصائص الاستثناء النحوي مجتمعة ، وإلا فإن العطف بـ « لا » قَدْ يؤدي معنى الإخراج من الحكم المثبت لما قبل « لا » ، ولكنه لا يعد استثناء نَحْوِيًّا ، وَقَدْ توجد الأداة التي هيأتها اللغَة في بعض استعمالاتها للاستثناء ، ولا يكون الاسم بعدها مستثنى . فلا يعد إذن استثناء نَحْوِيًّا إلا ما توافرت له الجوانب التي أشير إليها آنفًا .

(ذ) ترابط الجار والمجرور بالفعل :

الجار والمجرور من أكثر الوظائف النَّحْوِيَّة ارتباطًا بالفعل وتعلقًا به ، مثله في ذلك مثل الظرف ، وَقَدْ خصهما الدرس النحوي بمصطلح يدل لفظه على قوة هذا الارتباط وتماسكه ، وهو « التعلق » .

وَقَدْ يزيد الجار والمجرور عن الظرف في مواضع معينة ، حيث يحدد معنى الفعل في بعض الأحيان بنوع الحرف الذي يتعلق به مثل : « رغب عن كذا » و « رغب في كذا » . فنوع الحرف هنا هو الذي يوجه الرغبة ، فمع « عن » ـ وهي للمجاوزة ـ يكون « رغب عن كذا » ابتعادًا عنه وتجنبًا له مع شيء من الاستعلاء ،

ومع « في » ـ وهي للظرفية ـ يكون « رغب في كذا » حبًّا للشيء ووقوعًا فيه ، وأمثلة ذلك في اللغَة متعددة ، مثل : « صبر على أو عن » ، « خرج على أو عن » ...إلخ . واستخدام حرف جر معين يُضفي على الفعل معنى اللزوم ، وَقَدْ كان متعديًا ، مثل ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ النور: ٦٣ ، حيث اكتفى الفعل ﴿ يُخَالِفُونَ ﴾ ـ وهو متعد في أصل معناه ـ بالجار والمجرور ﴿ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ عن المفعول به ، وبذلك حدث تحويل في دلالة الفعل . ويسمى النُّحَاة هذا بالتضمين وَقَدْ ضمن هذا الفعل معنى « يبتعدون » .

والتعلق بالفعل « معنى » يتحكم فيه معنى الفعل نفسه ونوع حرف الجر المستخدم ، ومعنى الاسم المجرور بحرف الجر كذلك ، ولذلك سمى سيبويه حروف الجر حروف الإضافة ؛ لأنها تضيف معنى الفعل إلى الاسم المجرور .

وقد جئ بهذه الحروف ـ كما يقرر النُّحَاة ـ لإيصال معاني الأفعال إلى الأسماء ، ولذلك ، إذا وجد الجار والمجرور في تركيب ما وليس فيه فعل أو ما في معناه ، قدر الفعل أو ما في معناه ، وذلك إذا وقع الجار والمجرور موقع الخبر أو النعت أو الحال أو الصلة . **فالجار والمجرور على أي نحو ورد في الجُمْلَة ، يتعلق إما بالفعل أو بما له مشابهة بالفعل من حيث الدلالة على الحدث** . وغنى عن البيان أن نقول إذا تعلق الجار والمجرور باسم فيه معنى الفعل كان الجار والمجرور متممًا لذلك الاسم.

ثانيًا ترابط التابع بمتبوعه :

لا تترابط التوابع على تنوعها بالجملة التي توجد فيها إلا من خلال متبوعها ، أيًا كانت وظيفة هذا المتبوع وعلاقته في جملته . ولذلك يتوجه ترابط التوابع إلى هذا المتبوع نفسه ، فيوثق نظام اللغَة علاقتها به بوسائل مختلفة ، أهمها وأظهرها العلامة الإِعْرابِيَّة ، إذ يتطابق التابع مع متبوعه في علامته الإِعْرابِيَّة ، ولعله من أجل متابعته له في العلامة الإِعْرابِيَّة أطلق عليه في الدرس النحوي مصطلح التابع ؛ لأنه على علاقة وثيقة به بحيث ينظر إلى التابع والمتبوع معًا بوصفهما اسمًا واحدًا في الحكم .

ولا يكفي العلامة الإِعْرابِيَّة وحدها بطبيعة الحال في تمييز تابع من آخر ، بل لا بد من توافر علامات أخرى تساعد على تعيين كل تابع على حدة . وَقَدْ سلك النظام اللغوي في سبيل ذلك عدة وسائل بعضها يراعى في التابع ، وبعضها يراعى في

المتبوع على الوجه الآتي :

(أ) النَّعْت :

يختلف النعت عن غيره من ضروب التوابع في أنه يأتي مفردًا وغير مفرد (؛ أي: جُمْلَة وشبه جُمْلَة) ، والمفرد منه قَدْ يكون اسمًا ـ وهو النعت الحقيقي ـ ومركبًا اسميًّا يتم فيه الاسم بمرفوع بعده ، وهو النعت السببي . وفي كل من النعت الحقيقي والسببي قَدْ يكون المنعوت نكرة أو معرفة ، ولا بد من تطابق النعت معه في التعيين ؛ أي : التعريف والتنكير ، فضلا عن المطابقة الإِعْرابِيَّة ، وينفرد النعت الحقيقي بأنه يطابق منعوته في العدد (الإفراد والتثنية والجمع) ، والنوع (التذكير والتأنيث) ، إلا إذا كان النعت صفة يستوي فيها المذكر والمؤنث .

ويحدد النظام اللغوي وسائل لترابط النعت بالمنعوت وتماسكه لتمييزه من غيره من أنواع التوابع الأخرى ، منها ما سبق ، ومنها تحديده ما يُنعَت ، وما لا يُنعَت ، وما يُنعَت به وما لا يُنعَت به .

أما النعت الجُمْلَة فيشترط في منعوته أن يكون نكرة ، ويشترط في هذه الجُمْلَة التي تقع نعتًا أمران :

- أن تكون جُمْلَة خبرية ؛ أي : تحتمل الصدق والكذب .
- أن تشتمل على ضمير يربطها بالمنعوت ، ولكي يكون الضَّمِير رابطًا لا بد أن يكون ضمير المنعوت نفسه ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ الأنعام: ٩٢

وأما النعت بالجار والمجرور والظرف فشرطه أن يكون المنعوت نكرة . وفي الحقيقة يكون النعت هو ما يتعلق به الظرف أو الجار والمجرور ، مثل : « رأيت نجومًا في السماء » أو « رأيت نجومًا بين السحاب » وفقًا لتعلق الظرف والجار والمجرور ، وهما لا بد أن يتعلقا بالحدث ، وَقَدْ يقدر فعلا أو اسمًا مشتقًا ، فعلى الأول يكون كل من الظرف والجار والمجرور جزءًا من جُمْلَة ؛ فيكون من قبيل النعت بالجملة ، وعلى الثاني يكون جزءًا من مركب اسمي ؛ فيكون من قبيل النعت بالمفرد.

(ب) التَّوْكِيْد :

إذا كان التوكيد لفظيًّا فإن إعادة اللفظ بنفسه تغني عن الرابط ، ولهذا يقع التوكيد اللفظي في الاسم والفعل والحرف والجملة والمركب غير الجُمْلَة.



وَقَدْ يقترن التوكيد اللفظي بحرف عطف ، وهو كثير ، مثل قَوْله تَعَالَى : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ النبأ: ٤ – ٥ ، وقوله تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ الانفطار: ١٧ – ١٨

أما التوكيد المعنوي فيميزه عن غيره أنه يكون للأسماء فحسب ، ويكون بألفاظ مخصوصة ، ويكون التوكيد هو نفس المؤكد أو عينه .

والتوكيد مثل النعت في تبعيته فحسب لما قبله ، ولكنه يختلف عن النعت في أن المقصود به هو الأول نفسه ، فهو تكرير له ، ولكنه بالمعنى لا اللفظ .

ولا بد أن يكون في ألفاظ التوكيد كلها ضمير يعود على المؤكد مطابقًا له ، وهو ما يربط التوكيد بالمؤكد ، فيقال : « جاء مُحَمَّد نفسه ، والمحمدان أنفسهما ، والمحمدون أنفسهم ، وحضر القوم كلهم ، والشعب كله ، والرجلان كلاهما والمرأتان كلتاهما » . وأما أجمع وجمعاء وأجمعون فلا تؤكد غالبًا إلا بعد كل ، فلهذا استغنت أن يتصل بها ضمير يعود على المؤكد ، قال تَعَالَى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ الحجر: ٣٠، ويجوز التأكيد بها ، وإن لم تتقدم « كل » ، قال تَعَالَى : ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ص: ٨٢، وقال : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الحجر: ٤٣ ، وهذه الألفاظ ـ وإن خلت في اللفظ من ضمير المؤكد ـ معرفة ، إما بنية الإضافة ، وإما بالعلمية .

ولما كانت ألفاظ التوكيد المعنوي معرفة لإضافتها إلى ضمير أو لتضمنها إياه كان لا بد للمؤكد أن يكون معرفة ؛ ليتطابق التوكيد والمؤكد في التعريف . وترتب على هذا أن النكرة لا تؤكد تأكيدًا معنويا ، بل تؤكد تأكيدًا لفظيًّا فحسب .

(ت) البدل:

يُعَرِّفُ النُّحَاة البَدَل بأنه التابع المقصود بالحكم بلا واسطة ، ويسميه بعض النُّحَاة ـ وهم الكوفيون ـ بـ « الترجمة والتبيين » ، ومنهم من يسميه بـ « التكرار » . وهذه التسميات تكشف عن الغرض اللغوي من البَدَل ، فالثاني ـ وهو البَدَل ـ تبيين للأول ، وهو المبدل منه ، وتكرير له بطريقة أخرى .

والتركيب الذي يوجد فيه البَدَل كان في أصله جملتان . فإذا قُلْت : مررت بعبد الله زيد ، فهو موازٍ لقولك : مررت بعبد الله ، مررت بزيد ، وَقَدْ عدل عن هاتين الجملتين إلى جُمْلَة واحدة دفعًا للبس ؛ لأن المتكلم لو نطق بهما لأدى ذلك إلى أن

يعرف المخاطب أنهما شيئان أو شخصان والحقيقة أنهما شخص واحد ، وهذا هو الذي يعنيه النُّحَاة بقولهم : « إن البَدَل على نية تكرار العامل » ، ولذلك لو حذف الأول وبقي الثاني دونه لكان الكلام مستقيمًا .

وقد يكون التركيب الذي يوجد فيه البَدَل معدولا عن مركب اسمي . فإذا قال المتكلم : « رأيت قومك أكثرهم » ، فإن أصله « رأيت أكثر قومك » ، ولكنه ثنى الاسم توكيدًا ، ولأن البَدَل على نية تكرار العامل ، فكأنه قال : رأيت قومك ، رأيت أكثرهم .

والبدل أربعة أنواع : البَدَل المطابق ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الفاتحة: ٦ – ٧ ؛ ولأن البَدَل هو المبدل منه في هذا النوع فإنه لا يتصل بالبدل ضمير يعود على المبدل منه ، ويمكن أن يحل محل الأول . ولهذا يستوي هذا النوع من البَدَل مع تابع آخر سماه النُّحَاة « عطف البيان » ، مثل : « أقسم بالله أبو حفص عمر » ، وهو أقرب إلى النعت منه إلى البَدَل ؛ لأنه يلزم فيه ما يلزم في النعت من مطابقة المنعوت في التعيين والنوع والعدد والإعراب . غير أن النعت يكون بالمشتق أو ما يؤول بالمشتق ، وعطف البيان لا يكون إلا جامدًا ، والنعت يتضمن حالا من أحوال المنعوت يتميز بها ، وعطف البيان تفسير للاسم الأول باسم آخر مرادف له يكون أشهر منه في العرف والاستعمال ، من غير أن يتضمن شيئًا من أحوال الذات .

وكل من البَدَل وعطف البيان لا يحتاج إلى رابط لفظي غير العلامة الإِعْرابِيَّة لأن التابع هو المتبوع ، **وإنما يذكر للتوضيح أو التخصيص أو التوكيد .**

ويفترق البَدَل عن البيان في الأمثلة المستوية في أن البَدَل لا يلزم فيه المطابقة في التعريف والتنكير ، فليس بمشروط أن يتطابق البَدَل والمبدل منه تعريفًا وتنكيرًا ، بل لك أن تبدل أي النوعين شئت من الآخر ، قال الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ :﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾ الشورى: ٥٢ – ٥٣ ، فقد أبدل ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾ ، وهو معرفة من ﴿ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ، وهو نكرة ، وَقَدْ يعكس فتبدل النكرة من المعرفة ، مثل قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ العلق: ١٥ – ١٦، فقد

أبدلت « ناصية » ـ وهي نكرة ـ من « الناصية » وهي معرفة .

وأما النوع الثاني ، وهو بدل البعض من كل ، مثل : ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝ نِّصۡفَهُۥٓ﴾ المزمل: ٢–٣ ، والثالث هو بدل الاشتمال ، وهو ما دل على معنى في الأول أو استلزمه فيه غير الجزئية ، مثل : ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ﴾ البقرة: ٢١٧ ، فيغلب فيهما وجود رابط لفظي هو ضمير المبدل منه يتصل بالبدل ، ويجعله بعض النُّحَاة شرطًا .

ووجود الضَّمِير كما يقول ابن مالك أكثر من عدمه . وهو الذي يربط بين التابع والمتبوع في هذه الحالة ، وعند فقدان الضَّمِير لا يكون معنى البدلية مفهومًا إلا إذا كان المخاطب عارفًا بأن البَدَل بعض المبدل منه ، أو معنى من معانيه المشتمل عليها . وعلى كلا الحالين يتحقق الربط .

وأما النوع الأخير من البَدَل ، وهو ما لا يكون فيه البَدَل هو المبدل منه ولا بعضه ولا معنى من معانيه المشتمل عليها ، فهو بدل البداء أو الإضراب ، والغلط أو النسيان .

وهذا الضرب من البَدَل لا يوجد إلا في الكلام المنطوق ، والتقعيد له تقعيد للكلام الحي الذي لا يكون مع الروية والأناة ، ولذلك لا يكون مثله في قرآن ولا شعر ولا كلام مستقيم .

(ث) <u>العَطْفُ</u> :

يقوم حرف العطف مع التطابق في العلامة الإِعْرابِيَّة بالدور العظيم في ترابط المعطوف بالمعطوف عليه . وَقَدْ تتوافر عناصر أخرى من خارجها ، كأن يكون المعطوف عليه والمعطوف مطلوبين لما يدل على المشاركة ، مثل : اختصم ، واشترك ، وتصالح ، إلى آخر هذه الأفعال الدالة على التسوية والبينية . أو يكون العطف على الضَّمِير الذي يكون في محل رفع ، فإنه لا بد من أن يؤكد أولا بضمير منفصل ليصح العطف ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ البقرة: ٣٥

ويقوم معنى حرف العطف نفسه بدور في مشاركة المعطوف المعطوف عليه ، فقد تكون على سبيل الموافقة في الحكم إثباتًا أو نفيًا أو المخالفة فيه . ومن هنا يُقَسِّمُ النُّحَاة حروف العطف إلى حروف تشرك التابع مع المتبوع لفظًا ومعنى وهي : « الواو ، الفاء ، ثم ، حتى » مطلقًا ، و « أو ، أم » إذا لم يقتضيا إضرابًا ، وأخرى تشرك التابع مع المتبوع في اللفظ دون المعنى ، وهي : « بل ، لا ، لكن » ، و « أو ، أم » إذا كانتا للإضراب .



وفضلا عن المشاركة في اللفظ والمعنى أو المشاركة في اللفظ فقط ، يوجد هنا تفاوت في استخدام هذه الأحرف ، وإلا لما تعددت ، وشرائط خاصة في التركيب الذي يوجد فيه بعضها إذا لم تتحقق خرجت هذه الأحرف عن معنى العطف إلى معانٍ أخر تؤديها في التركيب ، وبذلك يكون كل ما يتحقق في التركيب داخلا في اشتراط العطف ، أو بمعنى آخر داخلا في مسألة ترابط التابع بمتبوعه عن طريق العطف بالحرف .

وحروف العطف كلها صالحة لأَنْ تعطف المفرد ، ويكون المعطوف مشارك للمعطوف عليه في علاقته بما قبله ، وإن اختلف في العطف بـ « لا ، لكن ، بل » في الإيجاب أو النفي .

وإذا عطفت الجُمْلَة على الجُمْلَة فإن الغرض من عطف الجمل ربط بعضها ببعض واتصالها ، والإيذان بأن المتكلم لم يرد قطع الجُمْلَة الثانية من الأولى ، والأخذ في جُمْلَة أخرى ليست من الأولى في شيء .

ومع الربط بين المعطوف والمعطوف عليه يقوم حرف العطف بمعنى إضافي كذلك يضفيه على هذا النوع من التبعية . وَقَدْ ذكر النُّحَاة معاني لكل حرف منها . والواقع أنها غير مطردة في مواضع كثيرة ، وأن هذه المعاني ليست للحرف نفسه ولكنها للسياق .

وبعض حروف العطف أصلح من بعضها الآخر في التعبير عن معانٍ بعينها ، فإذا أريد التعبير عن مطلق الجمع جئ بالواو عاطفة ، وإذا أريد التعبير عن الترتيب والتعقيب جئ بالفاء ، وإذا أريد التعبير عن الترتيب والتراخي جئ بـ « ثم » ، وإذا أريد التعبير عن الغاية والتدرج جئ بـ « حتى » ، وهي لا تعطف ـ لهذا ـ إلا ما كان جزءًا مما قبلها تحقيقًا أو تقديرًا ، ولا تعطف إلا الأسماء الظاهرة . وإذا أريد أحد الشيئين أو الأشياء جئ بـ « أو » . وإذا أريد التسوية أو طلب التعيين لأحد الأمرين بحكم معروف ثابت جئ بـ « أم » ، ولكي تكون عاطفة ينبغي أن تكون متصلة ، وهي المسبوقة بهمزة يقصد بها التسوية ، وفي هذه الحالة تعطف جملتين مؤولتين بالمصدر ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ البقرة: ٦ ، وإذا أريد التعيين جئ بها بعد همزة يقصد بها وبأم التعيين لأحد الشيئين بحكم معلوم الثبوت ، وفي هذه الحالة تعطف المفردات ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ

خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ﴾ النازعات: ٢٧

وأما إذا كان المقصود هو مخالفة ما بعد حرف العطف لما قبله في الحكم ، فإن الحرف الذي يستخدم في العطف هو « لا » إذا كان الكلام إيجابًا ، وهي تعطف ما بعدها على ما قبلها ، وتنفي حكم ما قبلها عما بعدها . فإذا قُلْت « قام زيد لا عمرو » فالقيام ثابت لزيد دون عمرو .

وإذا كان الكلام نفيًا جيء بـ « لكن » من غير أن تسبق بالواو . ولا تكون للعطف إلا إذا كان المتعاطفان بها مفردين ، ولا تستخدم إلا لقصر القلب فقط فتقول : « ما جاءني زيد لكن عمرو » ردًّا على من اعتقد عكس ذلك .

وإذا أريد مخالفة ما بعد العاطف لما قبله مطلقًا في الإيجاب أو السلب فإن الحرف الذي يستخدم إذن هو « بل » ، وذلك أن استخدامها يعني الإضراب عما قبلها ، فإذا كان ما قبلها إيجابًا أو أمرًا صرف الحكم عنه ، وصار كأنه مسكوت عنه ، وثبت لما بعدها ، مثل : « حضر مُحَمَّد بل علي » ، فإن الحضور ثابت لعلي ، ومسلوب عن مُحَمَّد . وإذا كان ما قبلها نفيًا ، مثل : « ما حضر مُحَمَّد بل علي » ؛ فإن الحضور منفي عن مُحَمَّد ثابت لعلي ، وذلك لأنها بعد النفي والنهي تقرر حكم ما قبلها من نفي أو نهي على حاله ، وتجعل ضده لما بعدها .

وما يشترط في استخدام كل حرف من هذه الحروف هو في حقيقته تحديد للتركيب الذي يستخدم فيه حتى يؤدي الترابط المقصود منه بين المتعاطفين على الوجه الذي يحدده نظام اللغَة .

ثالثا ترابط عناصر المركب الاسمي :

ذكرنا من قبل أن المركب الاسمي هو عبارة عن كل مجموعة وظائف نحوية ترتبط ببعضها البعض عن غير طريق التبعية لتتمم معنًى واحدًا يصلح أن يشغل وظيفة واحدة ، أو يكون عنصرًا واحدًا في الجُمْلَة بحيث إذا أفردت هذه المجموعة لا تكون جُمْلَة مستقلة ، ويصدق هذا التحديد على :

- المركب الإضافي .
- والمصدر المؤول .
- والوصف غير المُبْتَدَأ الذي يحتاج ما يحتاج إليه فعله .



⇦ والمصدر الذي يحتاج إلى ما يحتاج إليه فعله كذلك .
⇦ الأسماء الموصولة .
⇦ الاسم المبهم المفسر بتمييز يسمى بتمييز المفرد أو تمييز الذات .

وفي كل مركب اسمي ـ ما عدا المصدر المؤول ـ اسم يتم بعناصر تذكر بعده ، والاسم هو المحور الذي تدورحوله بقية العناصر . وهذا الاسم الرئيس هو الذي يرتبط بالجملة التي يوجد فيها ، يرتبط بجملته بالوسائل المختلفة التي تقتضي وجوده في الجُمْلَة .

*****

ت- تَرَابُطُ التَّرَتُّب :

المقصود بالترتب أن يتوقف أحد أجزاء الكلام على جزء آخر ، بحيث تكون البنية الأساسية لأحد الجزأين أو لهما معًا جُمْلَة اسْمِيَّة أو فعلية ، سواء أكان البناء المنطوق جُمْلَة في ظاهره أو مفردًا ، وبحيث تكون العناصر اللغوية التي تفيد هذا الترتب مطردة في الدلالة عليه .

وما يفيد الترتب عدة صيغ لغوية خاصة ، منها : الشرط ، والجزم في جواب الطلب ، والفعل المُضَارِع المنصوب بعد فاء السببية وواو المعية ، والقسم .

(أ) **الشرط** :

هناك بنيتان أساسيتان للشرط ، أولاهما خاصة بما يعرف بأدوات الشرط الجازمة ، وهي تَتَكَوَّن من العناصر الآتية : « حرف شرط + جُمْلَة فعلية ذات فعل مضارع مجزوم + جُمْلَة فعلية ذات فعل مضارع مجزوم » .

وحرف الشرط يعلق إحدى الجملتين بالأخرى ، ويجعل الأولى شرطًا في حدوث الثانية ، ولذلك تكون الثانية مترتبة على الأولى أو جوابًا لها . وجزم فعلي جملتي الشرط والجواب علامة لغوية منطوقة على الاستجابة لهذا التأثير الشرطي ، وعلى تماسك الجملتين وترابطهما من أجل أداء هذا المعنى المركب الذي يتوقف بعضه على البعض الآخر ؛ فالجزم أو تقديره هنا هو الذي يحصل به الربط .

وليس من اللازم في كل تركيب شرطي أن يأتي مطابقًا تمامًا للبنية الأساسية أو الصورة الأصلية ، ولكن أنماط التركيب الشرطي تتعدد وتتنوع . فقد يأتي مكان حرف الشرط اسم يكتسب معنى الشرط ، أو يضمن معنى الشرط ، ويقوم بنفس الوظيفة التي يؤديها حرف الشرط ، ولكن التركيب الشرطي كله في هذه الحالة

يخضع لعلاقات جديدة تتوقف على الوظيفة الإِعْرابِيَّة التي يشغلها اسم الشرط .

(ب) **جزم المُضَارِع في جواب الطلب** :

جزم المُضَارِع في جواب الطلب دليل واضح على ترتب الفعل المجزوم على الطلب قبله ، فإذا قُلْت : « زرني أكرمْكَ » بجزم الفعل « أكرمك » ، كان هذا دليلا على ترتب الإكرام على تحقق الطلب المذكور قبله وهو الزيارة . ولذلك يكون جزم المُضَارِع في جواب الطلب هو الدليل على الترابط بين الجملتين ترابط ترتب .وأما إذا جيء بالفعل مرفوعًا فإن العلاقة تختلف ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم﴾التوبة: ١٠٣، فالفعل « تطهرهم » مرفوع ، ولذلك فهو غير مترتب على أخذ الصدقة من أموالهم ، وجملة « تطهرهم » على ذلك إما أن تكون نعتًا لـ « صدقة » ؛ فتكون الجُمْلَة كلها واحدة ، وإما أن تكون مستأنفة فيكون التعبير جملتين. ومن هنا لا يكون جزم المُضَارِع في جواب الطلب ملزمًا ، ولكن هذا يتوقف على إرادة المتكلم ومراعاة الموقف الذي يعبر عنه . فإن أراد ترتب الفعل على ما قبله جزم الفعل ، وإن لم يرد جاء بالفعل مرفوعًا ، ويكون جُمْلَة حالية أو مستأنفة . وليس هناك من دليل على إرادة ترتب الفعل على ما قبله إلا الجزم . فالعلامة الإِعْرابِيَّة هنا لها دور كبير في تحديد هذه الحالة ، ويشاركها في أداء هذا الدور أن يكون الكلام السابق على الفعل المجزوم « طلبًا » ، والطلب في تناول النُّحَاة يعني الأمر والنهي والدعاء والاستفهام والتمني والرجاء والعرض والتخصيص .

(ت) **نصب المُضَارِع بعد الفاء والواو** :

مهما يكن السبب في نصب الفعل المُضَارِع بعد الفاء والواو في جواب الطلب المحض والنفي المحض ، فإن المُضَارِع واقع في جواب الطلب أو النفي المحضين ومترتب عليهما ومسبب عنهما .

ووجود الفاء مع نصب المُضَارِع بعدها ، ووجود الواو مع نصب المُضَارِع بعدها ، وسبقهما بنفي محض أو طلب محض يجعل التركيب متماسكًا على هذا النَّحْو الترتبي .

وإذا جاء الفعل مرفوعًا مع توافر شروط النصب كان ذلك الرفع دليلا لغويًّا على أن المعنى مختلف عن المعنى مع نصب الفعل . ولعل ذلك يظهر في توجيه بعض الآيات القُرْآنِيَّة التي قرئ الفعل المُضَارِع فيها بالنصب والرفع ، ومثال ذلك قَوْله ـ

تَعَالَى ـ : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ البقرة: ٢٤٥ ، فقد قرأ ابن عامر وعاصم بنصب الفعل « فيضاعفه » ، وقرأ الباقون برفعه في سورتي البقرة والحديد .

(ث) **ترابط جواب القسم بالقسم** :

يترابط جواب القسم بالقسم ترابطًا لغويًّا ومعنويًّا حميًا ، مع أن جملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب . ومعنى كونها لا محل لها من الإعراب أنها لا تشغل وظيفة يمكن أن يشغلها المفرد . وذلك لأن جواب القسم خبر ؛ أي : يحتمل الصدق والكذب ، وَقَدْ يكون نفيًا أو إثباتًا ، والغرض من القسم توكيد ما يقسم عليه من نفي أو إثبات . وليس معنى كون جواب القسم لا محل له من الإعراب أنه غير مترابط مع القسم ؛ لأن القسم يترابط مع المقسم عليه ترابطًا ينزلان معه « منزلة جملة واحدة » .

ومهما يكن من أمر فإن أسلوب القسم جملتان : الأولى جملة القسم ، وهي إما جملة فعلية أو جملة اسمية ، وحذف أحد ركنيها لا ينفي عنها صفة الجملية ؛ لأن هذا الأصل قَدْ يكون موجودًا في بعض المواضع ، والجملة الثانية هي جملة جواب القسم. وفضلا عن الترابط المعنوي بين هاتين الجملتين ، حيث تكون جملة القسم تأكيدًا لجواب القسم ، فإن جواب القسم لا بد فيه من روابط لغوية تميزه وتحدده . فلما كان كل واحد من القسم والمقسم عليه جملة ، والجملة عبارة عن كل كلام مستقل قائم بنفسه ، وكانت إحداهما لها تعلق بالأخرى ، لم يكن بد من روابط تربط إحداهما بالأخرى ، كربط حرف الشرط بالجزاء ، وهذه الروابط تختلف لاختلاف جملة جواب القسم ، فإما أن تكون إيجابًا فيكون لها روابط خاصة ، وإما أن تكون نفيًا فيكون لها روابط خاصة .

فإذا كانت جملة جواب القسم مثبتة أو واجبة ؛ أي : غير منفية ، فإما أن تكون جملة اسمية أو فعلية .

فإذا كان جواب القسم جملة فعلية موجبة ، لزم أن تأتي « اللام » في أول هذه الجُمْلَة . فإذا كان الفعل مضارعًا فالأكثر أن يؤكَّد بالنون كذلك ، مثل قَوْله تَعَالَى : ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ الأنبياء: ٥٧ ، وإذا كان الفعل ماضيًا فالأكثر أن يأتي بعد

اللام « قَدْ » إذا كان الفعل متصرفًا ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ يوسف: ٧٣، وإذا كان الفعل غير متصرف قرن باللام فقط .

وأما إذا كان جواب القسم جملة اسمية فإنه يكثر أن يقترن بإن واللام ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ العصر: ١ – ٢ ، وَقَدْ تقترن بإحداهما ، مثل قَوْله تَعَالَى: ﴿حم ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ الدخان: ١ – ٣

وعندما يكون جواب القسم منفيًا فإن النفي لا يكون إلا بأحد حرفين ، هما :

١ ـ « ما » ، وتنفي بها الجُمْلَة الفِعْلِيَّة ذات الفعل الماضي ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ الأنعام: ٢٣ ، أو الجُمْلَة الاسمية ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ إبراهيم: ٤٤

٢ ـ والحرف الثاني هو « لا » ، وتنفي بها الجُمْلَة الفِعْلِيَّة ذات الفعل المُضَارِع ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ الحشر: ١٢ ، فاللام في الآية موطئة للقسم ، وَقَدْ تقدم القسم على الشرط ، ولذلك وقع الجواب للقسم دون الشرط ، فلو كان جوابًا للشرط لجزم الفعلان « لا يخرجون» و« لا ينصرونهم » .

****

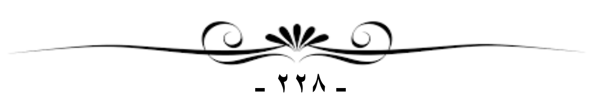
ملحوظات بلاغية عند تحليل الجُمْلَة :

بعد هذا التصور لبناء الجُمْلَة العربية وبيان بنيتها الأساسية ومكوناتها نختم بهذه المجموعة من الملحوظات البلاغِيَّة المهمة ، وهي :

(١) الجُمْلَة عندما تطرد على النسق المألوف قَدْ لا تستلفت الانتباه ولا تثير التأمل ، لكنها عندما تكسر البناء الشائع ، وتُؤْثِرُ عليه بناء آخر ، تحتاج إلى أناة وريث ، وتوقف للتساؤل عن هذا الخروج وسره ، ولا بد هنا من ربط كل تعبير بسياقه حتى يتضح وجه هذا الخروج عن المألوف[(١)] .

(٢) التحليل النحوي في العربية يعتمد في بعض جوانبه « على فهم المعنى الذي يحدده السِّيَاق ، فقد وجد في العربية كثير من الأدوات التي تتحدد صيغتها وتتعدد معانيها ، واستعمالها ، ووجد « التضمين » في الأفعال حيث يستخدم فعل في

(١) د. مُحَمَّد حماسة : بناء اللغَة العربية ، ص ٤٦



معنى فعل آخر ، وغير هذا وذاك مما يعتمد في تحليله على فهم سياقه . وليس في هذا لبس أو غموض ؛ لأن الاستخدام اللغوي في السِّيَاق يكشف عن كل هذه الجوانب كشفًا واضحًا بتقديم وسائل الترابط الخاصة بأجزاء التراكيب في بناء الجُمْلَة »[(١)] .

(٣) لا يُشترط لبلاغة الجُمْلَة أن يقع تقديم وتأخير لبعض أجزائها ، بل قَدْ تأتي الجُمْلَة على أصل وضعها وتكون في قمة البلاغة ، والفيصل في هذا هو السياق القُرْآنِيّ ، فقد « يكون جريان الكلام على ظاهره أبلغ وأدل على مقصوده من غيره فليست البلاغة أو الافتتان دومًا في الخروج عن المعهود اللغوي »[(٢)] .

مثال ذلك :

- تقديم « المسند إليه » في قوله تَعَالَى : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ الزمر: ٢٣ ، فـ « إيقاع اسم الله مبتدأ ، وبناء « نَزَّلَ » عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث ، ورفع منه ، واستشهاد على حسنه ، وتأكيد لاستناده إلى الله ، وأنه من عنده وأنَّ مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه، وتنبيه على أنه وحي معجز مباين لسائر الأحاديث » [الكَشَّاف ، ٤/ ٤٧] .
- والالتزام بترتيب الجملة الاسمية في قوله تعالى ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ الفتح: ٢٩ فائدته « تعليم الناس بأنه رسول الله ، وتلقينٌ لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به » [الكَشَّاف ، ٣/ ٥٤٥] .

(٤) الجملة الاسمية ودلالاتها البَلاغِيَّة :

الجملة الاسمية آكد من الفِعْلِيَّة [الكَشَّاف ، ٣/ ٥٣٢] ، وهي تدل على ثبات المعنى وتمكنه ، فهي « موضوعة للإخبار بثبوت المسند للمسند إليه ، بلا دلالة على تجدد أو استمرار »[(٣)] . مثل : ﴿قَالَ سَلَٰمٞ﴾ هود: ٦٩ ، « سلامٌ معدولٌ به إلى الرفع على الابتداء ، وخبره محذوف معناه : عليكم سلامٌ ؛ للدلالة على ثبات السلام ؛ كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حَيَّوه به أخذًا بأدب الله تعالى » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٨٣] .

وقد وظف كثير من البلاغيين هذا المعنى ـ معنى الثبات ـ في تحليلاتهم

---

(١) السابق ، ص ١١

(٢) د. أحمد سعد مُحَمَّد : التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة ، ص ١٨٨

(٣) أبو البقاء الكفوي : الكُليات ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، (١٩٩٨م) ، ص ٣٤١



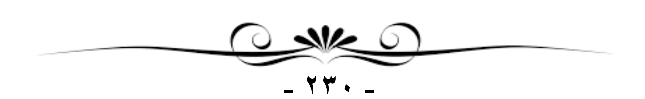
البَلاغِيَّة ، فمثلا نجد الإمام الزَّمَخْشَرِيّ (ت: ٥٣٨هـ) في أكثر من موضع يستغل هذه القيمة البَلاغِيَّة ويوظفها في تحليله وتفسيره ، فقال مثلا :

- عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ البقرة: ١٤ : « فإن قُلْت : لِمَ كانت مخاطبتُهم المؤمنين بالجملة الفِعْلِيَّة ، وشياطينهم بالاسمية محققة بأن؟ قُلْت : ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرًا بأقوى الكلامين وأوكدهما ؛ لأنهما في ادّعاء حدوث الإيمان منهم ونشأته من قبلهم ، لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم ، وذلك إما لأنّ أنفسهم لا تساعدهم عليه ، إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرّك ، وهكذا كل قول لم يصدر عن أَرْيَحِيَّة وصدق رغبة واعتقاد. وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة... وأما مخاطبة إخوانهم، فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر، والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم، فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد »[الكَشَّاف ، ١/ ٦٤ ، ٦٥] .

فعندما كان ما يعتقده المنافقون ـ من حيث عدم الإيمان ـ غير مستقر ولا ثابت في نفوسهم وفي اعتقادهم ، ولم يصدر عن أَرْيَحِيَّة وصدق رغبة واعتقاد استخدموا « الجُمْلَة الفِعْلِيَّة » ، وعندما أرادوا أن يعبروا عما هو ثابت في اعتقادهم ومقرر في نفوسهم استخدموا « الجُمْلَة الاسمية » .

- وقال عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٠٣ ، « ... فإن قُلْت : كيف أوثرت الجُمْلَة الاسمية على الفِعْلِيَّة في جواب لو؟ قُلْت : لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها »[الكَشَّاف ، ١/ ١٦٠] .

ومن العلماء من يتعمق أكثر في دلالة الجُمْلَة الاسمية بَلاغِيًّا فيقولون : « .... الأصل في الجُمْلَة الاسمية ـ كما هو مقرر ومقطوع به ـ أنها تدل ـ في الأغلب ـ على الثبوت إذا كانت اسمية محضة ؛ (أي : خالية من فعل) ، ومن أمثلتها : الوالد رحيم ـ الولدان نفعهما عميم ... وَقَدْ تفيد مع الثبوت الدوام بقرينة . هذا شأن



الجُمْلَة الاسمية المحضة ، فإن كانت غير محضة (وهي التي يكون فيها الخبر جملة فعلية) ، نحو : الوالد زاد فضله ، فإنها تفيد مع الثبوت التجدد ، وَقَدْ تفيد لاستمرار التَّجَدُّدِيّ »(١) .

وقد تتفاعل الجُمْلَة الاسمية بدلالاتها الأساسية ـ الثبات والدوام ـ مع السِّيَاق الذي تقال فيه فتثمر معانٍ بَلاغِيَّة أخرى مثال ذلك :

- إفادة الجُمْلَة الاسمية للوعد أو الوعيد ، ففي قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ البقرة: ١٣٧ فختام الآية ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ البقرة: ١٣٧ « وعيد لهم ؛ أي : يسمعُ ما ينطِقون به ، ويعلم ما يضمرونَ من الحسد والغِلِّ وهو معاقبهم عليه . أو وعد لرسول اللهَّ ـ صلى اللهَّ عليه وسلم ـ بمعنى: يسمع ما تدعو به ، ويعلم نيتك ، وما تريده من إظهار دين الحق ، وهو مستجيب لك ، وموصِّلُك إلى مرادك » [الكَشَّاف ، ١/ ١٨١] .
- وقد تدل الجملة الاسمية على التنبيه والحث ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « كما تقول لمن يَعُقُّ أباه : « **هو أبوك** » تجعله بمنزلة من لا يعرفه ؛ فنبه بذلك على حق الأبوة الذي يقتضي البرَّ والتعطف » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٧٣] .
- وقد تأتي الجملة الاسمية لدفع التوهم ، مثل الجملة « إِنَّكَ لرسوله » في قوله تعالى﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ المنافقون: ١ قال الزَّمَخْشَرِيّ : «قلت: لو قال: قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إنهم

(١) عباس حسن : النَّحْو الوافي ، ٢/ ١٤٥ ، هامش رقم ٣ ، والمقصود بـ :
ـ الاستمرار التَّجَدُّدِيّ أو الاستمرار الُمتَجَدِّد : هو الاستمرار الذي يتوالي فيه الإيجاد والإزالة على الأمر بغير توقف ، ويتجدد الظهور والاختفاء بغير انقطاع . أو هو بعبارة أخرى : أن الأمر يحدث ثم ينقطع ، ثم يعود ثم ينقطع ، وهكذا دواليك . وكمثال عليه « استمرار الليل والنهار » ومن هذا النوع كثير من العادات والسجايا؛ كالفرح؛ والغضب، والشبع، نحو: فلان فرح، أو: غضوب، أو شبعان. ينظر : النَّحْو الوافي ، ٣/ ٣٩ ، ٣/ ٢٤٧ ، ٣/ ٢٨٢
ـ الاستمرار الدوامي هو : الذي لا انقطاع فيه ؛ نحو : مرتفع القامة ، واسع الفم . النَّحْو الوافي ، ٣/ ٢٤٧



الكاذبون ، لكان يوهم أنّ قولهم هذا كذب، فوسط بينهما قوله « وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ » ليميط هذا الإيهام » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٩٨] .

* إفادتها التوكيد ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة: ١٣٣ ، فجملة ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ « ...حال من فاعل نعبد ، أو من مفعوله ، لرجوع الهاء إليه في له. ويجوز أن تكون جملة معطوفة على نعبد ، وأن تكون جملة اعتراضيةً مؤكِّدةً ؛ أي : ومن حالِنا أنا له مسلمون مخلِصون التوحيد أو مذعنون » [الكَشَّاف ، ١/ ١٧٩] .

* وقد تأتي الجملة الاسمية مع إفادتها التوكيد لبيان أمر مرتبط بالسياق الذي قيلت فيه ، مثل « ما فائدة قوله : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾ في قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾ الممتحنة: ١٠ ، وذلك معلوم لا شبهة فيه؟ قُلْت : فائدته بيان أن لا سبيل لكم إلى ما تطمئن به النفس ويثلج به الصدر من الإحاطة بحقيقة إيمانهن، فإنّ ذلك مما استأثر به علام الغيوب، وأن ما يؤدى إليه الامتحان من العلم كاف في ذلك، وأن تكليفكم لا يعدوه» [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٨١] .

* وقد تأتي الجملة الاسمية وتُفيدُ في سياق ما « التَّهكم والتوبيخ والتَّجهيل » ، مثل قوله : « هُمْ يُنْشِرون » في قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾ الأنبياء: ٢١ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل، وإشعار بأنّ ما استعبدوه من الله لا يصح استعباده ؛ لأنّ الإلهية لما صحت صحّ معها الاقتدار على الإبداء والإعادة » [الكَشَّاف ، ٣/ ١٨٣] .

* وقد يأتي خبر الجملة الاسمية هو عين المبتدأ ، أي المبتدأ متكرر ، **ويفيد عند ذلك إظهار الكمال** ، مثال ذلك قوله : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ الواقعة: ١٠ « والسابقون السابقون ، يريد : والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم ، كقوله وعبد الله عبد الله . وقول أبى النجم : وشعري شعري ،

كأنه قال : وشعري ما انتهى إليك وسمعت بفصاحته وبراعته، وقد جعل السابقون تأكيدًا » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٢٩] .

(٥)من الأمثلة التي تدل على اختلاف المعنى البَلاغِيّ باختلاف التركيب قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فاطر: ٢٨ ،وقولنا : « إِنَّما يَخْشَى العلماءُ من الله » « فإنْ قُلْت : هل يَختلفُ المعنى إذا قُدِّمَ المفعولُ في هذا الكلام أو أُخِّرَ ؟ قُلْت : لا بد من ذلك ، فإنك إذا قَدَّمتَ اسمَ الله وأَخَّرْتَ العلماء كان المعنى إنَّ الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم ؛ وإذا عملتَ على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله ، كقوله تعالى ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ الأحزاب: ٣٩ ، وهما معنيان مختلفان » [الكَشَّاف ، ٣/ ٦٣٣] ، فمعنى الآية :

- عند تقديم لفظ الجلالة فالمعنى : أن الذي يخشى الله هم العلماء.
- وعند تأخير لفظ الجلالة يصبح المعنى : أن العالم الذي يستأهل أن يقال له عالم هو الذي يخشى الله .

؛ ويترتب على هذا المعنى بلاغيًّا **أنَّ التعظيم والتفخيم والاهتمام في الآية موجه إلى الله ـ عَزَّ وجلَّ ـ ، أما في الجملة الثانية فالتعظيم والتفخيم والاهتمام موجَّهٌ إلى العلماء .**

(٦) **الجملة الفِعْلِيَّة :**

ومما يقره علماء البلاغة أن « الجُمْلَة الفِعْلِيَّة هي الدرجة الأولى الدُّنْيا في سلم البيان عمَّا يراد التعبير عنه في اللسان العربي »[١] ؛ إذ تعبر الجُمْلَة الفِعْلِيَّة عما هو حادث يتجدد ، وكل « قول لم يصدر عن أَرْيَحِيَّة وصدقَ رغبةٍ واعتقاد » كما قال الزَّمَخْشَرِيّ ؛ وذلك لأن الفعل الذي يتصدر الجُمْلَة الفِعْلِيَّة مرتبط بالزمان وتحولاته . وإذا عقدنا مقارنة بين الجُمْلَة الاسمية والفِعْلِيَّة نجد أن الجُمْلَة الاسمية « أقوى وآكد من الجُمْلَة الفِعْلِيَّة »[٢] ؛ وذلك لأن الاسمية تفيد الثبوت والدوام والتوكيد والتحقق كما سبق أن أشرنا .

وقد تفيد الجُمْلَة الفِعْلِيَّة الاستمرار التَّجَدُّدِيّ بالقرائن ، كما في قول المتنبي مادحا

---

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنون ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، (١٩٩٦م) ، ١/ ٣٦٠

(٢) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنون ، ١/ ٣٧٣



سيف الدولة:

عَلى قَــدرِ أَهلِ العَــزمِ تَأتي العَزائِمُ	وَتَــأتي عَلى قَدرِ الكِـــرامِ المَكارِمُ
وَتَعـــظُمُ في عَينِ الصَغيرِ صِغارُها	وَتَصــغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَـظائِمُ

فالمدح هنا قرينة دالة على أن إتيان العزائم على قدر أهل العزم ، وإتيان المكارم على قدر الكرام ، وعظم صغار المكارم في عين الصغير ، وصغر العظائم في عين العظيم ، إنما هو أمر مستمر متجدد على الدوام(1) .

وقد تحذف متعلقات الفعل لغرض بلاغي وهو « الإفادة بالعموم والشمول » مثال ذلك قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ۝٨١﴾ النحل: ٨١، حيث حذف متعلق الفعل « تُسْلِمون » لتلك الدلالة البَلاغِيَّة ومن أمثلة هذه المتعلقات المحذوفة كما قدرها الزَّمَخْشَرِيّ : «تسلمون من العذاب، أو تسلم قلوبكم من الشر، أو تسلمون من الجراح بلبس الدروع» (2) .

(٧) معيار زيادة جزء من الجملة :

معيار زيادة جزء من الجملة **استقلال المعنى بدونها** ، مثل﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ **الشرح:** ١ « فإن قُلْت : أَيُّ فائدة في زيادة لك **والمعنى مستقل بدونه** ؟ قلت: في زيادة لك ما في طريقة الإبهام والإيضاح كأنه قيل : ألم نشرح لك **!** ففهم أنَّ ثَمَّ مشروحًا » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦٠٧ ـ ٦٠٨] .

(٨) قد تُزادُ « شبه الجملة » في الكلام ويكون لزيادتها معنًى بلاغي يُفهَمُ من السياق:

- مثاله قولُ الخَضِر لموسى ـ عليه السلام ـ ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ الكهف: ٧٥ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فإن قُلْت : ما معنى زيادة « **لك** » ؟ قُلْت : زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية ، والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية » [الكَشَّاف ، ٣/ ٧٩] .
- وقد تُزادُ شبه الجملة لتأكيد الطلب الذي يُصاحبها مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ طه: ٢٥ ، قال الزمخشري: « فإن قُلْت : « لِي » في

(1) د. عبد العزيز عتيق : في البلاغة العربية علم المعاني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط١ ، (٢٠٠٩م) ، ص٤٩ ، وقد أشرنا من قبل إلى معنى الاستمرار التَّجَدُّدِيّ .

(2) د. أحمد سعد مُحَمَّد : التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة ، ص ٨٥



قوله ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ ما جدواه والكلام بدونه مستتب ؟ قُلْت : قَدْ أبهم الكلام أولا ، فقيل: اشرح لي ويسر لي ، فعلم أن ثم مشروحًا وميسرًا، ثم بين ورفع الإبهام بذكرهما ، فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره من أن يقول : « اشرح صدري ويسر أمرى » على الإيضاح الساذج ؛لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقى الإجمال والتفصيل » [الكَشَّاف ، ٣/ ١٤٢] .

- تأكيد المعنى وإبراز شدته ، مثل قوله : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ **الصف: ٣** فـ « إذا ثبت كِبَرُ مقتهُ عند الله ؛ فقد تَمَّ كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٨٦] .
- وقد تأتي للتوبيخ ، مثل قوله :﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ المجادلة: ٢ في « منكم توبيخ للعرب ، وتهجين لعادتهم في الظهار » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٥٣] .
- وقد تأتي **للتنبيه على معنى يخدم السياق** ، مثل :﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ﴾ الممتحنة: ١٢ ، فـ « لو اقتصر على قوله ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ﴾ الممتحنة: ١٢ فقد علم أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يأمر إلا بمعروف؟ قلت: **نَبَّهَ بذلك على أنّ طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب**» [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٨٣] .

(٩) وقد يتقدم شبه الجملة فتفيد معنى بلاغي يناسب السياق ، كإفادة الإنكار ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ عبس: ٦ ، ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ عبس: ١٠ « فإن قلت: قوله ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ ، ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ كأن فيه اختصاصا. قلت، نعم، ومعناه: إنكار التصدي والتلهي عليه، أي: مثلك خصوصا لا ينبغي له أن يتصدى للغنىّ ويتلهى عن الفقير » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٤٥] .

(١٠) الحذف ودلالته البَلاغِيَّة :

من الأمور المتعلقة بالتحليل البَلاغِيّ وينبغي الإشارة إليه هنا أمر الحذف ، فالحذف ـ كمصطلح نحوي ـ هو« إسقاط كلمة من بناء الجملة ، وقد تكون هذه الكلمة ركنًا من أركانها: كالمبتدأ أو الخبر أو الفعل أو الفاعل، وقد تحذف الجملة

كجملة جواب الشرط أو جملة جواب القسم عند اجتماع شرط وقسم »[(١)] .

وأيُّ محذوف من الجملة لا بد أن يكون هناك دليلٌ عليه ، وإلا فكل « محذوفٍ لا دليل عليه مُطَّرَح » [الكَشَّاف ، ٣/ ١٣٨] ، فلا بد من قرينة تدل على الحذف ، مثل قوله تعالى: ﴿مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ﴾ الضحى: ٣حيث « حذف الضمير من « قلى » كحذفه من « الذاكرات » في قوله ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ الأحزاب: ٣٥ يريد « والذاكراته » ، ونحو : « فآوى ، فهدى ، فأغنى » وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦٠٣ ـ ٦٠٤] .

وللحذف أغراض بَلاغِيَّة يُستَشف أغلبها من السياق ، ومنها :

- قد يكون الغرض من الحذف الاختصار ؛ مثل قوله ـ تَعَالَى ـ : ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾ الزمر: ٣٩
- وقد يَعرض للجملة الاسمية حذف أحد ركنيها والدلالات البَلاغِيَّة المرتبطة بهذا الحذف ترتبط بالسياق الذي ترد فيه الجُمْلَة ، فقد يحذف الخبر ليفتح الباب مثلا لتنويع تقديره ، وفي هذا إثراء لمعنى النص وتكثيف لدلالته . ومن المعاني البَلاغِيَّة لحذف المبتدأ مثلا : إظهار المدح ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾ **التوبة: ١١٢** ، قال: « التائبون رفع على المدح ؛ أي : هم التائبون » [الكَشَّاف ، ٢/ ٣٣٥] .
- ومن أغراض الحذف في الجملة الفعلية :

✓ تركيز الانتباه على المذكور ، فقد تُحْذَفُ بعض متعلقات الجملة الفعلية وذلك « إذا كان الكلام منصبًّا إلى غرضٍ من الأغراضِ جُعِلَ سياقُه له ، وتوجُّهُهُ إليه ؛ كأَنَّ ما سواهُ مرفوضٌ مُطَّرَحٌ ، ونظيرُه قولُك : حكَم السلطانُ اليومَ بالحقِّ ، الغرضُ المسوقُ إليه قولُك بالحق ؛ فلذلك رفضتَ ذكرَ المحكوم له والمحكوم عليه » [الكَشَّاف ، ٣/ ٦٤٦] .

✓ الإبهام وإطلاق الخيال والتصور ، مثل قوله ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ الزمر: ٧٣ ، فـ « حَتَّى

(١) د. محمد إبراهيم عبادة : معجم مصطلحات النحو والصرف ، ص ١٠٢



هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية، إلا أنّ جزاءها محذوف، وإنما حذف لأنه صفة ثواب أهل الجنة، فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف »[الكَشَّاف ، ٤/ ٦٨] .

- ✓ وقد يُحْذَف أحد متعلقات الفعل ـ المفعول به ـ للأغراض الآتية :
- التركيز على الفعل نفسه ؛ لأن السياق مسوق لأجله ؛ مثل قوله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ القصص: ٢٣ حيث ترك المفعول به مع الأفعال « يَسْقُون ، تَذُودان ، نَسْقِي » لأن « الغرض هو الفعل لا المفعول ، ألا ترى أنَّه رحمهما لأنهما كانتا على الذياد ، وهم على السقي ، ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلا ؟ »[الكَشَّاف ، ٣/ ٤٤٢] .
- التشويق والتخويف وتعدد المفعول ؛ مثل قوله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴾ الصافات: ١٧٩ ، حيث أطلقت الآية « الفعلين معًا عن التقييد بالمفعول ، وأنه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة »[الكَشَّاف ، ٣/ ٧٠١]
- ومنها :« إطلاق الذهن ، وإثارته لتحديده ، وبيان عظمته ، وأنه لا يحيط به وصف » ، مثال ذلك قَوْله ـ تَعَالَى ـ :

أ- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ ﴾ الحج: ٥ « فورود الفعل « نُبَيِّن » غير مُعدًّى إلى المُبَيَّن ـ إعلامٌ بأن أفعاله هذه يتبيّنُ بها قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يُحيطُ به الوصف »[الكَشَّاف ، ٣/ ٢١٣] .

ب- ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ ﴾ الإنسان: ٢٠« رأيت : ليس له مفعول ظاهر ولا مقدَّر ليشيع ويعمَّ ... ومعناه أن بصر الرائي أينما وقع لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير وملك كبير »[الكَشَّاف ، ٤/ ٥١٩] .

- إبراز القدرة والكثرة والعمومية ، مثل :﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾ العلق: ١، ٢ ، قال الإمام الزَّمَخْشَرِيّ : « فإن قلت: كيف قال



خَلَقَ فلم يذكر له مفعولا، ثم قال خَلَقَ الْإِنْسانَ؟ قلت: هو على وجهين: **إما أن لا يقدر له مفعول وأن يراد أنه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه. وإما أن يقدر ويراد خلق كل شيء، فيتناول كل مخلوق، لأنه مطلق، فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض** » [الكَشّاف ، ٤/ ٦١٢] . ومثل قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ الحجرات: ١ ، قال الإمام الزَّمَخْشَرِيّ : « ... وفي قوله تعالى « لا تُقَدِّمُوا » من غير ذكر مفعول وجهان، أحدهما: أن يحذف ليُتَنَاوَلَ كلُّ ما يقع في النفس مما يقدّم ، والثاني:ألا يقصدَ قصد مفعول ولا حذفه، ويتوجه بالنهى إلى نفس التقدمة، كأنه قيل: لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل، ولا تجعلوه منكم بسبيل، كقوله تعالى﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ المؤمنون: ٨٠ ، ويجوز أن يكون من قدّم بمعنى تقدّم ... وتعضده قراءة من قرأ : لا تَقَدَّمُوا ، بحذف إحدى تاءى تتقدموا، إلا أن الأوّل أملأ بالحسن وأوجه، وأشدّ ملاءمة لبلاغة القرآن، والعلماء له أقبل » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٤٠] .

ومن الفوائد اللطيفة في هذا المقام أن إيقاع الفعل على مفعول معين دون الآخر على الرغم من اشتمال هذا الفعل لهذا المفعول وغيره لإفادة التخصيص والتشريف ، مثل: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ العلق: ٢ فـ «قوله: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق ؛ لأن التنزيل إليه ، وهو أشرف ما على الأرض » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦١٢] .

الغرض البَلاغِيّ لحذف العامل :

قد يكون لحذف العامل غرض بلاغي مثل إفادة التهويل ، مثل قوله تعالى :﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ القلم: ٤٢ ، « ناصب الظرف (يوم) فليأتوا ، أو إضمار اذكر ، أو يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت، فحذف للتهويل البليغ، وإن ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه » [الكَشَّاف ، ٤/ ٤٤٩] .

(١١) الجُمْلَة التي تحتوي فعلا ينصب مفعولين قَدْ يُقْتَصَرُ على أحد المفعولين ولا يُذكَر الآخر ، والغرض البَلاغِيّ من ذلك تسليط الضوء والاهتمام على المفعول المذكور ، مثال ذلك قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾ الكهف: ٢ قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فإن قُلْت : لِمَ اقتصرعلى أحد مفعولي يُنذِر؟ قُلْت : قَدْ جعل

المنذر به هو الغرض المسوق إليه ، فوجب الاقتصار عليه . والدليلُ عليه تكرير الإنذار في قوله : ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ الكهف: ٤ متعلقا بالمنذَرين من غير ذكر المنذر به » [الكشَّاف ، ٣/ ٤٩] .

وهذا المثل يوضح أَهَمِّيَّة التحليل النحوي ، واستشارة مؤلفات إعراب القرآن قبل التحليل البلاغي .

(١٢) ومما هو قريبٌ من الحذف **تركُ ذكر ما يمكن ذكره** ، ومن الدلالات البَلاغِيَّة لهذا الترك :

أ- إفادة العموم ، مثل قوله ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ فاطر: ١٨ ، « فإن قُلْت : إلام أسند « كان » في « وَلَوْ كانَ ذا قُرْبَى » قُلْت : إلى « المَدعُوِّ » من قوله « وَإِنْ تَدْعُ مُثقَلَةٌ » ، فَإِن قُلْت : فَلِمَ ترك ذكر المدعوِّ ؟ قُلْت : ليَعُمَّ ويشملَ كل مدعو » [الكَشَّاف ، ٣/ ٦٢٩] .

ب- الإبهام وإطلاق الخيال والتصور ، مثل : ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ الفرقان: ٧٧ ، فقد « ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم أنه مما تُوُعِّدَ به لأجل الإبهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف » [الكَشَّاف ، ٣/ ٣٤٧]

(١٣) **تَقْدِيْمُ جُزْء مِن الجُمْلَةِ للعِنَايَةِ والاهتِمام ، والاخْتِصاص والإخلاص :**

من الناحية البَلاغِيَّة فإن تقديم ركن رتبته التأخير على ركن رتبته التقديم يدل على أن المتكلم يريد أن يلقى مزيدًا من الاهتمام على هذا الركن المتقدم ، وذلك كما قال سيبويه (ت ١٨٠هـ) : « كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعًا يهمانهم ويعنيانهم »(١) . وأشار إلى نفس هذه النقطة الإمام الزمخشري فقال: « ... دليل على أنَّ المُقدَّم هو الغرض المُتعمَّد بالذكر ، وأنَّ الكلام إنما سِيقَ لأجله » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٢٢] .

ومن الأمثلة على هذا التقديم لإفادة ذلك :

⇦ تقديم المفعول به ؛ مثل قوله ـ تَعَالَى ـ : ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ﴾ العنكبوت: ٥٦

⇦ تقديم المفعول لأجله ؛ مثل قوله ـ تَعَالَى ـ : ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ الصافات: ٨٦ ، فـ « أئفكًا : مفعول له تقديره : أتريدون آلهة دون الله إفكًا؟ وإِنَّما قُدِّمَ

---

(١) الكتاب : ت: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ، ط ٦ ، ٢٠١٣م ، ١/ ٣٤



المفعول على الفعل للعناية ، قُدِّمَ المفعول له على المفعول به ؛ لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم إفك وباطلٍ في شركهم » [الكَشَّاف ، ٣/ ٦٨٣]

(١٤) قد يتقدم خبر الجملة الاسمية على مبتدئها لإبراز جانب بلاغي سياقي ، مثل قوله « مانعتهم حصونهم » في قوله تعالى : ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم﴾ الحشر: ٢ ففي « تقديم الخبر (مانعتهم) **دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم، وفي تصيير ضميرهم اسما لأن وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم ، وليس ذلك في قولك : وظنوا أنّ حصونهم تمنعهم** » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٦٦] .

وقد يفيد تقديم الخبر الاختصاص ، مثل : ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ التغابن: ١

(١٥) في الأفعال التي تنصب مفعولين قَدْ يتقدَّم المفعول الثاني على الأول لإبراز مزيد العناية والاهتمام ، ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ الفرقان: ٤٣ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... فإنْ قُلْت : لِمَ أَخَّرَ هواه والأصل قولك: « اِتَّخَذَ الهَوَى إلهًا » ؟ قُلْت : ما هو إلا تقديم المفعول الثاني على الأوّل للعناية ، كما تقول: « علمت منطلقا زيدا » ؛ لفضل عنايتك بالمنطلق » [الكَشَّاف ، ٣/ ٣٣٣] .

(١٦) عند دراسة خواتم الآيات القُرْآنِيَّة ننتبه إلى الآتي :

أ- أنَّ كثيرًا من أسماء الله الحسنى كثر ترددها في خواتم الآيات ، سواء في كلمة الفاصلة أو كلمة قبلها .

ب- أنَّ اختيار « الاسم أو الصِّفَة المعينة لختام آية يَحكمه أولا جانب المعنى ، والارتباط الوثيق بمضمون الكلام السابق ، سواء في نفس الآية أو في كلام متصل قبلها .

ت- أنَّ اختيار الرتبة بالتقديم أو التأخير لهذه الأسماء ـ مع توفر جانب الملاءمة الدلالية فيها ، فإنَّ الكثير منها يحقق كذلك الجانب الموسيقي ، ويراعي المناسبة بين الفواصل .

ث- أن الفواصل القُرْآنِيَّة تملك قدرًا هائلا من الشحنات الموسيقية ، وكثيرًا ما قدمت جانب الإيقاع على جانب الاستخدام ، وغالبا ما تُفَضِّلُ أصواتًا معينة لحرف الروي في الفاصلة ، ولهذا يقول الزركشي في البرهان : كثر في

القُرْآن ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين ، وإلحاق النون ، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك . وينقل الزركشي عن سيبويه قوله : أمَّا إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ؛ لأنهم أرادوا مد الصوت »[1] .

(١٧) استخدام الجُمْلَة الاستفهامية محل الجُمْلَة الأمرية أو الطلبية :

هذا الاستخدام قَدْ يكون أحيانًا للتهييج والحث ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ يوسف: ٥٠ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... وإنما قال : سل الملك عن حالِ النسوة ، ولم يقل : سَلْهُ أن يفتش عن شأنهن ؛ **لأنَّ السؤالَ مما يهيج الإنسانَ** ، ويحركه للبحث عما سُئِلَ عنه ، فأراد أن يورد عليه السؤال ليجِدَّ في التفتيش عن حقيقة القصة ، وقَصَّ الحديث حتى يتبين له براءته بيانًا مكشوفًا يتميز فيه الحق من الباطل » [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٧٥] .

(١٨) **الأغْراضُ البَلاغِيَّةُ للجُمْلَة الاعْتِراضِيَّة** :

الجملة الاعتراضيّة هي التي تعترض بين شيئَيْن متلازِمَيْن : كالمبتدأ والخبر، والفعل ومرفوعه، والفعل ومنصوبه، والشرط وجوابه، والحال وصاحبها، والصفة والموصوف بها، وحرف الجرّ ومتعلَّقه، والقسم وجوابه، وهي جملة لا محلّ لها من الإِعراب ، ومن الأغراض البلاغية لها :

أ- البعث والتحريض ، والترغيب والتعظيم . مثل قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ الأعراف: ٤٢ ، فـ : « لا نكلف نفسًا إلا وسعها جملة معترضة بين المبتدإ والخبر، للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع » [الكَشَّاف ، ٢/ ١٥٦] .

ب- وقد تفيد التوكيد ، مثل : ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام: ١٠٦ ، فـ : « ... « لا إِلهَ إلا الله » اعتراض أَكَّدَ بِهِ إيجابَ اِتِّبَاع

---

(١) د. أحمد مختار عمر : ، أسماء الله الحسنى ، ص ١١٨، ١١٩



الوحى لا محل له من الإعراب . ويجوز أن يكون حالا من ربك ، وهي حال مؤكدة ، كقوله : ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا﴾ فاطر: ٣١ »[الكَشَّاف ، ٢/ ١١٧] . ومثل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ محمد: ٢ ، ومثل قَوْله تَعَالَى: ﴿ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴾ القصص: ٨

ت- وقد تفيد الصعوبة ، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾ البلد: ١٢ « اعتراض ، ومعناه أنك **لن تَدر كنه صعوبتها على النفس ، وكنه ثوابها عند الله** »[الكَشَّاف ، ٤/ ٥٩٦] .

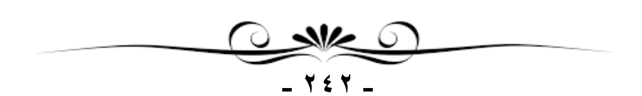
(١٩) قد يَتَعَدَّى الفعل بحرف جر معين في بعض الحالات ، وفي بعض الأحيان الأخرى يتغير حرف الجر المُتَعَدَّى إليه ، وهنا تكمن نكتة بَلاغِيَّة تتضح بتأمل السياق ، مثال ذلك : الفعل « اصطبر » يتعدى بالحرف « على » مثل : ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ طه: ١٣٢ ، ولكنها في آية سورة مريم تعدى بـ « اللام » قال تعالى : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾ مريم: ٦٥ ، ويعلل الزَّمَخْشَرِيّ ذلك بقوله « إن قُلْت : هَلَّا عُدِّيَ « اصْطَبِرْ » بـ « على » التي هي صلته، كقوله تعالى « وَاصْطَبِرْ عَلَيْها؟ » ، قُلْت : لأن العبادة جُعِلَتْ بمنزلة القِرْن ، في قولك للمحارب : « اصطبر لقرنك » ؛ أى : اثبت له فيما يورد عليك من شَدَّاته ؛ أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق ، فاثبت لها ولا تهن ، ولا يضق صدرك عن إلقاء عداتك من أهل الكتاب إليك الأغاليط ، وعن احتباس الوحى عليك مدة وشماتة المشركين بك » [الكَشَّاف ، ٣/ ١١٦] .

ونلاحظ في نص الزَّمَخْشَرِيّ :

أ- أهمية توظيف الاستعمال اللغوي للألفاظ في تحليل الجانب البَلاغِيّ ، وذلك واضح في استغلاله لمعنى دلالي لـ « اللام » مختزن فيها في استعمال لغوي يستخدم في سياق معين : « في قولك للمحارب : اصطبر لقرنك » .

ب- الخلفية اللغوية الواسعة الاطلاع للباحث البَلاغِيّ على حقائق اللغة واستعمالاتها تساهم في بيان الجانب البَلاغِيّ .

(٢٠) التوجيهات الإِعْرابِيَّة للفظة القُرْآنِيَّة قَدْ تتفاضل أحيانًا من حيث بلاغتها ، مثال ذلك قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ﴾ الكهف: ٥ ، فلفظة « كلمة » قُرِأَتْ بالنصب على التمييز ، وبالرفع على الفاعلية « والنصب أقوى



وأبلغ ، وفيه معنى التعجب ؛ كأنه قيل ما أكبرها كلمة » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٩] .
ومثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ﴾ النور: ٣ ، وفي قراءة : « الزَّانِي لا ينكِحْ إلا زَانِيَة » ، فـ :« المرفوع فيه أَيْضًا معنى النهي ، ولكن أبلغُ وآكد ، كما أنَّ « رَحِمَك الله ، ويَرْحَمُك» أبلغ من ليرحمْك » [الكَشَّاف ، ٣/ ٢٧١] .

(٢١) وقد يكون للفظة القُرْآنِيَّة توجيهان نحويان ، مع كل توجيه منهما يكون للآية معنى مختلف ، وتختار الآية توجيهًا وتترك آخر ؛ لأنه الأنسب بَلاغِيًّا وسياقيًّا . مثال ذلك قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ آل عمران: ١١١ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فإن قُلْت : هلَّا جُزِمَ المعطوفُ في قوله :« ثُمَّ لا يُنْصَرُوْن » ؟ قُلْت : عُدِلَ به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء ، كأنه قيل : ثم أخبركم أنهم لا ينصرون . فإن قُلْت : فأيُّ فرق بين رفعه وجزمه في المعنى؟ قُلْت : لو جَزَمْ لكان نفى النصر مقيدًا بمقاتلتهم ، كتولية الأدبار . وحين رفع كان نفى النصر وعدا مطلقًا ، كأنه قال : ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتفٍ عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ، ولا يستقيم لهم أمر . وكان كما أخبر من حال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر »[الكَشَّاف ، ١/ ٣٥٣] .

(٢٢) **العَلامَةُ الإعْرابيَّة ودلالتها البَلاغِيَّة** :

من الدلالات البَلاغِيَّة التي تدل عليها علامة الرفع الضمة ـ من خلال السياق ـ الدلالة على :

- المدح ، قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ طه: ٥ : « ... قُرِئَ « الرحمنِ » مجرورًا صفة لمن خلق ، والرفع أحسن ؛ لأنه إمَّا أن يكون رفعًا على المدح على تقدير « هو الرحمن » ، وإما أن يكون مبتدأ » [الكَشَّاف ، ٣/ ١٣٥] . ومثل ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ ﴾ سبأ: ١٥ ، فـ « جنتان بدلٌ من آية ، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره : الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح » [الكَشَّاف ، ٣/ ٥٩٩] .
- الثبات ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ المرسلات: ١٥ « فإن قلت: كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ؟ قلت: هو في أصله



مصدر منصوب سادّ مسدّ فعله ، ولكنه عدل به إلى الرفع **للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه** »[الكَشَّاف ، ٤/ ٥٢٤ ، ٥٢٥] .

- التهويل ، مثل :﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ المعارج: ١٦ « ونَزَّاعَةً خبر بعد خبر لأنّ ، أو خبر للظى إن كانت الهاء ضمير القصة ، أو صفة له إن أردت اللهب ، والتأنيث لأنه في معنى النار. أو رُفِعَ على التهويل ؛ أى : هي نزاعةٌ . وقرئ نزاعةً ، بالنصب على الحال المؤكدة ، أو على أنها مُتَلَظِّيةٌ نَزَّاعةً ، أو على الاختصاص للتهويل. والشوى الأطراف »[الكَشَّاف ، ٤/ ٤٦٣] .

(٢٣) أسلوب الشرط ودلالته البَلاغِيَّة :

⇦ قد يأتي أسلوب الشرط « للتهييج » ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ النور: ١٧، فـ ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ « فيه تهييج لهم ؛ ليتعظوا ، وتذكير بما يوجب ترك العود »[الكَشَّاف ، ٣/ ٢٧٨] . ومثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ ﴾ النور: ٢ ، فهذا الشرط « من باب التهييج والإلهاب لغضب الله ولدينه »[الكَشَّاف ، ٣/ ٢٦٨] .

⇦ والتغيير بين زمني فعل الشرط وجواب الشرط قد يكون **لإبراز الأولوية أو لإبراز الأهمية القصوى** ، مثل قوله تعالى :﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءٗ وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ الممتحنة: ٢ « فإن قلت : كيف أورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال « **وَوَدُّوا** » بلفظ الماضي؟ قلت : الماضي وإن كان يجرى في باب الشرط مجرى المُضَارِع في علم الإعراب ، فإن فيه نكتة ، كأنه قيل : وودّوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم ، يعنى : أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا : من قتل الأنفس ، وتمزيق الأعراض ، وردّكم كفارا ، **وردكم كفارا أسبق المضارّ عندهم وأوّلها، لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم ؛ لأنكم بذّالون لها دونه، والعدوّ أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه** »[الكَشَّاف ، ٤/ ٣٧٧] .

⇦ وفي أسلوب الشرط قَدْ يُحَذَفُ فعل الشرط مع الأداة لدلالة السياق عليه ، مثل: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ المؤمنون: ٩١ « ... فإن قُلْت : « إذًا » لا تدخل إلا على كلام جزاءٌ وجواب ؛ فكيفَ وَقَعَ قوله ﴿ لَّذَهَبَ ﴾ جزاءً وجوابًا ولم يتقدمه شرطٌ ولا سؤالُ سائل ؟ قُلْت : الشرط محذوف تقديره « ولو كان معه آلهه » ، وإنما حُذِفَ لدلالة قوله ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ » [الكَشَّاف ، ٣/ ٢٦١] . وفي حذف فعل الشرط إيجاز وإعمال للذهن في تحديده وتقديره ، وهذا أدعى لثبات المعنى ورسوخه .

⇦ وقد يحذف جواب الشرط لدلالة بَلاغِيَّة تُستنبَطُ من السياق ، مثل الدلالة على عظمة الأمر ، مثل قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ النور: ١٠ ، فـ « جواب لولا متروك ، وتركه دالٌّ على أمر عظيم لا يُكتنه ، **وربَّ مسكوتٍ عنه أبلغ من منطوق به** » [الكَشَّاف ، ٣/ ٢٧٥] .

⇦ وقد يحذف جواب الشرط لإطلاق الخيال في تقدير المحذوف ، مثل :﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ الانشقاق: ١ « ... حُذِفَ جوابُ إذا ليذهب المُقَدَّرُ كلَّ مذهب» [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٦٧] .

(٢٤) التوابع ودلالتها البَلاغِيَّة :

أ- **النعت** :

من الأمور البَلاغِيَّة المرتبطة بالنعت :

- أن المنعوت قَدْ يحذف لغرض بلاغي يحدده السياق ، منها مثلا تفخيم المحذوف وإطلاق الخيال في تحديده ؛ مثال قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ الإسراء: ٩ ؛ أي : « للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدَّها أو للملة أو الطريقة . وأينما قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف ؛ لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تُفْقَدُ مع إيضاحه » [الكَشَّاف ، ٣/ ٥] .و مثل :﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ ق: ٣١ « ؛ أي : شيئًا غير بعيد » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٧٣]
- وقد يأتي النعت لإبراز بعض الأغراض البَلاغِيَّة ، منها : الاستعظام وبيان

فداحة الإثم والذنب ، مثل ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ الكهف: ٥ ، فـجملة « تَخْرُجُ من أفواههم » صفة لـ « الكلمة » تفيد استعظامًا ؛ لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم » .

- ومن المعاني البَلاغِيَّة للنعت تأكيد المعنى وتأكيد الفردية وعدم الجنسية ، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ النحل: ٥١ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فإن قُلْت : إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحدِ والاثنين ، فقالوا : عندي رجالٌ ثلاثةٌ وأفراسٌ أربعةٌ ؛ لأن المعدود عارٍ عن الدلالة على العدد الخاص. وأما رجل ورجلان ، وفرس وفرسان ، فمعدودان فيهما دلالة على العدد ، فلا حاجة إلى أن يقال : رجل واحد ورجلان اثنان، فما وجه قوله إلهين اثنين؟ قُلْت : الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دال على شيئين: على الجنسية والعدد المخصوص ، فإذا أريدت الدلالة على أنَّ المعنىَّ به منهما ، والذي يساق إليه الحديث هو العدد شُفِعَ بما يؤكِّده ، فدُل به على القصد إليه والعنايه به. ألا ترى أنك لو قُلْت : إنما هو إله ، ولم تؤكده بواحد لم يحسن ، وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٨٥] . ومثل : « هو قريبٌ غير بعيد ، وعزيزٌ غير ذليل » .

- إزالة توهم وجود الموصوف ، كقوله :﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ غافر: ١٨ « فإن قُلْت : الغرضُ حاصلٌ بذكر الشفيع ونفيه ، فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها؟ قُلْت : في ذكرها فائدة جليلة وهي أنها ضُمَّت إليه ، ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة ؛ لأن الصفة لا تتأتى بدون موصوفها ، فيكون ذلك إزالة لتوهُّم وجود الموصوف. بيانه : أنك إذا عوتبتَ على القعود عن الغزو فقلت : ما لي فرسٌ أركبه ، ولا معى سلاحٌ أحارب به ، فقد جعلتَ عدم الفرس وفقد السلاح علةً مانعةً من الركوب والمحاربة ؛ كأنك تقول : كيف يتأتَّى منى الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معى ، فكذلك قوله : « وَلا شَفِيعٍ يُطاعُ » معناه : كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع ، فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع: وضعا لانتفاء الشفيع موضع الأمر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي أن يتوهم خلافه » [لكَشَّاف ، ٤/ ٧٩] .

- إفادة المبالغة ، مثل : ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ فصلت: ١٧
- إفادة التعظيم والإنذار والتهويل ، مثل :﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ الانفطار: ١٠ ، ١١ « وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء ، وأنه عند الله من جلائل الأمور، ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه، ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة. وفيه إنذار وتهويل وتشوير للعصاة ، ولطف للمؤمنين »[الكَشَّاف ، ٤/ ٥٥٧] .
- وقد يأتي نعت خاص بالأجرام للمعاني لإفادة بعض المعاني البَلاغِيَّة منها إفادة الكثرة والدوام ، مثل :﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾ فصلت: ٥١، فقد « استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه ، وهو من صفة الأجرام ، ويُستعار له الطول أيضًا ؛ كما استعير الغلظ لشدة العذاب »[الكَشَّاف ، ٤/ ١١٩] . ومثل قوله تعالى : ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ الإنسان: ٢٧ ، حيث « استعير الثقلُ ـ لشدته وهوله ـ من الشيء الثقيل الباهظ لحامله » الكَشَّاف ، ٤/ ٥٢١

ب- **البدل** :

للبدل قيمة بَلاغِيَّة تستشف من سياق الكلام وتستنبط منه ، مثل قوله : ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ الروم: ٦ – ٧ حيث نجد : « يعلمون بدل من قوله « لا يعلمون » ، وفي هذا الإبدال من النكتة البَلاغِيَّة أنه أبدله منه ، وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ؛ ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل، وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا ... »[الكَشَّاف ، ٣/ ٥٠٠] .

ومن الجوانب البَلاغِيَّة للبدل :

- إفادة التوكيد ، مثل : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ الممتحنة: ٦ ، حيث « كرّر الحث على الائتساء بإبراهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ، ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لأنه الغاية في التأكيد، وأبدل عن قوله ﴿ لَكُمْ﴾ قوله ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾ وعقبه بقوله ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ **فلم يترك نوعًا من التأكيد إلا جاء به** »[الكَشَّاف ، ٤/ ٣٧٩] .

ومن أمثلة إفادة البَدَل التوكيد، لفظة « مَنْ » في قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ آل عمران: ٩٧، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « **وفيه ضربان من التأكيد** أحدهما أن الإبدال تثنيةٌ للمراد وتكرير له ، والثاني أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيرادٌ له في صورتين مختلفتين » [الكَشَّاف ، ١/ ٣٤٥]

⇦ إفادة التفخيم والتشويق والتعجيب وجذب الانتباه ، مثل :

- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ غافر: ٣٦ – ٣٧ قال الزَّمَخْشَرِيُّ: « فإن قُلْت : ما فائدة هذا التكرير، ولو قيل: لعلى أبلغ أسباب السماوات لأجزأ ؟ قُلْت : إذا أُبهِمَ الشيء ثم أوضحَ كان تفخيمًا لشأنه ، فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السماوات أبهمها ثم أوضحها ، ولأنه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوفة إليه ، ليعطيه السامع حقه من التعجُّب ، فأبهمه ليشوف إليه نفس هامان ، ثم أوضحه » [الكَشَّاف ، ٤/ ٨٧] .
- ومثل قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ العلق: ٢ ، فـ« يجوز أن يراد : الذي خلق الإنسان ... فقيل : « الَّذِي خَلَقَ » مبهما ، ثم فسره بقوله « خَلَقَ الْإِنْسانَ » تفخيما لخلق الإنسان ، ودلالة على عجيب فطرته » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦١٢] .

ومما هو قريب من البدل عطف البيان ، والدلالة البلاغية لعطف البيان هي « البيان » ، مثل : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ الناس: ١ – ٣ « فإن قلت : ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ ما هما من رب الناس؟ قلت : هما عطف بيان ، كقولك : سيرة أبى حفص عمر الفاروق ، بُيِّن بملك الناس ، ثم زيدَ بيانًا بإله الناس ؛ لأنه قد يقال لغيره : رب الناس ... وقد يقال: ملك الناس. وأمّا إِلهِ النَّاسِ فخاص لا شركة فيه ، فجعل غاية للبيان. فإن قلت : فهلا اكتفى بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرّة واحدة؟ قلت: لأنّ عطف البيان للبيان، فكان مظنة للإظهار دون الإضمار » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦٥٦] .

ت- **التوكيد** :

التوكيد اللفظي يأتي لتقرير المعنى في النفوس ولتمكين المعنى في القلوب ، مثل : ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ الشرح: ٥ ـ ٦ ، « الجملة الثانية تكرير للأولى ، كما كرر

قوله: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ المطففين: ١٠ لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦٠٨] .

والتأكيد المعنوي بـ « كل وأجمع وكلا وكلتا » فائدته رفع توهم المجاز في المسند إليه وعدم الشمول والإحاطة بجميع الأفراد. ولا يؤكد بـ « كل و أجمع » إلا ذو أجزاء يصح افتراقها حسًا وحكمًا .

ث- **العطف** :

- الترتيب بين المعطوف والمعطوف عليه قَدْ يكون له دلالة بَلاغِيَّة ، فهو أمر معتبر عند التحليل البَلاغِيّ ، مثل :

أ- قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ النور: ٢ ؛ فلماذا بدأت الآية بـ « الزانية والزاني » ولم تبدأ بـ « الزاني والزانية » ؟ قال علماء البلاغة والتفسير : « سِيقَتْ تلك الآية لعقوبتهما على ما جَنَيا ، والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية ؛ لأنها لو لم تُطْمِعْ الرجلَ ولم تومِضْ له ولم تُمَكِّنْه ـ لم يطمع ولم يتمكن ؛ فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بُدِئَ بذكرها » [الكَشَّاف ، ٣/ ٢٧٠ ـ ٢٧١] .

ب- ومثل قوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ الرحمن: ٦٨ « فإن قلت: لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها؟ قلت : **اختصاصًا لهما وبيانا لفضلهما ؛ كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران** ، كقوله تعالى : ﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ البقرة: ٩٨ ؛ أو لأن النخل ثمره فاكهة وطعام، والرمان فاكهة ودواء، فلم يخلصا للتفكه » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٢٦] .

ت- ومثل قوله تعالى : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ الرحمن: ٥ – ٦ « وصل ما يجب وصله **للتناسب والتقارب بالعاطف**. فإن قلت : أى تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف؟ قلت : إنّ الشمس والقمر سماويان ، والنجم والشجر أرضيان ، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل، وأنّ السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين، وأن جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله ، فهو مناسب لسجود النجم والشجر » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣١٨] .

- وكذلك الترتيت بين المعطوف والمعطوف بين الجمل له غرض بلاغي ، مثل :



﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ﴾ النور: ٣٠ ، « فإن قُلْت : لِمَ قَدَّمَ « غض البصر » على « حفظ الفرج » ؟ قُلْت : لأن النظر بريدُ الزنى ، ورائد الفجور ، والبلوى فيه أشد وأكثر ، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه » [الكَشَّاف ، ٣/ ٢٨٦] .

- في أسلوب العطف ، يمكن أن يتعدد المعطوف عليه ، وفي هذا التعدد إثراء المعنى ، مثل قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾ الشعراء: ١٢ ، ١٣ ، فـ « ويضيق وينطلق ـ بالرفع ـ لأنهما معطوفان على خبر إنّ ، وبالنصب لعطفهما على صلة أن ، والفرق بينهما في المعنى: أنّ الرفع يفيد أنّ فيه ثلاث علل: خوف التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان، والنصب على أنّ خوفه متعلق بهذه الثلاثة » [الكَشَّاف ، ٣/ ٣٥١] .

(٢٥) المنصوبات ودلالتها البَلاغِيَّة :

أ- المفعول به : (يراجع ما قيل عن المفعول به في ملحوظة الحذف ودلالته البلاغية) .

ب- المفعول المطلق :

ينقسم المفعول المطلق بحسب فائدته المعنوية إلى :

١- مصدر منصوب الغرض منه أمرٌ واحدٌ ؛ هو: أن يؤكد - توكيدًا لفظيًا - معنى عامله المذكور قبله ويقويه ، ويقرره ؛ أي : يبعد عنه الشك واحتمال المجاز ، نحو: بلع الحوت الرجل بلعًا ، طارت السمكة في الجو طيرانًا.

٢- وقد يكون الغرض من المصدر المنصوب أمرين معًا ، فهما متلازمان: توكيد معنى عاملة المذكور ، وبيان نوعه ، ويكون بيان النوع هو الأهم ؛ نحو : نظرت للعالم نظر الإعجاب والتقدير ، وأثنيت عليه ثناء مستطابًا.

٣- وقد يكون الغرض منه أمرين متلازمين أيضًا ؛ هما: توكيد معنى عامله المذكور مع بيان عدده، ويكون الثاني هو الأهم، ولا يتحقق الثاني وحده بغير توكيده معنى العامل؛ نحو: قرأت الكتاب قراءتين وزرت الآثار الرائعة ثلاث زورات.

٤- وقد يكون الغرض منه الأمور الثلاثة مجتمعة ؛ نحو: قرأت الكتاب قراءتين نافعتين ، وزرت الآثار الرائعة ثلاث زورات طويلات.



ومما تقدم نعلم أن فائدة المصدر المعنوية قد تقتصر على التوكيد وحده، ولكنها لا تقتصر على بيان النوع وحده، ولا بيان العدد وحده، ولا على هذين الآخيرين معًا؛ إذ لا بد من إفادة التوكيد في كل حالة من هذه الحالات الثلاث [1] .

ومن الدلائل البلاغية للمفعول المطلق غير الدلالة السابقة الدلالة على السرعة مثل قوله ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ الروم: ٢٥ ، فـ « المراد سرعة وجود ذلك من غير توقفٍ ولا تلبُّثٍ ، كما يجيب الداعي المطاع مَدْعُوِّه » [الكَشَّاف ، ٣/ ٥٠٦] .

ت- التمييز :

من الأغراض البَلاغِيَّة للتمييز :

* الإغراق في الوصف ، مثل قوله ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ غافر: ٧ فـ « الأصل : « وَسِعَ كلَّ شيء رحمتُكَ وعلمُكَ » ، ولكن أزيل الكلامُ عن أصله بأن أُسْنِدَ الفعلُ إلى صاحب الرحمة والعلم ، وأُخرجا منصوبين على التمييز ؛ للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم ، كأن ذاته رحمةٌ وعلمٌ واسعان كل شيء » [الكَشَّاف ، ٤/ ٧٤] .
* إفادة شمول الشيء وخلوصه ، مثل قوله : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الصف: ٣ فالتعبيربـ « مقتًا » يدل « على أن قولهم : ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ مقتٌ خالصٌ لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٨٦] .

ث- الحال : من الفوائد البَلاغِيَّة للحال :

⇦ إفادة التعظيم ، والثناء والتقريظ ، مثل قوله تعالى : ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ آل عمران: ٣٩، فـ « من الصالحين » حال ثانية و« ورودها على سبيل الثناء والتقريظ ؛ لأن كل نبيٍّ لا بد أن يكون من الصالحين » [الكَشَّاف ، ٣/ ٦٩١] .

⇦ التوكيد ، مثل ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ فاطر: ٣١، فـ « مُصَدِّقًا » حالٌ مؤكدة ؛ لأن الحقَّ لا ينفك عن هذا التصديق .

⇦ إبراز القدرة ، مثل :﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ الجاثية: ١٣، « فإن قُلْت : ما معنى « مِنْه » في قوله « جَمِيعًا مِنْه » ؟ وما موقعها من

(١) النحو الوافي : ٢/ ٢٠٧



الإعراب ؟ قُلْت : هي واقعة موقع الحال ، والمعنى : أَنَّهُ سَخَّر هذه الأشياء كائنة منه ، وحاصلة من عنده ، يعنى أنه مكونها ، وموجدها بقدرته ، وحكمته ثم مسخرها لخلقه » [الكَشَّاف ، ٤/ ١٨٨] .

(٢٦) أسلوب القسم في القُرْآن الكريم يأتي للتوكيد ، ولكنه في نفس الوقت يأتي لتوجيه النظر إلى المُقسَم به ، وإبراز أهميته ومكانته ، مثل : ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ التين: ١ – ٣ «ومعنى القسم بهذه الأشياء **الإبانةُ عن شرف البقاع المباركة ، وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين** ، فمنبت التين والزيتون مهاجرُ إبراهيم ومولد عيسى ومنشؤه . والطورُ المكان الذي نودي منه موسى ، ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين، ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦١١] .

وقد يأتي القسم محذوفًا في بعض الأحيان ، مثل : ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ التكاثر: ٦ [الكَشَّاف ، ٤/ ٦٢٨] .

(٢٧) مُصْطَلَحُ التَّعَلُّق :

من المصطلحات المهمة التي يجب أن يكون الباحث منها على ذُكْرٍ وفاهمًا لها ومطبقًا إياها مصطلح « التعلق » . وسبب معرفته أنه يساهم في الترابط النصي للنص المدروس .

ونقدم تعريفين يوضحان هذا المصطلح :

- الأول : « التعلق : حكم من أحكام حروف الجر والظروف ، وهو نوعٌ من الارتباط المتمم للمعنى ، ينعقد بين ما يشبه الجملة من ظرف وجار ومجرور وما قبلهما من أفعال أو ما يشبهها . ولا بد لاكتمال معنى هذين من تعلقهما بأحد أربعة أمور هي :

١ـ الفعل ، نحو قوله تعالى : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ الفاتحة: ٧ ، فالجار والمجرور ، وهو« عليهم » متعلق في المعنى ، ومرتبط بالفعل أنعمت .

٢ـ وما يشبه الفعل من اسم فاعل أو مفعول أو ما في قوة الفعل من المشتقات ، وذلك نحو : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ الفاتحة: ٧ ، فالجار والمجرور ، وهو عليهم متعلق بالمغضوب .

٣ـ المؤول بما يشبهه ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾



الزخرف: ٨٤ ، أي : وهو الذي هو إله في السماء ؛ فقوله « في السماء » متعلق بإله ، على الرغم من أنه يوصف ، ولا يوصف به ، وقد صح التعليق به لتأوله بمعبود.
٤ـ ما فيه رائحة الفعل وما يشبهه ، نحو قوله :
أنا أبو المنهال بعض الأحيان ...
فكلمة « بعض » متعلقة بقوله : أبو المنهال ، لما فيه من معنى قولك الشجاع أو الجواد

والظرف مثل حروف الجر من ضرورة تعلقه بما ذكرنا تعلقًا يتمم الفائدة ، ويبين وجه الكلام ومواقعه »[(١)] .

- الثاني : وهو يعني : « الارتباط المعنوي ؛ فتعلق الظروف والجار والمجرور بالفعل يُرادُ به : ارتباط الظرف والجار والمجرور من جهة المعنى بالفعل أو شبهه ، فالظروف تدل على مكان حصول الحدث أو زمانه ، وكذلك حروف الجر تدل على معانٍ مرتبطة بالفعل ؛ مثل : خرجتُ من البيت ، وصليتُ في المسجد ، وأكتب بالقلم ؛ فالجار والمجرور في الجملة الأولى دَلَّ على المكان الذي بدأ منه الحدث ، وفي الجملة الثانية دل على المكان الذي تم فيه الحدث ، وفي الجملة الثالثة دل على ما تم الحدث بوساطته واستعين به في إنجازه »[(٢)] .

وكثيرًا ما لجأ الإمام الزَّمَخْشَرِيّ في كشافه لبيان « تعلق » الجمل وأجزاء منها بغيرها ، وهذا البيان يساهم في تماسك النص وترابطه . فكثيرا ما نقرأ ، قوله : « ما علاقة هذه الجملة بما قبلها » ، « كيف اتصل قوله تعالى ... بما قبله؟ » ، وبيان أن الكلام مقول للقول .

(٢٨) من الأمور المَنْهَجِيَّة التي سار عليها الإمام الزَّمَخْشَرِيّ في تفسيره جمع الآيات المتشابهة في التركيب وبيان الفروق الدلالية وَالبَلاغِيَّة بينها ، مثال ذلك :

م	الآية	ما يشبهها

(١) د. محمد سمير نجيب اللبيدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، (١٩٨٥م) ، ص ١٥٦

(٢) د. محمد عبادة : معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، ص ٢١٥



١-	﴿ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ يس: ١٤	﴿ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ يس: ١٦ [(١)].
٢-	﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ الزمر: ١١	﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ الزمر: ١٤ [(٢)].
٣-	﴿وَهُوَأَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الروم: ٢٧	﴿هُوَعَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ مريم: ٩ [(٣)].

وفي بعض الأحيان كان يقترح هو بديلا تركيبيًّا يعقد معه المقارنة ، مثال ذلك : قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ سبأ: ١٠ ،والبديل الذي اقترحه : « وَآتَيْنا داود منا فَضلا تأويبَ الجبال معه والطير » ويعلق على الفرق بينهما مبينًا فضل النص القرآني قائلا : « ألا ترى إلى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى ، من الدلالة على عزّة الربوبية وكبرياء الإلهية ، حيث جعلت الجبال منزّلة منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا، وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا؛ إشعارًا بأنه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت، إلا وهو منقاد لمشيئته، غير ممتنع على إرادته »[(٤)] .

(٢٩) من الأمور التي تفيد في التحليل البَلاغِيّ الوقوف على معنى « التضمين » ، وهذا المصطلح يُرادُ به في النحو « أنْ نُعِدَّ الفعل مشتملا ومحتويًا ودالًّا على معنى

(١) وتعليق الزَّمَخْشَرِيّ على هذه الآية : « الأول ابتداء إخبار ، والثاني جوابٌ عن إنكار » . الكَشَّاف ، ٣/ ٦٤٦

(٢) وتعليق الزَّمَخْشَرِيّ على هذه الآية : « ... ليس بتكرير ؛ لأنّ الأوّل إخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص، والثاني : إخبار بأنه يختصُّ اللهَ وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه، ولدلالته على ذلك قدّمَ المعبود على فعل العبادة ، وأخره في الأوّل ، فالكلام أوّلا واقع في الفعل نفسه وإيجاده ، وثانيًا فيمن يُفْعَلُ الفعل لأجله » . الكَشَّاف ، ٤/ ٤٤

(٣) وتعليق الزَّمَخْشَرِيّ على هذه الآية : « ... فإن قُلْت : لِمَ أُخِّرَتِ الصلةُ في قوله : ﴿وَهُوَأَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الروم: ٢٧ وقدمت في قوله ﴿هُوَعَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ مريم: ٩ ؟ قُلْت : هناك قصد الاختصاص ، وهو محزه ، فقيل : هو عليّ هين ، وإن كان مستصعبًا عندكم أن يولد بين هِمٍّ (؛ الشيخ الفاني) وعاقر، وأما هاهنا فلا معنى للاختصاص ، كيف والأمر مبنى على ما يعقلون من أنّ الإعادة أسهل من الابتداء، فلو قدمت الصلة لتغير المعنى » . الكَشَّاف ، ٣/ ٥٠٧

(٤) الكشاف ، ج٣ عند تفسير الآية العاشرة من سورة سبأ .



فعل آخر لسببٍ بلاغي ؛ وبذلك يأخذ الفعل الأول حكم الفعل الثاني من حيث التعدي واللزوم والاستعمال .

وقد اتخذ مجمع اللغة العربية بالقاهرة قرارًا بأن كل فعل يُضَمَّن معنى فعل آخر يأخذ أحكامه بشروط :

أ- تحقيق المناسبة بين الفعلين .

ب- وجود قرينة .

ت- ملاءمة الذوق العربي . ولا يكون ذلك إلا لسبب بلاغي »(١) .

والسبب البَلاغِيّ هو تضمن الفعل الواحد معنى فعلين ، وفي ذلك إثراء للمعنى ، ونجد أن القُرْآن في أكثر من موضع يلجأ إلى هذا التضمين ، مثال ذلك :

م	الآية	التضمين
١-	﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾ البقرة: ٢٢٦	تضمن الفعل « آلى » ـ بمعنى حلف ويعدَّى بحرف الجر على ـ معنى الفعل بَعُدَ فعدِّي بمِن .
٢-	﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي ﴾ ص: ٣٢	تضمن الفعل « أحب » معنى فعل مضمن يتعدى بعن كأنه قيل: جعلت حب الخير مجزيا أو مغنيًا عن ذكر ربي .
٣-	﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ البقرة: ١٧	ترك بمعنى طرح وخلَّى ؛ إذا علق بواحد ، فإذا علق بشيئين كان مضمنًا معنى صير ؛ فيجري مجرى أفعال القلوب.

(٣٠) الجملة الاستئنافية تؤدي دورًا بَلاغِيًّا في **إبراز المعنى وتأكيده والتنبيه عليه ، وتعليله** . والجمل الاستئنافية في القُرْآن كثيرة ، من ذلك مثلا :

- قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ سبأ: ٤٦ ، فإن « قُلْت : « ما بِصاحبكم » بم تتعلق ؟ قُلْت : يجوز أن يكون كلامًا مُستأنَفًا **تنبيهًا من الله** ـ عزَّ وجل ـ على طريقة النظر في أمر رسول الله »[الكَشَّاف ، ٣/ ٦١٤] .
- قوله تعالى :﴿ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ الزمر: ١٥، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله : ﴿ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ حيث استأنف الجملة ، وصَدَّرها بحرف التنبيه ، ووسَّط الفصل

(١) د. محمد إبراهيم عبادة : معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية ، ص١٩٢



بين المبتدأ والخبر ، وعَرَّف الخُسران ونعته بالمبين » [الكَشَّاف ، ٤/ ٤٤] .

- ومثل قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴾ المدثر: ١٦ « تعليل للردع على وجه الاستئناف ؛ كأن قائلا قال : لِمَ لا يُزادُ ؟ فقيل : إنه عاند آيات المنعم ، وكفر بذلك نعمته ، والكافر لا يستحق المزيد » [الكَشَّاف ، ٤/ ٤٩٧] .

ومن العلامات التي قد تشير إلى استئنافية الجملة :

* ألا تُسبق بالواو [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٧٢ ، سورة ق الآية ٢٦] .
* إمكانية تكييف سياق حواري قبلها بين متكلم ومخاطب ، مثل : ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴾ **ق: ٢٨**فهذه جملة استئنافية « كأن قائلا قال : فماذا قال الله ؟ فقيل : لا تختصموا » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٧٢] .

(٣١) **الفُوائِدُ البَلاغِيَّةُ للتَّنْكِير :**

للتنكير أغراض بَلاغِيَّة بحسب السياق الذي يردُ فيه ، منها مثلا :

- المدح والثناء ، مثل كلمة « قومًا » في قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ الجاثية: ١٤. قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فإن قلت: قوله قَوْمًا ما وجه تنكيره وإنما أراد الذين آمنوا وهم معارف؟ قلت: هو مدح لهم وثناء عليهم ؛ كأنه قيل: ليجزي أيما قوم وقوما مخصوصين لصبرهم وإغضائهم على أذى أعدائهم من الكفار، وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغُصص» [الكَشَّاف ، ٤/ ١٨٩] .
- الإبهام والتفخيم ، مثل : ﴿ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ الروم: ١٥ ، ومثل : ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ الشرح: ٦ « كأنه قيل : **إن مع العسر يسرًا عظيمًا وأي يسر** » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦٠٨] ، ومثل قوله : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴾ المرسلات: ٢٥ – ٢٦ « لم قيل أحياء وأمواتا على التنكير، وهي كفات الأحياء والأموات جميعا؟ قلت هو من تنكير التفخيم ، كأنه قيل : تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون ، على أنّ أحياء الإنس وأمواتهم ليسوا بجميع الأحياء والأموات » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٢٥] .
- الإشاعة والإبهام ، مثل كلمة « رحمة » في قوله تعالى : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن

﴿رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ فاطر: ٢

- إفادة العموم والكثرة والشياع والعَدد الكثير :
  - مثل : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ فاطر: ٤ ، وكقول العرب : « إنَّ له لإبلًا ، وإنَّ له لغنمًا، يقصدون الكثرة » [الكَشَّاف ، ٢/ ١٨٥] .
  - ومثل قوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ الشمس: ٧ « لِمَ نُكِّرت النفس؟ قُلْت: فيه وجهان: أحدهما أن يريدَ كل نفس ، وينكِّر للتكثير ، على الطريقة المذكورة في قوله: علمت نفس» [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٩٨]
  - ومثل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ الحجرات: ٦ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ عند هذه الآية : « وفي تنكير الفاسق والنبأ شياعٌ في الفساق والأنباء ، كأنه قال : أيّ فاسق جاءكم بأيّ نبإ ؛ فتوقفوا فيه ، وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ، ولا تعتمدوا قول الفاسق ؛ لأنّ من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه » الزَّمَخْشَرِيّ الكَشَّاف ، ٤/ ٢٤٩] .
- الشدة والتفاقم ، مثل : ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ ص: ٢ قال الزَّمَخْشَرِيّ : « والتنكير في عِزة وشقاق للدلالة على شدتها وتفاقمها » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢] .
- التعظيم ، مثل : ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ق: ١٥
- التَّميُّز والتَّفرُّد ، مثل : ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ يس: ٤ قال الزَّمَخْشَرِيّ : « التنكير فيه دالٌ على أنَّه أُرسل ـ من بين الصُّرط المستقيمة ـ على صراط مسقيم لا يكتنه وصف » [الكَشَّاف ، ٣/ ٦٤٢] .
- التقليل والشمول مثل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾ العنكبوت: ١٧ قال الزَّمَخْشَرِيّ في تفسير هذه الآية : « فإنْ قُلْت : لِمَ نَكَّرَ الرزقَ ثم عَرَّفَهُ؟ قُلْت : لأنه أراد لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئًا من الرزق ، فابتغوا عند الله الرزق كله ؛ فإنه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره » .
- التخصيص وإبراز المعنى ، مثل :﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ الفجر: ٢ ، ٣ ، حيث « أراد بالليالي العشر: عشر ذى الحجة. فإن قلت: فما بالها منكَّرة من بين ما أقسم به؟ قلت: لأنها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي ، العشر

بعض منها ، أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها. فإن قلت: فهلا عُرِّفت بلام العهد ؛ لأنها ليال معلومة معهودة؟ قلت: لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير؛ ولأن الأحسن أن تكون اللامات متجانسة، ليكون الكلام أبعد من الألغاز والتعمية » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٨٥] .

ومثل : ﴿ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴾ الطور: ٢ ، « ونكَّر ؛ لأنه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٨٩] . ومثل : ﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ﴾ الفتح: ١٣

- البَعْضِيَّة ، مثل :
- ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ الفلق: ٣ – ٥ « فإن قلت: فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه؟ قلت: عرفت النفاثات، لأن كل نفاثة شريرة، ونكر غاسق، لأنّ كل غاسق لا يكون فيه الشر، إنما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضرّ. ورب حسد محمود، وهو الحسد في الخيرات » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦٥٥]
- ومثل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ ﴾ الحجرات: ١١
- وَقَدْ يُفيد التنكير أحيانا التقليل وإرادة الجنس مثل قوله :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ الحشر: ١٨ . قال الزَّمَخْشَرِيّ : « أما تنكير النفس فاسْتِقْلالٌ للأنفس النواظر فيما قَدَّمْنَ للآخرة ؛ كأنه قال : فلتنظر نفسٌ واحدة في ذلك. وأما تنكير الغد فلتعظيمه ، وإبهام أمره ، كأنه قيل : لغدٍ لا يعرف كنهه لعظمه » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٧٢] . ومثل : ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ الطور: ٢١ ، فـ « يجوز أن يُرادَ به إيمانُ الذرية الداني المحل ؛ كأنه قال بشيء من الإيمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم» [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٩١]
- الإبهام مع المدح والتعجب ، مثل : ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ البلد: ٣

(٣٢) **مِنْ فَوَائِدُ التَّعْرِيف :**

- إفادة التنويه والتشهير ، مثل : ﴿ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ الشورى: ٤٩ ، فـ « التعريف (في كلمة الذكور) تنويهٌ وتشهير ؛ كأنه قال : ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا

يَخفَوْنَ عليكم » [الكَشَّاف ، ٤/ ١٤٢] .

- وقد يفيد التأكيد ، مثل قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ البقرة: ١٢ ، في هذه الآية « رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد ، وأدله على سخط عظيم ، والمبالغة فيه من جهة :
  - الاستئناف .
  - وما في كلتا الكلمتين : أل وإِنَّ من التأكيدين .
  - تعريف الخبر .
  - توسيط الفصل » [الكشاف : ١/ ٦٢]

(٣٣) من الفوائد البَلاغِيَّة للترخيم ، الدلالة على الضعف وسوء الحال ، مثل قوله تعالى :﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ الزخرف: ٧٧ فقد قرأ عِلِيٌّ وابنُ مسعود ـ رضي الله عنهما ـ « يا مالِ ، بحذف الكاف للترخيم ... وعن بعضهم : حَسَّنَ الترخيم أنَّهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه» [الكَشَّاف ، ٤/ ١٦٨] .

(٣٤) التكرير [١] :

من ملحوظات الزَّمَخْشَرِيّ أن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٧٩] .

وقد يأتي التكرير في سياق معين لـ :

أ- إفادة التفخيم والاستحقاق ، مثال ذلك ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأحزاب: ٥٠ ، « فإن قُلْت : لِمَ عَدَلَ عن الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى « نَفْسَها لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ » ثم رجع إلى الخطاب؟ قلت: للإيذان بأنه مما خص به وأوثر ، ومجيئه

(١) مصطلح « التكرير » يتردد عند النُّحاة وعند البلاغيين ، وهو عند النحاة الكوفيين ما يراد بالبدل عند البصريين . يُنظر معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض ، ص ٢٥٧ ، وهو عند البلاغيين « دلالة اللفظ على المعنى مرددًا كقولك لمن تستدعيه : أسرع أسرع ، فإن المعنى مردد واللفظ واحد » ، ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ٢/ ٣٣٨



على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص تكرمة له لأجل النبوّة ، وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته » [الكَشَّاف ، ٣/ ٥٧٥]

ب- التنبيه وتجديده ، قال الزمخشري : « فإن قلت : ما فائدة تكرير قوله : ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ القمر: ٣٩ – ٤٠؟ قلت : فائدته أن يجدّدوا عند استماع كل نبا من أنباء الأوّلين ادكارًا واتعاظًا ، وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظًا ، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه ، وأن يقرع لهم العصا مرات ، ويقعقع لهم الشن تارات ؛ لئلا يغلبهم السهو ولا تستولى عليهم الغفلة ، وهكذا حكم التكرير، كقوله : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الرحمن: ٢١ عند كل نعمة عدّها في سورة الرحمن، وقوله : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ المرسلات: ٤٥ ، عند كل آية أوردها في سورة والمرسلات ، وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة القلوب ، مصورة للأذهان ، مذكورة غير منسية في كل أوان » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣١٤] .

ت- وقد يكون التكرير تقريرًا للمعاني في الأنفس وتثبيتًا لها في الصدور ، مثل : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾ الرحمن: ٧ – ٩ « كرر لفظ الميزان تشديدًا للتوصية به ، وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣١٩] .

(٣٥) **مِنْ الأَغْراض البَلاغِيَّة للإضافة :**

➢ إفادة التشريف والتفخيم والتعظيم :

- مثل :﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ ﴾ الجاثية: ٦، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « وإضافة الآيات إلى القُرْآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم ؛ لأن المضاف إلى العظيم يعظم بالإضافة إليه » [الكَشَّاف ، ٣/ ٣٩٠] .
- ومثل قوله :﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ الأحقاف: ٢٥ ، « فإن قلت: ما فائدة إضافة الرب إلى الريح؟ قُلْت : الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما يشهد لعظم قدرته؛ لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده. وذكر الأمر وكونها مأمورة من جهته عز وجل » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٠٥] .
- ومثل : ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ الأعراف: ٧٣



- وقَدْ تفيد تخصيصًا وتفضيلا ، مثل : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ الفرقان: ٦٣

➢ التخصيص والارتباط بشيء ما ، مثل :﴿ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ ﴾ الصافات: ١٨٠ حيث « أضيف الرب إلى العِزَّة لاختصاصه بها ؛ كأنه قيل : ذو العزة ، كما تقول : صاحب صدقٍ ؛ لاختصاصه بالصدق » [الكَشَّاف ، ٣/ ٧٠١] . ومثل قوله : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ الزلزلة: ١ « ما معنى زلزالها بالإضافة ؟ قُلْت : معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة وهو مشيئة الله ، وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده . ونحوه قولك : أكرم التقىّ إكرامه ، وأهن الفاسق إهانته ، تريد: ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦٢٠] .

(٣٦) من المصطلحات التي استخدمها الإمام الزَّمَخْشَرِيّ عند تحليله البَلاغِيّ لآي القُرْآن مصطلحا « النصب على المدح » و « النصب على الذم » ، وهذان المصطلحان يُقصَدُ بهما :

» النصب على المدح يُرادُ به : « نصب الاسم على أنه مفعولٌ به لفعل محذوف تقديره أذكر أو أمدح ، والسياق يقتضي مدحًا ، ويكون ذلك عند قطع النعت ، كما في قولنا : عاد الجيش المنتصرَ »[١] .

» والنصب على الذم يراد به : « نصب الاسم على أنهُ مفعولٌ به لفعل محذوف تقديره أَذُمُّ ، ويكون ذلك عند قطع النعت ، كما في قوله تعالى ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ المسد: ٤ »[٢] .

ومن أمثلة هذا التوظيف للنصب على المدح توجيه قراءة قوله تعالى :﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ الفتح: ٢٩ ، فعن « ابن عامر أنه قرأ « رسولَ الله » بالنصب على المدح » [الكَشَّاف، ٤/ ٢٣٧] . وقوله: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ فصلت: ٣، حيث نصب لفظ « قرآنا » على الاختصاص والمدح [الزَّمَخْشَرِيّ الكَشَّاف ، ٤/ ١٠١]

(٣٧) التوكيد درجات ، أشده وأقواه القسم ، مثل :﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ سبأ: ٣ ، فقد « أوجب ما بعد النفي بـ « بَلى » على معنى: أن ليس الأمر إلا إتيانها، ثم أعيد إيجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد

(١) د. محمد عبادة : معجم مصطلحات النحو والصرف ، ص ٢٨١

(٢) السابق ، ص ٢٨٠



والتشديد، وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل، ثم أمد التوكيد القسمي إمدادا بما أُتبع المقسم به من الوصف بما وصف به » [الكَشَّاف ، ٣/ ٥٩١]

(٣٨) تَفْضِيلُ التَّعْرِيض عَلى التَّصْريح :

التعريض قدمت له تعريفات متعددة ، منها أنه : « لفظ استعمل في معناه للتلويح بغيره »(١) .

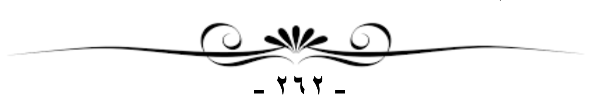
ومن فوائد التعريض واستخدامه : « التعريض والتورية أنضل بالمجادل إلى الغرض ، وأهجم به على الغلبة ، مع قلة شَغْب الخصم ، وفَلِّ شوكته بالهويني ، ونحوه قول الرجل لصاحبه : علم الله الصادق منى ومنك ، وإنَّ أحدنا لكاذب » [الكَشَّاف ، ٣/ ٦٠٦] .

ومن أمثلتها :

⇦ مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ ﴾ ص: ٢٣ « ... فإن قُلْت : لِمَ جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح ؟ قلت : لكونها أبلغ في التوبيخ ، من قِبَلِ أنَّ المتأمِّلَ إذا أدَّاه إلى الشعور بالمعرَّض به كان أوقع في نفسه ، وأشد تمكنًا من قلبه ، وأعظم أثرا فيه، وأجلب لاحتشامه وحيائه، وأدعى إلى التنبُّهِ على الخطإ فيه من أن يبادرَهُ به صريحًا ، مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة. ألا ترى إلى الحكماء كيف أوصوا في سياسة الولد إذاوجدت منه هنة منكرة أن يُعَرِّضَ له بإنكارها عليه ، ولا يصرح. وأن تُحكى له حكايةُ ملاحظة لحاله ؛ إذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية ؛ فاستسمج حال نفسه، وذلك أزجر له ؛لأنه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه ؛ فيصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة، مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة » [الكَشَّاف ، ٤/ ١٢] .

---

(١) د.أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ٢/ ٢٨٠



⇦ وقوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ الهمزة: ١ ، فهذه الآية « قيل: نزلت في الأخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة. وقيل: في أمية بن خلف، وقيل: في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغضه منه. ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما ، ليتناول كل من باشر ذلك القبيح، وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه، فإنّ ذلك أزجر له وأنكى فيه »[الكشاف :٤/ ٤٩٥] .

(٣٩) لجأ القُرْآن لأسلوب الحوار لبعض الأغراض البَلاغِيَّة ، تكون في خدمة السياق ، قد يكون من هذه الأغراض مثلا التقريع والتهكم ، مثال ذلك :﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾ سبأ: ٤٠ ، فـ « هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار، وارد على المثل السائر: إيّاك أعنى واسمعي يا جاره ! ، ونحوه قوله تعالى﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ ﴾ المائدة: ١١٦ ، وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير، والغرض : أن يقول ويقولوا ، ويسأل ويجيبوا ؛ فيكون تقريعهم أشدّ ، وتعييرهم أبلغ، وخجلهم أعظم ، وهوانهم ألزم، ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه، وزاجرا لمن اقتُصَّ عليه » [الكَشَّاف ، ٣/ ٦١٢] .

(٤٠) قد تُفيد الجملة الخبرية في حد ذاتها نوعًا من المبالغة ، مثل قوله :

أ- ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴾ ص: ١٢

ب- ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ ص: ١٤

ففي الجملة الأولى « ذُكِر تكذيبهم أَوَّلا في الجملة الخبرية على وجه الإبهام ، ثم جاء بالجملة الاستثنائية ؛ فأوضحه فيها بأنّ كل واحد من الأحزاب كذَّبَ جميع الرسل ؛ لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا ، وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه ، والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أوّلا وبالاستثنائية ثانيا، وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص ـ أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه »[الكَشَّاف ، ٤/ ٦] .

(٤١) بيان المحل الإعرابي للجملة يساهم في إثراء معنى النص ، وإثراء معنى النص لون من ألوان البلاغة ، مثال قوله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟



ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ النور: ٥٥ ، فـ « إن قُلْت : ما محل « يَعْبِدُونني » ؟ قُلْت : إن جعلته استئنافًا لم يكن له محل ؛ كأن قائلًا قال : ما لهم يستخلفون ويُؤَمَّنون ؟ فقال : يعبدونني ، وإن جعلته حالا عن « وعدهم » ؛ أي: وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم محله النصب » [الكَشَّاف ، ٣/ ٣٠٣] .

(٤٢) إيضاح الشيء بعد إبهامه فيه تفخيم وتعظيم له [الزَّمَخْشَرِيّ الكَشَّاف ، ٤/ ٦٢٨]

(٤٣) من طرق إثراء النص طرح الأسئلة العقلية الذكية ، وهذا المَنْهَج كان يلجأ إليه الإمام الزَّمَخْشَرِيّ في تفسيره . ونحن نعلم أن استخلاص المعاني البديعة والحكم اللطيفة يزيد من بهاء الكلام وبلاغته .

(٤٤) **الجَانِبُ الصَّوْتِي عِنْدَ تَحْلِيلِ الجُمْلَة** :

نوجه العناية هنا إلى أنَّ « التشكيل الصوتي في حالتي الحقيقة والمجاز ـ سواء جرس الكلمات أم نغم التركيب بأسره أم موسيقى البيت في الشعر ـ عنصرٌ له خطره في رسم الصورة وإبرازها وخلق عوامل التأثير لها . وَقَدْ بلغ التعبير القُرْآنِيّ مستوى فريدًا في هذا المجال ؛ فنرى فيه الصورة المعبرة الحسية ، بدلالاتها أو جرس أصواتها أو بهما معًا مضمومًا إليهما تآلف السياق كله إذا اقتضى الأمر ... [ويظهر] أثر التشكيل الصوتي في كلمة « يصطرخون » من قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** ﴾ فاطر: ٣٧ في تقديم الصورة الحية لما سوف يلقاه الكفار من عذاب بالنار يوم القيامة ، يدفعهم إلى الصياح والجلبة بأصوات خشنة غليظة ، تكتظ بها حناجرهم دون أن يكون لها صدى أو استجابة من قبل الله ـ عزَّ وجل ـ . وكذلك ما لجرس الأصوات في كلمة ﴿ **ٱثَّاقَلۡتُمۡ** ﴾ التوبة: ٣٨ من أثر في تجسيد حركة المتثاقلين المتبلدة العازفة عن النهوض ، النازعة إلى السقوط والالتصاق بالأرض . وفي قول الله ـ عز وجل ـ على لسان نوح ـ عليه السلام ـ : ﴿ **قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ** ﴾ هود: ٢٨ ، نحس أن كلمة « أنلزمكموها » تقدم ـ بتشكيلها الصوتي ـ صورة قوية لمعنى الإكراه ؛ وذلك باشتمالها على عدد من الضمائر تتوالى في النطق في

غير ما انسياب ، بما يشعر بعدم الرضا والائتلاف . وهو الشعور الذي يسيطر على الكارهين بإزاء ما يكرهون »(١) .

وفي الواقع فإن اللغَة العربية تُعينُ من يستخدمها على إبراز هذا الجانب الصوتي ؛ إذ نجد فيها ما يسميه اللغويون « الألفاظ ذات الجرس المُعبِّر » ذات الرنين الصوتي والجرس الواضح . في هذه الألفاظ نجد « ضجيج الصوت ورنينه يضاهي جرس الحدث المعبر عنه بها ، وذلك في الأحاديث المسموعة ، كالقهقهة والقعقعة والعجعجة والزلزلة والصلصلة والصرصرة والدمدمة والدبدبة وحمحمة الفرس ووسوسة الحَلي والحفيف والفحيح والأزيز والرنين والأنين والطنين وخرير الماء »(٢) .

والمضاهاة الصوتية بين الأصوات المكونة لمبنى اللفظ وبين الأحداث التي تدل عليها « جعلت بعض اللغويين يقررون أن العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة طبيعية سواء أكانت هذه المضاهاة متمثلة في رنين الصوت وجرسه ، أم كانت متمثلة في قوة الصوت وضعفه أم كانت متمثلة في الوقت الذي يستغرقه النطق بالصوت »(٣) .

ومن الملاحظات الطريفة التي لاحظها اللغويون أنهم لاحظوا أنَّ هناك علاقةً بين زمن النطق الصوتي للحرف وبين الزمن الذي يستغرقه الحدث . قال بعض اللغويين : « كما قَدْ يكون المؤثر الصوتي آتيًا من قبل الزمن الذي يستغرقه نطق الصوت ، فما كان يستغرق زمنًا أطول يعبر به عن حدث يستغرق زمنًا أطول ، وما كان يستغرق زمنا أقصر يعبر به عن حدث يستغرق زمنا أقل ، ولو أننا قارنا بين القد والقط لوجدنا أن اللفظ الأول منهما والذي اشتمل على الدال يدل على الشق أو القطع الطولى ، وأن الثاني منهما المشتمل على الطاء يدل على الشق والقطع العرضي ، فاللفظ مناسب للحدث ؛ إذ كانت الدال تستغرق زمنا أطول من الزمن الذي يستغرقه النطق بالطاء »(٤) .

ولا شك في أنَّه بتوظيف هذه المعطيات الصوتية لألفاظ اللغَة يَقوَى المعنى ويتأَكَّد ويُمنَحُ الكلامُ سماتٍ صوتيةً معينةً ، ويُخلَقُ جوٌّ موسيقيٌّ خاص من شأنه أن

---

(١) د. شفيع السيد : التعبير البياني رؤية بَلاغِيَّة نقدية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (بدون بيانات أخرى) ، ص ١٤٣

(٢) د.عيد مُحَمَّد الطيب : المعجم والدلالة ، ص ١٩٣

(٣) السابق ، ص ٢٢٦

(٤) السابق ، ص ١٩٤



يوحي بالصورة المراد التعبير عنها ويجعلها قريبة معلومة [(١)] .

ومما يجدر ذكره هنا أن نُلفت النظر إلى أن تجاور الألفاظ بطريقة ما يخلق ما يسميه النقاد والبلاغيون « الإيقاع » ، وبعد دراسته في النماذج الشعرية والنثرية وجدوا أن له فوائدَ ومزايا ،فـ « الإيقاع يثير فينا استجابة للمعنى الذي يريد الشاعر توصيله ، بل إنه يثير استجابتنا ... للصوت والصورة والانفعال والفكرة ، ولا يجب أن ننظر إليه على أنه مجرد حقيقة سيكولوجية ؛ لأنه عنصر إبداعي ، شأنه في ذلك شأن جميع العناصر الإبداعية الأخرى »[(٢)] . ويؤكِّد الناقد **Burton** في كتابه « **The Criticism of Poetry** » على أَهَمِّيَّة الإيقاع للنص الأدبي فيقول : « إنَّ الإيقاع يساعد في إنتاج الانفعال القوي ، والتأثير المتزايد والمتانة والمهابة ، وخفة السمع والسرعة والاسترخاء ، أو أي تأثير آخر يقصده الشاعر . والعيار الذي ينبغي أن يعتمده الناقد عند دراسة إيقاع القصيدة هو بيان تأثير الإيقاع ودوره في نقل التأثير العاطفي **Emotional Impression** الذي يود الشاعر خلقه »[(٣)] .

إن تنوع الإيقاع مما يساعد على إبراز القيمة التعبيرية للكلمات ، كما يعكس تنوع التغيرات التي تطرأ على الفكرة والصورة والإحساس . وإذا كان لـ « الإيقاع » هذه الأهمية في دراسة الكلام البشري ؛ فأحرى بالبلاغيين والنقاد أن يتجهوا إلى النص

(١) وكمثال على قدرة الصوت اللغوي على نقل المعنى ينقل لنا د. كمال بشر هذا الاقتباس عن العماد الأصفهاني مبشرًا بفتح عكا : « جالت خيوله ، وسالت سيوله ، وطلعت في سماء العجاج نجوم خرصانه ، وقلعت قلائع تلك الجبال جبال فرسانه ، وحفزت حوافز الصلادم أصلاب الصلاد ، وفصحت بإعراب الحمام صواهل الجياد العراب » . ويعلق د. كمال بشر على هذا المقطع بقوله : « فهذه صورة صوتية سمعية توائم صورة الأحداث الواقعية ، وهي أحداث حرب قاسية شديدة ، يجول فيها الفرسان بخوذاتهم التي تلمع وسط الغبار الكثيف المتطاير من شدة الكر والفر . وهناك في هذه الساحة ـ ساحة القتال المرير ـ يقتلع الفرسان الأشداء كل ما يقابلهم ، وتدك سنابك الخيل كل أرض صلبه . ولسنا نشك في أنك بعد قراءة هذا النص ، واستيعاب معانيه سوف تجد نفسك كما لو كنت في هذه المعركة مشتركا فيها بقتال ، أو مسجلا لما يجري فيها من أحداث ، وما ذلك كله إلا بفضل هذا التأليف الصوتي الرائع » . التفكير اللغوي ، ص ٤١٠

(٢) د. مُحَمَّد العبد : إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي ، ص ٣٣

(٣) نقلا عن المصدر السابق ، ص ٤٤



القُرْآنِيّ ويعطوا مزيدًا من الاهتمام إلى الجانب الصوتي والإيقاعي فيه ، ولا شك أنهم سيجدون من الحقائق ما يفوق ما وجدوه في الشعر(١) .

(٤٥) عندما يستخدم القُرْآن أداة معينة من بين مجموعة أدوات تنتمي إلى نفس الحقل فهذا يعنى وجود سبب بَلاغِيّ يكمن في اختيار هذه الأداة دون غيرها ، فمثلا تتعدَّد أدوات النفي في العربية ، لكل أداة معنى تنفرد به ، فليست هذه الأدوات متساوية في كل شيء وإلا لكان هذه التعدُّد عبثًا، « ولكنها تتعدد ولكل منها معنى يخصه وينفرد به ، ولا يغني غيره فيه غناءه ، وإذا اشتركت إحداهما مع الأخرى في وجه خالفتها في وجه آخر من وجوه معناها أو استعمالها »(٢) .

(٤٦) حين نظر النحاة في اللغة العربية واستعمالها « وجدوا أنَّ ظروف الاستعمال تنأى عن طابع الاطراد ، وأنَّ من المستعمل ما هو شاذ أو قليل أو نادر أو لغة قوم بعينهم ، وأنَّ هذا الاستعمال غير المطرد يقف جنبًا إلى جنب في حقل الفصاحة مع المطرد من الاستعمال ، حتى كان من قواعدهم العامة قولهم : الشذوذ لا ينافي الفصاحة »(٣) .

(٤٧) الأبواب النحوية أكثر من العلامات ؛ لذلك « فلا بد للعلامة الواحدة أن تدل على أكثر من باب نحوي واحد ، كدلالة الضمة على رفع الفاعل ونائبه والمبتدأ والخبر واسم كان وخبر إن والتابع المرفوع إلخ ، وذلك لا بد أن يؤدي إلى اللبس ، ما لم تقع علامات أخرى غير علامة الإعراب إلى جانبها ؛ لتتضافر مع هذه العلامة على الوصول إلى أمن اللبس الذي هو مطلب اللغة بحسبانها وسيلة للاتصال من شأنها أن تنأى عن مظان اللبس . وقد اعتمدت اللغة بالفعل على قرائن أخرى إلى جانب الإعراب تتساوى مع الإعراب في الأهمية وتجتمع معه في صورة مجموعة من القرائن لا يستقل أحد منها بالكشف عن المعنى ، وإنما ينكشف المعنى بطائفة منها (اثنتين أو أكثر) ، كما يصدق على كل منها صلاحيتها ؛ لأن تخضع للترخص ، فلا تتحقق في السياق . وهذه القرائن

---

(١) للأستاذ الدكتور البدراوي زهران في كتابه « ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية » محاولة لدراسة إحدى سور القُرْآن إيقاعِيًّا ؛ فلتنظر هناك .

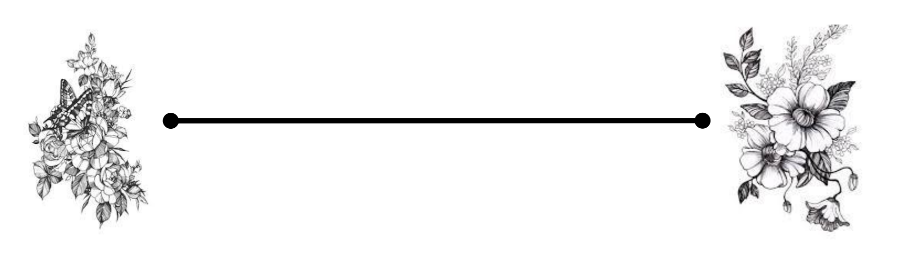
(٢) د. مُحَمَّد حماسة : بناء اللغَة العربية ، ص ٢٨٥ ، وانظر أَيْضًا : ص ١١٦ ، وص ٢٩٢

(٣) د.تمام حسان : اكتساب اللغة ، ص ٩



التي أشرنا إليها ، هي : البنية ، والأداة ، والتضام ، والإعراب ، والربط ، والمطابقة ، والرتبة ، والنغمة في الكلام المنطوق دون المكتوب »[1] .

(١) السابق ، ص ٤٥



الفصل الرابع

بَعْضُ الأدوات النَّحْوِيَّة وقيمها البلاغِيَّة





من الأمور التي نعتقد أنها قَدْ تخدم الباحث البَلاغِيّ في بحثه في البلاغة القُرْآنِيَّة أن نضع بين يديه القيم البَلاغِيَّة الممكنة لبعض الأدوات النحوية ، وأنا هنا أقول « بعض » الأدوات النحوية ، وليس كل الأدوات النحوية .

والمصدر الذي اعتمدت عليه بصفة أساسية في الوقوف على « القيم البَلاغِيَّة » الممكنة للأدوات النحوية هو تفسير إمام اللغَة وَالبَلاغَة الزَّمَخْشَرِيّ في تفسيره « الكَشَّاف عن حقائق التنزيل » ، فقد قمتُ بتجميع هذه الأدوات ، وبيان القيم البَلاغِيَّة لها ، تلك القيم التي تمخضت عن قريحة هذا الإمام الجليل .

وأحبُّ التنبيه أنَّ القيمة البَلاغِيَّة التي ذكرها الزَّمَخْشَرِيّ لأداة نحوية معينة لا تعني أنها قيمة ثابتة لهذه الأداة ضربة لازب ، بل أقول : هي قيمة بَلاغِيَّة ممكنة لهذه الأداة ، قال بها هذا الإمام بناء على استقرائه لسياق الآية . فهي قيمة بَلاغِيَّة اجتهادية ـ إن جاز التعبير ـ من هذا الإمام ، لاحظها نتيجة تفاعل هذه الأداة بَلاغِيًّا مع السياق الذي تُقال فيه ، ومن الممكن للباحث البَلاغِيّ الحصيف المتعمق أن يضيف هو إلى هذه الأدوات معانٍ بَلاغِيَّة أخرى ، أو يكتفي بما قاله الزَّمَخْشَرِيّ .

وقبل أن نذكر هذه الأدوات ومعانيها البلاغية المرتبطة بها أحب أن أقدم بين يديها ببيان هذه المعاني البلاغية ، أقصد : عندما نقول إن هذه الأداة تفيد التأكيد أو التبكيت أو السخرية أو التعجب أو .....؟ فما المقصود بهذه المصطلحات .

المقصود بالمعاني البلاغية :

١ـ التأكيد :

هو أن يكون اللفظ لتقرير المعنى الحاصل قبله وتقويته ، ويفيد التأكيد مع التقوية نفي احتمال المجاز ، وهو يرفع الإبهام عن نفس المتبوع في النسبة ، ويرفع أيضًا إبهام ما عسى يتوهم في النسبة .

والتأكيد كما يكون لإزالة الشك ونفي الإنكار مع السامع يكون كذلك لصدق الرغبة ، ووفور النشاط من المتكلم ونيل الرواج والقبول من السامع ، وكون الخبر على خلاف ما يترقب . نحو : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴾ الشعراء: ١١٧، ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ آل عمران: ٣٦ ، وتحسين إتيان ضمير الشأن ، نحو : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٧

وكذلك ترك التأكيد فإنه كما يكون لعدم الإنكار يكون أيضًا لعدم الباعث والمحرك من جهة المتكلم ، ولعدم الرواج والقبول من جهة السامع .

وقد يكون التأكيد لإظهار كمال العناية ، كقوله تعالى :﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ يس: ٣ ، أو كمال التضرع والابتهال ، نحو : ﴿ إِنَّنَآ ءَامَنَّا ﴾ آل عمران: ١٦، أو كمال الخوف ، نحو : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ ﴾ آل عمران: ١٩٢[١] .

٢ـ التهكم :

هو ما كان ظاهره جدا وباطنه هزلا، والهزل الذي يراد به الجد بالعكس ، ولا تخلو ألفاظ التهكم من لفظة من اللفظ الدال على نوع من أنواع الذم، أو لفظة من معناها الهجو .

٣ـ السخرية :

هو أن يقوم المرء بالاستهزاء من إنسان يسبق منه فعل يقتضي الاستهزاء .

٤ـ الاستهزاء :

(١) ينظر بتصرف : الكفوي ، الكليات ، ص ٢٦٧



هو أن يقوم المرء بالاستهزاء من إنسان من غير أن يسبق من هذا الإنسان فعل يقتضي الاستهزاء .

٥- **التبكيت** :

التبكيت الغلبة بالحجة والإلزام والإسكات ، وأن يستقبل الرجل بما يكره .

٦- **الإنكار** :

أنكر الشيء - لغة - بمعنى : جحده ، ولم يعترف به ، وأنكر على ولده الكذبَ ؛ عابه ونهاه عنه .

إذن الإنكار : الجحد وعدم الاعتراف بالشيء ، وإظهار العيب والنهي عن الشيء .

****

بعض الأدوات النحوية ومعانيها البلاغية :

(١) **الأَلِفُ :**

من المعاني البَلاغِيَّة التي قد تأتي معها الألف :

» ألف الاثنين تأتي أحيانًا لإفادة التوكيد ، مثل قوله تعالى : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ ق: ٢٤ ففي هذه الآية « يجوز أن يكون خطابًا للواحد على وجهين : أحدهما قول المبرد إن تثنية الفاعل نُزِّلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما ، كأنه قيل : ألقِ ألقِ للتأكيد »[الكَشَّاف ، ٤/ ٢٧١] .

» ألف إطلاق الصوت للدلالة على الوقف وانقطاع الكلام واستئناف ما بعده مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾ الأحزاب: ٦٦ ، فـ« زيادة الألف لإطلاق الصوت ؛ جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر ، وفائدتها الوقف ، والدلالة على أن الكلام قد انقطع ، وأن ما بعده مستأنف »[الكَشَّاف ، ٣/ ٥٨٦] .

(٢) **أ (الهَمْزَةُ)** :

الهمزة - كأداة استفهام وكما هو معهود - أُمُّ أدوات الاستفهام ؛ تَرِدُ للتصور (السؤال عن المفرد) كما ترد للتصديق (السؤال عن نسبة) ، ومن خصائصها أنها

تدخل على الجملة الاسمية المثبتة والجملة المنفية ، وإذا دخلت على النفي أفادت التحقيق ، وإذا استخدمت في استفهام حقيقي كانت لطلب الفهم والسؤال عن مجهول ، ومما تنفرد به جواز حذفها إذا دل عليها دليل من المقام أو المقال .

من المعاني البَلاغِيَّة التي تأتي فيها الهمزة :

١) الإنكار ، مثل : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الأعراف: ٦٣. ومثل : ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ يونس: ٢ ، ومثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ إبراهيم: ١٠

٢) الإنكار وتعظيم الفعل ؛ مثل : ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف: ٨٠

٣) الإنكار والتعجب ؛ مثل : ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف: ١٤٠

٤) الإنكار والاستهزاء ، مثل : ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ يونس: ٥٣، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء ، وقرأ الأعمش : « آلحقُّ هو ؟ » ، وهو أدخل في الاستفهام ؛ لتضمنه معنى التعريض بأنه باطل » [الكَشَّاف ، ٢/ ٣٦٧] .

٥) الإنكار والتوبيخ ، مثل قراءة الهمزة في قَوْله ـ تَعَالَى ـ : « أَثَّاقلتُم إلى الأرض » [التوبة ، ٣٨]

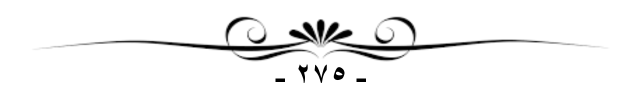
٦) التقرير ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ التوبة: ٦٥ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « حيث جعل المُستهزأ به يلي حرف التقرير ؛ وذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته» [الكَشَّاف ، ٢/ ٣١٢] .

٧) التقرير مع التوبيخ ، ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ التوبة: ١٣، « أتخشونهم : تقرير بالخشية منهم وتوبيخ لهم » [الكَشَّاف، ٢/ ٢٨٤] .

٨) التقرير مع التوبيخ والاستبعاد ، مثل : ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ﴾ الأنعام: ١٩

٩) التقرير مع التوبيخ والتعجب ، مثل : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ البقرة: ٤٤

١٠) التبكيت ، مثل قوله : ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ



﴿تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ الأنعام: ٤٠

١١) التهكم ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ هود: ٨٧

١٢) الإلزام والتبكيت والتهكم بالحال ؛ مثل قوله تَعَالَى: ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ النمل: ٥٩

١٣) الوعيد ، مثل : ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ التين: ٨

١٤) وقد تتكرر الهمزة في سياق آية واحدة لتأكيد المعنى ، ؛ مثل قوله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ﴾ النمل: ٦٧ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « تكرير حرف الاستفهام بإدخاله على إذا وإن جميعًا إنكار وجحود عقيب جحود ، ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٢٢] .

١٥) وهمزة الإنكار إذا دخلت على النفي أفادت معنى التقرير، وإثبات مضمون الجملة ؛ مثل قوله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾ العنكبوت: ٦٨، ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ الزمر: ٣

١٦) الإنكار المرتبط بالتجهيل والتعجيب ؛ مثل قوله تَعَالَى: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَ﴾ الزخرف: ٣٢

١٧) الاستبطاء ، نحو : ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ الحديد: ١٦

(٣) أَحَد :

هذا اللفظ عامٌ في الواحد المذكر والمؤنث ، وتثنيتهما ، وجمعهما ، تقول : ما رأيت أحدًا ؛ فتقصدُ العموم .

(٤) إِذَا : إذا لها عدة استعمالات :

أ- ظرف لما يستقبل من الزمان ، وللماضي بقرينة ، يتضمن معنى الشرط ،لا يجزم.

وإذا الشرطية هذه إذا وقع بعدها مباشرة ضمير يُعرب توكيدًا لفاعل الفعل المحذوف وجوبًا المفسر بما بعده كقوله: ﴿ **وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ** ﴾ **الروم: ٣٦**

وإذا وقع الماضي بعدها في جملة الشرط أو الجواب جعلته دالا على المستقبل ما لم يدل عليه دليل ، مثل : ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ الروم: ٢٥

ومن المعاني البلاغية لإذا الشرطية أنها قد تأتي في سياق يدل على الوعيد ، مثل قوله : ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ غافر: ٧٨

ب- ظرفية لا تتضمن معنى الشرط :

مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ الشورى: ٣٧ ، فلو كانت « هم يغفرون » جواب إذا الشرطية لوجب اقترانها بالفاء ؛ لأنها جملة اسمية ؛ فترك الفاء دليل على عدم تضمنها معنى الشرط .

وتدخل إذا الظرفية على الفعل المُضَارِع والماضي ، مثل : ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ الليل: ١

ت- إذا الفجائية :

لا تقع في الابتداء مطلقًا ، وتختص بالدخول على الجملة الاسمية ، ومعناها الحال لا الاستقبال ، ويكون الاسم بعدها مبتدأ .

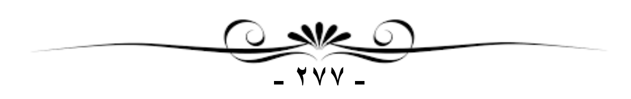
ومن القيم البَلاغِيَّة لهذه الأداة أنها قَدْ تفيد السرعة أو الإسراع أو المسارعة ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ يونس: ٢١ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... فإن قُلْت : ما وَصَفَهُمْ بِسُرْعةِ المكر ، فكيف صحَّ قولُهُ « أَسرعَ مَكرًا » ؟ قُلْت : بلى ، **دَلَّتْ على ذلك كلمة المفاجأة** ؛ كأَنَّهُ قالَ : وإذا رحمناهم من بعد ضراء فَاجَئُوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رؤسهم من مسِّ الضراء ، ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصَّتهم » [الكَشَّاف ، ٢/ ٣٥٦] .

وقد تنوبُ إذا الفجائية عن الفاء في جواب الشرط ، مثل : ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ الروم: ٢٥ ، ومثل : « إذا هم يقنطون » ، في قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ الروم: ٣٦، ولا شك أنَّ إنابة إذا الفجائية مكان الفاء يفيد السرعة بالإضافة إلى معنى الفاء .

فإذا جاءت الفاء مع إذا الفجائية تعاونتا على وصل الجزاء ؛ فيتأكد [الكَشَّاف ، ٣/ ٢٠٦] ؛ أي : إذا اجتمعت الفاء وإذا كانت الفاء رابطة ، كانت إذا لمجرد التوكيد.

وما في قولنا « إذا ما » تفيد التوكيد ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ مريم: ٦٦

(٥) **أل** :



قد تأتي للدلالة على معانٍ بَلاغِيَّة نتيجة التفاعل من السياق ، مثال ذلك قوله : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ البقرة: ٥ ، فـ « معنى التعريف في « المفلحون » الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يُفلحون في الآخرة ... أو على أنهم الذين إنْ حَصَلت صفةُ المفلحين ، وتحققوا ما هم ، وتصوَّروا بصورتهم الحقيقة فهُم هُم ، لا يَعْدون تلك الحقيقةَ » [الكَشَّاف ، ١/ ٤٦] .

ومن المعاني البَلاغِيَّة التي قَدْ تأتي فيها « أل » :

* إفادة الكمال ؛ مثل : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ البقرة: ١٣ ، فاللام في الناس للجنس « ؛ أي : كما آمن الكاملون في الإنسانية ، أو جُعِلَ المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ، ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل » [الكَشَّاف ، ١/ ٦٢] . ومثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ الحجر: ١ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « أي : الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان » [الكَشَّاف ٢/ ٥٥١] . ومثل قوله : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ النحل: ١٠٥ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ؛ أى : أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب؛ لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب » [الكَشَّاف ، ٢/ ٦٠٤]
* وقد تأتي « أل » فتفيد « التعريض » ، ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ مريم: ٣٣ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ عند تفسير هذه الآية : « ... والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضًا باللعنة على متهمي مريم ـ عليها السلام ـ وأعدائها من اليهود. وتحقيقه أن اللام للجنس ؛ فإذا قال : وجنس السلام عليّ خاصة ؛ فقد عرَّض بأن ضدّه عليكم » [الكَشَّاف ، ٣/ ١٠٣] .
* وقد تفيد التأكيد والمبالغة ، مثل قوله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ **البقرة: ١٢** : « رَدَّ الله ما ادَّعوه من الانتظام في جملة المصلحين **أبلغَ ردٍّ وأدلَّه على سخطٍ عظيم ، والمبالغة فيه** من جهة : الاستئناف ، ألا وإِنَّ من التأكيدين ، **وتعريف الخَبر** ، وتوسيط الفصل » [الكَشَّاف ، ١/ ٦٢] .

ومثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ طه: ٦٨: « فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد ، وبتكرير الضَّمِير وبلام التعريف وبلفظ العلو » [الكَشَّاف ، ٣/ ١٥٥] .



* وقد تدخل « أل » على مبهم لتفخيم شأنه ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾ البقرة: ١٢٧، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « في إبهام القواعد وتبيينها بعد الإبهام ما ليس في إضافتها ؛ لما في الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم لشأن المبين »[الكَشَّاف ، ١/ ١٧٤]
* وتعدد المعنى النحوي لـ« أل » بين العهدية والجنسية قَدْ يُثري المعنى ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ البقرة: ١٤٧، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « وفيه وجهان: أن تكون اللام للعهد ، والإشارة إلى الحق الذي عليه رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، أو إلى الحق الذي في قوله : « ليكتمون الحقَّ » ؛ هذا الذي يكتمونه هو الحقُّ من ربِّك. وأن تكون للجنس على معنى: الحق من الله لا من غيره »[لكَشَّاف،١/ ١٨٨] ، ومثل قوله نعالى ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ البقرة: ٩٤ ، فأل في كلمة الناس للجنس ، وقيل للعهد وهم المسلمون. [الكشاف : ١/ ١٥٣]

وقد تأتي « أل » بديلا عن المضاف إليه ؛ فيتغير تعريف الاسم من التعريف بالإضافة إلى التعريف بـ « أل » ، قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قَوْله ـ تَعَالَىٰ ـ ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ﴾ البقرة: ٢٥: « وأما تعريف الأنهار فأن يراد الجنس ... أو يراد « أنهارها » ؛ فَعُوِّضَ التعريف باللام من تعريف بالإضافة » [الكَشَّاف ،١/ ١٢٩] . ولا شك أن تفضيل التعبير بأل على التعبير الإضافي يكمن وراءه سر بلاغي .

- **الفرق بين لام الجنس الداخلة على المفرد والداخلة على المجموع :**

إذا دخلت « أل » الجنسية على المفرد أُريد بها الجنس والواحد من هذا الجنس ، وإذا دخلت على الجمع صلحت أن يراد بها الجنس وبعضه ، لا الواحد منه . قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... فإن قُلْت : أيُّ فرق بين لام الجنس داخلةً على المفرد ، وبينها داخلة على المجموع ؟ قُلْت : إذا دخلت على المفرد كان صالحًا لأن يراد به الجنس إلى أن يحاط به ، وأن يراد به بعضُه إلى الواحد منه . وإذا دخلت على المجموع صلح أن يُرادَ به جميع الجنس ، وأن يرادَ به بعضُه لا إلى الواحد منه ؛ لأن وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزانُ المفرد في تناول الجنسية، والجمعية في جُمَل الجنس لا في وحدانه »[الكَشَّاف ، ١/ ١٠٠] .

(٦) **آل** :

أصلها « أهل » ، وخُصَّ استعماله بأولي الخطر ، والشأن كالملوك وأشباههم [الكَشَّاف ، ١/ ١٢٩] . فهي أداة تفيد التفخيم [الكَشَّاف ، ١/ ٢٦٥ ، البقرة٢٤٨] .

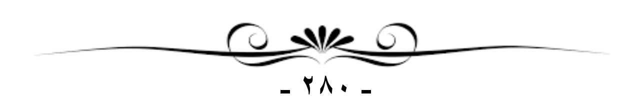
(٧) **ألا** :

ألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي ، لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها ، فالاستفهام إذا دَخَلَ على النفي أفاد تحقيقًا ؛ كقوله : ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ القيامة: ٤٠ ، ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم ، وأختها التي هي أما من مقدمات اليمين وطلائعها . [الكَشَّاف ، ١/ ٦١] .

قد تُفيدُ الحضَّ على الفعل مع التوبيخ ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ ﴾ التوبة: ١٣ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ: « ... وبخهم بترك مقاتلتهم ، وحضهم عليها ».

وإذا اجتمعت « ألا » مع « إنَّ » فإنها يفيدان:

- ⇦ ثبات الأمر والتمكن منه ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْۚ ﴾ التوبة: ٩٩ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ في قوله « ألا إنها »:« شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات ، وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه » .
- ⇦ وقد يفيد هذا الاجتماع التأكيد ، مثل قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ البقرة: ١٢ ، في هذه الآية « رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد ، وأدله على سخط عظيم ، والمبالغة فيه من جهة :
  - الاستئناف .
  - وما في كلتا الكلمتين : أل وإِنَّ من التأكيدين .
  - تعريف الخبر .
  - توسيط الفصل »[الكشاف : ١/ ٦٢]



وقد تفيد « ألا » التهويل والتفظيع والاعتبار ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدًا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ﴾ هود: ٦٠ ، فـ « تكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويلٌ لأمرهم ، وتفظيعٌ له ، وبعثٌ على الاعتبار بهم ، والحذر من مثل حالهم » [الكَشَّاف ، ٢/ ٤١٢] .

وقد تفيد التنبيه ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ البقرة: ١٥٠، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « قرأ زيدُ بنُ علي ـ رضي الله عنه ـ « ألا الذين ظلموا منهم » على أن « ألا » للتنبيه » [الكَشَّاف ، ١/ ١٨٩] .

وقد تأتي للحث ، مثل : ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ الذاريات: ٢٧

وقد تأتي لإفادة التعجيب وتسجيل الظلم ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ الشعراء: ١١

(٨) **إلا** :

- أسلوب الاستثناء الذي ترد فيه « إلا » يُفِيدُ « الوضع على وجه التوكيد والتخصيص » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦] .
- قد تأتي أداة الاستثناء « إلا » في سياق وتُفيدُ التوبيخ ؛ مثل قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ النساء: ٦٦
- وقد تفيد إلا « التَّهكم » ، مثل قَوْله تَعَالَى: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ غافر: ٢٩
- وقد تأتي« إلا » لإزالة أيَّ تَوَهَّم محتملٍ يصاحب الجملة والوصول إلى الغرض ، مثل : ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾ العنكبوت: ١٤ قال الزَّمَخْشَرِيّ : « قلت : هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة؟ قلت: ما أورده الله أحكم ؛ لأنه لو قيل كما قلت ، لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره ، وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك ، وكأنه قيل: تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد ، إلا أنّ ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملأ بالفائدة ، وفيه نكتة أخرى : وهي أنّ القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح ـ عليه السلام ـ من أمّته وما كابده من طول المصابرة ، تسلية لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتثبيتا له ، فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه، أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدّة صبره » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٧٩] .

- وقد تأتي في أسلوب مفيدة الحصر (النفي والاستثناء) ، مثل : ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ الجاثية: ٣٢ ، « فإن قلت: ما معنى إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا؟ قلت: أصله نظن ظنا ؛ ومعناه : إثبات الظن فحسب، فأدخل حرفا النفي والاستثناء، ليفاد إثبات الظن مع نفي ما سواه ، وزِيْدَ نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وَما نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ » [الكَشَّاف ، ٤/ ١٩٣] .
- وقد تأتي « إلا » بمعنى لكن ، مثل : ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ ﴾ النمل: ١١ وقوله : ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ القصص: ٨٦

(٩) **أَمْ** :

ثلاثة أنواع : ١ـ عاطفة (متصلة ، منقطعة) ، ٢ـ أداة تعريف ، ٣ـ زائدة .

وأم العاطفة المنقطعة هي التي لم تسبق بهمزة تسوية ، ولا بهمزة تعيين ، وتكون عاطفة بين جملتين لكل منهما معنى مخالف لمعنى الآخر ، وتكون بمعنى بل ، وتفيد الإضراب ، وتكون مسبوقة بخبر محض أو بهمزة لغير الاستفهام الحقيقي ، أو مسبوقة باستفهام غير الهمزة .

والمعاني البَلاغِيَّة التي يمكن أن تأتي فيها أم العاطفة المنقطعة :

١) إفادة التقرير والإلزام والإنكار والاستبعاد ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ يونس: ٣٨ ، قال الزَّمَخْشَرِيُّ: « بل أيقولون اختلقه ، على أن الهمزة تقرير لإلزام الحجة عليهم ، وإنكار لقولهم ، واستبعاد ، والمعنيان متقاربان » [الكَشَّاف ٢/ ٣٦٣] ، [يُنْظَرُ أَيْضًا ، ١ / ٢٣٢ ، البقرة ٢١٤] . ومثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٤٢ [يُنْظَرُ أَيْضًا ، ١ / ٤٥٤ ، النساء ٥٤] . ومثل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ محمد: ٢٤ « أم بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٢٠] . ومثل : ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ النجم: ٢٤ « هي أم المنقطعة ، ومعنى الهمزة فيها الإنكار » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٠١] .

٢) وقد تفيد التوبيخ ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ ﴾ التوبة: ١٦

٣) وقد تفيد الإنكار والتعجيب ، مثل : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾ الأنبياء: ٢١ ، فـ« هذه أم المنقطعة الكائنة بمعنى « بل » ، والهمزة قَدْ آذنت



بالإضراب عما قبلها والإنكار لما بعدها » [الكَشَّاف ، ٣/ ١٨٢] ، ومثل :﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ السجدة: ٣

(١٠) **أَمَّا** :

بفتح الهمزة وتشديد الميم ، وهذا الحرف في بعض استعمالاته حرف فيه معنى الشرط ، ويعطي فضل توكيد ، وبيان تمكن الأمر في نفس قائله ، وَقَدْ تفيد التعريض بالغير ، مثاله قوله : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ البقرة: ٢٦ .، فـ « أَمَّا » حرف فيه معنى الشرط ؛ ولذلك يجابُ بالفاء . وفائدتُه في الكلام **أن يعطيَه فضلَ توكيدٍ** . تقول : زيدٌ ذاهبٌ ، **فإذا قصدتَ توكيدَ ذاك ، وأنَّه لا محالة ذاهبٌ ، وأنه بصدد الذِّهاب وأنه منه عزيمة** قُلْت : أما زيدٌ فذاهبٌ . ولذلك قال سيبويه في تفسيره : مهما يكنْ من شيءٍ فزيدٌ ذاهب . وهذا التفسيرُ مدلٍ لفائدتين: بيانِ كونه توكيدًا ، وأنه في معنى الشرط ، ففي إيراد الجملتين مصدَّرتين به ـ وإن لم يقل: فالذين آمنوا يعلمون ، والذين كفروا يقولون ـ إحمادٌ عظيم لأمر المؤمنين ، واعتدادٌ بعلمهم أنه الحقُّ ، ونعيٌ على الكافرين إغفالهَم حظَّهم وعنادَهم ورميهم بالكلمة الحمقاء » [الكَشَّاف ، ١/ ١١٠] .

وقد تأتي حرف ابتداء مثل ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ فصلت: ١٧

(١١) **إِمَّا** :

بكسر الهمزة وتشديد الميم ، وهذا الحرف إما أن يكون :

- حرف تفصيل غير عامل واجب التكرار ، يفيد التخيير أو الإباحة أو الإبهام أو الشك .
- وإما أن يكون حرفا مركبا من إن الشرطية وما الزائدة ، ولا داعي لتكرارها.

و« إِمَّا » كحرف مركب ، عبارة عن « إن » الشرطية زيدت عليها « ما » تأكيدًا لها ؛ ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ، ولو أفردت إن لم يصح دخولها ؛ لا تقول : إن تكرمنَّ زيدًا يكرمك ، ولكنه إما تكرمنَّه . [الكَشَّاف ، ٣/ ١٠] .

وإِمَّا الشرطية تفيد التوكيد ، ومثاله في قوله ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴾ المؤمنون: ٩٣ « ما والـــــنون مؤكدتان ؛ أي: إن كان لا بد من أن تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو الآخرة فلا تجعلني قريبًا لهم » [الكَشَّاف ، ٣/ ٢٦١] .

(١٢) **الأَمْس** :

قد يُذكَر الأمسُ ولا يُرادُ به اليوم الذي قبل يومك ، ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٦٩] .

(١٣) **أَنْ** : بفتح الهمزة وسكون النون ، لها خمسة استخدامات : ١ـ حرف نصب ومصدري واستقبال ، ٢ـ مخففة من الثقيلة ، ٣ـ مُفَسِّرة ، ٤ـ زائدة للتوكيد ، ٥ـ مصدرية غير ناصبة (١) .

وتأتي « أَنْ » **الزائدة** للتأكيد وإفادة ترتب فعل على آخر ، مثل : ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا ﴾ العنكبوت: ٣٣ فـ « أَنْ صلةٌ ، أكدت وجود الفعلين مترتبا أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما، كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان ، كأنه قيل: كما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٨٦] .

وقد تأتي « أَنْ » بمعنى أي ؛ أي تأتي مفسرة مثل:﴿أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ﴾ الدخان: ١٨

(١٤) **إِنْ** :

بكسر الهمزة والنون الساكنة ، واستعمالاتها : شرطية ، ونافية ، ومخففة من إنَّ الثقيلة ، وزائدة للتوكيد .

- وإنْ الشرطية تفيد الشك ، مثل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ الحجرات: ٦، فـ « لما كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذين معه بالمنزلة التي لا يَجسرُ أحدٌ يُخبرهم بكذبٍ ، وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد إلا في الندرة قيل:« إن جاءكم » بحرف الشك ، وفيه أن على المؤمنين أن يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور»[الكَشَّاف ، ٤/ ٢٤٩] .
- وقد تأتي « إِنْ » فتفيد أحيانًا التحقيق ، مثل قراءة الكسر لقوله تعالى :﴿يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الشعراء: ٥١ ، فقد قُرِئَ « إِنْ كنا بالكسر ، وهو من الشرط الذي يجئ به المُدل بأمره ، المتحقق لصحته ، وهم كانوا متحققين أنهم أول المؤمنين (؛أي : سحرة فرعون الذين آمنوا) ، ونظيره في قول العامل لمن يُؤَخِّر جُعْلُه: إِنْ كنتَ عملتُ لك فوفني حقي ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ

(١) يراجع خصائص كل استخدام ، د. على توفيق الحمد : المعجم الوافي في أدوات النحو الوافي ، ص ٧٥



﴿جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِي﴾ الممتحنة: ١ ، مع علمه أنهم لم يخرجوا إلا لذلك » [الكَشَّاف ، ٣/ ٣٦١][1] .

- وتفيد الاستقبال : مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ﴾ يوسف: ٢٦ ، « إن قلت: كيف جاز الجمع بين « إن » الذي هو للاستقبال وبين «كان» ؟ قُلْت : لأن المعنى أن يُعْلَمَ إن كان قميصُه قَدْ ، ونحوه قولك : إن أحسنت إليَّ فقد أحسنتُ إليك من قبل ، لمن يمتنُّ عليك بإحسانه ، تريد : إن تمتنَّ على أمتنُّ عليك » [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٦٠] .
- وقد تفيد في بعض السياقات التهكم والسُّخرية مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ البقرة: ٢٣ ، « ... فإن قُلْت : انتفاءُ إتيانهم بالسورة واجِبٌ ، فهلا جيء بـ« إذا » الذي للوجوب دون « إِنْ » الذي للشك؟ قُلْت : فيه وجهان :
  - أحدهما أن يُساق القولُ معهم على حسب حسبانهم وطمعهم ، وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم ؛ لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام.
  - والثاني : أن يتهكَّم بهم ، كما يقولُ الموصوف بالقوة الواثقُ من نفسه بالغلبة على من يقاويه : وإن غلبتُكَ لم أُبْقِ عليك ؛ وهو يعلم أنه غالبُه ويتيقُنه تهكما به » [الكَشَّاف ، ١/ ٩٥ ـ ٩٦] .
- وقد تأتي « إِنْ » التي تفيد الشك في موضع الوجوب لإفادة معنى بلاغي يُستفاد من السياق ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى﴾ البقرة: ٣٨ ، « ... فإن قُلْت : فلم جيء بكلمة الشك (إِنْ + ما) وإتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه؟ قُلْت : للإيذان بأنَّ الإيمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب ، وأنه إِنْ لم يَبْعَثْ رسولا ولم يُنْزِلْ كتابًا كان الإيمان به وتوحيده واجبًا ؛ لما ركَّبَ فيهم من العقول ،

(١) وينظر أيضا كلام الزَّمَخْشَرِيّ عند قوله تعالى : ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ﴾ الزخرف: ٥، الكشاف : ٤/ ١٤٦



ونَصَبَ لهم من الأدلة ، ومكنهم من النظر والاستدلال » [الكَشَّاف ، ١/ ١٢٢] .

- قد يأتي بعدها « ما » لتؤكد معنى الشرط فيها ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ الأعراف: ٣٥

وقد تأتي « إنْ » **نافية مثل قوله ، ﴿وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ الزخرف: ٣٥**

(١٥) إنَّ :

قد تفيد « إِنَّ » مع دلالاتها على التأكيد معنى التحذير واستفظاع الحال ، والتهييج وإلهاب الثبات ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ **البقرة: ١٤٥**، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... المرتكبين الظلم الفاحش ، وفي ذلك لُطْفٌ للسامعين ، وزيادة تحذير ، واستفظاعٌ لحال من يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى ، وتهييجٌ وإلهابٌ للثبات على الحق » [الكَشَّاف ، ١/ ١٨٧] .

وقد تُكَرَّر عند أجزاء الجملة لزيادة التأكيد ، مثل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ الحج: ١٧

وقد تُفيدُ مع دلالاتها التوكيد التَّحَسُّر والتَّحَزُّن ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ آل عمران: ٣٦ ، « ... فإنْ قُلْت : فَلِمَ قالت : إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَى ؟ وما أرادتْ إلى هذا القول ؟ قُلْت : قَالَتْهُ تحسُّرًا على ما رأت من خيبة رجائِها ، وعكس تقديرها ، فَتَحَزَّنَتْ إلى ربِّها ؛ لأنها كانت ترجو وتُقَدِّرُ أن تلد ذكرًا ؛ ولذلك نذرته محررا للسدانة ، ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن » [الكَشَّاف ، ١/ ٣١٣] .

وقد تفيد التقرُّب والطلب ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ﴾ آل عمران: ٣٦ « ... فإن قُلْتَ: فَلِمَ ذكرت تسميتها مريم لربها ؟ قُلْت : لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة ؛ فأرادت بذلك التقرب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها، وأن يصدق فيها ظنها بها »[الكَشَّاف ، ١/ ٣١٤] .

وقد تفيد الوعيد ؛ مثل : ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ آل عمران: ٦٣[يُنْظَرُ أَيْضًا الكَشَّاف ، ١/ ٢٠٤ ، البقرة : ١٨٢] .

وقد تُفيد مع التوكيد الاستهزاء ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ الشعراء: ٢٧

فتح همزة إنَّ وكسرها :

قد يكون لفتح همزة إن وكسرها دلالة معنوية ، تثري المعنى ؛ مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ الأنفال: ٥٩، وَقَدْ قُرِأَتِ الآيَةُ : « أَنَّهُمْ لا يُعجِزون » ، قال الزمخشري: « كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل ؛ إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف ، والمفتوحة تعليل صريح » [الكَشَّاف ، ٢/]. [يُنْظَرُ أَيْضًا الكَشَّاف ، ١ / ٣٠٤ ، آل عمران ١٧، ١٨] .

(١٦) **أَنَّى** : لها استخدامان :

- اسم شرط جازم يجزم فعلين .
- أو اسم استفهام بمعنى « كيف » أو بمعنى « من أين » .

وأَنَّى الاستفهامية قد تفيد الإنكار والاستبعاد ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ البقرة: ٢٤٧، وإفادة الاستبعاد ؛ مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ آل عمران: ٤٠

وقد تفيد العجز والاستعظام ، مثل قوله تعالى : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ البقرة: ٢٥٩ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « اعترافٌ بالعجز عن معرفةِ طريقةِ الإحياء ، واستعظامٌ لقدرة المُحيي » [الكَشَّاف ، ١/ ٢٧٤] .

وقد تفيد التقرير والتقريع ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران: ١٦٥

وقد تفيد التعجب ، مثل : ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ المنافقون: ٤

(١٧) **إِنَّما** :

من المعاني البَلاغِيَّة لهذه الأداة :

أ- الحصر والقصر :

قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ الأنبياء: ١٠٨ : « ... « إنما » لقصر الحكم على شيء ، أو لقصر الشيء على حكم ، كقولك: « إنما زيد قائم ، وإنما يقوم زيد » . وقد اجتمع المثالان في هذه الآية ؛لأن « إِنَّما يُوحى إِلَيَّ » مع فاعله، بمنزلة : إنما يقوم زيد ، « وأَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ» بمنزلة : إنما زيد قائم. وفائدة اجتماعهما : الدلالة على أن الوحى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقصور على استئثار الله بالوحدانية » [الكَشَّاف ، ٣/ ٢٠٨] .

ب- أنها تفيد التوكيد ، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ المائدة: ٩٠ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « أكَّد تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد : منها تصدير الجُمْلَة بإِنَّما ، ومنها أنَّه قرنها بعبادة الأصنام ... » .

ت- البتِّ والقطع بالأمر :﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ الحجر: ١٥، « وقال « إنما » ليدل على أنهم يبتون القولَ ، بأن ذلك ليس إلا تسكيرًا للأبصار » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٥٤] .

(١٨) أَوْ :

قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قوله تعالى :﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ البقرة: ١٩ « أو في أصلها لتساوى شيئين فصاعدًا في الشك ، ثم اتُّسِعَ فيها؛ فاستعيرت للتساوى في غير الشك ، وذلك قولُك : « جالس الحسنَ أو ابنَ سيرين» ، تريد أنهما سِيَّان في استصواب أن يجالسا ، ومنه قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ الإنسان: ٢٤ ؛ أى : الآثمُ والكفور متساويان في وجوب عصيانهما ، فكذلك قوله: « أو كصيب » معناه أن كيفيةَ قصة المنافقين مشبِهةٌ لكيفيتى هاتين القصتين ، وأن القصتين سواءٌ في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل ، فبأيتهما مثلتها فأنت مصيبٌ ، وإن مثلتها بهما جميعا فكذلك » [الكَشَّاف ، ١/ ٧٨] .

وقد تفيد التعجيب ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ البقرة: ٢٥٩

وقد تأتي « أو » بمعنى « إلا أن » ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ آل عمران: ١٢٨ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « قيل : أو بمعنى إلا أن ، كقولك : لألزمنك أو تعطيني حقي ؛ على معنى : ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم » [الكَشَّاف ، ١/ ٣٦٣] .

(١٩) **أُولئكَ** :

والمعاني البَلاغِيَّة التي قَدْ تأتي فيها هذه الأداة :

١ـ قد تفيد التنبيه إذا تكررت ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة: ٥ ، « وفي تكرير « أولئك » تنبيه على أنهم كما ثَبَتَتْ لهم الأَثَرة بالهُدَى فهي ثابتة لهم بالفلاح » [الكَشَّاف ، ١/ ٤٦].

٢ـ وقد تفيد مع التنبيه الترغيب والحث والحض إذا تكررت ؛ قال الزَّمَخْشَرِيّ بعد تفسير الآيات من ١ـ ٥ من سورة البقرة : « ... فانظر كيف كرَّرَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ التنبيهَ على اختصاص المُتَّقين بنَيْل ما لا يناله أحدٌ على طرق شتى، وهي :

- ذكر اسم الإشارة، وتكريره .
- وتعريف المفلحين .
- وتوسيط الفصل (هم) بينه وبين أولئك ؛ ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا ؛ وينشطك لتقديم ما قدموا ، ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب ، والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته » [الكَشَّاف ، ١/ ٤٦] .

(٢٠) **أَيْ** :

لها معنيان : حرف نداء للقريب والبعيد ، وحرف تفسير للجملة وللمفرد .

وأي التي للنداء **تفيد ضربًا من التأكيد والتشديد** إذا أتت في التركيب الآتي : « أَيُّ + ها + الـ + اسم جنس » قال الزَّمَخْشَرِيّ : « وُصْلَةٌ إلى نداء ما فيه الألف واللام ... وهو اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه ، فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجرى مجراه ، يتصف بها حتى يضِح المقصود بالنداء ، فالذي يعملُ فيه حرف النداء هو « أي » ... وفي هذا التدرج من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد. وكلمة التنبيه (ها) المقحمة بين الصِّفَة وموصوفها لفائدتين: معاضدة حرف النداء

ومكانفته بتأكيد معناه ، ووقوعها عوضًا مما يستحقه « أي » من الإضافة . فإن قُلْت : لِمَ كَثُرَ في كتاب الله النداءُ على هذه الطريقة ما لم يكثُرْ في غيره ؟ قُلْت : **لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المُبَالَغَة** ؛ لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه ، وعظاته ، وزواجره ووعده ووعيده ، واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم ، وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمورٌ عظامٌ ، وخطوبٌ جسامٌ ، ومعانٍ عليهم أن يتيقظوا لها ، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها ، وهم عنها غافلون ؛ اقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ » [الكَشَّاف ، ١/ ٨٥] .

(٢١) **إيَّا** :

ضمير نصب منفصل يلحقه حرف للدلالة على المقصود منه . وهذا الضمير يفيد الاخْتِصَاص ، وتتوقف قوة الاخْتِصَاص بنوع الضَّمِير المتصل بها ، فهذه الأداة في قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ** ﴾ البقرة: ٤٠ أوكد في إفادة الاخْتِصَاص من ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ الفاتحة: ٥ [الكَشَّاف ، ١/ ١٢٣] .

(٢٢) **أين** :

اسم مبني على الفتح يكون : اسم استفهام مبنيا في محل نصب على الظرفية المكانية ، واسم شرط جازم يجزم فعلين .

قد تأتي أين الاستفهامية في سياق وتفيد التوبيخ والتهكم والتقريع ، مثل قوله : ﴿ **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** ﴾ الأنعام: ٢٢

وقد تُفيدُ أين التعبير عن الاستضلال ﴿ **فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ** ﴾ التكوير: ٢٦

(٢٣) **الباء** :

تأتي للقسم ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ الحجر: ٣٩ « الباء للقسم ، وما مصدرية ، وجواب القسم « لَأُزَيِّنَنَّ » والمعنى : أُقسمُ بإغوائك إياي لَأُزَيِّنَنَّ لهم » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٥٨]

وتأتي زائدة للتوكيد ، قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ **لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ** ﴾ المائدة: ٢٨ : « فإن قُلْت : لِمَ جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله: « لَئِنْ بَسَطْتَ... مَا أَنَا بِبَاسِطٍ » ؟ قُلْت : ليفيدَ أَنَّهُ لا يفعلُ ما يُكتَسَبُ به هذا الوصفُ الشنيعُ. ولذلك أكَّدَه بالباء المؤكِّدَة للنفي » [الكَشَّاف ، ٢/ ٢٣] ، [يُنْظَرُ أَيْضًا ، ١/ ١٩٩] . ومثاله أَيْضًا : ﴿ **وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** ﴾ مريم: ٢٥

وقد تأتي صلة للاستعانة ؛ مثل قوله : ﴿ **وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ** ﴾ البقرة: ٤٢



قد تأتي بمعنى مع ، مثل : ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ التوبة: ٢٥ ؛ أي : مع رُحبها .

وقد تتكرر ويفيد تكرارها التظاهر بالشيء مع ادعاء صحته واستحكاماته ، مثل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة: ٨ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « وفي تكرير الباء أنهم ادَّعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام » [الكَشَّاف ، ١/ ٥٥] .

(٢٤) بِئْسَ :

فعل ماض يفيد الذم جامد غير متصرف .

وقد يفيد هذا الفعل التعجيب ، مثل: ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ المائدة: ٧٩ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ عن مجئ هذا الفعل أنه أحيانًا يأتي : « للتعجيب من سوء فعلهم ، مؤكدًا لذلك بالقسم ، فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عن باب التناهى عن المناكير ، وقلة عبئهم به ، كأنه ليس من ملة الإسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٣] .

وقد تأتي في سياق يفيد التهكم ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ البقرة: ٩٣، فـ « إضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم » [الكَشَّاف ، ١/ ١٥٣] .

(٢٥) بَلْ :

هذا حرف له معنيان :

- حرف عطف تشرك الثاني مع الأول في إعرابه لا في حكمه إذا تلاها مفرد.
- حرف ابتداء يفيد الإضراب ، إذا تلتها جملة ، وتسمى حرف استئناف .

ومثال بل الإضرابية قوله تعالى : ﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الفتح: ١٥ **وقد يرتبط الإضراب مع هذا الحرف بالتعجيب** ، مثل : ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴾ الانشقاق: ٢٢ « ومعنى الإضراب أنَّ أمرهم أعجب من أمر أولئك ؛ لأنهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم ، ورأوا آثار هلاكهم ، ولم يعتبروا وكذبوا أشد من تكذيبهم» [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٧٣] .

(٢٦) بَلَى :



حرف جواب يقع بعد النفي ؛ فيجعله إثباتًا ، على خلاف نعم وأجل .

والمعنى البلاغي الذي قد تفيده هذه الأداة الإيجاز ، لأنها قَدْ تسد مسد الجُمْلَة المعبرة عنها ؛ مثل قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران: ٧٦ ، فقوله « من أوفى بعهده » : « جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سَدَّت « بلى » مسدَّها » [الكَشَّاف ، / ٣٣١]

وقد تأتي « بلى » جوابًا لغير منفي إذا كان يحمل معنى النفي ، مثل : ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا ﴾ الزمر: ٥٩، قال الزَّمَخْشَرِيّ: « كيف صحَّ أن تقع « بلى » جوابًا لغير منفي؟ قُلْت : « لو أن الله هداني » فيه معنى ما هديت » [الكَشَّاف٤/ ٦٢]

وبلى توجبُ ما بعد النفي ، مثل : ﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ القيامة: ٤ « بلى أوجبت ما بعد النفي وهو الجمع ، فكأنه قيل : بلى نجمعها » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٠٦] .

(٢٧) **بَيْنَ** : لفظ يقتضي شيئين فصاعدًا .

(٢٨) **التَّاءُ :**

تاء القسم قَدْ تتضمن معنى التعجب ، مثل : ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ يوسف: ٧٣ ، ومثل : ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ الأنبياء: ٥٧ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... فإن قُلْت : ما الفرق بين الباء والتاء؟ قُلْت : أن الباء هي الأصل، والتاء بدل من الواو المبدلة منها، وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب ، كأنه تعجب من تسهُّلِ الكيد على يده وتأتِّيه ؛ لأن ذلك كان أمرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ، ولعمري إن مثله صعب متعذر في كل زمان، خصوصا في زمن نمروذ مع عتوّه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصره دينه ولكن:

.... إذا الله سنّى عقد شيء تيسّرا » [الكَشَّاف ، ٣/ ١٩٤] .

وقد تفيد التاء في آخر الاسم المُبَالَغَة ، مثل التاء في قوله « خالصة » في قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ﴾ الأنعام: ١٣٩ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « وأَنَّثَ « خالصة » للحمل على المعنى ؛ لأن ما في معنى الأجنة ، ... ويجوز أن تكون التاء للمبالغة مثلها في رواية الشعر » [الكَشَّاف ، ٢/ ١٢٩] .

ومثل قوله تعالى :﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ النمل: ٧٥ ، فقد « سَمَّى الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية ... ويجوز أن يكونا صفتين ،

وتاؤهما للمبالغة ... كأنه قال : وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله وأحاط به » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٢٤] .

(٢٩) **تلك** :

قد تأتي للتعظيم والتفخيم ، مثل قوله تعالى : ﴿ **تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ** ﴾ القصص: ٨٣

(٣٠) **ثُمَّ** :

بضم الثاء وتشديد الميم تفيد التشريك بين المتعاطفين ـ لفظًا وحكمًا ـ والترتيب مع التراخي . والجوانب البلاغية لهذه الأداة :

١) ثم تُفيد **التراخي في الحال والمنزلة والرتبة** ، مثل : ﴿ **الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴾ هود: ١ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فإن قُلْت : ما معنى ثُمَّ؟ قُلْت : ليس معناها التراخي في الوقت ، ولكن التراخي في الحال ، كما تقول : هي محكمة أحسن الأحكام ، ثم مفصلة أحسن التفصيل. وفلان كريم الأصل ، ثم كريم الفعل » [الكَشَّاف ، ٢/ ٣٨٨] . ومثل قوله : ﴿ **ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟** ﴾ البلد: ١٧ ، فقد « جاء بثم لتراخي الإيمان ، وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا الوقت ؛ لأن الإيمان هو السابق المُقَدَّم على غيره ، ولا يثبت عمل صالح إلا به » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٩٦] .

وانظر تفسير الزمخشري لقوله : ﴿ **لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ** ﴾ الحج: ٣٣، وتفسير قوله : ﴿ **خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾ الزمر: ٦

٢) وقد تفيد ثم **الاستبعاد** ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ** ﴾ هود: ١١٣ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... « ثُمَّ » معناها الاستبعاد ؛ لأنَّ النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب ، واقتضاء حكمته له » [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٣٦] ومثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴾ النحل: ٨٣ وقوله : ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ** ﴾ الأنعام: ٢ ، وقوله : ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ** ﴾ البقرة: ٧٤

٣) وقد تفيد « ثُمَّ » **إظهار علو المنزلة** ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا** ﴾ النحل: ١٢٣ ، في « ثُمَّ » هذه ما فيها « من تعظيم منزلة رسول

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وإجلال محله ، والإيذان بأن أشرف ما أوتى خليل الله إبراهيم من الكرامة ، وأجل ما أولى من النعمة اتباعُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ملته، من قبَلِ أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي أثنى الله عليه بها » [الكَشَّاف ، ٢/ ٦٠٩ ـ ٦١٠] .

٤) وقد تأتي **لإظهار المَزِيَّة والفضل والتفاوت** ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿ **ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ** ﴾ البقرة: ٢٩، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... فإن قلت: ما فسَّرتَ به معنى الاستواء إلى السماء يناقضه « ثم » ؛ لإعطائه معنى التراخي والمهلة ؛ قلت: « ثم » هاهنا لما بين الخَلقين من التفاوت ، وفضل خلق السماوات على خلق الأرض ، لا للتراخي في الوقت » [الكَشَّاف ، ١/ ١١٧]
ومثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى** ﴾ **البقرة: ٢٦٢** ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ومعنى ثم إظهارُ التفاوت بين الإنفاق وترك المَنِّ والأذى ، وأن تركهما خير من نفس الإنفاق » [الكَشَّاف ، ١/ ٢٧٧] .

٥) وقد تأتي **لبيان التفاضل بين المعطوفات** ، مثل :﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝٤٥ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا** ﴾ الفرقان: ٤٥ – ٤٦

٦) وقد تأتي ثم **لبيان عظم الأمر** ، مثل : ﴿ **وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ** ﴾ الروم: ٢٥ فقد عطف « إذا دعاكم دعوة من الأرض » على قوله «قيام السماوات والأرض » بالأداة « ثُمَّ » « بيانًا لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله ، وهو أن يقول : يا أهل القبور ، قوموا ؛ فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر » [الكَشَّاف ، ٣/ ٥٠٧] .

٧) وقد تأتي ثم **للتعجيب** ، مثل : ﴿ **مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾ المائدة: ٧٥ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فإن قُلْت : ما معنى التراخي في قوله : « ثُمَّ انظُرْ » ؟ قُلْت : معناه ما بين العَجَبين ، يعنى أنَّه يبينُ لهم الآياتِ بيانًا عجيبًا ، وأَنَّ إعراضهم عنها أعجبُ منه » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٢] .

٨) وتأتي ثم **لدفع التَّوَهُّم** ، مثل :﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ** ﴾ الأحزاب: ٤٩ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... فإن قُلْت : ما فائدة ثُمَّ في قوله :



« ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ » ؟ قُلْت : فائدته نفي توهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها ، وهي قريبة العهد من النكاح وبين أن يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يُطلقها » [الكَشَّاف ، ٣/ ٥٧٤] .

٩) وقد **تأتي لإفادة المبالغة** ، مثل : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ التكاثر: ٣ – ٤ ، « ومعنى ثم الإشعار بأن الوعيد الثاني أبلغ من الأول وأشد » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٣٠] .

١٠) وقد **تأتي للتهديد وزيادة التهويل** ، مثل :﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ التكاثر: ٦ – ٧« وكرره معطوفًا بثم تغليظًا في التهديد وزيادة في التهويل» [الكَشَّاف ، ٤/ ٦٢٨] .

١١) وقد **تفيد استقرار المعطوف وثباته** ، مثل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ الحجرات: ١٥ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فإن قُلْت : ما معنى ثم هاهنا وهي التراخي، وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنا للإيمان ؛لأنه وصفٌ فيه ، لما بَيَّنْتُ من إفادةِ الإيمانِ معنى الثقةِ والطمأنينة التي حقيقتُها التيقن وانتفاءُ الريب؟ قُلْت : الجوابُ على طريقين : أحدهما : أنّ من وُجِدَ منه الإيمانُ ربما اعترضَه الشيطانُ أو بعضُ المضلين بعد ثلج الصدر ؛ فشكَّكَه ، وقذفَ في قلبه ما يَثْلِمُ يقينه ، أو نظر هو نظرًا غير سديد ، يسقط به على الشك ثم يستمرّ على ذلك راكبًا رأسه لا يطلب له مخرجا ، فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ، ونظيره قوله: « ثُمَّ اسْتَقامُوا » . والثاني : أنّ الإيقان وزوال الريب لما كان ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدّم الايمان ، تنبيهًا على مكانه ، وعُطفَ على الإيمان بكلمة التراخي إشعارا **باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا** » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٦٣] .

١٢) الدلالة على الزيادة في المبالغة والتأني والتأمل والتمهل ، وغيابها في وسط الكلام للإشارة أن الجملة الثانية مؤكدة ، مثل : ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴾ المدثر: ١٩ ، ٢٣ « فإن قلت: ما معنى ثُمَّ الداخلة في تكرير الدعاء؟ قلت : **الدلالة على أن الكرّة الثانية أبلغ من الأولى**. ... فإن قلت : ما معنى المتوسطة بين الأفعال التي بعدها؟ قلت : **الدلالة على أنه قد تأتى في التأمّل والتمهل** ، وكأنّ بين الأفعال المتناسقة تراخ وتباعد . فإن قلت : فلم قيل﴿ فَقَالَ إِنْ هَذَا ﴾ بالفاء بعد عطف ما قبله بثم؟ قلت: لأن الكلمة لما



خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث.فإن قلت: فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين؟ قلت: لأن الأخرى جرت من الأولى مجرى التوكيد من المؤكد » [الكَشَّاف ، ٤/ ٤٩٨] .

١٣) وقد تُكرر ثم ويكون لتكرارها إفادة بَلاغِيَّة تؤخذ من السياق ، مثل : ﴿ **ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ التكاثر: ٤ ، فـ « ثم دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد ؛ كما تقول للمنصوح : أقول لك ثم أقول لك لا تفعل » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦٢٨] .

(٣١) حَتَّى :

هذا الحرف له عدة معان : معنى الغاية ، معنى التعليل ، معنى إلا الاستثنائية.

ولهذا الحرف عدة استعمالات :

أ- حرف جر .

ب- حرف عطف بمنزلة الواو ، وتعطف مفردًا على مفرد ، وتشرك المعطوف مع المعطوف عليه لفظًا وحكمًا .

ت- حرف ابتداء غير عامل تُستأنَفُ الجمل بعدها .

وحتى الجارة التي تفيد الغاية تفيد معنى الحالية أو الاستقبال ، ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ** ﴾ البقرة: ٢١٤ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « قرئ : « حتى يقولَ » بالنصب على إضمار أَنْ ومعنى الاستقبال ؛ لأن « أَنْ » عَلَمٌ له ، وبالرفع على أنَّه في معنى الحال كقولك : شربت الإبلُ حتى يجئُ البعيرُ يجرُّ بطنه ، إلا أنها حالٌ ماضية محكية » [الكَشَّاف ، ١/ ٢٣٣] .

وتفيد أحيانًا **الغاية المضروبة** ، مثل : ﴿ **وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ** ﴾ الحجرات: ٥، فـ « إن قُلْت : هل من فرق بين « حَتَّى تَخْرُجَ » و« إلى أن تخرج » ؟ قُلْت : إنّ « حَتَّى » **مختصة بالغاية المضروبة** ؛ تقول : أكلتُ السمكةَ حتى رأسها ، ولو قُلْت : حتى نصفها، أو صدرها لم يجز، و« إلى » عامّة في كل غاية، فقد أفادت « حَتَّى » بوضعها أنّ خروج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم إليهم ـ غاية قد ضربت لصبرهم ، فما كان لهم أن يقطعوا أمرا دون الانتهاء إليه» [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٤٨] .

وقد تأتي « حتى » في سياق تُفيدُ فيه الرجاء ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ** ﴾ النور: ٣٣ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ﴿ **حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ** ﴾ **ترجية للمستعفين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى**، ليكون انتظار ذلك

وتأميله لطفا لهم في استعفافهم، وربطا على قلوبهم، وليظهر بذلك أن فضله أولى بالإعفاء وأدنى من الصلحاء » [الكَشَّاف ، ٣/ ٢٩١] .

وقال بعض البلاغيين عن « حتى » الابتدائية في معرض تحليله البَلاغِيّ لبعض القِراءَات القُرْآنِيَّة « وحتى الابتدائية هذه طالما نحس معها بمعنى الاستعظام والاستغراب ؛ لاستبعاد وقوع الفعل بعدها عقلا أو عادة ؛ وذلك للمبالغة »(١) .

(٣٢) حُروف الجَرِّ :

لحروف الجر ومعانيها دورٌ بلاغي ، وهذه الحروف هي :

(أ) مِن (٢) .

(١) د. أحمد سعد محمد : التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة ، ص ١٢٨

(٢) لذلك من المفيد أن نقدم موجزًا يضم أهم حروف الجر ومعانيها حتى تكون تحت ناظري الباحث ، وقد اعتمدنا في ذكر هذه المعاني على كتاب الأستاذ عباس حسن : النحو الوافي ، ج٢، ص ٤٥٥ ، وما بعدها .

ومن معاني حرف الجر « مِنْ » :

١ـ **التبعيض** : أن يكون ما قبلها في الغالب جزءًا من المجرور بها مع صحة حذفها ، ووضع كلمة بعض مكانها ، مثل : خذ من الدراهم .

٢ـ **بيان الجِنس** : وعلامتها أن يصح الإخبار بها بعدها عما قبلها ، مثل : تَخَيَّرِ الأصدقاء من الأوفياء .

٣ـ **ابتداء الغاية في الأمكنة كثيرًا ، وفي الأزمنة أحيانًا** ، مثل : جاءتني رسالة من فلان .

٤ـ **التوكيد** : ولا تكون معه إلا زائدة ، مثل : ما غاب من رجل .

٥ـ **أن تكون بمعنى كلمة: بدل** ، بحيث يصح أن تحل هذه الكلمة محلها ، مثل: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ التوبة: ٣٨

٦ـ **أن تكون دالة على الظرفية** ؛ أي: على أن شيئا يحويه آخر، نحو: ماذا أصلحت من حقلك، وغرست من جوانبه؟؛ أي: في حقلك ...

٧ـ **إفادة التعليل** ، فتدخل على اسم سببًا وعلة في إيجاد شيء آخر، نحو: لا تقوى العين على مواجهة قرص الشمس، من شدة ضوئها .

٨ـ **إفادة المجاوزة** ، فتدخل على الاسم للدلالة على البعد الحسي أو المعنوي نحو قوله تعالى: ﴿قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ الأنبياء: ٩٧ ؛ أي: عن هذا، بمعنى بعيدين عنه .

٩ـ **إفادة الاستعانة** ؛ فتدخل على الاسم للدلالة على أنه الأداة التي استخدمت في تنفيذ أمر



(ب) إلى[1] :

(ت) اللام[2] :

من الأمور؛ نحو: ينظر العدو إلى عدوه من عين ترمي بالشرر، أي: بعين ...

١٠- **إفادة الاستعلاء** ، فتدخل على الاسم للدلالة على أن شيئًا حسيًا أو معنويًا وقع فوقه؛ نحو: قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الأنبياء: ٧٧ ؛ أي: على القوم .

(١) ومن معاني حرف « إلى » :

١- **انتهاء الغاية مطلقًا** ؛ أي: سواء أكانت الغاية في زمان أم مكان؛ وسواء أكانت هي الآخر الحقيقي لما قبل إلى ، أم ليست الآخر الحقيقي، ولكنها متصلة به اتصالًا قريبًا أو بعيدًا ، وهذا المعنى أكثر استعمالات الحرف إلى؛ فمثال انتهاء الغاية الحقيقية الزمانية: نمت الليلة إلى طلوع النهار، ومثال انتهاء الغاية الزمانية المتصلة بالآخر اتصالًا قريبًا: نمت الليلة إلى سحرها، ومثال انتهاء الغاية الزمانية البعيدة من الآخر : نمت الليلة إلى نصفها أو ثلثها ، ومثال انتهاء الغاية المكانية الحقيقية: عبرت الطريق إلى الجانب الآخر محترسًا، ومثال انتهاء الغاية المكانية المتصلة بالآخر: قرأت الكتاب إلى خاتمته، ومثال انتهاء الغاية المكانية البعيدة من الآخر: قرأت الكتاب إلى ثلثه.

٢- **المصاحبة** ، ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ آل عمران: ٥٢

٣- **التبيين** ، مثل : احتمال المشقة أحب إلى النفس الكريمة من الاستعانة بلئيم الطبع، فما أبغض الاستعانة به إلى نفوس الأحرار!!

٤- **الاختصاص** ؛ أي : قصر شيء على آخر، وتخصيصه به ، مثل : الأب راعي الأسرة؛ وأمرها إليه ، والحاكم راعي المحكومين، وأمرهم إليه ... فليتق الله كل راع في رعيته.

٥- **الظرفية** ، مثل: سيجمع الله الولاة إلى يوم تشيب من هوله الولدان ؛ أي: في يوم.

٦- **البعضية** ، وهذا قليل في المسموع ، نحو: شرب العاطش فلم يرتو إلى الماء، أي: من الماء

(٢) ومن معاني حرف « اللام » :

حرف يجر الظاهر والمضمر، ويقع أصليًا وزائدًا ، ومن معانيه :

١- **انتهاء الغاية** ؛ أي : الدلالة على أن المعنى قبل اللام ينتهي، وينقطع بوصوله إلى الاسم المجرور بها، الداخل في ذلك المعنى مثل: صمت شهر رمضان لآخره ، وقرأت الكتاب لخاتمته ...

٢- **الملك**؛ وتقع بين ذاتين، الثانية منهما هي التي تملك حقيقة، نحو: المنزل لمحمود ، وهذا المعنى أكثر استعمالاتها.

٣- **شبه الملك**؛ وتقع: إما بين ذاتين، والثانية منها لا تملك ملكًا حقيقيًا؛ وإنما تختص بالأولى،



وتقتصر الأولى عليها، دون تملك حقيقي من إحداهما للأخرى؛ نحو: السرج للحصان ، المفتاح للباب ، الباب للبيت ، وإما قبلهما نحو: للصديق ولد نبيه، حيث تقدمت « اللام » على الذاتين ... ، وإما بين معنى وذات؛ نحو الحمد للأمهات، والشكر للوالدين ... وتسمى هذه اللام بصورها الثلاثة: لام الاستحقاق، أو: لام الاختصاص.

٤ـ **الدلالة** على التمليك؛ نحو: جعلت للمحتاج عطاء ثابتًا .

٥ـ **الدلالة على شبه التمليك** ؛ نحو: جعلت لك أعوانًا من أبنائك البررة، فالأعوان هنا بمنزلة الشيء المملوك، ولكنه ليس ملكًا حقيقيًا تقع عليه التصرفات المختلفة، وإنما يشبهه من بعض الوجوه دون بعض .

٦ـ **الدلالة على النسب**؛ نحو: لفلان أب يقول الحق، ويفعل الخير، أي: ينتسب فلان لأب .

٧ـ **التعدية المجردة** ؛ نحو: ما أحب العقلاء للصمت المحمود، وما أبغضهم للثرثرة.

٨ـ **التعليل** ؛ بأن يكون ما بعدها علة وسببًا فيما قبلها، نحو: الاكتساب ضروري، لدفع الفاقة وذل الحاجة.

٩ـ **التوكيد المحض**، وتكون في هذه الحالة زائدة زيادة محضة لتأكيد معنى الجملة كلها، لا معنى العامل وحده ، مثل قول الشاعر في الغزل:

أُرِيــدُ لِأَنْسَــى ذِكْرَهَــا فَكَــأَنَمَا ... تَمَثَّــلُ لِي لَــيْلَى بِكُــلِّ سَــبِيلِ

« **أريد** » متعد يحتاج للمفعول به، ومفعوله الذي يكمل المعنى هو المصدر المؤول بعد لام التعليل الجارة، والأصل: أريد أن أنسى، واللام زائدة بينهما.

١٠ـ**التقوية**، وهي التي تجيء لتقوية عامل ضعيف؛ مثل: ﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ يوسف: ٤٣

١١ـ**الدلالة على القسم والتعجب معًا**، بشرط أن تكون جملة القسم محذوفة، وأن يكون المقسم به هو لفظ الجلالة؛ كقولهم: لله! لا ينجو من الزمان حذر ، يقال هذا في عرض الحديث عن رجل حريص يتوقى أسباب الضرر جهد استطاعته، ولكنه بالرغم من ذلك يصاب.

١٢ـ **الدلالة على التعجب بغير قسم**، بشرط القرينة أيضًا؛ ويكون بعد النداء كثيرًا؛ نحو: يا للأصل وما به من روعة ، يا للكشف العلمي وما انتهى إليه.

١٣ـ**الدلالة على العاقبة المنتظرة** ؛ أي: على النتيجة المرتقبة، أو: الصيرورة ، نحو: سأتعلم للحياة السعيدة .

١٤ـ**الدلالة على التبليغ**؛ وهي الدالة على إيصال المعنى إلى الاسم المجرور بها؛ نحو: قابلت صديقك، ونقلت له ما تريد أن أنقله . وقد يسميها لذلك بعض النحاة لام التعدية ؛ يريد: إيصال المعنى وتبليغه .



(ث) حتى[1]:

١٥ـ**الدلالة على التبيين**؛ أي: إظهار أن الاسم المجرور بها هو في حكم المفعول به معنى، وما قبلها هو الفاعل في المعنى كذلك، بشرط أن تقع بعد اسم تفضيل أو فعل تعجب، مشتقين من لفظ يدل على الحب، أو البغض، وما بمعناهما؛ كالود، والكره، ونظائرهما ... ، نحو: السكون في المستشفى أحب للمرضى، وإطالة زمن الزيارة أبغض لنفوسهم .

١٦ـ **أن تكون بمعنى: بعد** ، كقولهم: كان الخليفة يقصد المسجد لأذان الفجر مباشرة، ويصلي الصبح بالناس إمامًا، ثم ينظر قضاياهم، ولا يغادر المسجد إلا للعصر، وقد فرغ من صلاته، ونظر شؤون رعيته ؛ أي: بعد أذان الفجر مباشرة، وبعد العصر.

١٧ـ**أن تكون بمعنى**: قبل ، كقولهم في التاريخ: كتبت رسالتي لليلة بقيت من رمضان، أي: قبل ليلة.

١٨ـ**أن تفيد الظرفية** ، نحو قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ **الأنبياء: ٤٧**

١٩ـ**أن تكون بمعنى: من البيانية** ، مثل قول الشاعر يخاطب عدوه:

لَنَا الفَضلُ فِي الـدُّنيا، وأَنْفُـكَ راغِـمٌ ... ونحـنُ لَكُـمْ، يـومَ القيامـةِ، أَفْضَـلُ

؛ أي: نحن أفضل منكم يوم القيامة.

٢٠ـ**أن تكون للمجاوزة** ، مثل: عن، كقول الشاعر:

كضـرَائِرِ الحَسْـناءِ قُلْـنَ لوَجْهِهـا ... حَسَـدًا وبَغْيـاً إِنَّـه لـدَمِيمُ

أي: عن وجهها .

٢١ـ**أن تكون لتوكيد النفي**، وهي الداخلة في ظاهر الأمر دون حقيقته على المُضَارِع المسبوق بكون منفي؛ وتسمى: لام الجحود ؛ لسبقها بالنفي دائمًا. نحو: ما كان الحق لينهزم، ولم يكن الباطل لينتصر.

٢٢ـأن **تكون بمعنى: مع** كقوله تعالى في اليتامى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ النساء: ٢ ، أي: مع أموالكم.

٢٣ـأن تكون بمعنى « عند » المفيدة للتوقيت؛ كقوله تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ **الحشر: ٢** ، أي: عند أول الحشر.

(١) حرف جر أصلي، وهو نوعان :

أ- نوع لا يجر إلا الاسم الظاهر الصريح ، ومعنى حتى في هذا النوع الدلالة على انتهاء الغاية ؛ ولهذا تسمى فيه: حتى الغائية ، نحو: تمتعت بأيام الراحة حتى آخرها، **والأكثر أن يكون الوصول إلى نهاية الغاية تدرجًا وتمهلًا، أي: دفعات لا دفعة واحدة**، والغالب



(ج) **الباء**(١) :

كذلك أن يجر الآخر من الأشياء، أو ما يتصل بالآخر مما يكون قبله مباشرة، نحو: شربت الكوب كله حتى الصبابة، وأتممت الصفحة حتى السطر الأخير.

ب- نوع لا يجر إلا المصدر المنسبك من« أن » المضمرة وجوبًا، وما دخلت عليه من الجملة المضارعية، وأشهر معاني هذا النوع ثلاثة: الدلالة على انتهاءالغاية، كالنوع السابق، أو الدلالة على التعليل، أو الدلالة على الاستثناء إن لم يصلح أحد المعنيين السابقين. نحو: أتقن عملك حتى تشتهر ، اجتنب الكسب الخبيث حتى تسلم ثروتك ، التاجر الحصيف يحرص على الأمانة حتى يزداد ربحه ... ، ولا يصح أن تكون في هذه الأمثلة لانتهاء الغاية؛ لأن انتهاء الغاية يقتضي انقطاع ما قبل « حتى » وانتهاءه بمجرد وقوع ما بعدها وحصوله، ولا يتحقق هذا في الأمثلة السالفة إلا بفساد المعنى؛ إذ ليس المراد أن يتقن المرء عمله حتى يشتهر؛ فإذا اشتهر ترك الإتقان ... ولا أن يجتنب الكسب الخبيث حتى تسلم ثروته، فإذا سلمت لا يجتنبه ... ، ولا أن يحرص على الأمانة حتى يزداد ربحه ، فإذا ازداد تركها، ليس المقصود شيئًا من هذا لفساده؛ فهي في تلك الأمثلة للتعليل.

ومثال الدلالة على انتهاء الغاية: أقرأُ الكتابَ النافع حتى تنتهي صفحاته ، يمتد الليل حتى يطلع الفجر ...

(١) حرف يجر الظاهر والمضمر، ويقع أصليًا وزائدًا ، ويؤدي عدة معان، أشهرها :

١ـ **الإلصاق حقيقة أو مجازًا**؛ نحو: أمسكت باللص، ومررت بالشرطي، فمعنى أمسكت به، قبضت على شيء من جسمه، أو مما يتصل به اتصالًا مباشرًا؛ كالثوب ونحوه، **وهو عند كثير من النحاة أبلغ من: أمسكت اللص؛ لأن معناه مع الباء ، المنع من الانصراف منعًا تامًا.**

ومن الإلصاق الحقيقي قول الشاعر:

سَقَى اللهُ أرضًا لو ظفرت بتربها ... كَحَّلْتُ بها من شدة الشوق أجفاني

ومعنى مررت بالشرطي: ألصقت مروري بمكان يتصل به ...

٢ـ **السببية أو التعليل بأن يكون ما بعدها سببًا وعلة فيما قبلها** ، نحو: كل امرئ يكافأ بعمله، ويعاقب بتقصيره ؛ أي: بسبب عمله، وبسبب تقصيره.

٣ـ **الاستعانة** : بأن يكون ما بعد الباء هو الآلة لحصول المعنى الذي قبلها نحو: سافرت بالطيارة رصدت الكوكب بالمنظار، وهذا المعنى هو والإلصاق أكثر معانيها استعمالًا.

٤ـ **الظرفية** ؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ آل عمران: ١٢٣ ، أي: في بدر.

٥ـ **التعدية، أو النقل**: وهي التي يستعان بها غالبًا في تعدية الفعل اللازم إلى مفعول به، كما تعديه



(ح) الواو والتاء[1] :

(خ) في[2] :

همزة النقل ، نحو: ذهبت بالمريض إلى الطبيب، بمعنى: أذهبته، وقعدت بفلان همته عن الطموح، بمعنى: أقعدته .

٦ـ أن تكون بمعنى كلمة بدل ، بحيث يصح إحلال هذه الكلمة محل « الباء » من غير أن يتغير المعنى ، مثل: ما يرضيني بعملي عمل آخر ، أرتضي بالملاكمة رياضة أخرى، أي: ما يرضيني بدل عملي عمل آخر، أرتضي بدل الملاكمة رياضة أخرى .

٧ـ **العوض** « **أو: المقابلة** » ؛ نحو: اشتريت الكتاب بعشرة دراهم، واشتراه أخي بأحد عشر ...

٨ـ **المصاحبة** ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ **هود: ٤٨** ، ونحو: سافر برعاية الله، وارجع بعنايته، أي: مع سلام مع رعاية الله مع عنايته.

٩ـ **التبعيض، أو: البعضية** ، بأن يكون الاسم المجرور بالباء بعضًا من شيء قبلها ، نحو قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ المطففين: ٢٨ أي: منها .

١٠ـ **المجاوزة** ؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ **الفرقان: ٥٩**، أي: عنه.

١١ـ**الاستعلاء** فترادف : على؛ كقولهم: من الناس من تأمنه بدينار فيخون الأمانة، ومنهم من تأمنه بقنطار من الذهب، فيصونه ويؤديه كاملًا، أي: على دينار، وعلى قنطار.

١٢ـ **أن تكون بمعنى:** « **إلى** » ، نحو قوله تعالى ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ **يوسف:** ١٠٠ ، بمعنى أحسن إلي.

١٣ـ **التوكيد** ؛ وهي الزائدة جوازًا في مواضع معينة ، مثل﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ النساء: **٧٩**

١٤ـ**الدلالة على القسم** ؛ وهذا من أكثر استعمالاتها، وهي الأصيلة فيه دون حروفه السابقة « اللام، الواو، التاء، من ... » ، وتشاركها في جواز حذفها مع بقاء الاسم المجرور بها على حاله؛ بشرط أن يكون هذا الاسم هو لفظ الجلالة « الله » ، نحو: أقسم بالله لأعاونن الضعيف، أو بالله لأعاونن الضعيف .

(١) حرفان أصليان للجر، ومعناهما القسم غير الاستعطافي ، ولا يصح أن يذكر معهما جملة القسم، وهما لا يجران إلا الاسم الظاهر، **والتاء تفيد مع القسم التعجب** ، ولا تجر من الأسماء الظاهرة إلا ثلاثة: « الله ـ رب ـ الرحمن » ، ومن الشذوذ أن تجر غير هذه الثلاثة.

ويجري على الحرفين السابقين ما يجري على كل حروف القسم من جواز الحذف مع بقاء المقسم به مجرورًا بشرط أن يكون هو لفظ الجلالة .

(٢) حرف يجر الظاهر والمضمر، والغالب فيه أن يكون أصليًا، وأشهر معانيه :



(د) على [1]:

١ـ **الظرفية حقيقة أو مجازًا**؛ نحو: المعادن متراكمة في جوف الأرض، والنفط حبيس في طبقاتها ، وهذا المعنى أكثر استعمالاته.

٢ـ **السببية** ؛ نحو: كان المحامي الشاب مغمورًا؛ فاشتهر في قضية خطيرة تجرد لها، وذاع اسمه فيها، أي: اشتهر بسبب قضيته ، وذاع اسمه بسببها .

٣ـ **المصاحبة** ؛ كقول أحد المؤرخين: كان الخليفة العباسي يتخير يومًا للراحة، ولقاء بطانته، ويدعو فيه الشاعر الذي يؤنسهم، فيستجيب فرحًا، ويسرع في الداخلين، فيستقبله الخليفة، قائلًا إلي في بطانتي؛ فلن يتم سرورنا إلا بك ؛ أي: يدعو معهم، يسرع مع الداخلين، مع بطانتي .

٤ـ **الاستعلاء**؛ نحو: غرد الطائر في الغصن، أي: على الغصن ، يصيح الغراب في المئذنة، أي : عليها .

٥ـ **المقايسة** ، **أو: الموازنة** ؛ نحوقوله تعالى : ﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِى ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ **التوبة: ٣٨** ؛ أي: بالنسبة للآخرة، وموازنته بمتاعها.

٦ـ **أن تكون بمعنى**: « **إلى** » **الغائية** ؛ نحو: دعوت الأحمق للسداد؛ فرد يده، في أذنيه، أي: إلى أذنيه، كي لا يسمع النصح ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِىٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ **إبراهيم: ٩**، كناية عن عدم الرد، وعن ترك الكلام .

٧ـ **أن تكون بمعنى** « **من** » **التبعيضية غالبًا**؛ نحو: أخذت في الأكل قدر ما أشار الطبيب، أي: من الأكل، « بعض الأكل ».

٨ـ **أن تكون بمعنى الباء التي للإلصاق** ؛ نحو: وقف الحارس في الباب، أي: ملاصقًا له ، ومثل قولهم: من لم يكن بصيرًا في ضرب المقاتل لم يكن آمنًا على حياته، أي: بضرب المقاتل.

(١) حرف جر أصلي يجر الظاهر والمضمر، وأشهر معانيه ثمانية :

١ـ **الاستعلاء** ؛ وهو أكثر معانيه استعمالًا، **ويدل على أن الاسم المجرور به قد وقع فوقه المعنى الذي قبل** « **على** » **وقوعًا حقيقيًا مباشرًا أو مجازيًا** ، فالحقيقي نحو: يعود السائحون إما على القطار، وإما على السيارات، أو على الطائرات، أو على البواخر، والمجازي نحو قوله تعالى : ﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ **البقرة: ٢٥٣** ، وقولهم: إن الدموع على الأحزان أعوان. وليس من الاستعلاء المجازي قولهم : توكلت على الله، واعتمدت عليه؛ لأن الله لا يعلو عليه شيء حقيقة أو مجازًا، وإنما هي بمعنى الاستناد له، والإضافة إليه ؛ أي: النسبة إليه ؛ تريد: أسندت توكلي واعتمادي إلى الله، وأضفتهما ؛ أي: نسبتهما إليه.

٢ـ **الظرفية** ؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٍ مِّنۡ أَهۡلِهَا﴾ **القصص: ١٥**، أي:



(ذ) عن[1] :

في حين غفلة

٣ـ **المجاوزة** ؛ نحو: إذا رَضِيَ عَلَيَّ الأبرار غضب الأشرار؛ أي: رضي عني.

٤ـ **التعليل**؛ نحو: اشكر المحسن على إحسانه، وكافئه على صنيعه ؛ أي: لإحسانه، ولصنيعه .

٥ـ **المصاحبة**؛ نحو: البر الحق أن تبذل المال على حبك له، وحاجتك إليه ؛ أي: مع حبك له ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ **الرعد: ٦** ، أي: مع ظلمهم .

٦ـ أن تكون بمعنى من، نحو قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ المطففين: ١ – ٢، أي: من الناس، ونحو قوله عليه السلام: « بني الإسلام على خمس » ؛ أي: من خمس مواد.

٧ـ **أن تكون بمعنى الباء** ؛ نحو: سمعت من الوالد نصحًا، وحقيق عليه أن يقول ما ينفع، أي: حقيق به، بمعنى جدير به.

٨ـ **الإضراب**، والمراد به هنا: إبعاد المعاني الفرعية التي تخطر على البال من كلام سابق، وإبطال ما يرد على النفس منها؛ فهو كالاستدراك المستفاد من كلمة « **لكن** » ، ومن أمثلته قولهم: « هفا الصديق فاحتملت هفوته ؛ على أن احتمالها مر أليم ، وجفا ، فقبلت جفوته ، على أن الرضا بها كالرضا بالطعنة المسددة ؛ كل نفس لها كارهة ... » ؛ فقد بين المتكلم أنه احتمل الهفوة، وقد يوحي هذا في النفس أن احتمالها سهل، وأنه راض بهذا الاحتمال، فأزال هذا الاحتمال بما ذكره من أن احتمالها مر وأليم، كذلك بين أنه قبل جفوة صديقه ، وهذا قد يشعر بأن قبولها كان عن رضا وارتياح؛ فأزال هذا الوهم، نافيًا له؛ مبينًا أن الرضا به بغيض إلى النفس بغض الطعنة القاتلة ، وكانت وسيلته للإبانة هي كلمة: « على » التي بمنزلة: « لكن ».

وقد تستعمل: « على » اسمًا بمعنى: « فوق » ويكثر هذا بعد وقوعها مجرورة بالحرف « من » ، فإنه لا يدخل إلا على الأسماء، نحو: تمر من على بلدنا الطائرات، أي: من فوق بلدنا ، فقد خرجت من حرفيتها، وصارت اسمًا بمعنى « فوق » ، كما نرى، وهذا قياسي كباقي استعمالاتها.

(١) حرف جر أصلي؛ يجر الظاهر والمضمر، وأشهر معانيه تسعة:

١ـ **المجاوزة** ، وهي أظهر معانيه، وأكثرها استعمالًا؛ نحو: جلوت عن بلد المظالم، ورغبت عن الإقامة فيه، أي: ابتعدت وتركت.

٢ـ **أن تكون بمعنى**: « **بعد** » ، كقولهم: دع المتكبر؛ فعن قليل يؤدبه زمانه، والمغرور؛ فعن قريب تكشفه أيامه، أي: بعد قليل، وبعد قريب ...



(ر) الكاف[1] :

٣ـ **الاستعلاء** ؛ فتكون بمعنى: « على » ، نحو: من يبخل بخدمة وطنه فإنما يسيء لنفسه بما يبخل عنها، ويمنع من إفادتها ؛ أي: بما يبخل عليها .

٤ـ التعليل ، أن يكون ما بعدها علة وسببًا فيما قبلها ، نحو: لم أحضر إليك إلا عن طلب منك، ولم أفارقك إلا عن ميعاد ينتظرني ؛ أي: بسبب طلب، وبسبب ميعاد.

٥ـ الظرفية؛ كقولهم: الزعيم لا يكون عن حمل الأعباء الثقال وانيًا، ولا عن بذل التضحيات مترددًا ؛ أي: في حمل ... وفي بذل.

٦ـ **الاستعانة** ؛ نحو: رميت عن القوس؛ أي: بالقوس، إذا كانت القوس أداة الرمي .

٧ـ **أن تكون بمعنى: بدل،** نحو قوله تعالى: **﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ البقرة: ٤٨**

٨ـ **أن تكون بمعنى:** « **من**» نحو قوله تعالى:﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ** ﴾ الشورى: ٢٥ ؛ أي: من عباده .

٩ـ **أن تكون بمعنى الباء،** نحو قوله تعالى:**﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ النجم: ٣** ، أي: بالهوى.

(١) حرف يجر الظاهر، ويقع أصليًا وزائدًا، وأظهر معانيه أربعة:

١ـ **التشبيه:** وهو بنوعيه الحسي والمعنوي أكثر معانيه تداولًا، ونحو: الذكاء كالكهرباء، كلاهما لا يدرك إلا بآثاره .

٢ـ **التعليل والسببية** ؛ كقوله تعالى: ﴿ **وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ** ﴾ **البقرة: ١٩٨** ؛ أي: بسبب هدايته لكم .

٣ـ **التوكيد ويختص بالزائدة؛** نحو قوله تعالى:﴿ **لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ**﴾ الشورى: ١١ ، أي: ليس شيء مثله.

٤ـ **الاستعلاء؛** كقولهم: كن كما أنت ، أي: على الحال التي أنت عليها. واستعمالها في هذا المعنى، والذي قبله قليل، ولكنه قياسي.

ومن الاستعمالات القياسية **أن تخرج « الكاف » عن الحرفية، لداع يوجب ذلك، فتصير اسمًا مبنيًا بمعنى: « مثل » ، يجري عليه ما يجرى على نظائره من الأسماء المبنية** ؛ كقولهم: لن ينفع في منع الإجرام كالعقوبات الرادعة ، وقولهم ما عاتب الحر الكريم كنفسه ، وقولهم:

وَمَا قَتَلَ الأَحْرارَ كَالعَفْوِ عَنْهُمُو ... ومَنْ لَكَ بالحرِّ الذي يحفظ اليدا؟!

؛ أي: مثل العقوبات ، مثل نفسه ، مثل العفو؛ فالكاف في الأمثلة السالفة اسم، لحاجة الجملة إلى فاعل، **فالكاف فاعل ، مبني على الفتح في محل رفع** . وقد تكون أحيانًا خبرًا لمبتدأ كقولهم: من حذرك كمن بشرك . وقد تكون مفعولًا به في نحو قول الشاعر:

ولمْ أَرَ كَالمعْرُوفِ ؛ أَمَّا مَذاقُه ... فَحُلْو ، وأما وجهه فجميل



ومن الملحوظات البَلاغِيَّة لحروف الجر :

وجود حرف الجر أو عدمه يترتب عليه بعض المعاني البَلاغِيَّة الدقيقة ، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الحجرات: ٥ ، فـ « أي فائدة في قولهم « إليهم » ؟ قُلْت : فيه أنه لو خرج ، ولم يكن خروجه إليهم ولأجلهم للزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أن خروجه إليهم » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٤٨] .

وتوظيف المعاني النحوية لحروف الجر يثرى معنى الآية ، مثل :

- ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ **الأحقاف: ٣٥** فـ « مِن » إذا أخذناها بمعنى التبعيض كان معنى الآية معنى معين ، وإذا أخذناها بمعنى البيان يكون هناك معنى آخر .
- وقوله ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ **سبأ: ٢٤** « فإن قُلْت : كيف خُولِفَ بين حرفي الجَرِّ الداخلين على الحق والضلال؟ قُلْت : لأنَّ صاحب الحق كأَنَّه مستعلٍ على فرسٍ جَوادٍ ، يُركِضُهُ حيث شاءَ ، والضالُّ كأَنَّه منغمسٌ في ظلامٍ مرتبك فيه لا يدري أنْ يتوجه » [الكَشَّاف ، ٣/ ٦٠٦ ، ٦٠٧] .
- وقوله ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ **الزمر: ٢٢** « فإن قُلْت : ما الفرق بين مِنْ وعَنْ في هذا؟ قُلْت : إذا قُلْت : « قسا قلبه من ذكر الله » ، فالمعنى ما ذكرت ، من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه ، وإذا قُلْت : عن ذكر الله، فالمعنى: غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه. ونظيره: سقاه من العيمة، أي من أجل عطشه، وسقاه عن العيمة ؛إذا أرواه حتى أبعده عن العطش » [الكَشَّاف ، ٤/ ٤٧] .
- وقوله ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ **النمل: ٦٦** ، فقد « جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه ؛ فلذلك عَدَّاه بـ « مِن » دون « عن » لأن الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٢٢] .

- قال الزَّمَخْشَرِيّ : « أي فرق بين : « سَمِعْتُ فلانًا يَتَحَدَّثُ » وبين « سَمِعْتُ إِلَيه يَتَحَدَّثُ » ، « سَمِعْتُ حَدِيثه » ، « سَمِعْتُ إلى حديثه »؟ قُلْت : المُعَدَّى بنفسه يُفِيدُ الإدراك ، والمُعَدَّى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك » [الكَشَّاف ، ٣/ ٦٧١]

وفي بعض الأحيان تفضل الآية حرف جر على آخر ، مثل تفضيل حرف الجر « إلى » على الحرف « اللام » في قوله تعالى :﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ **لقمان: ٢٩** ، « فإن قُلْت : « يجري لأجل مسمى » ، و « يجري إلى مسمى » أهو من تعاقب الحرفين ؟﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لقمان: ٢٩ ؛ قلت: كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن ، ولكن المعنيين ـ أعنى الانتهاء والاختصاص ـ كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض ؛ لأنّ قولك « يجرى إلى أجل مسمى » معناه: يبلغه وينتهى إليه. وقولك: يجرى لأجل مسمى: تريد يجرى لإدراك أجل مسمى، تجعل الجري مختصًّا بإدراك أجل مسمى . ألا ترى أن جرى الشمس مختص بآخر السنة، وجرى القمر مختص بآخر الشهر؟ فكلا المعنيين غير ناب به موضعه » [الكَشَّاف ، ٣/ ٥٣٠ ، ٥٣١] .

حرف الجر الزائد ـ ومنها بعض حروف الجر؛ كالباء ـ **فإنها تفيد توكيد المعنى فى الجملة كلها**؛ لأن زيادة الحرف تعتبَرُ بمنزلة إعادة الجملة كلها، وتفيد ما يفيده تكرارها بدونه ، سواء أكان الحرف الزائد فى أولها، أم في وسطها، أم في آخرها؛ مثل: بحسبك الأدب، وأصلها: حسبُك الأدب ؛ أي: يكفيك، أو: كافيك .

وبعض النحاة يسمي حروف الجر: حروف الإضافة ؛ لأنها تضيف إلى الأسماء معاني الأفعال وشبهها من كل ما تتعلق به تلك الحروف .

(٣٣) **حَقًّا** :

مصدرٌ مؤكِّد ؛ أي : حَقَّ ذلك حَقًّا . قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ النساء: ١٥١ : « ... وحَقًّا تأكيدٌ لمضمون الجملة ، كقولك : هو عبد الله حقا ؛ أي : حُقَّ ذلك حقًّا » [الكَشَّاف ، ١/ ٥٠٦] . وقال عند قَوْله تَعَالَى:﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ النساء: ١٢٢ : « مصدران (وعد الله ، حقًّا) الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكِّد لغيره » [الكَشَّاف ، ١/ ٤٩٢] .

(٣٤) **دون :**



قال الزَّمَخْشَرِيّ في دون : « أدنى مكان من الشيء ... واتُّسع فيه ؛ فاستُعمِلَ في كلِّ تجاوزِ حدٍّ إلى حدٍّ ، وتَخَطِّي حكم إلى حكم ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ٢٨ ؛ أي : لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين »[الكَشَّاف ، ١/ ٩٤] .

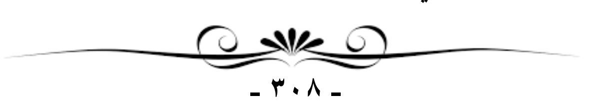
(٣٥) ذلك :

قد تفيد إذا كان المشار إليه قريبًا رفع المنزلة والمكانة وَالتَّعْظِيْم ، بأن اتخذت الدلالة على البعد الحسي ذريعة إلى الدلالة على بعد منزلته ورفعة محله ، مثال ذلك : ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ يوسف: ٣٢ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : «قالت : « فذلكن » ، ولم تقل « فهذا » وهو حاضر ، **رفعا لمنزلته في الحسن ، واستحقاق أن يحبَّ ويفتتن به ، ورباً بحاله واستبعادًا لمحله** »[الكَشَّاف ، ٢/ ٤٦٤] . ومثل قوله : ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ الأعراف: ٢٦ ، فـ« ذلك صفة للمبتدإ كأنه قيل : ولباس التقوى المشار إليه خير ، ولا تخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى »[الكَشَّاف ، ٢/ ١٥٠] . ويعلل البلاغيون إفادة ذلك التعظيم بـ« أنْ اتخذت الدلالة على البعد الحسي ذريعة إلى الدلالة على بُعد منزلته ورفعة محله »(١) .

وقد تفيد الإشارة إلى الكمال ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ ﴾ البقرة: ٢، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... ومعناه : أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل ، كأن ما عَداه من الكتب في مقابلته ناقصٌ ، وأنه الذي يستأهل أن يُسَمَّى كتابًا ، كما تقول : « هو الرجل » ؛ أي : الكاملُ في الرجولية ، الجامعُ لما يكونُ في الرجالِ من مُرضيات الخصالِ »[الكَشَّاف ، ١/ ٣٤] .

وقد تستخدم لاختصار الكلام ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ﴾ البقرة: ٦٨ ؛ قال الزَّمَخْشَرِيّ: « ... فإن قُلْت : كيف جاز أن يشار به إلى مؤنثين ، وإنما هو للإشارة إلى واحد مذكر؟ قُلْت : جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم ، للاختصار في الكلام ، كما جعلوا « فعل » نائبًا عن أفعال جمة تذكر قبله : تقول للرجل: « نعم ما فعلت » ، وَقَدْ

(١) د. أحمد سعد : التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة ، ص ١٥٢



ذكر لك أفعالا كثيرة وقصة طويلة، كما تقول له : « ما أحسن ذلك » . وَقَدْ يجرى الضَّمِير مجرى اسم الإشارة في هذا » [الكَشَّاف ، ١/ ١٤٠] .

ويجوز أن يكون ذلك بمعنى الذي ، وتتلوه صلته [الكَشَّاف ، ١/ ٣٢٣] .

(٣٦) الذي :

من المعاني البَلاغِيَّة للاسم الموصول مع صلته إفادة « المدح وَالتَّعْظِيْم » ، قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ **ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا** ﴾ **البقرة: ٢٢** : « الموصول مع صلته إما أن يكون في محل النصب ، وصفًا كـ « الذي خلقكم » ، **أو على المدح والتعظيم**. وإما أن يكون رفعًا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح » [الكَشَّاف ، ١/ ٨٨] . ومثل قوله : ﴿ **ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا** ﴾ طه: ٥٣ ، فـ : « ... « الذي جعل » مرفوع ، صفةٌ لـ « رَبِّي » ، أو خبر مبتدأ محذوفٍ ، أو منصوب على المدح ، وهذا من مظانِّه ومحازِّه » [الكَشَّاف ، ٣/ ١٤٩] .

وقد تأتي **في سياق وتفيد التوكيد** ﴿ **وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ** ﴾ المائدة: ٨٨ فـ : « ... « واتَّقُوا الله » تأكيدٌ للتوصية بما أمر به ، وزاده تأكيدًا بقوله « الذي أَنْتُم به مُؤْمِنون » لأن الإيمان به يوجبُ التقوى في الانتهاء إلى ما أمر به وعما نهى عنه » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٧] .

وقد تعبر « الذي » عن الجنسية ، مثل قوله : ﴿ **وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ** ﴾ الأحقاف: ١٧

ومن الملحوظات الطريفة التي ذكرها الإمام الزَّمَخْشَرِيّ أن « **صلة الذي والتي يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب** » [الكَشَّاف ، ١/ ٩٧] .

(٣٧) الَّذِيْنَ :

قد تفيد الذين معنى الاخْتِصَاص ، وزيادة تسليط الضوء والاهتمام على صلة الموصول ؛ مثل :﴿ **ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴾ **الأعراف: ٩٢**وقال الزَّمَخْشَرِيّ عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ **وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟** ﴾ الأنبياء: ٣: « أُبدلَ « الذين ظلموا » من واو « أسروا » إشعارًا بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أَسَرُّوا به » [الكَشَّاف ، ٣/ ١٧٧] .

وقد تأتي للتَّعْظِيْم وللتفصيل بعد الإجمال ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿ **فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟**



﴿وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ آل عمران: ١٩٥

وقد تتضمن الذين معنى الشرط ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ النساء: ٣٣

وقد يأتي هذا الاسم فيفيد في سياق ما « الذم » ، مثل قوله : ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ النساء: ١٣٨ – ١٣٩ ، فـ « الذين نصب على الذم » [الكشاف : ١/ ٥٠١] ، ومثل قوله : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ النساء: ١٤١، فـ « الذين يتربصون : إما بدل من الذين يتخذون ، وإما صفة للمنافقين ، أو نصب على الذم منهم » [الكشاف : ١/ ٥٠٢].

وقد تتكرر فيفيد تكرارها معنى بَلاغِيًّا خاصًّا بالسياق ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ البقرة: ٥٩ ، ففي « تكرير « الذين ظلموا » زيادة في تقبيح أمرهم ، وإيذان بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم » [الكَشَّاف ، ١/ ١٣٤] .

(٣٨) ربما :

تدخل على الماضي ، وربما دخلت على المُضَارِع **للتعبير عن تحقق الفعل ووقوعه** ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ الحجر: ٢، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فإن قلت: لم دخلت على المُضَارِع وَقَدْ أبوا دخولها إلا على الماضي؟ قلتُ: لأنَّ المترقَّبَ في إخبار الله تَعَالَى **بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه** ؛ فكأنه قيل : ربما وَدَّ . فإن قُلْت : متى تكون ودادتُهم؟ قُلْت : عند الموت ، أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ، وقيل: إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار، وهذا أَيْضًا باب من الودادة . فإن قلتَ: فما معنى التقليل؟ قُلْت : هو وارد على مذهب العرب في قولهم : لعلك ستندم على فعلك ! وربما ندم الإنسان على ما فعل، ولا يشكون في تندمه ، ولا يقصدون تقليله ، ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكًا فيه أو كان قليلا لحقَّ عليك ألا تفعل هذا الفعل ؛ لأن العقلاءَ يتحرَّزُون من التعرُّضِ للغمِّ المظنون ، كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه ، كما من الكثير ، وكذلك المعنى في الآية : لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة ، فبِالحَرِيِّ أن يسارعوا إليه ، فكيف وهم يودونه في كل ساعة » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٥١ ـ ٥٥٢] .

(٣٩) سوف :



هذا **الحرف يُفيدُ تأكيد وقوع ما يَحدُث بعده وتثبيته** ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ**﴾ النساء: ١٥٢ ، « معناه أن إيتاءَها كائِنٌ لا محالة وإن تأخَّر ، فالغرضُ به توكيدُ الوعدِ ، وتثبيته لا كونه متأخرًا » [الكَشَّاف ، ١/ ٥٠٦] .

وقد تأتي سوف في سياق يفيد الوعيد والإحاطة مع طول المدة ؛ مثل : ﴿ **إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَاۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا** ﴾ الفرقان: ٤٢ قال الزَّمَخْشَرِيّ : « وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدة الإمهال » [الكَشَّاف ، ٣/ ٣٣٢] .

(٤٠) السِّيْنُ :

المعنى البَلاغِيّ لهذه الحرف **حتمية وجود الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه والتوكيد** ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ** ﴾ التوبة: ٧١ ، « السين مفيدة وجود الرحمة لا محالةَ ، فهي تؤكد الوعدَ كما تؤكد الوعيد في قولك : سأنتقمُ منك يومًا ، تعني أنَّك لا تفوتني وإن تباطأ ذلك ، ونحوه : ﴿ **سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا** ﴾ مريم: ٩٦ و﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ** ﴾ الضحى: ٥ » [الكَشَّاف ، ٢/ ٣١٥] . ، ومثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ التوبة: ٩٩

وقد تدل على الرجاء القوي ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه سأفعل كذا ، وسيكون كذا ، مع تجويزه الخيبة » [الكَشَّاف ، ٣/ ٣٩٢] .

وقد تأتي مع الحرفين « لقد » ـ اللذين يُفيدانِ القسم ـ **وتفيد الوعيد** ، ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ** ﴾ آل عمران: ١٨١ ، فـ : « فإن قُلْت : كيف قال : « لَقَدْ سَمِعَ الله » ثم قال: « سَنَكْتُبُ » وهلا قيل: ولقد كتبنا؟ قلت: ذكر وجود السماع أولا مؤكدا بالقسم ثم قال:سنكتب على جهة الوعيد » [الكَشَّاف ، ١/ ٣٩٣] .

(٤١) سَاء :

قد تحمل معنى التعجب ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ** ﴾ المائدة: ٦٦ ومثل قوله :﴿ **إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ التوبة: ٩

(٤٢) سُبْحَانَ :

قد تأتي « للتعجب » ، مثل : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ النور: ١٦

(٤٣) **الضمير** :

» **العلاقة بين اسم الإشارة والضمير** : أسماء الإشارة تقرب من الضمائر ، وتجري مجراها ، فـ : « أسماء الإشارة تقرُبُ من الضمائر فيما يرجع إلى عَوْدِ الذِّكر » [الكَشَّاف ، ٢/ ١٥٠] . وقال عند قوله تعالى ﴿عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ النساء: ٤ « الضَّمِير في « منه » جار مجرى اسم الإشارة » [الكَشَّاف ، ١/ ٤١٢] .

» **الضمير المنفصل** : قَدْ يأتي الضَّمِير المنفصل في الجُمْلَة لإفادة التوكيد ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ الأعراف: ٢٧، ومثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ: « أكَّدَ عليهم أنَّه هو المنزِّل على القَطعِ والبتاتِ » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٥٣] .

وقد يفيد مع التوكيد الاختصاص ؛ مثل :

- قوله تَعَالَى : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ التوبة: ١٠٤
- وقوله تَعَالَى : ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ التوبة: ٤٠، « ففي هذه الآية تأكيد فضل كلمة الله في العُلُوِّ ، وأنَّها المختصة به دون سائر الكلم » [الكَشَّاف ، ٢/ ٣٠٠]

وقد يُفِيدُ ضمير الفصل مع التوكيد **الدلالة على أنَّ الواردَ بعده خبر لا صفة ، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون خبره** ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة: ٥ [الكَشَّاف ، ١/ ٤٦] .

وقد يأتي الضَّمِير المنفصل **توكيدًا للضمير المستتر** ، في مثل قوله : ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ **البقرة: ٣٥**

» **إقامة الاسم الظاهر مكان الضَّمِير** : دلالة هذا الأمر بحسب السياق ؛ فقد :

١) يدل هذا على **زيادة في التقبيح والدلالة على عظم الفعل** ، مثل : ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ الأعراف: ٨٦، فبدلا من أن تقول الآية : « وانظروا كيف كان عاقبتهم » ، قالت الآية : « وانظروا كيف

كان عاقبة المفسدين » .

٢) وقد **يُفيدُ الذَّم** ، مثل قوله تعالى﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾ الكهف: ٥١ ، فـ : « قوله :﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾ ؛ أي : أعوانًا ؛ فوضع المضلين موضع الضَّمِير ذمًّا لهم بالإضلال » [الكَشَّاف ، ٣/ ٧١] .

٣) وَقَدْ يدل **على تَمَكُّنِ المعنى الموجود في الاسم في صاحبه ولإبراز معنى « الاسم » وتسليط الضوء عليه ، ولفت الانتباه إليه ، وتقريره والتأكيد عليه ، أو التهويل والتفظيع ، أو الإقدام علي مضمون الاسم** :

أ- مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾ التوبة: ١٢ ، « وضع أئمة الكفر موضع ضميرهم (؛ أي : لم تَقُلْ الآية: فقاتلوهم) إشعارًا بأنهم ... أئمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه» [الكَشَّاف ، ٢/ ٢٨٢] .

ب- ومثل قوله : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ الأنبياء: ٤٥ ، فـ : « اللام في « الصُّمُّ » إشارة إلى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس ، والأصل لا « يسمعون إذا عما ينذرون » ؛ **فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم إذا أنذروا** » [الكَشَّاف ، ٣/ ١٩١] .

ت- وحلَّت كلمة « الظالمون » بدل الضَّمِير « هم » في قوله تعالى :﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ **مريم: ٣٨ « إشعارًا بأن لا ظلم أشدَّ من ظلمهم** حيثُ أغفلوا الاستماعَ والنظر حين يجدي عليهم » [الكَشَّاف ، ٣/ ١٠٥] .

ث- وفي قوله ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ﴾ غافر: ٤٩ ، « فإن قُلْت : هلا قيل الذين في النار لخزنتها ؟ قُلْت : لأن في ذكر جَهَنَّم تهويلا وتفظيعًا » [الكَشَّاف ، ٤/ ٩١] .

ج- وقوله ﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴾ الفرقان: ٨ « أراد بالظالمين إياهم بأعيانهم ، وَضَعَ الظاهر موضع الضمير ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا » [الكَشَّاف ، ٣/ ٣١٦] .

ح- وقوله ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ السجدة: ٢٢ ، « هلا قيل : إِنَّا منه منتقمون ؟ قُلْت : لما جعله أظلم كل ظالم ثم تَوَعَّد المجرمين عامَّة بالانتقام منهم ؛ فقد دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام ، ولو قاله بالضمير لم يَفِدْ هذه الفائدة » [الكَشَّاف ، ٣/ ٥٤١].

٤) وقد يفيد هذا النوع من التعبير إظهار الثناء والمدح ، **مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ** : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ **النحل: ١٢٦**، فـ : « فوضع الصابرون موضع الضَّمِير ثناءً من الله عليهم بأنهم صابرون على الشدائد » [الكَشَّاف ، ٢/ ٦١١] ؛ أي : فبدلا من أن يقول : هو خير لـ « كم » ، قال : هو خير لـ « الصابرين »

٥) وقد يفيد هذا التبديل التفخيم والتعظيم والتهويل ، مثل :

- ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ الحاقة: ١ – ٢ ، فـ « الأصل : الحاقة ما هي ؟ أي : أيُّ شيء هي ؟ تفخيمًا لشأنها ؛ وتعظيمًا لهولها ، فوضع المضمر ؛ لأنه أهول لها » [الكَشَّاف ، ٤/ ٤٥٢] .
- قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ الملك: ٣ فـ « وضع مكان الضمير قوله (خلق الرحمن) تعظيمًا لخلقهن ، وتنبيهًا على سبب سلامتهن من التفاوت ، وهو أنه خلقُ الرحمن ، وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب » [الكَشَّاف ، ٤/ ٤٣٣] .

٦) تكرير الفعل وتؤكيده ، ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ المائدة: ٧٣ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فإن قُلْت : فهلا قيل : « لَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيْم » ، قُلْت : في إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر[كما] في قوله: « لَقَدْ كَفَرَ الذِيْنَ قَالُوا » ، وفي البيان فائدة أخرى وهي الإعلام في تفسير الذين كفروا منهم أنهم بمكان من الكفر » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥١] .

٧) وقد أشار بعض البلاغيين إلى أن التعبير بلفظ الجلالة « الله » مكان ضميره العائد عليه قَدْ يفيد في بعض السياقات :

- إظهار لفظ الجلالة لتربية المهابة في نفوس السامعين .
- التنبيه على طلاقة قدرته .



بالإضافة إلى أنَّ التعبير بلفظ الجلالة الله نفسه يرشد إلى استحضار جميع عظمته[1] .

» **إقامة الاسم الموصول مقام الضَّمِير** :

يحل الاسم الموصول محل الضَّمِير وذلك لإلقاء الضوء والتركيز على مضمون جملة الصلة ، وإبراز المعنى البَلاغِيّ المستنبط من السياق . مثل قول تعالى : ﴿**مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ**﴾ القصص: ٨٤ ، فقوله تعالى « فَلا يُجْزَى الذين عَمَلُوا السَّيِّئات » = « يُجزَون » في الآية الكريمة ؛ « فوضع « فَلا يُجْزَى الذين عَمَلُوا السَّيِّئات » موضع الضَّمِير ؛ لأن في إسنادٍ عمل السيئة إليهم مكرَّر فضل تهجين لحالهم ، وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٧٠] .

» **إقامة الضَّمِير مقام الاسم** : وقد يحل الضمير محل الاسم لغرض بلاغي :

١ـ مثل التعبير **عن النباهة والاستغناء عن التنبيه** ، مثل قوله تعالى : ﴿**إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ**﴾ القدر: ١ ، فقد « عَظَّمَ القُرْآن من ثلاثة أوجه : أحدها أن أسند إنزاله إليه ، وجعله مختصًا به دون غيره ، والثاني : **أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر** ، شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه، والثالث: الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦١٦] .

٢ـ وقَدْ يفيد ذلك التفخيم والتهويل ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ: ﴿**خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ**﴾ البقرة: ١٦٢ : « ... وقيل : في النار ؛ إلا أنها أضمرت تفخيمًا لشأنها وتهويلا » [الكَشَّاف ، ١/ ١٩٣].

⇦ **التعبير بالمفرد عن المثنى** :

وَقَدْ يعبر بالضمير المفرد عن المثنى ، **للإشارة إلى اشتراك الاثنين في الفعل أو للتوكيد** ؛ مثل :

- قوله تعالى: ﴿**ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ**﴾ **الأنفال: ٢٤** ، قال الزمخشري « وَحَّدَ الضَّمِير في« دعاكم » ؛ لأنَّ استجابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كاستجابته ، وإنما يُذكَرُ أحدهما مع الآخر للتوكيد » .
- ومثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ** ﴾ **التوبة: ٦٢** فقد وَحَّدَ الضَّمِير (الهاء في يرضوه بدلا من يرضوهما) هنا « لأنه لا

(١) البِقاعي : نظم الدرر ، ٥/ ٢٠٢



تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكانا في حكم مَرْضِيٍّ واحد »[الكَشَّاف ، ٢/ ٣١٢] .

⇦ **عود الضَّمِير على متأخر لفظًا ورتبة :**

قد يعود الضَّمِير على متأخر لفظًا ورتبة ، وذلك« كضمير الشأن نحو : ﴿ **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ الإخلاص: ١ ، وكما إذا كان الضَّمِير مجرورًا بـ « رُبَّ » مفسرًا بتمييز ، نحو: ربَّه رجلا أكرمت ، وغير ذلك من المواضع ، والقصد من هذا هو التعظيم والتفخيم في الغالب »[1] .

⇦ **التعبير بالمثنى عن المفرد :**

لإفادة المُبَالَغَة في المعنى ، مثل قوله : ﴿ **وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ المائدة: ٦٤ ، ف : « فإن قُلْت : لِمَ ثُنِّيَتْ اليد في قوله تعالى: « بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ » وهي مفردة في : « يَدُ الله مَغْلُولَة » ؟ قُلْت : ليكون ردُّ قولهم وإنكارُه أبلغَ وأدلَّ على إثبات غاية السخاء له ، ونفى البخل عنه. وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطيه بيديه جميعًا فبُنِيَ المجازُ على ذلك »[الكَشَّاف ، ٢/ ٤٥] .

⇦ **التعبير بضمير الجمع عن المفرد :**

والغرض البَلاغِيّ **الممكن لذلك التعظيم** ، مثل قوله : ﴿ **فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ** ﴾ هود: ١٤ ، فـ : « فإن قُلْت : ما وجه جمع الخطاب بعد إفراده ، وهو قوله ﴿ **لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟** ﴾ ، بعد قوله « قل » ، قُلْت : ... يجوز أن يكون الجمعُ لتعظيم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ »[الكَشَّاف ، ٢/ ٣٩٣] .

⇦ **تكرار الضَّمِير :**

والغرض البَلاغِيّ الممكن لذلك إفادة التوكيد والاختصاص بما بعد الضمير ، مثل :

أ- قوله تَعَالَى : ﴿ **وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ** ﴾ هود: ١٩ ، « هم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به »[الكَشَّاف ، ٢/ ٣٩٥] .

---

(١) فاضل السامرائي: معاني النَّحْو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١(٢٠٠٠م) ، ٦٢/١



ب- ومثل : ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ الروم: ٧ « ... « هُمْ » الثانية يجوز أن يكون مبتدأ ، و« غافِلُونَ » خبره، والجملة خبر « هُمْ » الأولى ، وأن يكون تكريرا للأولى ، و« غافِلُونَ » خبر الأولى. وأية كانت **فذكرها منادٍ على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرّها ومَعْلمها، وأنها منهم تنبع وإليهم ترجع** » [الكَشَّاف ، ٣/ ٥٠٠] .

ت- قوله تَعَالَى : ﴿ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡ ﴾ يونس: ٢٨ ، « أنتم ، أكَّدَ به الضَّمِير في مكانكم لسده مسد الزموا » [الكَشَّاف ، ٢/ ٣٥٩] .

وفي بعض الأحيان قَدْ يأتي تكرار الضَّمِير لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة مثل: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ القصص: ٣٠ [الكَشَّاف ، ٣/ ١٣٧]

⇦ **الإضمار قبل الذكر :**

يجوز الإضمار وإن لم يَسبق الذكر ؛ **لأن الكلام يدل عليه** ، ولا يلتبس على السامع . والغرض البَلاغِيّ **لهذا الأمر التفخيم** ، أو لكونه معلومًا ، مثل قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ ﴾ يونس: ٦١ ، « الضَّمِير في « منه » للشأن ... أو للتنزيل ؛ كأنه قيل : وما تتلو من التنزيل من قرآن ؛ لأن كل جزء منه قرآن ، والإضمار قبل الذكر تفخيم له » [الكَشَّاف ، ٢/ ٣٧٠] .

ومثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴾ هود: ١٠٥ ، فـ : « الضَّمِير في « فمنهم » لأهل الموقف ، ولم يذكروا ؛ لأن ذلك معلومٌ » [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٣١] . وقال عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ ﴾ البقرة: ٩٧: « الضَّمِير في « نَزَّلَهُ » للقرآن ، ونحو هذا الإضمار ـ أعني إضمار ما لم يُسْبَقْ ذكره ـ **فيه فخامة لشأن صاحبه ، حيث يُجْعَلُ لفرط شهرته ، وكأنه يدل على نفسه** ، ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته » [الكَشَّاف ، ١/ ١٥٦ ، وينظَر أَيْضًا ١/ ١٨٧ عند تفسير البقرة ١٤٧ ، ٤/ ٤٦٣ عند تفسير المعارج ١٥] .

وقد يعود الضمير على غير مذكور ويُوضَّح بتمييز يأتي بعده أو حال ، مثل : ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ ﴾ **الأحقاف: ٢٤** فالضمير في « رأوه » فيه وجهان « أن يرجع إلى « ما تَعدنا » ، وأن يكون مبهمًا قد وُضِّحَ أَمْرُه بقوله « عارضًا » إما تمييزًا وإما حالا وهذا الوجه أعرب وأفصح» [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٠٤] .

⇦ **حذف مرجع الضَّمِير تمامًا إن دل عليه السياق :**

من الممكن أن يُحذف المرجع الذي يعود عليه الضَّمِير إن دل عليه السياق ، قال الزَّمَخْشَرِيّ في قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ **يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾ البقرة: ١٩ : « وجاز رجوع الضَّمِير في « يجعلون » إلى أصحاب الصيب مع كونه محذوفًا قائمًا مقامه الصيب ... ؛ لأن المحذوف باق معناه وإن سقط لفظه » [الكَشَّاف ، ١/ ٨٠] .

وقد يكون الغرض البَلاغِيّ لهذا الحذف إثارة الانتباه ، وزيادة التركيز الذهني لمضمون الكلام ، وتسليط الضوء عليه ، بالإضافة إلى ما في الحذف من اختصار وإيجاز.

» **العلاقة بين الضَّمِير واسم الإشارة :**

الضمير قَدْ يجري مجرى اسم الإشارة ، مثل : ﴿ **نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ** ﴾ يوسف: ٣٦ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « والضمير يجرى مجرى اسم الإشارة في نحوه ، كأنه قيل : نبئنا بتأويل ذلك » [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٦٧] .

» **الضمير للتعظيم والإجلال :**

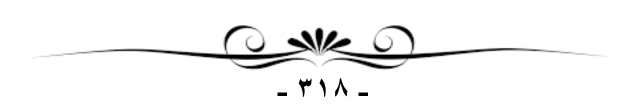
قد يأتي الضَّمِير تعظيمًا ، ﴿ **قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا** ﴾ آل عمران: ٨٤ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ويجوز أن يُؤمَر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالا من الله لقدر نَبِيَّه » [الكَشَّاف ، ١/ ٣٣٦] .

» **إفادة الضَّمِير الخصوصية** ، مثل : ﴿ **أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ** ﴾ الأنبياء: ٢١ ، فـ : « النكتة فيه (؛ أي : هم) إفادة الخصوصية ؛ كأنه قيل : أم اتخذوا آلهة لا تقدر على الإنشار إلا هم وحدهم » [الكَشَّاف ، ٣/ ١٨٣]

» **التوكيد بالضمير :**

يمكن التوكيد بالضمير لغرض بلاغي يخدم السياق قال تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا** ﴾ الإنسان: ٢٣ « تكرير الضمير بعد إيقاعه اسما لإنّه تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل؛ ليتقرّر في نفس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أى وجه نزل إلا حكمة وصوابا » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٢٠] .

⇦ **الالتفات وأغراضه البَلاغِيَّة :**



من الأمور البَلاغِيَّة التي تتعلق بالضمائر ونرى لها وجهًا أن تُذكر هنا أمر الالتفات . والتعريف الدقيق لهذا الأسلوب بعد استقرار البلاغة هو « العدول عن الغَيبة إلى الخطاب أو على العكس »(١) .

وقد توسع ابن الأثير في أسلوب الالتفات وذكر له أقسامًا(٢) :

- الأول : الرجوع من الغَيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة .
- ثانيًا: الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر ، وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر
- ثالثًا : الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي .

وفيما يَخُصُّ القيمة البَلاغِيَّة لأسلوب الالتفات نجد أن بعض البلاغيين يميلون إلى إعطائه قيمة بَلاغِيَّة ثابته تلازمه بالإضافة إلى بعض المعاني البَلاغِيَّة التي يقتضيها السياق ، فيقولون إن « الكلام إذا نُقِلَ من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع ، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحدٍ ، وَقَدْ تختص مواقعه بفوائد » [الكَشَّاف ، ١/ ١١] .

ويشارك علماء القِراءَات في إرساء القيمة البَلاغِيَّة المشتركة للالتفات ؛ فيشيرون إلى أن « حديث المواجهة والإقبال على المخاطب وحديث النفس هو الشائع في القِراءَات ؛ **وما ذلك إلا لاستحضار الذات الفاعلة ، وجذب المتلقين ، ولفت انتباههم إلى تأمل المعاني التي تتعلق بها مواضع العدول ، والتفكير في الأغراض التي تنعقد عليها ؛ ترغيبًا وترهيبًا في مقامات الوعد والوعيد . فعنصر التنبيه في الالتفات عنصر أصيل يحصل من التحول والعدول عن مقتضى الظاهر ، وفي هذا العدول يكمن السر ، وإليه يكون القصد حين التفكير فيه للنفاذ إلى مغزاه ، الأمر الذي يؤكد عندنا وجاهة مذهب الزَّمَخْشَرِيّ (ت : ٥٣٨هـ) والبلاغيين حين ذهبوا إلى أنَّ لكل موضع من مواضع الإلتفات فوائد تختص به** ، وأنَّ له فائدته العامة التي تحكم حركة التعبير به من التطرية لنشاط السامع وإيقاظ إصغائه إلى الكلام »(٣) .

ومن الفوائد البَلاغِيَّة للالتفات حسب سياق الآية التي جاء فيها :

(١) د. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البَلاغِيَّة وتطورها ، ١/ ٢٩٨ ، وقد تقل د. أحمد هذا التعريف عن الإمام الرازي .

(٢) السابق ، ١/ ٢٩٨ وما بعدها .

(٣) د. أحمد سعد : التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة ، ص ٣٤٢



⇦ **التوكيد** ، مثل قوله تعالى :﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ** ﴾ محمد: ٢٢ فقد « نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات ؛ ليكون أبلغ في التوكيد »[الكَشَّاف ، ٤/ ٢١٩] . ومثل قوله تعالى :﴿ **أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا** ﴾ النمل: ٦٠ ، « ... فإن قُلْت : أى نكتة في نقل الإخبار عن الغيبة إلى التكلم عن ذاته في قوله « فأنبتنا »؟ قُلْت : تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والإيذان بأنّ إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد ، لا يقدر عليه إلا هو وحده » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤١٨ ، ٤١٩] .

⇦ **المُبَالَغَة** ، قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ** ﴾ يونس: ٢٢: « ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة ؟ قُلْت : المُبَالَغَة ، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبِّهم منها ، ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح» [الكَشَّاف ، ٢/ ٣٥٦] .وقال عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ:﴿ **وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾ النحل: ٥١ ، « نقل للكلام عن الغيبة إلى التكلم ، وجاز لأن الغائب هو المتكلِّمُ ، وهو من طريقة الالتفاتِ ، وهو أبلغُ في الترهيب من قوله : وإياهُ فارهبوه ، ومن أن يجيءَ ما قبله على لفظ المتكلم »[الكَشَّاف ، ٢/ ٥٨٥، يُنْظَرُ أيضًا، ١/ ٣٩٢ ، آل عمران ١٨٠ ، وأيضا : النور ٥٤، ٣/ ٣٠٢] ، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا** ﴾ النبأ: ٣٠ ، « مجيئها على طريقة الالتفات شاهدًا على أنَّ الغضب قد تبالغ »[الكَشَّاف ، ٤/ ٥٣٥] .

⇦ ومن الفوائد البَلاغِيَّة للالتفات **الافتنان والتخصيص وإظهار المقدرة وطلاقتها** ففي قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ** ﴾ **طه: ٥٣** ، نجد أن قوله « فأخرجنا » : « انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع ، لما ذكرتُ من الافتنان والإيذان بأنه مطاعٌ تنقاد الأشياء المختلفة لأمره، وتذعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته ، لا يمتنع شيء على إرادته. ومثله قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ الأنعام: ٩٩ ، ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا** ﴾ فاطر: ٢٧ ، ﴿ **أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ**

﴿ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٍ ﴾ النمل: ٦٠ ، وفيه تخصيصٌ أَيْضًا بأَنَّا نحن نقدِر على مثل هذا ، ولا يدخل تحتَ قدرةِ أحد » [الكَشَّاف ، ٣/ ١٤٩] .

⇦ **التهديد والتحذير** ، مثل قوله ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴾ العلق: ٨ ، « واقع على طريقة الالتفات إلى الإنسان تهديدًا له وتحذيرًا من عاقبة الطغيان » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦١٣]

ويشير الإمام الزَّمَخْشَرِيّ إلى أنَّ تغليب « المخاطبة » على « الغيبة » في أسلوب الالتفات له غرض بلاغي وهو **قوة الرسوخ** . قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قوله تعالى : ﴿ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ تَجۡهَلُونَ ﴾ النمل: ٥٥ « اجتمعت الغيبة والمخاطبة ؛ فغلبت المخاطبة ؛ لأنها أقوى وأرسخ أصلا من الغيبة » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤١٦] .

(٤٤) طفق :

طفق يفعلُ كذا ، وهي للشروع في أول الأمر ، و« كاد » لمشارفته ، والدنو منه [الكَشَّاف ، ٣/ ١٧١] .

(٤٥) ظَلَّ :

بمعنى صار ، قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ النحل: ٥٨: « كما يستعمل بات وأصبح وأمسى بمعنى الصيرورة. ويجوز أن يجيء ظل ؛ لأن أكثر الوضع يتفق بالليل ، فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٨٧] .

(٤٦) ظَنَّ :

قد تأتي بمعنى يتيقن ، مثل : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ ﴾ البقرة: ٤٦ ، ومثل قوله ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴾ الحاقة: ٢٠. « ظننتُ : علمتُ ، وإنما أجري الظن مجرى العلم ؛ لأن الظن الغالبَ يقوم مُقامَ العلمِ في العبادات والأحكام » [الكَشَّاف ، ٤/ ٤٥٦] .

(٤٧) عَسَى :

فعل ماض من أفعال الرجاء ، مبني على فتح مقدَّر ، ومعناه ترجي وقوع **الخبر في الأمر المحبوب ، والإشفاق من وقوعه في المكروه .**

ومن معانيها البلاغية :



- **تفيد التبعيد** ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ التوبة: ١٨ ، « تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء ، وحسم لأطماعهم من الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها» [الكَشَّاف٢/ ٢٨٦]
- **وتفيد الإطماع وتحقق الوجود** ؛ مثل قَوْله تَعَالَى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ النساء: ٩٩
- **وقد تأتي للتعليم** ، مثل : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ التحريم: ٨ « عَسى رَبُّكُمْ : إطماع من الله لعباده ، وفيه وجهان : أحدهما أن يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الإجابة بعسى ولعل. ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت . **والثاني أن يجيء به تعليما العباد وجوب الترجُّح بين الخوف والرجاء** » [الكَشَّاف ، ٤/ ٤٢٦] .

ومن الإشارات اللطيفة للزمخشري عن عَسَى وغيرها قوله : « وعسى ولعل وسوف ـ في وعد الملوك ووعيدهم ـ يدلُّ على صدق الأمر وجدِّه ، وما لا مجال للشكّ بعده ، وإنما يعنون بذلك إظهار وقارهم ، وأنهم لا يعجلون بالانتقام ، لإدلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم أنّ عدوَّهم لا يفوتهم ، وأن الرَّمزة إلى الأغراض كافية من جهتهم ، فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٢٤] .

وقوله عند قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ القصص: ٦٧ : « عَسَى من الكرام تحقيق » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٦٣] .

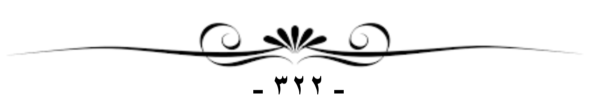
(٤٨) **عَلَى** (١) :

من المعاني التي ذكرها النحاة لهذا الحرف « الاستعلاء » وَقَدْ يدل هذا المعنى ـ عند تفاعله مع السياق ـ على « **التَّمَكُّن والاستقرار والتَّمَسُّك** » ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ البقرة: ٥ ، فـ : « معنى الاستعلاء في قوله « على هدًى » مثل لتمكنهم من الهدى ، واستقرارهم عليه ، وتمسكهم به ، شُبِّهَت حالهُم بحال من اعتلى الشيء وركبه » [الكَشَّاف ، ١/ ٤٥] .

وقد تأتي « على » **للتعبير عن الضرر والخروج عن المألوف** ، مثل : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ المطففين:٢« لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان مِن للدلالة على ذلك » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٥٩] .

---

(١) ينظر معاني هذا الحرف في عنوان حروف الجر .



وقد تتكرر « على » ويُفيدُ تكرارها « تأكيد الفعل ، وتأكيد المُسَيطِرِ سيطرته على المسيطر عليه » ، مثل قوله : ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ﴾ البقرة: ٧: « فإن قلت أيُّ فائدة في تكرير الجار في قوله « وعلى سمعهم » ؟ قُلْت :لو لم يكرر لكان انتظامًا للقلوب والأسماع في تعدية واحدة ، وحين استجدَّ للأسماع تعدية على حدة ، كان أدلَّ على شدة الختم في الموضوعين » [الكَشَّاف ، ١/ ٥٢] .

(٤٩) عَلِمَ :

فعل ماض ناسخ من أخوات ظن تفيد اليقين ، وهذا الفعل **يُفيدُ الإحاطة بالمفعول الثاني** ، ففي قولنا : « عَلِمتُ زيدًا فاضلًا » الغرض فيه « ذكر إحاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه ؛ لأنه كان معلومًا له قديمًا ؛ كأنه قيل : علمتُ فضل زيد ، ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله » [الكَشَّاف ، ١/ ٥٧] .

(٥٠) عِنْدَ : ظرف مكان للأعيان والمعاني منصوب على الظرفية أو مجرور بمن فقط .

ومن المعاني البلاغية التي تفيدها **الاختصاص** ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ **آل عمران: ١٩٥**، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « وعنده مثل : أن يختص به وبقدرته وفضله ، لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه، كما يقول الرجل: عندي ما تريد، يريد اختصاصه به وبملكه وإن لم يكن بحضرته » [الكَشَّاف ، ١/ ٤٠٢] .

(٥١) غَيْر :

لها ثلاث معان : كلمة تدل على المغايرة ، وعلى مخالفة ما بعدها لحقيقة ما قبلها أو لوصف عارض له ، وتكون بمعنى إلا في الدلالة على الاستثناء ، وتكون بمعنى لا؛ فتنصب على الحال .

ومن معانيها البلاغية التوكيد ، مثل : ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ﴾ ق: ٣١ ، فـ « غير » في الآية « معناه التوكيد ، كما تقول : هو قريبٌ غير بعيد ، وعزيز غير ذليل » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٧٣] .

(٥٢) الفاء :

لهذا الحرف عدة استخدامات :

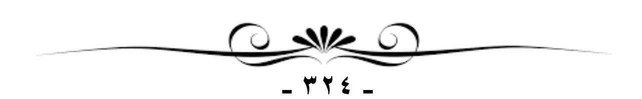
م	الاستخدام	ملحوظات
١ـ	**حرف العطف**	ـ تشرك المعطوف مع المعطوف عليه لفظًا وحكمًا . ـ تفيد الترتيب والتعقيب .



٢ـ	سَبَبِيَّة	ـ وهي التي يكون ما قبلها سببا لما بعدها . ـ ينصب الفعل المُضَارِع بعدها بشروط .
٣ـ	الربط	ـ تقع في جواب الشرط بشروط .
٤ـ	الاستئناف	حيث يتم معنى الكلام ، ويراد أن يبتدأ معنى جديد .
٥ـ	زائدة	ـ مع إذا الفجائية ، وأجاز بعض النحاة زيادتها في كل موضع يكون دخولها فيه كخروجها منه .
٦ـ	فاء التزيين	ـ وتدخل على قط ، وحسب ، صاعدًا .
٧ـ	التفريع	....
٨ـ	الفصيحة	ـ وهي ما عطفت على مُقَدَّر ، مثل قوله :﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ الحجرات: ١٢
٩ـ	التوكيد	ـ تقع عادة قبل قسم .

ومن المعاني البلاغية التي قد تفيدها الفاء العاطفة :

- **الدلالة على ترتُّب شدة الأمر** ، مثل قوله تعالى : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴾ الشعراء: ٢٠١ – ٢٠٣ ، فـ « ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النَّظْرة فيه في الوجود ، وإنما المعنى ترتبها في الشدّة ، كأنه قيل : لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشدّ منها وهو لحوقه بهم مفاجأة ، فما هو أشدّ منه وهو سؤالهم النظرة ، ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه : إن أسأت مقتك الصالحون ؛ فمقتك الله ، فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أنّ مقت الله يوجد عُقيبَ مقتِ الصالحين ، وإنما قصدك إلى ترتيب شدّة الأمر على المسيء ، وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين ، فما هو أشدّ من مقتهم ، وهو مقت الله، وترى ثمّ يقع في هذا الأسلوب فيحل موقعه » [الكَشَّاف ، ٣/ ٣٨٢] .
- وقد تأتي الفاء العاطفة **لإفادة التعجب والإنكار** مثل :﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ القصص: ٦١ ، ف : « فإن قُلْت : فَسِّرْ لي الفاءين وثُمَّ ، وأخبرنى عن مواقعها. قُلْت : قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتها ، ثم عقبه بقوله« أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ »



على معنى: أَبَعْد هذا التفاوت الظاهر يسوّى بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا؟! فهذا معنى الفاء الأولى وبيان موقعها ، وأمّا الثانية فللتسبيب ؛ لأن لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخير. وأمّا« ثم » فلتراخى حال الإحضار عن حال التمتيع، لا لتراخى وقته عن وقته »[الكَشَّاف ، ٣/ ٤٦١] .

وتدل الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات على :

- تَرَتُّب معانيها في الوجود ، كقوله :

يـــا لهـــفَ زَيَّابَـــة للحـــارثِ الـــ   صـــــابحِ فـــــالغنمِ فالآيـــــبِ

كأنه قيل :« الذي صبح فغنم فآب » .

- وعلى ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه، كقولك: خذ الأفضل فالأكمل، واعمل الأحسن فالأجمل.
- وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك، كقوله: « رحم الله المحلقين فالمقصرين » .

فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات.

وقد وظف الزَّمَخْشَرِيّ هذه المعاني في بيان قوله تعالى : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ① فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ② فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ الصافات: ١ ، ٣ فقال : « فإن قُلْت : فعلى أيِّ هذه القوانين هي فيما أنت بصدده؟ قُلْت : إن وحَّدْتَ الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل ، وإن ثلثته (؛ أي : ثَلَّثت الموصوف) فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه ، بيان ذلك : أنك إذا أجريت هذه الأوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها، فعطفها بالفاء يفيد ترتُّبًا لها في الفضل: إما إن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة ، وإما على العكس ، وكذلك إن أردت العلماءَ وقوَّاد الغزاة. وإن أجريت الصفة الأولى على طوائفَ والثانية والثالثة على أخر، فقد أفادت ترتُّبَ الموصوفات في الفضل ، أعنى أن الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل، والتاليات أبهرُ فضلا ، أو على العكس ، وكذلك إذا أردت بالصافات الطير، وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية. وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر، فإن الموصوفات مختلفة بالصافات»[الكَشَّاف ، ٣/ ٦٦٨، ٦٦٩] .

وقد تأتي الفاء الاستئنافية لإفادة التوكيد ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ البقرة: ١١٧، فـ : « أَكَّد بهذا استبعاد الولادة ؛ لأن من كان بهذه الصِّفَة من القدرة كانت حاله مباينة لأحوال الأجسام في توالدها » [الكَشَّاف ، ١/ ١٦٨] .

وقد تأتي فاء السببية ويُجابُ بها عن التمني ؛ مثل قَوْله: ﴿ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ ﴾ البقرة: ١٦٧

الفاء الرابطة :

وتأتي لإفادة وجوب الجزاء والاستحقاق ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فإن قُلْت : أَيُّ فرق بين قوله : « لَهُمْ أَجْرُهُمْ » وقوله فيما بعد: « فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ » ؟ قلت: الموصول لم يضمن هاهنا معنى الشرط، وضمنه ثمة. والفرق بينهما من جهة المعنى أن الفاء فيها دلالة على أن الإنفاق به استحق الأجر ، وطرحها عار عن تلك الدلالة » [الكَشَّاف ، ١/ ٢٧٧] .

وغياب فاء الجزاء في موضع تستحقُّه دليلٌ على استئنافية الجملة التي تلي هذا الموضع ، فقوله تعالى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ الحجرات: ١١ « كلام مستأنف ، قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه ، وإلا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بالفاء » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٥٦] .

وقال الزمخشري عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ﴾ هود: ٩٣ ، ف : « فإن قلت: أى فرق بين إدخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون؟ قلت: إدخال الفاء: وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ، ونزعها : **وصل خفى تقديرى بالاستئناف** الذي هو جواب لسؤال مقدر، كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت؟ فقال: « سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ » ، **فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف** ، للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب ، **وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف** ، وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه » [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٢٧] .

ونلاحظ في الاقتباس السابق أن الإمام الزمخشري سمى الاستئناف وصلا ، ونفهم من هذا أن الاستئناف لا يعنى انقطاع المعنى تماما بين الجملة المستأنفة وما قبلها من جمل ، فهناك ثَمَّة علاقة في المعنى ـ وإن كانت خفية ـ بين الجملة المستأنفة

وما قبلها ، **بل إن الوصل بالاستئناف أقوى من الوصل بالفاء .**

ومن الآيات التي جمعت ثلاثة أنواع من الفاءات قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾ البقرة: ٥٤ ، حيث جمعت فاءات « التسبيب والتعقيب والجزاء » ، فـ : « فإن قُلْت : ما الفرق بين الفاءات؟ قُلْت : الأولى للتسبيب لا غير، لأن الظلم سبب التوبة . والثانية للتعقيب ؛ لأن المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم ؛ من قِبَل أن الله تَعَالَى جعل توبتهم قتل أنفسهم . ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم ؛ فيكون المعنى : فتوبوا، فأتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم ، والثالثة متعلقة بمحذوف ، ولا يخلو إما أن ينتظم في قول موسى لهم ؛ فتتعلق بشرط محذوف ، كأنه قال : فإن فعلتم فقد تاب عليكم. وإما أن يكون خطابا من الله تَعَالَى لهم على طريقة الالتفات. فيكون التقدير: ففعلتم ما أمركم به موسى ؛ فتاب عليكم بارئكم »[الكَشَّاف ، ١/ ١٣١ ، ١٣٢] . [ويُنْظَرُ أَيْضًا ، ١/ ٣٣٨] .

وقد تُفِيدُ الفاء التسبيب والتعقيب في نفس الموضع ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ** ﴾ النساء: ٤٧ : « والفاء للتسبيب ، وإن جعلتها للتعقيب على أنهم توعدوا بعقابين: أحدهما عقيب الآخر، ردها على أدبارها بعد طمسها فالمعنى أن نطمس وجوها فننكسها، الوجوه إلى خلف، والأقفاء إلى قدام »[الكَشَّاف ، ١/ ٤٥٢] .

وقد يكون عدم ذكر الفاء التي تُفيد التعقيب في موضع وذكره في موضع تالٍ له دلالة على عدم التعقيب في الموضع الأول ، ووجوده في الموضع الثاني ، مثل : ﴿ **فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا** ﴾ الكهف: ٧١ و﴿ **فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا** ﴾ الكهف: ٧٤ : « فإن قُلْت : لِمَ خولف بينهما ؟ قُلْت : لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب ، وقد تعقب القتل لقاء الغلام »[الكَشَّاف ، ٣/ ٧٩] .

ومن الفوائد اللغوية التي أظهرها الإمام الزمخشري الفرق بين الجملتين الآتيتين : « أَتَمُدُّني بمالٍ وأَنَا أَغْنَى منك » ، « أَتَمُدُّني بمالٍ فأَنَا أغْنَى منك » ؟ فقال[1] :

* الجملة الأولى : إذا قُلْت الجملةَ بالواو فقد جعلتُ مخاطَبي عالمًا بزيادتي عليه في الغنى واليسار ، وهو مع ذلك يُمِدُّني بالمال .

(١) الزَّمَخْشَرِيّ : الكَشَّاف ، ٣/ ٤٠٩



* الجملة الثانية : وإذا قُلْت الجملة بالفاء فقد جعلتُ مخاطَبي مِمَّنْ خَفِيَت عليه حالي ؛ فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده ؛ كأني أقول له : أنكر عليك ما فعلت فإني غني عنه ، وعليه ورد قوله : ﴿ **أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم**﴾ النمل: ٣٦

(٥٣) **في**[1] :

يفيد حرف الجر « في » معنى الظرفية ، ومن المعاني البَلاغِيَّة التي قَدْ يُفيدُها معنى الظرفية لهذا الحرف « التمكن من الفعل وعدم الانفكاك عنه ، ورسوخ المعنى وإضافة فضل ترجيح إذا تكررت» ، ؛ مثل :

أ- قوله تَعَالَى على لسان قوم هود لهود ـ عليه السلام ـ : ﴿**إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ**﴾ الأعراف: ٦٦، ؛ أي : « متمكن فيها غير منفك عنها » .

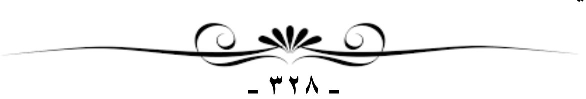
ب- وقوله تَعَالَى : ﴿**إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ**﴾ التوبة: ٦٠، نلاحظ أنَّ الآية عدلت عن استخدام اللام إلى الحرف « في » في الأربعة الأخيرة « للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره ؛ لأنَّ « في » للوعاء ؛ فنبَّه على أنَّهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مَظِنَّةً لها ومصبًّا ... وفي تكرير « في » في قوله : « في سبيل الله » ، فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين » [الكَشَّاف ، ٢/ ٣١٠] .

ت- قال تَعَالَى : ﴿ **قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ** ﴾ طه: ٧١ ، « شَبَّهَ تَمَكُّن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعيِّ في وعائه ؛ فلذلك قيل : في جذوع النخل » [الكشاف ، ٣/ ١٥٦] .

(٥٤) **قَدْ :** لها استعمالان : اسم مرادف « حسب » بمعنى كافٍ ، وحرف يختص بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من الناصب والجازم ومن حرف التنفيس ومن معاني قد : التقليل أو الشك مع الفعل المُضَارِع غالبا ، والتحقيق مع الفعل الماضي ، والنفي .

---

(١) ينظر المعاني التي ذكرناها تحت عنوان حروف الجر .



ومن معانيها البلاغية :

- قد **تفيد التوقع** (وذلك إذا كنت تنتظر من إنسان فعلا معينا ، وتختص بالدخول على الماضي) ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ** ﴾ هود: ٣٦، قال الزَّمَخْشَرِيّ في تفسير الآية : « إلا مَنْ قَدْ وُجِدَ منه ما كان يُتَوَقَّعُ من إيمانه ، وَقَدْ للتوقُّع ، وَقَدْ أصابت محزَّها » [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٠١] . وفي قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿ **قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴾ المؤمنون: ١ ، فـ : « قَدْ نقيضة « لما » . هي تثبتُ المتوقَّع و« لما » تنفيه ، ولا شكَّ أن المؤمنين كانوا متوقِّعين لمثل هذه البشارة ، وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم ؛ فخوطبوا بما دلَّ على ثبات ما توقعوه » [الكَشَّاف ، ٣/ ٢٤٠ ، وانظر أيضا: المجادلة ١، ٤/ ٣٥٣] .
- **وقد تُقَرِّبُ الفعل الماضي من الحال** ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ** ﴾ المائدة: ٦١، « دخلت « قَدْ» تقريبًا للماضي من الحال . ولمعنى آخر: وهو أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ متوقِّعًا لإظهار الله ما كتموه ، فدخل حرف التوقع »[الكَشَّاف ، ٢/ ٤٤] .
- وقد تفيد « قَدْ » إذا أتى بعدها فعل مضارع « **الكثرة** » ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ** ﴾ **البقرة: ١٤٤** « ومعناه كثرة الرؤية »[الكَشَّاف ، ١/ ١٨٥] .
- **وقد تأتي « قَدْ » للدلالة على زيادة الفعل وكثرته** ، مثل : ﴿ **قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ** ﴾ الأنعام: ٣٣ [الكَشَّاف ، ٢/ ٨٩] .
- وقد تأتي « قَدْ » **وبعدها فعل مضارع وتفيد التوكيد** ، مثل : ﴿ **أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ** ﴾ النور: ٦٤ : « أَدْخَلَ قَدْ ليؤكِّد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق » [الكَشَّاف ، ٣/ ٣١١] . ومثل قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ** ﴾ الصف: ٥
- وقد إذا أتى بعدها فعل ماضٍ قد تُفيد **التوبيخ** ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ** ﴾ آل عمران: ١٤٣

✓ وقد تُضمر قَدْ ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ النساء: ٩٠ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « في موضع الحال بإضمار قَدْ » [الكَشَّاف ، ١/ ٤٧٤] .

اتصال قَدْ بـ « لام القسم » : العرب لا تكاد تنطق بلام القسم إلا أتتْ معها « قَدْ » ، وقلَّ في لغتهم عدم هذا الاتصال ؛ وذلك لأن الجُمْلَة القسمية لا تساقُ إلا تأكيدًا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها ؛ فكانت مظنة التوقع الذي هو معنى « قَدْ » عند استماع المخاطب كلمة القسم. [الكَشَّاف ، ٢/ ١٣٦] .

(٥٥) كَادَ :

فعل ماض من أفعال المقاربة ، تدل على قرب وقوع الخبر ، ومن معانيها البلاغية **إفادة المُبَالَغَة** ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ** ﴾ إبراهيم: ١٧: « **دخل كاد للمبالغة ، يعني : ولا يقارب أن يسيغه ، فكيف تكون الإساغة ؟** كقوله : ﴿ **إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا**﴾ النور: ٤٠ ؛ أي: لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ؟ » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٣١ ـ ٥٣٢] .

وقد تأتي في سياق **وتفيد الاستثقال والاستبطاء والتطويل ، أو التعبير عن الخوف** ، مثل قوله : ﴿**فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ** ﴾ **البقرة: ٧١** ، ففيه « استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم ، وأنهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ، ما كادوا يذبحونها ، وما كادت تنتهي سؤالاتهم ، وما كاد ينقطع خيط إسهابهم فيها وتعمقهم. وقيل: وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها. وقيل: لخوف الفضيحة في ظهور القاتل » [الكَشَّاف ، ١/ ١٤٢] .

(٥٦) كَانَ :

قال الزَّمَخْشَرِيّ عن هذا اللفظ : « **عبارة عن وجود الشيء في زمان ماضٍ على سبيل الإبهام ، وليس فيه دليلٌ على عدم سابق ، ولا على انقطاع طارئ** » [الكَشَّاف ، ١/ ٣٥١] ، وقال : الفعل كان « **مطلق في جنس الأوقات الماضية ، فهو صالح لأيها شئت** » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٢] . ومن المعاني البلاغية :

١ـ قد تأتي كان زائدة ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿**وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ**﴾ **البقرة: ١٤٣**، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ووجهها أن تكون مزيدة ، كما في قوله : وجيران لنا كانوا كرامًا » [الكَشَّاف ، ١/ ١٨٥] . ولا بد أن الزيادة للتوكيد.

٢ـ وقد تأتي في سياق يُفيدُ **التخويف وبيان الاقتدار وإظهار الغضب** ، مثل قَوْله تَعَالَى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ النساء: ١٣٣

٣ـ وقد تأتي كان في سياق **يُفيدُ الوعيد** ؛ مثل قَوْله تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ النساء: ٣٩ ،

٤ـ وقد **تأتي في سياق وتفيد التعجب** ، مثل : ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ مريم: ٢٩ [الكَشَّاف ، ٣/ ١٠٣] .

(٥٧) كُلّ :

لفظة يُراد بها الشمول وإفادة العموم واستغراق أفراد الاسم المفرد النكرة ، أو المعرفة المجموع ، أو استغراق أجزاء المفرد المعرفة .

والفرق بينها وبين « أجمع » أن كل تفيد الإحاطة ، وأجمع تفيد الاجتماع ، مثال ذلك قوله تعالى ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ص: ٧٣ ، فـ« كل للإحاطة ، وأجمعون للاجتماع ؛ **فأفادا معًا أنهم سجدوا عن آخرهم، ما بقي منهم مَلَك إلا سجد ، وأنهم سجدوا جميعًا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات** » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٢]

(٥٨) كَلَّا :

حرف ردع وتنبيه على الخطأ ، مثل : ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ مريم: ٧٩ ، وقد تأتي للردع والإنكار والاستبعاد ، مثل : ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون: ١٠٠

وقد تأتي كلا للردع والإنكار والحث ، مثل : ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ القيامة: ٢٠ « ردع لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عادة العجلة ، وإنكار لها عليه ، وحث على الأناة والتؤدة ، وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٠٩] .

فإن لم يكن قبلها ما يصلح للردع أو للزجر فهي حرف جواب ، بمعنى إي أو نعم يكون قبل القسم ، أو حرف استفتاح بمعنى إلا ، أو حرف للرد والنفي.

(٥٩) كُلَّمَا :

هذه الكلمة المركبة تفيد التكرار ، ولكنها لا تتكرر في جملة واحدة ، ويكون الفعل بعدها ماضيا ، ولم يرد في القُرْآن إلا كذلك ، وربما ورد بعدها مضارع .

ومن معانيها البَلاغِيَّة إفادتها إيجاد ما الهم به معقود ، قال الزَّمَخْشَرِيّ في قوله تعالى﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾ البقرة: ٢٠ : « كيف قيل مع الإضاءة « كلما » ، ومع الإظلام « إذا » ؟ قُلْت : لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشي وتأتيه ، فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس » [الكَشَّاف ، ١/ ٨٢] .

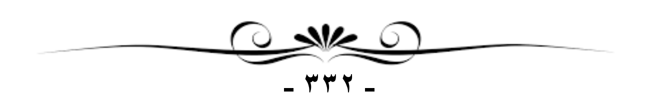
(٦٠) **كَمْ** :

كم تُفيد الكثرة ، وقد تأتي مع كل لغرض بلاغي ، مثل التنبيه على القدرة وكمالها ، مثل: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ الشعراء: ٧ ، « ما معنى الجمع بين كم وكل ؟ وماذا لو قيل : « كم أنبتنا فيها من زوج كريم » ؟ قُلْت : قد دلَّ « كل » على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل ، وكم على هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة ، فهذا معنى الجمع بينهما ، وبه نبه على كمال قدرته » [الكَشَّاف ، ٣/ ٣٥٠] .

وَقَدْ تحتمل كم معنى الكثرة والاستفهام في آية واحدة ؛ فيَثْرَى المعنى ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ** ﴾ **البقرة: ٢١١**، فـ : « [كم] تحتمل الأمرين ، ومعنى الاستفهام للتقرير » [الكَشَّاف ، ١/ ٢٣٠] .

(٦١) **كَيْفَ** استفهامية :

- قَدْ تأتي **لإفادة معنى الاستنكار والاستبعاد** ، ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ** ﴾ التوبة: ٧
- وقد **تفيد التعجب** ، مثل: ﴿ **وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ** ﴾ المائدة: ٤٣
- وقد **تفيد الاستعظام والتهويل** ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ آل عمران: ٢٥
- وقد تأتي « كيف » بمعنى الهمزة ، وتكون أبلغ منها في إفادة المعنى البَلاغِيّ ، ففي قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ **البقرة:** ٢٨تتضمن « كيف » معنى « الهمزة » ، وتفيد الإنكار والتعجب ، وهي أبلغ من الهمزة في هذا المعني البَلاغِيّ قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فإن قُلْت : فقد تبيَّنَ **أمرُ الهمزةِ وأنها لإنكار الفعل والإيذان باستحالته في نفسه**



أو لقوَّةِ الصارف عنه ، فما تقول في « كيف » حيثُ كان إنكارًا للحال التي يقع عليها كفرهم ؟ قُلْتُ : **حالُ الشيءِ تابعةٌ لذاتِه ، فإذا امتنعَ ثبوتُ الذاتِ تبِعَه امتناعُ ثبوتِ الحال** ؛ فكان إنكارُ حال الكفَّار ـ لأنها تَبِعُ ذاتِ الكفرِ ورديفُها ـ إنكارًا لذات الكفر ، وثَباتها على طريق الكناية ؛ وذلك أقوى لإنكار الكفر وأبلغ. وتحريرُه : أنه إذا أُنكر أن يكون لكفرهم حالٌ يُوجَدُ عليها ـ **وَقَدْ عُلِمَ أن كلَّ موجودٍ لا ينفكُّ من حال وصفة عند وجوده ، ومحالٌ أن يوجد بغير صفة من الصفات** ـ كان إنكارًا لوجوده على الطريق البرهان » [الكَشَّاف ، ١/ ١١٥] .

(٦٢) اللام :

أ ـ لام التعليل : إذا دخلت هذه اللام على الفعل المُضَارِع المسبوق بنفي أفادت توكيد معنى الفعل الداخلة عليه ، مثل :

- ✓ ﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يونس: ١٣ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « وما كان يؤمنون حقًّا ؛ تأكيدًا لنفي إيمانهم ، وأنَّ الله قَدْ علم منهم أنهم يصرون على كفرهم » [الكَشَّاف ، ٢/ ٣٥١] .
- ✓ ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ الأعراف: ٤٣
- ✓ ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ ﴾ يونس: ١٣
- ✓ ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ﴾ التوبة: ١٢٢

وقد تأتي لام نصب الفعل المُضَارِع لتأكيد النفي ، ويُصاحب التأكيد معنى آخر يُستنبط من سياق الآية ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ الأنفال: ٣٣ قال الزَّمَخْشَرِيّ : « [اللام] لتأكيد النفي والدلالة على أنَّ تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة » .

وقد تأتي اللام وتعطي معنى المبالغة ، مثل : ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴾ النساء: ١٣٧، في الآية « نفي للغفران والهداية ، وهي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام ، والمراد بنفيهما نفي ما يقتضهما ، وهو الإيمان الخالص الثابت » [الكشاف : ١/ ٥٠١]

و قد تأتي لام نصب المُضَارِع لإفادة التوكيد ، مع عدم وجود النفي ، مثل : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ الصف: ٨ ، فأصل الآية « يريدون أن يطفئوا كما جاء في سورة براءة ، **وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيدا له**، لما فيها من معنى



الإرادة في قولك: جئتك لإكرامك، كما زيدت اللام في : لا أبا لك ، تأكيدًا لمعنى الإضافة في : لا أباك » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٨٨] .

ب ـ لام الجر : **لام الجر الزائدة قَدْ تأتي وتفيد المُبَالَغَة والتوكيد والدلالة على إمحاض المعنى والإخلاص فيه والقصدية،** يقول الزَّمَخْشَرِيّ عند قَوْله تَعَالَى: ﴿ **وَأَنصَحُ لَكُمْ** ﴾ الأعراف: ٦٢: « في اللغَة يُقال : نصحته ونصحتُ له ، وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة ، وأنها وقعت خالصة للمنصوح له ، مقصودًا به جانبه لا غير » ،[الكَشَّاف ، ٢/ ١٦٤] .وقال عند قوله تعالى ﴿**قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ**﴾ النمل: ٧٢: « زيدت اللام للتأكيد كالباء في ﴿**وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ**﴾ البقرة: ١٩٥ » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٢٣] .

وقد تفيد لام الجر توكيد المضاف للمضاف إليه إذا كان أصل التركيب تركيبًا إضافيًّا ، مثل : ﴿**ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ**﴾ الأنبياء: ١ وأصله : « اقترب حساب الناس » ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب ، أو تأكيدًا لإضافة الحساب إليهم ، كقولك : أَزَفَ للحي رحيلهم ، والأصل أَزَفَ رحيل الحي » [الكَشَّاف ، ٣/ ١٧٦] .

وقد تفيد لام الجر الاخْتِصَاص ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا** ﴾ التوبة: ٥١ ، اللام في الآية « مفيدة معنى الاخْتِصَاص . كأنه قيل : لن يُصيبنا إلا ما اختصنا الله بإثباته وإيجابه من النصرة عليكم أو الشهادة » [الكَشَّاف ، ٢/ ٣٠٥] . وفي قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿**وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا**﴾ الإسراء: ١٠٩ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فإن قُلْت : حرف الاستعلاء ظاهر المعنى إذا قُلْت خَرَّ على وجهه وعلى ذقنه، فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه؟ ... قُلْت : معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور ، واختصَّه به ؛ لأن اللام للاختصاص » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٦] .

وأحيانًا قَدْ يكون الفعل في أصله متعديًا لمفعول به فيُضَمَّن معنى فعل يتعدَّى باللام ليؤكد معنى الفعل ، ويفيد في نفس الوقت معنى الفعل المُضَمَّن ، مثال ذلك قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿**قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ يوسف: ٥ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فإن قلت: هلا قيل: فيكيدوك ،

كما قيل: فكيدوني؟ قُلْت : ضُمِّنَ معنى فِعْلٍ يتعدَّى باللام ؛ ليفيد معنى فعل الكيد ، مع إفادة معنى الفعل المضمَّن ، فيكون آكد وأبلغ في التخويف » [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٤٥]

ث- موطئة للقسم ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ هود: ١١١ . قال الزَّمَخْشَرِيّ : « واللام في « لَمَّا » موطئة للقسم ؛ وما مزيدة ، والمعنى : وإنَّ جميعَهم والله لَيُوَفِّينهم » [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٣٣] .

ج- لام الابتداء : تفيد التأكيد والتحقيق لمضمون الجُمْلَة ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ :﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾ يوسف: ٨ ، وإذا دخلت لام الابتداء على المُضَارِع تعطي معنى الحال [الكَشَّاف ، ٣/ ١١٨] .

وقد تدخل لام الابتداء على مبتدإ محذوف ، مثل قوله : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ الضحى: ٥ ، « فإن قُلْت : ما هذه اللام الداخلة على سوف؟ قُلْت : هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة ، والمبتدأ محذوف. تقديره : ولأنت سوف يعطيك، كما ذكرنا في «لأقسم » أن المعنى: لأنا أقسم ، وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء ، فلام القسم لا تدخل على المُضَارِع إلا مع نون التأكيد ، فبقى أن تكون لام ابتداء ، ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدإ والخبر، فلا بد من تقدير مبتدإ وخبر ، وأن يكون أصله : ولأنت سوف يعطيك . **فإن قُلْت : ما معنى الجمع بين حرفى التوكيد والتأخير؟ قُلْت : معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر، لما في التأخير من المصلحة** » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦٠٤] .

ح- لام الجحود ، وتأتي **لإفادة المُبَالَغَة** ، ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ النساء: ١٣٧

(٦٣) **لا** :

« لا » تأتي : نافية ، أو جازمة ، أو زائدة .

لا تأتي زائدة (صلة) لتوكيد معنى الفعل الداخلة عليه وتحقيقه ، مثل : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ الأعراف: ١٢ ، ومثل : ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ الحديد: ٢٩

وقد تأتي زائدة لتوكيد النفي قبلها ، مثل قوله : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ ﴾ البقرة: ٧١ ، فـ « ...«لا» الأولى للنفي ، والثانية مزيدةٌ لتوكيد الأولى ؛

لأن المعنى : لا ذلول تثير وتسقى ، على أن الفعلين صفتان لذلول ، كأنه قيل: لا ذلولٌ مثيرةٌ وساقيةٌ » [الكَشَّاف ، ١/ ١٤٢] .

وقد تأتي لا مزيدة لتأكيد معنى القسم ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ النساء: ٦٥ ، وقوله تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾ الانشقاق: ١٦ ، فـ« لا أقسم » معناه « فأقسمُ » لا مزيدة مؤكدة .

لا النافية :

لا تدخل « لا النافية » إلا « على مضارع في معنى الاستقبال ، كما أنَّ « ما » لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال. ألا ترى أن لن تأكيدٌ فيما تنفيه لا؟ » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦٤٢ عند قوله تعالى ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الكافرون: ٢] .

وقد تأتي « لا » **النافية مشربة معنى النهي** ، أو بمعنى آخر « إخبار في معنى النهي ؛ كما تقول : تذهبُ إلى فلانٍ تقولُ له كذا ؛ تريدَ الأمر ، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي ؛ لأنه كأنه سُورع إلى الامتثال والانتهاء ، فهو يُخبرُ عنه » [الكَشَّاف ، ١/ ١٤٨] .

وقد تأتي لا النافية لتأكيد النفي ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ النساء: ١٩

وقد تأتي « لا » النافية لتعظيم ما وقع فيه الفاعل ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ البقرة: ١١ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب ، كما تقول : كيف فلانٌ ؟ سائلا عن الواقع في بَلِيَّة، فيقال لك : لا تسألْ عنه ! ووجهُ التعظيم أن المستخبرَ يجزع أن يجرى على لسانه ما هو فيه لفظاعته ، فلا تسألْه ولا تكلِّفْه ما يضجره ، أو أنت يا مستخبِرُ لا تقدر على استماع خبره لإيحاشِه السامع وإضجاره، فلا تسألْ » [الكَشَّاف ، ١/ ١٦٩] .

وقد تأني لا النافية لتأكيد القسم ، مثل قوله : ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ القيامة: ١ « إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم... وفائدتها توكيد القسم ... والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاما له ؛ يدلك عليه قوله تعالى﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ الواقعة: ٧٥ – ٧٦ فكأنه بإدخال حرف النفي يقول : إنّ إعظامى له بإقسامى به كلا إعظام ، يعنى أنه يستأهل فوق ذلك » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٠٥] .

لا النَّاهِيَة :



وقد تأتي « لا » ناهية وتُفيدُ التوبيخ ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ **آل عمران: ١٣٠** ،قال الزَّمَخْشَرِيّ : « نهيٌ عن الربا مع توبيخ »[الكَشَّاف : ١/ ٣٦٤ ،يُنْظَرُ أَيْضًا ، ١/ ٤٩٧ ، النساء ١٢٩] .

وقد تأتي لا الناهية وتفيد التهييج والإلهاب ، وزيادة الثبات على الفعل ، مثال ذلك قوله تَعَالَى : ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ الحج: ٦٧ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « والمراد: زيادة التثبيت للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما يهيج حميَّته ويلهبُ غضبه لله ولدينه. ومنه قوله ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ القصص: ٨٧ ، ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام: ١٤ ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ القصص: ٨٦»[الكَشَّاف ، ٣/ ٢٣٥] .

(٦٤) لات :

هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث ، كما زيدت على ربَّ وثمَّ للتوكيد.

(٦٥) لَعَلَّ :

قد تفيد الترجي أو الإشفاق أو الإطماع . قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... ولعل للترجِّي أو الإشفاق . تقول : لعلَّ زيدا يكرمني. ... وَقَدْ جاءت على سبيل الإطماع في مواضع من القُرْآن ، ولكن لأنه إطماعٌ من كريم رحيم ، إذا أطمَع فعلَ ما يطمع فيه لا محالة ، لجرى إطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به ؛ قال من قال: إن « لعل » بمعنى « كي » ، و « لعل » لا تكون بمعنى « كي » ، ولكن الحقيقة ما ألقيت إليك. **وأيضا فمن ديدن الملوك وما عليه أوضاع أمرهم ورسومهم أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم على إنجازها على أن يقولوا : عسى، ولعل،** ونحوهما من الكلمات أو يخيلوا إخالة. أو يظفر منهم بالرمزة أو الابتسامة أو النظرة الحلوة ، فإذا عثر على شيء من ذلك منهم، لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب. فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذى العز والكبرياء.أو يجيء على طريق الإطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد »[الكَشَّاف ، ١/ ٨٦ ، ٨٧] .

وتستعار لعل لمعنى الإرادة ، مثل : ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ **النحل: ١٤** « وحرف الرجاء مستعار لمعنى الإرادة ، ألا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل ، كأنما قيل لتبتغوا ولتشكروا »[الكَشَّاف ، ٣/ ٦٢٧]



ومن إشارات الزَّمَخْشَرِيّ في هذا الحرف أن لعل « من الله إرادة ، وإذا أراد الله شيئًا كان ولم يمتنع » [الكَشَّاف ، ٣/ ٥٤٠] .

(٦٦) لَمَّا :

تفيد معنى التوقع ، وهي في النفي نظيرة « قَدْ » في الإثبات ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم﴾ البقرة: ٢١٤ « والمعنى : أن إتيانَ ذلك متوقَّعٌ منتظَرٌ » [الكَشَّاف ، ١/ ٢٣٢ ، يُنْظَرُ أَيْضًا ، ١ / ٣٦٩ ، آل عمران ١٤٢، يُنْظَرُ أَيْضًا ، ٢/ ٢٨٤]

وقد تأتي « لَمَّا » بمعنى « إلا » ، مثل :﴿وَزُخْرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ﴾ **الزخرف: ٣٥** وقد يُحذف جواب « لما ولو » إرادة الإبهام [الكشاف ، ٣/ ٥٠٢].

(٦٧) لَنْ :

تأكيد النفي الذي تعطيه « لا » ؛ وذلك أنَّ « لا » تنفي المستقبل ، تقول : لا أَفعلُ غدًا ، فإذا أكدت نفيها قُلْت : لن أفعلَ غدًا ، وَقَدْ تفيدُ أَيْضًا البيان . [الكَشَّاف ، ٢/ ١٩٨] . وقال الزَّمَخْشَرِيّ في موضع آخر: « فإن قلت: ما حقيقة « لن » في باب النفي ؟ قُلْت : « لا » و« لن » أختان في نفى المستقبل، إلا أن في « لن » توكيدًا وتشديدًا. تقول لصاحبك : لا أقيمُ غدًا ، فإن أنكر عليك قُلْت : لن أقيمَ غدًا ، كما تفعل في : أنا مقيمٌ ، وإنى مقيم »[الكَشَّاف ، ١/ ٩٦ ، وانظر : الحج ٧٣] .

وكما هو واضحٌ فإن استخدام « لن » لتأكيد النفي في المستقبل قد يكون مصاحبًا بحالة إنكار من المخاطب .

وقد تفيد مع تأكيد النفي في المستقبل الإقناط ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ البقرة: ١٢٠

(٦٨) لَوْ : لها سبعة استعمالات :

١ـ شرطية .
٢ـ مصدرية ؛ أي : موصول حرفي بمنزلة أنْ .
٣ـ حرف جازم .
٤ـ حرف يدل على العرض .
٥ـ حرف يدل على التمني .



٦ـ حرف يدل على التقليل .

٧ـ وصلية ، وهي كالشرطية لكن لا تحتاج إلى جواب ، وتسبق بواو الحال ، والقصد منها الوصل ، وجملتها حالية .

ولو الشرطية حرف حقه أن يدخل على الأفعال ، دون الأسماء ، وإذا دخلت على اسم فلا بد من تقدير فعل بعدها ، وبدخولها على الاسم قَدْ تفيد معنى الاخْتِصَاص . قال الزَّمَخْشَرِيّ في قوله ﴿لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ﴾ الإسراء: ١٠٠: « ... فأما ما يقتضيه علم البيان فهو أنَّ « أنتم تملكون » فيه دلالة على الاخْتِصَاص ، وأنَّ الناس هم المختصون بالشح المتبالغ » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٣] .

وتَرُدُّ لو الشرطية المُضَارِع إلى معنى الماضي ، كما تَرُدُّ « إِنْ » الماضي إلى معنى الاستقبال ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ **الأنعام: ٢٧**[الكَشَّاف ، ٢/ ٢٦٤] ، [ينظر أيضًا : السجدة ١٢]

ويُحذَفُ جوابُ الشرط مع لو في بعض السياقات لإفادة الاستعظام والندم والحسرة ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ البقرة: ١٦٥، فـ : « ... « الذِينَ ظَلَمُوا » إشارة إلى متخذي الأنداد ؛ أي: لو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون أندادهم ، ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة ـ **لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم ، فحذف الجواب** » [الكَشَّاف ، ١/ ١٩٤] .

*** الفرق بين لو وإن الشرطيتين ولماذا تأتي اللام في جواب لو أحيانا وأحيانا لا تأتي :**

الفرق بين لو وإن أن لو ليست مخلصة للشرط كإن ولا عاملة مثلها ، قال الزمخشري عند قوله تعالى : ﴿لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ﴾ الواقعة: ٧٠ : « فإن قلت: لِمَ أدخلت اللام على جواب لَوْ في قوله ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ﴾ الواقعة: ٦٥ ونزعت منه هاهنا ؟ قلت : إنّ لو لما كانت داخلةً على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلق الجزاء بالشرط ، **ولم تكن مخلصة للشرط كإن ولا عاملة مثلها ، وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث إفادتها في مضمونى جملتيها أنّ الثاني امتنع لامتناع الأوّل** ـ افتقرت في جوابها إلى ما يُنْصبُ (؛ أي يوضع) عَلَمًا على

هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك ، فإذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه ؛ فلأن الشيء إذا علم وشهر موقعه وصار مألوفا ومأنوسا به : لم يبال بإسقاطه عن اللفظ، استغناء بمعرفة السامع... فإذن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى، فاستوى الموضعان بلا فرق بينهما، على أن تقدّم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه. ويجوز أن يقال : **إنّ هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة، فأدخلت في آية المطعوم (؛ أي : الواقعة ٦٥) دون آية المشروب (؛ أي: الواقعة ٧٠) ، للدلالة على أن أمر المطعوم مقدّم على أمر المشروب، وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب، من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعا للمطعوم**. ألا ترى أنك إنما تسقى ضيفك بعد أن تطعمه، ولو عكست قعدت تحت قول أبى العلاء:

إِذَا سُقِيَتْ ضُيُوفُ النَّاسِ مَحْضًا سَقَوْا أَضْيَافَهُمْ شَبِمًا زُلَالَا

وسقى بعض العرب فقال: أنا لا أشرب إلا على ثميلة، ولهذا قدّمت آية المطعوم على آية المشروب » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٣٧] .

وقد تأتي لو المصدرية مفيدة معنى التمني ، ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ البقرة: ٩٦ [الكَشَّاف ، ١/ ١٥٥] ، ومثل :﴿ **فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ الشعراء: ١٠٢

(٦٩) لَوْلَا ، لَوْمَا :

تدل على امتناع الشيء لوجود غيره ، وتدل أيضًا على معنى التحضيض ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **لَوْمَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ الحجر: ٧ ، [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٥٣] . ومثل قَوْله تَعَالَى: ﴿ **فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ** ﴾ هود: ١١٦

* وقد تفيد لولا النفي مع إفادة معنى سياقي يُستنبطُ من السياق ، مثل قوله تعالى: ﴿ **فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ الأنعام: ٤٣: « معناه نفي التضرع ، كأنه قيل : لم يتضرعوا إذا جاءهم بأسنا ، ولكنه جاء بـ« لولا » **ليفيدَ أنَّه لم يكن لهم عُذرٌ في ترك التضرع إلا عنادُهم وقسوةُ قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطانُ لهم**» [الكَشَّاف،٢/ ٩٣]
* وقد تكرر لولا للتوكيد ، مثل : ﴿ **فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ** ﴾ الواقعة: ٨٦
* وتفيد « لولا » في بعض السياقات الاستكبار والعتو ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ** ﴾ البقرة: ١١٨



* وفي بعضها تُفيدُ « الاستزادة والاستمهال » ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ النساء: ٧٧

(٧٠) مَا :

وهي اسم معرفة أو نكرة ، وحرف عامل وغير عامل ، وهي كالآتي(١) :

١ـ معرفة تامة لا تحتاج إلى صفة ، فإن لم يتقدمها ما يصلح أن تكون هي وما اتصلت به صفة له في المعنى فهي تامة عامة ، وتكون بمعنى الشيء ، وإذا تقدمها ما يصلح أن تكون هي وما اتصلت به صفة له في المعنى فهي تامة خاصة ، وتقدر بلفظ مشتق من الفعل المتقدم .

٢ـ موصولة .

٣ـ موصوفة ، وهي نكرة تقدر بشيء وتحتاج إلى صفة .

٤ـ تعجبية .

٥ـ استفهامية ، بمعنى : أي شيء .

٦ـ شرطية .

٧ـ حرف نفي لا محل لها من الإعراب عاملة عمل ليس عند الحجازيين .

٨ـ نافية غير عاملة ، لها الصدارة ، فلا يتقدم عليها شيء .

٩ـ مصدرية ، تؤول مع ما بعدها بمصدر وتختص بالجمل مثل قَوْله تَعَالَى: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ آل عمران: ١١٨

١٠ـ زائدة ، وتكون كافة وغير كافة .

ما الاستفهامية :

« ما » لفظ موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم ، بدليل قولك ـ إذا رأيتَ شبحًا من بعيد ـ ما هو ؟ فإذا قيل لك : إنسانٌ ، قُلْت حينئذٍ : مَنْ هو ؟ [الكَشَّاف ، ٣/ ٣١٩] . ومن المعاني البلاغية لما الاستفهامية :

- قد **تُفيدُ التهويل والتعظيم والمبالغة** ، مثل :﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ الحاقة: ٣ ، فمعنى هذا الاستفهام « وأيُّ شيء أعلمك ما الحاقة ؟ يعني : أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها ... فهي أعظم من ذلك » [الكَشَّاف ، ٤/ ٤٥٢] .
- **تفخيم الشأن** ، مثل : ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ النبأ: ١ ، فـ« معنى هذا الاستفهام: تفخيم الشأن، كأنه قال: عن أى شأن يتساءلون ؟ ونحوه ما في قولك : زيد ما زيد ؟ جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفى عليك جنسه ، فأنت تسأل

(١) المعجم الوافي في أدوات النحو العربي ، ص ٢٩٩ وما بعدها .



عن جنسه وتفحص عن جوهره ، كما تقول : ما الغول وما العنقاء؟ تريد: أي شيء هو من الأشياء هذا أصله، ثم جرد للعبارة عن التفخيم ، حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٢٩] .

- **وقَدْ تفيد معنى التعجب والتعجيب** ، مثل : ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ الحجر: ٥٤ « ؛ أي : فبأي أعجوبة تبشروني » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٦٠] . ومثل : ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾ الواقعة: ٨ ،٩ « تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٢٩] .
- **وقد تأتي ما الاستفهامية لإفادة الإنكار والاستبعاد** ، مثل قوله ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ المائدة: ٨٤ ، « إنكار استبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام موجبه » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٥] .
- وقد تأتي ما الاستفهامية لإفادة التوبيخ ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾ النساء: ٩٧

ما الزائدة :

» وقد تفيد ما الزائدة عدم الاكتراث وعدم المبالاة ، ومساواة الحقير بالحقير ، مثال قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ البقرة: ٢٦، فـ : «... ووجه آخر حسن جميل، وهو أن تكون (؛ أي : ما الزائدة) التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لأصنامهم بالمحقرات قال : إن الله لا يستحي أن يضرب للأنداد ما شاء من الأشياء المحقرة مثلا، بله البعوضة فما فوقها، كما يقال: فلان لا يبالى بما وهب ما دينار وديناران. والمعنى: أن لله أن يتمثل للأنداد وحقارة شأنها بما لا شيء أصغر منه وأقل، كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ وبما لا يدركه لتناهيه في صغره إلا هو وحده بلطفه، أو بالمعدوم » [الكَشَّاف ، ١/ ١٠٩] .

» وقد تأتي ما مزيدة للتوكيد ، بمعنى حَقًّا ، مثل : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ المؤمنون: ٧٨ ، ومثل قوله : ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ الأعراف: ٣ ، ومثل ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ آل عمران: ١٥٩ ، ومثل : ﴿ قَالَ عَمَّا



﴿ قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾ المؤمنون: ٤٠ ، ومثل قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ ﴾ فصلت: ٢٠، قال الزَّمَخْشَرِيّ عند هذه الآية : « فإن قُلْت : ما في قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ ﴾ ما هي؟ قُلْت : مزيدة للتأكيد، ومعنى التأكيد فيها : أنّ وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ، ولا وجه لأن يخلو منها. ومثله قوله تعالى ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ﴾ يونس: ٥١ ؛ أى لا بدّ لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به شهادة الجلود بالملامسة للحرام ، وما أشبه ذلك مما يفضى إليها من المحرّمات » [الكَشَّاف ، ٤/ ١١٠] .

» وقد تأتي مزيدة لتأكيد معنى الشرط ، مثل : ﴿ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ غافر: ٧٧ ، فقوله : « فإِمَّا نُرِينَّك » أصله : « فإن نُرك ، و« ما » مزيدةٌ لتأكيد معنى الشرط ؛ ولذلك ألحقت النون بالفعل؛ ألا تراك لا تقول : إن تكرمَنِّي أكرمْك، ولكن: إمَّا تكرمنِّي أكرمْك » [الكَشَّاف ، ٤/ ٩٨] .

» وقد تأتي ما الزائدة للإبهام ، مثل : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ ص: ٢٤

» وَقَدْ تأتي ما لزيادة الإبهام ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾ البقرة: ٢٦، ف : « و « ما » هذه إبهامية ، وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهامًا وزادته شياعا وعموما ، كقولك: أعطنى كتابا ما، تريد أى كتاب كان » [الكَشَّاف ، ١/ ١٠٨] .

» وقد تتصل ما بـ « أَيّ » ، وباتصالها بها تفيدها توكيدًا ، مثل قوله :﴿ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ﴾ القصص: ٢٨ وفي قراءة « أَيْما الأجلين » ، « فإن قُلْت : ما الفرق بين موقعى «ما» المزيدة في القراءتين؟ قلت: وقعت في المستفيضة مؤكدة لإبهام أىّ ، زائدة في شياعها ، وفي الشاذة تأكيدا للقضاء ، كأنه قال: أى الأجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٤٦] .

ما المصدرية :

وقد تأتي ما المصدرية لإفادة الوصفية ، مثل :﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ الشمس: ٥،٧ ، « وإنما أوثرت (؛ أي : ما) على مَن لإرادة معنى الوصفية ، كأنَّه قيل : والسماءِ والقادر العظيم الذي بناها ، ونفسٍ والحكيم

الباهر الحكمة الذي سواها ، وفي كلامهم: سبحان ما سخر كُنَّ لنا » [الكَشَّاف ، ٤/٥٩٨] . ومثل قوله تعالى :﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ الكافرون: ٥ « لِمَ جاء على ما دون مَن؟ قُلْت : لأن المرادَ الصفة ؛ كأنه قال : لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦٤٢] .

ما الموصولة :

- ما للعاقل وغير العاقل ، مثل : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ النحل: ٤٩ ، ف : « فإن قلت: فهلا جيء بـ « مَنْ » دون « ما » تَغليبًا للعقلاء من الدواب على غيرهم؟ قُلْت : لأنه لو جيء بـ « مَنْ » لم يكن فيه دليلٌ على التغليب ، فكان متناولا للعقلاء خاصة ، فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم، إرادة العموم » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٨٤] . ويقول في موضع آخر: « ما يتناول الأجناسَ كلها تناولًا عامًّا ، ألا تراك تقول إذا رأيتَ شبحًا من بعيد ما هو ؟ قبل أن تعرف: أعاقلٌ هو أم غيره ؟ فكان أولى بإرادة العموم»[الكَشَّاف ، ٢/ ٧٧] .
- وقد تأتي « ما » موصولة تفيد العموم ، وَقَدْ يتفاعل هذا العموم مع السياق فيفيد مثلا التنزيه ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ النساء: ١٧١
- وقد تفيد ما الموصولة التعجب ، مثل : ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ البلد: ٣ « ؛ أي : بأي شيء وضعت ؛ يعني : موضوعًا عجيب الشأن » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٩٤] .
- ومن الأمثلة التي تأتي فيها ما بمعنى مَنْ ، أيضا قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ الزمر: ٨ ومثل: ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ الليل: ٣
- وقد تَحل « ما » مكان « مَنْ » لإفادة التحقير والتصغير ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ البقرة: ١١٦ ، فـ : « فإن قُلْت : كيف جاء بـ « ما » التي لغير أولى العلم مع قوله قانتون؟ قُلْت : ... وكأنه جاء بـ « ما » دون « مَنْ » تحقيرًا لهم وتصغيرًا لشأنهم » [الكَشَّاف ، ١/ ١٦٧، ١٦٨] .
- وتأتي ما الموصولة لتفيد « التعظيم والتكثير والتهويل » ، مثل : ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ النجم: ١٦ « تعظيم وتكثير لما يغشاها » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٠٠] . ومثل ﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ النجم: ٥٤ ، « تهويل وتعظيم لما صُبَّ عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٠٦] .



ما النافية :

- قد تأتي ما النافية لحكاية حال ماضية إذا دخلت على المُضَارع ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الحجر: ١١ : « ... « وما يَأْتِيهِمْ » حكاية حال ماضية ؛ لأنَّ « ما » لا تدخل على مضارع إلا وهو في معنى الحال ، ولا على ماضٍ إلا وهو قريبٌ من الحال » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٥٤] .
- وقد **تفيد ما النافية التعريض** ، مثل قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ البقرة: ١٣٥ [يُنْظَرُ أَيْضًا ، ١ / ٣٧٢ ، آل عمران ١٤٦] .
- وقد تُفيدُ **التحريض** ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ آل عمران: ١٤٥
- وقد تفيد معنى « **الحسم** » ؛ مثل قَوْله تَعَالَى ﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ البقرة: ١٤٥
- وقد تأتي « ما » **النافية للتنبيه والمبالغة** ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ آل عمران: ١٦١
- **ما النافية تفيد نفي الحال** ، وَقَدْ تأتي لإبراز « **التهكم** » ، مثل : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المائدة: ٤٣ [ويُنْظَرُ أَيْضًا الكَشَّاف ، ١ / ٥٠٩ ، النساء ١٥٧] .

(٧١) مَاذا :

قد تُفيدُ هذه الأداة الذم والتوبيخ والتجهيل ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ النساء: ٣٩

(٧٢) مَن :

أ- الاستفهامية : ومن الأغراض البَلاغِيَّة لها في القُرْآن الكريم :

- الإنكار ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ ﴾ الأعراف: ٣٢
- وقد تفيد في بعض السياقات التعريض ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ البقرة: ١٤٠
- وقد تفيد التوكيد ؛ مثل قَوْله : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ النساء: ١٢٢ [الكَشَّاف ،

١/ ٤٩٢] .

- وفي بعض السياقات تفيد التبكيت ، مثل قوله تعالى : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الأنعام: ١٢
- وفي بعض السياقات تفيد التنبيه ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ آل عمران: ١٦٠

ومن المهم الإشارة إلى أنَّ مَن والضمير هم يأتيان لغير العاقل أحيانا ، مثل : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ الأحقاف: ٥

ب- مَنْ الشرطية :

- من المعاني البَلاغِيَّة التي قَدْ تفيدها مَن الشرطية « الحَث » ، قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ آل عمران: ١٠١: « ويجوز أن يكون حَثًّا لهم على الالتجاء إليه » [الكَشَّاف ، ١/ ٣٤٦] .
- وقد تُفيدُ التهديد والإيعاد والإبراق والإرعاد ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٩٣

(٧٣) **مِنْ** :

- **تأتي مِنْ زائدة ؛ وإذا أتت كذلك في أسلوب نفي فقد تفيد توكيد النفي والاستغراق ؛** مثل « مِن » الأولى في قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأعراف: ٨٠ ، ومثل : ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ الفرقان: ١٨ ، ومثل : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ الأحزاب: ٤ ، و مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ إبراهيم: ٣٨
- **وقد تُزادُ من للبيان** مثل: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ الأعراف: ١٦٢
- **وقد تأتي للدلالة على المُبَالَغَة في المعنى وتعظيمه ؛** مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ **البقرة: ٢٧٩** ، فـ : « فإن قُلْت : هَلَّا قيل : بحرب الله ورسوله ؟

قُلْت : كان هذا أبلغ ؛ لأن المعنى : فأذنوا بنوعٍ من الحرب عظيمٍ عند الله ورسوله » [الكَشَّاف ، ١/ ٢٨٥] .

⇦ **وقد تأتي « مِنْ » للاستغراق** ؛ مثل قوله : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ الأنعام: ٣٨ ، فـ : « فإن قُلْت : كيف قيل: إلا أممٌ مع إفرادِ الدابةِ والطائر؟ قُلْت : لما كان قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ﴾ دالا على معنى الاستغراق ومغنيًا عن يُقال ، وما من دوابِّ ولا طير قوله أمم على المعنى ، فإن قُلْت : هلا قيل: وما من دابة ولا طائر إلا أمم أمثالكم؟ وما معنى زيادة قوله : « فِي الأَرْضِ » و« يَطِير بجناحيه » قلت: معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة » [الكَشَّاف ، ٢/ ٩٢] .

⇦ **وقد تأتي للتبعيض** ، مثل : ﴿فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ البقرة: ٢٢

⇦ وقد تُذْكَرُ « مِن التبعيضية » في موضع من « آية» ثم لا تُذكَرُ في موضع تالٍ يمكن أن تُذكر فيه في نفس الآية ـ لغرض بلاغي ، مثال ذلك : ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡ﴾ النور: ٣٠ ، حيث ذُكرت من التبعضية مع البصر ، ولم تُذكر مع الفرج ؛ وذلك للدلالة « على أن أمر النظر أوسع ؛ ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهنّ وصدورهنّ وثديهنّ وأعضادهنّ وأسوقهنّ وأقدامهنّ ، وكذلك الجواري المستعرضات ؟ والأجنبية ينظر إلى وجهها وكفيها وقدميها في إحدى الروايتين. وأما أمر الفرج فمضيق ، وكفاك فرقا أن أبيح النظر إلا ما استثنى منه » [الكَشَّاف ، ٣/ ٢٨٥] .

⇦ وَقَدْ تفيد الاختلاط والاتحاد « من قولهم : فلانٌ مني ؛ كأنه بعضه لاختلاطهما واتحادهما» [الكَشَّاف ، ١/ ٢٦٦] .

⇦ **وقد تأتي مِنْ للتأكيد** ، مثل :﴿ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٍۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ الروم: ٤٠، فـ « مِنْ الأولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم » [الكَشَّاف ، ٣/ ٥١٠] .

⇦ **وقد تأتي لابتداء الغاية** ، مثل : ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا﴾ البقرة: ٢٥

(٧٤) ها :

تأتي للتنبيه ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ آل عمران: ٦٦



(٧٥) هذا :

من المعاني البَلاغِيَّة لاسم الإشارة هذا إفادة الكمال ، مثل : ﴿ هَٰذَا هُدًىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ﴾ الجاثية: ١١« هذا إشارة إلى القُرْآن ... ؛ أي : هذا القُرْآن كامل في الهداية ، كما تقول : زيد رجل ، تريد كامل في الرجولة وأيَّما رجل » [الكَشَّاف ، ٤/ ١٨٨] .

(٧٦) هذه :

قد تأتي وتفيد الازدراء ، مثل :﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ ﴾ العنكبوت: ٦٤ حيث نجد في استخدام اسم الإشارة « ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٩٥] .

(٧٧) هل :

أ- **قد يُفيد هذا الحرف الاستفهام عما هو متوقع ومظنون وتقرير وتثبيت أن المتوقع كائن** ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ** ﴾ **البقرة: ٢٤٦** ، فـ : « ... ؛ فأدخل هل مستفهمًا عما هو متوقع عنده ومظنون وأراد بالاستفهام التقرير ، وتثبيت أن المتوقع كائن ، وأنه صائب في توقعه ، كقوله تعالى: « هَلْ أَتَى عَلَى الإنسان » معناه التقرير » [الكَشَّاف ، ١/ ٢٦٣]

ب- وقد تفيد « هل » معنى التمني[1] .

ت- وقد تفيد هل الحض والحث وتحريك الحمية والعرض ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ :

- ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾ الزمر: ٩ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « أريد به التحريك من حميَّة الجاهل وأنفته ؛ لِيُهاب به إلى التعلم ؛ ولينهض بنفسه عن صفة الجهل إلى شرف العلم » [الكَشَّاف ، ١/ ٤٨١] .
- ﴿ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ النازعات: ١٨ « بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض، كما يقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا، وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه بالتلطف في القول ، ويستنزله بالمداراة من عتوه» [االكَشَّاف ، ٤/ ٥٤٠]

ث- وقد تُفيد التعجب والتشويق ، مثل :﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ ﴾ ص: ٢١

(١) د. أحمد سعد محمد : التوجيه البَلاغِيّ ، ص ١٣٢

ج- وقد تأتي في أسلوب يفيد الاستكثار ، مثل : ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ ق: ٣٠ ففي الآية « استكثار للداخلين فيها ... أو طلب للزيادة غيظًا على العُصاة » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٧٣] .

ح- إذا جاءت هل بمعنى قد في الاستفهام تفيد التقرير والتقريب ، مثل : ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ الإنسان: ١ ، فالمعنى : « أنَّه قد أتى » « على التقرير والتقريب جميعًا » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥١٢] .

خ- وقد تأتي في أسلوب يفيد التفخيم والتنبيه ، مثل : ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ الذاريات: ٢٤ ، « تفخيم للحديث وتنبيه على أنّه ليس من علم رسول الله ﷺ وإنَّما عرفه بالوحي » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٨٣] .

(٧٨) **الواو** :

أنواع الواو :

١ـ **حَرْفُ عَطْفٍ** : تفيد مطلق الجمع ، ومجرد العطف بين المتعاطفين لفظا وحكما ، كما قد تكون بينهما مهلة أو لا تكون .

٢ـ **وَاْوُ الاسْتِئْنَاف** : حرف غير عامل ، وما بعدها يبقى مرفوعا .

٣ـ **وَاْوُ المَعِيَّة** : ولها ثلاثة أنواع : وَاو تفيد مع العطف المعية نَصًّا ، وَاْوُ تفيد أن حدوث ما بعدها مصاحب لحدوث ما قبلها ، وَاْوُ المفعول معه ، وهي وَاْوُ بمعنى مع ، تذكر قبل اسم يعرب مفعولا معه .

٤ـ **وَاْوُ الحَال** : وهي غير عاملة .

٥ـ **وَاْوُ القَسَم** : وهي حرف جر ، يقسم بها ، لا تختص بلفظة معينة ، ولا تجر إلا الظاهر .

٦ـ **وَاْوُ ربَّ** : وهي وَاْوُ تنوب مناب رب .

٧ـ **وَاْوُ الفَصْل** : وهي اللاحقة عَمرو في حالتي الرفع والجر ، للتفرقة بين عمر وعَمرو.

٨ـ **وَاْوُ الثمانية** : وهي وَاْوُ زائدة تذكر قبل العدد ثمانية .

٩ـ **وَاْوُ الاعتراض** : هي وَاْوُ تقترن بالجمل المعترضة .

١٠ـ **الوَاْوُ الزائدة** : وهي لا تفيد معنى ، بقاؤها كسقوطها ، تأتي غالبا بعد إلا وبعد



إذا ، أو حتى إذا .

١١ـ **علامة رفع** : تنوب عن الضمة في الأسماء الخمسة وفي جمع المذكر السالم.

١٢ـ **ضمير** : لجماعة الذكور العقلاء غالبا .

الوَاْوُ العَاطِفَة :

(١) الواو العاطفة التي خُصَّت في مبحث الفصل والوصل لا تفيد « الجمع المطلق » باتفاق ، فهناك من النصوص الرفيعة ـ لا المصنوعة ـ أتى فيها حرف الواو وله من الأهداف والغايات والمرامي ما هو أبعد من القول الشائع المريح « إن الواو لمطلق الجمع » ، « بل ثَمَّةَ من رأي أنها تفيد الترتيب ، بل هناك من ذهب إلى أَنَّ استعمالها فيما لا ترتيب فيه مخالف لأصل الوضع ، وأخيرًا هناك من جَوَّزَ أن يكون بين متعاطفيها تراخ ، وكل هذه أمور أغفلها البلاغيون ، [ذلك] الإغفال كان وراءه كثير من المشكلات الأسلوبية المتعلقة باستخدام هذا الحرف »(١) .

(٢) يشير البلاغيون والمفسرون إلى أن من أحكام الواو العاطفة عطف الخاص على العام ، فـ « هذا النوع من العطف ـ أعني عطف الخاص على العام على سبيل التفصيل ـ هو من الأحكام التي انفردت بها الواو ؛ فلا يجوز ذلك في غيرها من حروف العطف »(٢) . ويقصد بالعام والخاص هنا هو ما كان الأول شاملا للثاني بين المتعاطفين بالواو . والمعنى البَلاغِيّ الذي قَدْ يفيده عطف الخاص على العام إبراز الفضل للمعطوف :

١ـ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ **آل عمران: ١٠٤ ف** : « فإن قُلْت : كيف قيل: « يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف » ؟ قُلْت : الدعاء إلى الخيرعام في التكاليف من الأفعال والتروك والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خاص ؛ فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص إيذانا بفضله » [الكَشَّاف ، ١/ ٣٥٠] .

٢ـ ومثل : ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ **البقرة: ٩٨** ، فـ : « أُفرِدَ الملكان بالذكر لفضلهما ،

(١) د. عبد الواحد علام : القاعدة والنص ، ص ٣٧

(٢) د. أحمد سعد مُحَمَّد : التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة ، ص ٣٣٠



كأنها من جنس آخر ، وهو مما ذُكِرَ أن التغاير في الوصف ينزَّلُ منزلة التغاير في الذات » [الكَشَّاف ، ١/ ١٥٧] .

٣ـ وقال عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ البقرة: ٢٣٨ : « الصلاة الوسطى ؛ أى : الوسطى بين الصلوات ، أو الفضلى، من قولهم للأفضل: الأوسط. وإنما أفردت وعطفت على الصلاة لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر »[الكَشَّاف ، ١/ ٢٥٩] .

(٣) **وقد تستخدم الواو العاطفة لإبراز الاخْتِصَاص والمزية** ، مثل قَوْله تَعَالَىَ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ يوسف: ٤ ، فـ : « فإن قُلْت : لِمَ أَخَّرَ الشمسَ والقمرَ؟ قُلْت: أَخَّرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاخْتِصَاص ؛ بيانًا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع » [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٤٤]

(٤) **وقد تفيد الواو العاطفة الدلالة على الكمال** ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَىَ ـ : ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ آل عمران: ١٧، فـ « الواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها » [الكَشَّاف ، ١/ ٣٠٢] .

(٥) وفي بعض الأحيان تدل الواو العاطفة على وحدة الفترة الزمنية التي وقعت فيها المعطوفات ؛ مثال ذلك ما لحظه الزَّمَخْشَرِيّ عند تفسيره الآيات ٢٢٢ إلى ٢٢٥ من سورة البقرة : « ... فإن قلت: ما بال « يَسْأَلُونَك » جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا ؟ قُلْت : كان سؤالهم عن تلك الحوادث الأُوَل **وقع في أحوال متفرقة ، فلم يؤت بحرف العطف** ؛ لأن كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ. **وسألوا عن الحوادث الأخر في وقت واحد ؛ فجيء بحرف الجمع لذلك** ، كأنه قيل : يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر، والسؤال عن الإنفاق ، والسؤال عن كذا وكذا » [الكَشَّاف ، ١/ ٢٤٢] .

(٦) وقد تدل على الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه أو تدل على الجمع بين عدد من المعطوفات سابقة ولاحقة :﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الحديد: ٣ « فإن قلت : فما معنى الواو؟ قلت : الواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية، والثالثة على أنه الجامع بين

الظهور والخفاء. **وأما الوسطى**، فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الأخريين ، فهو المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية ، وهو في جميعها ظاهر وباطن : جامع للظهور بالأدلة والخفاء، فلا يدرك بالحواس »[الكَشَّاف ، ٤/ ٣٤٢] .

(٧) وتفيد الواو العاطفة مطلق الجمع والتأكيد على أحقية أن يكون المعطوف غير المعطوف عليه، وبذلك تختلف عن الأداة « أو » مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ** ﴾ النساء: ٣: « فإن قُلْت : فَلِمَ جاء العطف بالواو دون أو؟ قُلْت : ... لو ذهبت تقول: اقتسموا هذا المال درهمين درهمين، أو ثلاثة ثلاثة، أو أربعة أربعة ؛ أعلمتَ أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة ، وليس لهم أن يجمعوا بينها ؛ فيجعلوا بعض القسم على تثنية ، وبعضه على تثليث ، وبعضه على تربيع ، وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلت عليه الواو. وتحريره : أن الواو دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع، إن شاءوا مختلفين في تلك الأعداد ، وإن شاءوا متفقين فيها ، محظورا عليهم ما وراء ذلك »[الكَشَّاف ، ١/ ٤١٠] .

(٨) وقد يكون ذكر الواو أحيانًا وحذفها أحيانًا في نفس التركيب النحوي دلالة بَلاغِيَّة ، مثال ذلك :

- قوله تَعَالَى : ﴿ **أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ البقرة: ٥
- وقوله : ﴿ **أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾ الأعراف: ١٧٩

في الآية الأولى « قَدْ اختلف الخبران ههنا ؛ فلذلك دخل العاطف ، بخلاف الخبرين ثَمَّةَ ، فإنهما متفقان ؛ لأن التسجيل عليهم بالغفلة ، وتشبيههم بالبهائم شيء واحد ، فكانت الجُمْلَة الثانية مقرِّرة لما في الأولى ، فهي من العطف بمعزل» [الكَشَّاف ، ١/ ٤٦] .

(٩) **وقد يكون غياب حرف العطف الواو أو حروف العطف عامة بين الجمل دليل على تماسك هذه الجمل من حيث المعنى ، كأن تترادف دلالة هذه الجمل ، أو تكون بيانًا للمجمل وتفسيرًا له ، أو مقررة لبعضها البعض** ، فالواو « لا تدخل



على جملة إذا كانت بيان لما قبلها ، ولم تكن أجنبية عنها » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٦٨] .
مثال ذلك :

- قال الزَّمَخْشَرِيّ :« فإن قُلْت : كيف ترتبت الجملُ في آية الكرسيِّ من غيرِ حرف عطف ؟ قُلْت : ما منها جملةٌ إلا وهي واردةٌ على سبيل البيان لما ترتَّبت عليه ، والبيانُ متَّحِدٌ بالمبيَّن ؛ فلو توسط بينهما عاطفٌ لكان كما تقولُ العرب : بين العصا ولحائِها ؛ فالأولى بيانٌ لقيامِهِ بتدبير الخلق وكونه مهيمنًا عليه غير ساه عنه ، والثانية لكونه مالكًا لما يدبره ، والثالثة لكبرياء شأنه، والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق ، وعلمه بالمرتضَى منهم المستوجب للشفاعة ، وغير المرتضى . والخامسة لسَعَة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها، أو لجلاله وعظم قدره » [الكَشَّاف ، ١/ ٢٧١] .
- ومثل قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾ النازعات: ٣٠،٣١« فإن قلت : هلا أدخل حرف العطف على أخرج ؟ قلت : فيه وجهان ، أحدهما : أن يكون معنى دَحاها بسطها ومهدها للسكنى ، **ثم فسر التمهيد بما لا بدّ منه في تأتى سكناها، من تسوية أمر المأكل والمشرب، وإمكان القرار عليها، والسكون بإخراج الماء والمرعى، وإرساء الجبال وإثباتها أوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها**. والثاني: أن يكون أَخْرَجَ حالا بإضمار قد ، كقوله : ﴿ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ النساء: ٩٠ ، وأراد بمرعاها : ما يأكل الناس والأنعام » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٤١ ، وينظر أيضًا تفسير الزَّمَخْشَرِيّ للآيات غافر ٣٨ ـ ٤١ ، ٤/ ٨٨] .
- وقد يكون غياب الواو لتعديد المعطوف ، وإفادته كثرته وتنوعه ، مثل قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ الرحمن: ١ ، ٥ « الرَّحْمنُ مبتدأ، وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة ، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد ، كما تقول : زيد أغناك بعد فقر، أعزك بعد ذل ، كثرك بعد قلة ، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد، فما تنكر من إحسانه؟ » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣١٨] .

(١٠) وقد تأتي الواو ، وتجمع بين صفتين لشيء واحد ، مثل قوله : ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ البقرة: ٥٣، في هذه الآية تعني « الواو » : « الجامع بين كونه كتابًا منزلا وفرقانًا يفرق بين الحق والباطل ؛ يعني التوراة ؛



كقولك : رأيت الغيث والليث ؛ تريد الرجل الجامع بين الجود والجرأة » [الكَشَّاف ، ١/ ١٣٠] .

(١١) وقد تأتي الواو لتأكيد معنى النفي ، مثل قوله تعالى :﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ فاطر: ١٩، ٢١ فـ : « ... فإن قُلْت : لا المقرونة بواو العطف ، ما هي ؟ قُلْت : إذا وقعت الواو في النفي قُرِنَت بها لتأكيد النفي » [الكَشَّاف ، ٣/ ٦٣٠] .

الواو الزائدة :

قد تأتي الواو فاصلة بين الصِّفَة والموصوف ، والحال وصاحبها لتأكيد لصوق الصِّفَة بالموصوف ، أو لتأكيد وصل الصفة بالموصوف :

١ـ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ الحجر: ٤ فـ « جملة « ولها كتابٌ » جملة واقعة صفة لقرية ، والقياس ألا يتوسط الواو بينهما ، كما في قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ الشعراء: ٢٠٨ ، **وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصِّفَة بالموصوف** ، كما يُقال في الحال : جاءني زيدٌ عليه ثوب ، وجاءني وعليه ثوب » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٥٢] .

٢ـ ومثل قوله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الكهف: ٢٢، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... وفائدتها تأكيد لصوق الصِّفَة بالموصوف، والدلالة على أن اتصافه بها أمرٌ ثابتٌ مستقرٌّ ، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا : « سبعةٌ وثامنهم كلبهم » قالوه عن ثبات علمٍ ، وطُمَأْنِينَة نفس ، ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرُهم ؛ والدليل عليه أنّ الله سبحانه أتبع القولين الأولين قوله: « رَجْمًا بِالْغَيْبِ » ، وأتبع القول الثالث قوله : « ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ » ، وقال ابن عَبَّاس ـ رضى الله عنه ـ :« حين وقعت الواو انقطعت العدّة » ؛ أي : لم يبق بعدها عدّة عادّ يلتفت إليها ؛ وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات » [الكَشَّاف ، ٣/ ٥٩] .

(٧٩) **واو الجماعة** :

قد تعبر واو الجماعة عن المفرد أو المثني ، وَقَدْ يُنسب الفعل إلى واو الجماعة مع أنَّ الذي قام به شخصٌ أو اثنان ، وَقَدْ يكون دلالة ذلك بَلاغِيًّا **إفادة المشاركة في الفعل** ،

بمعنى أنَّ من رَضِيَ بهذا الفعل فهو كالمشارك فيه ، وإن لم يشترك فِعليًّا في الفعل ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ الأعراف: ٧٧ « أسند العقر إلى جميعهم ؛ لأنه كان برضاهم ، وإن لم يباشره إلا بعضهم ، وَقَدْ يُقال للقبيلة الضخمة : أنتم فعلتم كذا ؛ وما فعله إلا واحدٌ منهم » . [الكَشَّاف ، ٢/ ١٧٢] .

وقد تستخدم واو الجماعة في **سياق يفيد التعظيم** ، مثل قوله تَعَالَى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ المؤمنون: ٩٩، فـ : « خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم » [الكَشَّاف ، ٣/ ٢٦٣] .

(٨٠) وي :

كلمة تَنَبُّهٍ على الخطأ وتندُّم ، مثل : ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ القصص: ٨٢فـ « وَيْ كأنه » معناه : « أنَّ القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم : يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ، وتندموا ثم قالوا : كأنه لا يفلح الكافرون » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٦٩] .

(٨١) ويلك :

أصله الدعاء بالهلاك ثم اسْتُعْمِلَ في الزجر والرَّدع ، والبعث على ترك ما لا يُرتَضَى ، كما استعمل « لا أبا لك » ، وأصله الدعاء على الرجل بالإفراط في الحث على الفعل [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٦٨] .

(٨٢) يَا :

لم يأتِ في القرآن من أدوات النداء إلا هذا الحرف .

من المعاني البَلاغِيَّة التي قد تأتي فيها الأداة يا :

أ- الحرف « يا » وضع في أصله لنداء البعيد ، صوت يهتف به الرجل بمن يناديه وأمَّا نداء القريب فله « أيْ ، والهمزة » ، ثم استُعمِلَ في مناداة من سها وغفل وإنْ قَرُبَ تنزيلا له منزلة من بَعُدَ ، فإذا نودي به القريب المفاطن (الحاذق اللبق) **فذلك للتأكيد المُؤْذِن بأنَّ الخطابَ الذي يتلوه معنيٌّ به جدًا** فإن قُلْت : فما بال الداعي يقول في جؤاره: يا رب، ويا ألله، وهو أقرب إليه من حبل الوريد ، وأسمع به وأبصر؟ قُلْت : **هو استقصار منه لنفسه ، واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه إلى رضوان الله ومنازل المقربين ،**

هضمًا لنفسه وإقرارًا عليها بالتفريط في جنب الله ، مع فرط التهالك على استجابة دعوته والإذن لندائه وابتهاله » [الكَشَّاف ، ٢/ ٨٩] .

ب- وقد **تفيد الاستهزاء** ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ** ﴾ الحجر: ٦ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « وكأنَّ النِّداء منهم على وجه الاستهزاء » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٥٢] .

ت- وقد تأتي في سياق يدل على **التعظيم والتجبُّر** ، مثل قوله تعالى : ﴿ **فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ** ﴾ القصص: ٣٨ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... وأمرَ هامان وهو وزيره ورديفه بالإيقاد على الطين منادًى باسمه بـ « يا » في وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر »[الكَشَّاف ، ٣/ ٤٥٣] .

ث- وقد تفيد **التنبيه خاصة عند تكررها** ، مثل : ﴿**وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ**﴾ غافر: ٣٨ – ٣٩

ج- وقد تفيد **استدعاء تجدد الاستبصار في مضمون الكلام** ، مثل قوله :﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ**﴾ الحجرات: ١ – ٢ ، فـ« إعادة النداء عليهم استدعاءٌ منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد ، وتطرية الإنصات لكل حكم نازل ، وتحريكٌ منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأمُّلِهم وما أُخِذُوا به عند حضور مجلس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأدب الذي المحافظةُ عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم ، وذلك لأنّ في إعظام صاحب الشرع إعظام ما ورد به » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٤٢] .

ح- وقد تأتي يا في **سياق لإفادة التهكم** ، ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ** ﴾ **الصف: ٢** فـ« نداؤهم بالإيمان تَهَكُّم بهم وبإيمانهم ، وهذا من أفصح كلام وأبلغه في معناه » [الكَشَّاف ، ٤/ ٣٨٦] .

خ- والنداء المتكرر **يدل على التضرع واللجأ إلى الله** . مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ**

رَّحِيمٌ ۝٣٦ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ إبراهيم: ٣٦ – ٣٧

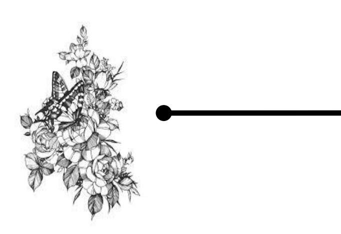
د- وتحذف يا للدلالة **على تقريب المنادى ، ومفاطنة للحديث وتلطيف** له ، مثل قوله : ﴿ **يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا** ﴾ يوسف: ٢٩ « حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله » [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٦٠] .

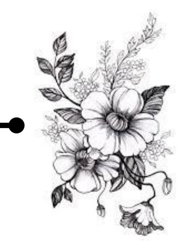
(٨٣) يَاءُ النَّسَبِ :

قد تفيد ياء **النسب المُبَالَغَة وزيادة قوة في الفعل ، والتوكيد** ، مثل :

- الياء في « نصرانِيّ ، أَحمريّ » [الكَشَّاف ، ١/ ١٣٧] .
- ومثل قوله تَعَالَى : ﴿ **فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي** ﴾ المؤمنون: ١١٠، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « السُّخْرِيّ ـ بالضم والكسر ـ مصدر سَخَرَ كالسخر ، إلا أن في ياء النسب زيادة قوّة في الفعل، كما قيل الخصوصية في الخصوص » [الكَشَّاف ، ٣/ ٢٦٥] .
- ومثل :﴿ **ٱلۡأَعۡجَمِينَ** ﴾ الشعراء: ١٩٨فـ « الأعجم الذي لا يُفصح ، وفي لسانه عجمةٌ واستعجام ، والأعجمي مثله إلا أن فيه لزيادة ياء النسب زيادة التوكيد » [الكَشَّاف ، ٣/ ٣٨١] .







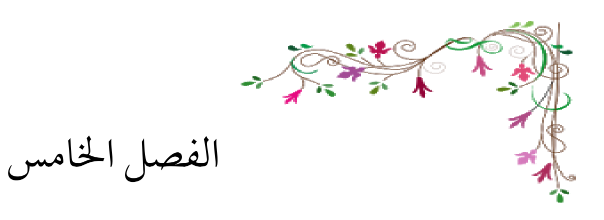
الفصل الخامس

مباحث صَرْفِيَّة في خدمة التحليل البلاغيّ القرآني





الفصل الخامس



مباحث صرفيّة في خدمة التّحليل البلاغيّ القرآنيّ

وكما أنَّ الوقوف على القيم البَلاغِيَّة للأدوات النحوية يفيدنا في البحث البَلاغِيّ القرآني ؛ فكذلك إبراز الجوانب البلاغية لبعض الأمور الصَّرْفِيَّة يساهم في التحليل البَلاغِيّ وإثرائه ، ويساهم في بيان الإعجاز البَلاغِيّ للقرآن .

ولقد جمعنا في هذا الفصل أشتاتًا متفرقات من أمورٍ صرفيةٍ متنوعة جمعنا جزءًا كبيرًا منها من تفسير الكشاف .

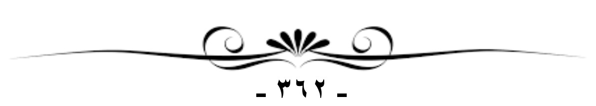
ومن أَجَلِّ الأمور الصَّرْفِيَّة التي تُثري التحليل البَلاغِيّ المعاني الدلالية للصيغ الصَّرْفِيَّة ، فالوقوف عليها يضع بين يدَيّ الباحث مفتاحًا جليلا يفضُّ به مغاليق كثير من الجوانب البَلاغِيَّة ؛ لذلك فأول ما نبدأ به هذه المباحث الصَّرْفِيَّة مبحث المعاني الدلالية للأوزان الصَّرْفِيَّة .

وقبل المُضي قُدُمًا في بيان تلك المعاني الصَّرْفِيَّة نُنَبِّه على :

أ- تؤدي معاني الصيغ والمعاني الإضافية دورًا مهمًّا في رصد أسرار البيان القُرْآنِيّ وَالبَلاغَة القُرْآنِيَّة ، حيث إن القُرْآن الكريم يُصَرِّفُ أساليب الكلام حسب « **ما تقتضيه الأحوال ، فهو في موقف يسوقُ الكلام مرسلا ، وفي موقف ثانٍ يسوقه مؤكدًا بمؤكِّد واحد أو مُؤَكِّدات قليلة ، وفي موقف ثالث يسوقه مؤكدًا بمؤكدات كثيرة ، وهكذا . ولا شك أن كل صيغة من الصيغ الاشتقاقية ، بل كل وزن في داخل الصيغة الواحدة يحمل معه ظل المعنى الذي يمكن توظيفه لمطابقة مقتضى الحال من ناحية ، وللإحاطة بجوانب الصِّفَة من جميع أطرافها ـ من ناحية أخرى** »[1] .

---

(١) د. أحمد مختار عمر : أسماء الله الحسنى ، ص ٩٩



ب- أنه توجد علاقة بين « معنى الصيغة الصَّرْفِيَّة » و « المعنى المعجمي » في كثير من الأحيان ، وقد لاحظ هذا أستاذنا د. أحمد مختار عمر ، عند دراسته لأسماء الله الحسنى ، حيث ينص على أنَّ « التوصُّل إلى معنى الصيغة كثيرا ما يتوقف على معرفة المعنى المعجمي للاسم ، فقبل إعطاء معنى الصيغة لصفات « البديع » ، أو « الجليل » ، أو « الحسيب » ، أو « الحكيم » ، أو « الحميد » ، أو « الشهيد » ، أو « الصمد » ، أو « الودود » ... لا بد من تحديد دلالتها المعجمية »[1] .

(١) **مَعَانِي الصِّيَغ الصَّرْفِيَّة**[2] :

١ ـ فَعُلَ : بنية صَرْفِيَّة تدل على العادة والنَّحِيزَة ، قال ابن جني عند قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ آل عمران: ١٧٦ ، « معنى « يُسَارِعون » في قراءة العامة ؛ أي : يسابقون غيرهم ، فهو أسرع لهم وأظهر خفوفًا بهم ، وأما« يَسرعون » فأضعف معنى في السرعة من يسارعون ؛ لأن مَن سابق غيره أحرصُ على التقدم ممن آثر الخفوف وحده ، وأما سَرُع فعادة ونحيزة؛ أي: صار سريعًا في نفسه »[3] .

٢ ـ فَاعَل : ومن معاني هذا الوزن :

أ- **المشاركة** ؛ أي أَنَّكَ إذا قُلْت : **فاعلته ، فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قُلْت فاعلته** . ومثل ذلك : ضَارَبته ، وفَارَقته ، وكَارَمته ، وعَازَني وعَازَزته ، وخَاصَمني وخَاصَمته .

ب- **المغالبة والمباراة** ، وهو معنى قريب من المعنى السابق ، مثاله قوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ﴾ الزمر: ٣٦ ، فـ : « ... قُرِئَ : « بكافي عباده » على الإضافة

(١) د. أحمد مختار عمر : أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ط١ ، (٢٠٠٠م) ، ص٣

(٢) يُنظَر في معظم معاني هذه الصيغ : سيبويه ، الكتاب ، ت : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، ط٣ ، المواضع الآتية : ج٣/ ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٦٢٣ ، ج ٤ / ٦٤، ٦٥ ، ٦٦، ٦٨، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١،٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧

(٣) المحتسب ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، (١٩٩٩م) ، ١/ ١٧٧



، و « يكافي عباده » ، و « يكافي » يحتمل أن يكون غير مهموز ، مفاعلة من الكفاية ، كقولك : يجازي في يجزي ، وهو أبلغ من « كفى » لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة ، وأن يكون مهموزًا من المكافأة ، وهي المجازاة » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٣ ، ٥٤] .

ت- **المبالغة** : قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ التوبة: ٥٨ : « وقُرِئَ « يُلْمِزُكَ » بالضم و« يُلَمِّزُكَ ، ويلامِزُكَ » ، والتثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز »[1] ، وقال عند قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ النحل: ٥٤ « وقرأ قتادة « كاشَفَ الضرَّ » ؛ على فَاعَلَ بمعنى فَعَلَ ، وهو أقوى من كشف ؛ لأن بناء المُبَالَغَة يدل على المُبَالَغَة » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٨٥] . وقال عند قوله تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ ﴾ البقرة: ٩ : « هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح؟ قُلْت : وجهه أن يقال : عنى به « فَعلتُ » إلا أنه أخرج في زنة «فاعلت» ؛ لأن الزنة في أصلها للمغالبة والمباراة ، **والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي إليه**» [الكَشَّاف ، ١/ ٥٧] .

ث- **تَكَرُّر الفعل** : قال أبو السعود المفسر (٩٥١هـ) عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الحج: ٣٨ : « وصيغة المُفاعلَة إما للمبالغة أو الدلالة على تكرر الدفع ؛ فإنها قَدْ تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين ؛ فيبقى تكرره ، كما في الممارسة ؛ أي : يدافع في دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله ، مبالغة من يُغالب فيه ، أو يدفعها عنهم مرة بعد أخرى ، حسبما تجدد منهم القصد إلى الإضرار بالمسلمين »[2] .

(١) الكَشَّاف ، ٢/ ٣٦٢ ، وانظر أَيْضًا قول الزَّمَخْشَرِيّ عند تفسير قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيَ إِلَّا أَن يُهْدَىٰ﴾ يونس: ٣٥

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القُرْآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (بدون بيانات أخرى) ، ٦/ ١٠٨



٣ ـ أَفْعَلَ :

١) التَّعدِيَة والجعل ، مثل : دَخَلَ ـ أَدْخَلَ ، عَظُمَ ـ أَعْظَمْتُه ، حفر ـ أَحْفَرَ .

٢) الصيرورة ، مثل : ثَقُلَ ـ أَثْقَلَ ؛ أي : صار ذا ثِقْل ، أتمرنا ؛ أي : صرنا ذوي تمر ، فـ : « يُقَالُ أَفْلَحُه ؛ أصاره إلى الفلاح » [الكَشَّاف ، ٣/ ٢٤٠] .

٣) الإلجاء والإحواج ، مثل : أطلبت الرجل ؛ إذا بَلَّغْتُه مطلبه ، وأطلبته ؛ إذا أحوجته إلى أن يطلب ، ومثل :﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ ﴾ مريم: ٢٣؛ أي : جاءها.

٤) الدخول في شيء مكانًا كان أو زمانًا ، مثل : أسهلنا ؛ إذا وقعنا في السهل ، وأوعثنا ؛ إذا وقعنا في الوعث ، وهي أرض تسُوخ فيها القدم .

٥) الدخول في مصدر الفعل ، مثل قوله تَعَالَى :﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ المؤمنون: ١ فـ : « أفلح دخل في الفلاح ، كأبشر دخل في البشارة » [الكَشَّاف ، ٣/ ٢٤٠] .

٦) الحَيْنُونَة ، مثل : أَصْرَمَ النَّخلُ ، وأَمْضَغَ ، وأحصد الزَّرْعُ ، وأَجَزَّ النخلُ ، وأَقْطَعَ ؛ أي : استحقَّ أَنْ تُفْعَل به هذه الأشياء .

٧) أَفْعَلَ بمعنى الثلاثي ، مثل : شَغَلَهُ وأَشْغَلَهُ ، مَطَرَ وأَمْطَرَ ، نَصَفَ وأَنصَفَ.

٨) التَّعرِيض ، مثل : أَقْتَلْتُهُ ؛ أي : عَرَّضتُه للقتل .

٩) وجود مفعول أَفْعَلَ على صفة ، مثل : أَحْمَدْتُه ؛ أي : وَجَدْتُهُ مُسْتَحَقًّا للحمد مني .

١٠) السلب ، مثل : أشكيت زيدًا ؛ أي : أزلتُ له عما يشكوه ، قال الزَّجَّاجُ : « قوله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ طه: ١٥ تأويله ـ والله أعلم ـ عند أهل النظر : أكادُ أظهرها ، وتلخيص هذه اللفظة ؛ أي : أكاد أزيل عنها خفاءها » .

١١) الدعاء ، مثل : أَسْقَيْتُه في معنى سقيته .

١٢) الوصول للعدد ، مثل : أَعْشَرَ ، وأَتْسَعَ ، وآلفَ .

١٣) مجئ أَفْعَلَ بمعنى استفعل ؛ مثل : أبان بمعنى استبان .

١٤) ما أغنى عن أصله ، مثل : أَذْنَبَ بمعنى أَثِمَ .



١٥) جعل الشيء ذا أصله ، مثل : أَنْعَلْتُ الدابة والسيف والقدم وغيرها ؛ أي: جَعَلْتُ لها نَعلا .

١٦) التسمية ، مثل : أكفرته وأخطأته ؛ أي : سميته كافرًا أو مخطئًا .

١٧) التمكين والإعانة ، مثل : أحلبت فلانًا وأرعبته ؛ أي : أعنته على الحلب والرعي .

١٨) أفعل مطاوع فعل ، مثل : كببْتُ الرجلَ ؛ فأكبَّ .

١٩) أفعل مطاوع لفَعَّلَ ، مثل : فَطَّرتُه فأفطر .

٢٠) التكثير ، مثل : أغلقتُ الباب ، وغلقت الباب [(١)] .

٤ ـ فَعَّل :

١) كثرة العمل ، أو التكثير في الفعل والفاعل والمفعول ، مثل : كسَّرْته وقطَّعْتُه ومَزَّقْتُه وعَلَّمَه .

٢) التكرير : مثل قراءة : « يُخَصِّفان [طه : ١٢١] للتكثير والتكرير » ، [الكشاف : ٣/ ١٧١] ، ومثل قراءة من قرأ « يُصَهِّرُ » في قوله تَعَالَى: ﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ﴾ الحج: ٢٠ [الكشاف : ٣/ ٢١٨].

٣) التعدية ، مثل : فرِحَ وفرَّحتُه .

٤) الصيرورة ؛ مثل : وَرَّقَ ؛ أورق ؛ أي : صار ذا ورِق ، وقَيَّحَ الجرحُ ؛ أي : صار ذا قيح .

٥) الإزالة ؛ مثل : أَقْذَيْتُ ؛ أي : جعلتها قَذِيَّةً ، وقَذَّيتُها نَظَّفتها .

٦) التسمية ؛ أي : نسبة المفعول إلى أصل الفعل وتسميته به ، مثل : فَسَّقته وزَنَّيته ؛ أي : سميته بالزنا والفسق .

٧) الدعاء بأن يأتي فَعَّلَ للدعاء على المفعول ، أو له ، بأصل الفعل ، مثل : سَقَّيْتُه ورَعَّيتُه ؛ أي : قُلْت له سقاك الله ورعاك الله .

٨) تصيير مفعوله على ما هو عليه ، مثل : سبحان الذي ضَوَّأَ الأضواء ، وَكَوَّفَ الكوفة ، وبَصَّرَ البصرة ؛ أي : جعلها أضواءً وكوفة وبصرة .

٩) عمل شيء في الوقت المشتق منه ، مثل : صَبَّحنا ومَسَّينا وسَحَّرنا ؛ أي : أتيناه صباحًا ومساءً وسحرًا .

---

(١) د. موضى بنت حميد بن رميزان السبيعي : المعاني الصَّرْفِيَّة ، ط١ ، ٢٠١٤م ، ص ٥٦



١٠) المشي إلى الموضع ؛ مثل : كَوَّفَ ؛ أي : مشى إلى الكوفة .
١١) اختصار حكاية الشيء ؛ مثل : حَيَّيْتُهُ ؛ أي : استقبلته بـ « حَيَّاك الله »
١٢) تأتي فَعَّلَ مُغنية عن الأصل الثلاثي ؛ مثل : عَرَّدَ في القتال ؛ أي : فَرَّ ، وعَيَّرَه بالشيء ؛ أي : عابه .
١٣) قبول الشيء ؛ مثل : شَفَّعتُ زيدًا ؛ أي : قَبِلْتُ شفاعته .
١٤) اتخاذ الفعل من الاسم ، مثل : خَيَّمَ القوم ؛ أي : ضربوا خيامًا .
١٥) المبالغة ، مثل :﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ التكوير: ١٢ (انظر المعنى في فَاعَلَ)
١٦) التدريج والتنجيم ، مثل قوله : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ البقرة: ٢٣ ، فـ : « فان قُلْت : لِمَ قيل : « مما نَزَّلنا » على لفظ التنزيل دون الإنزال؟ قُلْت : لأن المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم ، وهو من مَحَازِّه لمكان التحدي » [الزَّمَخْشَرِيّ الكَشَّاف ، ١/ ٩١]
١٧) بمعنى « أَفْعَلَ » ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « نَزَّلَ يكون بمعنى أَنْزَلَ وبمعنى التدريج » [الكَشَّاف ، ٣/ ١١٥] .

٥ ـ <u>تَفَعَّلَ</u> :

١) يدل على مَنْ لم تكتمل عنده الصِّفَة التي يتظاهر بها . مثال ذلك من أراد أن يُدْخِلَ نفسَه فى الدِّينِ ولم يَستكمل أَنْ يقال له دِينٌ ، لقالوا : يَتَدَيَّنُ وليس بذلك ، ويَتشرَّفُ وليس له شَرَفٌ ، ويَتفهَّمُ وليس له فَهْمٌ .
٢) المطاوعة ، فعلته فتَفَعَّل ، نحو كسرته فتكَسَّر ، وعشيته فتعشَّى ، وغديته فتغدَّى ، ونزَّلته فتنزل .
٣) إرادة الاتصاف بصفة حتى يكون صاحبها من أهلها (التكلف) . ومثال ذلك إذا أراد الرجل أَنْ يدخل نفسه في أمرٍ حتى يضاف إليه ويكون من أهله فَإِنَّك تقول: تَفَعَّلَ ، وذلك مثل : تَشَجَّعَ وتَبَصَّرَ وتَحَلَّمَ وتَجَلَّدَ ، وتَمَرَّأ (؛ أي : صار ذا مروءة).
٤) الصيرورة ؛ أي : صيرورة الشيء ذا أصله ، مثل : تَأَهَّل ؛ أي : صار ذا أهل ، تَأَلَّمَ؛ أي : صار ذا ألم ، تَكَبَّر ؛ أي : صار ذا كبر .
٥) الأخذ من الشيء الأول فالأول ، مثل : تَنَقَّصته وتنقصني فكأَنَّه الأخذ



من الشيء الأول فالأول .

٦) القيام بالفعل بتكرار على مهل ، مثل : يتَسَمَّعَ ، يَتَحَفَّظ ، يَتَجَرَّع ، يتفوَّق ، يَتَخَيَّر ، يَتَدَخَّل .

٧) الإتيان بالفعل ، مثل : تَكَلَّمَ ؛ أي : أتى بالكلام ، تَعَمَّمَ ؛ أي : لبس العمامة.

٨) الوصول إلى المكان أو الإقامة فيه ، أو الانتساب إلى أهله ، مثل : تَبَطَّحَ ؛ أي: حَلَّ بالأبطح ، تَبَصَّرَ ؛ أي : أتى البصرة ، أو أقام بها ، أو انتسب إلى أهلها .

٩) الاتخاذ ، مثل : تَوَسَّدَ .

١٠) التَّجَنُّب ، مثل : تَأَثَّمَ ، تَحَرَّجَ .

١١) معنى استفعل ، مثل : تَكَبَّرَ ، تَعَظَّمَ .

١٢) الطلب والبحث ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « يقال : تجسَّسَ الأمرَ ؛ إذا تطلبه وبحث عنه ، تَفَعَّلَ من الجَسِّ ، كما أن التَّلَمُّسَ بمعنى التَّطَلُّب من اللمس ، لما في اللمس من الطلب » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٥٩] .

٦ ـ **انفَعَلَ** : المطاوعة ، مثل : كسرته فانكسر ، وحطمته فانحطم ، وحسرته فانحسر، وشويته فانشوى ، وبعضهم يقول: فاشتوى . وغممته فاغتم ، وانغم عربية . وصرفته فانصرف ، وقطعته فانقطع .

٧ ـ **افْتَعَلَ** :

١) المطاوعة ، مثل : فعلته فانفعل وافتعل ، وَسَّقَه فاتسق ، وسعه فاتسع .

٢) المشاركة ، مثل : تضاربوا واضطربوا ، وتقاتلوا واقتتلوا ، وتجاوروا واجتوروا ، وتلاقوا والتقوا ، فـ : « الافْتِعال والتَّفاعُل يشتركان كالانفصال والتناضل والارتماء والترامي »[الكَشَّاف ، ٢/ ٤٥١] .

وذكر بعض اللغويين أنَّ وزن « اِفْتِعَال » من الوزن « افتعل » ، يدل على حدوث الفعل بين شيئين أو أكثر ، قال أبو العلاء في شرحه على ديوان أبي تمام : « .. ولوقيل : « اصطك الحجر والخشبة » ؛ لم يجز الاقتصار على الاسم

الأول ؛ لأن الافتعال إنما يكون في هذا الباب من اثنين فما زاد »[1] .

٣) اتخاذ الاسم الذي يقع عليه الفعل ، مثل : اشتوى القوم ؛ أي اتخذوا شواءً .

٤) التصرف والطلب أو الاجتهاد في تحصيل أصل الفعل ، أو الاعتمال وبذل المجهود ، مثل : اصطنع . قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ البقرة: ٢٨٦ : « فإن قلت: لِمَ خصَّ الخير بالكسبِ ، والشرَّ بالاكتساب ؟ قُلْت : في الاكتساب اعتمالٌ ، فلما كان الشرُّ مما تشتهيه النفسُ ، وهي منجذبةٌ إليه، وأَمَّارةٌ به، كانت في تحصيلِه أعمل وأجدَّ ؛ فجُعِلت لذلك مكتسبةً فيه. ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال » [الكَشَّاف ، ١/ ٢٩٤] .

٥) المبالغة في المعنى ، مثل : اقتدر .

٦) الإظهار ، مثل : كاعتذر واعتظم ؛ أي : أظهر العُذر ، والعَظَمَة .

٨ ـ <u>اِفْعَلَّ</u> : يأتي غالبًا لمعنى واحد ، وهو قوة اللون أو العيب ، ولا يكون إلا لازمًا ، كاحمر وابيضَّ واعورَّ واعمشَّ ؛ قويت حمرته وبياضه وعَوَره وعمشه.

٩ ـ <u>تَفاعَل</u> :

١) المطاوعة ، مثل : فاعلته فتفاعل ، وناولته فتناول .

٢) المشاركة ، أو التشريك بين اثنين فأكثر ، فيكون كل منهما فاعلا في اللفظ ، مفعولا في المعنى ، يقول سيبويه : « وأما تفاعلت فلا يكون إلا وأنت تريد فعل اثنين فصاعدا ، ولا يجوز أن يكون معملاً في مَفْعُوْل ، ولا يتعدى الفعل إلى منصوب» . مثل : تضاربنا ، وترامينا ، وتقاتلنا .

٣) إظهار حال ليس عليها الشخص ، أو بعبارة أخرى : إظهار الإنسان شيئًا ليس من خلقه ولا من غريزته ، مثل : تَغَافَلت ، وتعاميت ، وتعاييت ، وتعاشيت وتعارجت ، وتجاهلت . واسم الفاعل من هذه الصِّيْغَة يتضمن أَيْضًا نفس الدلالة ، مثل : مُتغافِل ، ومُتكارِم .

---

(١) ينظر : ديوان أبي تمام بشرح التبريزي: [١/ ٢٤٨، البيت : ٢٩]



٤) حصول الشيء تدريجًا ، كـ « تَزَايد النيل ، وتواردت الإبل » ؛ أي : حصلت الزيادة بالتدريج شيئًا فشيئًا .
٥) مطاوعة فاعل ، كباعدته فتباعدَ .
٦) الكثرة والزيادة ، مثل : تَبَارَكَ ، ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ الفرقان: ١قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... « تبارك » فيه معنيان : تزايد خيره وتكاثر ، أو تزايد عن كل شيء ؛ فتعالى عنه في صفاته وأفعاله » [الكَشَّاف ، ٣/ ٣١٣] .
٧) توكيد معنى الفعل (انظر فَاعَل) .
٨) المبالغة (انظر فَاعَل) .

وقام بعض اللغويين بإضافة بعض المعاني الأخرى غير ما سبق لهذا الوزن :

- **أولا التفاعل من واحد** :

- تكلف الفعل عن اعتقاد به ، مثل : تتباهى الفتاة بجمالها ، وتتفاخر بنسبها ، وتتواجه بثرائها وتتعاظم بثقافتها ، وتتفاصح في كلامها ، وتتعالى في معاملتها ، وتتمايل في سيرها .
- المشابهة ، مثل : تكالب على الشهوات ؛ أي أشبه الكلب في الحرص عليها ، وتذاءبت الريح ؛ أي: أشبهت الذئب في إقباله من جهة مَرَّة ، ومن غيرها أخرى.
- حدوث الفعل متتابعا ، مثل : تماوج صوت أم كلثوم ، وتقاطر المطر ، وتناقص الماء بالتبخر ، وترادف الرزق ، ويتهالك على الدروس ، ويتحامل على خصمه ، وتقادم العهد ، وتنامى الطفل ، وتهاوى البناء ، وتراجع في سعيه ، وتراخت الحملة ، وتسارعت الحركة ، وتواتر الحديث ، وترامى إلينا الخبر ، وتمادى الضلال (سبق أن ذكرناه) .
- الدخول في شيء ، أو الميل إليه ، مثل : تيامن الطريق ، وتياسر في سعيه ، وتباشر بالصباح ، وتفاءل بالوجوه الحسان ، وتشاءم بنعيق البوم ، وتكاسل في عمله ، وتساهل في حقه .
- طلب الفعل ، مثل : تقاضاه الدين ؛ أي طلب منه قضاءه ، تحاكم الشاعر إلى الناقد ؛ أي طلب حكمه ، ذهب إلى الطبيب ليتداوى ؛ أي يطلب الدواء .



- مطاوعة فعل سابق من أي وزن ؛ أي التَأَثُّر به ، مثل : نثرت الحب فتناثر ؛ أي انتثر .
- القيام بالفعل ابتداء ؛ أي دون تَأَثُّر بفعل سابق ، فهو كالفعل الثلاثي ، مثل: تنازل عن حقه ؛ أي نزل ، وتساءل عن أخيه ؛ أي سأل ، وتجارأ عليه ؛ أي جرأ ، وتجاسر عليه ؛ أي جسر ، وتجاوز الحد ؛ أي جاز ، وتوانى في العمل ؛ أي وني .
- اعتقاد صفة الشيء ، مثل : أعطيته في الكتاب دينارا فتقاله ؛ أي عده قليلا ، وتعاظمت الذنب ؛ أي عددته عظيما .

- **ثانيا : تفاعل من اثنين أوجمع :**

- مجرد التشارك أو الاشتراك في الفعل ، مثل : تنادم الرجلان ، وتصاحبا ، وتجالسا .
- التبادل ، مثل : تآمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ؛ أي : تبادلوا ذلك ، فأمر بعضهم بعضا بالمعروف ونهاه عن المنكر ، وتتجاذب الكواكب والنجوم ، وتعامد الخطان ، يتقارضان الثناء ، تعارفا بعد أنْ كانا متناكرين ، تقابض المتبايعان ثُمَّ تفارقا .
- المغالبة في الفعل وهي تشمل التشارك والتبادل بين طرف وآخر مع رغبة كل طرف أَنْ يغلب الآخر ، مثل : تفاخر الشاعران ، ثُمَّ تهاجيا ، تبارى الفريقان في الكرة ، تتسابق الخيل ، يتساقى المتحاربون الموت[1] .

١٠ـ **تَفَعْلَل** : المطاوعة ، مثال ذلك : وقلقلته فتقلقل، ومعددته فتمعدد، وصعررته فتصعرر.

١١ـ **اِسْتَفْعَلَ** :

١) وجود الشيء على حال مُعَيَّنَة ، مثل : استجدته ؛ أي : أصبته جَيِّدا ، واستكرمته ؛ أي : أصبته كريمًا ، واستعظمته ؛ أي : أصبته عظيمًا ، واستسمنته ؛ أي : أصبته سمينًا .

٢) الطلب ، مثل : استعطيت ؛ أي : طلبت العَطِيَّة ، واستفهمني ؛ أي : طلب

---

(١) مقال « وزن تفاعل ودلالته » ، بقلم : مُحَمَّد خليفة التونسي ، ص ١٤٧ ، مجلة العربي ع ٢٤٧ ، الكويت .



إفهامي .

٣) المبالغة في الامتناع والتحفظ الشديد والاستزادة من الفعل . قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ يوسف٣٢: « الاستعصام بناء مبالغة ، يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد ، كأنه في عصمة ، وهو يجتهد في الاستزادة منها ، ونحوه : استمسك ، استوسع الفتق ، واستجمع الرأي ، واستفحل الخطب »[الكَشَّاف ، ٢/ ٤٦٤] . وقال: « ... استيأسوا ؛ يئسوا ، وزيادة السين والتاء في المُبَالَغَة ، نحو ما مرَّ في استعصم » [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٨٨] .

٤) طلب الإزالة ؛ مثل : استعتب ؛ طلب إزالة ما هم فيه .

٥) التحول والتنقل من حال إلى حال ، ومثال ذلك : استنوق الجمل ، واستيتست الشاة ، واستنسر البُغَاثُ ؛ أي : صار كالنسر ؛ مثل : استكان ، استفعل من الكَوْن ؛ أي انتقل من كونٍ إلى كونٍ ، كما قيل : « استحال ؛ إذا انتقل من حال إلى حال » [الكَشَّاف ، ٣/ ٢٥٩] .

٦) المطاوعة ، مثل : وسقه فاستوسق ، ووسعه فاستوسع .

١٢ـ **افْعَوْعَلَ** :

١) المبالغة والتوكيد مثال ذلك : اخشوشن ، اعشوشبت الأرض ، احلولى .

٢) المطاوعة . قال الزَّمَخْشَرِيّ عند تفسير قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ﴾ هود: ٥ ، : « وقُرِئَ : « تَثْنَوْنَى صدورُهم » ، واثْنونى افعوعَل من الثَّني ، كاحلولى من الحلاوةِ ، وهو بناء مبالغة ... وقُرِئَ : « تَثنونّ » ، وأصله : تَثْنَوْنِنَّ ؛ تَفعَوعِلُ من الثَّنِّ ، وهو ما هَشَّ وضعف من الكلأ ؛ يريدُ مطاوعة صدورهم للثني ، كما ينثني الهَشُّ من النبات »[الكَشَّاف ، ٢/ ٣٩٠] .

١٣ـ **فَعَّال** : يدل على من له مهنة يمتهنها ويعالجها ، مثل قولنا لصاحب الثياب: ثوَّاب ، ولصاحب العاج : عَوَّاجٌ ؛ ولصاحب الجِمال التي ينقل عليها : جمَّال ولصاحب الحُمُر التي يعمل عليها : حمارٌ ، وللذي يعالج الصَّرْف : صرافٌ.

١٤ـ **فُعُلَّة** : وهو يدل على الكثرة ، مثل : الغُضُبَّة : الكثير الغضب . وقال

العلماء عن هذا الوزن أنه « أوزان صيغ المُبَالَغَة غير القياسية ، ومن أمثلته أَيْضًا كُذُبَّة »[1].

١٥ ـ **فَوْعَل** : الدلالة على الكثرة ، مثل : « الكوثر : فَوعَل من الكثرة ، وهو المفرط الكثرة » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦٤٠] .

١٦ ـ **فُعَلَة** : من المعاني الدلالية لهذا الوزن الدلالة على العادة ، مثل : هُمَزَة ، لُـمَزَة . قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قوله تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ الهمزة: ١: « بناء فُعَلَة يدل على أن ذلك عادة منه ، قد ضَرِيَ بها ، ونحوهما : اللُّعَنَةُ ، والضُّحَكَة » [الكَشَّاف ، ٤/ ٦٣٠] .

١٧ ـ **دلالات الوزن فُعَالَة** :
فُعَالَة بناء للقلة ؛ كالقُلامَة ، والقُمامَة ، والسُلالة .

١٨ ـ **دلالات الوزن « فَاعِل »** :

١) المعنى العارض غير الثابت مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ ﴾ هود: ١٢ : « ... فإن قُلْت : لِمَ عَدَلَ عن « ضَيِّق » إلى « ضائق » ؟ قُلْت : **لِيَدُلَّ على أَنَّه ضِيْقٌ عارضٌ غير ثابت** ؛ لأنَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أفسحَ الناسِ صدرًا ، ومثله قولك : زيدٌ سيِّدٌ وجَوادٌ ؛ تريدُ : السيادة والجودَ الثابتين المستقرَين . **فإذا** أَردْتَ **الحدوثَ** : قُلْت سائدٌ وجائدٌ ، ونحوه : « كَانُوا قَوْمًا عَامِين » في بعض القِراءَات »[2] .

ويجب أن نلاحظ هنا أن دلالة اسم الفاعل على المعنى العارض هنا يكون بالنسبة للصفة المُشَبَّهَة كما هو واضح في المثال ، أما بالنسبة للفعل **فاسم الفاعل أدوم وأثبت من الفعل** .

٢) يدل على ما يكون صاحب شيء وليس بصنعة يعالجها ، ذلك مثل قولك

(١) إميل بديع يعقوب : معجم الأوزان الصَّرْفِيَّة ، ص١٩٤ ، ط١ عالم الكتب ، بيروت ١٩٩٣م

(٢) الكَشَّاف ، ٢/ ٣٩٣ ، ونلاحظ من نص الزَّمَخْشَرِيّ دلالة الوزنين « فَيْعَل ، وفَعَال » على الثبات والاستقرار ؛ مثل : ضَيِّق ، سَيِّد ، جَوَاد .



لذي الدرع دارِع ، ولذي النَّبل : نابلٌ ، ولذي النُّشاب : ناشبٌ ، ولذي التَّمر: تامرٌ ، ولذي اللبن : لابنٌ . ومثل : ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ القصص: ٥٧ ؛ بمعنى ذا أمن .

٣) معنى النسبة[(١)] ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ هود: ٤٥ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ويجوز أن يكون من الحكمة ؛ على أن يُبْنَى من الحكمة حاكمٌ ؛ بمعنى النسبة ، كما قيل : دارعٌ من الدرع ، وحائض وطالق على مذهب الخليل » [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٠٧] .

٤) القلة والكثرة : قال الزَّمَخْشَرِيّ قال عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ الحجر: ٨٦ : « وفي مصحف أُبَيٍّ وعثمان : إن ربَّك هو الخالقُ ، **وهو يصلُحُ للقليل والكثير، والخلَّاق للكثير لا غير** ، كقولك : قطَّع الثياب ، وقطعَ الثوب والثياب » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٦٦] .

٥) إكساب غير العاقل صفة العاقل ، مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ النحل: ٤٨ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... « وهم داخرون » جمع بالواو ؛ لأن الدخور من أوصاف العقلاء ، أو لأن في جملة ذلك من يعقل » .

١٩ ـ دلالة الوزن فَعِيل : الدلالة على المُبَالَغَة قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ إبراهيم: ٣٩ : « فإن قلتَ: ما هذه الإضافة : إضافة السميع إلى الدعاء؟ قلتُ: إضافة الصِّفَة إلى مفعولها ، وأصله لسميعٌ الدعاء . وَقَدْ ذكر سيبويه « فعيلا » في جملة أبنية المُبَالَغَة العاملة عمل الفعل ، كقولك : هذا ضروب زيدًا ، وضَرَّابٌ أخاه ، ومِنْحَار إبله ، وحَذِرٌ أمورًا ، ورَحِيم أباه » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٤٥] .

---

(١) هذه الصِّيْغَة من صيغ النسب ؛ والنسب في العربية على صيغ متعددة ، من أشهرها : « النسب بإلحاق الياء المشددة في آخر الاسم » ، و« فَعَّال » ، و« فَاعِل » . يراجع : د.فاضل صالح السامرائي معاني الأبنية في العربية ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م ، دار عمار للنشر والتوزيع ، الأردن ، ص١٥٣ وجاء في النحوالوافي عن هذه الصِّيْغَة أَيْضًا ٣/ ٢٨٨ : « فَاعِل من أوزان الصِّفَة المُشَبَّهَة من الفعل الثلاثي على فَعُل ، مثل:طَهُر فهوطاهر ».



٢٠ ـ <u>**دلالة وزن مِفْعِيل**</u> : الدلالة على دوام الفعل ، مثل : مِسْكِين (الدائم السكون إلى الناس) ، مِسْكِير (للدائم السكر) [الكَشَّاف ، ١/ ١٩٩] .

٢١ ـ <u>**فِعِّيل**</u> : المُبَالَغَة الزائدة والكثرة ، قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قوله تعالى ﴿ **إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا** ﴾ مريم: ٤١: « الصِّدِّيق من أبنية المُبَالَغَة ، ونظيره الضِّحِّيك والنِّطِّيق ، والمراد فرط صدقه ، وكثرة ما صدق به غيوب الله وآياته وكتبه ورسله ، وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل ؛ أى: كان مصدقا بجميع الأنبياء وكتبهم، وكان نبيا في نفسه »[الكَشَّاف ، ٣/ ١٠٦]

٢٢ ـ <u>**دلالات الوزن فَعَلان**</u> : يدل على الحركة والاضطراب ، مثال ذلك قوله تعالى ﴿ **وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ** ﴾ العنكبوت: ٦٤ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « وفي بناء « الحَيَوَان » زيادة معنى ليس في بناء الحياة ، وهي ما في بناء فَعَلان من معنى الحركة والاضطراب ، كالنَّزَوَان والنَّغَصَان واللَّهَبَان ، وما أشبه ذلك ، والحياةُ حركة ، كما أن الموت سكون ، فمجيئه على بناء دالٌّ على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ؛ ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضى للمبالغة » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٩٥] .

٢٣ ـ <u>**دلالة الوزن فُعَّال**</u> : المبالغة المفرطة ، مثل :﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴾ ص: ٥؛ أي: بليغ في العجب ، وقرئ « عُجَّاب » بالتشديد ، كقوله تعالى : ﴿ **وَمَكَرُواْ مَكۡرًا كُبَّارًا** ﴾ نوح: ٢٢ ، وهو أبلغ من المخفف ، ونظيره كريم وكُرَام وكُرَّام .

ومثل قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا** ﴾ النبأ: ٢٨ ، حيث « قُرِئَ : كُذَّابًا ، وهو جمع كاذب؛ أى: كذبوا بآياتنا كاذبين، **وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب،** يقال : رجل كُذاب، كقولك: حُسان، وبُخال ، فيجعل صفة لمصدر كذبوا ، أى : تكذيبا كذابا مفرطا كذبه » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٣٥] .

٢٤ ـ <u>**دلالة الوزن فَعَلُوت**</u> : المبالغة ، مثل : طاغوت ، رحموت . قال الزَّمَخْشَرِيُّ: « الطَّاغُوتَ فَعَلُوت من الطغيان كالملكوت والرحموت ، إلا أن فيها قلبًا بتقديم اللام على العين ، أطلقت على الشيطان أو الشياطين ، لكونها مصدرًا وفيها مبالغات ، وهي التسمية بالمصدر ، كأن عين الشيطان طغيان ، وأنّ البناء بناء مبالغة ، فإنّ الرحموت الرحمة الواسعة ، والملكوت الملك المبسوط ،

والقلب وهو للاختصاص ، إذ لا تطلق على غير الشيطان ، والمراد بها هاهنا الجمع » [الكَشَّاف ، ٤/ ٤٤] .

(٢) تَدَاخُلُ مَعَانِي بَعْضِ الصِّيَغِ الصَّرْفِيَّة :

مما نلاحظه على بعض الصيغ الصَّرْفِيَّة تداخلها مع بعضها الآخر ، وأقصد بالتداخل مجي صيغة معينة في معنى صيغة أخرى ، مثال ذلك :

م	التداخُل الصرفي	مثال
(أ)	**فَعَل بمعنى مَفْعُول**	ـ الصَّمَد (من الأسماء الحسنى) .
(ب)	**فَعِيل بمعنى مُفْعِل**	ـ العَزِيز بمعنى المُعِزّ ، الرَّشيد ، البديع ، البصير ، الحَكيم (من الأسماء الحسنى)
(ت)	**فَعِيل بمعنى فَاعِل**	العَلِيّ (صفة مشبهة) ، حَفيظ (من الأسماء الحسنى) ، مكيث .
(ث)	**فَعِيل بمعنى مُفاعِل**	الحسيب (من الأسماء الحسنى ، صفة مشبهة) .
(ج)	**فَاعِلة بمعنى مَفْعُول**	ـ راضِية بمعنى مَرضِيَّة .
(ح)	**فَعِيل بمعنى مَفْعُوْل[١])**	ـ الوكِيل ، الحَمِيد ، الجليل ، الحسيب (من الأسماء الحسنى) ، الأمين .
(خ)	**فَعِيل في معنى مُفْعَل**	ـ أسلمته ؛ فهومُسْلَم وسَلِيم ، وأعتقته ؛ فهومُعْتَق ، وعَتِيق .
(د)	**فَعِيل بمعنى مُفَاعِل**	ـ جليس ومُجالس ، وقعيد ومقاعد ، نادم ؛ فهومُنَادِم ونَديم
(ذ)	فَعْل (وزن مصدر) في معنى مفعول أو فَاعِل(٢)	ـ طريق لَحْب ؛ أي : واضح ، وهوفي معنى لاحب ؛ ومثل : عَزْم بمعنى معزوم أو عازم .
(ر)	**التَّفَعُّل بمعنى الاستفعال[١]**	ـ مثل التَّعَجُّل بمعنى الاستعجال ، والتأَخّر بمعنى الاستئخار .

---

(١) وصيغة فعيل مما يستوي فيه المذكر والمؤنث ، بـ« شرط أن يكون بمعنى مَفْعُوْل ، وذلك فيما فيما عرف به الموصوف نحو : هذا رجل قتيل ، وهذه امرأة قتيل » ، يُنْظَر د. إميل بديع يعقوب : معجم الأوزان الصَّرْفِيَّة ، ص٢١٧

(٢) التبادل بين اسم الفاعل والمصدر أمر أشار إليه اللغويون . قال الزَّمَخْشَرِيّ في تفسير كلمة « غَوْرا » في قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ الملك: ٣٠ ، قال: « غورًا ؛ أي : غائرًا ذاهــبًا في الأرض » . ، ومثل : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ لقمان: ١٧

(ز)	فِعَال بمعنى مِفْعَل[2]	لِزَام بمعنى مِلزَم .
(س)	فَعُول بمعنى فَاعِل	الودود بمعنى الوادّ .
(ش)	فَعَل بمعنى مَفعول	ـ سَكَن (الإلف المسكون إليه) ، فَلَق .
(ص)	المصدر بمعنى مَفْعُوْل	جعله دكًّا ؛ أي : مدكوكًا ، ضرب الأمير .
(ض)	التعبير باسم الفاعل عن المصدر	مثل : ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ هود: ٤٣ ، لا عصمةَ ، ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ الطارق: ٦، ﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ الحاقة: ٢١

ولنا على هذا الجدول التعليق الآتي :

١ـ ما فائدة الوقوف على هذا التداخل الصرفي ؟

نقول **إنَّ إقامة صيغة مقام أخرى هو نوع من المجاز** . قال علماء البلاغة : « ... ومنها (؛ أي : من علاقات المجاز المرسل) إقامة صيغة مقام أخرى ؛ كإقامة فاعل بمعنى مفعول في قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ هود: ٤٣ ؛ أي : لا معصوم ، ومفعول مقام فاعل ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ مريم: ٦١ ؛ أي : آتيًا ، وفعيل بمعنى مفعول ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ **الفرقان: ٥٥** ؛ أي : مظهورًا عليه . ومنها مجئ المصدر على فُعول ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ **الإنسان: ٩** ؛ أي : شكرًا ، وإقامة الفاعل مقام المصدر ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ الواقعة: ٢ ؛ أي : تكذيب ، وإقامة المفعول مقام المصدر ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾ القلم: ٦؛ أي : الفتنة ، ووصف الشيء بالمصدر ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ الشعراء: ٧٧ ؛ أي : فإنهم عداوة ، ومنها مجيء المصدر بمعنى المفعول ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ النجم: ٣٠؛ أي : المعلوم ، وقوله : ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ﴾ النمل: ٨٨ ؛ أي : مصنوعه .

---

(١) قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ﴾ النساء: ٢: « والتَّفَعُّل بمعنى الاستفعال غير عزيز ، منه التَّعَجُّل بمعنى الاستعجال ، والتأَخُّر بمعنى الاستئخار » ، الكَشَّاف ، ١/ ٤٠٨

(٢) قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا ﴾ طه: ١٢٩ : « فِعَال بمعنى مِفْعَل ؛ أي : مِلْزَم ، كأنَّه آلة اللزوم لفرط لزومه ؛ كما قالوا : لزاز خَصِم » . ينظر الكشاف: ٣/ ١٧٣



وفي كتاب الله كثير من المجاز المرسل ، وقد ذكرتْ بعضَه كتب علوم القُرْآن خاصة ، ككتاب « البرهان في علوم القُرْآن » للزركشي ، « الإتقان في علوم القُرْآن » ، و« معترك الأقران » للسيوطي »[1] .

٢ـ من علماء اللغَة من أبدى على صيغة فعيل بمعنى مَفْعُوْل بعض الملحوظات الدلالية المهمة الطريفة ، فقال:« فعيل بمعنى مَفْعُوْل يختلف عن « مَفْعُوْل » في ثلاثة أمور:

أ- الدلالة على أن الوصف قَدْ وقع على صاحبه على وجه الثبوت أوقريب من الثبوت ؛ فأصبح فيه كأنه خِلْقة وطبيعة ؛ فيكون فعيل على هذا أبلغ من مَفْعُوْل في الوصف ، فكحيل أبلغ من مكحول ، ودهين أبلغ من مدهون ، وحميد أبلغ من محمود ؛ لأنه أثبت .

ب- لا يطلق وصف فعيل إلا إذا اتصف به صاحبه فلا يقال : أسير ؛ إلا إذا أُسِر ولا جريح ؛ إلا إذا جرح ، **في حين أن مفعولا قَدْ يطلق على ما اتصف به صاحبه أولم يتصف ، بمعنى أنه سيتصف به ، فقد تطلق مأسور على مَن لم يؤسر ؛ بمعنى أنه سيؤسر ، ومقتول على من لم يقتل ؛ بمعنى أنه سيقتل ، ونحوه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورًا﴾** الإسراء: ١٠٢ ؛ أي : ستُثْبر وهكذا .

ت- أن الوصف بفعيل أشد من مَفْعُوْل ، كما في جريح ومجروح ، وكسير ومكسور[2].

وإذا كان الانتقال من صيغة مفعول إلى صيغة فعيل له تلك الفوائد الدلالية ؛ فلا بد أن يكون لبقية الصيغ المنتقلة دلالات بَلاغِيَّة هي أيضًا.

(٣) دِلَالَةُ الفَعْلِ المَاضِي :

- ورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أمرٍ قد جُرِّبَ وعُرِفَ [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٤٢] .
- وقد يدل على الاضطرار إلى الفعل ، مثل قوله : ﴿ **ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ** ﴾ المرسلات: ٣٠ . قرئ ﴿ **ٱنطَلِقُوٓاْ** ﴾ « على لفظ الماضي (اِنْطَلَقُوا) إخبارًا بعد الأمر عن عملهم بموجبه ؛ لأنهم مضطرون إليه ، لا يستطيعون امتناعًا عنه » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٢٩] .

---

(١) د. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البَلاغِيَّة وتطورها ، ٣/ ٢٠٩

(٢) د. فاضل السامرائي : معاني الأبنية ، ص ٥٥



(٤) **التَّعْبِيْرُ بِالمُضَارِعِ:**

للتعبير بالمضارع فوائد بَلاغِيَّة ، منها :

- **حكاية الحال واستحضار الصورة ولفت الانتباه إلى المعنى السياقي والتنبيه على الخصوصية لهذا الفعل :**

مثال ذلك قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ فاطر: ٩ : « فإن قُلْت : لِمَ جاء فَـ« تُثِيرُ » على المضارعة دون ما قبله، وما بعده؟ قُلْت : ليحكى الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب ، وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية ، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية ، بحال تستغرب ، أوتهمّ المخاطب ، أو غير ذلك ، كما قال تَأَبَّطَ شَرًّا:

بـأنيّ قـد لقيـتُ الغـولَ تهـوِي ... بسـهبٍ كالصّـحيفةِ صحْصَـحَانِ

فأضربُهـا بـلا دَهَـش فخـرَّت ... صريعًـا لليـدين وللجـرانِ

لأنه قصد أن يصوّر لقومه الحالة التي تشَجَّع فيها بزعمه على ضرب الغول ؛ **كأنه يُبَصِّرُهم إياها ويطلعُهم على كنهها ، مشاهدة للتعجيب من جرأته على كل هولٍ وثباته عند كل شدّة** . وكذلك سَوْقُ السحاب إلى البلد الميت ، وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها **لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل: فسقنا، وأحيينا، معدولا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدلّ عليه** » [الكَشَّاف ، ٣/ ٦٢٦] .

- التعبير بالمضارع قَدْ يُفيدُ بقاء أثر الفعل زمانًا بعد زمان ، مثل قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ الحج: ٦٣ فـ : « ... فإن قُلْت : هلَّا قيل « فَأَصبحَتْ » ، ولِمَ صُرِفَ إلى لفظ المُضَارِع ؟ قُلْت : للنكتة فيه ، وهي إفادة بقاء أثر المطر زمانًا بعد زمان ، كما تقول : أنْعَمَ عَلَيَّ فلانٌ عام كذا ؛ **فأَرُوحُ وأَغْدُو شاكرًا له ، ولو قُلْت : فَرُحْتُ وغَدَوتُ ؛ لم يقع ذلك الموقع** » [الكَشَّاف ، ٣/ ٢٣٥] .

- التعبير عن العادة والإرادة المستمرة ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ الحجرات: ٧ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « فإن قلت: فلم قيل يُطِيعُكُمْ دون: أطاعكم؟ قُلْت : للدلالة على أنه كان في إرادتهم

استمرار عمله على ما يستصوبونه ، وأنه كلما عنّ لهم رأى في أمر كان معمولا عليه، بدليل قوله ﴿ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ ؛ كقولك : فلان يُقرى الضيف ويحمى الحريم ؛ تريد : أنه مما اعتاده ووجد منه مستمرّا » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٥٥] .

(٥) **دِلَالَةُ فِعْلِ الأَمْر :**

الدلالة العامة لفعل الأمر : بعث على الفعل ودعاء له ، ومن الدلالات البَلَاغِيَّة لفعل الأمر :

⇦ **الدلالة على الخَيْبَة** ، مثل قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾ غافر: ٥٠

⇦ **الدُّعَاء** ، مثل قوله تعالى : ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ نوح: ٢٨

⇦ **التَّهْدِيْد** ، مثل قوله تعالى : ﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فصلت: ٤٠

⇦ **الإِهَانَة** ، مثل قوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ الدخان: ٤٩

⇦ **الاِحْتِقَار** ، مثل قوله تعالى : ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ طه: ٧٢

⇦ **العَجَب** ، مثل قوله تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٤٨

⇦ **التَّكْذِيْب** ، مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ آل عمران: ٩٣

⇦ **إِظْهَار القُدرة** ، مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ الإسراء: ٥٠

⇦ **التَّعْجِيْز** ، مثل قوله تعالى : ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ البقرة: ٢٣

⇦ **الإِبَاحَة** ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ﴾ المائدة: ٢

(٦) **التَّعْبِيْرُ بالمُضَارِعِ عن الأَمْر :**

المعنى البَلَاغِيّ لهذا التعبير : المُبَالَغَة في إيجاب إيجاد المأمور به ؛ فيجعل كأنه يوجد مثاله قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ يوسف: ٤٧ ، فـ : « ... « تَزْرَعُونَ » خبر في معنى الأمر ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ الصف: ١١، وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور

به ؛ فيجعل كأنه يوجد ، فهو يخبر عنه ، والدليل على كونه في معنى الأمر قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ يوسف: ٤٧ »[الكَشَّاف ، ٢/ ٤٧٣] .

ومنها قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ الصف: ١٠، ١١ . قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... و« تُؤْمِنُون » استئناف ، كأنهم قالوا : كيف نعمل؟ فقال : تؤمنون . وهو خبر في معنى الأمر ؛ ولهذا أجيب بقوله : يَغْفِرْ لَكُمْ ، وتدل عليه قراءة ابن مسعود : آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا. فإن قلت: لم جيء به على لفظ الخبر؟ قلت:لإيذان بوجوب الامتثال ، وكأنه امتثل ، فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين. ونظيره قول الداعي: غفر الله لك، ويغفر الله لك: جعلت المغفرة لقوّة الرجاء، كأنها كانت ووجدت »[الكَشَّاف ، ٤/ ٣٨٨] .

(٧) **التَّعْبِيْرُ بالمُضَارِعِ عن المَاضِي:**

من الأغراض البلاغية لهذا التعبير :

أ- استخدام المُضَارِع بدل الماضي ليدل على العادة المستمرة ، مثل : ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ﴾ الشورى: ٣حيث « لم يقل : أَوْحَى إليك ، ولكن على اللفظ المُضَارِع ؛ ليدل على [أَنَّ] إيحاء مثله عادته »[الكَشَّاف ، ٤/ ١٢٢] .

ب- لحكاية الحال ولاستحضار الفعل أو استفظاعه :

١- مثل : ﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ﴾ المائدة: ٧٠ ، « جيء يقتلون على حكاية الحال **الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجب منها**»[الكَشَّاف ، ٢/ ٥٠] .

٢- ومثل قوله : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴾ هود: ٧٤: « وقيل في يجادلنا : هو جواب لما ؛ وإنما جيء به مضارعًا لحكاية الحال ، وقيل: إن « لما » ترد المُضَارِع إلى معنى الماضي ، كما ترد « إِنْ » الماضي إلى معنى الاستقبال »[الكَشَّاف ، ٢/ ٤١٧] .

٣- ومثل قوله : ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُ﴾ هود: ٣٨ « حكاية حال ماضية »[الكَشَّاف ، ٢/ ٤٠١] . ومثل: ﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ الأعراف: ٧٠

(٨) **التَّعْبِيْرُ بالمَاضِي عن المُسْتَقْبَلِ:**



التعبير بالماضي عن المستقبل يفيد حتمية وجود الفعل ، ويجعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ؛ أو لقرب الوقوع ، مثل :

أ- قوله تَعَالَى : ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ الأعراف: ٧١

ب- وقوله تَعَالَى : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ التوبة: ٨٤ « وإنما قيل « ماتَ وماتوا » بلفظ الماضي ، والمعنى على الاستقبال على تقدير **الكون والوجود ؛ لأنه كائن موجود لا محالة**» [الكَشَّاف ، ٢/ ٣٢٢]

ت- وقوله تَعَالَى : ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يونس: ٦٠ ، في قراءة لعيسى بن عمر : « وَما ظَنَّ » : « ومعناه : وأي ظن ظنوا يومَ القيامة؟! وجيء به على لفظ الماضي ؛ لأنه كائن ؛ فكأن قَدْ كان » [الكَشَّاف ، ٢/ ٣٧٠] .

ث- وقوله تعالى :﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ هود: ٩٨ « فإن قُلْت : هلا قيل : يقدُم قومه فيوردهم ؟ ولمَ جيء بلفظ الماضي؟ ، قُلْت : لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به ، فكأنه قيل : يقدمهم ؛ فيوردهم النار لا محالة » [الكَشَّاف ، ٢/٤٢٨] .

ج- وقوله تَعَالَى : ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ إبراهيم: ٢١ ، « وإنما جئ به بلفظ الماضي ؛ لأنَّ ما أخبر به ـ عزَّ وجَلَّ ـ لصدقه ؛ كأنه قَدْ كان ووُجِدَ » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٣٤] .

ح- وقوله : ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ النحل: ١ ، فـ : « أتى أمر الله : الذي هو بمنزلة الآتي الواقع ، وإن كان منتظرًا لقرب وقوعه» [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٧٠] .

خ- وقوله تعالى : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ الفتح: ١ ، « جِئ به على لفظ الماضي على عادة ربِّ العزة ـ سبحانه ـ في أخباره ؛ لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة ، وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو الشأن المخبر ما لا يخفى » [الكَشَّاف : ٤/ ٢٢٥ ، وينظر أيْضًا ٤/ ٩٧] .

وقد يُعبِّر الماضي عن المستقبل للدلالة على اقتراب الحدث ، مثل قوله تعالى : ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ ق: ١٩ ، ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ ق: ٢٠

(٩) **التَّعْبِيْرُ بالمُضَارِعِ عن المُسْتَقْبَل:**

مثل قوله تَعَالَى : ﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴾ هود: ٣٨ ، [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٠١] . نسخر ؛ أي : سنسخر .

(١٠) **التَّعْبِيْرُ بالمَاضِي عن المُضَارِعِ :**

يعبر الماضي عن الماضي للإشعار بتحقق الفعل وثبوته ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ النمل: ٨٧ « ... فإن قُلْت : لِمَ قيل « ففزع » دون « فيفزع » ؟ قُلْت : لنكتة ، وهي الإشعار بتحقق الفزع وثبوته ، وأَنَّه كائن لا محالة واقع على أهل السماوات والأرض ؛ لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعًا به » [الكَشَّاف ، ٣/ ٤٢٩] .

(١١) **التَّعْبِيْرُ باسم المَفْعُولِ عن الفِعْل:**

للدلالة على التمكن وثبات المعنى أكثر من الفعل .

مثال ذلك قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴾ هود: ١٠٣ : « ... فإن قُلْت : لأي فائدةٍ أُوثِرَ اسمُ المفعول على فعله؟ قُلْت : لما في اسم المفعول **من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم** ، وأَنَّه يوم لا بدّ من أَنْ يكونَ ميعادًا مضروبًا لجمع الناس له ، وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة ، وهو أثبت أَيْضًا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون منه ، ونظيره قول المُتَهدِّد : « إنك لمنهوبٌ مالك ، محروبٌ قومك فيه » من تَمَكُّنِ الوصف وثباته ما ليس في الفعل ، وإن شئتَ فَوَازِنْ بينه وبين قوله : ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ ﴾ التغابن: ٩ ، تعثر على صحة ما قُلْت لك » [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٢٩] .

ومثل قوله : ﴿ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ ص: ١٩ ، فـ « قوله : « محشورة » في مقابلة « يُسَبِّحْنَ » ، إلا أَنَّهُ لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما لا فعلا، وذلك أنه لو قيل: وسخرنا الطير يُحْشَرْنَ ، على أنّ الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء. والحاشر هو الله ـ عز وجل ـ لكان خُلْفًا (؛ أي: قولا رديئًا) ؛ لأنّ حشرها جملة واحدة أدلّ على القدرة » [الكَشَّاف ، ٤/ ٩ ، ١٠] .

(١٢) التَّعْبِيْرُ بالمَصْدَرِ عن اسْم الفَاعِلِ أو اسم المَفْعُولِ.

المعنى البَلاغِيّ لهذا التعبير : المُبَالَغَة في المعنى ، وجعل الموصوف أو المعبر عنه كأنه هو المصدر ذاته ، مثال ذلك : ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ يوسف: ١٨ ، قال الزَّمَخْشَرِيّ : « بدمٍ كذبٍ ؛ ذي كذب ، أو وصف بالمصدر مبالغةً ؛ كأنه نَفْسُ الكذب وعينه ، كما يُقالُ للكَذَّابِ : هو الكذب بعينه ، والزور بذاته » [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٥١] . [يُنْظَرُ أَيْضًا البقرة ٢١٦ ، ١ / ٢٣١] .

ومثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ النحل: ٩ :« والقصد مصدر بمعنى الفاعل ، وهو القاصدُ » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٧٣] . ومثل قوله ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ يوسف: ١٨ « ؛ أي : كاذب » [الكَشَّاف ، ٢/ ٦٠٨] .

(١٣) التَّعْبِيْرُ بالمَصْدَرِ عن الحال أو الصفة .

أحيانا تُفضل الآية استخدام المصدر في موضع الصفة لإفادة المبالغة ، مثل قوله : ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ الفرقان: ٦٣ ، فـ « هَونًا » حال أو صفة للمشي بـ « معنى هينين ، أو مشيًا هينًا ، إلا أن في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة» [الكَشَّاف ، ٣/ ٣٤١] .

ومن إشارات الزَّمَخْشَرِيّ أن « المصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٧٣] .

(١٤) التَّعْبِيْرُ بالفعل المُضَارِع عن اسم الفاعل :

تفضل الآية أحيانًا التعبير بالفعل المُضَارِع على اسم الفاعل ، مثل : ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ ص: ١٨ ، فـ« يسبحن في معنى ومسبِّحات على الحال. فإن قُلْت : هل من فرق بين يسبحن ومسبِّحات؟ قُلْت : نعم، وما اختير يُسَبِّحن على مسبحات إلا لذلك، وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال، وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح » [الكَشَّاف ، ٤/ ٩] . وكأن في استخدام الفعل المُضَارِع هنا يُضفي لمحة « إنسانية » على الجبال ؛ فكما أن الإنسان لا يستطيع مواصلة التسبيح لفترة طويلة فكذلك الجبال .

(١٥) المصدر للتأكيد :

قد يأتي المصدر لتأكيد مضمون الجملة ، مثل : هو عبد الله حَقًّا . ومثل : وعد وحق في قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ يونس: ٤ ومثل :

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ النحل: ٣٨ ، فـ : « ووعد الله: مصدر مؤكد لما دل عليه بلى » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٨١] . ومثل : ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُۖ﴾ الفتح: ٢٣ ، و « وعد الله ، وحَقًّا ، صنع الله ، صبغة الله » في قوله تعالى : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ لقمان: ٩ ، ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ النمل: ٨٨ ، ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ البقرة: ١٣٨

(١٦) التَّعْبِيْرُ بالجمع عن الواحد :

التعبير بالجمع عن الواحد له دلالة بَلاغِيَّة تستشف من خلال السياق الذي تُساقُ فيه الآيات ، مثل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ الحجرات: ١١ ، « وإنما لم يقل : رجل من رجل ، ولا امرأة من امرأة على التوحيد إعلامًا بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية ، واستفظاعًا للشأن الذي كانوا عليه ، ولأنّ مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ، ولا يأتي ما عليه من النهي والإنكار؛ فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر، وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به ؛ فيؤدي ذلك ـ وإن أوجده واحد ـ إلى تكثر السَّخَرَة ، وانقلاب الواحد جماعة وقومًا » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٥٦] .

ومثل قوله :﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ الشعراء: ١٦٨، فاختيار الآية للجمع « القالين » أفضل و« أبلغ من أن يقولَ : « إني لعملكم قَالٍ » ، كما تقول : فلان من العلماء ؛ فيكون أبلغ من قولك : فلان عالم ؛ لأنك تشهد بكونه معدودًا في زمرتهم ، ومعروفة مساهمته لهم في العلم ، ويجوز أن يريد من الكاملين في قِلاكم » [الكَشَّاف ، ٣/ ٣٧٦] .

ومن المعاني البَلاغِيَّة للتعبير بالجمع عن الواحد « **إبراز الأهمية والإجلال وَالتَّعْظِيْم والوحدة** » . مثل :

١. قوله تَعَالَى : ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِۚ﴾ التوبة: ١٧، فـ : « عَبَّر عن المسجد الحرام بالمساجد ؛ لأنه قِبلةُ المساجد كلها وإمامها ، فعامره كعامر جميع المساجد ؛ ولأن كل بُقعة منه مسجد».



٢. ومثل :﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾ الصافات: ٧٥ « فالجمع دليل العظمة والكبرياء » [الكَشَّاف ، ٣/ ٦٨٢] .

٣. وقوله :﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الحجر: ٨٠ .« أصحاب الحجر : ثمود المرسلين : يعني بتكذيبهم صالحًا ؛ لأنَّ من كذَّبَ واحدًا منهم فكأنما كذبهم جميعًا » [الكَشَّاف ، ٢/ ٥٦٥] .

وقد يأتي التعبير بالجمع عن الواحد للتأكيد ، مثل :﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا ﴾ طه: ٧٧ ، « ولا يخلو اليَبْس من أن يكون مخففًا عن اليَبَس أو صفةً على فَعْل ، أو جمع يابسٍ ، كصاحبٍ وصحْب ، وُصِفَ به الواحدُ تأكيدًا ، كقوله : ومعي جِياعًا ؛ جعله لفرط جوعه كجماعة جِياع » [الكَشَّاف ، ٣/ ١٥٧] .

(١٧) **أوزان جموع الكثرة وأوزان جموع القلة:**

من الجوانب الصَّرْفِيَّة التي تُفيد الباحث البَلاغِيّ الوقوف على أوزان جموع الكثرة وأوزان جموع القلة ، فقد يجد الآية أحيانًا تستخدم جمع قلة وتفضله على جمع كثرة أو العكس ، ولا بد أن لهذا تفسيرًا بلاغيًّا يُستشَفُّ من السياق الذي يُساقُ فيه هذا الجمع ، بل إن اختيار وزن معين من أوزان الكثرة أو القلة أو اختيار جمع شاذ له تفسير بلاغي .

⇦ أوزان جموع الكثرة : « فُعْل ، فُعُل ، فُعَل ، فِعَل ، فُعَلَة ، فَعَلَة ، فِعَلَة ، فَعْلَى ، فُعَّل ، فُعَّال ، فِعال ، فُعُول ، فِعْلان ، فُعْلان ، فُعَلاء ، أُفْعِلاء ، فواعل ، فعائل ، فَعَالِي ، فَعَالَى ، فَعَالِيّ ، فَعَالِل ، شبه فعالل » .

⇦ أوزان جموع القِلَّة : « فِعْلة ، أَفْعِلَة ، أَفْعَال ، أَفعُل » .

(١٨) **التَّعْبِيْرُ بالواحد عن الجمع :**

قد يكون الغرض البَلاغِيّ لذلك « إفادة أقصى درجات العمومية » ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ ﴾ الحاقة: ١٧« فإن قُلْت : ما الفرق بين قوله والمَلَك وبين أن يقال والملائكة ؟ قُلْت : الملك أعم من الملائكة ، ألا ترى أنَّ قولك ما من ملك إلا وهو شاهد أعمَّ من قولك : ما من ملائكة ... » [الكَشَّاف ، ٤/ ٤٥٥] .

ومثل قوله تعالى :﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾ لقمان: ٢٧ ، فقد فضلت الآية كلمة « شجرة » المفردة على الجمع « الأشجار » وذلك لإرادة « تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة ، حتى لا يبقى من جنس الشجر ، ولا واحدة إلا قد بريت أقلامًا » [الكَشَّاف ، ٣/ ٥٣٠] .

ومثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٨٥: « ... وقرأ ابن عباس: « وَكِتَابَه » ، يريد القُرْآن أو الجنس وعنه: **الكتاب أكثر من الكتب**. فإن قُلْت :كيف يكون الواحد أكثر من الجمع ؟ قُلْت : لأنه إذا أريد بالواحد الجنس ، والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها ، لم يخرج منه شيء . فأما الجمعُ فلا يدخلُ تحته إلا ما فيه الجنسية من الجموع » [الكَشَّاف ، ١/ ٢٩٣] .

وقد يعبر هذا التعبير ـ التعبير بالواحد عن الجمع ـ عن أَهَمِّيَّة **المُعَبَّر عنه** ، مثال ذلك قول الله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى ﴾ مريم: ٤ ، « وإنما ذُكِرَ العظمُ ؛ لأنه عمود البدن ، وبه قوامُه ، وهو أصل بنائه ، فإذا وَهَنَ تداعى وتساقطت قوَّتُه ؛ ولأنه أشدُّ ما فيه وأصلبه ، فإذا وهنَ كان ما وراءه أوهنُ ؛ ووحَّدَه لأن الواحد هو الدَّالُ على معنى الجنسية ، وقصدُه إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقِوامُ وأشدُّ ما تركَّب منه الجسدُ قَدْ أصابه الوهَن ، ولو جُمِعَ لكان قصدًا إلى معنى آخر ، وهو أنه لم يهن منه بعضُ عظامه ولكن كلها » [الكَشَّاف ، ٣/ ٩٣] .

وقد يكون التعبير بالواحد عن الجمع لدلالة بَلاغِيَّة تُستَشَفُّ من السياق ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ الحاقة: ١٢، فـ « لِمَ قيل : أذنٌ واعية ، على التوحيد والتنكير؟ قُلْت : **للإيذان بأن الوعاة فيهم قلة ، ولتوبيخ الناس** بقلة من يعي منهم ، وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله ، وأن ما سواها لا يبالى بهم بالةً (؛ أي : يُكترثُ بهم) وإن ملئوا ما بين الخافقين » [الكَشَّاف ، ٤/ ٤٥٤] .

(١٩) التَّعْبِيْرُ بالمثنى :

التعبير بـ « المثنى » لإفادة التكرير بكثرة ، مثل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ الملك: ٤ فإن قُلْت « كيف ينقلب البصر خاسِئًا

حسيرًا برجعه كرتين اثنتين ؟ قُلْت : معنى التثنية التكرير بكثرة ، كقولك : لبيك وسعديك. تريد: إجابات كثيرة، بعضها في أثر بعض » [الكَشَّاف، ٤/ ٤٣٣]

(٢٠) **التَّعْبِيْرُ بالمثنى عن الجمع :**

في بعض الأحيان قد تُفَضِّلُ الآية التعبير بالمثنى على الجمع لغرض ما ، مثل قوله :

أ- ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** ﴾ الحجرات: ١٠ ، « فإن قُلْت : فَلِمَ خُصَّ الاثنان بالذكر دون الجمع؟ قُلْت : لأنَّ أقلَّ من يقع بينهم الشقاق اثنان ، فإذا لزمت المصالحة بين الأقل كانت بين الأكثر ألزم ؛ لأنّ الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين » [الكَشَّاف ، ٤/ ٢٥٥] .

ب- وتأتي أحيانًا لإفادة التعميم﴿ **يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ** ﴾ المعارج: ١١ ، « فإن قلت: لم جُمِعَ الضميران في يُبَصَّرُونَهُمْ وهما للحميمين؟ **قلت: المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين** » [الكَشَّاف ، ٤/ ٤٦٣] .

(٢١) **التَّعْبِيْرُ بجمع المذكر عن جمع التكسير :**

والمعنى البَلَاغِيّ الذي قَدْ يكون في هذا الأمر إضافة صفة العقل إلى ما لا يعقل ؛ لينسجم الكلام ، ويأتي على ماء واحد . مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ** ﴾ يوسف: ٤ ، « فإن قُلْت : فلمَ أجريت مجرى العقلاء في « رأيتهم لي ساجدين»؟ قلت: لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء ، وهو السجود ؛ أجرى عليها حكمهم، كأنها عاقلة ، وهذا كثير شائع في كلامهم ، أن يلابس الشيءُ الشيءَ من بعض الوجوه فيعطى حكمًا من أحكامه؛ إظهارًا لأثر الملابسة والمقاربة » [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٤٥] .

(٢٢) **التَّعْبِيْرُ بجمع القلة مكان جمع الكثرة :**

قد تفضل الآية القُرْآنِيَّة استخدام جمع القلة على جمع الكثرة لغرض بلاغي ، مثل:﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ** ﴾ لقمان: ٢٧ ، فـ : « الكلمات جمع قلة ، والموضع موضع التكثير لا التقليل ؛ فهلا قيل كَلِمُ الله ؟ قُلْت : معناه أنَّ كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكَلِمِه ؟! » [الكَشَّاف ، ٣/ ٥٣٠] .

(٢٣) **التَّعْبِيْرُ بالفعل المبني للمجهول عن الفعل المبني للمعلوم :**



من المعاني البَلاغِيَّة لهذا الأمر الدلالة على الجَلال والكبرياء والقدرة ، في قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ هود: ٤٤ ، « مجيء إخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء ، وأن تلكَ الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر ، وتكوين مكون قاهر ، وأن فاعلها فاعلٌ واحدٌ لا يشارك في أفعاله» [الكَشَّاف ، ٢/ ٤٠٦] .

(٢٤) **الجِنْسِيَّةُ أَعَمُّ مِنَ الجَمْعِ :**

قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ البقرة: ٢٨٥: « ... وقرأ ابن عباس: « وَكِتَابَه » ، يريد القُرْآن أو الجنس وعنه: **الكتاب أكثر من الكتب**. فإن قُلْت :كيف يكون الواحد أكثر من الجمع ؟ قُلْت : لأنه إذا أريد بالواحد الجنس ، والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها ، لم يخرج منه شيء . فأما الجمعُ فلا يدخلُ تحته إلا ما فيه الجنسية من الجموع » [الكَشَّاف ، ١/ ٢٩٣] .

(٢٥) **التوكيد من خلال البناء من لفظ الاسم :**

مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ آل عمران: ١٤ فـ « المقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد ، كقولهم : ألف مؤلفة ، وبدر مبدَّرة » [الكَشَّاف ، ١/ ٣٠١] .

(٢٦) **الألف والنون في الاسم المنسوب :**

للدلالة على الشدة ، فـ : « الرَّبَّانِيّ منسوبٌ إلى الربِّ بزيادة الألفِ والنون ، كما يقال رقبانِيٌّ ولحيانِيّ ، وهو : الشديد التمسك بدين الله وطاعته » [الكَشَّاف ، ١/ ٣٣٣] .

(٢٧) **زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى :**

مثل : الاختيان من الخيانة ، والاكتساب من الكسب ، فيه زيادة وشدة . قال ابن جني (٣٩٢هـ) : « احدودب أقوى معنى حَدَب ، واعشوشب أقوى من أعشب ؛ وذلك لكثرة الحروف »[1] .

(٢٨) **التكرير في بنية اللفظ دليل على التكرير في المعنى :**

(١) المحتسب ، ٢/ ١٣٤



مثل قوله تعالى :﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ الشعراء: ٩٤، فـ« الكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى ؛ كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها »[الكَشَّاف ، ٣/ ٣٦٨] .

(٢٩) دِلَالَةُ أفعل التفضيل إذا أضيف :

أفعل التفضيل إذا أضيف عبر عن الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، مثل قوله تعالى ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴾ الشمس: ١٢ ، فـ « يجوز أن يكونوا جماعة ، والتوحيد لتسويتك في أفعل التفضيل إذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٩٩] .

(٣٠) الفرق بين أفعل و أشد فعلا :

يوجد فرق بلاغي بين اسم التفضيل من الفعل على وزن « أفعل » ، وبين « أشد + المصدر » ، فعندما نقول : أجمل ، وأشدُّ جمالا نجد أن التعبير الثاني أبلغ في أداء المعنى ؛ مثل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ البقرة: ٧٤ ، فـ : « لم قيل : أشد قسوة ، وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب؟ قُلْت : لكونه أبين وأدل على فرط القسوة . ووجه آخر، وهو أن لا يقصد معنى الأقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة ، كأنه قيل: اشتدت قسوة الحجارة، وقلوبهم أشد قسوة »[الكَشَّاف ، ١/ ١٤٥] .

(٣١) العين والضاد في فاء الكلمة وعينها :

أشار بعض العلماء إلى أن وقوع العين والضاد فاء وعينًا للكلمة يرمز إلى معنى من معاني القوة والشدة[١] .

(٣٢) الوزن فَعُلَ ومعنى التعجب :

قد يأتي الوزن فَعُل ويوحي بالتعجب مثل « ما أفعل » ؛ مثل قَوْله تَعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء: ٦٩ ، فـ : « فيه معنى التعجب ؛ كأنه قيل : وما أحسن أولئك رفيقًا ! »[الكَشَّاف ، ١/ ٤٦١] .

(٣٣) الوزن « أفْعِلْ بـ » : الذي يأتي في اللغة للتعجب قَدْ يأتي ويفيد دلالة سياقية أخرى ، مثل : « التهديد » ، مثل : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ

(١) محيي الدين الدرويش : إعراب القُرْآن ، ٢/ ١٨٧



مُّبِينٍ ﴾ مريم: ٣٨ ، فـ : « ... وقيل معناه : التهديد بما سيسمعون ويُبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم » [الكَشَّاف ، ٣/ ١٠٥] .

(٣٤) **الاستعمال اللغوي للفظ له اعتباره عند التحليل البَلاغِيّ :**

مثال ذلك ، اللفظ « عوج » له ضبطان : فتح العين ، وكسرها ، والاستعمال اللغوي يُفرِّقُ بين الضبطين ، فكسر العين « عِوج » **يكون في المعاني ؛ الأمور المجردة ،** وفتح العين « عَوج » **في الأعيان** ، وفي قوله تعالى : ﴿ **لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا** ﴾ طه: ١٠٧ التي يتحدث فيها عن الأرض جاءت اللفظة « عِوجًا » ـ وهي تأتي مع المعاني ـ مع الأرض وهي من الأعيان ، فهل لهذا مَلْمَح بلاغي ؟ قال الزَّمَخْشَرِيّ : « ... قَدْ فرّقوا بين العِوَج والعَوَج ، فقالوا : العِوج ـ بالكسر ـ في المعاني ، والعَوَج ـ بالفتح ـ في الأعيان ، والأرضُ عينٌ ، فكيف صحَّ فيها المكسور العين؟ قُلْت : اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديعٌ في وصف الأرض بالاستواء والملاسة ، ونفى الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون ؛ وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسوّيتها ، وبالغت في التسوية على عينك وعيون البُصَراء من الفلاحة ، واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاجٌ قط ، ثم استطلعت رأى المهندس فيها ، وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية ؛ لعثر فيها على عوج في غير موضع ، لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي ، فنفَى الله ـ عزّ وعلا ـ ذلك العوج الذي دقّ ولطُفَ عن الإدراك ، اللهمّ إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة ، وذلك الاعوجاجُ لما لم يدرك إلا بالقياس دون الإحساس لَحِقَ بالمعاني ، فقيل فيه : عِوَج ـ بالكسر ـ » [الكَشَّاف ، ٣/ ١٦٦] .

ويوجِّه هذا الاقتباس إلى أَهَمِّيَّة الاستعانة بالمعاجم الموثوقة ، المشهود لها بالدقة اللغوية للوقوف على الاستعمال اللغوي للألفاظ محل التحليل البلاغي .

(٣٥) **نَفْيُ المَصدَر قد يَكُونُ أَبْلَغُ من نَفي المُضارِع:**

مثل قوله تعالى : ﴿ **فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ** ﴾ الأنبياء: ٩٤، فـ : « قد نفى الجنسَ ؛ ليكون أبلغ من أن يقول : فلا **نكفرُ** سعيه » [الكَشَّاف ، ٣/ ٢٠٥]

(٣٦) **من الدواعي البَلاغِيَّة للتعبير بالتأنيث .**

قد يكون التعبير بالتأنيث له بعض الدواعي البَلاغِيَّة ، منها زيادة الضعف والتعجيز ، مثال قوله تعالى : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ** ﴾ **الزمر: ٣٨** « ...

فإن قُلْت : لِمَ قيل : « كاشفات وممسكات » على التأنيث؟ ... قُلْت: أنثهن وكن إناثا وهن اللات والعزى ومناة ... ؛ **ليضعِّفها ويعجِّزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وإمساك الرحمة** ؛ لأنّ الأنوثة من باب للين والرخاوة ، كما أنّ الذكورة من باب الشدّة والصلابة ، كأنه قال : الإناث اللاتي هنّ اللات والعزى ومناة أضعف مما تدعون لهنّ وأعجز. وفيه تهكمأيضًا» [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٤] .

(٣٧) **دِرَاسَةُ اللَّفْظَةِ مَعَ مَا يُصَاحِبُهَا وَأَهَمِّيَّة ذَلِكَ بَلاغِيًّا .**

من الأمور التي نود تسليط مزيد من الضوء عليها هي أَهَمِّيَّة دراسة ما يصاحب اللفظة المعينة من ألفاظ أخرى ، والمُصاحبة ليست عفوية بلا معنى ، بل لها معنى معتبر، ولها بعض الدلالات [1] ، مثال ذلك دراسة أسماء الله الحسنى ، فقد وجد الباحثون :

- أسماء الله الحسنى « الأول ، المُقَدِّم ، المحيي ، المُعِزّ ، الخافض ، الضار ، القابض » تقترن وتصاحب « الآخر ، المؤخر ، المميت ، المذل ، الرافع ، النافع ، الباسط » على الترتيب . ودلالة ذلك :

أ- « عدم وصف الله تعالى بالصفات السلبية وحدها ، كالإماتة ، والإذلال ، والخفض ، والضرر ، والقبض ، دون مقابلاتها الإيجابية التي يتطلع الناس إلى تحققها في الذات الإلهية .

ب- أن اقتران المتضادين **يفيد الإحاطة بالشيء ، والتمكن منه من جميع أطرافه ، وهذا أدل على القدرة والحكمة** »[2] .

- هناك مجموعة من الصفات (أسماء الله الحسنى) جاءت متلازمة في جميع روايات السرد ، وهي : « الرحمن ـ الرحيم ، العزيز ـ الجَبَّار ، الخالق ـ البارئ السميع ـ البصير » ، وذلك « **بقصد تقوية معنى الصفة وتأكيده** ».

---

(١) درس علماء اللغة الألفاظ التي تأتي في صحبة ألفاظ أخرى في اللغة بوجه عام ، ووضعوا لهذا الأمر بعض المصطلحات : « توافق الوقوع » أو « الرصف » أو « **Collocation** » ، ويعرف علماء اللغة هذا المصطلح : « الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة » ، أو « استعمال وحدتين منفصلتين استعمالهما عادة مرتبطين الواحدة بالأخرى » . ينظر: د. أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، ص٧٤

(٢) د. أحمد مختار عمر : أسماء الله الحسنى ، ص ١١٤



- لفظ « الرحمن » لم يأت في القُرْآن الكريم متبوعًا بوصف آخر سوى وصف الرحيم ، « ولذلك مغزى بياني ودلالي ، يفسره ما اشتهر في الدعاء ، وهو : يا رحمن الدنيا ، ورحيم الآخرة ، وما قيل من عمومية لفظ الرحمن وشموله المؤمن والكافر ، وخصوصية لفظ الرحيم واقتصاره على المؤمنين ، وبهذا يكون اجتماع اللفظين قد جمع الرحمة بنوعيها ، وشمل حالتيها في الدنيا والآخرة ، ويكون معنى كل منهما تأكيدًا لمعنى الآخر ».
- لفظ « الرحيم » جاء مصاحبًا لكثير من الأسماء الحسنى الآخرى ، ويلاحظ « أن التصاحب جاء تارة مع صفة مشابهة (رحمن رحيم / غفور رحيم / تواب رحيم / رءوف رحيم / رحيم ودود / بر رحيم) ، وتارة مع صفة مغايرة (العزيز الرحيم) ، فمقارنة **الرحمة للعزة هنا تعني أن رحمة الله لا تتعارض مع شدته وقوته ، بل هي من لوازمها** »[1] .

(٣٨) **أَهَمُّ الفُرُوق بين اسم الفاعل والصفة المُشَبَّهَة** :

م	وجه المقارنة	اسم الفاعل	الصفة المشبهة
(١)	**الفعل الذي يُصاغ منه**	ـ يُصاغ من الفعل اللازم والمتعدي ـ ثلاثي وغير ثلاثي .	ـ تُصاغُ غالبًا من الفعل اللازم . ـ من الفعل الثلاثي[2] .
(٢)	**جانب التركيب**	ـ لا يصح إضاف اسم الفاعل إلى فاعله .	ـ يصح إضافة الصِّفَة المُشَبَّهَة إلى فاعلها [3] .) .
(٣)	**الدلالة**	ـ يُقصد به نسبة الحدث إلى الموصوف على سبيل التجدد والحدوث .	ـ يُقصدُ بها نسبة الحدث إلى الموصوف على سبيل الثبوت والدوام واللزوم .

---

(١) الساب ، ص ١٤١

(٢) بكثرة من « فَعِلَ » ؛ لأنه غالب في الصفات اللازمة وظاهرها الاستمرار ، و« فَعُلَ » ؛ لأنه يدل يدل على الغرائز وغير متعد ، ويدل على الاستمرار ، وبقلة من « فَعَلَ » ؛ لأنه فعل متعدٍّ غالبًا . ينظر د. أحمد مختار عمر : أسماء الله الحستى ، ص ٩٤ ، الهامش رقْم ٢

(٣) مثال ذلك قوله تعالى : ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ غافر: ٣ ، أضيف اسم الفاعل إلى إلى مفعوله ، والصفة المُشَبَّهَة إلى فاعلها .



(٤)	الدلالة الزمنية	ـ يحتمل الدلالة على المُضِي أو الحال أو الاستقبال[(١)] .	ـ تدل على الماضي المتصل بالزمن الحاضر[(٢)] .
(٥)	الأوزان	ـ فَاعِل .	أَفْعَل وفَعْلانُ وفَعِل ، فَعول ، فَاعِل ، وفعيل[(٣)] .

(١) قال الزَّمَخْشَرِيّ عند قوله تعالى : ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ الكافرون: ٤: « وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه، يعنى لم تعهد منى عبادة صنم في الجاهلية، فكيف ترجى منى في الإسلام ، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ ؛ أي: وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته. فإن قلت: فهلا قيل: ما عبدت، كما قيل: ما عبدتم؟ قلت: لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل المبعث، وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت » [الكشاف : ٤/ ٦٤٢].

(٢) لهذا يصح أن نقول : « هو ظامِئ أمس أو غدًا » ، ولكن لا يصح أن نقول : « هو ظمآن أمس أو غدًا » ؛ لأنك لا تقول « ظمآن » إلا لمن اتصف بالظمأ في الزمن الحال . يُنظَر د.أحمد مختار عمر: أسماء الله الحسنى ، ص ٩٤ ، وجاء في كتاب « جامع الدروس العربية » **أن الصفة المشبهة لا زمان لها ؛ لأنها تدل على صفات ثابتة ، والذي يتطلب الزمان إنما الصفات العارضة** ، ١/ ١٨٥

(٣) يأتي « أَفْعَلُ » من « فَعَلَ » اللازمِ ، قياسيًا مُطْرِدًا ، لما دَلَّ على لونٍ ، أو عيبٍ ظاهرٍ ، أو حِلْية ظاهرة . ومُؤنثُهُ « فَعْلاءُ » فاللّونُ كأحمر ، والعيبُ الظاهرُ كأعرج وأعور وأعمى ، والحِلْية الظاهرةُ كأكحل وأحور وأبخل . ويأتي « فَعْلان » من « فِعِلَ » اللازم الدَّال على خُلُوّ، أو امتلاءٍ، أو حرارة باطنيّةٍ ليست بداءٍ. ومُؤنثُهُ « فَعْلى » ، فالخُلوُّ كالغَرْثان والصَّدْيان والعطشان ، والامتلاء كالشَّبعان والرَّيان والسَّكران. وحرارةُ الباطن غير داءٍ كالغضبان والثَّكلان واللهْفان. ويأتي « فَعِلٌ » ـ بكسر العين ـ من « فَعِل »ـ بكسر العين ـ اللازم ، الدّال على الأدواءِ الباطنيَّة ، أو ما يُشبهها ، أو ما يَضادُّها. ومؤنثة « فَعِلة » . والأدواءُ إما جسمانيّة كوجعٍ ومَغِصٍ وتعبٍ وجوٍ ودوٍ ، وإما خُلقيّةٌ كضجرٍ وشرسٍ ولحزٍ وبَطرٍ وأشرٍ ومرحٍ وقلق ونكدٍ وعمٍ . ويُشبه الأدواء ما دلَّ على حزن واغتمام ككمدٍ وحزنٍ وحربٍ وشبحٍ ، ويُضادّها ما دلَّ على سرور كجذلٍ وفرحٍ وطربٍ ورضٍ ، أو على زينٍ من الصفات الباطنة ، كفطنٍ وندس ولبقٍ وسلسٍ وأبٍ. وقد يُخَفَّفُ « فعلٌ » ؛ فيكون على « فَعْلٍ »ـ بسكون العين ـ كندْسٍ وشكسٍ وفطنٍ. وقد يأتي على « فعيل » وهو أصلُه المخفَّف هو منه كسليمٍ وسقيمٍ ورضيٍّ وأبيٍّ وحميٍّ . ينظر المعلومات السابقة : مصطفى الغلاييني : جامع الدروس العربية ، ١/ ١٨٥

وينبغي أن نُوَجِّهَ العناية إلى :

⇦ مع دلالة اسم الفاعل على التجدد والحدوث « **فهو يقع في موقع وسط بين الفعل والصفة المُشَبَّهَة ، فهو أدوم وأثبت من الفعل ، ولكنه لا يرقى إلى ثبوت الصِّفَة المُشَبَّهَة إلا إذا دل دليل على ذلك** »(١) .

فكلمة « راحم » في قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ **الأعراف: ١٥١** أدوم وأثبت من « رَحِم » أو « يَرْحَم » في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ **هود: ٤٣، أو قوله:** ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ﴾ العنكبوت: ٢١، ولكنها لا تصل في ثبوتها إلى مستوى الصِّفَة المُشَبَّهَة « رحمن » أو « رحيم » . وقد كان معنى الحدوث والطروء مراعًى في قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ هود: ١٢ ، فقد فضل « ضائق » على « ضَيِّق » للدلالة على أن الضيق عارض غير ثابت ؛ لأنَّ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أفسح الناس صدرًا .

وقد فَرَّقَ العلماء بين « العالِم والعَلَّام والعَلِيم قائلين : كل من فعل فعلًا قل أو كثر ضعف أو قوي يجوز أن يشتق له منه اسم فاعل « عالِم » ؛ فإذا احتيج إلى أن يُميز بين الفعل الذي يظهر مرة واحدة وبين الذي يظهر منه غالبًا ، أو الذي يظهر منه على سبيل الخلق والعادة وجب العدول إلى أوزان أخرى « عَلَّام وعَلِيم » . فعَلَّام تفيد كثرة المتعلقات ، وعليم تفيد ثبوت الصفة ورسوخها ، فلا تستعمل إلا عند قصد تأكيد الفعل »(٢) .

⇦ اختلاف أوزان الصِّفَة المُشَبَّهَة « يعكس تفاوتًا في درجة دلالتها على الثبوت والدوام من ناحية ، كما يعكس اختلاف الدلالة الصَّرْفِيَّة لأفعالها من ناحية أخرى .

فوزن « فَعْلان » ـ على سبيل المثال ـ يفيد ثبوت الصِّفَة ، ولكن بشكل أقل ، وإن كان لا يبلغ في تجدده ووقوعه مبلغ اسم الفاعل ؛ لأن زواله بطيء ، مثل : شَبْعَان وظمآن وغضبان وريان ، ولكنه يعوض هذا بدلالته على معنى الامتلاء أو ضده ، وهذا بخلاف وزن « فَعِيل » الذي يفيد ثبوت الصِّفَة بقدر كبير من الدوام

(١) د. أحمد مختار عمر : أسماء الله الحسنى ، ص ٩٣

(٢) السابق ، ص ٦٦



والاستمرار ، نحو : طويل وقصير ودميم وعقيم ، أو على وجه قريب من ذلك ، نحو : نحيف وسمين ؛ ولذلك يكثر مجيئة وصفًا من « فَعُل يَفعُل » الدال على الغرائز والطبائع ، أما وزن « فَعِل » فيرتبط عادة بالصفات الداخلية تبعا لفعله ، مثل : فرح وطرب وقلق ، ويكثر في الوصف من فعِل يفعل اللازم »(١) .

(٣٩) **الفرق بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة :**

وفي إحدى إشارات الإمام الزَّمَخْشَرِيّ أشار إلى الفرق بين وزنين : وزن « فَاعِل» لاسم الفاعل ، ووزن من أوزان صيغ المبالغة « فَعِل » ، وذكر أن الوزن « فَعِل » أبلغ من اسم الفاعل :

أ- فقال عند قوله تعالى : ﴿ لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴾ النبأ: ٢٣ ، « قُرِئ : لابثين ولَبِثين ، واللَّبِثُ أقوى ؛ لأنَّ اللابث من وُجِدَ منه اللُّبث ، ولا يقال : لَبِث إلا لمن شأنه اللُّبْث ، كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٣٤] .

ب- وقال عند قوله تعالى :﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴾ النازعات: ١١ « يقال نخر العظم فهو نخر وناخر، كقولك طمع فهو طمع وطامع، وفعل أبلغ من فاعل، وقد قرئ بهما » [الكَشَّاف ، ٤/ ٥٣٩] .

(٤٠) **الفروق الدلالية بين صيغ المُبَالَغَة :**

صيغ المُبَالَغَة هي أسماء فاعلين في الأصل ، ولكنها حُولت إلى صيغ أخرى بقصد التأكيد والمبالغة والتكثير . واعتبر سيبويه الصيغ الخمس : « فَعَّال ، فَعُول ، فَعِيل ، مِفْعَال ، فَعِل » أصلا في المُبَالَغَة .

وصيغ المُبَالَغَة ـ على الرغم من دلالتها جميعًا على كثرة المعنى كَمًّا وكَيْفًا من ناحية واشتقاقها من الأفعال المتعدية عادة من ناحية أخرى ـ فإِنَّه يفرق بينها عدة أشياء منها (٢) :

أ- اختلافها في درجة القوة تبعًا لاختلاف أبنيتها ، على حد قولهم : إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، فوزن « فَعَّال » مثلا أو « فَعُّول » أو « فُعُّول » أدل على المُبَالَغَة من « فَعُول » أو « فَعيل » وهما أدل على المُبَالَغَة من فَعِل .

(١) د.أحمد مختار عمر : أسماء الله الحسنى ، ص٩٥

(٢) د. أحمد مختار عمر : أسماء الله الحسنى ، ص ٩٦



ب- تَمَيَّزَ وزن « فَعَّال » بارتباطه بمعنى التكرار ، والوقوع وقتًا بعد وقت ، ولذا جعله بعضهم لمن صار له صناعة ، بل ذهب بعضهم إلى أنَّ « فَعَّال » في المُبَالَغَة أصل « فَعَّال » في الصناعة ، فإذا قُلْت : « رجل ضرَّاب أو قتَّال » ؛ فقد قصدت كثرة وقوع الفعل منه ؛ ولذا حمل عليه مثل : خَياط ، ونجار ؛ لأن الصناعة تقتضي كثرة المعاناة والمداومة والتكرار .

ت- تَمَيَّزَ وزن « فَعُول » بنوع معين من المُبَالَغَة ، ناتج عن كثرة هذا الوزن للدلالة على اسم الشيء الذي يُفعل به ، نحو الوضوء والوَقود والثقوب ؛ فكأن استخدامه في المُبَالَغَة باعتبار أنه آلة أو مادة معدة لإيقاع الفعل .

ث- تميز وزن « فَعِيل » بكثرة استخدامه للمبالغة في الصفات الدالة على الطبائع، وهو منقول عن الصِّفَة المُشَبَّهَة ، فـ « عَلِيم » يدل على أنه لكثرة علمه وتبحره فيه أصبح له طبيعة ثانية، وسجية ملازمة .

وكما هو واضح فإن هناك أوزانًا مشتركة بين الصِّفَة المُشَبَّهَة وصيغ المُبَالَغَة وهي « فَعيل ، فَعُول ، فَعِل » . وقد طرح أستاذنا د. أحمد مختار عمر معيارين للتفريق بينهما هما :

١) اتخاذ معنى الصيغة فيصلا حين الحكم ، ورد كل ما جاء من « فَعيل » بمعنى اسم الفاعل (سواء كان بمعنى فاعل أو مُفْعِل أو مفاعِل) إلى الصِّفَة المُشَبَّهَة ، إذا كان المراد من الحدث الدلالة على الثبوت ، وإلى صيغة المُبَالَغَة ؛ إذا كان المراد الدلالة على كثرة وقوع الفعل وتكراره .

٢) اتخاذ التعدِّي واللزوم مقياسًا آخر ، فما كان من اللازم كان أولى أن يُنسبَ إلى الصِّفَة المُشَبَّهَة ، وما كان من المتعدي كان أولى أن ينسب إلى صيغ المُبَالَغَة [١] .

ومن الأمور الجديرة بالذكر التي ناقشها بعض العلماء دلالة صفات الله التي تأتي في صيغة المُبَالَغَة ، فقال بعضهم « إنَّ صفات الله التي هي صيغة مبالغة كلها مجاز إذ هي موضوعة للمبالغة ، ولا مبالغة فيها ؛ لأن المُبَالَغَة هي أن تثبت للشيء أكثر مما له ، وصفات الله ـ تعالى ـ متناهية في الكمال ، لا يمكن المُبَالَغَة فيها ، والمبالغة أَيْضًا تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان ، وصفات الله ـ تعالى ـ منزهة عن ذلك .

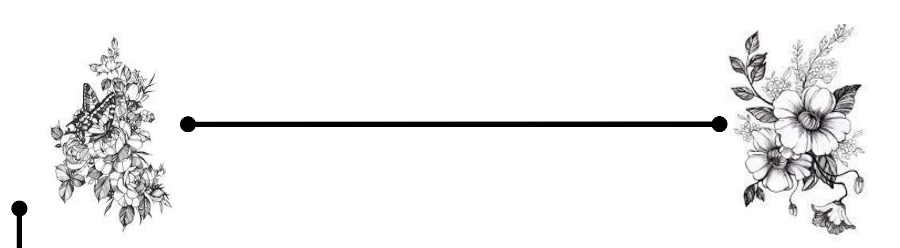
---

(١) د. أحمد مختار عمر : أسماء الله الحسنى ، ص ٩٧



أما المُحَقِّقون فذهبوا إلى أن المُبَالَغَة في حق الله تعالى **لا تعني زيادة الفعل ، ولكن تعني تعدد المفعولات ، وكثرة المتعلقات** ، فالله تَوَّاب لكثرة من يتوب إليه من عباده والله قدير باعتبار تكثير التعلق ، وليس تكثير الوصف ، والله عليم باعتبار عموم العلم لكل الأفراد لا باعتبار المُبَالَغَة في الوصف ؛ إذ العلم لا يصح التفاوت فيه »[1] .

(١) السابق ، ص ٩٤ ، الهامش رقْم ٧



الفصل السادس

نَمَاذِجُ تَطْبِيقِيَّةٌ





لا بد لنا بعد أن مررنا بفصول هذا الكتاب من نماذجَ تطبيقية نطبق عليها منهج التحليل البَلاغِيّ الذي اقترحناه ، فلا يقوم الكلام على ساق صحيحة ولا يستوي على سوقه إذا ظل الأمر مقصورًا فقط على الجانب النظري غير مدعوم بجانب عملي ؛ لذلك سأقدم عِدةَّ نماذج نحاول خلالها تطبيق المَنْهَج المقترح. [(١)] .

*****

* **النموذج الأول** :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ الفجر: ٦ – ١٤

تحيرت كثيرًا في اختيار الآيات التي أجعلها موضعًا للتطبيق ، ومجالا لدعم الجانب النظري الذي قدمناه .

ووقع اختياري أخيرًا على عدة نماذج ، هذا هو الأول منها ، آيات سورة الفجر (من ٦ إلى ١٤) . ولا أخفي سِرًّا أن أقول إن الذي جذبني لهذه الآيات حديثها عن « الطغيان » وعواقبِهِ : الإفسادِ وصبِّ العذابِ ، وعلاقة هذه الآيات بما نَعِيشُهُ الآن

(١) يُنظَر الخطوات المنهجية لدراسة البلاغة القرآنية في نهاية الفصل الأول .



من طغيان ملأ البلاد ، وظلم عَمَّ وطال كل العباد ؛ فأحببتُ أن أعيش معها مبينًا جوانبها البَلاغِيَّة ، وما بها من معانٍ ودلالات عَلَّها تفيد ...

ونوجه العناية هنا أننا في كل مرحلة سنطبق ما يمكن تطبيقه من خطوات المَنْهَج الذي اقترحناه .

* **المرحلة الأولى السياق والمقام والمعنى** :

(١) السورة مَكِّيَّة :

أول خطوة في التحليل البَلاغِيّ بيان السياق الأعم للآيات ، ونقصد به كما قلنا: السياق المكي أو المدني . ونُبَيِّنُ أن السورة التي وردت فيها الآيات « مَكِّيَّة » . و مَكِّيَّة السورة أو مَدَنِيَّتها أمر له دلالته ، فللقرآن المكي خصائص أسلوبية وموضوعِيَّة ، وللقرآن المدني خصائص أسلوبية وموضوعية .

خصائص القُرْآن المكي :

من يدرس القُرْآن المكي يجد أنه كان يهتم بموضوعات معينة تختلف في أغلبها عن موضوعات القُرْآن المدني ، واتسم القُرْآن المكي بسمات أسلوبية اختلفت عن السمات الأسلوبية للقرآن في المرحلة المدنية .

وهذا الاختلاف أمر منطقي بَدَهِيٌّ ، فالفترة المكية تمثل أول لقاء بين العرب بل البشرية كلها والقرآن ، واشتبك القُرْآن اشتباكًا مباشرًا بوضع **فكري وثني ، وبوضع اجتماعي شديد الانحراف والضلال والجهل** . يُحَدِّثُنا صاحبُ ظلال القُرْآن عن هذا الوضع قائلا: « لقد جاء الإسلام وفي العالم ركام من العقائد والتصورات والأساطير والفلسفات والأوهام والأفكار ، يختلط فيها الحق بالباطل ، والصحيح بالزائف ، والدين بالخرافة ، والفلسفة بالأسطورة ، والضميرُ الإنسانيُّ تحت هذا الركام الهائل يتخبطُ في ظلماتٍ وظنون ، ولا يستقر منها على يقين . وكان التيه الذي لا قرار فيه ولا يقين ولا نور ، هو ذلك الذي يحيط بتصور البشرية لإلهها ، وصفاته وعلاقته بخلائقه ، ونوع الصلة بين الله والإنسان على وجه الخصوص »[١] .

---

(١) سيد قطب : في ظلال القُرْآن ، ١/ ٢٣ عند تفسير سورة الفاتحة .



فكان لزامًا على الخطاب القرآني لكي يواجه هذا الضلال الفكري والعقدي والاجتماعي ـ خاصة في شبه جزيرة العرب ـ أن يَتَمَزَّى بخصائص معينة تناسب هذا المقام ، فكان أن « نزل الوحيُّ المكيُّ **قوارع زاجرة ، وشُهبًا منذرة ، وحججًا قاطعة ، يحطم وثنيتهم في العقيدة ، ويدعوهم إلى توحيد الألوهية والربوبية** ، ويهتك أستار فسادهم، ويقيم دلائل النبوة، ويضرب الأمثلة للحياة الآخرة، وما فيها من جنة ونار، ويتحداهم على فصاحتهم بأن يأتوا بمثل هذا القُرْآن ، **ويسوق إليهم قصص المكذبين الغابرين عبرة وذكرى ؛ فتجد في مكي القُرْآن ألفاظًا شديدة القرع على المسامع، تقذف حروفها بشرر الوعيد، وألسنة العذاب، فكلا الرادعة الزاجرة، والصاخة والقارعة، والغاشية والواقعة،** وحروف الهجاء من فواتح السور، وآيات التحدي في ثناياها، ومصير الأمم السابقة ... وإقامة الأدلة الكونية، والمجادلة العقلية، كل هذا نجده من خصائص القُرْآن المكي »[1] .

لقد كان الشغل الشاغل للقرآن في هذه الفترة التأكيد على « وحدانية الله وقدرته على بعث الأجساد بعد الموت والحساب ، والسخرية من المشركين وآلهتهم ، وتهديدهم بالعذاب المقيم في النار »[2] .

وهناك أماراتٌ غالبةٌ رُجِّحَ امتياز القسم المكيّ بها ، « فمما يكثر في السور المكيَّة ويشيع :

١ـ قصر الآيات والسور وإيجازها وحرارة تعبيرها وتجانسها الصوتي .
٢ـ الدعوة إلى أصول الإيمان بالله واليوم الآخر ، وتصوير الجنة والنار.
٣ـ الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة والاستقامة على الخير.
٤ـ مجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم.
٥ـ كثرة القسم جريًا على أساليب العرب »[3] .

(٢) جَوُّ السُّورة وموضوعاتها :

---

(١) مناع القطان: تاريخ التشريع الإسلامي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٥ ، (٢٠٠١م) ، ص ٥٣، ٥٤

(٢) د. مصطفى ديب البغا : الواضح في علوم القُرْآن ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، ط٢ ، (١٩٩٨م) ، ص ٦٦

(٣) د. صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن ، ص١٨٣



في بداية تفسيره للقرآن يقرر صاحب الظلال هذه القاعدة : « يلحظ من يعيش في ظلال القُرْآن أن **لكل سورة من سوره شخصية مميزة** ، شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس ، **ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية مشددودة إلى محور خاص** ، ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها ، ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة ، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو ، ولها إيقاع موسيقى خاص ـ إذا تغير في ثنايا السياق فإنما يتغير لمناسبة موضوعية خاصة . **وهذا طابع عام في سور القُرْآن جميعًا** ، ولا يشذ عن هذه القاعدة طوال السور »[1] .

ويقول عن سورة « الفجر » بوجه خاص : « **هذه السورة في عمومها حلقة من حلقات الهتاف بالقلب البشري إلى الإيمان والتقوى واليقظة والتدبر** ، ولكنها تتضمن ألوانًا شتَّى من الجولات والإيقاعات والظلال . ألوانًا متنوعة تؤلف من تفرقهاوتناسقها لحنًا واحدًا متعدد النغمات موحد الإيقاع .

في بعض مشاهدها جمال هادئ رفيق نَدِي السمات ، كهذا المطلع الندي بمشاهده الكونية الرفيقة ، وبظل العبادة والصلاة في ثنايا تلك المشاهد ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ الفجر: ١ – ٤ .

وفي بعض مشاهدها شد وقصف . سواء مناظرها أو موسيقاها كهذا المشهد العنيف المخيف : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٢٣ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝٢٤ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ الفجر: ٢١ – ٢٦

وفي بعض مشاهدها نداوة ورقة ورضى يفيض وطمأنينة ، تتناسق فيها المناظر والأنغام ، كهذا الختام : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ **الفجر: ٢٧ – ٣٠**

وفيها إشارات سريعة لمصارع الغابرين المتجبرين ، وإيقاعها بين بين ، بين إيقاع القصص الرخي وإيقاع المصرع القوي : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى

(١) سيد قطب : الظلال ، ١/ ٢٧، ٢٨



ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ الفجر: ٦ - ١٤

وفيها بيان لتصورات الإنسان غير الإيمانية وقيمه غير الإيمانية . وهي ذات لون خاص في السورة تعبيرًا وإيقاعًا :﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾ الفجر: ١٤ – ١٦

ثم الرد على هذه التصورات ببيان حقيقة حالهم التي تنبع منها هذه التصورات. وهي تشمل لونين من ألوان العبارة والتنغيم :﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ الفجر: ١٦ – ٢٠

ويلاحظ أن هذا اللون الأخير هو قنطرة بين تقرير حالهم وما ينتظرهم في مآلهم فقد جاء بعده : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ الفجر: ٢١ فهو وسط في شدة التنغيم بين التقرير الأول والتهديد الأخير!

ومن هذا الاستعراض السريع تبدو الألوان المتعددة في مشاهد السورة ، وإيقاعاتها في تعبيرها وفي تنغيمها ، **كما يبدو تعدد نظام الفواصل وتغير حروف القوافي . بحسب تنوع المعاني والمشاهد. فالسورة من هذا الجانب نموذج واف لهذا الأفق من التناسق الجمالي في التعبير القرآني . فوق ما فيها عمومًا من جمال ملحوظ مأنوس** »[1] .

إذن فموضوع سورة الفجر ينتمي إلى نفس موضوعات الفترة المكية ، تلك الموضوعات التي يأتي على رأسها إثبات وحدانية الله ، وتوجيه النظر إلى قدرته ؛ فالسورة « تهتف بالقلب البشري إلى الإيمان والتقوى واليقظة والتدبر » .

(٣) مُنَاسَبَاتُ السُّورَة :

أ- **ارتباط سورة الفجر بما قبلها** : أتت سورة الفجر بعد سورة الغاشية التي ختمت بقوله : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ **الغاشية: ٢٥ – ٢٦**

ووجه ارتباط سورة الفجر بما قبلها كما يقول الإمام البِقاعي أنَّ « مقصودَها الاستدلالُ على آخر الغاشية : الإيابِ والحسابِ ، وأدلُّ ما فيها على هذا المقصود الفجرُ ، بانفجار الصبح عن النهار الماضي بالأمس ، من غير فرق في شيء من

(١) السابق ، ٦/ ٣٩٠٢



الذات ، وانبعاث النيام من الموت الأصغر ، وهو النوم بالانتشار في ضياء النهار لطلب المعايش للمجازاة في الحساب بالثواب والعقاب »[(١)] .

فبعد أن يؤُوبَ الظَّلمةُ إلى الله بموتهم يُبعثونَ للحساب ، ودليل إمكانية ذلك أن النائم (وهو في موتةٍ صُغرى) يستيقظ عند « الفجر وانتشار الضياء » لطلب المعايش.

ب- **ارتباط آيات التحليل بما قبلها وبما بعدها** : حيث بدأت سورة الفجر بمجموعة من الأَقسام (الآيات ١ـ٤) :

١ـ القَسَم بالفجر .
٢ـ القَسَم بالليالي العشر .
٣ـ القَسَم بالشفع والوتر .
٤ـ القسم بالليل إذا يسر[(٢)] .

وجاءت الآية الخامسة في صيغة الاستفهام إثارة لليقظة والالتفات .

واختلف المفسرون في جواب هذه الأقسام ، فذهب أبو حيان الأندلسي إلى أنه محذوف تدل عليه نهايات سورة الغاشية[(٣)] ، وذهب الزَّمَخْشَرِيّ وصاحبُ الظلال أن **الجواب محذوف تفسره الآيات (٦ـ ١٤)** الآيات التي نحن بصدد تحليلها بلاغيًّا . قال صاحب الظلال : « أَمَّا المقسَم عليه بذلك القسم فقد طواه السياق ؛ ليفسره ما بعده ، فهو **موضوع الطغيان والفساد** ، وأخذ ربك لأهل الطغيان والفساد ، فهو حق واقع يقسم عليه بذلك القسم في تلميح يناسب لمسات السورة الخفيفة على وجه الإجمال »[(٤)] .

فالآيات التي نحن بصدد تحليلها تفسير جواب قسم الأقسام السابقة ، فكأن السياق يمضي هكذا : أقسم بالفجر والليالي العشر ... على أن الجبابرة والظلمة الذين الذين بلغوا المَدَى في ظلمهم أهلكهم الله الواحد القهار ، والدليل على ذلك : ألم تر كيف فعل ربك .....

---

(١) نَظْم الدرر ، ٢٢/ ٢١

(٢) للوقوف على مناسبة هذه الأقسام لما قبلها انظر : نظم الدرر ، ٢٢/ ٢١

(٣) البحر المحيط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، (١٩٩٣م) ، ٨/ ٤٦٤

(٤) الظلال ، ٦/ ٣٩٠٣ ، وقدَّر الزَّمَخْشَرِيّ هذا المحذوف بقوله « لنعذبَنَّ » .



ومناسبة هذه الآيات لما بعدها أن الآيات محل التحليل ختمت بقوله « إن ربك بالمرصاد » ، وهذا الختام يدل على أن الله « يرى ويحسب ويحاسب ويجازي ، وفق ميزان دقيق لا يخطئ ولا يظلم ولا يأخذ بظواهر الأمور لكن بحقائق الأشياء ، فأما الإنسان فتخطئ موازينه وتضل تقديراته ، ولا يرى إلا الظواهر ، ما لم يتصل بميزان الله : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾ الفجر: ١٥، ١٦ ، فهذا هو تصور الإنسان لما يبتليه الله به من أحوال ، ومن بسط وقبض ، ومن توسعة وتقدير ، يبتليه بالنعمة والإكرام ... فلا يدرك أنه الابتلاء ، تمهيدًا للجزاء ... وهو في كلتا الحالتين مخطئ في التصور ومخطئ في التقدير »(١) .

ت- مناسبة الآيات فيما بينها : الآياتُ من ٦ إلى ١٤ عبارة عن أدلة متتالية تخدم هدفًا واحدًا ، وهو تقديم « الجواب » والبرهان على قدرة الله ووحدانيته .

ث- ولعل هناك مناسبة أخرى بين الآيات التي اخترناها للتحليل البَلاغِيّ واسم السورة ، وهي أن الظلم لا يدوم والظلمة والطغاة لابد أنهم راحلون ، وسيعقب هذا الظلم « فجر » الهداية الربانية الذي سيأخذ بأيدي الناس إلى الطريق القويم ، فجر الحرية والكرامة والعيش الكريم . هذا الفجر الذي سيبسطُ ضياءه ونوره على المظلومين .

(٤) معاني الألفاظ ومعاني الآيات :

⇦ الآياتان ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ :

- نلحظ أن الآية بدأت بالهمزة ، وهي هنا « للاستفهام التقريري ؛ أي : قد رأيت ؛ لأن المراد بالرؤية هنا رؤية القلب وهي العلم ؛ عبر عنه بالرؤية لكونه علمًا ضروريًّا مساويًا في الجلاء والبيان للمشاهدة والعيان »(٢) .

ومما ذكره المفسرون عن عاد :

- أنَّ « أمر عاد وثمود عند العرب [كان] مشهورًا ؛ إذ كانوا في بلادهم ، وحجر ثمود موجود إلى اليوم بوادي القُرَى »(٣) .

(١) الظلال ، ٦/ ٣٩٠٤

(٢) محيي الدين الدرويش : إعراب القرآن الكريم ، ١٠/ ٤٦٩

(٣) د. محمد طه الدرة : تفسير القُرْآن وبيانه ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط١ ، (٢٠٠٩م) ، ١٠/ ٥٧٣



- أن هناك « عَادَيْنِ » :الأولى والآخرة ؛ لقوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ النجم: ٥٠ ، وعادٌ المذكورة هنا عاد الأولى كما ذكر المفسرون [١] .

- إِرَمَ : ذكر المفسرون لهذه اللفظة عدة معان : اسم بلدة ، القديمة ، أمة ، الهالك ...، واختار شيخُ المفسرين الطبري من هذه الأقوال قولين فقال : « والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال : إنَّ إِرَمَ إما اسم بلدةٍ كانت عاد تسكنها ، فلذلك رُدَّت على عاد على الإتباع لها ؛ ولم تُجْرَ من أجل ذلك ، وإما اسم قبيلة ؛ فلم تُجْرَ أيضًا ، كما لا تُجرى أسماء القبائل ، كتميمَ وبكر وما أشبه ذلك إذا أرادوا به قبيلة ، وأما اسم عاد فلم يُجرَ ؛ إذ كان اسمًا أعجميًّا »[٢] .

وبعد أن استصوب الإمام هذين الرأين رجح أن المقصود بـ « إِرَم » أنها اسم قبيلة من عاد .

- ذات العماد : قال الإمام الطبري : « عُني به طول أجسامهم ، وبعضهم (؛ أي : بعض أهل التأويل أشار) إلى أنه عُنِيَ به عماد خيامهم ، فأما عماد البنيان فلا نعلم كبير أحدٍ من أهل التأويل وجهه إليه . وتأويل القُرْآن إنما يوجه إلى الأعرف الأغلب من معانيه ـ ما وجد إلى ذلك سبيل ـ دون الأنكر ».

وقال أبو حيان في تفسير هذا القول : «وإذا كانت ذات العماد صفة للقبيلة : فقال ابن عباس: هي كناية عن طول أبدانهم ، ومنه قيل: رَفِيعُ الْعِمَادِ، شُبِّهَتْ قُدُودُهُمْ بِالْأَعْمِدَةِ ، ومنه قولهم: رَجُلٌ عَمَدٌ وَعُمْدَانُ أَيْ طَوِيلٌ . وقال عكرمة ومقاتل: أعمدة بيوتهم التي كانوا يرحلون بها لأنهم كانوا أهل عمود. وقال ابن زيد: أعمدة بنيانهم، وإذا كانت صفة للمدينة، فَأَعْمِدَةُ الْحِجَارَةِ الَّتِي بُنِيَتْ بِهَا . وقيل: الْقُصُورُ الْعَالِيَةُ وَالْأَبْرَاجُ يُقَالُ لَهَا عِمَادٌ» .

---

(١) يُنظر : أبو السعود العَمادي : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القُرْآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، (بدون تاريخ للطبعة) ، ٩/ ١٥٤ ونقل أبو السعود عن ابن كثير قوله : « **كل ما ورد في القُرْآن خبر عاد الأولى إلا ما في سورة الأحقاف** » .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القُرْآن ، ت: عبد الله التركي ، دار هجر ، القاهرة ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، ٢٤/ ٣٦٤ ، والمقصود بمصطلح الإجراء الذي ذكره الإمام : الصرف والتنوين ، ويراد به أيضًا إتباع اسم لآخر في إعرابه ؛ مثل : النعت ، والتوكيد، والبدل ، والعطف. **ونلاحظ هنا أن الإمام الطبري اعتمد على الجانب النحوي والإعرابي لبيان المعنى في الآية .**



بناء على ذلك فتفسير « ذات العماد » إما أن تفسر بطول الأجسام أو بعماد الخيام أو أعمدة بنيانهم ، أو أعمدة الحجارة التي بنيت بها ، أو القصور والأبراج العالية .

والآية تتحمل كافة هذه المعاني ولا تعارض بينها ، فالتفسير بطول الجسم مقبول وكذلك التفسير بأعمدة البنيان أو القصور والأبراج العالية .

- لم يُخلَق مثلها : الهاء عائدة على « عاد » ، وجائز أن تكون عائدة على « إرَم » ، ومعنى قوله « لم يُخلَق مثلها » ؛ أي : لم يُخلقْ مثلها في العِظَم والبطش والأَيد .

وقال الزَّمَخْشَرِيّ في هذه الآية ـ بدون استخدام لصيغ التمريض : قِيل ، ورُوِي ـ : « كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع ، وكان يأتي الصخرة العظيمة ؛ فيحملها ، فيلقيها على الحَيِّ فيهلكهم » .

⇦ ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾:

- يقول تعالى : وثمود الذين خرقوا الصخر ودخلوه ؛ فاتخذوه بيوتًا . وقال أبو حيان : « قيل : أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود ، وبنوا ألفًا وسبعمائة مدينة كلها بالحجارة » .

الوادي : وادي القُرى .

⇦ ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ :

ذكر الإمام الطبري مجموعة من المعاني في تفسير هذه الآية ، ثم اختار منها معنيين . قال : « وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قولُ مَن قال : عُنِي بذلك الأوتاد التي تُوتَدُ ، من خشبٍ كانت أو حديد ؛ لأن ذلك هو المعروف من معاني الأوتاد ، ووصف بذلك ؛ لأنه إما أن يكون كان يُعَذِّبُ الناس بها ، كما قال أبو رافع وسعيدُ بن جُبير ، وإمَّا أن يكون كان يُلعَبُ له بها (؛ أي : كانت مَظالَّ وملاعبَ يُلعبُ له تحتها) » .

وقال الزَّمَخْشَرِيّ : « قيل له ذو الأوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا ، أو لتعذيبه بالأوتاد ، كما فعل بماشطةِ بنته وبآسية » .

وقد ذهب صاحب الظلال إلى أنَّ « ذي الأوتاد » : « ... **وهي على الأرجح الأهرامات التي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض المتينة البنيان ، وفرعون المشار إليه هنا هو فرعون موسى الطاغية الجبار** » .



ويشير المؤرخ الشهير ول ديورنت أن هناك من العلماء والمؤرخين من يعتقد أن فرعون موسى هو « رمسيس الثاني » ، وأن لهذا الرجل انتصارات وآثار كثيرة ، تدل على كبريائه وزهوه وغروره . يقول : « ... سير حملة إلى بلاد النوبة ليفتح ما فيها من مناجم الذهب ، ويملأ به خزانة مصر، واستخدم ما جاءته به هذه الحملة من أموال لإخضاع الولايات الآسيوية التي خرجت على مصر وقضى ثلاث سنين في إخضاع فلسطين؛ ثم وصل زحفه والتقى عند قادش (١٢٨٨ ق. م) بجيش عظيم جمعه الأحلاف الآسيويون. بَدَّلَ بشجاعته وبراعة قيادته هزيمةً محدقةً به نصرًا مؤزرًا ... **ويعتقد بعضهم أن رمسيس الثاني هو بعينه فرعون موسى الذي ورد ذكره في سفر الخروج** ... وأمر أن تخلد انتصاراته بغير قليل من المبالغة والتحيز على خمسين جدارا أو نحوها ، وكلف أحد الشعراء بأن يشيد بذكره في ملحمة شعرية ، **وكافأ نفسه على أعماله ببضع مئات من الزوجات**. وخلف بعد وفاته مائة ولد وخمسين بنتًا ؛ ليبرهن على رجولته بعدد هؤلاء الأبناء وبنسبة الذكور منهم إلى الإناث . **وتزوج عددًا من بناته حتى يكن لهن أيضًا أبناء عظماء** . .. والحق أنه كان جديرًا بهذا كله ، فقد حكم مصر كما يلوح حكمًا موفقًا . **ولقد أسرف في البناء إسرافًا كان من نتائجه أن نصف ما بقي من العمائر المصرية يعزى إلى أيام حكمه. وأتم بناء البهو الرئيسي في الكرنك ، وأضاف أبنية جديدة إلى معبد الأقصر وشاد ضريحه الكبير المعروف بالرمسيوم في غرب النهر، وأتم الهيكل العظيم المنقور في الجبل عند أبي سنبل، ونثر تماثيل له ضخمة في طول البلاد وعرضها**. .. وأسلم رمسيس الروح في عام ١٢٢٥ ق. م وهو في التسعين من عمره ، بعد عهد يعد من أشهر العهود في التاريخ »(١) .

ويحدثنا ديورنت عن مدى تسخير الفراعنة لرعيتهم والسُّخرة التي كانوا فيها ويعلق علي ما يذكره تعليق العالم ذي العقل الثاقب والقلب الصافي فيقول : « ألا ما أعظم ما كان يتمتع به أولئك المصريون الأقدمون من ثراء. وما أقوى سلطانهم وأعظم حذقهم في طفولة التاريخ نفسها. **لقد استطاعوا بثرائهم وقوتهم وحذقهم أن ينقلوا هذه الحجارة الضخمة ستمائة ميل أو أكثر وأن يرفعوها، وهي تزن عدة أطنان إلى علو خمسمائة قدم وأن يطعموا المائة ألف من العمال الذين ظلوا يكدحون عشرين عاماً كاملة في تشييد هذه الأهرام إذا لم يكونوا قد أدوا لهم أجورهم على عملهم هذا!** وقد احتفظ لنا هيرودوت بنقش وجده على هرم منها يسجل مقدار ما استهلكه

(١) ول ديورنت : قصة الحضارة ، ت : محمد بدران ، المجلد الأول ، ج٢/ ١٨١



العمال الذين شادوه من فجل وثوم وبصل ... على أننا نغادر هذا المكان في غير بهجة ذلك أنا نرى في هذا الحرص الشديد على الضخامة شيئًا من النزعة الهمجية البدائية أو النزعة الهمجية الحديثة. إن ذاكرة من يشاهدها وخياله وقد تضخما بفعل التاريخ وتأثيره ، هما اللذان يخلعان العظمة على هذه الآثار. أما هي في ذاتها فلا تعدو أن تكون دليلاً على غرور الباطن ؛ فهذه مقابر أراد بها الموتى حياة خالدة. ولعل الصور قد رفعت كثيرًا من شأنها ؛ ذلك أن الصور الشمسية تستطيع أن تسجل كل شيء عدا الأقذار، وأن تعظم من شأن أعمال الإنسان بما تحيطها به من مناظر الأرض والسماء. إن منظر غروب الشمس في الجيزة لأعظم في نظرنا من رؤية الأهرام »[1] .

ويذكر ديورنت أيضًا أن لفظ « فرعون » كان لقبًا يُطلق على عدد كبير من الملوك[2] .

من خلال ما سبق نُلَخِّص ما قيل في قوله « ذي الأوتاد » :

- هي أعواد من خشب أو حديد لتعذيب الناس بها ، أو لإقامة خيام لفرعون يستظل بها وتُقَدَّمُ بين يديه الملاعب .
- أنها الكناية عن كثرة جنوده ومضاربهم التي تُستخدم فيها الأوتاد.
- أنها الأهرامات .

وأحبُّ أن أضيف أنها قد تعني أيضًا أعمدة المعابدة المرتفعة ، فمن يشاهد تلك المعابد يجد كثرة كاثرة من تلك الأعمدة ، وإذا أخذنا في الاعتبار ما قاله ديورنت من أن رمسيس الثاني قد أسرف في البناء لدرجة أنَّ نصف ما بقي من العمائر المصرية يُعزى إليه ـ لوجدنا أن الوصف القرآني يلائم هذا التفسير تمامًا .

⇦ ﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾ :

- الذين : عادًا وثمود **وفرعونَ وجنده** .
- طَغَوا ، قال الأئمة في تفسير هذا اللفظ :

* قال الإمام الطبري : تجاوزا ما أباحه الله لهم ، وعتوا على رَبِّهم إلى ما حَظَره عليهم من الكفر به .
* وعند ابن كثير : تمردوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للناس.
* القرطبي : تمردوا وعتوا وتجاوزا القدر في الظلم والعدوان .

(١) قصة الحضارة ، المجلد الأول ، ج١/ ٥٢

(٢) قصة الحضارة ، المجلد الثاني ، الجزء الأول ـ ج٦/ ٢٥



* الرازي : عملوا المعاصي وتجبروا على أنبيائهم .

- في البلاد : يعني في البلاد التي كانوا فيها ، وقال أبو حيان : في بلاد الدنيا .

⇦ ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ :

- يقول تعالى ذكره : فأكثروا في البلادِ المعاصيَ ، وركوبَ ما حرَّمَ اللهُ عليهم .
- وبملاحظة الاستعمال القرآني للفظة « الفساد » نجد أن هذه اللفظة مرتبطة بالأرض ، ففي أغلب هذه المواضع إن لم يكن كلها نجد هذا الارتباط .

⇦ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ :

- قال الإمام الطبري : « يقولُ تعالى ذكره : فأنزل بهم يا محمدُ ربُّك عذابَه ، وأحلَّ بهم نقمته ؛ **بما أفسدوا في البلادِ وطغوا على الله فيها** . وقيل : ﴿**فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ**﴾ وإنما كانت نِقَمًا تنزلُ بهم ؛ إمَّا ريحًا تدمِّرُهم ، وإمَّا رَجْفًا يُدَمدِمُ عليهم ، وإمَّا غرقًا يُهلكهم من غيرِ ضربٍ بسوط ولا عصًا ؛ لأنه كان من أليم عذاب القومِ الذين خوطِبوا بهذا القُرْآن ـ الجلدُ بالسياطِ ؛ فكثُر استعمالُ القومِ في الخبرِ عن شدةِ العذابِ الذي يعذَّبُ به الرجلُ منهم أن يقولوا : ضُرِبَ فلانٌ حتي بالسِّياط . إلى أن صار ذلك مثلًا ؛ فاستعملوه في كلِّ معذَّبٍ بنوعٍ من العذابِ شديدٍ ، وقالوا : صُبَّ عليه سَوطُ عذاب » .
- ونلاحظ أن اللفظ « صب » ورد في القرآن خمس مرات ، ثلاث مرات مع العذاب ، ومرتين مع الماء .

⇦ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ :

- بالمرصاد : بحيثُ يَرى ويسمعُ ، أو يعني بذلك أنَّه بمَرصَدٍ لأهل الظلم . وقال صاحب الكشاف : « المِرصادُ : المكان الذي يترتبُ فيه الرَّصَدُ ، مِفعالٌ من رصده ، كالميقات من وقته ، وهذا مثلُ لإرصاده العُصاةَ بالعقاب ، وأنهم لا يفوتونه » .
- قال الإمام الرازي : « الْمِرْصَادُ المكان الذي يَتَرَقَّبُ فِيهِ الرَّاصِدُ ، مِفْعَالٌ ، كالميقات من وقته ، وهذا مثل لإرصاده العصاة بالعقاب وأنهم لا يفوتونه ... وللمفسرين فيه وجوه أحدها: قال الحسن: يرصد أعمال بني آدم . وثانيها: قال الفراء: إليه المصير. وهذان الوجهان عامان للمؤمنين والكافرين »[1] .

---

(١) مفاتيح الغيب ، ٣١/ ١٥٥



- يقول تعالى ذكره لنبيِّه محمدٍ ﷺ : إنَّ ربَّك يا محمدُ لهؤلاء الذين قصصْتُ عليك قَصصَهم ، ولضُرَبائهم من أهل الكفر به لبالمرصاد ، يرصُدُهم بأعمالهم في الدنيا وفي الآخرة على قناطرِ جهنمَ لِيُكردِسهم (؛ أي : يجمع بعضهم إلى بعض) فيها إذا وردوها يومَ القيامة .

مما سبق نوجز معنى بالمرصاد :

» إرصاد العصاة بالعقاب ، وأنهم لا يفوتون الله ـ عز وجل ـ .

» يرصد أعمال بني آدم .

» مصير المؤمن والكافر إلى الله تعالى .

وكل هذه المعاني تتقبلها الآية .

(٥)مسرح الحدث اللغوي والحال ومقتضاه :

ليس للآيات سياق خاص بها (سبب نزول) ، لذلك فهي تخضع لما يمكن أن نسميه السياق العام .

وإذا حاولنا أن نرسم مسرح الحدث اللغوي لهذه الآيات فإننا يمكن أن نقول :

- المتكلم هو رب العزة سبحانه ، لا إله إلا هو ، صاحب الهداية ، يطلب إلى المخاطبين اتقاءه والإيمان به ، محب لعباده ، عالم بما يصلحهم وما يفسدهم .
- السامع والمخاطب :

» العرب ، وهم أمة أمية ، لكنهم في نفس الوقت أهل فصاحة وبيان ، يتمسكون بما كان عليه آباؤهم ، لهم أنفة وكبرياء وفخر بأنسابهم وآلهتهم ، واعتزاز بالقبيلة إلى أقصى مدى ، فيهم غلظة وشدة وصلت بهم أحيانًا إلى وأد بناتهم أحياء .

» أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

- البيئة المحيطة : بيئة قبلية ، بها الأسياد والنبلاء والعبيد والإماء ، تعتمد على التجارة ، تتميز بقسوة الأحوال المناخية والحياتية ، بيئة يندر فيها العلم والقراءة .
- الموضوع المتحدث عنه : دعوتهم إلى توحيد الله ـ عز وجل ـ والإيمان به ، وترك عبادة الأوثان .
- المكان : مكة ، أم القرى ، موطن أهم قبائل شبه الجزيرة العربية ، وأقواها وأشدها .



- الفترة الزمنية للخطاب : الفترة الزمنية التي قضاها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مكة .

- **الحالة النَّفْسِيَّة لمن يتوجه إليه الحديث :**

إذا أردنا أن نُبَيِّنَ لمن يتوجه الخطاب قلنا : إن الخطاب يتوجه إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن ورائه أهل مكة ؛ إذن فالخطاب يتوجه في الأساس إلى :

- النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .
- أهل مكة الذين كان معظمهم يعبد الأوثان والأصنام ، ولعل الخطاب هنا موجه إليهم بشكل أساسي .

ولا شك أن الحالة النفسية للنبي ـ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ ـ هي حالة المطمئن الواثق في الله تمام الثقة ، الموقن تمام الإيقان بقدرة الله تعالى ، والذي بلغ من الإيمان به الدرجة التي تعجز معه ألفاظ اللغة عن التعبير عنه .

أمَّا الحالة النفسية لأهل مكة فقد بدأت بالصدمة والاندهاش لهذا الكلام العجيب ، ثم الرفض له ، ثم كراهيته كراهية شديدة ، ثم الغضب منه والحَنَق عليه ومحاربته .

إذن فالكلام موجه لقوم كارهين لهذا الكلام ، حاقدين عليه ، ناقمين منه ، محاربين له حربًا لا هوادة فيها ؛ ويترتب على ذلك أن يكون الكلام مناسبًا لهذه النفوس الكارهة الرافضة الحاقدة وأن يُستخدَمَ أسلوبٌ فيه قوة وشدة ، مشتملا على حجج قوية قاطعة متعددة ، تضرب تلك النفوس بلا هوادة ، وتطامن من كبريائها ، وتقدم البرهان المفحم الذي لا يستطيعون رده .

- **الحَالُ ومُقْتَضَاه :**

مما سبق نستطيع أن نرسم الحال مع هذه الآيات ـ مع ملاحظة أنَّ الآيات لم تأت في سياق خاص ، وليس لها سبب نزول معين ـ كما يلي :

نحن أمام قوم كارهين وحاقدين على ما يسمعونه ، وناقمون على من ينقل إليهم هذا الكلام ، وهم أرباب فصاحة وبيان ، والجو العام المخيم على الجميع فيه توتر وتربُّص وعداء وشد وجذب بين طرفين .

وهذا يقتضي أن يكون الكلام مباشرًا ، واضح المعنى ، موجزًا ، قويًّا جزلًاشديدًا تُختار له الألفاظ ذات الأصوات القوية ، وأن تكون الجمل قصيرة ومركزة ، مدعما بما يقوي المطلوب : قصص ، صور بلاغية ، براهين عقلية[1] .

* **المرحلة الثانية مرحلة البَدَائِل اللفظية :**

نأتي إلى المرحلة الثانية من مراحل بيان بلاغة الآيات التي اخترناها :

- **الآية رقْم ٦ :** ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾

نحاول مع هذه الآية أن نبحث عن البَدَائِل اللفظية الممكنة لألفاظ الآية ومن خلال المقارنة نتبين دقة اختيار اللفظ القرآني.

- اختارت الآية أداة النفي « لم » ، ولم تختر البَدَائِل الممكنة لها « لا ، ليس » ، فلم تقل الآية : « ألا ترى كيف .... » ، أو « ألست ترى .... » ، وذلك لما يأتي :

أ- أنَّ لم تدخل على المُضَارِع ؛ فتصرف معناه إلى المضي ... والمنفي بلم قد يكون متصلا بالحاضر ، وقد يكون منقطعًا عنه [2] .

ب- أما لا النافية (غير العاطفة وغير الجوابية) تدخل على الأسماء والأفعال وظاهر مذهب سيبويه ونص الزَّمَخْشَرِيّ على أنها تخلصه للمستقبل [3] .

ت- ومذهب أكثر النحويين أنَّ ليس وما الحجازية مخصوصان لنفي الحال

---

(١) يقول الأستاذ سيد قطب في كتابه الماتع المهم « التصوير الفني في القرآن » ما نصه ص ٢٢٩ : « لقد عمد القرآن دائمًا إلى لمس البداهة ، وإيقاظ الإحساس ؛ لينفذ منها مباشرة إلى البصيرة ، ويتخطاها إلى الوجدان . **وكانت مادته هي المشاهد المحسوسة ، والحوادث المنظورة ، أو المشاهد المشخصة ، والمصائر المصورة** . كما كانت مادته هي الحقائق البديهية الخالدة ؛ التي تتفتح لها البصيرة المستنيرة ، وتدركها الفطرة المستقيمة . أما طريقته فكانت هي الطريقة العامة : طريقة التصوير والتشخيص ، بالتخييل والتجسيم ... كان هذا هو المنطق الوجداني الذي جادل به القرآن وناضل ، وكسب المعركة في النهاية . في هذا المنطق اشتركت الألفاظ المعبرة ، والتعبيرات المصورة ، والصور الشاخصة ، والمشاهد الناطقة ، والقصص الكثيرة ... » .

(٢) الحسن بن قاسم المرادي : الجَنَى الدَّاني في حروف المعاني ، ت : فخر الدين قباوة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، (١٩٩٢م) ، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨

(٣) السابق ، ص ٢٩٦



فقط [١] .

فالميزة التي تميز « لم » أن النفي بها قد يمتد من الماضي إلى الحاضر بناء على ذلك، فاستخدام لم هو الأدق لغويًّا ، حيث إن سياق الكلام عن قوم ظلمة أهلكهم الله في الماضي . وإمكانية أن يمتد النفي بها إلى الحاضر إشارة بَلاغِيَّة إلى إمكانية تكراره مع المعاندين من كفار قريش .

- استخدمت الآية اللفظ « فعل » والبديل الدلالي الممكن له ألفاظ المجال الدلالي الدال على الإماتة ، والتي منها ـ كما ورد في القُرْآن ـ :« أباد ، توفَّى ، أثخن ، أردى ، أمات ، أوبق ، دمدم ، صرعَ ، عقر ، قتل ، قضى ، محقَ ، أهلك، تل ، أغرق حَسَّ ، صلب ، نحر »[٢] . ونلاحظ أنَّ هذا المجال الدلالي لا يضُمُّ الفعل « فعل » ، على الرغم من كثرة الألفاظ القُرْآنِيَّة التي استخدمها القُرْآن من هذا المجال ، فلم تقل الآية مثلا : « ألم تر كيف أباد أو أمات أو صرع ..... » .

ويمكن أن نُفَسِّرَ هذا الاختيار بلاغِيًّا على النحو الآتي :

- في اختيار الفعل« **فَعَلَ** » دونًا عن بقية ألفاظ هذا المجال إثارةٌ وتشويقٌ للسامع ، وإطلاق للخيال في تصور ماذا فعل الله بـ« عاد » . هذا التشويق وتلك الإثارة الذهنية مصدرهما أن الفعل « **فَعَلَ** » يأتي في سياقات متعددة ومتضادة ، إيجابية وسلبية ، ومن يتتبع السياقات القُرْآنِيَّة التي ورد فيها هذا اللفظ يجد مصداق هذا الكلام ؛ فيجد أن القُرْآن استخدمه في سياق سلبي مثل :« القتل ، الإفناء والإبادة ، الشرك ، تحطيم الشيء ، الخيانة والغيلة ، الإيذاء ، الفاحشة ، المعصية ، العذاب » ، ويجد استخدام القُرْآن له في الجانب الإيجابي ، مثل : « الخير ، الطاعة ، إرادة الله ، الأعمال الصالحة...» . فلو وقف القارئ على رأس الآية ولم يكمل قراءة الآيات الآتية لاحتمل أن يكون الفعل معهم سلبيًّا أو إيجابيًّا ، وفي هذا إثارة وتشويق وتهيئة للنفس.
- هذه الإثارة الذهنية وهذا التشويق نفتقدهما إذا استخدمنا أحد ألفاظ المجال

(١) السابق ، ص ٤٩٩

(٢) يُنْظَرُ : د. أحمد مختار عمر : المَكنز ، المجال الدلالي رقْم ١٢١، ص ٦٣



الدلالي السابق ، فأي لفظ يذكر منه يحصر العقل والذهن في جانب الهلاك والإماتة على الفور ، مما تذهب معه الإثارة والتشويق .

- اختارت الآية لفظة « رَبُّك » ، والبدائل الممكنة لهذا اللفظ : « الله ، الرحمن ... » .

واختيار لفظة « رَبُّك » يفوق بلاغِيًّا وسياقِيًّا استخدام كلمة الله أو الرحمن أوأي اسم من أسماء الله الحسنى في هذا الموضع ، فالحال يقتضي هذه اللفظة دون غيرها للأسباب الآتية :

١ـ الإضافة لضمير المخاطب فيه تشريف للنبي ـ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ ـ ورفع لمقامه أمام أعين الناس ، وهذا مطلوب في تلك المرحلة خاصة .

٢ـ تشعر هذه الإضافة بالطمأنينة والأنس والراحة للرسول ـ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ ـ ولغيره من المؤمنين ؛ فربهم معهم ، يراهم ويسمعهم .

٣ـ في هذه الإضافة إلانة لقلوب المشركين وقلوب غيرهم ، ومراودة لفتحها لهذا الدين ؛ وذلك أن محمدًا ـ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ ـ من خيار بني هاشم ، وبنو هاشم من خيار قريش ، وقريش من خيار العرب ، فهو أفضلهم مقامًا وشرفًا وعقلًا ، ومحمد ـ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ ـ اختار الله ربًّا ، أفلا تختارونه أنتم ؟! وأنتم الأقل منه .

هذه المعاني نفتقدها مع اللفظ « الله أو الرحمن أو غيرهما » ، فلفظ الجلالة الله يأتي في السياقات التي تُعبر عن القدرة المطلقة ، والرحمن في سياقات التي تدل على امتلاك الغضب ، وهذان اللفظان لا يناسبان مقتضى الحال .

- خُتِمت الآية بلفظة « عاد » ، والبديل الممكن له لفظة « إرم » ، حيث أشارت كتب إعراب القُرْآن إلى إعراب كلمة « إرم » أنها : بدل أو عطف بيان ؛ إذًا فمن الممكن أن نقولَ « ألم تر كيف فعل ربك بإرم ذات العماد » .

ومن الواضح أن التعبير القرآني أبلغ ؛ للتشويق وللتشوف وإطلاق التوقعات ؛ فيحث السامع على الانتباه الكامل لما بعده ، فالوقوف على عاد يَستَحضِرُ إلى ذهن السامعين (أهل مكة) ما كانوا يعرفونه عنهم ، وأن منهم متقدمين ومتأخرين ، فأيهما المقصود؟ ؛ فيأتي البَدَل « إرم » ليوضح المقصود بعاد ، ويبين أنها عاد الأولى .

وكلمة عاد ـ نحوِيًّا ـ يمكن أن « تُصرَف » ، ويمكن أن « تُمْنَعَ من الصرف » ، ويختلف معناها عند ذلك ؛ أي : إذا جاءت مصروفة يكون لها معنى ، وإذا جاءت



ممنوعة من الصرف يكون لها معنى آخر ؛ فإذا صُرِفتْ لوحظ فيها معنى الحَيِّ ، وإذا مُنِعَت من الصَّرْفِ لوحظَ فيها معنى القبيلة [1] . **ولفظُ الحَيِّ عامٌّ يشمل القبيلة وما فوقها وما دونها** .

وجمهور القراء ـ كما قال أبو حَيان ـ على قراءة التنوين الصرف ، ولم يَقرأها بالمنع من الصَّرف إلا الحسن والضحاك [2] . **ولا شك أنَّ قراءة الجمهور أبلغ ؛ لأنَّ :**

⇦ **بها إيجاز .**

⇦ **ولأنَّها تبرزُ وتبيِّنُ قدرة الله ـ سبحانه ـ المطلقة العامة الشاملة .**

⇦ **وتَضَمُّنِها تهديدًا خفِيًّا لأهل مكة بما فيها قريش .**

فهو قادرٌ على إفناء عادٍ (الحَي) الأكثر عددًا ، وليس فقط عادُ (القبيلة) الأقل عددًا . وتعبيرها عن الإيجاز يظهر في أن القادر على إهلاك الأكبر والأكثر عددًا هو بالضرورة قادرٌ على إهلاك الأقل عددًا . وهذا المعنى يتوافق ويتناسب مع المقام والسياق المكي الذي تخدمه هذه الآية ، فقريش مجرد قبيلة لا تساوي شيئًا جوار عاد وفي هذا لاشك تهديدٌ وتخويفٌ لها .

وملمح بلاغِيٌّ آخر في قراءة عادٍ بالصرف وهو ـ كما قال أبو حيان ـ أنها صرفت على لغة مَنْ صرفَ هندًا ؛ ويكون التفسير البَلاغِيّ لذلك الصرف إبراز خصوصية هذه المدينة وإبراز ما كانت عليه من قوة .

- **الآية رقْم ٧ :** ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ الفجر: ٧

ـ لفظة إِرَم تُعربُ عند معظم أهل الإعراب : بدل أو عطف بيان .

وما الفارق بين البَدَل وعطف البيان ؟

أشار النحويون إلى الفارق بين البَدَل وعطف البيان فقالوا : « إنَّ البَدَل يكونُ هو المقصودَ بالحكم دُون المُبدلِ منه. وأمّا عطفُ البيان فليس هو المقصودَ، بل إنَّ المقصود بالحُكم هو المتبوعُ، وإنما جيءَ بالتابع (؛ أي : عطف البيان) **تَوضيحًا له وكشفًا عن المراد منه** »[3] .

(١) يُقَسمُ أصحاب المعاجم اجتماعات العرب أقسام ، هي : الشَّعب ، ودونه القبيلة ، ثم العمارة، ثم البطن ، ثم الفخذ ، ثم العَشيرة ، **وتُطلق كلمة الحي على كل ما سبق** . يُنْظَرُ : أبو البقاء الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، (١٩٩٨م) ، ص ٥٢٤

(٢) د. أحمد مختار عمر : معجم القراءات القُرْآنِيَّة ، ٨/ ١٣٩

(٣) مصطفى الغلاييني : جامع الدروس العربية ، ٣/ ٢٤٢

أي أننا إذا أعربنا « إِرَم » بدلا تكون هي المقصودة بالحكم الموجود في الآية ، وإذا أُعربت عطفَ بيان يكون المقصود بالحكم ما قبلها ؛ أي : كلمة « عاد » . وكأن الآية تريد توجيه الانتباه لكلا الطرفين « عاد ـ إرم » ، والانتباه إلى العلاقة بينهما عند الاعتبار .

والبدائل القراءاتية للفظة « إِرَم » هي كما يأتي :

- بِعادٍ إِرَمَ ، ومن قرأ بها : الحسن ، وأبو العالية .
- بِعادِ أَرِمَ ، ومن قرأ بها : ابن الزبير .
- بِعادٍ أَرْمَ ، ومن قرأ بها : الضحاك .
- ... أَرَمَّ ذاتَ ، ومن قرأ بها : ابن عباس ، والضحاك .
- بعادِ إِرَم ذاتِ ، ومن قرأ بها : ابن الزبير .
- بِعادَ إِرْمَ ..
- .. أَرَمَ ... ، ومن قرأ بها : مجاهد ، والضحاك ، وقتادة .
- ..أَرِمَ .. ومن قرأ بها : ابن الزبير [1] .

وهذه القراءات منقولة لنا من قراءة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وإضافة القراءات إلى أحد الصحابة أو أحد العلماء « إضافة ملازمة واعتناء ، **واختيار من القراءات الواردة حسب ظروفه لا لأنه اخترعها** »[2] .

إذن فهذه القراءات واردة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقرأ بها . وإذا وضعنا هذه القراءات بجوار بعضها هكذا : « أَرِمَ ، أَرَمَ ، إِرْمَ ، إِرَمِ ، أَرَمَّ ، أَرْمَ ، أَرِمَ إِرَمَ » نلاحظ أن الاختلاف بينها في ضبط البنية وضبط الحرف الأخير ، وتنوع هذا الضبط بين حركة الكسر وحركة الفتح والسكون وغياب حركة الضمة .

وإذا أخذنا في الاعتبار أن القُرْآن لا يستخدم شيئًا عبثًا وبلا هدف ؛ فلا بد أن يكون لهذا التنوع بين الحركات ـ خاصة حركتي الفتح والكسر ـ دلالة بَلاغِيَّة .

ويمكن أن نقرأ هذا التنوع بين الفتح والكسر والسكون بلاغِيًّا بأن نقول **إن القُرْآن يريد أن يرسم صوتيًّا ما حدث لعاد ، فقد كانت مدينة أو قبيلة قائمة (فتح) ثم دمَّرها الله (كسر) ، ولم يَعُدْ لها ذكر(سكون)** . وأن الانتقال من الحركة الأضعف

(١) د. أحمد مختار عمر : معجم القراءات القُرْآنِيَّة ، ٨/ ١٣٩، ١٤٠

(٢) وزارة الأوقاف : الموسوعة الإسلامية العامة ، ص١١٢٢



(الفتح) إلى الحركة الأقوى (الكسر) بدون المرور بالحركة الوسطى (الضمة) دلالة على سرعة العقاب وشدته (صاعقة ، ريح صرصر عاتية) ، فتتابع هذه الحركات يشعرنا وكأنَّ هناك آلةً ضخمة تطحن ما بداخلها وترجُّهُ رجًّا .

وفي قراءة « أَرْم » ـ بفتح الهمزة وسكون الراء ـ ملمح آخر ، فحرف الراء يتكون « بأن تتكرر ضربات اللسان على اللثة تكرارًا سريعًا ... وتتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به »[1] ، فكأن هذا التكرار في حرف الراء والتذبذب فيه إشارة إلى الحركة والقوة التي كانت عليه عاد إِرَم ، ثم أتى عقابُ الله فأوقف هذه الحركة وجعلها ساكنة .

وفي قراءة « أَرَمَّ » ـ بفتح الراء وتشديد الميم ـ تُشْعِرُ بالرَّجَّة التي تعرضت لها قومُ عاد على عظمتها وقوتها .

- لفظة « ذات العِماد » : البديل الممكن لهذا التركيب أو هذا اللفظ هو ألفاظ المجال الدلالي الذي يُعَبِّرُ عن **القوة** ، ويُمِدُّنا المعجم الدلالي « المَكْنَز » رَقْم ١٦٦٥ بألفاظ هذا المجال ، ومنها الألفاظ التي وردت في القُرْآن الكريم وهي : « ثابت راسخ ، شديد ، عزيز ، قوي ، متين » ، فيمكن أن تكون الآية كما يأتي :

... بعادٍ إِرَم القوية أو الراسخة أو العزيزة أو المتينة أو العزيزة ...

فهل يُغني أحدُ هذه الألفاظ عن قول ربنا ـ عزَّ وجلَّ ـ « ذات العماد » ؟

الإجابة : لا ، والأسباب ما يأتي :

* الثراء الدلالي للفظة « ذات العماد » ؛ والثراء الدلالي ملمح من ملامح البلاغة ، فمعنى اللفظة ليس محل اتفاق بين المفسرين ، فمنهم من قال إنها :

١ـ ذات القدود الطِّوال .
٢ـ ذات الخيام والأعمدة (وقيل في الأعمدة : التي يرحلون بها ، أعمدة بنيانهم ، أعمدة الحجارة التي بنيت بها) .
٣ـ ذات البناء الرفيع .
٤ـ ذات الأساطين (الْأُسْطُوَانَةُ ـ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَالطَّاءِ ـ السَّارِيَةُ) .
٥ـ القصور العالية .

(١) د. كمال بشر : علم اللغة العام ، الأصوات ، ص ١٢٩



* ولا شك أن ترك الآية للتحديد الدلالي أمر مقصود ، وأن كل هذه المعاني تصدق على معنى ذات العماد ، وكل معنى من هذه المعاني تعبير كنائي عن قوة قوم عاد . فطول الجسم ، وكثرة الخيام والأعمدة والأساطين ، والقصور العالية ، الأبنية العالية كل هذا يستلزم القوة والشدِّة التي كانوا عليها .

فاستخدام لفظ « ذات العماد » فيه تعدد للمعنى وإيجاز واختصار وإطلاق للخيال .

* وربط قوة عاد بالمظاهر المادية الملموسة المحسوسة أبلغ من مجرد وصفهم بالقوة أو الشدة أو الرسوخ أو المتانة ، فهذا قول مصحوب بالدليل.

* في كلمة « العِماد » ـ بحرف المد الألف الذي قبل آخرها ـ مناسبة صوتية وشكلية ، أما المناسبة الصوتية فهي أننا في حالة سكون حرف الدَّال عند الوقف عليه يجوز مد حرف الألف مدًّا عارضًا للسكون بمقدار حركتين أو أربع أو ست حركات ، ولا يخفى ما يشعر به السامع مع مد الست حركات من ارتفاع الأعمدة والبنيان والقصور والأساطين التي شيدها وبناها قوم عاد ، أما الناحية الشكلية فنلاحظ شكل الألف مع ارتفاعها لأعلى مع شكل الأعمدة والأساطين ، وإذا قارنا الرسم الإملائي لحرف الألف في هذه الكلمة وكلمة « البلاد » التي بعدها نجد أن **ألف عماد مثبتة في الرسم ، وألف البلاد ليست مثبتة ومعبرٌ عنها بألف خِنجرية** ، وطريقة الرسم الإملائي له دلالته ، فلا شيء في القُرْآن يأتي عبثًا بلا دلالة أو إشارة ، والدلالة في إثباتها الإشارة إلى قوة هذه العُمُد والأبنية وارتفاعها .

* بقافيتها حرف « الدال » اتفاق صوتي ينسجم مع ما سبقها ، ولا يخفى ما في الانسجام الصوتي من جذب الانتباه ، وهذا لا يتوافر مع بقية ألفاظ المجال الدلالي .

* واستخدام لفظة ذات يدل على شهرة عاد بين الأمم المجاورة لها بهذه القوة ، وأنها كانت ذات صيت بهذه الأبنية الضخمة أو القوة .

وتوجد بَدَائِل قراءاتية لقوله تعالى : « ذات العماد »

م	القراءة	صاحبها	التوجيه النحوي
١-	أَرَمَّ ذاتَ ...	ابن عباس	ذات : مفعول به
٢-	بعادِ إِرَم ذاتِ ...	ابن الزبير	ذات : مضاف إليه

في القِرَاءَة الأولى (المفعول به) **ذات** مفعول به للفعل « أَرَمَّ » ، والمعنى المعجمي لهذا الفعل : « أرمَّ اللهُ الشَّيءَ: جعله رميمًا باليًا » . وهذا الفعل على وزن أفعل ، ومن المعاني الصرفية لهذا الوزن « **التكثير** » ، وجعل ذات مفعولا لهذا الفعل بهذا المعنى المعجمي وبهذه الدلالة الصرفية يشير إلى عظمة القدرة الإلهية وطلاقتها ، وتزلزل قلب كل جاحد منكر لله عز وجل .

وفي القِرَاءَة الثانية (المضاف إليه) نجد أن « عاد » أضيفت إلى « إرم » ، وأضيفت إرم إلى « ذات » . والإضافة تجعل الكلمات المكونة لها بمثابة الكلمة الواحدة . ومن المعاني البلاغية التي يمكن أن نلحظها من الإضافة معنى : التخصيص والارتباط . وهذا التخصيص فيه دلالة على تميز عاد في قوتها .

الآية رقْم ٨ : ﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ الفجر: ٨

بدائل المجال الدلالي :

- الآية كلها عبارة عن اسم موصول وصلته ، ويمكن اختزالها في كلمة « المتميِّزة » أو « المُتفَرِّدة » ، فيمكن أن نقول :
  - إرم ذات العماد الفريدة ...
  - أو إرم ذات العماد المتميزة ...

والتعبير القرآني يفوق هاتين اللفظتين وغيرهما بـ :

- زيادة المبني دليل على زيادة المعنى .
- مراعاة الفاصلة .
- التعبير بالاسم الموصول يفيد معنيين : **الاختصاص ، وتُفيدُ زيادة تسليط الضوء على صلة الموصول والإشعار بأن بنيان عاد لا مثيل لها** .
- ومن إشارات الإمام الزَّمَخْشَرِيّ المهمة عن صلة الموصول مع التي والذي **أنها يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطَب (بفتح الطاء)** [١] . لذلك فاستخدام هذا الاسم فيه استحضار لما هو معلوم ، وفي ذلك تقوية للمعنى

- ومن معاني لفظة « تُخلق » : الإيجاد من العدم على غير مثال سابق ، والتقدير[٢]

(١) الكشاف ، ١/ ٩٧

(٢) وجاءت بهذا المعنى في قوله تعالى : ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾ **آل عمران: ٤٩**



وهي في هذه الآية بمعنى « التقدير » ؛ بمعنى تسوية الأمر وتهيئته ؛ أي أنَّ الله خلق عاد كبقية البشر من صلصال كالفَخَّار ، ثم سواهم على غير مثال سابق .

والألفاظ التي يمكن أن تحل محل لفظ « تخلق » كثيرة ، يجمعها معجم المكنز في مجال دلالي وضعه تحت عنوان « **الابتكار** » ، وهو المجال رقم ٢٣٠ في هذا المعجم ، وأهم هذه الألفاظ : « أبدع ، أحدث ، أنشأ ، أوجد ، ابتكر ، اخترع ، فطر » ، ونضيف إلى هذا المجال اللفظ « قَدَّر » .

ومن يتتبع أقوال المعاجم في ألفاظ هذا المجال ، وسياقات الآيات القرآنية ـ من خلال المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ يلاحظ أن الفعل « خلق » يأتي في الغالب **مع الأمور المادية المحسوسة العظيمة الضخمة** ، **فمعظم استخدام القرآن لهذا اللفظ مع السماوات والأرض** ، ولعل هذا هو أهم ملمح تمييزي تتميز به هذه اللفظة على بقية ألفاظ هذا المجال الدلالي ؛ فناسب أن تأتي مع عاد .

وإذا اجتهدنا في تفسير لماذا فضلت الآية لفظة « يُخلق » على لفظة « قَدَّر » نقول : كأن الآية أرادتنا أن نأخذ في الاعتبار المعنى الأول « الإيجاد من العدم على غير مثال سُبق إليه » مع المعنى الثاني « التقدير » ، كأن الآية تريد أن تُشيرَ من طرف خفي إلى أن عاد قُدِّرت من طين مثل بقية البشر ، **لكنها لتميزها وتفردها تكاد تكون مخلوقة من العدم على غير مثال سابق ، وهذا المعنى لا يتأتَّى مع معنى التقدير** .

- وفضلت الآيةُ التركيبَ « لم + الفعل المُضَارِع » (لم يَخلق) على التركيب « ما+ الفعل الماضي(ما خلق) » ، **لما في استخدام المُضَارِع هنا من توجيه الانتباه إلى المعنى ، والتنبيه على التَّمَيُّز والخصوصية** [1] .

بَدَائِلُ صَرْفِيَّة :

- واختارت الآية لفظة « البلاد » الجمع على لفظ المفرد « البلد » ، وذلك أن لفظة « البلاد » على وزن « فِعَال » وهو وزن من أوزان جموع الكثرة الذي يدل على العدد الكثير مقابل جمع القلة الذي يدل عند بعض النحويين على العدد من ثلاثة إلى عشرة . ووزن الكثرة يبرز المكانة المادية لعاد ، ويُبرز أيضًا عظمة الله ـ عز

(١) يُراجع ما قلناه في فصل المباحث الصرفية ، تحت عنوان : التعبير بالمضارع .



وجل ـ وجلاله ، وطلاقة قدرته التي أهلكت مَن كانت هذه قوته ، وأيضًا في استخدام الجمع لإبراز مزيد التميُّز الذي أعطاه الله لقوم عاد .

بَدَائِلُ قِرَاءاتِيَّة :

ـ البدائل القِرائِيَّة الموجودة في الآية توجد في قوله « يُخْلَقْ مثلُها » ، وهي :

١ـ يَخْلُقْ مثلَها ، قرأ بها ابن الزبير .

٢ـ نَخْلُقْ مثلَها ، وقرأ بها ابن الزبير .

٣ـ يُخْلَقْ مثلُهم ، وقرأ بها عبد الله بن مسعود.

فهنا نحن أمام أربعة بَدَائِل قراءاتية لكل منها وجه بلاغِيٍّ :

* فقراءة البناء للمجهول « يُخْلَقْ مثلُها » للدلالة على جلال وكبرياء وقدرة الفاعل .

* وقراءة البناء للمعلوم المبدوءة بالياء واستتار الضمير العائد على لفظ الجلالة للعلم به ، وفي قراءة المُضَارِع المبدوء بالنون إفادة التعظيم .

* وفي قراءة « مثلها أو مثلهم » إيحاء بتفرد عاد على المستوي البدني وعلى المستوى المعماري ، أو لم يخلق مثلهم كصنف من البشر على مستوى الأفراد أو مستوى الجماعة .

- **الآية رقم ٩ :** ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ :

بَدَائِلُ المَجَالِ الدِّلَالِي :

ـ اللفظ « جاب » مقصود به في الآية « خرقوا الصخرونقبوه فاتخذوه بيوتًا » كما ذكر صاحبُ لسان العرب وتاج العروس .

وعندما عدنا إلى « المَكنز » لنعرف المجال الدلالي الذي ينتمي إليه هذا اللفظ وجدنا أنه ذكر هذا اللفظ في ثلاثة مجالات : ٢٥٠ الاجتياز ، ١٢١٩ السياحة ، ٢٠٦٦ القطع . وهذه المجالات لا تذكر اللفظ « جاب » بالمعنى المذكور .

وأقرب مجال دلالي يمكن أن يُذكَر فيه هذا اللفظ مجال الحفر ٨٥٧ ، وعندما راجعت مفردات هذا المجال لم أجد اللفظ جاب ضمنها . فلعله فات واضعي المعجم .

وألفاظ هذا المجال مجال الحفر وفيرة ، إذ يضم على الأقل اثنتين وعشرين مفردة: « أكَرَ ، حَفَرَ ، بأَرَ ، بَجَسَ ، ثَلَمَ ، خَدَّ ، خَرَّمَ ، خَقَّ ، شَقَّ ، خندق ، دحل ، ضرح ، عَمَّق ، فتح ، فطر ، كرا ، كري ، لحد، لجف ، نبش ، نجف ، نحت » .

ما يهمنا منها الإيجابي المعاصر، والإيجابي القرآني، والإيجابي القرآني المعاصر ، والإيجابي التراثي ، وهذا ينطبق على : « جاب ، أكر ، حفر ، خرَّم ، شقَّ ، خندق ، عَمَّق ، فطر ، لحد ، لجف ، نبش ، نجف ، نحت » .

ولكي نقف على دقة الاستخدام القرآني للفظ جاب دون بقية ألفاظ هذا المجال فلا مناص لنا إلا أن نلجأ إلى نظرية التحليل التكويني ، واستخلاص ملامح تمييزية تميزه عن غيره .

وبعد استشارة المعاجم اللغوية في الفروق الدلالية بين هذه الألفاظ يمكن أن نضع الجدول الآتي :

م	اللفظ	الملامح التكوينية					
		الاتجاه إلى أسفل من مستوى سطح الأرض	الاتجاه الأفقي بالنسبة لمستوى سطح الأرض	اتساع الحفرة لتشمل مجموعة من البشر يعيشون فيها فترة طويلة	الارتباط بالماء	ارتباط بأجسام حية	شيء فوق سطح الأرض
١-	جاب	−	+	+	−	−	+
٢-	أكر	+	+	−	−	−	−
٣-	حفر	+	−	−	−	−	−
٤-	خَرَّمَ	−	−	−	−	−	+
٥-	شق	−	−	−	−	−	+
٦-	خندق	+	−	−	−	−	−
٧-	عَمَّق	+	−	−	+ −	−	−
٨-	فطر	+	−	−	−	−	−
٩-	لحد	+	−	−	−	−	−
١٠-	نبش	+	−	−	−	−	−
١١-	نجف	+	−	−	−	−	−
١٢-	نحت	−	−	−	−	−	+

من خلال الملامح التمييزية في الجدول السابق نجد أنَّ أهم ملامح تمييزية تميز هذا الفعل :

أ- الحفر في شيء فوق سطح الأرض .

ب- الحفر أفقيا لشيء فوق سطح الأرض .

ت- **اتساع الحفرة لتشمل مجموعة من البشر يعيشون فيها فترة طويلة .**



وأهم ملمح تمييزي يمكن أنْ يميز اللفظ « جاب » عن غيره هو الملمح الثالث : « **اتساع الحفرة لتشمل مجموعة من البشر يعيشون فيها فترة طويلة** » ، فهذا الملمح يُميِّزُه عن كل ألفاظ هذا المجال وهذا هو سر اختيار القُرْآن لهذا اللفظ .
وهذا اللفظ « جاب » يحمل دلالات عدة بالإضافة إلى ملمحه التمييزي السابق فهو :

- يشير إلى القوة البدنية الهائلة التي كان عليها قوم ثمود .
- يعكس هذا اللفظ الجانب النفسي لهؤلاء القوم ، هذا الجانب الذي يميل لا محالة للتكبر وإبراز التميز على الآخرين ، فمما هو معروف أنَّ البشر يبنون من مواد البيئة المحيطة أبنية للسكنى لا أن ينحتوا الصخر .
- ونستنتج من هذا أنهم لا بد كانوا يملكون من أدوات الحفر والتنقيب ما يفوق الصخر قوة ، ولا يكون هذا إلا لمعدن قوي مثل الحديد . إذن فهم قد علموا كيفية استخراج هذا المعدن وكيفية صهره وكيفية تشكيله.
- النفوس التي تستطيع أن تجوب الصخر ، وتصنعُ فجوة واسعة تَصلحُ لسُكنى عدد من الأفراد في قلب الصخر لابد لها من صبر شديد على هذا الأمر ، ولا بد أيضًا أن قليلا من روح التعاون كانت موجودة بينهم.
- الحروف المكونة لهذا اللفظ : الجيم والألف والباء توحي بسهولة قطع الصخر لدى ثمود ، وأنهم لقوتهم لا يجدون صعوبة أثناء هذا الحفر .

- والتركيب « الذين جابوا الصَّخْر » بديله الممكن « الجائبين الصخر » ، وسبق أن أشرنا إلى أنَّ استخدام الاسم الموصول وجملة الصلة يساهم في إبراز تلك الجملة وتسليط الضوء عليها . كما أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

واستبعاد اسم الفاعل « الجائبين » من الاستخدام لدلالته على نسبة الحدث إلى الموصوف على سبيل التجدد والحدوث ولدلالته الزمنية على المضي أو الحال أو الاستقبال ؛ أي أنَّ استخدامه يوحي بالانقطاع عن الفعل ثم العودة إليه ؛ وبما أن الحديث عن أحداث وقعت في الماضي ناسب استخدام الفعل الماضي فقط .

واستعمال الاسم الموصول المختص « الذين » يُشعر بدرجة أعلى من توكيد المعنى ، وتوكيد معنى الذكورية والجَمْعِيَّة والعقلانِية والإرادة الحرة التي تفعل ما تشاء ، وكل هذا لا يتوافر في استخدام الاسم الموصول المشترك « مَنْ » .

ولعل جانب « الذُّكُورِيَّة » ومراعاته مقصودٌ في الآية إذا قارنا استعمال الآية للاسم المختص « الذين » مع ثمود ، و« التي » مع عاد . ففي النهاية عاد قبيلة أو حي ، وثمود كذلك قبيلة أو حي .

- لفظة « الوادي » فُسِّرَت بأنَّها« وادي القُرَى » وهو ـ كما يقول ياقوت الحموي ـ :

« وادٍ بين الشام والمدينة ، وهو بين تيماء وخيبر ، فيه قرى كثيرة ، وبها سمي وادي القُرَى ، قال أبو المنذر : سمي وادي القُرَى ؛ لأن الوادي من أوله إلى آخره قرى منظومة ، وكانت من أعمال البلاد ، وآثار القرى إلى الآن بها ظاهرة ، إلا أنها في وقتنا هذا كلها خراب ... قال أبو عبيد الله السكوني : وادي القرى والحجر والجناب منازل قضاعة ثم جهينة وعذرة وبليّ ، وهي بين الشام والمدينة يمرّ بها حاجّ الشام ، **وهي كانت قديمًا منازل ثمود وعاد ، وبها أهلكهم الله ، وآثارها إلى الآن باقية** »[(١)] .

إذن فالمقصود بالوادي وادي القرى . والسؤال لماذا اختارت الآية « الوادي » دون صيغة المضاف والمضاف إليه « وادي القرى » ؟ ونجيب :

- الحرص على الفاصلة الموسيقية ؛ فقد حذف المضاف إليه وعوض عنه بـ « أل » ، كما أنَّه حذفت الياء الأخيرة ـ على الأقل في قراءة حفص ـ للحفاظ على الفاصلة . وحرص القُرْآن على هذا الجانب الموسيقي والإيقاعي أمر له دلالته ؛ فلو لو يكن لهذا الجانب أثره في جذب الانتباه ، وأسر السامع لما استخدمه ، ولعل مراعاة جانب الفاصلة مقصورٌ على السور المكية أو مقصور على مواقف معينة ؛ **ويمكن أن يكون هذا مثار بحث مفيد وطريف.**
- بالتفسير الذي قدمناه تكون « أل » في « بالواد » للعهد الذهني ، و« أل » العهدية الذهنية هي التي تحدد الاسم النكرة « وتحصره في فرد معين ، تحديدًا أساسه علم سابق في زمن انتهى قبل الكلام ، ومعرفة قديمة في عهد مضى قبل النطق، وليس أساسه ألفاظًا مذكورة في الكلام الحالي . وذلك العلم السابق ترمز إليه « أل » العهدية وتدل عليه ، وكأنها عنوانه »[(٢)] .

من خلال وقوفنا على المعنى السابق يمكن أن نقول إنَّ تفضيل التعبير بـ « أل » العهدية الذهنية على التركيب الإضافي يوحي بأن خبر ثمود كان معروفًا عند

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، (١٩٧٧م) ، ٤/ ٣٣٨

(٢) عباس حسن : النحو الوافي ، ١/ ٤٢٤



العرب ومنتشرًا لديهم ، وهو لشهرته يعرفه الجميع العالِم والجاهل ، القارئ والأمي. وهذا الانتشار دليل على أنه كان حدثًا تاريخيًّا جللا ومروِّعًا ، وكان محط أنظار الجميع ، **وهو بذلك يستأهل أن تلوكه الألسنة وتستدعيه الذاكرة مرارًا وتكرارًا ، وتتناقله الأجيال جيلا بعد جيلٍ ، فهو دائمًا في وعيها وشعورها** . وهذا المعنى لا نستفيده من التركيب الإضافي .

- يوجد بديل حرفي ممكن بين « الباء » وبين « في » ، فمن الممكن قول « بالواد أو في الواد » . والسؤال المتبادر لماذا « الباء » وليس « في » ؟

نجتهد في الإجابة قائلين :

⇦ من معاني الحرف في إفادته الظرفية ، وكذلك حرف الباء ، فإحدى معانيه إفادة الظرفية أيضًا ، إذن فلا بد أن يكون هناك اختلافٌ بين ظرفية هذا الحرف وظرفية الآخر . وأعتقد أن ظرفية حرف « في » أقوى وأشد ، فهذا الحرف أصيل في الدلالة على الظرفية ، وهي أكثر معانيه ترددًا ، وحرف الباء أقل منه في الدلالة على الظرفية ، واستخدام الآية له فيه إشارة إلى أنَّ ثمود ـ رغم قوتهم ـ ما استطاعوا أن يجوبوا كل الوادي ، أو إشارة إلى علو مساكنهم في الجبال وليست في أعماق الوادي .

⇦ وقد يكون في استخدام « الباء » استحضار لمعنى آخر تتميز به بالإضافة إلى معنى الظرفية ، وهو معنى الإلصاق ، وسبق أن ذكرنا في معاني حروف الجر معنى الإلصاق مع الباء ، ومعنى الإلصاق التي تُفيده الباء يشير من طرف خفي إلى مدى الارتباط النفسي بين ثمود وبين الصخور والجبال ، وهذا الارتباط ينقلنا إلى استنتاجين آخرين :

* أحدهما : الشذوذ النفسي ـ إن صح التعبير ـ الذي كان عند هؤلاء القوم وغرابة طباعهم .
* وثانيهما : أن من يتعامل مع « الصخر » لا بد أن ينتقل إليه شيء من قسوته وشدته .

بَدَائِل صَرْفِيَّة :

- لفظة « الصَّخْر » جمعٌ ، مفرده : صَخْرَة . قال الإمام الزَّبِيدي في تاج العروس : « الصَّخرةُ : **الحجر العظيم الصلب** ، جمع صَخْرٌ وصَخَرٌ وصُخُور وصُخُورة وصَخَرات » ، وأضاف ابن منظور في لسان العرب إلى الجموع السابقة الجمع

« صِخْرَة » .

فالآية إذن كان أمامها ستة جموع اختارت منها الجمع « صَخْر » على وزن « فَعْل » . ولم أقف على هذا الوزن ضمن أوزان الجموع لا القلة ولا الكثرة ، وعندما راجعت معجم الأوزان الصَّرْفِيَّة في الوزن « فَعْلٌ » وجدتُه يذكر أن هذا الوزن من أوزان : الاسم الثلاثي المجرد ، والصفة المُشَبَّهة غير القياسية من فَعِلَ ، والمصدر من الفعل الثلاثي المجرد المتعدي(١) . وكرر د. يعقوب صاحب هذا المعجم نفس الكلام في كتابه « موسوعة النحو والصرف والإعراب »(٢) . أي أن هذا الوزن ليس من أوزان الجموع .

ونلاحظ أنَّ من الجموع الست ثلاثة جموع قياسية ، جمعان للكثرة صخور (فُعُول) ، وصِخَرة (فِعَلَة) ، وجمع مؤنث سالم صخرات.

فما الملح البَلاغِيّ هنا في اختيار الآية الجمع صَخْر ؟

أقول : لعل في اختيار الآية لهذا الجمع الشاذ الخارج عما هو قياسي من الجموع إشارة إلى الشذوذ النفسي والعُرْفي والاجتماعي الذي كان عليه قوم ثمود ، فهم قوم خرجوا على المألوف والفطري والطبعي من كل شيء ، فكان هذا الجمع الشاذ موافقًا لهؤلاء القوم الشاذِّين .

ولعل اقتراب هذا الجمع من وزن المصدر (كما أشار معجم الأوزان الصرفية) إشارة بلاغية إلى إفادة العموم ؛ فكل ما هو « صخر » ، أو ما يمكن أن يُقال له « صخر » ما كان ليقف أمام قوة ثمود ، ونحن رأينا بأعيننا أنواع من الآلات الضخمة الحديثة كان يصيبها العطب مرارًا وتكرارًا خلال عملها في قطع الصخور . فأي قوةٍ هذه التي كانت عليها ثمود !!!

بَدائل قِرائِيَّة :

- توجد قراءة في قوله « ثمود » بالصرف « ثمودًا » باعتبار الحَي ، ونقول فيها ما قلناه في « عاد » .
- وتوجد في الآية قراءة في لفظة « الواد » حيث قُرِأَتْ : « بالوادي » وصلا فقط (عند نافع ، أبو عمرو ، قنبل ، ورش) ، أو وقفًا ووصلا (ابن كثير ، يعقوب ،

---

(١) د. إميل بديع يعقوب : معجم الأوزان الصَّرْفِيَّة ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، (١٩٩٣م) ، ص ١٤٧

(٢) موسوعة النحو والصرف والإعراب ، (بدون بيانات أخرى) ، ص ٥٠٩



البزي ، قنبل) .
ولعل في زيادة الياء وحذفها زيادة صوتية لمزيد جذب الانتباه لقوة ثمود الذين عاشوا في مساحة واسعة من الوادي .

- **الآية رقم ١٠ ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾**

- البديل الممكن للفظة « فرعون » هو اسم ذلك الفرعون الذي تدل الشواهد القوية على أنه رمسيس الثاني . والسؤال : لماذا اختار القُرْآن لفظ فرعون على اسمه؟ والإجابة :

✓ سبق أن أشرنا إلى أَنَّ لفظة « فرعون » تُطلقُ على من حكم مصر من الفراعنة وتحديدًا فهي « كانت نعتًا للقصر الملكي منذ أيام الدولة القديمة ، ثم أصبحت عَلَمًا على ملوك مصر منذ الألف الأول ق .م »[١] .

ولعل في ذكر اللقب هنا دون الاسم العَلَم المحدد إشارة إلى أَنَّ كل هؤلاء الحكام كانوا مثله (؛ أي : مثل رمسيس الثاني) ، وعلى شاكلته ، فالإشارة إلى ملك معين منهم هي إشارة في نفس الوقت لهم كلهم أجمعين . فكلهم إذا تهيَّأت لهم ظروف الثراء والقوة سلكوا نفس المسلك ؛ فاستحقوا كلهم أجمعون أن يجمعهم لقب واحد .

✓ ولعل في هذا إشارة إلى أن هذا الظالم قد وصل إلى أقصى مدى من الظلم بحيث يكون هذا اللقب مقصورًا عليه .

✓ وفي استخدام اللقب إشارة إلى أَنَّ كل من يتصف بصفات هؤلاء الظلمة

(١) الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب ،(بدون بيانات أخرى) ، ص ١٢٩٠
ويؤكد هذا المعنى معجم « **The British Museum Dictionary of Ancient Egypt** » تأليف **Ian Shaw and Paul Nicholson** ، ص ٢٢٢ إذ يقول : « هذه الكلمة هي الشكل اليوناني للعبارة المصرية القديمة بر ـ آ (المنزل العظيم) التي كانت في الأساس تستعمل للإشارة إلى القصر الملكي لا الملك . والمنزل العظيم كان مسئولا عن فرض الضرائب على المنازل الأقل مثل أراضي المعابد و الممتلكات الخاصة . ومع بداية الدولة الجديدة (١٥٥٠ ـ ١٠٦٩ ق .م) فصاعدًا أصبح المصطلح يُشير إلى الملك نفسه .
... From the Nen Kingdom (1550- 1069 BC) on wards, the term was often used to refer to the king himself. » .



داخل معهم في « الفَرْعَنة » ؛ فإذا كانت دائرة « الفَرْعَنة » لا تشمل رمسيس الثاني فقط بل تشمل كل ملوك مصر ، فما المانع أن تتسع وتشمل غيرهم في كل الأعصار والأمصار والأقطار بما فيهم أهل مكة الكفار .

✓ ولعل في استخدام اللقب إشارة إلى الجنسية ، فالسنن الربانية لا تتعامل مع شخص محدد اسمه رمسيس الثاني فقط ، وينتهي عملها بانتهائه ، لا ، إنها تتعامل مع « جنس الظَّلَمة » ، فكل من ظلم الناس وأذلهم وقتلهم وأجاعهم وعذبهم وأكل حقوقهم وأضاعها على بناء القصور ـ كما فعل رمسيس الثاني فيما ذكره ديورنت ـ فهو لا محالة داخل في دائرة « الفَراعِنة » الظلمة .

✓ ولعل في إبهام الاسم ما يثير النفس لمتابعة البحث والتقصي والوقوف على اسم هذا الفرعون ذي الأوتاد ، والوقوف على ما فعل الله به ، فيكون الكلام أوقع في النفس .

ـ والبديل اللفظي للتركيب الإضافي « ذي الأوتاد » كل ألفاظ المجال الدلالي الدال على القوة : قوي ، شديد ، متين ... واختيار « ذي الأوتاد » كصفة لفرعون أبلغ من ناحية ربط الصفة بشيء محسوس يمكن رؤيته ، فها هي العمائر التي بناها الفراعنة شاهدة على جبروتهم وظلمهم ، وها هي أهراماتهم دليل على استضعاف الشعب وتسخيره في أعمال لا قيمة لها إلا المجد الشخصي ـ كما أشار ول ديورنت ـ وها هي ذاكرة التاريخ تُحَدِّثنا عن أعمال فرعون وانتصاراته وكثرة جنوده . فكأن هذه الأوتاد « معيار » نقيس بها قوته . هذا بالإضافة إلى مناسبة هذا اللفظ للفاصلة.

- **الآية رقْم ١١** ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ الفجر: ١١

ـ البديل الممكن للفظ « طغوا » ألفاظ المجال الدلالي الدال على الظلم ، وألفاظ المجال الدلالي التي تندرج في هذا المجال كثيرة جدًا ؛ لذلك سنُقْصِرُ الكلام على الألفاظ الدلالية التي وردت في القُرْآن ، وهي الألفاظ الآتية : « بَغْي ، جَنَف ، جَوْر ، حَيْف ، شطط ، طغيان ، عدوان ، عول ، غصب ، غلو ، قَسْط ، قَهْر ،

هضم ، ظلم »[1] . فكل هذه الألفاظ جاءت في القُرْآن الكريم . والسؤال الآن: لماذا اختارت آية سورة الفجر هذه اللفظة دونا عن بقية ألفاظ هذا المجال ؟

الحق أن الإجابة عن هذا السؤال جِدٌّ شاقة ، وجِدٌّ صعبة ، وتزداد الصعوبة أن المعاجم التي لجأنا إليها للوقوف على الفروق الدلالية لم تهدنا سواء السبيل إلى دلالات واضحة نَفرُقُ بها بين معاني هذه الألفاظ ؛ لذلك لزم الأمر أن نجتهد ونحاول قدر الاستطاعة تَلَمُّس بعض الفروق بينها حتى ولو كانت ضئيلة .

وأول ما نصنعه أن نضع بعض السمات الدلالية التي قَدْ توجد في بعض الألفاظ ولا توجد في بعضها ، وهذه السمات استخلصناها بعد تأمل فيها ذكرته المعاجم اللغوية من معان لهذه الألفاظ ، وهذه السمات هي :

(١) ارتباط هذا اللفظ بالظلم دائمًا .

(٢) ارتباط هذا اللفظ بنوع من القوة .

(٣) الحق شيء يقع تحت يد الظالم يسيطر عليه ويصدر منه ابتداء .

(٤) الحق حد شرعي أو عُرفي يبتعد منه الظالم أو يقترب[2] .

ويمكن أن نضع النتائج ـ سيرا على طريقة نظرية التحليل التكويني في الجدول الآتي (العمود الرأسي سيشمل الألفاظ ، والصف الأول الأفقي سيشمل أرقام السمات كما هي في الترتيب السابق) :

(١) المَكنَز ، المجال الدلالي رقم : ١٤٤٦

(٢) أقصد بالسمة رقم ٣ و٤ أنَّ الظلم قَدْ يكون في التصرف في الفعل والحق ، وقد يكون الظلم في الابتعاد عنه أو الاقتراب منه ؛ أي أن ظلم الظالم قَدْ يكون في السيطرة على الحق استحواذا وبخلا به أو منعا من إعطائه ، أو إعطائه إعطاءً ناقصًا . وعلى سبيل المثال نجد أن كلمة « ظلم » تعني : التصرف في ملك الغير ، إعطاء الحق ناقصًا ، وضع الشيء في غير موضعه . وكلمة « البَغي » تعني : شدة الطلب لما ليس بحق بالتغليب ، أو طلب تجاوز الاقتصاد فيما يُتَحَرَّى ، وكلمة « الشطط » مجاوزة القدر في كل شيء . ولا أقول إن تلك السمات سمات حاسمة فاصلة ولكنها تقريبية بشكل كبير .

م		السمات الدلالية المميزة			
		(١) ارتباط هذا اللفظ بالظلم دائمًا	(٢) ارتباط هذا اللفظ بنوع من القوة	(٣) الحق شيء يقع تحت يد الظالم يسيطر عليه ويصدر منه ابتداء	(٤) ابتعاد الظالم أو اقترابه من حق هو حد شرعي أو عرفي
١ـ	بَغي	−	+	−	+
٢ـ	جنف	+	−	−	+
٣ـ	جور	+	−	−	+
٤ـ	حيف	+	−	−	+
٥ـ	شطط	+	−	−	+
٦ـ	طغيان	+	+	−	+
٧ـ	عدوان	+	+	+	−
٨ـ	عول	−	−	+	+
٩ـ	غصب	+	+	+	−
١٠ـ	غلو	−	−	−	+
١١ـ	قَسْط	−	−	−	+
١٢ـ	قهر	+	+	+	−
١٣ـ	هضم	+	+	+	−
١٤ـ	ظلم	+	−	+	−
١٥ـ	بخْس	−	−	+	−

ويُعيننا معجم « الفروق الدلالية في القُرْآن الكريم » على بيان الفروق الدلالية بين عدد من ألفاظ المجال الدلالي الدال على الظلم ، وهي « البَغْي ، الطغيان ، الظلم العُتُوُّ[١] ، العُدوان » . ويهمنا من دراسة المعجم للفروق الدلالية لهذه الألفاظ النتيجة التي خرج بها وهي أن هذه الألفاظ : « متقاربة دلاليًّا ، حيث تشترك جميعها في معنى عام هو : مجاوزة الحدِّ ، ولكنها على درجات :

(١) لم يذكر المكنز هذا اللفظ في المجال الدلالي الدال على الظلم .



- فأشدها الطُّغْيَانُ ؛ لاشتماله على مجاوزة الحدِّ والمبالغة في الكِبْر والمعصية والشر والكفر.
- ويليه في الشدة البَغْي ؛ لاشتماله على التعدِّي والفساد والظلم .
- ثم العُتُوُّ ؛ لأنه مبالغة في الكِبر أو الفساد أو الكفر .
- ثم العدوان ؛ لأنه تَعَدٍّ لحدود الله ، وظلمٌ صُراح .
- ثم الظلم ، وهو أدناها ، وتتفاوت درجاته من صغائر الذنوب إلى كبائرها إلى الشرك بالله ـ عز وجل ـ . »[1] .

من خلال الجدول الذي أعددناه ، ومن خلال كلام معجم الفروق الدلالية نقول إن لفظة « الطغيان » يتميز بأنه أقوى درجةً من « البغي ، عتو ، عدوان ، الظلم» ويتميز عن بقية ألفاظ المجال بأنه لفظٌ مرتبط دائمًا بالظلم أو على الأقل في معظم استعمالاته ، ومرتبطٌ بنوع من أنواع القوة ، وأن الظلم مع هذا اللفظ عبارة عن ابتعاد من حدود شرعية ربانية معروفة وليس حقًّا مسيطرًا عليه .

من خلال ذلك نقول :

إنَّ اختيار اللفظ « طغى » أنسب لسياق الآيات المكية ، فهؤلاء الطغاة : عاد ، ثمود ، فرعون وجنوده وصل ظلمهم أقصى درجاته ، وظلمهم مرتبط باستعمال القوة الباطشة ، وناتج أيضًا عن الابتعاد عما شرع رب العباد .

- واستخدام التركيب « الذين طغوا » بدل الاسم المشتق « الطاغين » للتأكيد على مضمون جملة صلة الموصول ، وللدلالة على انتهاء أمرهم ، وأنهم أصبحوا مجرد ذكرى لمن أراد أن يَذَّكَّر .
- وفي التركيب « في البلاد » بديله الممكن « بالبلاد » ، واستخدام حرف « في » دليل على مدى طغيانهم وتمكنهم من هذا الطغيان ، وقصدهم إلى هذا الطغيان .
- لفظة « البلاد » بديلها الممكن « بلادهم » . واختيار « البلاد » بالتعريف بأل مع الجمع يوحي بعدة معان :

➢ إظهار قوة البلاد التي كانوا فيها ، وكثرة الخير الذي كان لديهم . فكأن التعريف يظهر عظمة هذه البلاد ، فهي الجديرة بأن يُطلق عليها اسم البلد حقًّا
➢ ما فعله هؤلاء الطُّغاة في بلادهم يمثل النموذج الذي يسير عليه أي طاغية

(١) د. مُحَمَّد داود : ص ١٤٨



في أي بلد من البلدان ، فكأن طغيانهم في بلادهم طغيان في كل بلاد الأرض

- إبعاد التركيب الإضافي الذي يوحي بملكية هؤلاء لتلك البلاد ، وهو معنى غير مراد ، بل وجودهم بقدر الله ، ووجودهم أمر مؤقت ، لا يلبثون أن يرحلوا ويتركوا ما خُوِّلوه من النعم .
- الإيحاء بكثرة ظلمهم وبلوغه أقصى مدى (١) .
- وقد يكون استخدام التعريف مع الجمع إشارة إلى أن طغيانهم لم يكن مقصورًا على بلادهم فقط ، بل طال وتعدى إلى بلاد أناس آخرين ، كما هو معروف من تاريخ الفراعنة .
- مراعاة الفاصلة .

- **الآية رقم ١٢** ﴿ **فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ** ﴾ الفجر: ١٢

- بديل « أكثروا » الممكن لفظة « زاد » ؛ فتصبح الآية في غير القُرْآن « فزادوا فيها الفساد » . لماذا اختار القُرْآن « أكثروا » ؟

من يتتبع سياق الآيات التي وردت فيه لفظة « زاد » نجد أن هذه اللفظة تقتضي في الأساس شيئًا موجودًا يمكن أن يُزادَ عليه ، وأن الزيادة من جنس المزيد ، **وأن الزيادة غير قابلة للعد** ، مثل :

* هدى ـ « ... فزدناهم هدًى » .
* إيمان ـ « ... ليزدادوا إيمانًا » .
* كفر ـ « ... ثم ازدادوا كفرًا » .
* قوة ـ « ... ويزدكم قوة إلى قوتكم » .

ومن يتتبع سياقات الآيات التي وردت فيها لفظة « كثر » نجد أنها تأتي مع أمور قابلة للعد والحصر (وأغلب سياقات هذه اللفظة أتت مع الناس والبشر) وأن هذه الأمور ما كانت موجودة من قبل .

وبناء عليه فلفظة أكثروا توحي بـ :

(١) كثرة ألوان الفساد .

---

(١) انظر ماذا قال رَبُّنا عن آل فرعون :﴿ **ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ** ﴾ غافر: ٤٦ ، **وعدل الله يقضي أن يكون أشد العذاب مقابل أشد الظلم والطغيان .**



(٢) أن هذا الفساد ما كان موجودًا قبلهم ، على أرضهم ، بل هم الذين ابتدعوه وأوجدوه . وأن الأصل عدم الفساد .
(٣) وتوحي كلمة « أكثروا » أنَّ الطاغية بسبب طغيانه يسبب « الخلل والفساد » في كثير من جوانب الحياة ، فهو « يكثر » من هذا الخلل وهذا الفساد والإفساد عن عمد ، لا يترك شيئًا يسير على طبيعته ، أو وفق شرع الله أو وفق سننه الاجتماعية أو الكونية . فسبحان من هذا كلامه .

- لفظة « الفساد » ما البديل الممكن لها ؟

هذا اللفظ أثرٌ ونتيجةٌ لما قبله ، فالطغيان أثره ونتيجته المترتبة عليه « الفساد » . والبدائل الممكنة لهذا اللفظ بَدَائِل من المجال الدلالي « الفجور » : الإثم ، الزنا ، الغواية ، الفجور ، الفاحشة ، الفساد ، الفسق . فمن الممكن في غير الآية : « طغوا في البلاد فأكثروا فيها الإثم ، الزنا ، الفاحشة ، الغواية ، الفجور ، الفاحشة ، الفسق » .

لماذا اختارت الآية « الفساد » ؟

من يتتبع السياق القرآني للفظ الفساد يلاحظ ما يأتي :

- أن هذا اللفظ ورد خمسين مرةً .
- وأن هذا اللفظ مرتبط بمكان ، هذا المكان هو الأرض أو جزء مرتبط بالأرض ، والآيات التي ربطت بين « الفساد » و « الأرض » مباشرة تجاوزت الاثنتين والثلاثين آية من الخمسين آية ، ومرة مع البر ، ومرة مع البحر ، ومرة مع بلد أو بلاد ، ومرة مع السماء ، وبقية المرات الخمسين يمكن ربطها بالأرض أيضًا .

إذن فهذا اللفظ في الاستعمال القرآني مرتبطٌ بالمكان ـ خاصة الأرض ـ أو جزء منه . والمعنى اللغوي للفساد الذي قدمه معجم تاج العروس لهذا اللفظ : « فسد الشيءُ بطلَ واضمحل » .

وفساد المكان يعنى اضمحلاله هو نفسه ، ويعنى اضمحلال الحياة فيه[١] ، والحياة في مكان ليست مقصورة فقط على الإنسان ، بل هي تشمل أيضًا الحيوان والطير والنبات . وعندما نربط الفساد بالطغيان ؛ فكأننا نقول إن الطغيان لا يؤثر

---

(١) انظر مثلا إلي قوله تعالى : ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الروم: ٤١



على مخلوق واحد فقط هو الإنسان ، بل إن الطغيان يؤثر أيضًا على الحيوان والطير والنبات ، بل يؤثر حتى على الجماد : البر ، البحر ، وهما من مكونات الأرض .

وهذا المعنى لا تجودُ به بقية ألفاظ المجال الدلالي « الفجور » ، فالإثم ، والفاحشة والفسوق ... مرتبط بالإنسان فقط ، فكأن تأثير الطغيان مع هذه الألفاظ مقصورٌ فقط على الإنسان ، أما مع الفساد فالتأثير يمتد إلى الأرض كلها . إذن فالتعبير بالفساد أبلغ لعمومه وشموله وبيان أثر الطغيان العام .

- البديل بين الضمير « واو الجماعة » في « أكثروا » عن مراجعه « عاد ، وثمود ، فرعون » **للإيجاز والاختصار** . وإهمال استعمال اسم الإشارة (؛ أولئك ...) لاستبعاد أي ملمح للتعظيم لهم والغض من شأنهم .

البَدائِل الحَرْفِيَّة :

- الفاء في « فأكثروا » عاطفة ، والفاء العاطفة تفيد الترتيب والتعقيب ، وقد تفيد مع الترتيب والتعقيب « التسبُّب ؛ أي : الدلالة على السببيَّة؛ بأن يكون المعطوف متسببًا عن المعطوف عليه؛ ويَغلُب هذا في شيئين ؛ عطف الجمل ، نحو: رمى الصياد الطائر فقتله ، وفي المعطوف المشتق ، نحو: أنتم ـ أيها الجنود ـ واثقون بأنفسكم، فهاجمون على عدوكم، ففاتكون به ؛ فمنتصرون عليه »[(١)] .

والتعقيب الذي تفيده الفاء العاطفة « وجود مهلة مناسبة بين المعطوف والمعطوف عليه ، قد تَقصر أو تطول ؛ إذ الزمن متروك لكل شيء بحسبه ، نحو: أكل فشبع ، تزوَّج فَوُلِدَ له ؛ إذ لم يكن بين الزواج والولادة إلا مُدَّة الحمل وهي تسعة أشهر عادة »[(٢)] .

وهذه المعاني تنطبق على الفاء في هذه الآية ، فهي تفيد الترتيب والتعقيب والتسبيب ، فالطغيان أولا ثم يترتب عليه الفساد ثانيا ، والطغيان سببٌ للإفساد وكأن هذه الفاء **تريد أن تقول إن الفساد المترتب على الطغيان سنة ربانية اجتماعية إنسانية حتمية تلازمية لا مفر منها .**

---

(١) عباس حسن : النحو الوافي ، ٣/ ٥٧٤ ، وينبه الأستاذ عباس حسن في الهامش ٣ من نفس الصفحة أننا لا نسميها هنا اصطلاحًا فاء السببية لأنها لم يأت بعدها فعل مضارع .

(٢) د. علي توفيق الحمد : المعجم الوافي في أدوات النحو العربي ، ص ٢١٦



بَدَائِل صَرْفِيَّة :

- التعبير بالمصدر « فساد » المتصل بـ « أل الجنسية » لإفادة أقصى درجات الفساد ، وتغطية كل أنواعه ، فكل ما يُقال له فساد ارتكبه هؤلاء الطغاة .

والفعل « فسد » له في اللغة مصدران « فساد وفُسود » ، واختارت الآية المصدر « فساد » للحفاظ على القافية أو الموسيقى في نهاية الآيات (حركة + سكون + سكون / ٥٥) : بِعَاد ـ عِمَاد ـ بِلاد ـ بالواد ـ فساد .

- **الآية رقْم ١٣** ﴿ **فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ** ﴾ الفجر: ١٣

- البدائل القُرْآنِيَّة الممكنة للفظ « صَبَّ » التي يمكن أن تحل محل هذا اللفظ ألفاظ المجالات رقم ٢٠٧٧، ٢٠٧٨ ، ٢١٧٤ (صب الماء ـ انصباب الماء) : « انهمر ، ثَجَّ ، جرى سال ، أفرغ ، دفق ، سكب » . فيمكن أن نقول :

  - ❊ فأَثَجَّ عليهم ربك ...
  - ❊ فأَجْرى عليهم ربك ...
  - ❊ فأَسال عليهم ربك ...
  - ❊ فأَفرغَ عليهم ربك ...
  - ❊ فأَسكب عليهم ربك ...
  - ❊ فأَدفق عليهم ربك ...

وعند الاهتداء بالمعاجم اللغوية للوقوف على الفروق الدلالية لا نجد تحديدًا دلاليًّا يشفي الغليل ، ويضع فواصل حاسمة بين مجموعة الألفاظ السابقة ؛ لذلك نلجأ إلى سياق الآيات التي وردت فيها هذا الألفاظ لنقف على الاستخدام القرآني لها .

ومن خلال استقراء هذه السياقات يمكن أن نضع الملامح التمييزية الآتية :

- ✓ ملمح تتابع الحركة بشكل مستمر ، أو لفترة طويلة من الوقت .
- ✓ حركة أفقية أو اتجاه الحركة من أعلى إلى أسفل أو من أسفل إلى أعلى مع وجود مسافة أحيانًا أو عدم وجودها .
- ✓ التقيد بمكان أو أشخاص معينين محددين أو عدم التقيد .

من خلال هذه الملامح يمكن أن نميز دلالة « الصب » **بأنه لفظ يدل على الحركة غير المتتابعة وغير المستمرة لفترة طويلة ، ومن أعلى لأسفل ، مع وجود مسافة أحيانًا ومقيد بمكان معين وأشخاص محددون** . فهذا اللفظ يتميز بملمحي « عدم التتابع

والتقيد » عن « الثج ، والانهمار ، الجري ، السكب » ، وبملمح « الاتجاه من أعلى إلى أسفل » عن « الدفق ، والسيولة » ، وبملمح « وجود المسافة » عن « الإفراغ » .

والملمح الذي قدمناه أشار إلى بعضه أبو هلال العسكري ، فقال : « السكب هو الصب المتتابع ... **والصب يكون دفعة واحدة ؛ ولهذا يُقال صبه في القالب ، ولا يقال سكبه ؛ لأن ما يصب في القالب يصب دفعة واحدة ... و[الهمر] كثرة السيلان في سهولة** »(١) .

وبناء على ذلك يكون تعليل اختيار الآية للفظة « صب » :

- لأن العذاب كان دفعة واحدة ، ولم يستمر فترة طويلة ولم يتكرر عليهم .
- الصب مرتبط بمكان معين وأشخاص معينين .
- والصب مع وجود مسافة لا بد أن يكون فيه قوة ، ويؤكد هذا المعنى بعض المفسرين يقول :« فصبَّ ... ؛ أي : أنزل إنزالا شديدًا على كل طائفة من أولئك الطوائف عقيب ما فعلته من الطغيان والفساد »(٢) .
- ويشير أبو حيان والطاهر بن عاشور إلى ملامح آخرى في هذا اللفظ هي « الإحاطة والسرعة والكثرة » . فعقاب الله على هؤلاء القوم « عاد ، ثمود ، فرعون » كان مفاجئًا سريعًا قويًّا محددًا محيطًا .

- وبديل حرف الجر « على » الممكن في قوله تعالى « عليهم » هو « فوقهم » ، ودلالة حرف الجر « على » أبلغ ؛ إذ هي ـ بدلالتها على الاستعلاء ـ تدل على « التَّمكن وتأكيد المعنى » ، معنى إنزال العذاب ، وهذا المعنى لا يُستفاد من الظرف فوق .
- البديل الممكن لـ « سوط عذاب » :

بداية نبين لماذا استخدمت الآية كلمة « عذاب » ، ولماذا لم تستخدم مثلا : « سوط عقاب ، أو قصاص أو انتقام ... » .

نقول البديل الممكن لكلمة « عذاب » ألفاظ من المجال الدلالي « العقاب » رقم ١٨٦٦ في المكنز هي : « الانتقام ، التنكيل ، العذاب ، العقاب ، القصاص » .

ومن خلال الدراسة المعجمية لهذه الألفاظ ، ومن خلال دراسة السياقات القُرْآنِيَّة التي وردت فيها هذه الألفاظ يمكن أن نضع الملامح التمييزية الآتية للتفرقة

(١) الفروق اللغوية ، ص ٢٧٩

(٢) أبو السعود العَمادي : إرشاد العقل السليم ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، ٩/ ١٥٥



بينها :

- ⇦ ملمح الاستمرارية .
- ⇦ ملمح وجوب أن يُسبقَ العقابُ بذنب أو جُرم .
- ⇦ ملمح وجوب أن يكون العقاب شديدًا .
- ⇦ ملمح وجوب استحقاق المُعَاقَب للعقاب .

وبناء على هذه الملامح نقول إن العذاب يتميز بالملامح التمييزية الآتية : « **استمرارية الألم ، ووجوب أن يكون شديدًا ، ولا يُشترط أن يُسبَق بذنب ، ولا يُشترط وجوب استحقاق المُعَاقَب للعقاب** » .

وملمح الاستمرارية أشار إليه أبو هلال العسكري في كتابه « الفروق اللغوية » عند تفريقه بين « العذاب والألم » ص ٣٥٤ : « العذاب أخص من الألم **وذلك أن العذاب هو الالم المستمر** » .

والمراد بالملمحين : « ولا يُشترط أن يُسبَق بذنب » ، « ولا يُشترط وجوب استحقاق المُعَاقَب للعقاب » ـ أن العذاب قد يقع على قوم لا ذنب لهم ، وأن من يقع عليه العذاب قد يكون مستحقا له أو غير مستحق . يقول معجم الفروق الدلالية في القُرْآن الكريم في الفرق بين العذاب والعقاب ص ٣٤٣ : « يتميز العقاب بأنَّه قد يكون شديدًا وقد يكون يسيرًا ، وأنَّه يُنبئُ عن الاستحقاق ؛ لأنه لا يكون إلا عقب الذنوب . بينما يتميز العذاب بمَلْمَحَيْن هما : الشدة ، وكونه عامًّا فيمن يستحقه ومن لا يستحقه » .

ويتميز العذاب عن بقية المجال الدلالي : الانتقام ، التنكيل ، القصاص والمؤاخذة ـ بملمح الاستمرارية ، وملمح عدم وجوب أسبقية العقاب بذنب .

لماذا اختيار العذاب أفضل في الآية ؟

بناء على ما سبق فإن اختيار العذاب أفضل لما يأتي :

- إفادة الاستمرارية : في الدنيا ، وفي قبورهم ، وفي الآخرة .
- أن العقاب الذي نزل على عاد وثمود وفرعون وجنوده لا يعنى أنهم كلهم كانوا ظالمين ، بل قد يكون من بينهم صالحون لم يرتكبوا ذنبًا ، ولكن

شملهم العذاب ، لتقصيرهم في الإنكار ، أو لمكثهم في أرض الظلم وعدم تركها ، أو لمساعدتهم للظلمة أو حبهم لهم .

- في لفظ العذاب عمومية وشمولية لا نجدها في بقية ألفاظ المجال الدلالي .

وننتقل إلى النقطة الآتية وهي لماذا استعملت الآية « سوط عذاب » ولم تستعمل « العذاب » ؟ ونجيب :

(١) إفادة السرعة ، وإلى هذا المعنى أشار الطاهر بن عاشور ، فقال : إنَّ « إضافة سوط إلى عذاب من إضافة الصفة إلى الموصوف ؛ أي صب عليهم عذابًا سوطًا؛ أي كالسوط في سرعة الإصابة ، فهو تشبيه بليغ »[١] .

(٢) وقد يوحي استخدام سوط بما ينتظرهم في الآخرة من العذاب الأليم الذي لا يحيط به الوصف ، فما حدث لهم في الدنيا مجرد « سوط » ، فما بالنا بما سيحدث في الآخرة .

(٣) الإيحاء بإمكانية التكرار وسهولة هذا التكرار ، وإمكانية تتابعه ، خاصة إذا ربطنا هذه اللفظة بـ « الصب » .

(٤) ويقول أهل اللغة أن لكلمة السوط معنى لغويًّا آخر هو « خلط الشيء بعضه ببعض» وهذا يُثري معنى الآية فيكون المعنى: « ما خُلط لهم من أنواع العذاب»[٢] .

واستخدام « سوط عذاب » ـ بالتنكير ـ على « سوط العذاب » ـ بالتعريف ـ للدلالة على التنويع والتعدد ، فألوان العذاب عند الله ـ عزَّ وجل ـ كثيرة لا حدَّ لها. ويُعزز هذا المعنى استخدام « سوط » بدلا من « أسواط » .

ونلاحظ خروج الفاصلة مع هذا اللفظ عما قبلها وعما بعدها ، وقد يكون هذا لجذب الانتباه لعدم توقعه ، وتركيزه على عاقبة هؤلاء الطُّغاة .

- **الآية رقْم ١٤ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾:**

- من المجالات الدلالية التي ذكرها المكنز مجال « التوقع » ، ويضم من الألفاظ القُرْآنِيَّة : « الانتظار ، التربص ، الترقب ، الرصد » .

ويمكن التفريق بينها من خلال الملامح الدلالية :

- ارتباط الشيء المتوقع بالزمان ، فالبعد الزمنى هو المعتبر .

---

(١) التحرير والتنوير ، ٣٠/ ٣٢٢

(٢) أبو السعود العمادي : إرشاد العقل السليم ، ٩/ ١٥٦



- ارتباط الشيء المتوقع بالمكان ، فالبعد المكاني هو المعتبر .
- الشيء المتوقع هو المراعى بغض النظر عن البعد الزماني والمكاني .

ويمتاز لفظ « الرصد » الذي اختارته الآية بأنه لفظ يراعي البعد المكاني ، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة : « رصد : **التهيؤ لِرقبة شيء على مسلكه** ، ثم يحمل عليه ما يشاكله » . وقد ذكرنا ما أشار إليه تفسير الإمام الرازي في مرحلة المعنى عند تفسير هذه الآية . وهو بذلك يختلف عن الانتظار والتربُّص المرتبطان بدلالة الزمن ، ويختلف عن الترقب المرتبط بمراعاة الشيء المتوقع بغض النظر عن الزمان والمكان . قال ابن فارس في مادة « ن ظ ر » : « ... ويقولون : نظرته ؛ أي : انتظرته ... **كأنه ينظر إلى الوقت الذي يأتي فيه** » . وقال الزَّبيدي في تاج العروس : « رَبَصَ بفُلانٍ رَبْصًا : انْتَظَرَ بِهِ خَيْرًا أَو شَرًّا يَحُلُّ بِهِ » .

لماذا اختيار الترصد أبلغ من الانتظار والتربص والترقب ؟

إشارة الآية إلى الترصد الذي يرتبط بالمكان أبلغ ؛ لأن الإشارة إلى المكان أشمل وأعم ، فالإشارة إلى المكان تتضمن الزمان ، وما يحدث فيه ؛ إذ لا زمان ولا أحداث تحدث فيه بغير مكان . فالله ـ عزَّ وجلَّ ـ عندما يرصد المكان يرصد في نفس الوقت الزمان وأحداثه ، فكأن في اختيار هذا اللفظ اختصار وإيجاز وإثراء دلالي .

وفي تعريف كلمة مرصاد وعدم تنكيرها دلالة على طلاقة القدرة الإلهية وإحاطتها ، وأن مآل جميع الناس واحدٌ هو العودة لرب العالمين .

بَدَائِلُ حَرْفِيَّة :

- بديل قوله تعالى « إنَّ ربك لبالمرصاد » : « ربك بالمرصاد » ، فما الفارق ؟

في الآية أربع مؤكدات :

١ـ الجملة الاسمية .

٢ـ استخدام إنَّ المكسورة ، وهي تفيد تأكيد النسبة بين اسمها وخبرها .

٣ـ اللام المزحلقة ، وهي لام الابتداء حينما تُزحلق عن صدر الجملة.

٤ـ الباء .

وهذه المؤكدات تأتي في الجملة الاسمية لإفادة التوكيد في حالة إنكار من يتوجه إليه الكلام . فعلماء البلاغة يقسمون أسلوب الخبر إلى ثلاثة أقسام :

أ- ابتدائي ، ويُلْقَى لخالي الذهن من غير توكيد.

ب- طلبي ، ويلقى لمن داخله الشك مؤكدًا بأداة من أدوات التوكيد.

ت- إنكاري ، ويلقى لمن أنكر القول مؤكدًا بأكثر من توكيد .

فالآية وردت في سورة مكية ، لقوم يناصبون النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ العداء ، وبلغت عداوتهم له منتهاها ، وبلغ إنكارهم له أقصاه ، فكان حق الجملة أن تأتي بكل هذه المؤكدات.

بَدَائِلُ صَرْفِيَّة :

- يمكن أن نُقَدِّمَ بَدَائِل صرفية لكلمة « مِرْصَاد » وهي : « الرَّاصد ، الرَّصْد ، المَرصد » ، فيمكن أن نقول مثلا : « إنَّ ربك لَراصِدٌ (صفة مشبهة) » ، أو « إِنَّ ربَّكَ لبالرَّصْد (بالمصدر) » أو إن « إن ربك لبالمَرْصَد (اسم مكان أو مصدر ميمي) » .

فما سبب اختيار الآية للفظة « مِرصَاد » دون الصفة المشبهة أو المصدر أو اسم المكان أو المصدر الميمي ؟

تثير هذه اللفظة بهذا الوزن الصرفي « مِفْعال » عند التأمل الكثير من المعاني البَلاغِيَّة الطريفة ، وأنا هنا أجتهد في بيان هذه المعاني وأرجو أن أصيب أجرين في ذلك :

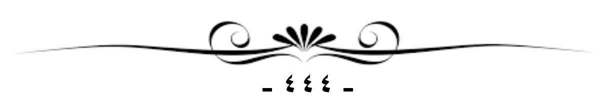
(١) من يعود إلى استخدامات الوزن « مِفْعال » يجد أنه يُستخدَم في : اسم الآلة القياسي ، صيغ المبالغة القياسية ، ما يستوي فيه المذكر والمؤنث ، اسم ممدود ، اسم ثلاثي مزيد بحرفين[١] .

وكما هو واضح فليس من استخدامات وزن « مِفْعال » الدلالة على المكان ، في الوقت الذي أشار عدد من المفسرين إلى أن معنى « مِرصَاد » الدلالة على المكان ، أشار إلى ذلك الإمام الرَّازِي والقُرطُبي والبَيْضَاوي والنَّسَفي .

واستخدام الآية لهذا الوزن للدلالة على المكان يتضمَّن أيضًا معنى الدلالة على المبالغة والدلالة على الآلة ؛ وإذا جاز في اللغة أن يُضَمَّنَ فعلٌ معنى فعل آخر فما المانع أن يُضَمَّنَ وزنٌ صرفيٌّ معنى وزن آخر كما هو الحال هنا . فكأن هذا الوزن ضمَّ معنى المكان والمبالغة والآلة ، وكلها دلالات تؤكد المعنى تأكيدًا على تأكيدٍ . فالدلالة البَلاغِيَّة على المكان أشرنا إليها ، والدلالة البَلاغِيَّة على المبالغة تفيد كثرة من يتعلق بهم الرصد في أي مكان وفي أي زمان وعلى أية حال ؛ وفي هذا إشارة إلى طلاقة

---

(١) د. إميل يعقوب : معجم الأوزان الصَّرْفِيَّة ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١



القدرة الإلهية . والدلالية على الآلية تشير إلى دقة هذه الرصد وإحكامه وسرعته وكثرته ، فمما هو ثابت في الشعور أن استخدام الآلة في العمل يساعد على الإنجاز والدقة والإحكام والسرعة .

(٢) أشار بعض المفسرين إلى أنَّ في استخدام هذا الوزن استعارة تمثيلية ، حيث « شبَّه حالةَ كونه تعالى حفيظًا لأعمال العباد ، ومترقبًا لها ومجازيًا عليها على النقير والقِطمير، ولا محيد للعباد عن أن لا يكون مصيرهم إلا إليه ، بحالة من قعد على طريق السابلة يترصد ، ولا غناء لهم عن عبور البهائم ، ثم استعمل هنا ما كان مستعملاً هناك »(١) .

(٣) التعبير بـ « مِرصَاد » للدلالة على المكان فيه خروج عن المألوف المعتاد ، فالأوزن الصَّرْفِيَّة التي تعبر عن المكان معروفة ، وفي الخروج عن المألوف وكسر المعتاد إثارة للذهن ، ودعوة للتأمل .

(٤) في استخدام « مِرصَاد » بدلا من الصفة المشبهة « الراصد » ، تعبير عن شمولية الزمن ، خاصة المستقبل ، أما الدلالة الزمنية للصفة المشبهة ، فهي تأتي للتعبير عن الماضي المتصل بالزمن الحاضر .

(٥) في استخدام « مِرصَاد » بدلا من « مَرْصَد » ، زيادة في المبنى ، يتلوه زيادة في المعنى .

- في التعبير بالمفرد « مِرصَاد » بدل الجمع « المراصد » إفادة أقصى درجات العمومية والإحاطة ، والإيحاء بأن جميع الخلائق ـ لا محالة ـ مرصودةٌ في أي مكان وفي أي زمان وعلى أية حال .

* **المرحلة الثالثة مرحلة الجملة** :

من يتأَمَّل التحليل النَّحوي للجمل التي تكون الآيات (٦ ـ ١٣) من سورة الفجر ـ محل التحليل ـ يجدها جملة واحدة ، تبدأ بـ « حرف استفهام » دخل على جملة فعلية تمت إطالتها بثلاثة أنواع من التوابع : البَدَل والنعت والعطف . وبهذا تترابط الآيات الثماني فيما بينها ترابطًا محكمًا .

---

(١) شرف الدين الطِّيبي : فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ـ حاشية الطيبي على الكشاف دبي ، ط١ ، (١٤٣٤م) ، ١٦/ ٤٢٥



➢ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ الفجر: ٦

التحليل النحوي لها :

أداة استفهام	+	لم أداة نفي وجزم وقلب	+	فعل مضارع مجزوم ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر	+	فاعل مستتر	+	استفهام سد مسد المفعولين

بدأت الآية بالهمزة للاستفهام التقريري ؛ أي : قد رأيت .

والاستفهام الذي بدأت به الآية السابقة « كيف فعل ربك بعاد » خُتِمَ بجار ومجرور« بِعاد » متعلق بالفعل « فَعَل » .

والبديل الممكن لهذا الاستفهام الإتيان بجملة خبرية مثلا ، كأن نقول : « لقد أهلك ربُّك عاد » . ولكن الآية اختارت التعبير بالاستفهام ، لماذا ؟ للأسباب الآتية:

١ـ النُّحاة يُقررون أن أداة الاستفهام « الهمزة » إذا دخلت على أداة النفي أفادت « التقرير وإثبات مضمون الجملة » . ويقصدون بالتقرير « حمل المخاطب على الإقرار (؛ أي : على الاعتراف) بالحكم الذي يعرفه فيما جرى بشأنه الاستفهام. وقد يكون إقراره إثباتا ، كما في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ، أو نفيا ، كقوله تعالى يخاطب عيسى:﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فليس المراد حمله في كل الأحوال على الإقرار والموافقة على ما جاء منفيا بعد الهمزة ؛ وإنما المراد حمله على الإقرار بإثبات ما بعدها حين يقتضي المعنى الإثبات ونفيه حينًا آخر تبعًا للمعنى أيضا »(١) .

وبناء على ذلك فغرض الاستفهام في الآية التقرير بإثبات ما بعدها ، وفي هذا **تهييج لعقول من يتوجه إليهم الكلام ، وحثٌّ لهم على التفكير** ، كيف انتهت عاد وثمود ، وكيف انتهى فرعون وجنوده .

٢ـ والذهن الذي يبحث عن المعلومة ويفكر فيها وتشغل حيزًا من تفكيره يكون رسوخ المعلومة فيه أشد ، والتأثر بها أبلغ من الذي يتلقى الخبر دون كد وبحث وعناء .

ونلاحظ في التركيب النحوي للآية اشتمالها على جملتين فعليتين : جملة فعلية كُبرى ـ إن جاز التعبير ـ (ترى كيف فعل ربك بعاد) ، وبداخلها جملة فعلية صُغرى (كيف فعل ربك بعاد) . والعناصر الإسنادية للجملة الفِعْلِيَّة أتت في ترتيبها

---

(١) عباس حسن : النحو الوافي ، ٤/ ٤١٣



الأصلي للجملة : فعل + فاعل + مفعول أول وثان (في الجملة الفعلية الكبرى الأولى) ، اسم استفهام له الصدارة + فعل + فاعل + متعلق بالفعل(في الجملة الفعلية الصغرى) .

وفي الجملة الفِعْلِيَّة الصغرى كان يمكن تقديم الجار والمجرور على الفاعل فنقول : « ألم تر كيف فعل بعاد ربك » ، ولكن الآية اختارت عدم الإخلال بالترتيب الأصلي وعدم تأخير الفاعل لأن الاهتمام والتركيز منصب على الفاعل نفسه ، وإبراز قوته وقدرته .

وأشار معربو القُرْآن إلى أن الجملة « ألم تر ... » استئنافية لا محل لها من الإعراب . والجملة الاستئنافية التي لا محل لها من الإعراب يمكن أن نصنع أو نُكَيِّفَ قبلها حوارًا بين متكلم ومخاطب نهتدي به إليها ، مُتبعين في ذلك خطوات الإمام الزَّمَخْشَرِيّ كما أشرنا .

ويمكن أن نتخيل الحوار كما يأتي :

- لماذا أقسم ربنا بالأقسام « الفجر ، الليالي عشر ، والشفع والوتر ... » في بداية سورة الفجر ؟
- لبيان قدرة الله وإهلاكه وأنه يرصد كل أعمال بني آدم ، وأن طريق الكل عليه ، وأنه يرى ويسمع كل شيء ، وأنَّ مرد كل الناس ـ بما فيهم أهل مكة ـ إليه عَزَّ وجَلَّ.
- إن رصد الله لكل أعمال مخلوقاته وإهلاكه للظالمين يدل على طلاقة القدرة الإلهية ، فهل من شواهد ملموسة تدل على هذه القدرة ؟
- نعم ، ألم تر كيف فعل ربك بعاد وثمود وفرعون وجنوده ؟

والوقوف على الحوار وإبداعه للوصول إلى استئنافية الجملة هو في حد ذاته متعة عقلية وإثارة ذهنية ، تشد القارئ للنص القرآني .

وقد سبق أن أشرنا أن للجملة الاستئنافية دلالة بَلاغِيَّة ، **منها التنبيه** ، كما هي الحال هنا مع هذه الآية .

➢ **﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ الفجر: ٧**

التحليل النحوي للآية : ... بدل مطابق أو عطف بيان + نعت باسم جامد + مضاف إليه .

وبهذا التحليل نتبين أن الآية عنصر غير إسنادي ؛ لذلك فالآية هنا هي امتدادٌ وتطويلٌ لما قبلها ، فالبدل لا بد له من مُبدل منه « عاد » ، ويرتبط البَدَل المطابق بالمبدل منه بالمعنى والعلامة الإِعْرابِيَّة ، والارتباط بالمعنى يتمثل في أن البَدَل هو عين المبدل منه . والغرض البَلاغِيّ للبدل هنا جذب الانتباه وإثارة الذهن .

وإمكانية إعراب « إرم » عطف بيان له دلالة بلاغية سبق أن أشرنا إليها ، وهي تسليط الضوء على الموصوف ، فالبدل يسلط الضوء على « البدل » نفسه ، وعطف البيان يسلط الضوء والانتباه على ما قبله .

وكلمة « ذات » نعت مجرور ، وهذا النعت « ذات » يرتبط بالمنعوت بالعلامة الإعرابية والتعريف والإفراد والتأنيث ، والغرض البلاغي له هنا : المبالغة وتأكيد المعنى والاستعظام . ويوضح النحاة أن « ذا وفروعها : ذوَا ، ذوُو ، ذوِي ، ذات ، ذاتا ، ذوات » الأغلب فيها « أن تكون إضافتها لاسم جنس ظاهر غير مشتق »[(١)] . وبحسب ما قال الزبيدي فإن العماد « البناء الرفيع المُعْمَد ، وجمعه عُمُدٌ » ؛ أي أن لفظة « العماد » تنطبق عليها القاعدة ؛ أي كونها اسم جنس ، وفي هذا إشارة إلى قوة عاد التي بلغت حدًّا عظيمًا .

ومما نلاحظه أيضا استقلال هذا البدل وهذا النعت بآية مستقلة ، فلم تأت ضمن الآية السابقة عليها . ولعل في هذا الفصل زيادة تدليل وتوجيه للنظر لقوة عاد ومدى مهارتها في البناء ، هذه المهارة التي يجب أن يأتي قبلها مهارة في التصميم والهندسة والذكاء والعقل .

➢ ﴿ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾ الفجر: ٨

والتركيب النحوي لهذه الآية :

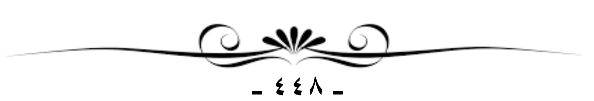
نعت	جملة صلة موصول لا محل لها من الإعراب			
اسم موصول +	لم أداة نفي وجزم وقلب +	فعل مضارع مجزوم مبني للمجهول +	نائب فاعل مرفوع +	جار ومجرور

وأول ما نلاحظه على هذه الآية كونها نعتًا لـ « عاد » ، وهذا يحقق ترابطًا بين هذه الآية وما قبلها ، بأدوات ترابط النعت المفرد . وقيمة هذا النعت كما هو واضح إبراز مكانة المنعوت والتأكيد على القوة البشرية التي وصل إليها المنعوت .

ونلاحظ أيضًا أن النعتَ بالاسم الموصول الذي تأتي بعده جملة صلة ، وقد سبق أن أوضحنا **أن النعت بالاسم الموصول له دلالة بَلاغِيَّة تتمثل في إبراز صلة الموصول وتسليط الضوء عليها وجذب الانتباه إليها .**

وقد سبق أيضا الإشارة إلى استخدام الذي والتي تعنى أن صلة الموصول معروفة للمخاطَب ، والاستناد لما هو معروف ومشهور عند المخاطب سبيل لإقناعه وإقامة الحجة عليه .

(١) النحو الوافي : ٣/ ٤٥٨



وجذب الانتباه لجملة صلة الموصول موجه في الأساس لكفار مكة ، فعاد التي لم يُخلق مثلها في البلاد انتهت ومحيت آثارها ، وأنتم جوارها وإزاءها لا تساوون شيئا ومَنْ سحق الأقوى قادرٌ بلا شكٍّ على سحق الأقل منه .

وفي بناء الفعل « يُخلَق » ـ في هذه القِرَاءَة ـ للمجهول للاختصار ، وتعظيم الفاعل .

وشبه الجملة « في البلاد » زائدة في الجملة متعلق بالفعل يُخلق . والدلالة البلاغية لزيادة شبه الجملة في هذه الآية : التنبيه والتوكيد على مدى التفرد والقوة اللذين كانت عليهما عاد .

ومثلما استقلت الآية السابقة ببدل ونعت عن عاد ، استقلت هذه الآية بوصف ثان لعاد ، مما يزيد التوكيد على قوة هذا الحي أو هؤلاء القوم .

وزيادة التوكيد في قوة عاد بما سبق له دلالة غير مباشرة ، وهي : إبراز القدرة الإلهية التي أبادتها وأهلكتها ، تلك القوة التي لا نستطيع بعقولنا القاصرة الوقوف عند حدودها ، وذلك أن عاد التي بلغت من القوة ما بلغت أهلكها ـ مع آخرين ـ « سوط عذاب » واحد فقط ؛ فأي قوة إلهية هذه التي استطاعت أن تفعل ذلك ، فسبحانك اللهم ، وعزت قدرتك ، وجل جلالك.

➢ ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ﴾ الفجر: ٩

وتحليلها النحوي :

حرف عطف	+	معطوف مجرور	+	نعت اسم موصول	+	جملة صلة موصول : جملة فعلية لا محل لها من الإعراب			
						فعل +	فاعل+	مفعول به+	جار ومجرور متعلق بالفعل

وكما يوضح التحليل النحوي فإنَّ هذا التركيب يترابط بما قبله من خلال حرف العطف ومن خلال العلامة الإعرابية ، فـ « ثمود » معطوفة على « عاد » . وجاء الاسم الموصول « الذين » بجملة صلته نعتًا لها ؛ أي لـ « ثمود » ، وميزة النعت بالاسم الموصول جذب الانتباه إلى جملة الصلة كما أوضحنا .

ونلاحظ هنا مع الاسم الموصول أمرًا ، وهو استخدام « الذين » مع ثمود ، واستخدام « التي » مع عاد . وكان من الممكن أن يكون البديل كما يلي :

م	الجملة كما وردت في الآية	بديلها
أ ـ	عاد ... **التي** لم يُخلق مثلها في البلاد.	عاد ... **الذين** لم يُخلق مثلهم في البلاد.
ب ـ	وثمود **الذين** جابوا الصخر بالواد.	وثمود **التي** جابت الصخر بالواد .



والسؤال الآن : لماذا استخدمت الآيات **التي** مع عاد ولم تستخدم **الذين** ؟ واستخدمت **الذين** مع ثمود ولم تستخدم **التي** ؟

أجتهد في هذا ـ لعلي أصيب أجرين ـ فأقول :

١ـ في استخدام الاسم « التي » إشارة إلى « الأنوثة والفردية العاقلة أو غير العاقلة » وفي استخدام الاسم « الذين » إشارة إلى « الذكورية وإلى الجَمعيَّة العاقلة » . والأنوثة في الحس العربي والاستخدام القرآني مرتبطة بالرفاهية والتنعم واللين والزينة والجمال ، والتعطر ، فنجد مثلا :

- قوله تعالى : ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ الزخرف: ١٨
- ونجد في كنايات العربية قولهم : « امرأة نؤوم الضحى » ؛ أي : أنها مُتْرفةٌ مخَدْومة ، لها مَنْ يَكفيها أمْرَها . وقال امرؤ القيس في معلقته الشهيرة :

ويُضحي فَتِيْتُ المِسكِ فـوقَ فِراشِـها   نَؤُومُ الضُّـحَى لم تَنتَطِـقْ عـن تَفَضُّـلِ

فلعل في استخدام هذا الاسم« التي » إشارة إلى الترف واللين والرفاهية والغنى والزينة والثراء الذي كانت عليه عاد ، وأنهم كانوا مخدومين من الأرقاء والإماء .

أما صفة الذكورية والجمعية فمرتبطة بالقوة والخشونة والتحمل والقسوة ؛ ولعل هذا يناسب « قطع » الصخر وحفره بالحجم الذي يسمح لهم بالسكنى فيه ، فهو لا شك يحتاج إلى قوة وتعاون .

٢ـ في الإشارة إلى الأنوثة إشارة إلى كثرة العدد ، وفي الإشارة بالذكورة إشارة إلى قلة العدد .

٣ـ ولعل حرف « الذال » الموجود في الذين بخصائصه الصوتية : التذبذب والتكرار واحتكاك الهواء يناسب قطع الصخور وتكرار القطع والاحتكاك بها ، وهي صفات لا تتناسب مع حرف التاء في « التي » .

➢ ﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ الفجر: ١٠

تحليلها النحوي : واو العطف + معطوف مجرور + نعت مجرور + مضاف إليه .
والآية وتركيبها مرتبط بالمعطوف عليه « عاد » .

ونلاحظ على هذه الآية وما قبلها أن لدينا ثلاثة معطوفات على الترتيب : أولا عاد ، ثانيًا ثمود ، ثالثًا فرعون .

وقد عَلَّمَنا النظمُ القرآني أنَّ الترتيبَ بين معطوفات حرف العطف الواو لا يكونُ عشوائيًّا بلا هدف ، بل لا بد أن يكون خلف هذا الترتيب هدفٌ ومغزًى ما .



تُرَى ما هو ؟ هل العطف راعى الترتيب التاريخي لهم ؟ أم راعى ترتيب القوة فرتبها من الأشد قوة إلى الأقوى إلى القوية ؟ أم راعى شدة طغيانهم ؟ أم راعى شدة العذاب التي سيلقونه ؟ أعتقد أن :

* الترتيب راعى الوجود التاريخي : فأولا عاد ثم ثمود ثم فرعون ، فعاد أرسل لهم هود ، والوجود التاريخي له ٢٤٥٠ ـ ٢٣٢٠ ق م ، وثانيًا ثمود ورسولهم نبي الله صالح ٢١٥٠ ـ ٢٠٨٠ ق م ، ثالثًا فرعون والرسول الذي أرسل إليه موسى ووجوده التاريخي ١٥٢٧ ق م ـ ١٤٠٧ ق م [(١)] .
* وأعتقد أن الترتيب راعي مقدار القوة : الأشد قوة ثم الأقوى ثم القوية ، ودليل ذلك قوله تعالى عن عاد : ﴿ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ الفجر: ٨
* وأعتقد أن الترتيب راعى مقدار العذاب تصاعديًا من الشديد (عاد) ، إلى الأشد (ثمود) ، إلى الأشد عذابًا (فرعون وأتباعه) ، بدليل قول رب العزة تعالى عن فرعون وقومه : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ غافر: ٤٦ ، فالفراعنة وجنودهم وأتباعهم ـ بنص الآية ـ سيلقون « أشد العذاب » .
* وأشد العذاب الذي أشارت إليه سورة غافر هو جزاء لشدة الطغيان ، فكأن الترتيب راعى أيضًا شدة الطغيان .

➢ ﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ الفجر: ١١

والتحليل النحوي :

نعت اسم موصول +	جملة صلة موصول : جملة فعلية لا محل لها من الإعراب		
	فعل +	فاعل +	جار ومجرور متعلق بالفعل

وأعطى علماء الإعراب لـ « **الذين** » في هذه الآية عدة توجيهات نحوية هي :

- خبر لمبتدإ محذوف تقديره « هم » . [الزَّمَخْشَرِيّ]
- نعت مجرور لعاد وثمود وفرعون أو نعت لفرعون وأتباعه .

(١) يُنظَر : سامي بن عبد الله المغلوث : أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ، مكتبة العبيكان ، الرياض ط٦ ، (٢٠٠٥م) ، ص ٥٠



- النصب على الذم . [الزَّمَخْشَرِيّ]
- بدل من عاد وثمود وفرعون . [إعراب القُرْآن للدعاس]

وتعدد التوجيهات يشير إلى تعدد المعاني :

- فعلى تقدير أنها خبر لمبتدأ محذوف يصبح لدينا « جملة اسمية » هي : « هم الذين طغوا في البلاد » . وهنا نستحضر دلالات الجملة الاسمية التي منها أنها « موضوعة للإخبار بثبوت المسند للمسند إليه ، بلا دلالة على تجدد أو استمرار » ، ومنها الدلالة على التوكيد . وتوظيف هاتين الدلالتين يأخذنا إلى معنى أبعد وهو **أن هؤلاء الثلاثة « عاد ، ثمود ، فرعون » هم النموذج المثالي ـ أو النموذج الأصلي ـ للطغيان على مدار التاريخ ، وكل من بعدهم تبع لهم** . وكل من يسير على خطاهم فهو لا بد لاقٍ مصيرهم .
- وعلى توجيه معنى النعت نحصل على المعنى الآتي :

التعريف الذي قدمه النحاة للنعت أنه : « تابع يُكمل متبوعه بدلالته على معنى فيه أو فيما يتعلق به »[1] . أو هو : « تابع يكمل متبوعه أو سببي المتبوع بمعنى جديد يناسب السياق ويحقق الغرض »[2] .

من خلال هذا التعريف نعلم أن النعت يُكمل متبوعه ؛ أي أن المنعوت تجتمع فيه صفات كثيرة ، والنعت يوضح إحدى هذه الصفات . وعلى ذلك فوصف عاد وثمود وفرعون بالنعت يعنى أن فيهم صفات مذمومة متعددة منها الطغيان . فالنعت هنا أبان عن تعدد الصفات المذمومة ، وفي نفس الوقت أبان عن الذم لها .

وتردد أهل الإعراب في قصر النعت على فرعون وأتباعه فقط ، أم عليه وعلى عاد وثمود دليلٌ على ما بلغه فرعون من الظلم والبغي والطغيان والفساد للدرجة التي قصر فيها أهل الإعراب النعت عليه وحده .

- وعلى توجيه البدل المطابق ، فهذا يعنى أن هذه النماذج هي الطغيان ، والطغيان هو هذه النماذج . فالبدلية تعني هنا أن البدل هو عين المبدل منه .
- وعلى توجيه النصب بتقدير الفعل أذمُّ ، يكون الذين اسم منصوب في محل نصب مفعول به . وعلى هذا التوجيه يكون فاعل الذم هو الله ـ عز وجل ـ أي أن الذم مسندًا إليه ـ سبحانه ـ فهو الذي يذمهم ، وتلك النماذج وعلى رأسها فرعون وأتباعه ومن على شاكلته هم المذمومون .

---

(1) أوضح المسالك لألفية ابن مالك ، ٣/ ٢٧٠

(2) عباس حسن : النحو الوافي ، ٣/ ٤٣٧



وإذا ذمَّ الله الرحيم الرحمن قومًا فلا شك أنهم بلغوا من التجاوز والاعتداء على حدوده المنتهى .

➢ ﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ﴾ الفجر: ١٢

وتحليل هذه الآية :

الفاء حرف عطف	+	معطوف جملة فعلية معطوفة على جملة طغوا
		فعل ماضٍ + فاعل + جار ومجرور متعلق بالفعل + مفعول به

ويهمنا هنا معنى حرف العطف الفاء الذي أشار إليه النحاة ، فهم يذكرون أنَّ معناه « الغالب هو الترتيب بنوعيه : المعنويّ والذّكْرِيّ ، مع التعقيب فيهما ، وإفادة التشريك . والمراد بالترتيب المعنوي : أن يكون زمن تحقق المعنى في المعطوف متأخرًا على زمن تحققه في المعطوف عليه ... والمراد بالترتيب الذّكْرِي : أن يكون وقوع المعطوف بها بعد المعطوف عليه بحسب التحدث عنهما في كلام سابق ، وترتيبهما فيه لا بحسب زمان وقوع المعنى على أحدهما ... **والمراد بالتعقيب : عدم المهلة ـ ويتحقق بقِصَر المدة الزمنية التي تنقضي بين وقوع المعنى على المعطوف عليه ووقوعه على المعطوف** ـ ... وقِصَر الوقت متروك تقديره للعُرف الشائع ؛ إذ لا يمكن تحديد الوقت القصير أو الطويل تحديدًا عامًّا يشمل كل الحالات . فقد يكون الوقت قصيرًا في حالة معينة ، ولكنه يُعَدّ طويلًا في أخرى »(١) .

ويهمنا هنا معنى التعقيب (عدم المهلة) ، فالفاء في الآية تفيد التعقيب ؛ **أي أن الإكثار من الفساد نتيجة مباشرة وسريعة لـ « الطغيان » ، فالطغيان أسرع الطرق للفساد والإفساد** .

ومن خلال تحليل التركيب نلاحظ تقديم « الجار والمجرور : فيها » على المفعول به ، وكان من الممكن أن يكون التركيب « فأكثروا الفساد فيها » ، بالتزام الترتيب الأصلي .

وتعليل هذا أن التقديم مهم للحفاظ على الفاصلة القُرْآنِيَّة ، وفي هذا التقديم جذب الاهتمام للمكان باعتباره ظرف يحدث فيه الفساد ، فالإنسان لا يُفسدُ إلا إذا استقر في مكان ، وكان هناك اجتماع بين البشر ، له نظم وقواعد يعيشون وفقها في هذا المكان ، والإنسان لن يستقر في مكان إلا إذا وجد فيه خيرًا له ، لا في جانب واحد منه بل جوانب متعددة ، إذن فلا فساد بدون مكان به خير أو خيور كثيرة .

---

(١) عباس حسن : النحو الوافي ، ٣/ ٥٧٣ ، ٥٧٤

➢ ﴿ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴾ الفجر: ١٣ وتحليلها :

الفاء	معطوف جملة فعلية											
حرف عطف	+	فعل ماضٍ	+	جار ومجرور متعلق بصب	+	فاعل مرفوع	+	مضاف إليه	+	مفعول به	+	مضاف إليه

ونلاحظ بداية هذه الآية بحرف العطف الفاء ، للدلالة على الترتيب والتعقيب ، وفي ذلك إشارة إلى سرعة عقاب الله على الفساد المترتب على الطغيان .

ونلاحظ تقديم الجار والمجرور على الفاعل والمفعول ، وهذا التقديم للدلالة على اختصاص قوم عاد وثمود وفرعون بالعذاب ، وللدلالة على مدى جُرْمِهم الذي بلغ مُنتهاه ، والدلالة على غضب الله العظيم .

➢ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴾ الفجر: ١٤ والتحليل :

حرف ناسخ إنَّ المكسورة	+	اسمها مضاف ومضاف إليه	+	خبر(١)					
				اللام المزحلقة	+	حرف جر	+	اسم مجرور	

في هذا التحليل نجد الآية عبارة عن « جملة » تحمل عددًا من المؤكدات التي تخدم السياق التي وردت فيه ، هذه المؤكدات :

(١) الآية في أصلها جملة اسمية ، والجملة الاسمية تدل على الثبات والدوام والاستمرارية . **وهذا الثبات الذي تحمله الجملة الاسمية فيه تهديد لكفار مكة ، وإيحاء بإمكانية التكرار معهم ، فهم مقارنة بعاد أو ثمود أو فرعون لا يسوون شيئًا .**

(٢) الجملة الاسمية ـ مع إفادتها الثبات ـ مؤكدة بـ « إِنَّ » و « اللام المزحلقة » ، وهذا النوع من التوكيد يأتي مع الخبر الإنكاري .

(٣) استخدام حرف الجر : الباء ، ومعنى الإلصاق الذي يفيده .

(٤) استخدام الوزن « مفعال » في غير ما هو مألوف من استخدامه ، كما أشرنا من قبل .

وأشار عدد من علماء الإعراب إلى الموقع الإعرابي للآية ، فذكروا أنها :

❋ لا محل لها ؛ لأنها تعليلية .

❋ لا محل لها ؛ جملة مستأنفة .

---

(١) أخذنا بالرأي الذي يقول إن الجار والمجرور هو الخبر ، وليس متعلق بمحذوف . يُنظَر : النحو المُصَفَّى ، ص ٢١٢



* لا محل لها ؛ لأنها جملة جواب القسم .

وهذه الآية أو هذه الجملة الاسمية التي لا ترتبط بما قبلها نحويًّا وبدلالتها على الثبات والدوام. تجعلنا نشعر وكأننا في الموقف الآتي : ساحة حساب وقضاء ، وهناك ملك قوي عزيز ، وهناك مذنبون متهمون بعدة قضايا ، وعرضت هذه القضايا ، وصدر الحكم وحيثياته على المتهمين وتم التنفيذ العادل والناجز ، ثم كان التعليق النهائي من الملك العزيز ، لا أحد يستطيع الفرار من قبضة هذا الملك ، فهو بالمرصاد لكل من يخالف أمره .

أو كأن الآية تجيب على سؤال : لماذا يهلك ربك الظلمة ؟ والإجابة : لأنهم يفسدون في الأرض ؛ لذلك اقتضت حكمته وتعلقت مشيئته وإرادته ـ سبحانه رب العزة ـ إهلاكهم ؛ لذلك فهو بالمرصاد لكل ظالم .

***

نلاحظ أن الآيات محل الدراسة البلاغية (٦ـ ١٣) من سورة الفجر عبارة عن « جملة طويلة » ، يمكن أن نلخصها في الآتي :

٦		٧		٨	٩		١٠		١١	١٢	١٣
همزة استفهام +	جملة فعلية +	بدل +	نعت ١ +	نعت ٢ +	حرف عطف + معطوف ١ +	نعت ٣ +	حرف عطف + معطوف ٢ +	نعت ٤ +	نعت ٥ +	حرف عطف + معطوف ٣	حرف عطف + معطوف ٤

ونرصد في هذه الجملة الطويلة عناصر إسنادية في الجملة الفِعْلِيَّة (الآية ٦) وعناصر غير إسنادية : بدل ، وخمسة نعوت ، وأربعة معطوفات .

ولا شك أن هذه الإطالة فيها نوع من الإطناب ، الإطنابُ الذي يسميه علماء البلاغة إطناب الإيضاح[1] . وعلى الرغم من أن الآية مكية ، فهذا الإطناب يحتاجه

(١) قال د. أحمد مطلوب في معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١/ ٢٢٨ عن هذا المصطلح: **يأتي إطناب الإيضاح بعد الإبهام لتمكين المعنى في النفس فضل تمكن** ، فإن المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوفت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح ؛ فتتوجه إلى ما يَرِدُ بعد ذلك ؛ فإذا ألقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن ، وكان شعورها به أتم ، أو لتكمل اللذة بالعلم به ؛ فإن الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة واحدة لم يتقدم حصول اللذة به أَلَمٌ ، وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه ؛ تشوفت النفس إلى العلم بالمجهول ؛ فيحصل لها بسبب المعلوم لذة ، وبسبب حرمانها عن الباقي ألم ، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت له لذة أخرى ، واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم . **أو يُؤتى به لتفخيم الأمر وتعظيمه**.

السياق ، فالمقام مقام إبراز لقدرة الله ، ومقام إقناع ، إقناع أهل مكة بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي أرسل إليهم ، ومقام حِجَاج ، ومقام إلانة للقلوب ؛ فكان لا بد من الإطناب وإطالة الجملة .

والآيات كما هو واضح تامة الترابط فيما بينها بروابط البدل والنعت والعطف . ولم تنفصل عن هذه الآيات سوى الآية ١٤ ، التي أتت مستقلة من حيث اللفظ لتكون بمثابة تعليق على ما سبقها من آيات .

الصُّوَرُ والألوان البَيَانِيَّة :

توجد في الآيات عدد من الألوان البيانية :

- قوله تعالى « ذات العماد » ، كناية عن موصوف : ضخامة البدن وطوله ، و جمال الكناية أنها أبلغ من الإفصاح والتعريض ، وأوقع في النفس من التصريح ، وأنها تأتي بالمعنى مصحوبة بالدليل .
- قوله تعالى « فصب عليهم ربك سوط عذاب » : استعارة مكنية ، فقد استعمل الصب ، وهو خاص بالماء ، « والتعبير عن إنزالة بالصب للإيذان بكثرته واستمراره وتتابعه فإنه عبارة عن إراقة شيء مائع أو جار مجراه في السيلان كالرمل والحبوب وإفراغه بشدة وكثرة واستمرار »[١] .
- واستعار السوط للعذاب ؛ لأنه يقتضي من التكرار والتردد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره .
- قوله : « إن ربك لبالمرصاد » : استعارة تمثيلية سبق أن أوضحناها .

المَعَاني اللطِيفَةُ والآدَابُ الحَسَنَةُ :

مما ذكره الإمام الآمِدِيُّ في تعريفه للبلاغة ـ كما أشرنا من قبل ـ أنه إذا اتفق مع إصابة المعنى وإدراك الغرض والألفاظ السهلة العذبة **حكمةٌ غريبةٌ وأدبٌ حسن زاد بهاء الكلام** . وأحِبُّ هنا أَن أقف على بعض الحكم والآداب الحسنة التي في هذه الآيات التي تُزيدُ من بهاء الكلام وبلاغته :

أ- أشارت الآيات إلى أَنَّ هناك علاقةً بين « الطُّغيان » وبين « الفَسَاد » ، فالعلاقة بينهما متلازمة مترابطة ، وأبان عن هذه العلاقة عدد من المفسرين ، أختار منهم اثنين : صاحب الظلال ، والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير :

قال صاحبُ الظِّلال : « ... **وليس وراء الطُّغيان إلا الفَسَادُ ، فالطغيان يُفْسِد الطاغية ويُفسد الذين يقع عليهم الطُّغيان سواء ، كما يُفْسِدُ العلاقات والارتباطات في كل**

(١) أبو السعود العَمادي : إرشاد العقل السليم ، ٩/ ١٥٥



جوانب الحياة ، ويُحَوِّلُ الحياةَ عن خَطِّها السليم النظيف المُعَمِّر الباني ، إلى خط آخر لا تستقيم معه خلافة الإنسان في الأرض بحال ... إنَّهُ يجعل الطاغية أسير هواه ؛ لأَنَّهُ لا يَفِئ إلى ميزان ثابت ، ولا يَقِفُ عند حد ظاهر ، فيفسد هو أول من يفسدُ ؛ ويتخذ له مكانًا في الأرض غير مكان العبد المستخلف ؛ وكذلك قال فرعون : ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ عندما أفسده طغيانه ؛ فتجاوز به مكان العبد المخلوق ، وتطاول به إلى هذا الادعاء المقبوح ، وهو فساد أي فساد .

ثم هو يجعل الجماهير أرقاء أذلاء ، مع السخط الدَّفين والحقد الكظيم ؛ فتتعَطَّل فيهم **مشاعر الكرامة الإنسانية ، وملكات الابتكار المتحررة التي لا تنمو في غير جو الحرية . والنفس التي تُسْتَذَلُّ تأسَن وتتعفن ، وتصبح مَرتَعًا لديدان الشهوات الهابطة والغرائز المريضة . وميدانًا للانحرافات مع انطماس البصيرة والإدراك ، وفقدان الأريحية والهمة والتطلع والارتفاع** ، وهو فسادٌ أي فساد ...

ثم هو يحطِّمُ الموازين والقيم والتصورات المستقيمة ؛ لأنها خطر على الطغاة والطُّغيان ؛ فلا بد من تزييف للقيم ، وتزوير في الموازين ، وتحريف للتصورات كي تُقبَل صورة البغي البشعة، وتراها مقبولة مستساغة ، وهو فساد أي فساد »[(١)] .

وفي تفسير الطاهر بن عاشور نجد إيضاحًا لهذه العلاقة من زاوية أخرى فيقول : « الطُّغْيَانُ يجرِّئُ صاحبه على دَحْضِ حقوق الناس ، **فهو من جهة يكون قدوة سوء لأمثاله وملئه ، فكل واحد منهم يطغى على من هو دونه، وذلك فساد عظيم ؛ لأن به اختلال الشرائع الإلهية والقوانين الوضعية الصالحة. وهو من جهة أخرى يثير الحَفَائِظَ والضغائن في المُطْغِيِّ عليه من الرَّعِيَّة ؛ فيضمرون السُّوءَ للطاغين وتنطوي نفوسهم على كراهية ولاة** الأمور وَتَرَبُّصِ الدوائر بها فيكونون لها أعداء غير مُخْلِصِي الضمائر ويكون رجال الدولة مُتَوَجِّسِينَ منهم خِيفَةً فيظنون بهم السوء في كل حال وَيَحْذَرُونَهُمْ فَتَتَوَزَّعُ قوة الأمة على أفرادها عِوَضَ أن تتحد على أعدائها ؛ فتصبح للأمة أعداء في الخارج وأعداء في الداخل وذلك يفضي إلى فساد عظيم، فلا جرم كان الطغيان سببا لكثرة الفساد »[(٢)] .

ب- الطُّغيان والفسادُ يَستجلبان التطهير الإلهي ، « فلما أكثروا في الأرض الفساد ؛ كان العلاج هو تطهير وجه الأرض من الفساد : ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾

(١) الظلال ، ص٣٩٠٤

(٢) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ط١ ، (١٩٨٤م) ، ٣٢١/٣٠



﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ ، فربك راصد لهم ومسجل لأعمالهم ؛ فلما أن كثر الفساد وزاد صَبَّ عليهم سوط عذاب ، وهو تعبير يوحي بلذع العذاب حين يُذكَر السوط ، وبفيضه وغمره حين يذكر الصب . حيث يجتمع الألم اللاذع والغَمرة الطاغية، على الطغاة الذين طغوا في البلاد ؛ فأكثروا فيها الفساد »[١] .

ت- التاريخ مصدر للعظة والاعتبار وينبغي دراسته والاهتمام به والتعلم من حوادثه.

ث- لا يكفي الكلام المرسل لتأييد الفكرة ، بل لا بد من تقديم الأدلة التي تثبتها ، ويا حبذا لو تعددت هذه الأدلة ، فالقرآن ـ في التدليل على قدرة الخالق الجبار ـ استشهد بثلاثة وقائع تاريخية : عاد ، ثمود ، فرعون.

ج- كل إنسان مسئول عن عمله ، لديه الإرادة والحرية على ما يقوم به .

ح- القوة غير المقيدة بالقواعد الربانية قد تُغري أحيانًا بالطغيان .

خ- استحضار ما هو معلوم عند الناس ولديهم به معرفة وخبرة ، والبناء عليه يفيد في العملية التعليمية والوصول إلى الهدف المنشود .

د- للعذاب الرباني صور متعددة ، منها : الإغراق ، الريح الصرصر العاتية ، الصاعقة من السماء . ولا يمنع أن يكون منها : غلاء الأسعار، العطش وجفاف الماء ، ضيق ذات اليد ، الفقر ، الاكتئاب ، المذلة والإهانة بين الأمم ...

ذ- كان قوم عاد يُضرب بهم المثل في الحِلْم والعقل ، قال الطاهر بن عاشور[٢] : والعرب تضرب المثل بعاد في أصالة آرائهم؛ فيقولون أحلام عاد ، قال النَّابِغَةُ :

أَحْلَامُ عَادٍ وَأَجْسَامٌ مُطَهَّرَةٌ ... مِنَ الْمَعَقَّةِ وَالْآفَاتِ وَالْإِثَمِ

ومع ذلك لم يمنعهم حلمهم ولا عقلهم من الطغيان والإفساد . إذن نستنتج أن العقل بمفرده بدون الهداية الربانية قد يضل وينحرف ويجلب الشقاء على نفسه .

ر- سنن الله ثابتة لا تُجاملُ أحدًا ، فهي ثابتة مع فرعون وغيره .

ز- الفراعنة وأتباعهم وجنودهم هم أشد الناس عذابا بدليل ما سبق أن قلناه .

فَصَاحَةُ الجُمْلَة :

لا نحتاج إلى التنبيه على فصاحة القُرْآن ، وأننا نأخذ معايير الفصاحة والسلامة اللغوية منه ، فهو القمة في الخلو من تنافر الكلمات والتعقيد والخلو من التكرار ، وفصاحة الألفاظ .

(١) السابق ، ص ٣٩٠٤

(٢) التحرير والتنوير ٢٤/ ٢٥٧



أَوْجُه المُطَابَقَةِ بين المَقَام وبِناء الجُمْلَة :

أهل مكة هم المخاطبون الأساسيون ، والحالة النفسية لأهل مكة هي أنهم قومٌ متكبرون ، محبون للزعامة ، متشبعون بالخيلاء والكبرياء ، يعبدون أوثانًا ، يعظمونها ويجلونها ، وهم فوق ذلك : أهل فصاحة وبيان .

وهدف الآيات أو هدف الحوار إقناع أهل مكة بالتخلي عن عبادتهم للأوثان التي يعبدونها ، والإذعان لله ولرسوله .

هذا هو مسرح الحدث اللغوي للآيات أو المقام والسياق ، وهو يقتضي حوارًا عقليًّا قائمًا على إثارة الذهن ، وتقديم الحجج والبراهين القاطعة على خطأ ما هم عليه من عبادة الأوثان ، وتركهم عبادة الله .

ولطبيعة هذا المسرح بدأت الآيات بـ « استفهام تقريري » يثير الذهن ، ويحثه على الوقوف على مضمونه . ثم تتابعت الآيات من ٧إلى ١٣ على هيئة مجموعة من التوابع: بدل ، و٥ نعوت ، و٤ معطوفات ، مرتبطة بالجار والمجرور الموجود في جملة الاستفهام . والآيات من ٦ إلى ١٤ تبدو بهذا الشكل وكأنها كتلة واحدة ، جملة واحدة طويلة .

ومن خلال المعطوفات في الآيات تم الحديث عن نماذج تاريخية : عاد ، ثمود ، فرعون ، معروفة لدى العرب ، مشهورة بينهم . والنعوت التي احتوتها الآيات نعتت هذه النماذج التاريخية . ومعظم هذه النعوت كانت بالأسماء الموصولة التي تسمح بمساحة أوسع من التعبير والإطناب من خلال جُمَل الصلة ، هذه المساحة التعبيرية الواسعة الممتدة مهمة للوصول إلى الإقناع المطلوب ، ومن خلال جُمَل الصلة التي أعطت هذا الإطناب أُكِّدَ المعنى المراد ـ إبراز قدرة الله ، وطلاقة قدرته على هلاك أي أحد ـ ، وأرسل رسالة تهديد لأهل مكة ، ووجه نظرهم لمضامين هذه الجمل الموصولية التي لا محل لها من الإعراب .

وبعد هذه التراكيب أتت جملة استئنافية اسمية مؤكدة بعدة مؤكدات تعلق على ما سبقها من الآيات ، تؤكد القدرة الإلهية المطلقة لرب العزة ـ عز وجل ـ وترسخ شمولية هذه القدرة ؛ ليكون هذا أوقع في نفوس المخاطبين .

*****

النموذج الثاني :

قال تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾ النساء: ١٠

اخترت هذا النموذج بعد أن نقلَتْ إلينا بعض وسائل الإعلام أن أحد مسئولي دار الأيتام كان يضرب الأطفال اليتامى لديه بالعصا ويركلهم بقدمه ، مع إجاعتهم ومنعهم حقوقهم ؛ فتأثرت كثيرًا بهذا الخبر ، وعلى إثر هذا التأثر اخترت هذه الآية الآية العاشرة من سورة النساء التي تتحدث عن الأيتام ومصير من يعتدي على حقوقهم ويأكل أموالهم. فلنعش مع الآية ونرى ما فيها من بلاغة من خلال خطواتنا المَنْهَجِيَّة .

❊ **المرحلة الأولى السياق والمقام والمعنى** :

(١) **السورة مَدَنِيَّة** :

سبق أن أشرنا إلى أَهَمِّيَّة تحديد السياق المكي والمدني ، وَأَهَمِّيَّة هذا التحديد في تحديد المقام الذي تُقال فيه الآية .

خصائص القُرْآن المَدَنِيِّ :

سبق أن أشرنا إلى خصائص القرآني المكي ، وأفادنا هذا في تحليل آيات سورة الفجر . وهنا نشير إلى بعض خصائص القُرْآن المدني التي أشار إليها العلماء .

وقد لحظ العلماء أنَّ للقرآن المدني خصائص قطعية ، منها : « أن كل سورة فيها إذن بالجهاد أو ذكر له وبيان لأحكامه فهي مدنية. وأن كل سورة فيها تفاصيل لأحكام الحدود والفرائض والحقوق والقوانين المدنية والاجتماعية والدولية فهي مدنية ... » .

وهناك أمارات غالبة ، هي :

(١) طول أكثر سوره وبعض آياته وإطنابها وأسلوبها التشريعي الهادئ.

(٢) تفصيل البراهين والأدلة على الحقائق الدينية[١] .

وهذه الخصائص « سواء أكانت قطعية أم أغلبية ، تصور الخطى الحكيمة المتدرجة التي كان يخطوها الإسلام في تشريعه : فخطاب أهل المدينة لا يمكن أن يكون مماثلا لخطاب أهل مكة ؛ لأن البيئة الجديدة في المدينة أصبحت تستدعي التفصيل في التشريع ، وفي بناء المجتمع الجديد . **فكان لا بد أن يطنب القُرْآن بعد الإيجاز ، ويفصل بعد الإجمال ، ويراعي حال المخاطبين في كل آياته وسوره ......**

(١) د. صبحي الصالح : مباحث في علوم القُرْآن ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٠ ، (١٩٧٧م) ، ص ١٨٣



أما المدينة فكان فيها بعد الهجرة ثلاثة أصناف من الناس : المؤمنون من مهاجرين وأنصار، ثم المنافقون ، ثم اليهود . أما اليهود فجادلهم القُرْآن ودعاهم إلى كلمة سواء ، وأما المنافقون ففضحهم وكشف مساوئهم ، وأما المؤمنون فشجعهم ـ من ناحية ـ على المضي في الصراط المستقيم ، وشرع لهم ـ من ناحية ثانية ـ ما يتعلق بالسلم والحرب ، وبحياة الفرد والمجموع ، وبالسياسة والاقتصاد . هذه الزكاة مثلا لا معنى لفرضها في مكة والقوم فقراء مضطهدون . وتلك صلاة الخوف التي لا تكون إلا في الحرب لا يمكن أن تشرع في مكة ؛ لأن المؤمنين لم يؤذن لهم بالقتال إلافي المدينة ، وقد خلت السورة المكية خلوًا تامًّا من ذكر الجهاد وكل ما يتعلق بالحرب »[1] .

في المجتمع المدني تغيَّرت الظروف والأحوال ، وتغيَّر المخاطبون ، ففي مكة كان المخاطبون أهل مكة المتكبرين المتجبرين المعاندين ، أما في المدينة فكان المخاطبون طوائف متعددة : المؤمنين ، اليهود ، المنافقين . وخطاب كل طائفة يقتضي خطابًا معينًا بطريقة معينة .

(٢) **جَوُّ السُّورة ومَوْضُوعَاتها** :

بداية نحب أن نُثبتَ تلك الإشارة التي نَصَّ عليها صاحب الظلال في تفسيره ، وهي إشارة أَحسَبُ أَنَّهُ من المفيد أَنْ نَظِلَّ منها على ذُكْرٍ في كل تحليلاتنا الآتية .

وقد سبق أن أشرت إليها ، وأعيدها هنا لأهميتها ، وهي أنه : « لكل سورة من سور القُرْآن شخصيتها الخاصة ، وملامحها المميِّزة ، ومحورها الذي تشدُّ إليه موضوعاتها جميعًا ... ومن مقتضيات الشخصية الخاصة أنْ تتجمع الموضوعات في كل سورة وتتناسق حول محورها في نظام خاص بها ، تبرز فيه ملامحها ، وتتميز به شخصيتها ، كالكائن الحي المميز السمات والملامح ، وهو ـ مع هذا ـ واحد من جنسه على العموم »[2] .

فلكل سورةٍ شخصيةٌ مميزةٌ ومحورٌ يَشُدُّ إليه كل الموضوعات التي تتناولها تلك السورة .

والآية التي نهدف لتحليلها بَلاغِيًّا من سورة النساء ، والمحور الأساسي الذي تُعالجه السورة « محو الرواسب الجاهلية » من المجتمع الإسلامي وصيانته وحمايته ، وإقامته على المَنْهَج الرَّبَّاني .

(١) السابق ، ص ١٨٤

(٢) في ظلال القُرْآن ، ١/ ٥٥٥



لقد حمل المجتمع الإسلاميُّ كثيرًا من رواسب الجاهلية التي كانت مُتَجَذِّرة في المجتمع الجاهلي ، وينالنا الدهش لعمق هذه الرواسب وصلابتها في المجتمع الإسلامي في تلك الفترة ، على الرغم من مرور فترة طويلة نسبيًّا من الوحي .

يصور صاحب الظلال هذه الرواسب بقوله : « إِنَّنا نجدُ مُجْتَمَعًا تُؤْكَلُ فيه حقوق الأيتام ـ وبخاصة اليتيمات ـ في حجور الأهل والأولياء والأوصياء ، ويُستبدَلُ الخبيثُ منها بالطيب ، ويعمل فيها بالإسراف والطمع ، خيفة أن يكبر اليتامى فيستردوها ! وتُحْبَسُ فيه الصغيرات من ذوات المال ؛ ليتخذهن الأولياء زوجات ؛ طمعًا في مالهن ، لا رغبة فيهن ...

ونجد مُجْتَمَعًا يُجَار فيه على الصغار والضعاف والنساء ؛ فلا يُسَلَّم لهم فيه بنصيبهم الحقيقي من الميراث . إنَّما يستأثر فيه بمعظم التركة الرجال الأقوياء، القادرون على حمل السلاح ؛ ولا ينال الضعاف فيه إلا الفتات . وهذا الفتات الذي تناله اليتيمات الصغيرات والنسوة الكبيرات، هو الذي يحتجزن من أجله، ويحبسن على الأطفال من الذكور ، أو على الشيوخ من الأولياء ؛ كي لا يخرج المال بعيدًا ولا يَذهب في الغرباء !

ونجد مُجْتَمَعًا يضع المرأة موضعًا غير كريم ، ويُعامِلُها بالعسف والجور . في كل أدوار حياتها ، يحرمها الميراث ـ كما قلنا ـ أو يحبسها لما ينالها منه ، ويورثها للرجل كما يورثه المتاع ! ...

ونجد مُجْتَمَعًا تضطرب فيه قواعدُ الأسرة بسبب هبوط مركز المرأة فيه ، علاوة على اضطراب قواعد التبني والولاء ، واصطدامها مع قواعد القرابة والنسب ، فوق ما فيه من فوضى في العلاقات الجنسية والعائلية ، حيث تروج اتصالات السفاح والمخادنة .

ونجد مُجْتَمَعًا تُؤكل فيه الأموال بالباطل في المعاملات الربوية ، وتُغْتَصَبُ فيه الحقوق ، وتُجْحَدُ فيه الأمانات ، وتكثر فيه الغارات على الأموال والأرواح ، ويقل فيه العدل ؛ فلا يناله إلا الأقوياء . كما لا تُنفق فيه الأموال إلا رئاء الناس ؛ اجتلابًا للمفاخر ، ولا ينال الضعاف المحاويج فيه من هذا الإنفاق ما ينال الأقوياء الأغنياء! وليست هذه سوى بعض ملامح الجاهلية ـ وهي التي تصدت لها هذه السورة »[1] .

---

(١) الظلال ، ١/ ٥٥٧ـ٥٥٨



إن هدفَ السورةِ وما بها من توجيهات العملُ على محو رواسب المجتمع الجاهلي الذي منه التقطت المجموعة المسلمة ، ونبذ هذه الرواسب ، وتكييف ملامح المجتمع المسلم وتطهيره من تلك الرواسب وجلاء شخصيته الخاصة .

(٣) **مُنَاسَبَاتُ السُّورَة :**

أ- **مناسبة سورة النساء لما قبلها :**

وتتناسب سورة النساء وما قبلها من سورتي البقرة وآل عمران ، حيث إن « مقصودها الاجتماع على التوحيد الذي هَدَتْ إليه آل عمران ، والكتاب الذي حَدت عليه البقرة لأجل الدين الذي جمعته الفاتحة ... ولما كان مقصودها الاجتماع على ما دعت إليه السورتان قبلها من التوحيد ، وكان السببُ الأعظم في الاجتماع والتواصل عادة الأرحام العاطفة التي مدارها النساء سميت « النساء » لذلك ؛ ولأن بالاتقاء فيهن تتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد »[١] .

ب- **مناسبة الآية العاشرة من سورة النساء لما قبلها :**

والآية مدار تحليلنا البَلاغِيّ هي الآية العاشرة ، ويسبقها قوله تعالى:﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا** ﴾ النساء: ٩ ، ومعناها ـ كما نقل الإمام ابن كثيرٍ وغيره ـ عن ابن عَبَّاس : « هذا في الرجل يحضره الموت ، فيسمعه رجل يوصي بوصية تضر بورثته ، فأمر الله ـ تَعَالَى ـ الذي يسمعه أن يتقي الله ، ويوقفه ويسدده للصواب . فينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع بورثته إذا خشي عليهم الضيعة ، وهكذا قال مجاهد وغير واحد » .

ولما كانت هذه الآية تتكلم بما فيه مصلحة لـ « الذرية الضِّعَاف » ـ خاصةً اليتامى ـ ناسب أن تأتي الآية العاشرة لتنبه بعذاب السعير كلَّ من تُسولُ له نفسه الاقتراب من مال اليتامى ، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴾ . قال الإمام الرازي في تفسير هذه الآية : « اعلم أنه ـ تَعَالَى ـ أكد الوعيد في أكل مال اليتيم ظلمًا، وَقَدْ كثر الوعيد في هذه الآيات مرة بعد أخرى على من يفعل ذلك، كقوله: ﴿ **وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا**

(١) البقاعي : نظم الدرر ، ٥/ ١٦٩



أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾ النساء: ٢ ، ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا﴾ النساء: ٩ ، ثم ذكر بعدها هذه الآية مفردة (الآية ١٠) في وعيد من يأكل أموالهم ، وذلك كله رحمة من الله تَعَالَى باليتامى ؛ لأنهم لكمال ضعفهم وعجزهم استحقوا من الله مزيد العناية والكرامة ، وما أشد دلالة هذا الوعيد على سعة رحمته وكثرة عفوه وفضله ؛ لأن اليتامى لما بلغوا في الضعف إلى الغاية القصوى بلغت عناية الله بهم إلى الغاية القصوى »[1] .

ت- مناسبة الآية العاشرة من سورة النساء لما بعدها :

لما تم الحديث عن اليتامى وخطورة التعدي على أموالهم ؛ تشوفت النفوس إلى تنظيم الأمور المالية بعد الوفاة بشكل عام ، وبادرت الآية الحادية عشرة « إلى بيان مقادير الاستحقاق بالإرث لكل واحد ، وكان قد تم ذكر استحقاق الرجال والنساء من غير تقييد يتيم ؛ فاقتضت البلاغة بيان أصول جميع المواريث ، وشفاء العليل بإيضاح أمرها »[2] .

(٤) **السِّيَاقُ الخَاصُّ للآيَةِ (سَبَبُ نُزولِ الآيَة) :**

ويُقال إنَّ للآية سببَ نزول ، حيثُ أشار القرطبيُّ إلى هذا السبب بصيغة التمريض « رُوِيَ » ؛ فقال : « رُوِيَ أَنَّها نزلت في رَجُلٍ من غَطَفَان يُقالُ له مِرْثَد بن زيد ، وَلِيَ مالَ ابنِ أخيه وهو يتيم صغير ؛ فأكله ؛ فأنزل الله ـ تَعَالَى ـ فيه هذه الآية »[3] .

(٥) **مَعْنَى الآية:**

جاء في تفسير المنار في معنى هذه الآية : « ... ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ ؛ أي : ظالمين في أكلها ، أو أكلا على سبيل الظلم وهضم الحق ، لا أكلا بالمعروف عند الحاجة ، أو اقتراضًا، أو تقديرًا لأجرة العمل ـ كما أذن الله للفقير في آية سابقة، وكما أباحت الشريعة بدلائل أخرى ـ ﴿إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ﴾ ؛ أي: ملء بطونهم ، فقد شاع هذا الاستعمال في الظرفية ، كأن الأصل فيها أن يكون المظروف مالئا للظرف . ويصح أن يكون ذكر البطون للتأكيد ، وتمثيل الواقع بكمال هيئته ... ﴿نَارٗاۖ﴾ ؛ أي : ما هو سبب لعذاب النار أو ما يشبه النار في ضررها. وروي

(١) مفاتيح الغيب ، دار الفكر ، ٩/ ٢٠٧

(٢) البقاعي : نظم الدرر ، ٥/ ٢٠٣

(٣) الجامع لأحكام القُرْآن : ت : د. عبد الله التركي ، مؤسسة الرسالة ، الرياض ، ط١ ، (٢٠٠٦م) ، ٦/ ٩٠



أن أفواههم تملأ يوم القيامة جمرا ... **وقد جعل بعض المفسرين هذا تفسيرا للآية بجعل أكل النار حقيقة لا مجازًا** » .

ونلاحظ من خلال سياق الآية خروج معنى الفعل « أكل » عن معناه اللغوي المعجمي ـ معنى المضغ والبلع ـ إلى معنى آخر هو معنى « الأخذ والاغتصاب » ، على سبيل المجاز ، قال الزَّمَخْشَرِيّ في أساس البلاغة : « ومن المجاز: فلان أكل غنمي وشربها، وأكل مالي وشربه » . ومن يتتبع هذا اللفظ في القُرْآن يجد أنه قَدْ ورد ما يَقرُب من ١٠٩ مرة ، منها حوالي ٨٩ مرة بالمعنى اللغوي المعجمي المضغ والبلع . ومنها ١٩ مرة بالمعنى المجازي « أخذ بدون وجه حق » مع المال أو ما يتعلق به : الربا، التراث (الميراث) . والملاحظة الدلالية لسياق هذه التسع عشرة آيةً هي أنها أتت في سياق الحديث عن أمور لا يرضى الله عنها ، أو في سياق تهديد أو تحذير .

وعلى هذا نخرج من هذا التتبع السياقي أن اللفظ « أكل » إذا جاء بمعنى « أخذ » فإنه يرتبط دلاليًّا في القُرْآن بـ : المال الذي يُؤخَذُ بدون وجه حق ، وفي سياق لا يرضى الله ـ تَعَالَى ـ عنه .

وخروج معنى النار عن معناه المعروف إلى معنى « الحرام » .

التوجيهات الإِعْرابيَّة وبيان المعنى مع كل توجيه :

أشارت كتب إعراب القُرْآن أن كلمة « ظلمًا » يمكن تأخذ الإعرابات الآتية : « مَفْعُوْل لأجله ، حال ، مَفْعُوْل مطلق لبيان نوع الأكل ؛ أي : أكل ظلم »[(١)] ، فما دور هذه الإعرابات في الإثراء البَلاغِيّ والدلالي للجملة القُرْآنِيَّة التي تحوي هذا اللفظ ؟

⇦ باعتبار المفعول لأجله :

يُعرِّفُ النحاةُ المفعول لأجله بأنه « كل مصدر قلبي ذُكِرَ عِلَّةً لحدث سابق ، واتَّحَدَ مع هذا الحدثِ في الزمان والفاعل »[(٢)] . وكما هو واضحٌ في التعريف فمن شروطه أن يكون هذا المصدر قلبِيًّا ؛ أي : دالًا على معنى من المعاني القلبية لا الحسية من أفعال النفس الباطنة .

في ضوء هذا التعريف يكون معنى الآية : إن الذين يأكلون أموال اليتامى لأجل سبب وعلة نفسية باطنة وهي الظلم ـ إنما يأكلون في بطونهم نارًا . وفي اللحظة التي يأكل فيها أوصياء اليتامى أموالهم يقعون في هذا الظلم .

(١) محيي الدين الدرويش : إعراب القُرْآن ، ٢/ ١٦٧

(٢) د. مُحَمَّد عيد : النَّحْو المُصَفَّى ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، (بدون بيانات أخرى) ، ص ٤٤٤



في ضوء هذا التوجيه هل يُفهم من الآية أن بعض أوصياء اليتامى قَدْ **يتعمدون** ويُضْمِرُون في أنفسهم ويعزمون بينهم وبين أنفسهم أكل مال اليتيم **لأجل الظلم** ؟

الإجابة نعم ، فقد يتعمد بعض الأوصياء « أكل » مال اليتيم ، متجاوزين الحد معه قبل بلوغه ، ومصداق ذلك قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟﴾ النساء: ٦ ، وينقل الإمام الطبري تفسير ابن عَبَّاس عليها قائلا : « عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ يعني: **أكل مال اليتيم مبادرًا أن يبلغ فيحول بينه وبين ماله** ».

وكأن الآية بهذا التوجيه تميط اللثام عن طائفة من البشر وصل بهم الانحطاط والفجور وخراب الذمم للدرجة التي يأكلون فيها مال إنسان ما زال نبتة صغيرة لا حول لها ولا قوة ، وقد نُقل لي عن بعض من يعملون في سلك القضاء والمحاماة أنه رأى ذلك بأم عينيه .

⇦ باعتبار الحال :

الحال كما يُعَرِّفه النُّحاةُ « يُبَيِّنُ هيئة ما قبله من فاعل أو مَفْعُوْل به أو منهما معًا أو من غيرهما وقت الفعل » .

وبهذا التعريف يكون معنى الآية : إن الذين يأكلون أموال اليتامى متلبسين بهيئة الظالمين وشكلهم وصورتهم إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا . وهل للظالم هيئة يُعرَفُ بها ؟ الإجابة : نعم . فالمؤمن الخاشع له هيئة يُعرف بها وللظالم الخبيث الطوية هيئة يُعرفُ بها ، لا تخطئها العين .

ولماذا يلجأ آكل مال اليتيم إلى أكل مال اليتامى وهو في هيئة الظالمين ؟

قد تكون الإجابة :لإظهار جبروته وقوته وسيطرته وذكائه وتعاليه ، واستصغارًا لأمر اليتامى وإهمال شأنهم أو لإخافتهم وإرعابهم ؛ فلا يطالبونه بشيء.

⇦ باعتباره مَفْعُوْل مطلق لبيان نوع الأكل :

أي أكل ظلم . وفي باب المفعول المطلق قَدْ يكون الغرض من المصدر المنصوب أمرين متلازمين معًا « توكيد معنى عامله المذكور وبيان نوعه ، ويكون بيان النوع هو الأهم »[(١)] .

---

(١) عباس حسن : النَّحْو الوافي ، ٢/ ٢٠٨



وبناء عليه يكون معنى الآية : إن الذين يأخذون أموال اليتامى ويأكلونها الأكل الذي فيه ظلم لهم ؛ إنما يأكلون في بطونهم نارًا ، وسيصلون سعيرًا . ونشعر في هذا التوجيه أن أوصياء اليتيم يتعمدون ويدبرون ويخططون ويرسمون الطرق التي يتمكنون بها من أكل مال اليتيم .

إذن لقد استطاعت لفظة قرآنية واحدة « ظلمًا » أن تعبر عن :

- الجانب النفسي الداخلي (المفعول لأجله) .
- والجانب الخارجي الظاهري (الحال) .
- طريق الأكل التي يأكل بها آكل مال اليتيم مال اليتيم ، وما في هذه الطريقة من تخطيط وتدبير .

فلم تترك الآية التعبير عنه ظاهرًا ولا باطنًا ؛ ولا طريقة ، فسبحان من هذا كلامه .

(٦) **القِراءات القُرْآنِيَّة وبيان دلالاتها :**

أهم البَدَائِل القراءاتية الموجودة في الآية تأتي مع اللفظ « سَيَصْلَوْنَ » ، حيث ذكرت معاجم القِراءَات له القِراءَات الآتية[1] :

م	القراءة	حالة القراءة	الفعل الذي أتت منه القراءة
١ـ	سَيَصْلَوْنَ	الفعل مبني للمعلوم	الفعل الثلاثي : صلى
٢ـ	سَيُصلَوْنَ	الفعل مبني للمجهول	الفعل الثلاثي : صلى
٣ـ	سَيُصَلَّوْنَ	الفعل مبني للمجهول	الفعل الرباعي المضعف : صَلَّى
٤ـ	سَيُصْلَوْنَ	الفعل مبني للمعلوم	الفعل الرباعي المضعف : أصلى

وإذا اجتهدنا في تحليل هذه القِراءَات بَلاغِيًّا وبيان المعنى مع كل قراءة يمكن أن نقول :

- القراءة الأولى « سَيَصْلَوْنَ » ، الفعل مبني للمعلوم ، والفاعل واو الجماعة ـ يعود على أوصياء اليتامى ـ . وكأن هذه القِرَاءَة تُشير إلى أنَّ آكلي مال اليتيم يعرفون طريقهم إلى جهنم ، لا يحتاجون إلى من يُرشدهم ، وكأن الأعضاء التي غُذيت من حرام « تَتَجَهْنَمُ » في ذاتها ، و « تَتَبَرْمَجُ » ـ إنْ جاز هذا التعبير ـ لتُوَجَّه إلى جهنم . ولا إرادة لصاحب هذه الأعضاء عليها .

(١) د. عبد اللطيف الخطيب : معجم القراءان القُرْآنِيَّة ، ٢/ ٢٤ ـ ٢٥



- القراءة الثانية « سَيُصلَوْنَ » توحي بأن آكل مال اليتيم وهو في سيره إلى النار سيجد من يدفعُهُ ويَدُعُّه إليها دَعًّا .
- القراءة الثالثة « سَيُصَلَّوْنَ » ، من الفعل الثلاثي المضعف « صَلَّى » ، ووزن « فَعَّلَ » يدل كما أشرنا على « كثرة العمل ، والمبالغة » ، وتوجيه هذا بَلاغِيًّا ودلاليًّا أن الصَّلْي يكون متنوعًا ومستمرًا وشديدًا ، وأن هناك من سيتولى ذلك مرارًا وتكرارًا .
- القراءة الرابعة « سَيُصْلُوْنَ » ، من الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة « أصلى » على وزن « أَفْعَلَ » ، والدلالة الصَّرْفِيَّة لهذا الوزن « التَّمْكين ، والإلجاء والإحواج ، والدخول في شيء مكانًا كان أو زمانًا » ، وفي ضوء هذه الدلالة فإن آكلي مال اليتيم سيُمَكَّنون ويُلْجئون ويُحْوَجُوْنَ ويدخلون النار . وكأن القارئ يستشف من هذه القِرَاءَة أن آكل مال اليتيم وهو في طريقه إلى النار لا يجد مهربًا ولا مفرًّا، فالطريق إليها محكم ، والسبيل إليها محاط بالملائكة الغلاظ الشداد .

ومجموع هذه القِراءَات يؤكدُ على دخول آكل أموال اليتيم النار لا محالة ، فهو في أي وضع وفي أي حال داخلها .

(٧) مَسْرَحُ الحَدَثِ اللُّغَوِيِّ والحَالُ ومُقْتَضَاهُ :

أورد الإمام القرطبي للآية سياقا خاصا بها (سبب نزول) ، ولكنه قدمه بصيغة التمريض « رُوِي » ، وصيغ التمريض يستخدمها علماء الحديث للتعبير عن الرويات التي ليست محل اتفاق على صحتها .

لكن عامة يمكن أن نرسم مسرحا للحدث اللغوي (الآية) كما يأتي :

- المتكلم هو رب العزة سبحانه ، لا إله إلا هو ، صاحب الهداية ، الذي يريد صلاح البشر وهدايتهم .
- السامع والمخاطب : طائفة من المجتمع المدني ، يعيشون في المدينة ، وبتتبع أقوال المفسرين نجد أن المُخاطب في هذه الآية هم « الأوصياء الذين يأكلون ما لم يُبَح لهم من مال اليتيم » ، وقيل : « نزلت في الكفار الذين لا يُوَرِّثونَ النساء ولا الصغار » .
- البيئة المحيطة : مجتمع إسلامي ناشيء ، في بيئة قاسية شديدة ، تعيث فيه بعض رواسب الجاهلية ، من ظلم اليتيم وهضم حقوقه .



- الموضوع المتحدث عنه : رعاية اليتيم وإنصافه .
- المكان : المدينة مهاجر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .
- الفترة الزمنية للخطاب : الفترة الزمنية التي قضاها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المدينة .

الحَالَةُ النَّفْسِيَّة لِمَنْ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ الحَدِيْثُ:

يتوجه الكلام لطائفة من المجتمع المسلم أكلت أو تنوي أن تأكل مال اليتيم لتعلق رواسب الجاهلية بها ، أو قد تسول لها نفسها أن تأكل مال اليتيم في المستقبل . وهذه الطائفة بهذه النوايا تعبر عن شذوذ نفسي غير طبيعي ، شخصيات نفسية يسوقها الطمع ، ويضعف داخلها الوازع الديني ، لا تؤمن بأحكام قرآنية ونبوية مقررة ، ولا بحساب في الآخرة ، ولا تنسجم مع بقية طوائف المجتمع المسلم .

- **الحَالُ ومُقْتَضَاه :**

من خلال المعطيات السابقة نستطيع أن نبين « الحال » الذي قيلت فيه هذه الآية وما « يقتضيه » هذا الحال .

الحال هو أن الآية مُخاطَبٌ بها طائفة من المجتمع المسلم الذين يأكلون أموال اليتيم ، أو هم على استعداد أن يأكلوا هذا المال إن سنحت لهم الفرصة ، ولا يخفى على أحد أن مثل هذا الشخص الذي لا يتورع عن أكل مال اليتامي شخصٌ قاسي القلب ، غليظ الطبع ، لا تؤثر فيه معاني الرحمة ، ولا مظاهر ضعف اليتامى .

هذا الحال يقتضي أن يكون الخطاب الموجه لهم شديدًا، فيه من الوعيد والتهديد والتحذير أقصاه ، عبارته واضحة المعنى أقصى درجات الوضوح ، لا تحتاج إلى كثير إعمال عقل للوقوف على معناه ، له دلالة ثابتة إلى يوم القيامة ؛ لأنه يريد مجتمع قائم على أسس صحيحة ، ويقتضي أن يكون الخطاب فيه نوع إطناب للإقناع .

❋ **المرحلة الثانية مرحلة البدائل اللفظية :**

بدائل الحقل الدلالي :

ـ اللفظة الأولى في الآية « يأكلون » . والألفاظ البديلة التي يمكن أن تحل محل هذا اللفظ هي الألفاظ التي يجمعها المجال الدلالي الدال على الغَصْب[1] ، ومنها :

(١) د.أحمد مختار عمر : المكنز ، المجال الدلالي رقم ١٥٣٨



« اختطفَ ، اختلسَ ، استولى ، اغتصب ، امتشق ، انتزع ، خبس ، خطف ، سرق ، سلَّ ، سلب ، عنا ، غصب » . ونلاحظ أن الآية القُرْآنِيَّة لم تختر أيًا من هذه الألفاظ ، مع أن اللفظ « يأكل » يدل معناه في الآية على معنى الغصب ، والأخذ بدون وجه حق .

وتعليل ذلك بَلاغِيًّا :

» أنَّ من يتأمَّلَ ألفاظ المجال الدلالي الدال على الغَصب دلاليًّا يجد قاسمًا أو قواسم دلاليَّة مشتركة بين كل ألفاظ هذا المجال ، منها : **أن معاني ألفاظ هذا المجال تشير إلى أن الشيء المغتصَب لا يقع في الأساس تحت سيطرة الغاصب ، وتشير أَيْضًا إلى القوة والقسوة أحيانًا في أخذ الشيء المغتَصَب ، وأن الغصب يكون ظلمًا وبدون وجه حق وبعيد عن أعين الناس** . بسبب تلك الدلالات المشتركة لا يصلح أيٌّ من تلك الألفاظ للتعبير عن المقام الذي تريد الآية التعبير عنه ، فالمال تحت تصرف الأوصياء ، ويستطيعون أن يأخذوا منه أمام أي أحد ، ويتمكنون من إنفاقه كيفما شاءوا . لذلك فاللفظ المناسب للتعبير عن هذا المقام هو اللفظ يأكل .

» في إسناد الفعل « يأكل » إلى الاسم « أموال » نوعٌ من المجاز ، وهو ما يُعرف باسم المجاز العقلي أو المجاز الحكمي أو الإسنادي . والمجاز أبلغ من الحقيقة ، وأحسن موقعًا في القلوب والأسماع ، لما فيه من إعمال العقل ، وغرابة تشد الانتباه .

» وسبق أن أوضحنا أن الفعل « يأكل » إذا جاء بمعنى « اغتصب » يأتي في سياقات لا يرضى الله عنها ، أو السياقات التحذيرية .

ـ اللفظة الثانية في الآية لفظة « ظُلْمًا » ، وألفاظ المجال الدلالي الذي يعبر عن الظلم كثيرة . وقد سبق لنا الحديث عن هذا المجال في النموذج الأول عند التحديد الدلالي للفظة « طغى » .

من خلال الجدول الذي أعددناه سابقًا (مع آيات سورة الفجر الآية رقم ١١) ومن خلال كلام معجم الفروق الدلالية نقول : إن اختيار لفظة « ظلما » في آية سورة النساء هي الأنسب لـ « المقام » الذي قيلت فيه للأسباب البَلاغِيَّة الآتية :

أ- الوَصِيُّ الذي « يُخْتار » للوصاية على اليتيم سيغلُبُ عليه ـ ولو ظاهريًّا ـ سمات الرفق والحنو والعطف ، بناء على مواقف اجتماعية سابقة وقعت منه فإذا ما فكر هذا الوَصِيُّ في « ظلم » اليتيم فلن يصل في درجة التعامل معه



لدرجة « الطغيان أو البغي أو العتو أو العدوان » ، بل سيكون « الظلم » في أقل درجاته لا يشعر به أحد ؛ لذلك نَاسَبَ استخدام كلمة « ظلمًا » .

ب- أنَّ ظلم الوَصِيِّ لليتيم ظلمٌ من نوع « السيطرة » وليس من نوع « الاقتراب » باعتبار أن الوصي هو المسيطر والمتصرف في مال اليتيم ، وهذا ما يتناسب ـ بحسب الجدول ـ مع لفظة « ظلمًا » ، ولا تتناسب بقية ألفاظ الجدول ؛ لأن « جَنَف ، جور ، حيف ، شطط ، طغيان ، عول ، قسط ، غلو » تدل على الاقتراب أو الابتعاد من الحق وليس السيطرة عليه ، ولا تتناسب مع « البغي العدوان » لاختلاف الدرجة والابتعاد عن الحق ، ولا مع « الغصب ، القهر ، الهضم » لما فيه من استخدام القوة .

ـ اللفظة الثالثة في الآية « يَصْلَى » ، واسم المجال الدلالي الذي يحوي هذه اللفظة اللفظة « **الشَّيُّ** » ، ويضم الألفاظ القُرْآنِيَّة الآتية : « أَصْلَى ، أَنْضَجَ ، حَنَذَ ، شَوَى ، صَلَى » .

وبِتَتَبُّع ألفاظ هذا المجال دلاليًّا في المعاجم اللغوية وفي السياقات القُرْآنِيَّة نلاحظ :

أ- أن الفرق الدلالي بين هذه الألفاظ فرق في درجة القرب أو البعد من النار ، وفرق في المدة الزمنية ، وفي البيئة المحيطة بالشيء المشويِّ ، فمن حيث درجة البعد فأبعدها « أنضج » ثم بعدها في القرب « شوى » ثم بعدها « حنذ » ثم بعدها « صلى وأصلى » ، ومن حيث المدة الزمنية فأطولها « صَلِيَ » ، وأما من حيث البيئة المُحيطة فالفعل « صَلِيَ » يدل على إحاطة النار بالشيء المَصْلِيِّ من جميع الجهات . قال الزَّبِيْدِيُّ في قاموسه « تاج العروس » في مادة « صَلِيَ » نقلًا عن الراغب : « صَلِيَ بالنَّارِ وبكذا ؛ أي : **بُلِيَ بِهِ** ، وَمِنْه: ﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ الغاشية: ٤ ، ﴿وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرًا﴾ النساء: ١٠ ، ﴿ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ﴾ يس: ٦٤، ﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى﴾ الليل: ١٥ ، وأَصْلاهُ النَّارَ ، وصَلاهُ إِيَّاها ، وصَلاهُ فِيهَا ، وصَلاهُ عَلَيْهَا صَلْيًا وصُلِيًّا : **أَدْخَلَهُ إِيَّاها وأَثْواهُ فِيهَا** ؛ وَمِنْه قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارًا﴾ النساء: ٣٠ ، ؛ « وسَيُصلَوْن سَعِيرًا » ... » . إشارة الراغب

بقوله « يُلِيَ بِهِ » تدل على طول المدة الزمنية ، وقوله : « أَدْخَلَهُ إِيَّاها وأَثْواهُ فِيهَا » تشير إلى الإحاطة الكاملة بالمُعَذَّب ، وفي نفس الوقت تشير إلى القرب الشديد .

ب- وبِتَتَبُّع هذه الألفاظ في السياقات القُرْآنِيَّة نلاحظ أنَّ الألفاظ « نضج ، شوى حنذ » أتت في القُرْآن مع غير الإنسان ، وإذا أتت مع الإنسان أتت مع جزء منه : الجلد ، الوجه ، اليدين ، الرِّجْلَيْنِ ... أما « صَلِيَ » ـ بمعنى العذاب ـ فقد أتت ٢٣ مرة ، وتشير إلى وقوع العذاب على كامل البدن بدون استثناء .

وفي ضوء هذا الملاحظات نقول إن اختيار الآية للفظ « صَلِيَ » يناسب المقام بَلاغِيًّا إلى أقصى حد ، فالآية تريد أن تردع بمنتهى القوة « أوصياء اليتامى » وكل من تُسَوِّلُ له نفسه من الاقتراب من مال اليتيم ؛ لذلك فأي « ظلم » ـ ولو كان بسيط القدر ـ في حق اليتيم ، سَيُقابَل بالعذاب الشديد الدائم الذي لا يكفي معه العذاب مدة قصيرة ، ولا يكفي معه أن يعذَّبَ جزءٌ من البَدَن ، بل كامل البدن ، من كل الجهات .

ولعل الآية بهذا الاستخدام للفظتي « ظلم ـ صلي » والدلالة المصاحبة لهما تشير إلى أَهَمِّيَّة الحفاظ على اليتيم ، وَأَهَمِّيَّة أن يلقى الحماية والرعاية المناسبتين من المجتمع المسلم ، وأن الاعتداء على حقوقه وإهماله أمر عظيم جَلَلٌ ؛ يستوجب « أشد » أنواع العذاب والعقاب من الله .

ـ اللفظة الرابعة في الآية « سعيرًا » ، والبديل الممكن لهذه الكَلِمَة « نارًا » ، والذي يوافق المقام كلمة « سعيرًا » لأنَّ : السعير يُطلق على « النار الملتهبة الحراقة ؛ أعني : أنها تسمى حريقًا في حال إحراقها للإحراق ، يقال : في العود نار وفي الحجر نار ، ولا يقال: فيه سعير، والحريق النار الملتهبة شيئًا وإهلاكها له ، ولهذا يقال: وقع الحريق في موضع كذا ولا يقال : وقع السعير . فلا يقتضي قولك السعير ما يقتضيه الحريق ، ولهذا يقال: فلان مسعر حرب ؛ كأنه يشعلها ويلهبها ،ولا يقال محرق »[1] .

أي أنَّ السعير هو « ذات » النار المشتعلة ، أو النار في حال اشتعالها . أما « نارًا » فهي تُقالُ للهيب الذي يبدو للحاسة ، وَقَدْ تُطلق على الحرارة المجردة ، وَقَدْ تطلق على القوة الكامنة ، وَقَدْ تنتهي بانتهاء ما تُحرقه . والنار قَدْ يَسْكُنُ لهبها وتخمد . وهذا لا

---

(١) أبو هلال العسكري : معجم الفروق اللغوية ، ص ٢٧٨



يتناسب مع المقام الذي يتطلب أن تكون النار دائمة ومتنوعة ومختلفة كما في كلمة سعير (لدلالة التنكير) [1] .

كما نلاحظ أنَّ كلمة « سَعِيرًا » هي الأنسب صوتيًا من حيث اشتمالها على الحروف « س ، ع ، ي ، ر ، ا » :

- فحرف السين ـ صوتيًّا ـ حرف مهموس ، احتكاكي ؛ أي : يخرج معه الصوت مستمرًا في صورة تَسَرُّب للهواء محتكًّا بالمخرج (طرف اللسان مع ما بين الأسنان العليا) ، وهذا الاحتكاك عبارة عن اعتراض متوسط لخروج الهواء . وكأن هذا الصوت ينقل لنا صوت النار عند اشتعالها وفوران لهيبها .
- وحرف العين الذي يأتي من الحلق المتبوع بياء المد يوحي بالعمق ، ومع العمق يختفي صوت من يسقط فيه ، حيث إنَّ حرف العين « أقل الأصوات اللغوية احتكاكًا »[2] .
- وحرف الراء يتكون « بأن تتكرر ضربات اللسان على اللثة تكرارًا سريعًا ... وتتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به »[3] ، وهذا يجعلنا كأننا نقف حقيقة أمام نارٍ مستعرة يتأجج لهيبها تأجُّجًا . فنحن نرى ألسنة هذه النار ونسمعها .
- وزاد حرفا المد « الياء والألف » ـ بما يتميزان به من قوة إسماع ـ من رفع درجة صوت هذه الألسنة .

البدائل الموصولية :

ـ أول لفظة في الآية لفظة « الذين » الاسم الموصول ، والبديل الذي يمكن أن يَحُلَّ مكانه في موضعه في الآية « مَنْ ، ما » . وفَضَّلَتِ الآية الاسم الموصول « الذين » للآتي :

» الاسم الموصول مَنْ وما يفيدان العموم ، فقد يطلقان على العاقل وغير العاقل ، فـ « مَنْ » تدل في أكثر استعمالاتها على العاقل وتَرِدُ لغير العاقل قليلا ، و« ما »

---

(١) ويجب أن نلاحظ أن المجال الدلالي الذي عنوانه « النار » ويشمل الآتي : « الجحيم ، النار ، الحُطَمة ، السعير ، جهنم ، سجين ، سقر ، صقر ، لظى ، هاوية » هي أسماء للنار وأماكن فيها. يُنظَر : المكنز ، المجال الدلالي رقم : ٧٨٩ ، ص ٣٣٧

(٢) د. كمال بشر : علم اللغَة العام الأصوات ، ص ١٢١

(٣) السابق ، ص ١٢٩



تدل على غير العاقل ، وَقَدْ ترد للعاقل ، أما « الَّذِين » فهي ترد لجمع المذكر العاقل [1] . فاستخدام هذا الاسم إشارة إلى التخصيص والتحديد، وأن الكلام موجه إلى طائفة محددة هي « الأوصياء » أو« القائمون على أمر اليتامى » لخطورته وخطورة عواقبه . فالمقام مقام تأسيس مجتمع صالح ثابت ؛ فيجب أن تكون القواعد فيه واضحة ، يعرف كل شخص ما له وما عليه .

- استخدام « الذين » قد يكون فيه إشارة إلى الذكورية ، وأن أغلب من قد يظلم اليتيم هم الرجال .
- في استخدام هذا الاسم فضل توكيد لا نشعر به مع مَن ولا ما ، قد يكون سببه زيادة عدد الحروف ، أو وجود حرف الذال .
- في استخدام الاسم الموصول زيادة تركيز الانتباه على جملة صلة الموصول .
- وقد يكون في استعمال « الذين » إشارة إلى أن الاستعداد لظلم الغير لا يوجد في خلق الله إلا في بني الإنسان بوجه عام ؛ لذلك لم تستعمل « مَنْ ، ما » لأنهما قَدْ تشيران إلى غير الإنسان .

البدائل الحَرْفِية :

الأحرف التي استخدمتها الآية هي « إنَّ ، إنَّما ، السين (سَ) » . والبدائل الممكنة للحرفين الأوَّلين هو إسقاطهما من الآية ، وبالنسبة للحرف الأخير إسقاطه من الآية أو مجئ الحرف « سوف » . فمن الممكن ـ في غير القُرْآن ـ أن تأتي الآية بدون هذه الأدوات هكذا : « الَّذينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ اليَتَامَى ظُلْمًا يَأْكُلُونَ في بُطُونِهِمْ نَارًا ويصلون سعيرًا » .

- الحرف « إنَّ » :

مما يُقرِّره النُّحاة وعلى رأسهم سيبويه أَنَّ الحرف «إِنَّ » يأتي لتأكيد نسبة الخبر إلى المبتدأ ، و« إزالة الشك عنها أو الإنكار ، فكلا الحرفين في تحقيق هذا الغرض بمنزلة تكرار الجُمْلَة ، ويفيد ما يفيده التكرار ؛ ففي مثل : إِنَّ المال عماد العمران ؛ تغني كلمة «إِنَّ » عن تكرار جملة : المال عماد العمران »[2] .

(١) عباس حسن : النَّحْو الوافي ، ١/ ٣٤٥

(٢) عباس حسن : النَّحْو الوافي ، ١/ ٦٣١ الحاشية ذات الرَّقْم٣



ومن الإشارات الجميلة والمهمة لصاحب كتاب « النَّحْو الوافي » عن «إِنَّ ، أَنَّ » قوله : « ومن الخطأ البَلاغِيّ استخدامهما إلا حيث يكون الخبر موضع الشك أو الإنكار . والتأكيد بهما يدلُّ على أَنَّ خبرهما محقق عند المُتَكَلِّم ، وليس موضع شك . ولا يستعملان إلا في تأكيد الإثبات »[1] .

أي أن هذا الحرف :

١ـ يأتي لإفادة توكيد نسبة الخبر إلى المبتدأ .

٢ـ يُزيلُ الشك في هذه النسبة أو إنكارها .

٣ـ يأتي عوضًا عن تكرار الجُمْلَة .

٤ـ من الخطأ البَلاغِيّ استخدامه إلا حيث يكون الخبر موضع شك أو إنكار .

٥ـ استعماله يدل على أن خبر هذا الحرف مُحَقَّقٌ عند المتكلم وليس موضع شك.

٦ـ لا يُستعمل إلا في تأكيد الإثبات .

وهذه المعطيات تتناسب مع سياق الآية ومَقامِها ، فلو أَتت الآية غُفلا عن هذا الحرف لَتَبَادرَ إلى الذِّهن أَنَّ نسبة الخبر في الآية « إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا » إلى المبتدأ « الَّذينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ اليَتَامَى ظُلْمًا » مَحل نَظر وشك ، وأن الكلام قَدْ لا يتحقق ، أو أَنَّ الكلام لمجرد التهديد ؛ فأتى الحرف « إِنَّ » لإزالة هذا الشك أو الإنكار ، وإثبات أن مَنْ يأكل أموال اليتامى إنما يأكل « نارًا » أو « ما يكون سببًا في النار » ، وأن « الصَّلْي أو الإصلاء » في السعير أمر واقع لا محالة ومحقق ما في ذلك فِرْيَةٌ ولا مِرْية . ويعني كون هذا الحرف يأتي بديلا عن تكرار الجُمْلَة أن التأكيد الذي يأتي لأجله سيظل حاضرًا في الذهن ماثلا فيه إلى أقصى مدى .

○ الحرف « إِنَّما » :

الحرف إنما يطلق عليه النحاة أنه أداة حصر أو قصر ، والمعنى البَلاغِيّ لهذه الأداة أنها تُفيدُ ـ كما أشار الزَّمَخْشَرِيّ ـ « التوكيد » وتفيد « البَتَّ في الأمر والقَطْع فيه » [2] .

---

(١) النَّحْو الوافي ، ١/ ٦٣١ الحاشية ذات الرَّقْم٣

(٢) ينظر فصل المعاني البَلاغِيَّة لبعض الأدوات النحوية ، الأداة إنما .



إذن فهذه الأداة تتضافر مع معنى الأداة «إِنَّ» في التأكيد والبت على دخول آكل مال اليتيم ظلمًا السعير.

○ <u>الحرف «س»</u>:

الحرفان «السين و سوف» كلاهما لا يدخلان إلا على المُضَارِع المُثْبَت، ويُفيدُهُ «التَّنْفيس؛ أي: تخليص المُضَارِع المثبت من الزمن الضيق، وهو: «زمن الحال»؛ ـ لأنه محدود ـ إلى الزمن الواسع غير المحدود، وهو: «الاستقبال»، وهما فى هذا سواء، وَرَدَا معًا فى معنى واحد ... إلا أن «سوف» تستعمل أحيانًا أكثر من «السين» حين يكون الزمن المستقبل أوسع امتدادًا؛ فتكون دالة على: «التَّسْويف» ...كما أن «السين» تختص بمعنى لا تؤديه «سوف»، **<u>فالعرب إذا أرادت تكرار الفعل وتأكيده وعدم التنفيس فيه ـ؛ أي: عدم جعله للمستقبل البعيد ـ أدخلت عليه السين</u>**»[1]. ويشير الزَّمَخْشَرِيّ في تفسيره ـ كما سبق أن أشرنا ـ إلى معنى «**حتمية وقوع الفعل الداخل عليه**».

لذلك استخدمت الآية «السين»؛ لأنها الأنسب للمقام والسياق، فالمقام يحتاج التأكيد على عذاب آكل مال اليتيم، ويحتاج تكرار الفعل الداخل عليه «يصلى» لزيادة الردع، ويحتاج إلى التعبيرعن حتمية وقوع هذا العذاب والصَّلْي، ويحتاج التعبير إلى عدم التنفيس في المستقبل؛ لإفادة سرعة حساب آكل مال اليتيم، وعدم الإبطاء به إلى النار.

<u>البدائل الصَّرْفِيَّة</u>:

» استخدام الفعلين المضارعين «يأكلون، يصلون»، لإفادة التجدد والاستمرارية استمرارية وتجديد توجيه التحذير والتهديد والإيعاد لمن يأكلون أموال اليتامى أو يفكرون في أكلها في الدنيا، واستمرارية عذابهم بكامل أجسادهم في السعير المتقد الدائم الاتقاد.

» استخدمت الآية الفعلين المضارعين «يأكل، ويَصلى»، والبديل الزمنى والاشتقاقي لهما «أَكَلَ، صَلَى، آكِل، صَالٍ»، فقد تكون الآية في غير القُرْآن:

⇦ «إن الذين أكلوا أموال اليتامى ظلمًا إنما أكلوا في بطونهم نارًا وصَلَوا سعيرًا».

(١) عباس حسن: النَّحْو الوافي، ١/ ٦٠



⇦ « إنَّ الآكِلين لأموال اليتامى ظلما آكلين في بطونهم نارًا وصالين سعيرًا »

لماذا إذن فضلت الآية الفعل المُضَارِع ؟

لو أتت الآية بالفعل الماضي لأدّى ذلك إلى توهم أنَّ المَقصِد التركيزُ على « حتمية » وقوع العذاب الأُخْروي ، و« وجوبية » صَلْي آكلي أموال اليتامى .

وهذا المعنى أو هذا التَّوَهُّم غير مقصود ولا يَتَناسب ولا يَخْدُمُ بشكلٍ واضح السياق الذي وردت فيه الآية ، فالمقام هنا الحِرصُ على اليتيم ورعاية ماله ؛ لذلك فالمقام والسياق يتطلبان « **تَنْبِيهًا وتَحذيرًا وتهديدًا متكررًا مستمرًا متجددًا** » فترة بعد أخرى ، ومن وقت إلى آخر في « الدنيا » لخدمة « اليتيم » ، وأن يرتبط أكل مال اليتيم « **باستحضار صورة السعير ودخول الآكل فيه دخولا كاملا** » ؛ فالهدف الأساسي والمهم هنا في هذا المقام الحِفاظ على مال اليتيم في الدنيا ، فالخطاب مُوَجَّهٌ للأوصياء في الدنيا ، فهذا هو الغرض الأساسي ؛ لذلك ناسب بَلاغِيًّا أن يكون هنا استخدام الفعل المُضَارِع .

وأمّا غرض إثبات حتمِيَّة العذاب فليس السبيل إليه في الآية استخدام الفعل المُضَارِع ، بل سبيله أدوات أخرى في الآية أوضحنا بعضها فيما سبق .

واستعاضة الآية عن الاسم المشتق « الآكلين » إلى « الذين يأكلون » فيه :

أ- تسليط الضوء وإعطاء مزيد اهتمام لصلة الموصول .

ب- في هذا إطناب يتطلبه المقام للإقناع بالمعنى وإيقاف المستمع على خطورته .

ت- استخدام الاسم الموصول « الذين » فيه تخصيص لمن يتوجَّه لهم الخطاب ؛ ليزدادوا انتباهًا وحفظًا على مال اليتيم .

ث- مما يُقِرُّهُ عُلَماءُ اللغَة أنَّ « اسم الفاعل أدوم وأثبت من الفعل »(١) ، واستخدام الفعل المُضَارِع قَدْ يكون إشارة إلى قِلَّة من يحاولون أكل مال اليتيم ، أو أن من يأكل مال اليتيم يأكله لفترة وجيزة ، ولن يمتد به الوقت لاستمرارية هذا الأكل ، فالله لن يبارك له ، ولن يسمح له بهذا الأكل واستمراره ، وسيبتليه بما يسوءه وينوءه . وأنَّ الصَّلْيَ سيكون متجددًا متنوعًا مستمرًا ، وفي أماكن متعددة في جهنم .

---

(١) د. فاضل السامرائي : معاني الأبنية في العربية ، ص ٤١



» استخدمت الآية الجمعين « أموال ، اليتامى » ، بدلا من الاسم المفرد « مال ، اليتيم » . وتعليل ذلك بَلاغِيًّا أن استخدام الجمع يدل على العموم والشمول ، فالمال ـ وهو كما يقول الفقهاء اسم لجميع ما يملكه الإنسان ، وكل ما يمكن الانتفاع به ، وكل ما يُقَوَّم [1] ـ لا يُطلق على نوع معين من المال بل أي نوع منه ، ومجئ الآية بالجمع لإفادة العموم والشمول ؛ فيشمل أي مال لليتيم ، فكل ما ينفع اليتيم هو مال ينبغي الحفاظ عليه ، قليلًا كان أو كثيرًا .

واليتيم ـ وهو من مات أبوه وهو دون البلوغ [2] ـ جاء جمعًا للعموم ، ودفع توهم اختصاص نوع معين من الأيتام ، فالجمع يشمل الذكر والأنثى ، الصغير والكبير ، من بلغ الحُلُمَ أو قارب بلوغه ، أو ابن فقير أو ابن غني .

وفضلت الآية الجمع « يَتَامَى » على الجمع « أيتام » ، وقد يكون ذلك للأسرار الآتية :

١ـ الجمع « يَتَامَى » على وزن « فَعَالَى » ـ صيغة من صيغ منتهى الجموع ـ والجمع « أيتام » على وزن « أَفْعَال » ـ وزن من أوزان جموع القلة ـ ، **واستخدام صيغة منتهى الجموع يبرز أهمية الاهتمام بالأيتام جميعًا مهما كان عددهم ، ويؤكد على خطورة التعدي على أي مال لأي يتيم مهما كان .**

٢ـ كلمة « يتامَى » : « **جمع يتيم وجمع يتيمة** ، فإذا جمعت به يتيمة فهو فعائل أصله يتائم ... وإذا جمع به يتيم فهو إما جمع الجمع ... أو جمع فعيل على فعائل »[3] . فالكلمة مفردها إما يتيم ذكر ، أو يتيم أنثى ، **فشملت الجنسين ، أما أيتام فمفردها يتيم لا غير** .

٣ـ ولعل ختام هذا الوزن « فَعَالى » بألف التأنيث المقصورة إشارة إلى **زيادة العناية والاهتمام** بـ« اليتيمة الأنثى » على « اليتيم الذكر » .

٤ـ الجمع بين الجمع « أموال » مع صيغة منتهى الجموع « يتامى » يوسع دائرة الاهتمام باليتامى أكثر وأكثر .

---

(١) د. مُحَمَّد رواس قلعه جي : معجم لغة الفقهاء ، دار النفائس ، ط١ ، (١٩٨٥م) ، ص٥١٣

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية ، ط ١ ، ٢٠٠٦م ، ٤٥/ ٢٥٤

(٣) الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، ٤/ ٢١٩



» والمصدر « ظُلْمًا » له بديل ممكن وهو اسم الفاعل « ظالمين » ، وبلاغة استخدام المصدر هنا وتفضيله على اسم الفاعل أنه يدل على « التأكيد » على أن أكل مال اليتيم ـ سواءً أكان قليلا أم كثيرًا ـ يعتبر في أي وقت من الأوقات وعلى أية حال من الأحوال تجاوز عن الحد أما اسم الفاعل فالتعبير به قَدْ يفيد أن أكل مال اليتيم قَدْ يكون أحيانًا تجاوُزًا عن الحد وأحيانًا لا يكون كذلك .

* **المرحلة الثالثة مرحلة الجملة** :

١ـ التحليل النحوي للآية :

« إِنَّ الذِيْنَ يَأكُلُوْنَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأكُلُوْنَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا »

يجري كما يأتي :

[حرف ناسخ إن + اسم إن اسم موصول + جملة صلة الموصول (جملة فعلية : « فعل مضارع + فاعل واو الجماعة + مَفْعُوْل به + مضاف إليه + حال أو مَفْعُوْل لأجله أو نائب عن المفعول المطلق »)] + [خبر (جملة فعلية : « إنما أداة حصر وقصر + فعل مضارع + فاعل واو الجماعة + جارومجرور متعلق بالفعل يأكلون + مَفْعُوْل به »)] + حرف عطف + [معطوف (جملة فعلية : « حرف استقبال + فعل مضارع + فاعل واو الجماعة + مَفْعُوْل به »)].

من خلال هذا التحليل نلاحظ :

أ- الآية في الأساس جملة اسمية دخل عليها حرفٌ ناسخ ، وخبرها جملة فعلية فعل مضارع ؛ أي أن الجملة اسمية مكونة من عنصرين إسناديين تمت إطالتها بطول التبعية (العطف). وسبق أن أشرنا عند الحديث عن بناء الجُمْلَة أنَّ الجُمْلَة الاسمية التي يأتي خبرها جملة فعلية فإنها تُسَمَّى « جملة اسمية غير محضة » وتفيد « **مع الثبوت التجدد ، وَقَدْ تفيد الاستمرار التجددي** » ، والاستمرار التجددي هو الاستمرار الذي يتوالى فيه الإيجاد والإزالة على الأمر بغير توقف ، ويتجدد الظهور والاختفاء بغير انقطاع .

ودلالة الآية في ضوء ما أشرنا إليه فإنها تفيد ثبوت « أكل النار » ، وثبوت « إصلاء العذاب » لمن « يأكل أموال اليتامى » ، وأنه كلما استمرَّ آكل مال اليتامى في أكله استمَرَّ أكلهم للنار واستمر ثبوت إصلائهم العذاب أو استمرت زيادته .

وتتضافر دلالة الجُمْلَة الاسمية على الثبات التجددي مع استخدام أداة التوكيد « إن » مع أداة الحصر « إنما » مع أداة الاستقبال « س » ، والتخصيص بالاسم

الموصول « الذين » ، واستخدام الجمع « أموال ـ اليتامى » على التأكيد على خطورة أكل مال اليتيم وخطورة التعدي على أي مال يخصه ، ذكرًا كان أم أنثى ، صغيرا كان أم كبيرًا لم يتجاوز الحلم ، وإرسال رسالة تهديد وزجر شديدة أقصى درجات الشدة لكل من تُسَوِّلُ له نفسه تجاوز حدود الشرع مع مال اليتيم .

ب- نلاحظ أن الجملة الاسمية والجملة الفعلية المعطوفة التزمت برتب مكوناتها المكونة لها ، ولم يتقدم إلا شبه الجملة الزائدة « **في بطونهم** » على المفعول به « **نارًا** » في الجملة الفعلية الخبر ، ودلالة هذا التقديم « التشويق وإثارة الذهن » لما يأتي بعد شبه الجملة ، ويزداد جمال هذا التشويق وتلك الإثارة لو وقف القارئ على « بطونهم » ثم استأنف « في بطونهم نارًا » .

ت- الجملة القُرْآنِيَّة بها إطنابُ إيضاحٍ وإسهاب ، ففي غير القُرْآن يمكن أن نقولها كما يأتي : « الآكلون لمال اليتيم مخطّئون ومعذَّبون » .

ولكن الآية اختارت استخدام إطالة الجُمْلَة وإطنابها والإسهاب فيها من خلال :

- استخدام الاسم الموصول « الذين » المتبوع بجملة صلة الموصول .
- إطالة صلة الموصول بالحال أو المفعول المطلق أو النائب عن المفعول المطلق « ظلمًا » .
- في الجُمْلَة الفِعْلِيَّة التي أتت خبرًا فُصِلَ بين الفاعل (واو الجماعة) وبين مفعوله (نارًا) بالجار والمجرور (في بطونهم) المتعلق إما بـ « يأكلون ، أو متعلق بمحذوف حال... » .
- في الجُمْلَة المعطوفة اختارت الآية استخدام جملة فعلية بدلا من استخدام اسم مَفْعُوْل مثلا .

وهذا الإطناب من مقتضيات المقام ، حيث إن المقام مقام وضع « قواعد اجتماعية شرعية » ـ إن جاز التعبير ـ سيسير عليها المجتمع إلى يوم القيامة ؛ إذن فالمقام يتطلب ويقتضي إسهابًا في الحديث وإطنابًا فيه للإقناع .

والإقناع هدف أساسي من أهداف الإطناب . قال أبو هلال العسكري : « قال أصحاب الإطناب : المنطق إنما هو بيانٌ ، والبيان لا يكون إلا بالإشباع ، والشفاء لا يقعُ إلّا بالإقناع ، وأفضلُ الكلام أبينُه ، وأبينُه أشدُّه إحاطةً بالمعانى ، ولا يُحاط بالمعانى إحاطة تامّةً إلّا بالاستقصاء ؛ والإيجازُ للخواصّ، والإطنابُ مشتركٌ فيه الخاصة والعامة ، والغَبِيُّ والفَطِنُ، والريض والمرتاض »[1] . إن الإطناب طريقٌ إلى

(١) الصناعتين ، ص ١٩٠



البيان الذي يشبع النفس بالمعاني ، ويقنعها بها ، كما يحيط بها ويستقصيها . والإبانة تتلاءم مع جميع الفئات .

ث- جملة « إنَّ الذِيْنَ يَأكلُوْنَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ... » جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب والجملة الاستئنافية تؤدي دورًا بَلاغِيًّا في إبراز المعنى وتأكيده والتنبيه عليه ، وتعليله . وليس معنى أن الجملة استئنافِيَّة أنها لا علاقة بينها وبين ما قبلها ، فهناك ـ كما قال الزمخشري ـ صلة معنوية بينها وبين ما قبلها . ويمكن أن نوضح هذه العلاقة المعنوية من خلال تخيل أسئلة حوارية انطلاقًا من الآية ٩ كما يأتي :

- من أضعف الضعاف الذين يمكن أن يتركهم الإنسان خلفه ؟
- أضعف الضعاف اليتامى .
- ما الذى ينبغي أن نقوم به تجاه اليتامى ؟
- أن نحافظ عليهم وعلى أموالهم .
- ما جزاء من يعتدي على أموال اليتامى ويأكلها ويظلمهم حقوقهم ؟
- « إنَّ الذِيْنَ يَأكلُوْنَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ... » .

٢ـ البدائل النحوية وتنويعاتها في الآية :

أ- سبق أن ناقشنا الأوجه الإعرابية لكلمة « ظلمًا » في مرحلة المعنى ، والدلالات البلاغية لذلك .

ب- نلاحظ أن شبه الجملة « في بطونهم » زائد ؛ لصحة الاستغناء عنها ، واستقامة المعنى بدونها ، ولعل الغرض البلاغي في زيادتها التعريض بمن يأكلون أموال اليتامى .

٣ـ البديل الممكن لجملة الآية استخدام أسلوب الشرط :

« مَن يأكل أموال اليتامى ظلمًا سيأكل في بطنه نارًا وسيصلى سعيرا » .

ونلاحظ مثلا في قوله تعالى :﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ الطلاق: ٢ استخدام أسلوب الشرط ، وقد كان من الممكن استخدام الأسلوب المؤكد مثل سورة النساء : « إن الذين يتقون الله سيجعل لهم مخرجا » .

فلماذا آثرت الآية هنا استخدام أسلوب التوكيد ؟

لعل السر في ذلك : الدلالة الزمنية للجملة الاسمية والدلالة الزمنية لأسلوب الشرط ، فدلالة الشرط الاستقبال ؛ أي : مرور فترة زمنية على أكل مال اليتيم ثم يكون العقاب . أما دلالة الجملة الاسمية في الآية فدلالة حالية ومستقبلية متكررة

متجددة ومستمرة؛ أي أن الوصي الذي يأكل مال اليتيم يأكل في الحال نارًا ، ويبدأ العذاب بمجرد الأكل ، ولن يُمهَلَ حتى يلقى العقاب المستقبلي ؛ ولعل هذا ما دعا بعضَ المفسرين إلى **تفسير الأكل بالنار أنه حقيقة وليس مجازًا .**

الألوان البيانية ، والصور الجمالية:

١ـ يوجد مجاز مرسل في قوله « نارًا » ، مجاز مرسل من ذكر المُسَبَّب وإرادة السبب .

٢ـ وأجاز بعض العلماء الاستعارة على تشبيه ما أكل من أموال اليتامى بالنار .

٣ـ الإسهاب في قوله « في بطونهم » ؛ « لأن الأكل لا يستقر إلا فيها ؛ تجسيدًا لبشاعة الجرم المقترف بأكل مال اليتيم ».

٤ـ التعريض : « فقد عرض بذكر البطون لخستهم واتضاع أمرهم ، وَهَوَانِ أنفسهم والعرب تتذمم من ذلك ؛ ألا ترى الحُطيئة كيف اكتفى من هجائه بهذا القدر يُلمعُ إليه ، وذلك بقوله :

دَعِ الْمُكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا ... وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

أي : المطعوم والمكسو ».

المَعَاني اللطِيفَةُ والآدَابُ الحَسَنَةُ :

١ـ المجتمع المسلم ليس مجتمعًا ملائكيًّا ، لا يُخطئ فيه أحد ؛ إذ لو كان كذلك لما كان لتشريعات القرآن والسنة معنى ؛ لذلك يجب أن نتوقع أن يظهر مثل هؤلاء الذين يخالفون الشرع .

٢ـ حضَّ القرآن على الحفاظ على اليتيم وماله ، وفي ذلك إشارة إلى أَهَمِّيَّة الطفولة بوجه عام ، وَأَهَمِّيَّة رعايتها والعناية بها ، وإشارة إلى أن إهمالها له عواقب وخيمة.

٣ـ من معاني الآية الإشارة إلى أَهَمِّيَّة المال وَأَهَمِّيَّة الحفاظ عليه ، وأن الإسلام يحب أن يكون المسلم قويًّا غنيًّا ، ولا يحب الفقر والضعف .

٤ـ ومن المعاني التي تجود بها الآية إبراز أنه لا علاقة بين « المَنْهَج » ومَنْ« يطبق المَنْهَج » ؛ فقد يكون المَنْهَج في أقصى درجات الرُّقي والإفادة ، ولكن من يطبق هذا المَنْهَج لم يطبقه على وجهه الصحيح ، إما جهلا منه ، وإما أن يكون هناك من صده عنه ، وينطبق هذا على الإسلام ، فالإسلام منهج رباني واقعي ، قابل للتطبيق ، محقق لخير البشرية في الدنيا والآخرة ، ولكن من يطبقون المَنْهَج ـ المسلمين ـ لم يطبقوه على وجهه الصحيح لأسباب لا مجال لسردها في هذا المقام .



والمسلم الذي يظلم يتيمًا لا يعني فساد الإسلام كمنهج ، ولكن يعني فساد من يطبق هذا المنهج.

٥- تشير الآية إشارة غير مباشرة إلى أَهَمِّيَّة الأمومة والأبوة في حياة الطفل ؛ لذلك فكل ما يهدم هذه الأمومة أو الأبوة يجب الانتباه إليه ودفعه ، كالطلاق والانفصال وغيره .

٦- ينبغي أن تكون للدولة الإسلامية دورها في الحفاظ على أيتامها في كل مكان.

أوجه المطابقة بين بناء الجملة والمقام :

مقام الآية مقام اجتماعي ، تتوجه فيه الآية لبعض المسلمين الذين يعيشون في المجتمع الإسلامي ، هؤلاء البعض قد تغلب عليهم طباعهم الخبيثة ، ووساوس الشيطان في ظلم اليتيم وأكل ماله ، ولا يرسخ في إيمانهم أن هناك عقابا لهذا الأكل وتترد نفوسهم في وجود هذا العقاب ؛ فكان مقتضى ذلك أن تأتي الآية بهذا الشكل :

⇦ جملة اسمية تدل على ثبات معناها ، وامتداد زمنها من الحاضر للمستقبل .
⇦ مجيء خبر هذه الجملة جملة فعلية لإفادة الاستمرار التجددي .
⇦ استخدام أكثر من مؤكد : إنَّ ، إنما ، السين .
⇦ استخدام اسم الموصول الخاص « الذين » .
⇦ جملة الصلة التي احتوت على مفعول لأجله أو مفعول مطلق .
⇦ الإطناب الإيضاحي ، للإقناع وتوجيه العناية وأخذر الحذر .

*****

النموذج الثالث :

من الأمور التي ينبغي أن تشغل بال أي أحد أمر التوحيد وأمر الآخرة ؛ لأنه لا أهمَّ عند الإنسان من حياته الآخرة . ومن الأمور التي جذبتني لبحثها كيف تعامل القرآن مع من يعارضون التوحيد ، فكان هذا سبب اختيار هذه الآيات ، الآيات من ٨٨ إلى ٩١ من سورة مريم ، وهي :

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾ مريم: ٨٨ – ٩١

* **المرحلة الأولى السياق والمقام والمعنى** :

(١) السورة مَكِّيَّة :

وقد سبق أن أشرنا إلى خصائص القُرْآن المكي مع تحليل سورة آيات سورة الفجر .



(٢) **الجَوُّ العَام للسورة وأهم موضوعاتها :**

الغرض الأساسي للسورة الكريمة ومقصدها وغرضها « التوحيد وتنزيه الله ـ جَلَّ وعلا ـ عما لا يليق به ، وتثبيت عقيدة الإيمان بالبعث والجزاء ، ومحور هذه السورة يدور حول التوحيد والإيمان بوجود الله ووحدانيته ، وبيان منهج المهتدين ، ومنهج الضالين »[١] .

(٣) **مُنَاسَبَاتُ الآيات :**

أ- **مناسبة سورة مريم لما قبلها :**

ومن حيث مناسبة السورة لما قبلها فإن السورة التي تسبق سورة مريم هي سورة « الكهف » وَقَدْ ساقها الله ـ أي : سورة الكهف ـ للدلالة على أنَّ القُرْآن قَيِّمٌ لا عوجَ فيه ، وأنَّه من عند الله ، العليم بما كان وبما يكون ، ودَلَّ على ذلك بأَنْ ساق المسئول عنه من القصص [٢] أحسن سوق ، وكشف عن مخبآته القناع أبدع كشف .

---

(١) تفسير الصابوني : دار القُرْآن الكريم ، بيروت ، ط٤ ، (١٩٨١م) ، ٢/ ٢١٠

(٢) جاء في تفسير الطبري ، دار السلام ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٥م ، ٧/ ٥٢٩٧، أن القصص التي وردت في سورة الكهف أنزلها الله على نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ احتجاجًا على المشركين من قومه على ما ذكرنا في الرواية عن ابن عَبَّاس ؛ إذ سألوه عنها اختبارًا منهم له بالجواب عنها صدقه والرواية التي يُشيرُ إليها الإمام الطبري هي : بعثت قريش النضر بن الحارث، وعُقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصِفُوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار يهودَ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله ، وقالا إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاثٍ نأمركم بهنّ، فإن أخبركم بهنّ فهو نبيّ مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل ، فَرَوْا فيه رأيكم: سلوه عن فِتية ذهبوا في الدهر الأوَّل، ما كان من أمرهم ، فإنه قَدْ كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طوّاف، بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك، فإنه نبيّ فاتَّبعوه، وإن هو لم يخبركم، فهو رجل متقوّل، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضْر وعقبة حتى قَدِما مكة على قريش، فقالا يا معشر قريش: قَدْ جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قَدْ أمرنا أحبار يهودَ أن نسأله، عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقالوا: يا مُحَمَّد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أُخْبِرُكُم غَدًا بِمَا سأَلْتُمْ عَنْهُ، ولم يستثن فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة، لا يُحدِث الله إليه في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام،

ولما كان نهج سورة الكهف هذا النهج ـ نهج ذكر غرائب الأخبار التي لا يعلمها إلا الواحد القهار ـ ناسب أن يبتدأ سورة مريم « بالكشف عن أغرب من تلك القصص ؛ تحقيقا لآية ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ الكهف: ٩ بسياق غير ما تقدم فيما مضى عن السور، وجزئيات لم تذكر إلا فيها ، مع عدم المخالفة لما مضى ، تأييدًا لأن كلماته لا تنفذ ، وعجائبه لا تعدُّ ولا تحد ، وأنه لو كان من عند غيره لاختلف »[(١)] .

فسورة « مريم » تتناسب مع سورة « الكهف » في أنها تأتي في معظم آياتها بمزيد من القَصص عن بعض أنبيائه أكثر عجبًا من أصحاب الكهف وذي القرنين وغيرها فأتت في البداية بذكر زكريا وابنه يحيى ثم مريم وعيسى ثم إبراهيم ثم موسى ثم إسماعيل ثم إدريس ، والقاسم المشترك بين كل تلك الشخصيات الكريمة أنهم جميعًا وقع معهم خرقٌ لسنن الكون المألوفة المتعارف عليها بين البشر[(٢)] . هذا الخرق الذي يؤيد قدرة الله المطلقة في خلقه ، وأنه مُسَبِّبُ الأسباب ، وأن ما يريده ـ سبحانه ـ يكون ، ولا يكون إلا ما يريده ، وأنَّ له كل صفات الكمال والتوحيد الخالص .

حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وَعَدَنا مُحَمَّد غدا، واليوم خمس عشرة قَدْ أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزنَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مُكْثُ الوحي عنه، وشقّ عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبرائيل عليه السلام، من الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفِتية والرجل الطوّاف، وقول الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٨٥

(١) الإمام البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ١٢/ ١٦٢ ـ ١٦٣

(٢) فمع :

- نبي الله عليه السلام زكريا منحه ولدًا من امرأته العاقِر في وقت بلغ من الكِبَر عِتِيًّا ، ووهن العظم .
- ومع نبي الله يحيى عليه السلام أعطاه الله الفهم لكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال . الطبري ، ٧/ ٥٤٦٢
- ومع مريم حملت بدون توسط ذكر ، وتَساقُط التمر من النخلة اليابسة في وقت الشتاء .
- ومع عيسى وُلِدَ بدون أبٍ ، وتكلم في المَهْد .
- و مع إبراهيم نجاته من النار ، ورزقه بإسحاق على الكِبر .
- ومع موسى نجاته من فرعون بفلق البحر ، وتقريبه نَجِيًّا .
- مع إسماعيل نجاته من الذبح ، وتفجير بئر زمزم .
- ومع إدريس ، رفعه مكانًا عَلِيًّا حيث رفعه الله وهو حيٌّ إلى السماء الرابعة .

هذه الإشارات تتوافق وتتماشى مع مقصد السورة الذي هو « التوحيد وتنزيه الله ـ عز وعلا ـ وتثبيت عقيدة الإيمان بالبعث والجزاء » ، وهذا بدوره ينسجم ويتناغم مع المرحلة المكية التي نزلت فيها السورة .

ب- **مناسبة الآيات لما قبلها :**

ثم يستمر تتابع الآيات في ترابط يأخذ بعضها بحُجُز بعض إلى أن نصل إلى الآيات التي تتحدث عن « العاص بن وائل »(١) ، تلك الآيات التي تُثير العجبَ من حال من كفر بالله واليوم الآخر رغم وضوح الآيات البينات الدالة على ذلك ، بل التمادي في العناد وقِيلِهِ على الله أنه سيؤتيه المال والأولاد ، جَهْلا بقدرة رب العباد .

ثم بينت الآيات الموقف منه ؛ أي من العاص بن وائل يوم القيامة بالبعث والذل والعذاب ، وكان هذا مناسبًا لذكر حال المشركين مع معبوداتهم ، وأنهم يَستَعِزِّون بها ، ويظنون أنها ستمنعهم من عذاب الله ، ويتخذون عبادتها عند الله زُلْفَى . وبين أنهم يوم القيامة لا تنفعهم شيء من هذه الأمور وأَنَّ الأمر ليس « كما ظنوا وأَمَّلوا من هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله ، في أَنَّها تنقذهم من عذاب الله وتنجيهم منه ومن سُوْءٍ إنْ أراده الله بهم »(٢) ، وتقع العداوة بين الكفار وشركائهم ، ويجحد الكفارُ أن يكون هؤلاء المشركين عبدوهم أو أمروهم بذلك ، وتبرؤوا منهم وذلك كفرهم بعبادتهم .

ثم يأمر الله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بألا يعجل على أهل الكفر بطلب العذاب لهم والهلاك ؛ للراحة منهم ، فالله يَعُدُّ لهم عَدًّا ، ويُرسِل الشياطين عليهم تُؤزهم أزرًا ؛ فإنما نؤخر إهلاكهم ليزدادوا إثمًا ، ونحن نَعُدُّ أعمالهم كلها ونحصيها حتى أنفاسهم ؛ لنجازيهم على جميعها ، ولم نترك تعجيل هلاكهم لخير أردناه بهم ،

(١) روى الإمام البخاري عن عن خباب، قال: كنتُ رجلا قَيْنًا، وكان لي على العاص بن وائل دَيْنٌ فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: قلت: «لن أكفر به حتى تموت، ثم تبعث»، قال: وإني لمبعوث من بعد الموت، فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد، قال: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٧٨ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ۝٧٩ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ مريم: ٧٧ – ٨٠

(٢) الطبري ، ٧/ ٥٥٤٠



وسيأتي اليوم الذي يظهر فيه مشهدان متناقضان : « حَشْر للمتقين إلى الرَّحْمَن » و« سوق المجرمين إلى جهنم عطاشًا ظِماءً إلى النار بدون أدنى أمل في الشفاعة » ، في الوقت الذي يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله ؛ فيشفع بعض لبعض ؛ لأنهم آمنوا به وصدقوا رسوله ، وأقروا بما جاء به العمل بما أمر به.

ثم تأتي الآيات التي حددناها للتحليل البَلاغِيّ ، وفي تناسبها مع ما قبلها يقول البقاعي : « ولما أبطل مطلق الشفعاء ، وكان الولد أقرب شفيع ، وكانوا قَدْ ادعوا له ولدًا ، أبطل دعواهم فيه ؛ لينتفي كل شفيع خاص وعام ؛ فينتفي كل عز راموه بشفاعة آلهتهم وغيرها » ، أي أنَّ الإنسان عندما يجد نفسه في موقف لا يحمد عقباه يبحث عمن يساعده ، بطلب شفاعته لإنقاذه ، ولا أقرب للإنسان إلا ولده ؛ فناسب هذا الحديث عن الولد ، وعن اتخاذ بعض الضُّلَّال لله ولدًا .

وكانت النصارى على سبيل المثال تقول إنَّ المسيح ـ عليه السلام ـ ابن الله ـ حاشا لله وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرًا ـ أتى للفداء ؛ أي يفدي البشرية ويشفع لها من الخطيئة التي ارتكبها آدم ؛ فأبطل الله دعواهم في هذه الآيات ؛ لينتفي ـ كما قال الإمام البقاعي ـ كل شفيع ، خاص وعام .

ت- **مناسبة الآيات لما بعدها :**

وكما تتناسب الآيات مع ما قبلها تتناسب مع بعدها ، فالآيات من ٨٨ إلى ٩٥ تُختَمُ بقوله تَعَالَى : ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ مريم: ٩٥، وهذه تتناسب مع بعدها ـ كما يقول البقاعي ـ كالآتي : « ولما عمَّ بهذا الحكم الطائعَ والعاصي ، وكان ذلك مُحزنًا لأهل الطاعة باستشعار الذل في الدارين ؛ تحركت النفس إلى معرفة ما أفادتهم الطاعة ، واستأنف الجواب بذلك مبشرًا لهم بقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ٩٦﴾ مريم: ٩٦ »[1] .

ث- **مناسبة الآيات مع سورة مريم :**

وتتناسب الآيات محل التحليل البلاغي مع اسم السورة ، فالآيات تتحدث عن اتخاذ الولد ، واتخاذ الولد لا يكون إلا من أنثى ، فناسب أن تأتي الآيات في سورة « مريم » .

---

(١) نظم الدرر ، ١٢/ ٢٥٠



إذن فالآيات تتوافق مع سياقات الفترة المكية ، وتتوافق مع سياق السورة ومقصدها الداعي للتوحيد ، وتثبيت الإيمان ، وتتناسب مع ما قبلها وما بعدها.

(٤) معاني الآيات :

* الآية رقم ٨٨ :﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾

- استخدمت الآية لفظ « قال » ، وفي استخدام هذا الفعل وما يتصرف عنه قال النُّحاة : « واعلم أنَّ « قُلْت » إنما وقعتْ في كلام العرب على أن يُحْكى بها ، وإنما تَحْكِي بعد القول ما كان كلامًا لا قولا »[1] ؛ أي : يأتي بعدها ما كان كلامًا بأي كيفية وبأي لغة ؛ لذلك مثلا في قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾ هود: ٦٩ « ورد السلام الأول منصوبًا في جانب الأضياف ؛ لينبِئ عن ترجمة قولهم بمعناه على تقدير : « قالوا قولا سلامًا » أيًّا كان لفظه ؛ إذ لا فائدة في تعريف كيفيته ، وورد كلام إبراهيم عليه السلام في رده عليهم مرفوعًا على سبيل الحكاية بنصه ولفظه ؛ ليقع الاقتداء به »[2] . وهذا يشمل مَنْ قال هذا القول بالعربية والعِبرية أو القبطية أو بأي لغة كانت . وهذا ما يتناسب مع السِّيَاق العام .
- لفظ « اتخذوا » ؛ أي : جعلوا .
- لفظ « الرَّحْمَن » اختلف العلماء في معناه ؛ فقالوا : « وفيه أقوال :

أ- ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة ، والذي وسعت رحمته كل شيء.
ب- مزيح العلل ، ومزيل الكروب .
ت- العطوف على عباده بالإيجاد أولا ، وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانيًا ، والإسعاد في الآخرة ثالثًا .
ث- المنعم بما لا يتصور صدور جنسه من العباد .
ج- الملك العظيم العادل ... »[3] .

(١) سيبويه : الكتاب ، ت : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، (١٩٨٨م) ، ١٢٢/١

(٢) د. أحمد سعد : التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة ، ص٩٦

(٣) د. أحمد مختار عمر : أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة ، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، (٢٠٠٠م) ، ص ٥٤، وقد سبق أن أشرنا في فصل المباحث الصرفية إلى تلازم « الرحمن » مع لفظ « الرحيم » ، ونلاحظ هنا أن الآية أتت بلفظ الرحمن بدون لازمه ، ولا بد أن لذلك دلالة بلاغية.



- ولفظ « الوَلَد » يُطلَقُ في اللغَة كما قال اللغويون على « كل ما وُلِدَ من غيره ، **ويُطلَقُ على الذكر والأنثى والمثنى والجمع** »(1) .

ونقل الإمام الزَّبيدي في « تاج العروس » في مادة « و ل د » عن شيخه أن قبيلة قيس تستخدم الضبط « الوُلْد » لتعبر عن الجمع ، والضبط « الوَلَد » للتعبير عن المفرد . ونقل أيضا الزبيدي عن ابن السِّكِّيت أن الضبط « الوُلْد » يدل بذاته على الواحد والجمع ، وقد يكون « الوُلْد » جمع الولد . ونقل أيضًا عن ابن سِيده ـ بصيغة التمريض ـ قوله في « الوُلْد » ـ بالضم ـ : وقد يجوز أن يكون الوُلْدُ جمع وَلَدٍ ، كـ « وُثْنٍ ووثَن » ، فإن هذا مما يُكَسَّرُ على هذا المثال .

ومعنى الآية : وزعموا أن الرَّحْمَن اتخذ ولدًا .

* الآية رقم ٨٩ : ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ :

الإِدُّ : القول العظيم ، وهو المنكر من القول ، « وفي الإدّ لغات ثلاث ؛ بكسر الألف ، والأَدُّ ـ بفتح الألف ـ ، وآدًّا ـ بفتح الألف ومدها ، والعرب تقول لكل أمر عظيم : إِدٌّ ، وإِمْرٌ ، ونُكْرٌ »(2) .

ومعنى الآية : لقد جئتم أيها الناس شيئًا عظيمًا من القول منكرًا .

* الآية رقم ٩٠ : ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾

الفعل كاد : من أفعال المقاربة ، وهو يدل على « قرب حُصُول الخبر »(3) ، أي : « قَارَبَ الحصول ولم يحصل ، تقول : كاد زيدٌ أنْ يغرق ؛ أي : أشرف عليه ، وهي أقرب من عَسَى إلى الحصول »(4) .

الانفطار : الانشقاق ، يتفطرن : يتشققن قطعًا ، تنشق : تنصدع .

الهَدُّ : السقوط والانقضاض ، يسقط بعضها فوق بعض ، ونقل الإمام القرطبي عن ابن عَبَّاس قوله : « هدما ؛ أي : تسقط بصوت شديد »(5) .

---

(1) يُنظر : لسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس ، والمعجم الوسيط ، ومعجم اللغَة العربية المعاصرة ، ومعجم لغة الفقهاء .

(2) الطبري ، ٧/ ٥٥٤٧

(3) د. عبد السلام هارون : الأساليب الإنشائية في النَّحْو العربي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ ، (١٩٧٩م) ، ص٤٦

(4) د. فاضل السامرائي : معاني النَّحْو ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الأردن ، ط١ ، (٢٠٠٠م) ، ١/ ٢٧٣

(5) القرطبي : الجامع لأحكام القُرْآن ، ت : عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، (٢٠٠٦م) ، ١٣/ ٥٢١



وقَدَّم علماءُ الإعراب للفظ « هدًّ » ثلاثة توجيهات إعرابية :

١ـ مصدر في موضع الحال ؛ أي : مهدودة .

٢ـ مفعول مطلق نائب عن المصدر .

٣ـ واختار الإمام الزمخشري أن تعرب مفعولا لأجله .

ومع كل توجيه هناك إضافة معنوية :

فالحال تبين هيئة الجبال ؛ فكأنَّ الجبال تتفاعل ظاهريا مع غضب الرحمن على من قال إنه اتخذ ولدًا ، والمفعول لأجله مصدر قلبي يبين سبب الهد ، فكأن للجبال من المشاعر والإحساس ما تتفاعل به مع غضب الرحمن ، والمفعول المطلق يؤكد الهد وتأكيد الغضب .

ومعنى الآية : تكاد السماوات يتشققن قطعًا من قِيلِهم « اتخذ الرَّحْمَن ولدًا » ، وتكاد الأرض تنشق ؛ فتنصدع من ذلك ، وتكاد الجبال يسقط بعضها على بعض سقوطًا .

* الآية رقم ٩١ : ﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾

– « أَنْ » حرف مصدري ، « دعوا » : نسبوا . ومعنى الآية : أن جعلوا له ولدًا .

(٥) مَسْرَحُ الحَدَثِ اللُّغَوِيِّ والحَالُ ومُقْتَضَاهُ :

ليس للآيات سياق خاص بها (سبب نزول) ، لذلك فهي تخضع لما يمكن أن نسميه السياق العام المكي ، كما في آيات سورة الفجر.

وإذا حاولنا أن نرسم مسرح الحدث اللغوي لهذه الآيات فإننا يمكن أن نقول :

- المتكلم هو رب العزة سبحانه ، لا إله إلا هو ، يتكلم غاضبا من قول بعض الضُّلَّال اتخاذه ـ سبحانه وتعالى علوًّا كبيرا ـ ولدًا .
- السامع والمخاطب : العرب وأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وكل من قال اتخذ الرحمن ولدًا .
- البيئة المحيطة : لا توجد لهذه الآيات بيئة محددة ، ولا مكان ولا زمان محددين ، فهذا القول يتردد في بيئات وأعصار مختلفة .
- الموضوع المتحدث عنه : اتخاذ الرحمن ولدًا ، وهو موضوع خطير .

▪ **الحالة النَّفْسِيَّة العامة وحال من يتوجه إليه الحديث :**

قال صاحب الظلال : « إن جرس الألفاظ وإيقاع العبارات ليشارك ظلال المشهد في رسم الجو : الغضب والغيرة والانتفاض ! وإن ضمير الكون وجوارحه لتنتفض ، وترتعش وترجف من سماع تلك القولة النابية ، والمساس بقداسة الذات العلية ، كما ينتفض كل عضو وكل جارحة عندما يغضب الإنسان للمساس بكرامته أو كرامة



من يحبه ويوقره . هذه الانتفاضة الكونية للكلمة النابية تشترك فيها السماوات والأرض والجبال ، والألفاظ بإيقاعها ترسم حركة الزلزلة والارتجاف »[1] .

والخطاب يتوجه لمن قال هذا الكلام في الدنيا ، قال الإمام النَّسَفِي: « خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة ، وهو التفات ، وأمر نبيه ـ عليه السلام ـ بأن يقول لهم ذلك »[2] . وفي الغالب هؤلاء في غفلة عن هذا الخطاب لا يلتفت أكثرهم إليه.

▪ **الحَالُ ومُقْتَضَاه :**

يقتضي طبيعة الموضوع وخطورته ، والغفلة التي عليها المخاطب أن يكون الكلام جزلا قوية ، جاذبًا لأقصى درجة لانتباه سامعه ، تُستخدَم فيه القوارع اللفظية ذات الجرس الموسيقى والمؤكدات اللفظية ، وكل ما يعبر عن خطورة الموضوع المتحدَّث عنه .

* **المرحلة الثانية مرحلة البدائل اللفظية** : ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾ مريم: ٨٨

بدائل الحقل الدلالي :

بدائل اللفظ « قال » التي يمكن أن تَحُلَّ محله في الآية : « زَعَمَ ، ذَكَرَ » . واللفظ « قال » هو الأنسب للسياق التاريخي ، حيث يُشير إلى وقوع المقول وعدم الشك فيه ، كما أَنَّ ما يأتي بعدها يشمل الكلام بأَيَّةِ كيفية وبأي لغة كما أشرنا ، وهذا اللفظ عند علماء الحديث من « صِيَغ الجزم » ؛ أي : من الصيغ التي تُستخدَم مع الحديث الصحيح .

أما اللفظ « زَعَمَ » فأكثر ما يُستعمل فيه الدلالة على« الارتياب أو الشك أو ما كان باطلا أو كذبًا أو ذمًّا »[3] .

وهو عند النحاة من أفعال القلوب التي تفيد الرجحان ، واللفظ « ذَكَرَ » ـ كما يقول أهل اللغَة ـ « إِذا قِيل : ذَكَر فلَان كَذَا وكَذَا ، فَإِنَّمَا يُقال ذلِك لأمر يُسْتَيْقَن أَنه حَقّ »[4] .

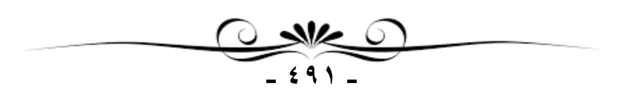
ولكن الفعل قال أنسب منه ؛ لأن الذِّكر يكونُ بعد نسيانٍ[1] ، قال الإمام أبو هلال العسكري : « الذّكر وإنْ كَانَ ضربًا من الْعلم فَإِنَّهُ لَا يُسمى ذكرا إِلَّا إِذا وَقع بعد النسْيَان »[2] .

(١) الظلال ، ج ١٦ ، ص ٢٣٢٠ ، ٢٣٢١

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ت : يوسف على بديوي ، دار الكلم الطيب ، بيروت ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، ٢/ ٣٥٣

(٣) يُنظر : تاج العروس ، المعجم الوسيط ، معجم اللغَة العربية المعاصرة ، مادة « ز ع م » .

(٤) ينظر : تاج العروس ، مادة « ز ع م » .



- وبدائل لفظ « اتخذ » : « أخذ » ، ويمتاز اللفظ « اتخذ » على « أخذ » بمعنى **الاستمرارية** ، قال أبو هلال العسكري (ت : ٣٩٥ هـ) : « الاتخاذ : أخذ الشيء لأمر يُستَمَرُّ فيه »(٣) .
- وبدائل لفظ « الرَّحْمَن » التي يمكن أن تحل محله في الآية كل أسماء الله الحسنى التي قَدْ تصل إلى ١٩٠ اسمًا (٤) .

ولكن اسم الرَّحْمَن ـ بما يتضمن معنى الرحمة التي لا غاية بعدها من الرحمة ـ هو الأوفق من بين أسماء الله الحسنى لسياق الآية ، فاليهود والنصارى والمشركون يؤذونه ـ حاشا لله ـ بقولهم « ولد الله » ، وهم يرددون قولهم ليل نهار صباح مساء ، في كل مكان على أرضه التي خلقها ، وتحت سمائه التي رفعها، ومع ذلك يرزقهم ويعافيهم ويعطيهم ويُمهل لهم رحمة بهم(٥) .

وقد يكون البديل القريب لاسم الرَّحْمَن اسم « الرحيم » ، وتفضيل الآية للفظ « الرَّحْمَن » على لفظ « الرحيم » للآتي :

» لفظ « الرَّحْمَن » عام يشمل المؤمن والكافر ، بينما « الرحيم » يشمل المؤمنين فقط(٦) .

» لفظ « الرَّحْمَن » لا يطلق إلا على الله تعالى ، بخلاف « الرحيم » الذي يمكن أن يطلق على الله وعلى غيره(٧) .

» العبودية لم تأت منسوبة إلى اسم من أسماء الله تعالى في القُرْآن (سواءً بصيغة

---

(١) يُنظر : المعجم الوسيط ، معجم اللغَة العربية المعاصرة ، مادة « ذ ك ر » .

(٢) الفروق اللغوية ، ت : مُحَمَّد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة ، القاهرة ، (بدون تاريخ للطبعة) ، ص٩٣

(٣) السابق ، ص ١٣٨

(٤) د. أحمد مختار عمر : أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة ، ص ١٨

(٥) روى الإمام البخاري في صحيحه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : « لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ: لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ » . وروى أَيْضًا عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قوله : قدم على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سَبْيٌ ، فإذا امرأة من السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثديها تسقي، إذا وجدت صَبيًّا في السبي أخذته ، فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ » قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: « للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا» .

(٦) د. أحمد مختار عمر : أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة ، ص٥٧

(٧) السابق ، ص ١١٦



المفرد أو الجمع) إلا للفظ الجلالة « الله » ، ولفظ « الرحمن » [١] .

» في لفظ « الرَّحْمَن » من المُبَالَغَة ما ليس في لفظ « الرحيم » ؛ لأنَّ الزيادة في البناء زيادة في المعنى

» لفظ الرحمن على وزن « فَعْلان » ، يقول الإمام الإمام السُّهَيْلي (ت : ٥٨١هـ) عن هذا الوزن : « وإنما دخله معنى المُبَالَغَة من حيث كان آخره ألف ونون كالتثنية ، فإن التثنية في الحقيقة تضعيف ، وكذلك هذه الصِّفَة ؛ فكأن « غَضْبَان » و« سَكْران » حامل لِضِعفَين من الغضب والسُّكْر ؛ فكان اللفظ مضارعًا للفظ التثنية ؛ لأن التثنية ضِعفان في الحقيقة »[٢] .

» ونلاحظ في لفظة الرحمن على وزن « فَعْلان » انتهاؤها بـ « النون » المسبوقة بـ « ألف المد » ؛ مما « يسمح بالتنغيم والترديد »[٣] ، ولـ « مسايرة طبيعة العرب في في الترنم والإنشاد ؛ ختمت كثير من الفواصل بالمد والنون ... ويمكن أن يضاف إلى النون الميم ، فهما الصوتان الأنفيان الوحيدان في اللغَة ؛ مما يسمح بالتنغيم والترديد »[٤] .

وتتمتع « حروف المد والحركات » بما يسميه اللغويون بـ « **قوة الوضوح السمعي Sonority** » ، فهي « أقوى الأصوات إسماعًا » ، ويأتي أقل منها مباشرة في هذا الوضوح السمعي « الأصوات الأنفية والجانبية والمجهورة ، مثل : صوت الميم ، وصوت النون ، وصوت الراء »[٥] .

---

(١) السابق ، ص ١٣٩

(٢) ابن قيم الجوزية : بدائع الفوائد ، ت : علي مُحَمَّد العمران ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، جدة ، (بدون بيانات لتاريخ الطبعة ورقمها) ، ١/ ٤١

(٣) د. أحمد مختار عمر : أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة ، ص ٥٦

(٤) د. أحمد مختار عمر : لغة القُرْآن دراسة توثيقية فنية ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت ، ط٢ ، (١٩٩٧م) ، ص ١٣٢، ١٣٣ ، ومن الملحوظات الجديرة بالتسجيل الملحوظة التي سجلتها دراسة إحصائية قام بها محمد الحسناوي ، حيث لاحظ أن ترتيب شيوع الروي في الفواصل جاء حسب الترتيب التنازلي الآتي : « **النون ٣١٥٢ مرة** ـ الميم ٧٤٢ مرة ـ الراء ٧١٠ مرة» ، وتلا ذلك الدال ، فالياء ، فالباء ، فاللام ، فالهاء ... إلخ . ينظر : د.أحمد مختار عمر : أسماء الله الحسنى ، ص ١١٩

(٥) د. مُحَمَّد داود : العربية وعلم اللغَة الحديث ، دار غريب ، القاهرة ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، ص١١٦



ويربط بعض الباحثين بين حرفي « الميم والنون» وبين إيحاء الجلال والشجن ، فـ « فالنون والميم ـ بما بينهما من غنة (والنون أشدُّ غنة) يشتركان في بعث جوٍّ من الهدوء والوقار والجلال ... بل ربما أثارتا في النفس جوًّا من الشجن الشفيف كذلك»[(١)] .

» من المعاني الصَّرْفِيَّة لوزن « فَعْلان » الدلالة على « الامتلاء والسعة والشمول وكثرة الشيء وعظمته » [(٢)] ، كما تفيد « الحدوث والتجدد »[(٣)] . وهي بذلك تخالف وزن « فعيل » الذي يدل على « الثبوت » ، واقتصرت الآية على « الرَّحْمَن» للدلالة على أَنَّ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ رحيم واسع الرحمة لأبعد مدى ، ولكن سيأتي وقت تنتهي هذه الرحمة ، فـ« رحمة الله لا تتعارض مع شدته وقوته ، بل هي من لوازمها ، وقديمًا قيل العفو عند المقدرة »[(٤)] ؛ لذلك لم تُتْبِعْ الآيةُ لفظ « الرَّحْمَن » بـ « الرحيم » ، مثلما فعلت في « سورة الفاتحة » للدلالة على أنَّ رحمة الله « بغير المؤمنين » سيأتي عليها حينٌ من الدهر تنقطع عنهم .

» يرتبط لفظ « الرَّحْمَن » في القُرْآن بـ « العبودية » ، عبودية الإنسان لله ، فلم تأتِ العبودية « منسوبة إلى اسم من أسماء الله في القُرْآن إلا للفظ الجلالة « الله » ، و« الرَّحْمَن » ... »[(٥)] .

ومن الإحصاءات الطريفة أن سورة « مريم » هي أكثر السور القُرْآنِيَّة التي تردَّدَ فيها لفظ « الرَّحْمَن » ، حيث تردَّدَ ١٦ مرةً[(٦)] ، ويمكن أن يفسر هذا التكرار بالآتي :

---

(١) د. مُحَمَّد العبد : إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي ، ص ٢٨ ، ٢٩

(٢) د. مُحَمَّد محمد داود : معجم الفروق الدلالية في القُرْآن الكريم ، دار غريب ، القاهرة ، ط١ ، (٢٠٠٨م) ، ص٤٤٥

(٣) يُنظَر : الزَّمَخْشَرِيّ ، تفسير الكَشَّاف ، ج١ ، عند تفسير أول سورة الفاتحة .

(٤) د. أحمد مختار عمر : أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة ، ص ٥٨

(٥) السابق ، ص ٥٦

(٦) السابق ، ص ٥٥ ، ومن الإحصاءات الأخرى في نفس المصدر : أن لفظ « الرحمن » ورد في القُرْآن كله ٥٧ مرة ، منها ٥٠ مرة في القُرْآن المكي ، والباقي في المدني .

:

- ✓ في هذا التكرار تأكيد شديد على عبودية الإنسان لله ، وأنه خلق من خلق الله ، وفي هذا ردٌّ على من يزعمون أن الله اتخذ ولدًا سبحانه .
- ✓ أن في هذا التكرار فائدة وهي التأكيد على : « أنه هو الرحمن وحده ، لا يستحق هذا الاسم غيره ، وخلق لهم (؛ البشر) جميع متطلباتهم التي بها قوام معايشهم ، فهل اعتبر الإنسان؟! أم لا يزال الغطاء مسدولًا على عينيه والوَقْر يغشى أذنيه؟! فمن أضاف إليه ولدًا جعله كالأناسي المخلوقة، وأخرجه بذلك عن استحقاق هذا الاسم الجدير به وحده »(1) .
- ✓ ممَّا ذُكر في الآيات ما قاله بعض الضُّلال وفجرة البشر من اتخاذ الله ولدًا ، وعبرت الآيات عن غضب الله الشديد من هذا القول . وهنا قَدْ تُثارُ الدهشةُ ويتساءل المرء : إذا كان غضب الله قَدْ وصل إلى منتهاه لقول هؤلاء الضالين الغلاه ؛ فلماذا لم يُفنِهم ويَمْحُهُمْ ويُبِدْهُهم عن بكرة أبيهم ، وهو أهون عليه ـ سبحانه ـ ؟ وستكون الإجابة : أنَّ الله أمهلهم وتركهم مع غضبه الشديد لأنه « رحمن ، رحيم » ؛ فكأن في تكرار لفظ « الرحمن » إجابة لمن قَدْ يتساءل عن هذا السؤال .

بقي من ألفاظ الآية لفظ « ولد » .

بالرجوع إلى معجم المجالات الدلالية « المكنز » ، وخاصة المجالين الدلاليين : « البنوة رقم ٤٤٠ » ، والمجال « صغر السن ٢١٨٤ » ، يمكن أن نحدد البَدَائِل اللفظية القُرْآنِيَّة التي يمكن أن تَحُلَّ محلها في الآية : « ابن ، غلام ، صبيّ ، فتى ، عقب طفل » ، فمن الممكن في غير القرآن أن تكون الآية : « وقالوا اتخذ الرحمن ابنا ، أو غلامًا ، صبيًّا ، فتى ، عَقِبًا ، طفلا ... » .

فلماذا اختارت الآية لفظة « ولد » من هذه المجموعة ؟

ونتبين البلاغة القُرْآنِيَّة في اختيار لفظة « ولد » ـ كأحسن اختيار يمكن أن يكون

(1) محيي الدين الدروش : إعراب القُرْآن ، ٦/ ١٥٨



ـ من هذه المجموعة الدلالية من خلال تبين « الفروق الدلالية التكوينية » (١) التي تفرق بين هذه الألفاظ وذلك من خلال الجدول الآتي :

م	الملمح التمييزي	ولد	طفل	عقب	ابن	غلام	فتى	صبي
١ـ	ذكر	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓
٢ـ	أنثى	✓	✓	✓	-	-	-	-
٣ـ	الإفراد	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓
٤ـ	التثنية	✓	✓	✓	-	-	-	-
٥ـ	الجمع	✓	✓	✓	-	-	-	-
٦ـ	ظهور علامات البلوغ	-	-	–	-	✓	-	-
٧ـ	حَدَاثَة السِّن	-	–	✓–	-	✓	✓	✓
٨ـ	قرابة الدم والنسل والنسب	✓	–	✓	✓	-	-	-
٩ـ	الدلالة على الفترة الزمنية من لحظة الولادة إلى لحظة الفطام	-	✓	–	-	-	-	✓
١٠ـ	الدلالة على الفترة الزمنية من عامين إلى ١٧ عامًا	-	✓	–	-	✓	-	-
١١ـ	الدلالة على كل مراحل العمر	✓	–	✓	✓	-	-	-
١٢ـ	الإشارة إلى قرابة الدم وغيرها (٢)	-	–	–	✓ (٣)	-	-	-
١٣ـ	الدلالة على الشباب	-	–	–	-	-	✓	-
١٤ـ	العبودية والخادمية	-	–	–	-	-	✓	-
١٥ـ	إشارة إلى مولود إنسان	–	✓	–	–	–	–	–

(١) سبق بيان نظرية التَّحْلِيْل التكويني وكيفية عملها .

(٢) جاء في « معجم اللغَة العربية المعاصرة » مادة « ب ن و ، ب ن ي » في تعريفه للفظ « ابن » : « ولد ذكر، ويدخل في تسمية أبناء الأقارب ، يطلق على كلّ ما ترتب على غيره بالسببيّة أو التبعيّة أو الملازمة أو المشابهة » . د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١، (٢٠٠٨م)

(٣) جاء في معجم المصباح المنير مادة « ب ن ي »: « ويطلق الابن على ابن الابن وَإِنْ سَفُلَ مَجَازًا... وَيُضَافُ ابْنٌ إلى ما يُخَصِّصُهُ لِمُلَابَسَةٍ بَيْنَهُمَا ، نحو ابن السبيل ؛ أي : مار الطريق مُسَافِرًا ، وهو ابن الحرب ؛ أي : كافيها وقائم بحمايتها ، وابن الدنيا ؛ أي : صاحب ثروة ، وابن الماء لطير الماء ، ومؤنثة الابن ابنة على لفظه ».



	وحيوان معا							
١٦ـ	الاتصال المباشر بالأبوين فقط	✓	✓	–	–	–	–	–

من هذا الجدول نستفيد الآتي :

- أهم ملمح يميز لفظ « **ولد** » عن الألفاظ « ابن ، غلام ، فتى ، صبي » **دلالته** بنفسه على الذكورة والأنوثة والإفراد والتثنية والجمع .
- وما يميز لفظ « **ولد** » عن لفظ « **الطفل** » في ارتباط اللفظ بولد الإنسان فقط (ما يعقل) ، وارتباط الطفل بولد الإنسان والحيوان .
- وما يميز لفظ « **ولد** » عن لفظ « **العقب** » **دلالة الاتصال المباشر دون الانتقال لما** بعد الوالدين .

بناء على المعطيات السابقة فإن لفظ « الوَلْد » هي الأنسب للسياق ؛ لأنها تدل بلفظها على المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث ، ولا تطلق إلا على ولد الإنسان وعلى الاتصال المباشر بالوالدين ، وهي مميزات لا توجد إلا في هذا اللفظ ، فهناك من قال :

» من اليهود : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ التوبة: ٣٠

» وقالت النصارى: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ التوبة: ٣٠

» وقال تَعَالَى : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ النحل: ٥٧

» وقال تَعَالَى : ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ الصافات: ١٤٩

» وقال تَعَالَى : ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ الطور: ٣٩

» وقال تَعَالَى : ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنعام: ١٠٠ ، (**خرقوا : ادَّعوا كذِبًا**) .

فلفظ ولد يشمل البنوة (ابن) ، ويشمل الأنوثة والجمع (بنين ، بنات) ، وهذه الميزات الدلالية لا تتوافر مع أية لفظة من الألفاظ التي تأتي معها في نفس الحقل الدلالي . لذلك فأهم جانب بلاغي في استخدام هذا اللفظ الدلالة على الإيجاز والاختصار .

البَدَائِلُ الإِضْمَارِيَّةُ والظَّاهِرِيَّة :

حلَّ الضَّمِير واو الجماعة في « قالوا » محل الأسماء الظاهرة : « اليهود ، النصارى المشركين » ، فبدلا من أن تقول الآية : « وقالت اليهود والنصارى والمشركون اتخذ

الله ولدا » ، قالت اختصارًا : « وقالوا اتخذ الرَّحْمَن ولدًا » ، وهذا فيه من الإيجاز ما فيه فـ « الغرض من الضَّمِير هو الدلالة على المراد مع الاختصار »[١] . وهذا الاختصار أو الإيجازالذي يقوم به الضَّمِير أحيانًا مَلمَحٌ مهم من ملامح البلاغة .

وتجاهل القُرْآن التصريح بأسماء هؤلاء الذين قالوا هذا القول العظيم والاستعاضة عن ذلك بالضمير يوحي بغضب الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ منهم ومما قالوه عليه سبحانه ، فهم ليسوا خُلقاء بأن يذكروا .

ومن البَدَائِل الضميرية الممكنة استخدام ضمير المخاطب بدلا عن ضمير واو الجماعة ، « قالوا ـ قلتُم » ، واستخدام تاء الخطاب بديلا عن واو الجماعة سيوحي بأن حوارًا دار بينهم وبين الله ، وسيخرج الكلام كأن فيه نوعًا من العتاب من الله لهم ، وفي ذلك رفعٌ لشأنهم ، وإشعار بأنَّ الله قَدْ يتغاضى عن عذابهم ، وهذا ما لن يكون ، ولا يتناسب مع سياق الآيات ، كل هذه الدلالات تختفي مع استخدام واو الجماعة .

بَدَائِلُ التعريف والتنكير :

في قوله « ولدًا » يمكن أن يحل محله « الولد » ، بدخول « أل » الجنسية ، وفي هذا الاستخدام ما يوحي بالعمومية والشمول[٢] ، وأن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ خُصَّ بجنس الولد كله ، وهذا غير مراد ، لأن مرادهم أنَّ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ اتخذ بعض الولد .

البَدَائِلُ الصرفية :

- البدائل الزمنية للفظ « قالوا ـ اتخذ » : « يقولون ـ يتَّخذ » ، وتفضيل الزمن الماضي لثبوت هذا القول وهذا الاتخاذ على من قال به ، وسابق علم الله بهذا القول . أما المُضَارِع فقد يوحي بأنهم قَدْ يأتي عليهم وقت لا يقولون فيه هذا القول العظيم ، وهو ما لم يحدث .
- **فَصَاحَةُ الألفاظ في الآية :**

---

(١) عباس حسن : النَّحْو الوافي ، ١/ ٢٧٦

(٢) المعاني التي تفيدها « أل الجنسية » : « إما إفادة الإحاط والشمول بكل أفراد الجنس حقيقة لا مجازًا ، وإما إفادة الإحاطة والشمول لا بأفراد الجنس ؛ وإنما بصفة من صفاته وخصائصه على سبيل المُبَالَغَة والادعاء والمجاز، وإما بيان الحقيقة الذاتية، دون غيرها » . يُنْظَرُ : عباس حسن : النَّحْو الوافي ، ١/ ٤٢٨



- في ضوء مقاييس ابن سنان الخفاجي لفصاحة الألفاظ نقول تخرج ألفاظ الآية سهلة في النطق ، لا تَثقُلُ على اللسان ، تحسن في السمع ، غير متوعرة ولا وَحشيَّة ، جارية على العُرف العربي معتدلة الحروف من حيث العدد .

* الآية رقم ٨٩ : ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾ :

بَدَائِلُ الحقل الدلالي :

البدائل الممكنة للفظ « جئتم » : « فعلتم ، أتيتم » ولا تُسعفنا المعاجم اللغوية ولا المؤلفات التي تُعنَى بالفروق الدلالية بالفروق بين الألفاظ الثلاثة ؛ لذلك سنلجأ لسياقات الأفعال الثلاثة في القُرْآن ؛ لنستشف منها بعض الفروق .

- باستقراء الآيات التي جاء فيها اللفظ « جاء » نستخلص من هذه السياقات أن **الأحداث التي تأتي معه لا تحدثُ فجأة ، بل تحتاج إلى فترة زمنية (طويلة نوعًا ما ومستقبلية نوعًا ما) تُعالَجُ فيها هذه الأحداث بنوع من الشدة**[1] **، وتحتاج هذه الأحداث إلى تخطيط وقصد ووعي وتفكير ، ولا تكون عفو الخاطر ولا عن إلف أو اعتياد ، بل عن علم ومعرفة وأسباب وقعت قبله . والأحداث التي تأتي معها تكون سببا لما يأتي بعدها** ، والحدث معها لا بد أن يقع . ونلاحظ على هذا الفعل عدة ملحوظات :

» أن هذا الفعل لم يأتِ في القُرْآن إلا في صيغة الماضي ، ولم يأتِ ـ على الأقل في رواية حفص ـ بصيغة المُضَارِع ، ولا بصيغة الأمر ، ولم يأتِ اسمًا ولا مصدرًا ولا

(١) قال الراغب الأصفهاني (ت : ٤٢٠هـ) : « جاء ... **كالإتيان ، لكن المجيءُ أعم ؛ لأن الإتيان الإتيان مجيءٌ بسهولة ، والإتيان قَدْ يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه حصول ، والمجيء يقال اعتبارًا بالحصول** » . يُنظَر : مفردات ألفاظ القُرْآن ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، (٢٠٠٩م) ، ص١١٧، وقول الراغب « **الإتيان مجيء بسهولة** » يُشعر أن الحدث مع « المجيء » فيه نوع صعوبة وشدة ، وقوله « **والمجيء يقال اعتبارا بالحصول** » يُشعر بأن الحدث معها سببٌ في وجود غيره ولا بد من وقوعه ، وهو ما أثبتناه في التعريف .



مشتقًا . وفي هذا إشارة إلى أنه يأتي مع الأمور الواقعة حتمًا .

» عدد مرات ورود لفظ « جاء » هو : ٢٧٨ مرة على الأقل .

» ارتباط هذا اللفظ في عدد ليس بالقليل من آيات القُرْآن بعدد من الأدوات ، أهمها : « لما ، إذا ، حتى إذا ، قَدْ ، لقد ، إن » ، كما هو في الجدول الآتي :

م	الفعل	الاداة التي أتى معها	الوظيفة النحوية ودلالتها	عدد مرات المجئ
١ـ	جاء	لما	ظرفية بمعنى حين ، حرف وجود لوجود ، أو وجوب لوجوب [(١)] .	٣٨
٢ـ		إذا	ظرف لما يستقبل من الزمان ، وللماضي بقرينة ، يتضمن معنى الشرط ، **إذا وقع الماضي بعدها في جملة الشرط أو الجواب جعلته دالا على المستقبل ما لم يدل عليه دليل** [(٢)] .	٢٨
٣ـ		قد	**مع الفعل الماضي تفيد التحقيق أو تقريب الماضي من الحال أو التوقع**[(٣)] .	٢٥
٤ـ		لقد	اللام التي تأتي مع قَدْ موطئة للقسم تدل على قسم مقدَّر قبلها .	٢٥
٥ـ		إِذْ	ظرف لما مضى من الزمن في أكثر استعمالاتها ، ويقل أن تكون للمستقبل	١٤
٦ـ		حتى إذا	من معاني حتى أنها تفيد أن ما بعدها غاية لما قبلها ، وتفيد انقطاع ما قبلها بمجرد حصول ما بعدها ، والغالب أن تدخل في الكم الذي بعدها[(٤)] .	١٣

(١) قال صاحب النَّحْو الوافي ٢/ ٢٩٦ : « بعض النحاة يعتبرها حرفًا بمعنى: حين ، وتسمى: لما الحينية ، ويسميها بعض النحاة: لما الوجودية ؛ لأنها الرابطة لوجود شيء بوجود غيره؛ أو: لما التوقيتية ؛ لأنها بمعنى وقت » .

(٢) د. علي توفيق الحمد : المعجم الوافي في أدوات النَّحْو العربي ، دار الأمل ، الأردن ، ط٢ ، (١٩٩٢م) ، ص ٣٥

(٣) السابق ، ص ٢٣٠

(٤) السابق ، ص ١٤١ ، ومن الأدوات التي ارتبط بها الفعل جاء : مَن الشرطية ٨ مرات ، إِنْ ٧ مرات ، الهمزة ٥ مرات ، أَنْ ٤ مرات ، لو ٣ مرات ، كلما مرتان ، لولا مرتان ، من اسم موصول مرة واحدة .



وما نستفيده من هذا الجدول ، أن الفعل جاء مرتبط في أغلب أحوله بعنصر الزمن ، المستقبلي بدرجة كبيرة (دلالة إذا ، حتى ، حتى إذا) ، والماضوي بدرجة أقل قليلا .

أما الفعل البديل لجاء « فعل » فمن خلال استقراء الآيات التي ورد فيها هذا الفعل نجده أنه يدل على الأفعال سهلة الحدوث التي لا تستغرق فترة زمنية طويلة ، والتي قَدْ تكون أحيانا معتادة ومألوفة ، والتي قَدْ تأتي أحيانًا فجأة وبلا تخطيط طويل وبلا تفكير عميق وبلا إرادة من صاحبها إذا كانت من غير الذات الإلهية[1] .

والبديل الثاني « أتى » يدل ـ من خلال سياقات الآيات القُرْآنِيَّة ـ **على الأمور التي ليس بها تخطيط ، الأمور المفاجئة التي تحدث بسهولة والتي ليست لها مقدمات وليس لها فترة زمنية تسبقها والحدث معها قد يقع أو لا** [2] .

من خلال هذه الدلالات الثلاث للأفعال « جاء ، فعل ، أتى » ، لماذا اختار القُرْآن الفعل « جاء » ؟ نجيب قائلين :

- ارتبط الفعل « جاء » في معظم سياقاته القُرْآنِيَّة بدلالة زمنية ، مستقبلية أو ماضوية ، كما ظهر من جدول الأدوات التي تأتي مع هذا الفعل ، ولكن الدلالة على الزمن المستقبلي اختفت من آية مريم ، ولم يبق إلا الدلالة على الزمن الماضي الذي يدل عليه صيغة الفعل جاء المُؤَكَّد باللام الموطئة للقسم والمُحَقق بأداة التحقيق « قَدْ » ، واختفاء دلالة المستقبل المرتبطة بالفعل جاء في معظم سياقاته وبقاء دلالة الماضي المؤكد والمُحَقَّق يدل على أَنَّ هذا القول الذي قاله اليهود النَّصارى والمشركون من اتخاذ الله ولدًا قولٌ عظيمٌ ومنكرٌ في كل وقت وفي كل

(١) تأمل قَوْله ـ تَعَالَى ـ ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ البقرة: ٧١، وقوله : ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ المائدة: ٧٩

(٢) يُراجع ما قاله الراغب الأصفهاني قريبا ، ولنتأمل بعض الآيات التي جاء فيها أتى : ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ النحل: ٢٦، وقوله : ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾ مريم: ٢٧، وتأمل المقابلة بين الفعل « يُؤْتي » والفعل « ينزع » في قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ آل عمران: ٢٦

حين ، وأَنَّ الله ـ سبحانه ـ لم يزل واحدًا فردًا صمدًا ، وأنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا . واستخدام القسم وأداة التحقيق للدلالة على ذلك ، وللدلالة على أن ما قالوه بلغ أقصى درجات ما يُغضب الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ . هذا التأكيد الزمني لا نحصل عليه من الفِعْلَيْنِ الآخرين « فعل ، أتى » .

- ما قالته النصارى في حق الله عَزَّ وَجَلَّ لم يكن فجأة ولم يكن عفو الخاطر بل بعد جدال طويل وعنيف أدَّى إلى الاقتتال الشديد في بعض المراحل التاريخية [١] . هذه الشدة وهذا الجدال العقلي يناسبهما سياقيًّا استخدام الفعل جاء ، بدلالته التي أثبتناها .
- اشتمال الفعل جاء على حرف « الجيم » وهو حرف ذو قيمة تصويتية واضحة [٢] ، ويتميز بأنه صوتٌ انفجاريٌّ مجهور ، يدل على الشدة ، ويتوافق مع غضب الرب ـ سبحانه ـ ، وانفجار الموقف بين النصارى واقتتالهم .

نتابع بقية البدائل في الآية .

البدائل الممكنة للفظة « شيء » : « أَمْر » ، ومعنى كلمة شيء « اسم لأي موجود

(١) روى الإمام ابن كثير ، والإمام ابن جرير الطبري في تفسيريهما : « قال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَر ، عن قتادة في قوله :﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴾ مريم: ٣٤ ، قال: اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر، أخرج كل قوم عَالِمَهُمْ ، فامتروا في عيسى حين رفع، فقال أحدهم : هو الله هبط إلى الأرض ؛ فأحيا من أحيا ، وأمات من أمات، ثم صعد إلى السماء ، وهم الْيَعْقُوبِيَّةُ. فقال الثلاثة: كذبت . ثم قال اثنان منهم للثالث: قل أنت فيه، قال: هو ابن الله ، وهم النَّسْطُورِيَّةُ. فقال الاثنان : كذبت . ثم قال أحد الاثنين للآخر: قل فيه . قال : هو ثالث ثلاثة : الله إله، وهو إله ، وأمه إله ، هم الْإِسْرَائِيلِيَّةُ ملوك النصارى ، عليهم لعائن الله . قال الرابع : كذبت، بل هو عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته، وهم المسلمون . **فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قالوا، فاقتتلوا فظُهِرَ على المسلمين**، وذلك قول الله تعالى : ﴿ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ آل عمران: ٢١ وقال قتادة: وهم الذين قال الله: ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ مريم: ٣٧، قال: اختلفوا فيه فصاروا أحزابا » . يُنظَر : تفسير الطبري ، ٧/ ٥٤٩٦

(٢) د. مُحَمَّد العبد : إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي ، دار الهاني للطباعة ، القاهرة ، (بدون بيانات أخرى) ، ص ١٧



ثابت متحقق يصح أن يُتَصَوَّر ويُخْبَرُ عنه سواء أكان حسيًّا أم معنويًّا »(١) . بينما كلمة « أمر » لغويًّا تدل على « الشأن ... وهو عام للأفعال والأقوال كلها »(٢) . واختارت الآية لفظ « شيء » لأنها تعبر عن شيء ثابت محدد يُمكن تصوره ، والإخبار عنه ، بينما لفظ « أمر » لا تعبر عن شيء ثابت ومحدد.

البدائل الممكنة للفظ « الإِدّ » هي : « الإِمْر ، والنُّكْر » ، ومعاني هذه الألفاظ متقاربة المعانى ، والخلاف بينها في درجة هذا المعنى ، جاء في « معجم الفروق الدلالية » عند حديثه عن هذه الألفاظ : « ونخلُص مما سبق إلى أَنَّ الألفاظ « إِدّ ، إِمْر ، نُكْر » متقاربة المعاني ؛ حيث تشترك جميعها في العِظَم والعَجَب والفظاعة ، لكن هذه الألفاظ تتدرَّج في التعبير عن هذا :

* فأوَّلها وأشدُّها « الإِدُّ » ؛ لذا ورد في التعبير عن فظاعة الشرك بالله .
* ثم « النُّكْر » ، وهو وسط بينهما ؛ ولذلك جاء في التعبير عن فظاعة القتل .
* ثم « الإِمر » ، وهو أقلُّها ؛ ولذلك استُعْمِلَ في التعبير عن خَرْق السفينة ، وهو أمْرٌ قَدْ يُفْضِي إلى إغراقها ومَنْ فيها ، ولكن يمكن تداركه بسد الخَرْق»(٣) .

ولا نحتاج أن نوضح أَهَمِّيَّة حرف الدال في نهاية الكَلِمَة ، فهذا الحرف هو صوت انفجاري ، حيث يقف الهواء وقوفًا تامًّا حال النطق عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة ، ويضغط الهواء مدة من الزمن ثم ينفصل اللسان فجأة تاركًا نقطة الالتقاء ؛ فيحدث صوتٌ انفجاري ، ويتميز عن حرف التاء بتذبذب الوتران الصوتيان (٤) . ويأتي حرف الدال الانفجاري الذي يتذبذب معه الوتران الصوتيان في نهاية الآية وهو ـ بصفاته الصوتية ـ يعبر عن « انفجار » غضب

(١) د. أحمد مختار عمر : معجم اللغَة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، (٢٠٠٨م) مادة « ش ي ء » ، ٢/ ١٢٥٢

(٢) الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القُرْآن ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، (٢٠٠٩م) ، ص ٣٣

(٣) د. مُحَمَّد داود ، ص ٥٠

(٤) د. كمال بشر : علم اللغة العام الأصوات ، ص ١٠٢



الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ هذا الغضب الذي بلغ منتهاه من قِيلِهم على الله قولا عظيمًا . وتنتهي الدال بتنوين النصب ـ النون الساكنة ـ ذات قوة الإسماع العالية التي تشبه دَوِيِّ انفجار حقيقي لتؤكد على غضب الرَّحْمَن عليهم.

كما تأتي أهمية الكلمة في تحقيق الاتفاق الموسيقي الموجود في نهايات الآيات ، هذه الموسيقى التي تشد الانتباه وتوجه الذهن للمعاني المتضمنة في الآية .

وتزداد قيمة التأثير الصوتي لحرف الدال بكونه أتى مشدَّدًا بعد همزة مكسورة ، وبعدها ـ في حال الوصل ـ تنوين (نون ساكنة) ؛ فهذا التركيب يشبه القنبلة التي انفجرت وتطايرت شظاياها في كل مكان .

البَدَائِلُ الحرفية :

استخدمت الآية لتأكيد المعنى الحرفَينِ « لام القسم ، وَقَدْ » ، والبديل الممكن لهما « إِنَّ » . فما الفارق بين التوكيد بهما والتوكيد بـ « إِنَّ » ؟

حرفا اللام وَقَدْ جاءا متصلين بجواب القسم ، وأسلوب القسم كما يعرفه النُّحاةُ هو « الحَلِفُ بالله لتأكيد الكلام وتصديق المتكلم »[1] ، والغرض من جملة القسم « تأكيد المراد من جملة تجيء بعدها وإزالة الشك في معناها ، بشرط أن تكون هذه الجُمْلَة الثانية خبرية وغير تعجبية »[2] . أما « إنَّ » ومعها أختها « أَنَّ » فهما حرفان يفيدان « توكيد النسبة ؛ أي: توكيد نسبة الخبر للمبتدأ ، وإزالة الشك عنها أو الإنكار، فكلا الحرفين في تحقيق هذا الغرض بمنزلة تكرار الجملة، ويفيد ما يفيده التكرار »[3] .

فالتوكيد في قوله ﴿ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴾ تأكيدٌ على مجيئهم بهذا الشيء الإدّ ، وأنَّ مجيئهم به لا شك فيه . أَمَّا التوكيد بـ « إِنَّ » في قولنا مثلا : « إِنَّكم جئتم شيئًا إدًّا» فهو توكيد ، نؤكد فيه نسبة الخبر « جئتم » إلى المبتدأ (اسم إن) « كُمْ » ، فكأن هناك في الأساس شكًّا وإنكارًا في أن المبتدأ « كُمْ » لم يجئ بالخبر الذي وقع بالفعل ؛ فجئنا بإِنَّ

---

(١) د. عزيزة فوال بابستي : المعجم المفصل في النَّحْو العربي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ (١٩٩٢م) ، ص٧٩٤

(٢) عباس حسن : النَّحْو الوافي ، ٢/ ٤٩٧

(٣) عباس حسن: النَّحْو الوافي، ١/ ٦٣١ الحاشية ذات الرَّقْم ٣



لإزلة هذا الشك وذلك الإنكار .

وبالطبع استخدمت الآية أسلوب القسم الذي يؤكد أن مجئ اليهود النصارى والمشركون أمر وقع فعلا ، لا أدنى شك في هذا .

البَدَائِلُ الصَّرْفِيَّة :

البديل الصَّرْفِيّ الممكن للمصدر « إِدّ » هو اسم الفاعل « آدّ » ، والفعل « يئِدُّ »

فلماذا فضلت الآية المصدر على اسم الفاعل وعلى الفعل ؟

تتضح الإجابة إذا علمنا أن المصدر « هو الاسم الذي يدل على حدثٍ دون تَقيُّد بزمان »[(١)] ، بينما اسم الفاعل « هو اسم يدل على الحدث وعلى فاعله ... [و] **يدل على معنى حادث ؛ أي : جديد وغير دائم** »[(٢)] ، والفعل « هو الكَلِمَة التي تدل على معنى وعلى زمن مقترن به »[(٣)] .

فالحدث مع المصدر لا يرتبط بزمن ، أما الحدث مع اسم الفاعل يتجدد وغير دائم ، والفعل يدل الحدث مقترنا بزمن ، أي أن اسم الفاعل والفعل يقترنان بالزمن أو بتعبير أدق يرتبطان بفترة زمنية ما ، وبنوع معين من الزمن . والذي يناسب سياقات الآية دلالة المصدر ، حيث إن الشرك بالله وادعاء اتخاذه ولدًا ـ سبحانه ـ سيبقى أبد الدهر وحتى يرث الله الأرض ومن عليها أمرًا عظيمًا منكرًا .

البَدَائِلُ التعريفية والتنكيرية :

البديل التعريفي الممكن للاسم النكرة « شيئا » : « الشيء » ، وستصبح دلالة اللفظة بدخول « أل الجنسية » عليها أن اليهود والنصاري والمشركين أتوا بكل ما هو إدٌّ ومنكر في قولهم هذا ، وأنه لا يوجد شيء إدٌّ غير هذا ، وهذا ما لا يتطابق مع الواقع ، فالأمور العظيمة المنكرة كثيرة .

فالتنكير يدل على أنهم استخدموا شيئًا منكرًا من منكرات كثيرة .

البَدَائِلُ الضميرية :

استخدم الآية لفظ « جئتم » مع تاء الخطاب ، بدلا من ضمير واو الجماعة « جاءوا » الذي جاء في الآية التي قبلها ، هذا الانتقال أو الالتفات من عدم الخطاب

---

(١)د.عزيزة فوال بابستي : المعجم المفصل في النَّحْو العربي ، ص٩٩١ ، والنحو الوافي ، ٢/ ٢٠٥

(٢) المعجم المفصل في النَّحْو العربي ، ص ١١٥ ، ١١٦

(٣) السابق ، ص ٧٦٢

إلى حالة الخطاب يُشْعِرُ ويوحي بخطورة ما قيل وما فُعل وخطره ، ويثير الانتباه ويدفع إلى إعمال العقل في الكلام الذي يُقال . ويضيف الإمام الزَّمَخْشَرِيّ عند تفسيره لهذه الآية : « يكون الْتِفَاتًا خرج من الغيبة إلى الخطاب زيادة تسجيل عليهم بِالْجُرْأَةِ على الله وَالتَّعَرُّضِ لِسُخْطِهِ وتنبيه على عظيم ما قالوا »(١) . فالقائد مثلا الذي يبلغه عن بعض رعيته قولا خطيرًا يمسه لا يتوقع منه إلا أن يُحضرهم ويسمع منهم مباشرة ما قالوه ويعرف السبب ثم يحكم عليهم وعلى فعلهم كِفَاحًا .

ويمكن أن نُقرب معنى الالتفات السابق بأن نتخيل أن « **حوارًا** » يقع بين « **مَلِك** » وأحد « **معاونيه** » في حضور « **طائفة** » من رَعِيَّة هذا الملك التي فعلت فِعلا منكرًا أغضب هذا الملك ، فبدأ الملك في مخاطبة معاونه غاضبًا هائجًا يكادُ يَتَمَيَّزُ من الغيظ على تلك الطائفة من رعيته بصيغة الغائب ، وبعد أن احتدم الكلام بين هذا الملك ومعاونه توجه الملك بحديثه ـ بضمير المخاطب ـ وجهًا لوجه لتلك الرعية ، وانفجر فيهم مُؤنِّبًا ومعاتبًا على ما اقترفته أيديهم .

واصطحاب تاء الخطاب بالفعل الماضي جاء الذي لم يأتِ قي القُرْآن إلا بصيغة الماضي ولام القسم وحرف التحقيق « قَدْ » كل هذا يزيد في إثارة الانتباه وإلى ضرورة إعمال العقل فيما يقولونه ، ويَحُضُّ حضًّا على تجنب هذا القول الذي اتخذه اليهود والنصارى وغيرهم .

البَدَائِلُ القراءاتية :

– البديل القراءاتي للفظ « جئتم » هو :

- ✓ مع لفظ « لقد » الذي قبلها حيث تُدغم الدال مع الجيم ؛ فتصبح الجيمُ حرفًا مشددًّا « لَقَد جِّئْتُمْ » ، وهذه قراءة أبو عمرو ، حمزة ، الكسائي ، هشام ، خلف
- ✓ القراءة الثانية مع اللفظ « جئتم » فقط ، حيث تصبحُ « جِيتم » بإبدال الهمزة ياءً وهذه قراءة أبي عمرو (٢) .

والقيمة البَلاغِيَّة لهاتين القراءتين تكمن في الآتي :

القراءة الأولى «لَقَد جِّئْتُمْ»: نلاحظ في هذه القراءة تتابع الأصوات :

---

(١) الكَشَّاف ، ٣/ ٤٥

(٢) يُنْظَرُ : د. أحمد مختار عمر : معجم القِراءَات القُرْآنِيَّة ، مطبوعات جامعة الكويت ، ط٢، ١٩٨٨م ، ٤/ ٦٠ ، ٦٢ ، د. عبد اللطيف الخطيب : معجم القِراءَات ، دار سعد الدين ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، ٥/ ٣٩٦ وما بعدها



- القاف[1] .
- والجيم المعطشة[2] المشددة ذات القيمة التصوتية العالية .

هذا التتابع الصوتي يُشبه ويحاكي سقوط حجر عظيم في مياه بحر هادئ دفعة واحدة فأحدث هذا السقوط دويًّا هائلا. هذا التشابه الصوتي يناسب المقام وينقل لنا مدى الغضب الإلهي على هؤلاء الضُّلَّال الذين قالوا على الله ما لا يعلمون

القراءة الثانية :« جِيتم » بإبدال الهمزة ياءً :

الجيم المكسورة التي تعقبها الياء المَدِّية (الحركة الطويلة) تعطي الإحساس بالسقوط في مهوى بعيد القعر ؛ فكأن قول المشركين والنصارى واليهود باتخاذ الله ولدًا يمثل سقوطًا في غيابة جب لا قعر له .

– ومما يذكره علماء القِراءَات أَنَّ لفظ « إِدّ » جاءت له عدة قراءات :

- ✓ قراءة بـ« فتح الهمزة » : أَدًّا ، وهي قراءة أبو عبد الرَّحْمَن السلمي ، على ابن أبي طالب .
- ✓ قراءة بـ« مد الهمزة » : آدًّا ، وهي قراءة ابن عَبَّاس ، أبو العالية ، وذكرها الطبري كلغة .

إذن فمجموع القِراءَات « إِدّ ، أَدّ ، آدّ » ، وهذا التناوب بين الكسر والفتح ومد حركة الهمزة بحركة طويلة يتماشى مع سياق الآية الذي يعبر عن الغضب الشديد ،

---

(١) حرف القاف هو صوتٌ انفجاري مهموس ، ويحدث عندما ينضغط الهواء مدة من الزمن برفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى الحلق واللهاة مع عدم السماح للهواء بالمرور من الأنف ، ثم يطلق سراح مجرى الهواء بأن يخفض أقصى اللسان فجأة ؛ فيندفع الهواء محدثًا صوتًا انفجاريًّا ، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به ، ويقول د. مُحَمَّد العبد : إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي ، ص ٢٢ ، ٢٦ : « اضطراب وقلقلة ... وشدة الحدث ذاته » و وصفه العلامة اللغوي ابن جِنِّي بالصلابة فقال : « ... اختاروا الخاء لرخاوتها للرطب ، والقاف لصلابتها لليابس حذوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث » .

(٢) يتميز حرف الجيم المعطشة بأنه حرف مركب ، صوت مزيج من الشدة والرخاوة (من الانفجار والاحتكاك) كما تنطق في تلاوة القرآن الكريم ، والتعطيش يعني أن يبدأ الصوت باحتباس الهواء بين الهواء وسط اللسان وما يوازيه من الحنك الأعلى ، ثم ينفرج فجأة د. محمد داود : العربية وعلم اللغة الحديث ، ص ١٢٤

وتنوع الحركات (كسرة ، فتحة قصيرة ، فتحة طويلة) تشعرنا كأن هناك حركة واضطرابا ، وكأن هناك قذائفَ من الغضب الإلهي تأتي من كل مكان (من أسفل ومن أعلى ومن كل مكان) على من قال هذا القول العظيم « اتَّخَذ الرحمن ولدًا » ، ويزداد هذا الشعور والإحساس لكون الحركات تتمتع بقوة إسماع كبيرة ، ويزداد الإحساس بتفاعل الحركات الصوتي مع حرف الدال الشديد الانفجاري ، ويزداد هذا الإحساس مع تضعيف هذا الحرف ، هذا التضعيف الذي يُزِيدُ القوة والشدة الانفجارية ، ويزداد هذا الإحساس الانفجاري أكثر وأكثر بحركة الشَّدَّة على حرف الدال التي لا يمكن أن تنتهي بالسكون منعًا لالتقاء ساكنين ، وتنتهي إما بحركة عند الوقف وإما بنون عند الوصل ، وفي كليهما من شدة الإسماع ما فيه كما بينا آنفًا .

وهذا العوامل الصوتية المتتابعة تشبه الأمواج متشابهة التردُّد التي يتداخل بعضها مع بعض ؛ فيؤدي هذا فيزيائيًّا إلى أن يقوي بعضها بعضًا ، ويبلغ أقصى مدى ممكن من التأثير الصوتي . فسبحان من هذا كلامه .

* الآية رقم ٩٠ : ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾

بَدَائِلُ الحَقْلِ الدِّلالي:

الفعلَ كاد من المقاربة ويأتي معه في الدلالة على قرب حصول الخبر الفعلان « كرب ، أوشك » ، ولم يستخدم القُرْآن من هذه المجموعة إلا الفعل « كاد » في صيغة الماضي وَالْمُضَارِع . وبالوقوف على الخصائص الدلالية لهذه المجموعة نعرف لماذا اختار القُرْآن اللفظ « كاد » في الآية .

- المقاربة مع « كاد » مقاربة على « سبيل الوجود والحصول ، تقول : كادت الشمس تغرب ؛ تريد أنَّ قربها من الغروب قَدْ حصل »[1] . وخبرها « فعل مضارع غير مقترن بأن في الغالب لقربها من الوقوع ... وَقَدْ يُراد بها تنفيس الوقت ، وتبعيد المقاربة ؛ فيُجاء بـ « أَنْ » في خبرها فقولك : « كاد زيد أن يموت» أبعد من الحصول من قولك : « كاد زيدٌ يموت » ، **والجملة الثانية أقرب**

(١) ابن يعيش : شرح المفصل للزمخشري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، ٤/ ٣٨٣



إلى وقوع الفعل ؛ لذلك جُرِّدَت من أَنْ »[1] .

- ➢ أمَّا الفعل « أوشك » فـ « فالكثير في خبرها أن يقترن بـ « أَنْ » ؛ لأنها **أبعد في الاستقبال من « كاد »** ؛ **ولأنها موضوعة للإسراع المفضي إلى القرب** ، بخلاف « كاد وكرب » فللقرب ؛ فلهذا اختصت عنهما بغلبة الاقتران بـ « أَنْ » .. »[2] .
)
- ➢ الفعل « كرب » فهو بمعنى « كاد » إلا أنه « **فيه معنى آخر وهو الشدة والإسراع في الفعل** ، بخلاف كاد ، فإنَّ فيها معنى المقاربة وحسب ... وَقَدْ **يصحبه معنى الكرب وهو الغم والحزن** »[3] .

أي أن الفعلين « كاد وكرب » يَتَمَزَّيَانِ على الفعل « أوشك » بقرب وقوع الخبر بدرجة أكبر ، ويتمزى الفعل « كرب » بالإسراع في الفعل ، والصحبة أحيانًا بالغم والحزن . وهنا يظهر لماذا اختارت الآية الفعل « كاد » من هذا المجال الدلالي ، فقول اليهود والنصاري والمشركين بلغ من العِظَم والنُّكر ما جعل الاضطراب والغضب يحدث في الكون ، ويُسرع في الاستجابة لغضب الله سرعة لا تناسبها « أوشك ولا كرب » ، لقد غضب الرحمن فغضب لغضبه السموات والأرض والجبال ؛ ولم تسرع هذه المخلوقات في التعبير عن غضبها لأنها في نهاية الأمر لا تفعل شيئًا إلا بأمر الله ؛ لذلك فضلت الآية لفظ « كاد » على « كرب » التي ترتبط سياقيا بالحزن والغم ، فالمقام ليس مقام حزن ولا غم ، بل مقام غضب وسُخطٍ ، والتي لا تتضمن معنى الإسراع في الفعل ؛ لأنها مأمورة بأمر الله في كل أحوالها .

- البديل الدلالي للفظ « يَتَفَطَّر » التي وردت في القُرْآن الكريم : « خَرَق ، شَقَّ

(١) د. فاضل السامرائي : معاني النَّحْو ، ١/ ٢٧٤

(٢) السابق ، ١/ ٢٨١

(٣) السابق ، ١/ ٢٨٢

، صَدَعَ ، فَتَقَ ، فَلَق ، قَدْ ، مَخَرَ ، جَرَحَ »[(1)] .

ولنحاول تبيُّن الفروق الدلالية بين هذه الألفاظ لنعرف لماذا اختار القُرْآن « يَتَفَطَّر » مع السماء دونا عن بقية هذه الألفاظ التي يجمعها حقل دلالي واحد .

وتبدو الدلالات المعجمية لهذه الألفاظ غير واضحة تمامًا ، لذلك يمكن أن نجتهد في إبراز بعض الفروق الدلالية بين تلك الألفاظ من خلال اللجوء إلى نظرية التَّحْلِيْل التكويني وتغذية هذا التَّحْلِيْل بالدلالات المعجمية الخاصة بها ، ودلالة السياقات القُرْآنِيَّة التي وردت فيها هذه الألفاظ ، ووضع بعض الملامح التمييزية التي يمكن أن تُظْهِرَ هذه الفروق .

---

(1) د. أحمد مختار عمر : المَكْنز الكبير ، سطور ، الرياض ، ط1 ، (2000م) ، ص 107 ، المجال الدلالي رقم 190، ويمكن أن نقدم تحديدًا لغويًّا لهذه الألفاظ كما يأتي :

- جَرَحَ : « أثرٌ دام في الجلد » ، الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القُرْآن ، ص 107
- خَرَق : « قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تَدبُّرٍ ولا تفكر » ، الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القُرْآن ، ص 162
- شَقَّ : « الخَرم الواقع في الشيء » ، الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القُرْآن ، ص 282 ، ويقول ابن فارس : « الشين والقاف أصل واحدٌ يدل على انصداع في الشيء » ، مقاييس اللغَة ، 3/ 170 ، وفي معجم اللغَة العربية المعاصرة : « شَقَّ الشيءَ : صدعه ، وأحدثَ به شرخًا أو فلقًا أو خرقًا أو ثقبًا نافذًا »، د. أحمد مختار عمر : 2/ 1222
- صَدَعَ : « الصدع : الشق في الأجسام الصلبة ، كالزجاج والحديد ونحوهما... » ، الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القُرْآن ، ص 294
- فَتَقَ : « الفصل بين المتصلين » ، ، الراغب: مفردات ألفاظ القُرْآن ، ص 388
- فطر : قد سبق أن أوضحنا معناه مع ألفاظ الآية .
- فَلَقَ : « الفَلْقُ : شَقُّ الشيء ، وإبانة بعضه عن بعض » ، الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القُرْآن ، ص 402أو هو : « فُرْجَة وبينونةٌ في الشيء » ، ابن فارس : مقاييس اللغَة ، 4/ 452
- قَدَّ : « القَدُّ قطع الشيء طولا » ، الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القُرْآن ، ص 411 ، ابن فارس: مقاييس اللغَة ، 5/ 6
- مَخَرَ : « مَخَرتِ السفينةُ مَخرًا ومخورًا ؛ إذا شقتِ الماءَ بجُؤْجُئِها مستقبلة له » ، الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القُرْآن ، ص 483



م	الملمح التمييزي(1)	اللفظ								
		جَرَحَ	خَرَق	شَقَّ	صَدَعَ	فَتَقَ	فطر	فَلَق	قَدَّ	مَخَرَ
١ـ	يرتبط الشّق بنوع معين من الأجسام	+ حي	−	−	+ صلب	+ صلب	+	−	−	+ سائل
٢ـ	اتخاذ الشق لشكل معين	−	+ دائري	+ طولي −	−	−	−	+ طولي −	+ طولي	−
٣ـ	حدوث انفصال بين أجزاء الشيء الذي وقع فيه الشق	−	−	+ −	−	+	+	−	+ −	−
٤ـ	الأجزاء المفصولة من جنس واحد	+	+	+	+	−	+	+	+	+
٥ـ	إمكانية رؤية الشق	+	+	+ −	+	+ −	−	+	+	−

من خلال هذا الجدول يتبين لنا أن الفَطْرَ يتميز بالملامح الآتية :

- يتميز « الفَطْر » بأنه يرتبط بنوع معين من الأجسام[2] .
- وأنه لا يتخذ شكلا معينًا .
- والشيء المُنفَطِر يتجزَّأ (ينفصل إلى أجزاء متفرقة) . وهذا الملمح يجمع بين « الفَطْر والفتق » فقط بشكل واضح [3] ، وَقَدْ يكون الفارق بينهما (؛ أي : بين الفطر والفتق) في هذا الملمح هو أن الانفصال مع « الفتق » يكون بأجزاء كبيرة ، جزأين مثلا ، أما « الفَطْر » فيكون الانفصال إلى أجزاء أصغر وكثيرة .

---

(١) تُشير العلامة « + » إلى وجود هذا الملمح الدلالي ، والعلامة « − » تشير إلى عدم وجوده ، ووجود العلامتين معًا يشيران إلى أن هذا الملمح أحيانًا يكون موجودًا وأحيانًا لا .

(٢) أخذنا هذا الملمح من سياقات الآيات في القُرْآن الكريم ، حيث لم يرد « الانفطار » ـ بمعنى الشق ـ إلا مع لفظ السماء مفردة أو جمعًا . يُنْظَرُ : مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القُرْآن الكريم ، مادة « ف ط ر » ، ص ٥٢١

(٣) أما الشق والقد فقد يكون معهما انفصال أو لا .



- والأجزاء المفصولة بعد الانشقاق من جنس واحد ، وهذا يدل على أنَّ الترابط بينها كان شديدًا ، على عكس الشق (الفتق)[1] الذي يحدث بين أجزاء هي في الأصل ليست من جنس واحد .
- عدم إمكانية رؤية هذا الشق [2] (لبعد المسافة) ، وهذا الملمح يجمع بين « الفَطْر والمَخْر » ، ولعل هذا الجمع يوحي بأنَّ القطع المبعثرة في السماء عقب الانفطار تأخذ شكل الأمواج [3] .

وإذا عدنا إلى الآية نجد أن استعمالها لـ « الانفطار » مع السماء يتناسب مع شدة الغضب الإلهي ، هذا الغضب الذي يناسبه أن تتمزق :

- ⇦ أضخم مخلوقات الله : السماوات .
- ⇦ وهذا التمزق لشدته لا يأخذ شكلا معينًا (شكل طولي أو دائري) ، فهو ليس مجرد تصدع أو شق أو خرق ...
- ⇦ هو تمزق لشيء كان متجانسًا متماسكًا ؛ مما يجعل تمزقه أشد صعوبة والسبب في تمزقه أمر جد خطير .
- ⇦ وهذا التمزق لضخامته وشدته لا يمكن رؤيته ومشاهدته والوقوف عليه .

إذن ، لفظة « يتفطرن » هي اللفظة الوحيدة المناسبة التي يمكن أن تعبر عن أن شدة الغضب الإلهي الذي بلغ أقصاه ، وتجاوز حده ومداه .

وإذا أتينا إلى إلى قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ ﴾ نجد أن الآية اختارت « الشق » مع الأرض من المجال الدلالي السابق إيضاحه . لماذا ؟

- » لأن « الشق » أمر يمكن رؤيته على عكس « الفَطْر » .
- » الشق لفظ عام لا يرتبط بنوع معين من الأجسام ، على عكس الألفاظ « الجَرح ، والفَطْر ، والمَخْر ، والفتق » .

---

(١) تأمل قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٠ ، ولم يرد الفتق في القُرْآن إلا في هذه الآية ، . يُنْظَرُ : مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القُرْآن الكريم ، مادة « ف ط ر » ، ص ٥١١

(٢) من خلال هذا الملمح يتبين عدم دقة المعنى الدلالي الذي قاله الراغب الأصفهاني حيث قال « الفَطْرُ : الشق طولا » . مفردات ألفاظ القُرْآن ، ص ٣٩

(٣) تأمل الآية : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴾ الطور: ٩ ، يقال « مار البحر » ؛ أي : اضطرب وماج



» وأحيانًا يأخذ شكلا معينًا وأحيانًا لا يأخذ ، على عكس « الفلق والقد » اللذين يأخذان شكلا طوليًّا .

» والشق قَدْ ينجم عنه انفصال بين أجزاء المشقوق وأحيانًا لا ، وهو بهذا يختلف عن الجرح والخرق والمخر التي لا يحدث معها انفصال ، ويختلف عن « الفتق ، والفطر » اللذين يحدث معهما انفصال .

كل هذه الملامح توجب أن يكون الشق هو المختار مع الأرض ، فالأرض عند غضب الرحمن قَدْ تُصدع صدوعًا طولية وغير طولية ، وَقَدْ تنقسم قسمين ، وَقَدْ تُخرَق وتثقب ، وكل هذا يمكن رؤيته .

قوله تَعَالَى : ﴿ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾ ، أتى بلفظ « تخِرُّ » مع الجبال ، ما البَدَائِل التي يمكن أن تَحِلَّ محل اللفظ « تخِرُّ » ولماذا اختار القُرْآن هذا اللفظ مع الجبال ؟

يشير معجم « المَكْنَز الكبير » إلى أنَّ المجال الدلالي رقْم ١٣٢٤ الذي يأخذ فيه اسم « الهبوط » يضم الألفاظ القُرْآنِيَّة الآتية : « الخَرّ ، السقوط ، نزول ، هبوط ، وجوب ، وقوع ، هُوِيّ » . والتحديد الدلالي لها كما يأتي :

» الخَرُّ : « السقوط ، **وأصله سقوط يُسمَعُ معه صوت** ... ثم كَثُرَ حتى استعمل في مطلق السقوط »[١] .

أو هو : « سقوط من عُلُوٍّ إلى سُفْلٍ **بصوتٍ** »[٢] . وَقَدْ ورد هذا اللفظ في القُرْآن في اثني عشر موضعًا ، معظمها مرتبط بالعبادة المُخلصة لله عزَّ وجلَّ .

» السقوط : « سقط : وقع من أعلى إلى أسفل ، أو : تهَدَّمَ وانهار »[٣] . وقال الزَّمَخْشَرِيّ : « سقط في مَهواة ، وسقط من الجبل ، وسقط الشيء من يده »[٤] . وقال ابن فارس : « السين والقاف والطاء أصل واحد ، يدل على الوقوع وهو مطرد »[٥] . وورد هذا اللفظ في القُرْآن في ثمانية مواضع مرتبطة بالعذاب والشدة .

---

(١) تاج العروس ، مادة « خ ر ر » .

(٢) معجم اللغَة العربية المعاصرة ، والمعجم الوسيط ، مادة « خ ر ر » .

(٣) معجم اللغَة العربية المعاصرة ، مادة « س ق ط » .

(٤) أساس البلاغة ، مادة « س ق ط » .

(٥) مقاييس اللغَة ، مادة « س ق ط » .



» النزول : « نزلَ الشيء : وقع ، هبط من عُلُوّ إلى سُفلٍ »[1] . وقال ابن فارس: « النون والراء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه ونزل المطر من السماء نزولا »[2] . وهذا اللفظ يرتبط في القُرْآن بما فيه خير خير وطمأنينة للناس ، وفي بعض السياقات يأتي مع الشيء يتكرر نزوله .

» الهبوط : « هبط : نزل »[3] ، و « هبط الشخص أو الشيء نَزَلَ ، انحدر»[4] ، وذكر أبو هلال العسكري في الفرق بين الهبوط والنزول: « الهبوط نزول يَعْقُبُهُ إقامة .. ولا يُقال هَبَطَ الأرضَ إلا إذا استقرَّ فيها، ويُقال نزول وإن لم يستقر »[5] .).

» الوجوب:« وَجَبَ : نحرت البعير فوجب ؛ سقطَ ووقع على الأرض »[6] ، وقال وقال اللِّحْيانيُّ : « وَجَبَ وَجْبَةً ؛ سقط إلى الأرض »[7] .

» الوقوع : « وقع الشيء وقوعًا سقط »[8] .

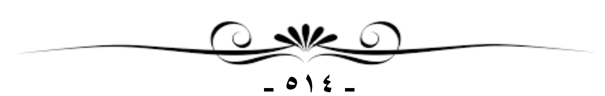
» الهُوِيُّ:«هَوى الشيء يَهْوِي سقط من فوق إلى أسفل كسقوط السهم وغيره »[9] .).

وكما هو ظاهر فإنَّ التحديدات الدلالية لعناصر هذا المجال الدلالي متقاربة بل هي متطابقة في بعض العناصر ؛ لذلك سنلجأ إلى التَّحْلِيْل الدلالي التكويني مستعينين بالسياقات القُرْآنِيَّة التي ترد فيها هذه الألفاظ كما يأتي:

م	الملمح التمييزي	اللفظ						
		خَرَّ	سَقَطَ	نَزَلَ	هَبَطَ	وَجَبَ	وَقَع	هَوى
١ ـ	الهبوط من أعلى إلى	+	+	+	–	+	+	+

---

(١) معجم اللغَة العربية المعاصرة ، والمعجم الوسيط ، وأساس البلاغة ، مادة : « ن ز ل » .
(٢) مقاييس اللغَة ، مادة : « ن ز ل » .
(٣) مختار الصحاح ، مادة : « هـ ب ط » .
(٤) معجم اللغَة العربية المعاصرة ، مادة : « هـ ب ط » .
(٥) يُنْظَرُ : الفروق اللغوية ، ١/ ٢٩٦
(٦) معجم اللغَة العربية المعاصرة ، مادة : « و ج ب » .
(٧) تاج العروس ، مادة : « و ج ب » .
(٨) مختار الصحاح ، مادة : « و ق ع » .
(٩) تاج العروس ، مادة : « هـ و ى » .



	أسفل مباشرة							–
٢ ـ	الهبوط مصحوب بصوت	+[١]	–	–	–	–	–	–
٣ ـ	الهبوط تدريجي وليس مباشرًا من أعلى إلى أسفل	–	–	–	+[٢]	–	–	+ –
٤ ـ	الهبوط يرتبط بأثرٍ يتحقق بعده	–	–	+ –	+	–	–	–
٥ ـ	هبوط الشيء الساقط جملة واحدة وليس على فترات	+	+	–	+	+	+	+

من خلال الجدول السابق نتبين أن القُرْآن اختار لفظ « يخر » لأنه : يكون مصحوبًا بصوت ، وليس منتهيًا بصوت ، كما ذكرنا عند التحديد الدلالي ، وتلك المصاحبة الصوتية تدل على سرعة حركة الشيء الساقط ، والسرعة تدل على قلة الفترة الزمنية التي يستغرقها في حركته ، وعلى مدى القوة التي تحركه . وَقَدْ تدل على طول المسافة التي قطعها في السقوط . وأنه هبوط لمجرد الهبوط .

هذا الملمح لا يوجد في أي لفظ من ألفاظ المجال الدلالي الذي ينتمي إليه الفعل « يخر » . إذن الفعل « يخر » بما فيه من سرعة وقوة وقلة زمنية تتوافق مع استجابة « الجبال » مع غضب الله عز وجل ، فهذا الجماد يشعر بأن خالقه قَدْ ادُّعي عليه ما لا يمكن السكوت معه ، وأنه لو ترك له ليعبر عما « يشعر » به لانهار وسقط في سرعة وقوة وفي مدة زمنية قليلة تعبر عن هذا الغضب الشديد .

هذه الملامح الدلالية لا نجدها مثلا مع الفعل « نزل » الذي لا يدل على السرعة، ولا يأتي في السياقات التي تدل على الغضب والشدة ، ولا نجدها مع الفعل هبط الذي يُشعِرُ بالبطء النسبي أو الشديد في عملية النزول أو الهبوط ...

(١) الخُرور أو الهبوط المصحوب بصوت قَدْ يدل على ضخامة الشيء الذي يسقط ، وعلى سرعته سرعته وعلى عِظَمِ القوة التي حركته ، وعلى قلة الفترة الزمنية التي يحدث فيها .
(٢) هذا التدرج يدل على قلة السرعة فيه ، وأنه يستغرق مدة أطول من الزمن .



وإذا أتينا إلى المكونات الصوتية التي يتكون منها الفعل « خرَّ » نجده يتكون من صوت الخاء والراء المشددة ، فصوت الخاء ـ باعتبار مرور الهواء ـ صوت احتكاكي ؛ أي يخرج « الصوت مستمرًا في صورة تسرب للهواء محتكًا بالمخرج ، أي أن اعتراض هواء الزفير هنا يكون اعتراضًا متوسطًا »[1] . وحرف الراء يتمتع بصفة التكرير ، « يمكنه محاكاة الحركة السريعة المتكررة »[2] ، ويتمتع بقوة إسماع لا يفوقها في القوة إلا أصوات الحركات وحروف المد [3] . فهذان الصوتان يمثلان معنى اللفظ ، فكأن اللفظ يتناسب معنى وصوتًا مع سياقه الذي قيل فيه .

وبدائل لفظ « الجبال » القُرْآنِيَّة : « حَدَب ، رَبوة ، سد ، عَلَم ، الطود »[4] .

والفروق الدلالية بين هذه الألفاظ :

» الجَبَل : « هو المرتفع من الأرض ارتفاعًا ملحوظًا ، يجعله يعظم ويطول على ما حوله من الأرض ... ودونه في الارتفاع : التل ، ودون التل : الرَّبوة أو الرابية أو الأَكَمَة ... ودون الأكمة باتساع : النَّجد أو الهضبة ، ودون الهضبة السهل ، ودونه المنخفض »[5] .

» الحَدَب : « يجوز أن يكون الأصل في الحَدَب حدَب الظهر ، يُقال : حَدِبَ الرجل حدبًا فهو أحدب ، واحدودب ، وناقة حدباء تشبيهًا به ثم شبه به ما ارتفع من ظهر الأرض »[6] .

» الرَّبوة : « ما ارتفع وعلا من الأرض »[7] .

» السَّدُّ : « السَّدُّ والسُّدُّ قيل هما واحد ، وقيل : السُّدُّ ما كان خِلْقَةً ، والسَّدُّ ما كان صَنْعَةً »[8] .

---

(١) د. مُحَمَّد داود : العربية وعلم اللغَة الحديث ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، ط١ ، (٢٠٠١م) ص ١٢٣

(٢) د. مُحَمَّد العبد : إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي ، دار الهاني للطباعة ، القاهرة ، ص ٣٥

(٣) السابق ، ص ١١٦ ، ١٢٨

(٤) د. أحمد مختار عمر: المكنز ، ص ٧٥٥ ، المجال الدلالي « المرتفَع » رقْم ١٨٠٠

(٥) زغلول النجار: الأرض في القُرْآن الكريم، دار المعرفة، بيروت، ط١ ، (٢٠٠٥م) ، ص ٢٢٠

(٦) الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القُرْآن ، ص ١٢٤

(٧) د. أحمد مختار عمر : المكنز ، ص ٧٥٥

(٨) الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القُرْآن ، ص ٢٤٤

» العَلَم : « الجَبَل »[1] . وهذا اللفظ ورد في القُرْآن الكريم مرتين بصيغة الجمع « إيذانًا بنعمة تيسير الرزق ، مع السلامة من طغيان ماء البحر وثورته ، وإيجاد أسباب الاهتداء والنجاة في مكان هو مَظِنَّة للضلال والهلاك »[2] .

» الطَّود : « هو الجبل العظيم »[3] . وَقَدْ ورد هذا اللفظ في القُرْآن مرة واحدة واحدة وذلك « في سياق وصف معجزة من معجزات سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ ، فجاءت كلمة « الطود » مناسبة لبيان عظمة المعجزة ؛ حيث انفلق البحر إلى نصفين كل منهما كأنَّه جبل عظيم في ارتفاعه وضخامته وعظمه »[4] .

وكما هو واضح من التعريفات الدلالية فإن أهم ما يميز الجبل عن الحَدَب والرَّبوة والسَّد هو الطول والارتفاع . أما الفروق الدلالية بين « الجبل والطود والعلم » فهي أنَّ « مادة « ج ب ل » تدور حول معاني : الضخامة ، والصلابة ، والغِلَظ ، والثبات ، والثِّقَل . والطود في اللغَة : الجبل العظيم العالي ، ففيه كل معاني الجبل ، وزيادة عليها في العِظَم والارتفاع . والعَلَم في اللغَة : كل شيء كان مَعْلَمًا ، ومنه قيل للجبل : عَلَمٌ لظهوره »[5] .

من خلال ما سبق نقول : أسندت الآية لفظ الجبل (مجموعًا) إلى الفعل « تخر » وذلك لأنَّ :

سياق الآية ليس سياق إبراز نعمة تيسير للرزق ، وليس سياق امتنان بنعمة هداية وإنجاء ؛ فيتناسب معه لفظ « العَلَم » ، وليس هو سياق إبراز معجزة من المعجزات للهداية ؛ فيتناسب معه لفظ « الطَّود » ، بل السِّيَاق سياق غضب ، ليس مجرد غضب ، بل غضب شديد جدًا ؛ يتناسب معه أنْ يخرَّ كل ما هو ضخم وثابت وصلب وغليظ وثقيل . ولم يكتفِ هذا الغضب بأن « يهُز ، أو يرُجُّ ، أو يحرك » هذا الجبل ، بل اختار « الخرور » الكامل ، وهذا الخرور ليس لجبل واحد بعينه بل هو

---

(١) مختار الصحاح ، مادة « ع ل م » .
(٢) د. مُحَمَّد داود : معجم الفروق الدلالية في القُرْآن الكريم ، ص ١٧٤
(٣) الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القُرْآن ، ص ٣٢٧
(٤) د. مُحَمَّد داود : معجم الفروق الدلالية في القُرْآن الكريم ، ص ١٧٣
(٥) السابق ، ص ١٧٢



لكل الجبال . ولنا أن نتخيل لنا كيفية هذا « الخرور » ، أنَّى لجبلٍ أن يخر؟!! في تصوري لكي يخر الجبل ويكون لهذا الخرور صوت فلا بد أن يكون سقوطه من مكان شاهق مرتفع ، وهذا يدل على أن انشقاق الأرض يجب أن يكون عظيمًا ومفاجئًا وسريعًا ومُبَاعِدًا بين أجزاء الأرض. كل هذا التصور يدل على مدى الغضب الإلهي من قول من قال : ﴿ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾ .

بقي من ألفاظ الآية لفظ « هدًّا » ، والبدائل القُرْآنِيَّة لهذا العنصر في حقله الدلالي : أسقط ، حَطَّمَ ، خَرَّبَ ، دَكَّ ، دَمَّر ، سَوَّى ، صَدَّع ، نَسفَ ، نقض[1] .

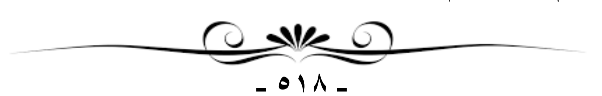
ومن خلال التَّحْلِيْل الدلالي التكويني لهذه الألفاظ تَبَيَّنَ لنا أنَّ لفظ « الهَدّ » يتميز بالملمح الدلالي « الحركة من أعلى إلى أسفل منتهية بالتفتت » ، ويشترك معه في هذا الملمح اللفظان « أسقط ، دَكَّ » ، ويَتَمَزَّى هذا الفعل عليهما بارتباطه بالصوت الشديد في نهاية حركة الجسم ، قال الأَزْهَرِيُّ (٣٧٠ هـ) : « الهَدُّ : الهَدْمُ الشَّديد ... وَقَالَ اللَّيْث : الهَدَّةُ : صَوت شَدِيد تسمعه من سُقُوط رُكْنٍ وناحية جَبَلٍ. قَالَ : والهادُّ: صوتٌ يسمعهُ أهل السواحل يَأْتِيهم من قبل الْبَحْر لَهُ دَوِيٌّ فِي الْأَرْض ، وَرُبَما كَانَت لَهُ الزلزلة ، ودَوِيُّه هَدِيدُه »[2] .

إذن فهو المصدر الأنسب دلاليًّا لهذا المقام والسياق . كما أنه هو الأنسب « صوتيًّا » ، فالمصدر يتكون من ثلاثة أحرف « الهاء ، والدال المضعفة » ، وحرف الهاء ـ من حيث طريقة مرور الهواء معه ـ « يمر الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين بالحنجرة محدثًا صوتًا احتكاكيًّا يرفع الحنك اللين ؛ فلا يمر الهواء من الأنف ولا تتذبذب الأوتار الصوتية »[3] . فالهواء ينساب من القصبة الهوائية عبر الوترين الصوتيين ثم تجويف الفم ، يكاد لا يعترض طريقه شيء ، مثل

(١) يُنْظَرُ : المكنز ، ص ٢٠٦ ، المجال الدلالي رقْم ٤٣٦

(٢) تهذيب اللغَة ، مادة « هـ د د » . أما الفعل « سقط » فقد سبق تحليله دلاليًّا ، وأما الفعل « دك » فقد قال الزَّبِيدِي (ت : ١٢٠٥هـ) : « الدَّكُّ: الدَّقّ والهَدْمُ، وقالَ اللّيثُ: كسرُ الحائِطِ والجَبَلِ ، ودَكَّ الشَّيءَ يَدُكّهُ دَكًّا : ضَرَبَه وكَسَرَه حَتَّى سَوّاهُ بالأَرْضِ، كَمَا فِي الصِّحاحِ » . يُنْظَرُ : تاج العروس ، مادة « دك ك » .

(٣) د. كمال بشر : علم اللغَة العام الأصوات ، ص١٢٢



الشيء الضخم الذي يسقط من علو يكاد لا يعترض طريقه شيءٌ . ثم يأتي حرف « الدال » الانفجاري المجهور ، حيث « يقف الهواء وقوفًا تامًا حال النطق بالدال عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة ، ويضغط الهواء مدة من الزمن ، ثم ينفصل اللسان فجأة تاركًا نقطة الالتقاء ؛ فيحدث صوت انفجاري . وتتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق »(١) . فكأن تلك الصخرة التي تسقط من علو تصل إلى موضع الاصطدام فتنفجر محدثة دويًّا عظيمًا .

البَدَائِلُ الصَّرْفِيَّة المُمْكِنَة :

⇦ بدائل المفرد والجمع : السماوات ، الأرض ، الجبال (٢) .

- جاءت الآية بلفظ الجمع « السماوات » مفضلة له على لفظ المفرد ، لماذا ؟

من يتتبع السياقات القُرْآنِيَّة للفظ الجمع « السماوات » ـ في أكثر من ١٥٠ موضعًا على الأقل ـ يجد أن هذا الجمع يكاد ينحصر في السياقات الدالة على « عظمة الخالق وإظهار قدرته وسعة ملكه وإحاطته له » ، وفي هذا فيه من البلاغة أنه إذا كانت السماوات التي تدل على عظمة الخالق أيما دلالة ، بل هي من أعظم ما خلق تتفتت وتتداعى لغضب الرحمن ؛ فهذا دليل على مدى غضب الرحمن الذي بلغ منتهاه من قولهم « اتخذ الرحمن ولدا » تَعَالَى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا . وأيضًا كون السماء جمعًا يعبر عن شدة الغضب بشكل أشد .

أما لفظ « السماء » المفرد فتتنوع سياقاته الدلالية القُرْآنِيَّة ، ولا يخلص لدلالة محددة ، مثل دلالته على : الإنعام والإكرام ، الخلق والتكوين ، الشدة والعذاب ، القدرة والإحاطة ، الحث على التفكر ...

- وكذلك الحال مع لفظ « الجبال » ، فقد أتي في أحد وثلاثين موضعًا في القُرْآن ، معرفًا بـ « أل » في ٢٩ موضعًا ، وجل هذه المواضع تدل على الشدة والقوة والثبات ، أما لفظ المفرد فلم يأتِ إلا في ستة مواضع ، في خمس مواضع منها مرتبطة بموقف بشري محدد ، فهي أقل في الدلالة على القوة والشدة من الجبال

(١) السابق ، ص ١٠١ ، ١٠٢

(٢) البَدَائِل الممكنة للإفراد والجمع تستأهل دراسة منفصلة مستقلة للكشف عن الجوانب البَلاغِيَّة في هذا الجانب .



لذلك فمجئ الجمع في هذه الآية أبلغ من المفرد ، لأن الجبال العظيمة الشامخة الثابتة تخر من قولهم اتخذ الرحمن ولدًا ؛ مما يدل على بلوغ هذا القول منتهاه في إغضاب الرب سبحانه وتعالى ، هذا القول الذي جعل أعظم خلقه (السماوات) وأثبتهم (الجبال) تتداعي وتتفطر .

- أما لفظ الأرض فلم يأت في القُرْآن إلا مفردًا .

بدائل الأوزان الصَّرْفِيَّة :

اللفظ القُرْآنِيّ « يَتَفَطَّر » ماضيه « تَفَطَّر » ، فعل ثلاثي مزيدٌ بحرفين .

ونريد أن نضع بين يدي القارئ ملخصًا لأوزان الفعل الثلاثي المزيد بحرفين وأهم معاني هذه الأوزان ؛ ليكون منها على ذكر أثناء تحليلنا البلاغي .

والأوزان التي يأتي فيها الفعل الثلاثي المزيد بحرفين ومعانيها هي كما يأتي[1] :

م	الوزن	معناه					
		١	٢	٣	٤	٥	٦
١ ـ	اِنْفَعَلَ (٢) (٢)	المطاوعة					
٢ ـ	اِفْتَعَلَ	الاتخاذ	الاجتهاد	التشارك	الإظهار	المبالغة في	مطاوعة

(١) يُنْظَرُ : أحمد الحملاوي : شذا العَرف في فن الصرف ، دار الكيان ، ص ٧٩ ، وتُنظر المعاني بالتفصيل في فصل المباحث الصرفية .

(٢) الوزن « اِنْفَعَل » يأتي لمعنى واحد وهو المطاوعة ، ولهذا لا يكون إلا لازمًا ، ولا يكون إلا في في الأفعال العلاجِيَّة ، ويأتي لمطاوعة الثلاثي كثيرًا ، كقطَعته فانقطع ، وكسرته فانكسر ؛ ولمطاوعة غيره قليلا ، كأطلقته فانطلق ، وعَدَّلْته ـ بالتضعيف ـ فانعدل ، ولكونه مختصًا بالعلاجات لا يُقالُ: عَلَّمته فانعلم ، ولا فهَّمته فانفهم . والمقصود بـ « المطاوعة » : قبول أثر الفعل ؛ مثل كسرت الزجاج فانكسر ؛ أي : يدل أحد الفعلين على تأثير ويدل الفعل الثاني على قبول فاعله لذلك التأثير ، بشرط أن يتلاقى الفعلان اشتقاقًا وأن يكون الفعل علاجيًّا ، والمقصود بـ « الفعل العلاجي » ما يحتاج في حدوثه إلى تحريك عضوٍ أو استعمال حاسة من الحواس الظاهرة ، مثل : ضرب ، شتم ، أكل ، أبصر ، سمع . وللفعل المطاوع أوزان هي : « اِنْفَعَلَ ، اِفعلَّ ، تَفَعْلَلَ ، أَفْعَلَ تَفَعَّلَ ، تفاعَلَ ، افتعل » . يُنْظَرُ : شذا العَرف في فن الصرف ، ص ٨٠ ، معجم مصطلحات النَّحْو والصرف والعروض والقافية ، ص ١٩٨و١٩٩ و ٢٣٥



			والطلب			الفعل	الثلاثي كثيرا
٣ ـ	اِفْعَلَّ	قوة اللون أو العيب					
٤ ـ	تَفَعَّلَ	مطاوعة فعَّل مضعف العين	الاتخاذ	التكلف	التجنب	التدرج	
٥ ـ	تَفَاعَلَ	التشريك بين اثنين فأكثر	التظاهر بالفعل دون حقيقته	التَّكَلُّف	حصول الشيء تدريجًا	مطاوعة فاعل	

هذه هي الأوزان الصَّرْفِيَّة للفعل الثلاثي المزيد بحرفين .

ونعاود التحليل البلاغي الصرفي لقوله تعالى « يَتَفَطَّرنَ » . ونلاحظ أن الفعل« فطر » قَدْ أتى في وزن « **تَفَعَّلَ** » في قراءة وأتي على وزن « **اِنْفَعَلَ** » في قراءة أخرى[1] .

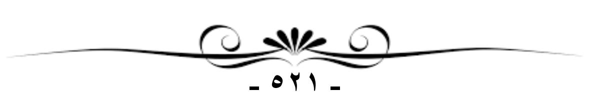
وسؤالنا المنهجي الذي اتفقنا عليه هو : لماذا اختارت الآية هذين الوزنين ؟

يمكن أن نجيب أن اختيار الآية لهذين الوزنين لدلالتهما على معنى « المطاوعة » فالوزن « اِنْفَعَلَ » كما يدل الجدول السابق لا يدل إلا على « المطاوعة » ، والوزن « تَفَعَّلَ » لا تتوافق دلالة من دلالاته مع معنى الآية إلا دلالة « المطاوعة » . وهنا يبرز سؤالان :

* أولا : إذا كان الوزنان يدلان على « المطاوعة » ومع ذلك استخدم القُرْآن هذا الوزن في قراءة وهذا الوزن في قراءة أخرى فما المَيْزة التي يتميز بها كل وزن من هذين الوزنين على الآخر ؟ إن تنويع القُرْآن بين الوزنين لا بد أن يكون له هدف .
* ثانيًا : لماذا اختارت الآية هذين الوزنين من بين الأوزان « اِنْفَعَلَ ، تَفَعَّلَ ، تَفاعَلَ ، اِفْتَعَلَ » الدالة على المطاوعة؟ والسؤال بطريقة أخرى : لماذا اختارت الآية الوزنين « اِنْفَعَلَ ، تَفَعَّلَ » ، وتركت الوزنين « تفاعَلَ ، اِفْتَعَلَ » ؟

ونجيب عن أولا ـ ونسأل الله أن نصيب أجرين في هذا ـ أنَّ المَيزَة التي يمتاز

(١) يُنْظَرُ : د. أحمد مختار عمر : معجم القِراءَات القُرْآنِيَّة ، ٤/ ٦٠ ، ٦٢



بها الوزن « تَفَعَّلَ » أن معنى المطاوعة معه يأتي من الوزن « فَعَّلَ » ، وأحد معاني هذا الوزن الدلالة على التكثير في الفعل أو الفاعل أو المفعول(١) ؛ أي أن الوزن « تَفَعَّلَ » يفيد مع المطاوعة معنى التكثير والشدة والقوة ، أما الوزن « اِنْفَعَلَ » فهو ـ كما علمنا ـ يدل على المطاوعة من الثلاثي ، ولا يكون إلا في الأفعال العلاجية ؛ التي تحتاج إلى تحريك عضو أو استعمال حاسة من الحواس الظاهرة ؛ وهذا يعني أن من يتقبل أثر هذا الفعل يتقبله ويستجيب له بسهولة وسرعة . فجمع الآية بين الوزنين في قراءتين مختلفتين جمع بين سهولة « التَّفَطُّر » وسرعة الاستجابة من ناحية والتكثير في الفاعل من ناحية ثانية ، ولا جدال أن المعنيين يناسبان السِّيَاق والمقام .

أما ثانيًا فإن اختيار الآية لهذين الوزنين وإغفال الوزنين الآخرين ناتجٌ عن أنَّ الوزن « تَفاعَلَ » في دلالته على المطاوعة يطاوع الوزن « فاعَلَ » ، ولهذا الوزن معنيان: « أحدهما : التشارُك بين اثنين فأكثر ، وهو أن يفعل أحدهما بصاحبه فعلا ؛ فيقابله الآخر بمثله ... وثانيهما : المولاة »(٢) ؛ أي أن المطاوعة هنا مصحوبة بدلالة المشاركة أو المولاة ، وهما معنيان لا يتوافقان ولا يتناسبان مع معنى « التَّفَطُّر » في الآية ، فالسماوات لا تتشارك مع شيء هذا التفطر ، ولا يتوالى هذا التفطر بمعنى أنه يحدث ثم يتوقف ثم يعاود الحدوث .

وتجنب الآية لوزن « اِفْتَعَلَ » لما فيه من « تَكَلُّف »(٣) ، والتكلف لا يناسب سياق الآية الذي يقتضي سرعة التَّفَطُّر وشدته وتكثيره .

ومن ألفاظ الآية اللفظ « تَنْشَقّ » ، وهو مضارع ماضيه « اِنْشَقَّ » على وزن « اِنْفَعَلَ » ، وَقَدْ سبق أن قلنا إنه وزن يأتي للمطاوعة ـ في الغالب ـ . وفضلت الآية لفظ « اِنْشَقَّ » على الفعل الثلاثي « شَقَّ » ؛ لما في الوزن «اِنْفَعَلَ » من الدلالة على اللزوم الدائم ، ولما في الفعل « شَقَّ » ـ بمعنى صدع الشيء وأحدث به شرْخًا أو فلقًا أو بمعنى حرث ـ من الدلالة على التعدي . أي أننا في الجملتين الآتيتين :

---

(١) شذا العرف في فن الصرف ، ص ٧٩

(٢) السابق ، ص ٧٨ ، ٧٩

(٣) البقاعي : نظم الدرر ، ١٢/ ٣٦١ ، والتكلف : « تكلف تكلفًا ؛ إذا تَجَشَّمه ... على مشقة وعلى خلاف العادة » . يُنْظَرُ : تاج العروس ، مادة « ك ل ف » .



➤ انشقَّتِ الأرضُ .
➤ شَقَّ الأرضَ .

نجد أن المعنى لا يستقيم في هاتين الجملتين إلا إذا كانت « الأرض » في الجُمْلَة الأولى فاعل وفي الجُمْلَة الثانية مَفْعُوْل به .

وهذا بَلاغِيًّا يعني أن انشقاق الأرض في الجُمْلَة الأولى « ذاتيٌّ » ؛ أي : من داخلها ـ إن جاز التعبير ـ ، أما الانشقاق في الجُمْلَة الثانية « خارجيٌّ » ؛ أي أنَّ الانشقاق فرض عليها بقوة خارجة عنها . ولا شك أنَّ استجابة الشيء ذاتيًّا أبلغ في تأدية المعنى من استجابته بفعل خارجي . فكأن الأرض بمجرد أن سمعت بقول من قال « اتخذ الرحمن ولدا » « انشقت » ذاتيا وتفاعلت بطريقة إيجابية وبسرعة مع هذا القول الرهيب ، غاضبة لغضب الرحمن ، ولم تنتظر أن تأتيها قوة من خارجها لتشقها.

ونلاحظ أن الفعل « اِنْشَقَّ » ليس له قراءة « تَشَقَّقَ » بوزن « تَفَعَّلَ » ، مثلما وقع مع الفعل « تَفَطَّرَ » الذي أتى مع السماء ، وذلك ـ والله أعلم ـ أَنَّ معنى التكثير الذي يُصاحب الوزن « فَعَّلَ » يُناسب السماء لضخامتها وشدة اتساعها[(١)] ، أما الأرض بالنسبة للسماء ما هي إلا ذرة رمل في بحر من الرمال لذلك يكفيها أن تنشق .

ومن ألفاظ الآية اللفظ « تَخِرُّ » على وزن « تَفْعَلُ » ، ماضيه « فَعَلَ » وهو فعل ثلاثي مجرَّد ، لم يأتِ مزيدًا في أي من أوزان الزيادة ، والسؤال الآن لماذا آثرت الآية أن يأتي اللفظ « تَخِرُّ » مجردًا بدون إدخاله في أي وزن من أوزان الزيادة ؟

نلاحظ أن الآية بدأت بالسماوات ثم الأرض ثم الجبال ؛ أي أن الآية بدأت بالأعظم ثم العظيم ثم الأقل عظمة ، أو بدأت بالأضخم ثم الضخم ثم الأقل

(١) من الآثار التي رواها الإمام الطبري ـ طيب الله ثراه ـ في هذا الشأن قوله : « حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍ ، عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ زِرٍّ ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ ، قَالَ : خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ غِلَظُ ، كُلِّ وَاحِدَةٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، وَبَيْنَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ ، وَفَوْقَ السَّبْعِ السَّمَاوَاتِ الْمَاءُ ، وَاللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فَوْقَ الْمَاءِ ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ . وَالْأَرْضُ سَبْعٌ ، بَيْنَ كُلِّ أَرْضٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ ، وَغِلَظُ كُلِّ أَرْضٍ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ » . يُنظَر : تفسير الطبري ، ٢٣/ ٧٨ ، دار هجر.

ضخامة ، ونلاحظ أَيْضًا أن الفعل مع السماوات أتى في وزنين مزيدين « يَتَفَطَّر ، يَنْفَطِر » ، ثم مع الأرض بوزن واحد مزيد « تَنْشَقّ » ثم مع الجبال بفعل مجرد « تَخِرّ » هذه الملحوظة تشعر بأن هناك « تنسيقًا هندسيًّا » تريد الآية أن تحافظ عليه ، تنسيقٌ الأنسب معه أن يأتي الفعل « تَخِرُّ » مجردًا ، والغرض من إبراز هذا التصميم الهندسي من الأكبر للكبير للأقل كبرًا الإشارة إلى أنَّ كل الكون كبيره وصغيره يتفاعل غضبًا لغضب الرحمن مع القضية الخطيرة التي قالها بعض ضُلَّال البشر ، من اتخاذ الرحمن ولدًا .

المصدر « هدًّا » :

أ- للفعل « هَدَّ » مصدران : « هَدّ ، هدود » ، واختارت الآية المصدر الأول « هدًّا » وقد يكون هذا لأن :

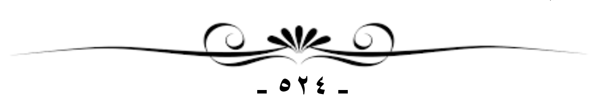
- مناسبة المصدر الأول للفاصلة القُرْآنِيَّة وإيقاعها .
- التعبير عن سهولة الانهيار وسرعته والاستجابة السريعة لغضب الرحمن.

ب- يمكن أن يُبدَلَ باسم المفعول « مهدودة » ، واختارت الآية المصدر ؛ لأنه يدل على الحدث مجردًا من كل شيء ، أما اسم المفعول فقد يرتبط دلاليًّا بـ : عدم ثبوت الصِّفَة (الحدث) ، واحتماله الدلالة على الحال والاستقبال وغيرهما ، والدلالة على الشدة والضعف في الوصف[1] . أي أن استخدام اسم المفعول قَدْ لا يدل على سرعة استجابة الجبال للقول العظيم « اتخذ الرحمن ولدا » ، وَقَدْ تدل على ثبوت الخرور للجبال ، وَقَدْ توحي بضعف هذا الخرور ، أما التعبير بالمصدر فقد تجَنَّبَ كل هذه الدلالات السلبية لاسم المفعول .

بَدَائِل التأنيث والضمائر الظاهرة والمستترة :

في قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ ﴾ الفعل « يتفطرن » مضارع متصل بنون النسوة وجاءت قراءة لهذا الفعل « تَتَفَطَّرْنَ » قرأ بها ابن كثير ونافع ،

(١) د. فاضل السامرائي : معاني الأبنية ، ص ٥٣ وما بعدها .



والكسائي[١] .

والفعل في القِرَاءَة الأولى « يتفطرن » فعل واجب الثأنيث ، والفعل واجب التأنيث يمكن أن يؤنث بطريقتين : « يؤنث بالتاء أو بنون جمع المؤنث ، نحو: « الزَّينَباتُ جاءتْ ، أو جئنَ ، وتجيءُ أو يجئنَ » ، و « الفواطِمُ أقبلتْ أو أقبلنَ » و « الجمالُ تسيرُ أو يسرْنَ » ... »[٢] . فلماذا آثرت الآية التأنيث بالنون وتجنبت التاء؟

- قد يكمن السر هنا فيما يتمتع به حرف « النون » من قوة إسماع **Sonority** فحرف النون من الحروف التي تحتاج مقدار من الطاقة عند نطقه أكثر من غيره ، كما أنه يأتي في مرتبة متقدمة على مقياس قوة الإسماع **Sonority Scale** [٣] . وهذه القوة الإسماعية تساهم صوتيًّا في تحقيق جو انفطار السماء وانشقاق الأرض وخرور الجبال.
- وقد يكون السبب إبراز الجانب الإنساني العاقل الأنثوي فيها ، فالأنثى أكثر عاطفة من الذكر ، وإحساسها أكثر تدفقًا منه .

وقراءة « تَتَفَطَّرْنَ » التي قرأ بها ابن كثير ، ونافع ، والكسائي لها بديل ممكن هو « تَتَفَطَّر » بدون نون النسوة ؛ فيمكن أن نقول : السماوات تَتَفَطَّر ، والسماوات تَتَفَطَّرْنَ . مرة باستتار الضَّمِير ومرة بإظهاره . والذي اختارته الآية أو هذه القِرَاءَة أن يؤنث الفعل بالتاء وإظهار الضَّمِير الفاعل المؤنث .

وقد بحث النحاة هذه المسألة ـ مسألة استتار الضَّمِير وإظهاره مع الفعل ـ فقالوا : « إن كان المرجع جمع مؤنث سالم لا يَعْقِل فالأفضل أن يكون ضميره مفردًا مؤنثًا ؛ مثل : الشجرات ارتفعت ؛ أي: « هي » ، والشجرات سقيتها ... وهذا أولى من قولنا: الشجرات ارتفعن ، والشجرات سقيتهن ، بنون الجمع المؤنث مع صحة

---

(١) يُنْظَرُ : د. أحمد مختار عمر : معجم القِراءَات القُرْآنِيَّة ، ٤/ ٦٠ ، ٦٢ ، د. عبد اللطيف الخطيب: معجم القِراءَات ، ٢٠٠٢م ، ٥/ ٣٩٦ وما بعدها

(٢) مصطفى بن مُحَمَّد سليم الغلايينى : جامع الدروس العربية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط٢٨ ، (١٩٩٣م) ، ٢/ ٢٤١

(٣) يُنْظَرُ : **Keith Brown and Jim Miller, The Cambridge Dictionary of Linguistics, First published 2013, p. 409**

مجيئها. فمجيء واحد من الضميرين يفي بالغرض. ولكن أحدهما أفضل من الآخر. وإن كان المرجع جمع مؤنث للعاقل ، فالأفضل أن يكون ضميره نون جمع المؤنث (أي: نون النسوة) في جميع حالاته (؛ أي: سواء أكان المرجع جمع مؤنث سالم ، مثل: الطالبات حضرن ، وأكرمهن العلماءُ ، أم جمع تكسير للمؤنث ؛ مثل: الغوانى تعلمن ؛ فزادهن العلم جلالا) ، وكل هذا أولى من قولنا : الطالبات حضرتْ ، وأكرمها العلماء ، والغوانى تعلمتْ ؛ وزادها العلم جلالا . حيث يكون الضَّمِير مفردًا مؤنثًا، مع صحة مجيئه بدلا من نون النسوة ، فاستعمال أحد الضميرين صحيح فصيح ، ولكن نون النسوة في هذه الصورة أصحّ وأفصح »[1] .

الذي يُفهم من كلام النحاة هنا أنه :

- إذا كان المرجع جمع مؤنث لا يعقل فالأفضل أن يكون ضميره مفردًا مؤنثًا ، مثل : الشجرات ارتفعتْ .
- وإن كان المرجع جمع مؤنث للعاقل ، فالأفضل أن يكون ضميره نون جمع المؤنث ، مثل : الطالبات تعلمن .

وبما أن اللفظ « تَتَفَطَّرْنَ » أتى مع نون النسوة ـ والقرآن في قمة الفصاحة وَالبَلاغَة ـ فلا بد أن الآية تريد منا أن نتعامل مع « السماوات » كأنها مخلوق « عاقل » يعي ويفهم ويستجيب استجابة عاقلة لما يسمع وليس مجرد « جماد » لا يشعر ولا يهتم ولا يحس ، وهذا ملمح بلاغي مثيرللاهتمام . فالاستجابة من عاقل ليست كالاستجابة من غير العاقل .

والفعلان « تنشق وتخر » فعلان يجوز تأنيثهما في الآية ويجوز تذكيرهما ، ولكن الأفصح التأنيث ، فاختارت الآية الأفصح ، واختارت أن يبدأ الفعل المُضَارِع بالتاء التي تستخدم لمخاطبة المفرد المذكر والمؤنث وفروعهما، أو للتحدث عن المفردة الغائبة، أو مثناها، وكذلك جمعها[2] . واستخدام التاء يشعر بتعاملنا مع مخلوقَيْنِ عاقلين يعيان معنى الكلام ويتفاعلان مع السِّيَاق .

بدائل الأزمنة :

اللفظ « تكاد » بديله الممكن « كاد » ، واستخدام المُضَارِع يوحي بالاستمرارية وأن قرب وقوع الفعل مستمر ؛ أي أن هذه المقاربة ـ مقاربة تفطُّر السماء ـ متواصلة

(١) عباس حسن : النَّحْو الوافي ، ١/ ٢٦٤

(٢) السابق ، ١/ ٤٧



مع استمرار فَجَرةِ بني آدم في قولهم العظيم . أما الماضي فيوحي أن المقاربة أخذت وقتًا في الماضي ثم انتهت .

البدائل القراءاتية الممكنة :

الفعل « تكاد » وردت له قراءة « يكاد » قرأ بها نافع ، الكسائي ، أبو حيوة ، الأعمش يحيى ، ابن مسعود . ولا بد أن يكون هناك سرٌّ بلاغي وراء هذه القر اءة .

الفعل « تكاد » في الآية يجوز تأنيثه ويجوز تذكيره ، مثلما جاءت القِرَاءَة الثانية ، ويقول النحاة في جواز تأنيث الفعل : « ... وكذلك إن كان الفاعل ظاهرًا ولكنه جمع تكسير للإناث ، أو الذكور فيصح تأنيث العامل ، وعدم تأنيثه ؛ نحو: عرفَت الفواطمُ طريقَ السداد ، واتبعتْ الهنودُ سبل الرشاد . ويصح: عرف ... واتَّبع ... ؛ فالتأنيث على قصد تأويل الفاعل بالجماعة، أو الفئة، ... وعدمُ التأنيث على قصد تأويله بالجمع أو الفريق؛ فكأنك في الحالة الأولى تقول : عرفتْ جماعةُ الفواطم طريق السَّداد، واتبعتْ جماعة الهنود سبل الرشاد . وكأنك في الحالة الثانية تقول : عرف جمعُ الفواطم... واتبع جمعُ الهنود ... ، فالتأنيث ملاحظ فيه معنى « الجماعة » ، والتذكير ملاحظ فيه معنى « الجمع » . وكأن العامل مسند إلى هذه أو تلك ؛ ويجري التأنيث أو التذكير على أحد الاعتبارين »(١) . ومما يُفهم من قول النحاة هذا أنَّ « التأنيث » يلاحظ فيه معنى الجماعة ؛ أي : « معنى العدد » ، والتذكير يلاحظ فيه معنى الجمع ؛ أي : « معنى الضم والمزج والحشد » ؛ كأن التأنيث يشير إلى معنى الكثرة (العدد : جماعة السماوات) ، والتذكير يشير إلى معنى القوة (المزج ، الضم ، الحشد : جمع السماوات) ، وبهاتين القراءتين يُجْمَعُ المعنيان في الآية ، وكأنَّ السماوات ـ من حيث عددها أو من حيث قوتها ـ تتجاوب وتتفاعل وتستجيب مع ما قيل .

اللفظ « يَتَفَطَّرْنَ » وردت فيه خمسُ قراءات (٢) :

اللفظ	القراءة	الرواة
ـ يَتَفَطَّرْنَ	١ ـ يَنْفَطِرْنَ	ـ أبو عمرو ، حمزة ، عاصم ، ابن عامر ، شعبة ، يعقوب ، خلف ، اليزيدي ، الشنبوذي ، أبو بحرية ، الزهري ، طلحة حميد ، أبو عبيد ، المفضل .

(١) عباس حسن : النَّحْو الوافي ، ٢/ ٨١

(٢) يُنْظَرُ : د. أحمد مختار عمر : معجم القِراءَات القُرْآنِيَّة ، ٤/ ٦٠ ، ٦٢



٢ ـ تَتَفَطَّرْنَ	ـ ابن كثير ، نافع ، الكسائي .
٣ـ تَنْفَطِرْنَ	ـ أبو عمرو .
٤- يَتَصَدَّعْنَ (١)	ـ ابن مسعود.
٥ ـ لتتصدع (مع قراءة إن تكاد)	ـ ابن مسعود .

وقد سبق مناقشة هذه البَدَائِل بَلاغِيًّا .

* الآية رقم ٩١ : ﴿أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾

بدائل الحقل الدلالي:

سبق مناقشة البَدَائِل الدلالية للفظ « الرحمن » ولفظ « ولد » ، ولا يبقى هنا مع هذه الآية إلا لفظ « دعا » ، والبدائل القُرْآنِيَّة لهذا اللفظ هي « جعل » .

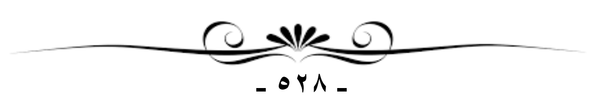
واللفظ « جعل » ، ذكر ابن منظور في « لسان العرب » له عدة معانٍ ، منها : « وَضَعَ ، صنع ، صَيَّرَ ، ألقى ، جعل يفعل ؛ أي : أقبل ، عمل وهَيَّأ ، خلق ... » ، ومن هذه المعاني « نسب » ، قال : « ... وَقَالَ الزَّجَّاجُ: جَعَلْت زَيْدًا أَخاك نَسَبْته إِليك» . وهو المعنى الأقرب للآية ؛ إذا جعلنا « جعل » بدل « دعوا » . والسؤال : لماذا اختارت الآية « دعوا » ولم تختر « جعل » ؟

ويمكن أن نجتهد في تفسير هذا الاختيار ونقول : لم تختر الآية هذا اللفظ « جعل » لأنه قَدْ يشير إلى أنهم (من قالوا باتخاذ الله ولدًا) قَدْ وجدوا ثمة علاقة بين الله ـ تَعَالَى سبحانه ـ وبين من قالوا إنه ابنه ـ عياذًا بالله ـ ؛ وذلك لأن في الجَعْل « معنى التضمين ، كإنشاء شيء من شيء ؛ أي : تصيير شيء شيئًا ، أو نقله من مكان إلى مكان »(٢) . فيوحي هذا الفعل إلى أنهم قَدْ رأوا أو علموا أو شاهدوا إنشاء شيء من شيء أو انتقال شيء من شيء .

لذلك نجد أنَّ الأنسب هنا استخدام لفظ « دعوا » ، الذي يوحي في الآية بـ « الكذب والافتراء » ، وارتباط الفعل « دعا » بالفعل « ادَّعى » يؤكد على هذا

(١) ذهب بعض المفسرين إلى أن هذه القِرَاءَة يجب أن تُجْعَلَ تفسيرًا من ابن مسعود ، قال أبو حيان : « وقرأ ابن مَسْعُودٍ يَتَصَدَّعْنَ وينبغي أن يجعل تَفْسِيرًا لمخالفتها سواد المصحف الْمُجْمَعِ عليه » . يُنظَر : البحر المحيط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ (١٩٩٣م) ، ٦/ ٢٠٥ ، وبناء على هذا الرأي سنخرج هذه القِرَاءَة من التَّحْلِيْل البَلاغِيّ .

(٢) د. مُحَمَّد داود : معجم الفروق الدلالية في القُرْآن الكريم ، ص ١٨٤



المعنى ، معنى الكذب والافتراء بغير دليل ، قال ابن منظور في مادة « د ع و » : « وادَّعيت الشيء: زعمته لي حقا كان أو باطلا. وقول الله ـ عز وجل ـ في سورة الملك: ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ الملك: ٢٧، ؛ قرأ أبو عمرو ﴿تَدَّعُونَ﴾ : مثقلة، وفسره الحسن : تكذبون ، من قولك : تدَّعِي الباطل وتدَّعِي ما لا يكون ، تأويله في اللغَة هذا الذي كنتم من أجله تدعون الأباطيل والأكاذيب ، وقال الفراء : يجوز أن يكون تَدَّعُون بمعنى تَدْعُون... » .

وهذا المعنى هو الأنسب للآية ؛ لأن قولهم العظيم في الله لم يُبْنَ على رؤية ولا مشاهدة ولا علم ، بل هو كذب واختلاق واتباع للظن بدون دليل ولا قرائن[1] .

ولعل هذا الأمر ـ أمر أنَّ قولهم اتخاذ الله ولدًا لم يُبنَ على دليل وبرهان ـ هو السبب في اختيار الآية لفظ « دعوا » على وزن فَعَلَ ، ولم تختر « ادَّعوا » على وزن افتعل الذي يدل من ضمن معانيه الدلالة على التكلف والطلب ، فهم لم « يطلبوا » دليلا على قولهم ، ولم « يتكلفوا » مشقة في البحث عن أية قرينة يستندون إليها .

- وقد سبق مناقشة اللفظين « الرحمن ، ولدا » .

---

(١) وهذا يتوافق مع السِّيَاق التاريخي لتاريخ المسيحية ؛ فتذكر المصادر التاريخية أنَّ بولس **Paul** اليهودي كان ممن يضطهدون المسيحية ، وفي أحد الأيام كان سائرًا إلى دمشق مع بعض المسيحيين الذين يضطهدهم ، وعندما اقترب منها أبرق حوله فجأة نور من السماء ، فسقط على الأرض ، وسمع صوتًا قائلا له : « شاول ، شاول ، لماذا تضطهدني ؟! » ، ثم فقد حاسة البصر ؛ فاقتادوه بيده وأدخلوه دمشق ، وبقي ثلاثة أيام لا يُبصر ... ثم أحسَّ بيد رحيمة تلمس وجهه وتسكنان آلامه ؛ فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور ؛ فأبصر في الحال وقام واعتمد وتناول طعامًا ؛ فتقوى ، وبعد بضعة أيام من ذلك الوقت دخل مجامع دمشق ، وقال للمجتمعين فيها : إن عيسى ابن الله . تَعَالَى الله عن ذلك علوا كبيرا . يُنْظَرُ : ول ديورانت : قصة الحضارة ، قيصر والمسيح ، ترجمة : مُحَمَّد بدران ، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، المجلد ٦ ، ١١/ ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ومن الأقوال الخطيرة التي قالها ول ديورنت أَيْضًا في هذا الشأن : « لقد أنشأ بولس لاهوتًا لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح » . ١١/ ٢٦٣ ، والنص الإنجليزي لهذه العبارة الأخيرة : « **Paul created a theology of which none but the vaguest warrants can be found in the words of Christ** » .

ينظر : **Will Durant, The Story of Civilization, III, Caesar and Christ, Eighteen printing, New York, p. 588**

<u>بدائل أن والفعل مع المصدر المؤول :</u>

في قَوْله ـ تَعَالَى ـ : « أنْ دعوا للرحمن ولدًا » استخدام لـ « أنْ المصدرية + الفعل» بدلا من المصدر الصريح « ادِّعاء » ؛ أي : « ادِّعاؤهم للرحمن ولدًا » .

وفي استخدام « أنْ المصدرية + الفعل » بدل المصدر الصريح بعض الأسرار البَلاغِيَّة والدلالية ، رصد النحاة بعضها ، فقالوا : « ... إنَّ الداعي للعدول عن المصدر الصريح إلى المؤول أمور هامة تتعلق بالمعنى أو بالضوابط النحوية . فمن الأولى :

١ ـ <u>الدلالة على زمان الفعل</u> ؛ سواء أكان ماضيًّا نحو: الشائع أن حضرتَ، أم مستقبلا ؛ نحو : الشائع أن تحضر. فلوقلنا من أول الأمر : « الشائع حضورك » ؛ لم ندر زمن الحضور ؛ أمضَى، أم لم يَمْضِ؟ ؛ لأن المصدر الصريح لا يدل بنفسه على زمن.

٢ ـ <u>الدلالة على أن الحكم مقصور على المعنى المجرد للفعل؛ من غير نظر لوصف يلابسه ، أو لشيء آخر يتصل به</u> ؛ نحو : « أعجبني أن أكلتَ » ؛ أي : مجرد أكلك لذاته ؛ لا لاعتبار أمر خارج عنه ؛ ككثرته ، أو قلته ، أو : بطئه ، أو سرعته ، أو حسن طريقته ، أو قبحها ... ولو قلنا: « أعجبني أكلك » ؛ لكان محتملًا لبعض تلك الأشياء والحالات ، كطريقة الأكل ، أو نوع المأكول .

٣ ـ <u>الدلالة على أن حصول الفعل جائز لا واجب</u> ، نحو : « ظهر أن يسافرإبراهيم » ؛ فالسفر هنا جائز . ولو قلنا : « ظهر سفر إبراهيم » ؛ لساغ أن يسبق إلى بعض الأذهان أن هذا الأمر واجب... »(١) .

فإذا طوعنا هذه الدلالات لتفسير اختيار الآية للمصدر المؤول « أنْ المصدرية + دعوا » قلنا :

أ- مراعاة الزمن الماضي ، وهذا يدل على أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قَدْ أعطاهم الفرصة للتراجع عن قولهم الفاجر العظيم إلى آخر يوم في الدنيا ؛ لكنهم لم يتراجعوا .

ب- أن مجرد ادِّعاء « اتخاذ الرحمن ولدًا » أمر عظيم ، تتفطر السماوات منه ، وتنشق الأرض ، وتخِرُّ الجبال هدًّا ، بغض النظر عن كثرة من قال أو قلتهم أو جنس من قال ، أو موطنهم ، أو مكانتهم ومنزلتهم أو غناهم أو فقرهم علمهم أو جهلهم

---

(١) عباس حسن : النَّحْو الوافي ، ١/ ٤١٧



أو كون من قال ذكرًا أو أنثى ، أو سواء كان الولد المنسوب للرحمن ـ تَعَالَى الله ـ ذكرًا أو أنثى ، مفردًا ، أو مثنى أو جمعًا .

ت- دلالة الجواز وعدم الوجوب تدل على أن قولهم هذا القول كان محض اختيارهم بإرادتهم ، ولم يُجبروا عليه ، ويدل أَيْضًا على أنَّ اختيارهم كان بلا أدلة ولا قرائن ولا شواهد ولا ملاحظة ولا مشاهدة ولا معاينة ؛ تضطرهم إلى هذا الاختيار ، وهذا ما أثبته المؤرخون الثقات فعلا .

إذن اختيار الآية للمصدر المؤول أمر في قمة البلاغة بما يتضمنه من دلالات لا تتوافر في المصدر الصريح .

البَدائل الزمنية :

من الممكن استخدام الفعل الفعل المُضَارِع « يدعوا » بدلا من الفعل الماضي « دعوا » ، واستخدام المُضَارِع ـ بدلالته على الحالية أو المستقبلية ـ قَدْ يوحي أنه قَدْ يأتي وقتٌ على هؤلاء الناس يتوقفون فيه عن هذا القول العظيم ، ولكن سبق في علم الله العلِيِّ الكبير العليم الخبير أنهم لن يتوقفوا ؛ فأتي بالفعل الماضي .

الخطوات المتعلقة بالجملة :

» الآية : ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾ :

الآية تتكون من جملتين فعليَّتين مُدمجتين الثانية مقول القول لفعل الأولى كالآتي :

واو (استئنافية) + فعل معتدٍّ + فاعل + مَفْعُوْل به ⇦ [فعل ينصب مفعولين (بمعنى صَيَّر) + فاعل + مَفْعُوْل به أول محذوف[1] + مَفْعُوْل به ثانٍ] .

ونلاحظ على الجُمْلَة السابقة الآتي :

- احتفظت الجُمْلَة الفِعْلِيَّة الكبرى والصغرى بالترتيب الأصلي لعناصرها الإسنادية وغير الإسنادية ، فأتي كل عنصر في رتبته .

وقد قال النحاة واللغويون والبلاغيون إن تقديم عنصر من الجُمْلَة قابل

(١) المفعول به الأول مقدَّر ؛ أي : « عُزَيرًا » على قول اليهود ، أو « عِيسى » على قول النصارى ، أو « الملائكة » على قول بعض العرب . وجملة « قالوا ... » لا محل لها استئنافية . يُنْظَرُ : محمود صافي : الجدول في إعراب القرآ ن وصرفه وبيانه ، دار الرشيد ، بيروت ، ط٣ ، (١٩٩٥م) ، المجلد ٨ ، ٣٣٩/١٦



للتقديم على عنصر آخر دليل على الاهتمام ببيانه والعناية به ، وفي ذلك يشير إمام العربية سيبويه : « إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعًا يُهمّانِهم ويَعْنِيانهم »(١) .

إذن : ما الدلالة البَلاغِيَّة التي جعلت الجُمْلَة في الآية السابقة تأتي على ترتيبها الأصلي ؟ يمكن الإجابة على هذا السؤال من خلال النقاط الآتية :

أ- بناء على نص سيبويه السابق أعتقد أن عدم تقديم أي عنصر منها يدل على أنَّ الاهتمام والعناية مسلطان على مضمون الجُمْلَة نفسها ، وليس على عنصر فيها ، وهذا يدل ـ في سياقنا الذي نحن فيه ـ على خطر هذا المضمون وأهميته ، وأنه يجب أن يشغل بال القارئ ويتفكر فيه .

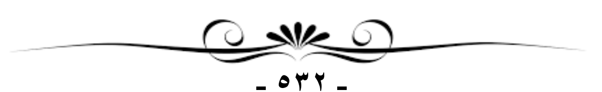
ب- كما أن الاحتفاظ بالترتيب الأصلي يمنع من تسلل بعض المعاني غير مرادة وغير مقصودة ، فلو قلنا مثلا : « وقالوا اتخذ ولدًا الله » أو « وقالوا ولدًا اتخذ الله » ، لفهم البعض أن التركيز على أن الله ـ سبحانه ـ اتخذ ولدًا ، وأنه ـ جلَّ شأنه ـ كان من الممكن أن يتخذ صاحبة أو زوجة بدلا من الولد ؛ أي أنَّ فكرة « الاتخاذ » قائمة ، ولكن المشكلة في هذا التقديم هي « نوع الاتخاذ » وليس الاتخاذ نفسه .

ت- التزمت الآية الترتيب الأصلي مراعاة لمن ينقل عنهم القُرْآن الكلام من أهل الكتاب . فالقرآن إذا خاطب العرب والأعراب تصرف في الكلام بلاغة بشتى التصريفات من تقديم وتأخير وحذف وغير ذلك ، وإذا خاطب غيرهم بسط الكلام وأطاله ، ويؤيد ذلك إشارة الجاحظ : « ورأينا الله تبارك وتعالى، إذا خاطب العرب والأعراب، أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف ، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم ، جعله مبسوطا، وزاد في الكلام »(٢) .

---

(١) الكتاب ، ١/ ٣٤

(٢) الجاحظ : الحيوان ، ت : د. عبد السلام هارون ، الخانجي ، القاهرة ، ط٢ ، (١٩٦٥م) ، ١/ ٩٤



- في الجُمْلَة الصغرى مقول القول حذف المفعول به الأول ، والملمح البَلاغِيّ هنا الإيجاز وإفادة العموم .
- وجملة « وقالوا ... » استئنافية ، والجملة الاستئنافية ـ من الوجهة البَلاغِيَّة ـ هي: « الإتيان بعد تمام كلام بقول يُفهَم منه جواب سؤال مقدَّر »(1) . فهذا الاستئناف يثير الذهن ، ويجذب الانتباه ويجعله يحاول أن يملأ الفراغ بعد قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ بالسؤال الآتي : لماذا ساق الله النصارى واليهود الكافرين إلى جهنم ؟ وتكون الإجابة : لأنهم كفروا وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا ـ سبحانه ـ . وفي هذا تفاعل مع الآيات وشد للانتباه يؤثر في النفس .

ورصد الباحثون للجمل المستأنفة في القُرْآن الكريم بَلاغِيَّة متعددة ، منها : التنزيه ، التعظيم ، الرجاء ، الاستعطاف ، التعجب ، التوبيخ ، الإنكار ، الوعد والوعيد ، التهديد والأمر ، الحث والتحريض(2) .

والغرض البَلاغِيّ الذي يتوافق مع سياق الآيات إظهار غضب الرب الشديد .

البدائل التركيبية الممكنة:

البديل الممكن لهذه الآية قولنا : « وقالوا الرحمن اتخذ ولدًا » ، باستخدام الجُمْلَة الاسمية في مقول القول ، بدلا من : « وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا » .

وسبقت الإشارة إلى دلالة الجُمْلَة الفِعْلِيَّة والاسمية في فصل بناء الجملة العربية تحت عنوان ملحوظات عند التحليل البلاغي . ونضيف هنا بعضًا من هذه الفروق الدلالية بين الجملتين ، ويمكن أن نوضح هذا الاختلاف من خلال كلام عبقري اللغَة وإمامها سيبويه .

يقول هذا الإمام في موضعين من الكتاب :

١ـ « ... ومثله لعمر بن أبي ربيعةَ :

هل تَعْرِفُ اليومَ رَسْمَ الدّارِ والطَّلَلاَ   كما عرفتَ بجَفْنِ الصَّيقَلِ الخِلَلاَ

(1) د. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البَلاغِيَّة وتطورها ، ١/ ١٠٠

(2) د. أيمن عبد الرزاق الشوا : من أسرار الجمل الاستئنافية دراسة لغوية قرآنية ، دار الغوثاني للدراسات القُرْآنِيَّة ، دمشق ، ط١ ، (٢٠٠٩م) ، ص ٥٥ وما بعدها .

دارٌ لَمروةَ إذْ أَهْلِي وأهلُهُمُ   بالكانِسّيةِ نَرعَى اللّهْوَ والغَزَلاَ

فإذا رفعتَ فالذى فى نفسك ما أظهرتَ، وإذا نصبت فالذى فى نفسك غيرُ ما أظهرتَ »[(١)] .

٢ـ « ... ومن ثَمّ قالُوا: مصاحَبٌ مُعانٌ، ومبرورٌ مأجورٌ، كأنه قال: أنت مصاحَبٌ، وأنت مبرور . فإذا رفعتَ هذه الأشياءَ فالذى فى نفسك ما أظهرتَ، وإذا نصبت فالذى فى نفسك غيرُ ما أظهرتَ، وهو الفعل والذى أظهرت الاسمُ »[(٢)] .

في النص الأول يتكلم سيبويه عن إعراب كلمة « دار » ، وأنها تحتمل الرفع على اعتبار أنها خبر لمبتدأ محذوف ، أو تحتمل النصب على اعتبار أنها منادى شبيهًا بالمضاف ، وفي النص الثاني يدور الكلام حول إعراب الكلمات « مصاحب ومبرور » وتقديم الإعرابات المحتملة ، الرفع لمبتدأ محذوف أو النصب على الحال على تقدير « اذهب مصاحبًا معانًا ... » . وما يهمنا هنا جملة سيبويه « فإذا رفعتَ هذه الأشياءَ فالذى فى نفسك ما أظهرتَ » والمقصود بها : أنك إذا أدخلت الكلام في نطاق الجُمْلَة الاسمية ؛ فإنك بذلك تعبر عما ثابت في نفسك ويتمكن منها تمكنًا تامًّا ؛ وذلك لأنك تعرفه حق المعرفة ، ويؤكد ذلك الفهم نصٌّ آخر لسيبويه يقول فيه : « ... إذا قُلْت عبد الله منطلق. تبتدئ بالأعرف ثم تَذكر الخبرَ »[(٣)] . وبمفهوم المخالفة فإن كل ما ليس ثابتًا في نفسك ولا تعرفه حق المعرفة تعبر عنه بالجملة الفِعْلِيَّة .

بناء على هذا التَّحْلِيْل والتوضيح نقول : تجنبت الآية استخدام الجُمْلَة الاسمية واستخدمت الجُمْلَة الفِعْلِيَّة لتشير إلى أن قولهم « اتخذ الله ولدًا » ليس عن يقين ومعرفة تامة ، بل عن شك وظن ، مصداق قَوْله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى

(١) الكتاب ، ١/ ٢٨٢

(٢) الكتاب ، ١/ ٢٧١

(٣) الكتاب ، ١/ ٤٧



شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ النساء: ١٥٧

» الآية ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾ :

تركيب الجُمْلَة في الآية :

لام موطئة للقسم + قَدْ حرف التحقيق + فعل + فاعل + مَفْعُوْل به + نعت .

وأتت الجُمْلَة الفِعْلِيَّة في ترتيبها الأصلي لجذب الانتباه إلى مضمونها ، ونلاحظ تصدر الجُمْلَة باللام الموطئة للقسم وحرف التحقيق قَدْ ، ومن البدهي أنَّ رب العزة لا يحتاج إلى قسم لكي نؤمن بصدق كلامه ، والدلالة البَلاغِيَّة لاستخدام هذا القسم إرادة إبراز هول ما قاله هؤلاء الكَفَرَة الفَجَرَة .

والنعت « إدًّا » أتى متممًا لمتبوعه بتوضيحه وبما يشتمل عليه من مميزات صوتية أضافت جوًّا من الخوف والرهبة تدخل القلوب .

» الآية ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾ :

تتكون الآية من ثلاث جمل :

- الأولى : تكاد (فعل من أفعال المقاربة) + اسمها + خبرها جملة فعلية ⇦ [فعل مضارع + فاعل + جار ومجرور يتعلقان بـ « يتفطرن »]
- الثانية : حرف العطف الواو + فعل مضارع لازم + فاعل .
- الثالثة : حرف العطف الواو + فعل مضارع + فاعل + حال مؤول بمشتق أو نائب عن المفعول المطلق أو مفعولا لأجله[١] . ونلاحظ :

- التزام الجمل الثلاث بالترتيب الطبيعي الأصلي للجملة ، وَقَدْ سبق أن ناقشنا هذا مع الآية قبل السابقة .
- ترتبط جملة « تكاد ... » بكلمة « شيئًا » في الآية التي قبلها من جهة أنها نعت جملة لهذه الكَلِمَة في محل نصب .
- اختلف النحاة في إعراب « هدًّا » على ثلاثة أقوال كما ذكرنا ، واختلاف الإعراب ـ بوجه عام ـ تابع لاختلاف المعنى المعجمي والدلالي وأيضًا الوظيفي[٢] ، أو كما

(١) يُنظَر : محيي الدين الدرويش : إعراب القُرْآن وبيانه ، ٦/ ١٥٥

(٢) يُنظَر المقصود بهذه المعاني :د. تمام حسان : مناهج البحث في اللغَة ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ط١ ، (١٩٩٠م) ، ص١٩٣



قال النحاة قديمًا : الإعراب فرع المعنى .

وإذا كان ثراء المعنى وجهٌ من وجوه البلاغة فمن المفيد بيان المعاني التي أفرزت الإعرابات الثلاثة في كلمة « هدًّا » :

- باعتبار « هدًّا » نائب عن المفعول المطلق :

قد يكون الغرض من المصدر المنصوب ـ المفعول المطلق ـ أمرًا واحدًا ؛ هو : أن يؤكد ـ توكيدًا لفظيًّا ـ معنى عامله المذكور قبله ، ويقويه ، ويقرره ؛ أي : يبعده عن الشك واحتمال المجاز ؛ ويتحقق هذا الغرض بالمصدر المنصوب المبهم ، نحو : بلعَ الحوتُ الرجلَ بلعًا ، طارت السمكة في الجو طيرانًا[1] . فالمفعول المطلق يأتي لتوكيد العامل ودفع الشك واحتمال المجاز عنه .

وقد ينوب عن المفعول المطلق نائب ينوب عنه لبعض الأغراض المعنوية وَالبَلاغِيَّة ، منها « التوسع في المعنى ؛ فالإتيان بنائب المصدر قَدْ يوسع المعنى توسيعًا لا يؤديه المصدر ، وذلك كالمجيء بصفة المصدر بدلا منه ، فإنك إذا حذفت المصدر وجئت بصفته فربما احتمل معنى جديدًا ، لم يكن ذكر المصدر يفيده ولا يحتمله »[2] .

وفي أية نيابة عن المفعول المطلق وضع العلماء القاعدة الآتية : « ما اختلف فيه لفظ الفعل عن لفظ المفعول المطلق ؛ فالمراد زيادة المعنى بجمع معنيين أو أكثر ما وسعت ذلك اللغَة واتسع المقام »[3] .

إذن فعند إعراب كلمة « هدًّا » نائب عن المفعول المطلق في الآية نكون حصلنا على معنيين :

١ ـ تأكيد خرور الجبال ، وأنَّ خرور الجبال حقيقة مؤكدة إذا أُذِنَ لها به لا على سبيل المجاز .

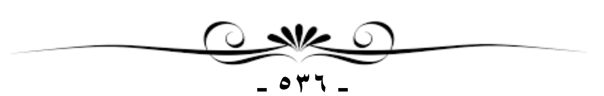
٢ ـ إضافة معنى «خرَّ » إلى معنى «هدًّا » يُزِيدُ مجموع الملامح التمييزية الدلالية الموجودة في الفعل هَدَّ ، حيث تضاف الملامح التمييزية الموجودة في

---

(١) عباس حسن : النَّحْو الوافي ، ٢/ ٢٠٧

(٢) د. فاضل السامرائي : معاني النَّحْو ، ٢/ ١٦٠ ، وينظر أَيْضًا ص ١٥١ للوقوف على الفرق بين جملة « تحدَّث تحدَّث مُحَمَّد » ، وبين جملة « تَحَدَّث مُحَمَّد تَحَدُّثًا » .

(٣) السابق ، ٢/ ١٦٤



« خرَّ » لـ « هَدَّ » ؛ فتصبح : الهبوط من أعلى إلى أسفل مباشرة ، ومصاحبة هذا الهبوط بصوت يدل على الضخامة والقوة والسرعة وشدة الحركة ، وهبوط الشيء جملة واحدة ثم تفتته بصوت شديد ، وهي معان تناسب السِّيَاق وبذلك يزداد التأكيد على المعنى الذي تشير إليه الآية .

○ اعتبار « هدًّا » حال مؤولة بمشتق « مهدودة » :

يُعرف النحاة الحال بأنها « وصف ، منصوب ، فضلة ، يبين هيئة ما قبله ؛ ـ من فاعل، أو مَفْعُوْل به أو منهما معًا ، أو من غيرهما ـ وقت وقوع الفعل »[(١)] .

إذن إذا اعتبرنا « هدًّا » حال في قوله « وتَخِرُّ الجبال هَدًّا » يكون المعنى أنَّ « الجبال » قبل قول ضلال البشر « اتخذ الرحمن ولدًا » لم يكن يبدو عليها الهيئة الدالة على « الهد أو الهدود » ، ولكنها بعد هذا القول تغيرت هيئة الجبال ، وبدا عليها هذه الهيئة الدالة على أنها تريدُ أن تُهَدَّ ، أو أنَّ هناك من يدفعها للسقوط والهدود . ويدل إعراب الحال أَيْضًا أن هذا على « الجبال » وقت « الخرور » كانت على هذه الهيئة ، وأنها قبل الخرور لم تكن على تلك الهيئة ، وأن هذه الهيئة طارئة عليها ، وأنها غير لازمة لها . فالجبال والسماوات والأرض تبقى على حالتها الطبيعة متماسكة مترابطة طالما أن الكون في حالة توحيد خالص لله ـ عز وجل ـ ولكنها بمجرد أن تسمع هي والأرض والسماوات قول من قال « اتخذ الرحمن ولدًا » تتخذُ الجبال هذه الهيئة ؛ وهذا يدل على مدى حب هذه المخلوقات لخالقها ، ومدى التفاعل الكوني تجاه من يَمَسُّ الخالق العظيم ـ سبحانه ـ بسوء من القول .

وتفضيل الآية التعبير بالمصدر المؤول بمشتق يعطى بُعدًا بَلاغِيًّا للمعنى ؛ إذ التعبير بالمصدر عن الحال المشتقة يفيد أمرين :

الأول : الْمُبَالَغَة ، فالتعبير بالمصدر يدل على أن الجبال تحولت إلى « هدٍّ » ، ولم يبق فيها شيء من عنصر الذات ، ولم يبق فيها ما يثقلها من عنصر المادة ؛ بل تحولت كلها إلى حدث مجرد ، وهذا مبالغة .

الثاني : التوسع في المعنى ، وذلك أن التعبير بالمصدر يتسع معه المعنى ، ويكتسب التعبير أكثر من « قصد وغرض ، وهما معنى المصدرية والحالية ، كقولك :

(١) عباس حسن : النَّحْو الوافي ، ٢/ ٣٦٣ ، ٣٦٤



« أقبل ركضًا » ، فهذا يحتمل معنى المفعولية المطلقة ... ويحتمل الحالية ؛ فقد كسبت معنيين ، وأنت تريدهما معًا »[(١)] .

○ اعتبار « هدًّا » مَفْعُوْل لأجله :

إذا أخذنا في الاعتبار المقصود بالمفعول لأجله وأنه « المصدر الذي يدل على سبب ما قبله ؛ أي : على بيان علته ، ويشارك عامله في وقته، وفاعله ... »[(٢)] ؛ فإن معنى الآية أن الجبال تخِرُّ بسبب الهد ؛ أي أن سبب الهد في الجبال جعلها تخر ، هذا الهد في الجبال تكون فيها ؛ لأنها لا تقبل أن يُشرك بالله أحد ، ولأنها فطرت على التسبيح لله ، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ الإسراء: ٤٤

ونلاحظ هنا في هذه الآية أنها تتكون من ثلاثة جملة معطوفات : الأولى : « تكاد السماوات يتفطرن منه » ، الثانية : « وتنشق الأرض » ، الثالثة : « وتخر الجبال هدًّا » .

وأتت المعطوفات على هذا الترتيب : تفطر السماوات ثم انشقاق الأرض ثم خرور الجبال . وقد علمنا النظم القرآني أن ترتيب المعطوفات لا يكون عبثا . فلماذا هذا الترتيب ؟

نلاحظ في هذا الترتيب التفاعل التنازلي مع غضب الرحمن ، يبدأ من الأكبر ثم الأقل ثم الأقل ، وفي هذا إشارة إلى تجاوب كل المخلوقات مع غضب الرحمن ، وأن أكبر المخلوقات في مقدمة هذا الغضب .

واستخدام الفعل المُضَارِع في بدايات هذه الجمل للميزة التي يتميز بها وهي « **استحضار الصورة** » .

» الآية ٩١ :﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ :

تركيب الجُمْلَة في الآية :

أَنْ المصدرية + فعل ماضٍ + فاعل + جار ومجرور متعلق بالفعل (دعوا) + مَفْعُوْل به أول محذوف (تقديره معبودهم)[(٣)] + مَفْعُوْل به ثانٍ .

(١) د. فاضل السامرائي : معاني النَّحْو ، ٢/ ٢٨٩

(٢) عباس حسن : النَّحْو الوافي ، ٢/ ٢٣٧

(٣) قال الزَّمَخْشَرِيّ في حذف هذا المفعول :« اقتصر على أحدهما الذي هو الثاني، طلبا للعموم والإحاطة بكل ما دعى له ولدا » . الكَشَّاف ، ٣/ ٤٤

أن وما في حيزها مصدر فيه ثلاثة أوجه[1] :

- البدلية من الهاء في ﴿مِنْهُ﴾ .
- والنصب بنزع الخافض ، والجار والمجرور في محل نصب مَفْعُوْل لأجله ؛ عَلَّلَ الهدَّ بدعاء الولد للرحمن .
- والرفع بأنه فاعل هدًّا ؛ أي : هدها دعاء الولد للرحمن .

والمعنى البلاغي للبدلية للمصدر المؤول إفادة بيان عِظَم ما قاله المشركون والنصارى واليهود ، وشدة ضلال هذا القول وانحرافه . وباعتباره في محل نصب مفعول لأجله أو فاعل إشارةٌ إلى التفاعل الداخلي الذاتي للسماوات والأرض والجبال .

وجملة : « دعوا ... » لا محل لها من الإعراب صلة الموصول الحرفي أن ، وعدم تقييد هذه الجملة بمحل إعرابي معين يجعلها غير مقيدة زمنيًّا بزمن معين ، مما يجعل قول هذا القول في أي وقت وفي أي مكان محل غضب الله وغضب مخلوقاته .

الصُّوَرُ والألوان البَيَانِيَّة :

من الألوان البيانية في الآية :

الالتفات في قوله تعالى « لَقَد جِئْتُم شَيْئًا إِدًّا » رد « لمقالتهم الباطلة ، وتهويل لأمرها بطريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب ، والمفصح عن غاية التشنيع والتقبيح ، وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجرأة »[2] .

المَعَانِي اللطِيفَةُ والآدَابُ الحَسَنَةُ :

من المعاني اللطيفة في الآيات :

أ- ليس الإنسان بمفرده من يملك الإحساس والمشاعر التي يتفاعل بها ، بل كل المخلوقات في هذا الكون لها تلك المشاعر التي تشعر بها وتحس ، قال صاحب الظلال ٤/ ٢٣٠٠ : « إن سياق هذه السورة مَعرِض للانفعالات والمشاعر القوية ، الانفعالات في النفس البشرية ، وفي نفس الكون من حولها . فهذا الكون الذي نتصوره جمادًا لا حس له يعرض في السياق ذا نفس وحس ومشاعر

---

(١) محيي الدين الدرويش : إعراب القُرْآن وبيانه ، ٦/ ١٥٥

(٢) محمود صافي : الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، ص٣٤٠



وانفعالات ، تشارك في رسم الجو العام للسورة ؛ حيث نرى السماوات والأرض والجبال تغضب وتنفعل حتى لتكاد تنفطر وتنشق وتنهد استنكارًا » .

ب- قد تفوق الجماداتُ الإنسانَ من حيث إيمانها وخضوعها لله وغضبها لغضبه.

ت- يجب على كل إنسان أن يراجع إيمانه وينقيه من أي ضرب من ضروب الشرك بالله ، فأمر التوحيد أخطر بكثير جدًا من أي أمر آخر .

فَصَاحَةُ الجُمْلَة :

الآيات قمة في الخلو من تنافر الكلمات والتعقيد والخلو من التكرار ، وفصاحة الألفاظ .

أَوْجُه المُطَابَقَةِ بين المَقَام وبِنَاء الجُمْلَة :

المقام مقام غضب من الرحمن وإنكار على من يقول اتخذ الرحمن ولدا ، فاقتضى هذا المقام أن تكون الجمل قصيرة نوعًا ما ، توظف كل ما يمكن توظيفه لإظهار هذا الغضب وهذا الإنكار ، ومن ذلك توظيف الإيقاع الموسيقي وجرس القافية والنغم ، تلك الموسيقى التي تشبه القوارع التي تقرع أذن سامعها لتشد انتباهه لمضمونها ، وتماثل حركة الزلزلة والارتجاف الذي يقع عند حدوث زلزال .

واحتفظت الجمل المكونة للآيات برتبها الطبيعية تركيزًا على مضمونها الذي تريد إيصاله ، فلا تقديم ولا تأخير ، فالعبارة واضحة مباشرة لأهميتها .

***





بعد هذه الرحلة مع الخطوات المَنْهَجِيَّة للوصول إلى البلاغة القُرْآنِيَّة أعلم أنَّ التقصير سمة من سمات البشر ، وأَنَّ الكمال لله وحده . وأعلم أنه قد تكون فاتتني بعض الأمور، ولكن حسبي أني حاولت واجتهدت قدر استطاعتي ، فإن أصبت توفيقًا فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

فأرجو من الله أن يتقبل هذا العمل مني ، وأن يكون في ميزان الحسنات ، وأن يكون من العلم النافع الذي يُنتَفع به ، فهو حسبنا ونِعم الوكيل ، وهو بكل جميل كفيل .

وإن رأى قارئي الكريم في هذا الكتاب خيرًا فليتحدث عنا ، وإن وجد غير ذلك فليتحدث إلينا ، فرحم الله امرأ أهدى إلينا عيوبنا ، وكفى بالمرء فضلا أن تُعَدَّ معايبه .

والله من وراء القصد .

د. إيهاب عبد الحميد سلامة
drehab1973923@gmail.com



قائمة المراجع

١- **إبراهيم عوض** : التذوق الأدبي ، مكتبة الثقافة ، الدوحة ، قطر ، (٢٠٠٥م)

٢- : دراسات في مناهج التفسير ومذاهبه ، دار النهضة العَرَبِيَّة ، القاهرة ، ط١ (٢٠١٠م)

٣- **ابن الأثير** : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ت: أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، (بدون تاريخ للطبعة)

٤- : كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب

٥- **ابن الجزري** : منظومة طيبة النشر في القِراءَات العشر ، ت : أيمن رشدي سويد ، مكتبة ابن الجزري ، دمشق ، ط١ ، (٢٠١٢م)

٦- **ابن الزَّملكاني** : التبيان في علم البيان، ت: أحمد مطلوب، بغداد، ط١، (١٩٦٤م)

٧- **ابن العماد الحنبلي** : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ت : محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت ط١، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)

٨- **ابن تيمية** : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم : ت : ناصر عبد الكريم العقل ، دار إشبيليا للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط٢ ، (١٩٩٨م)

٩- **ابن جرير** : تفسير الطبري ، دار السلام ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٥م

١٠- **ابن جني** : الخصائص ، ت مُحَمَّد علي النجار ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط١ ، (٢٠٠٦م)

١١- **ابن خلدون** : المقدمة ، ت: علي عبد الواحد وافي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ط١ ، (٢٠٠٦م)

١٢- **ابن سنان** : سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٩٨٢م)

١٣- **ابن فارس** : مقاييس اللغَة : عبد السلام مُحَمَّد هارون ، دار الفكر ، القاهرة ،(١٩٧٩م)

١٤- **ابن قتيبة** : تأويل مشكل القُرْآن ، شرح ونشر : السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، (بدون بيانات أخرى)

١٥- : أدب الكاتب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، (١٩٨٨م)

١٦- **ابن قيم الجوزية** : دائع الفوائد ، ت : علي مُحَمَّد العمران ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، جدة ، (بدون بيانات لتاريخ الطبعة ورقمها)

١٧- **ابن كثير** : تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر ، القاهرة ، ط ٢ ، (١٩٨٨م)

١٨- **ابن يعيش** : شرح المفصل للزمخشري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، (٢٠٠١م)

١٩- **أبو البقاء الكفوي** : الكُليات ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، (١٩٩٨م)

٢٠- **أبو البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَرِيّ** : التِّبيان في إعراب القُرْآن ، ت : على مُحَمَّد البجاوي ، (بدون بيانات أخرى)

٢١- **أبو السعود العمادي** : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القُرْآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (بدون بيانات أخرى)

٢٢- **أبو حيان التوحيدي** : البصائر والذخائر ، ت : وداد القاضي ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، (١٩٨٨م)

٢٣- : مثالب الوزيرين ، ت : مُحَمَّد بن تاويت الطنجي ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، (١٩٩٢م)

٢٤- **أبو هلال العسكري** : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، ت : علي مُحَمَّد البجاوي ، دار إحياء الكتب العَرَبِيَّة ، القاهرة ، ط١ ، (١٩٥٢م)

٢٥- : الفروق اللغوية ، ت : مُحَمَّد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة ، القاهرة ، (بدون تاريخ للطبعة)

٢٦- **أحمد الحملاوي** : شذا العَرف في فن الصَّرْف ، دار الكيان

٢٧- **أحمد بن عبد النور المالقي** : رصف المباني في شرح حروف المعاني ، ت: أحمد مُحَمَّد الخراط ، القاهرة ، ط٣ ، (٢٠٠٢م)

٢٨- **أحمد سعد محمد** : التوجيه البَلاغِيّ للقراءات القُرْآنِيَّة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط٢ ، (٢٠٠٠م)

٢٩- **أحمد مختار عمر** : أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة ، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، (٢٠٠٠م)

٣٠- : المَكنَز الكبير معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادات ، شركة سطور ، الرياض ، ط١ ، (٢٠٠٠م)

٣١- : علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٥ ، (١٩٩٨م)

٣٢-		:	لغة القُرْآن دراسة توثيقية فنية ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت ، ط٢ ، (١٩٩٧م)
٣٣-		:	معجم القِراءَات القُرْآنِيَّة ، مطبوعات جامعة الكويت ، ط٢، ١٩٨٨م
٣٤-		:	معجم اللغَة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١، (٢٠٠٨م)
٣٥-	**أحمد مصطفي المراغي**	:	دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، (١٩٩٣م)
٣٦-	**أحمد مطلوب**		معجم المصطلحات البَلاغَة وتطورها ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (١٩٨٣م)
٣٧-	**الألباني**	:	صحيح السيرة النبوية ، المكتبة الإسلامية ، عَمَّان ، الأردن ، ط١ ، (١٤٢١هـ)
٣٨-		:	سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، مكتبة المعارف للنشر ، الرياض ط١ ، ١٩٩٥م
٣٩-	**ألفرد أدلر**	:	معنى الحياة ، ترجمة : عادل نجيب بشرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ط١ ، (٢٠٠٦م)
٤٠-	**الآمدي**	:	الموازنة بين أبي تمام والبُحتريّ ، ت: السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، (بدون تاريخ للطبعة)
٤١-	**إميل بديع يعقوب**	:	المعجم المفصل في اللغَة والأدب ، دار العلم للملايين بيروت ، ط١ ، (١٩٨٧م)
٤٢-		:	موسوعة النَّحْو والصرف والإعراب، (بدون بيانات أخرى)
٤٣-	**إيهاب عبد الحميد**	:	شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي ، رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ٢٠١٢م .
٤٤-		:	قرينة السِّيَاق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه ، رسالة دكتوراه ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ٢٠١٦م
٤٥-	**البَاقِلّانِيّ**	:	إعجاز القُرْآن ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢
٤٦-	**بدوي طبانة**	:	معجم البَلاغَة العَرَبِيَّة ، دار المنارة ، جدة ، ط٣ ، (١٩٨٨م)
٤٧-	**البقاعي**	:	نظم الدَّرَر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، (بدون بيانات أخرى)
٤٨-	**بهاء الدين السبكي**	:	عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، ت: عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، (٢٠٠٣م)

٤٩- **الجاحظ** : البيان والتبيين ، ت : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٧ ، (١٩٩٨م)

٥٠- : الحيوان ، ت : عبد السلام هارون ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط٢ ، (١٩٦٧م)

٥١- **جبور عبد النور** : المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، (١٩٨٤م)

٥٢- **الجرجاني** : التعريفات ، ت : إبراهيم الإبياري ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، (بدون تاريخ للطبعة) .

٥٣- **جميل صليبا** : المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، (١٩٨٢م)

٥٤- **الحسن بن قاسم المُرادِيّ** : الجَنَى الدَّاني في حروف المعاني ، ت : فخر الدين قباوة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط١ ، (١٩٩٢م)

٥٥- **الرازي** : مفاتيح الغيب ، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط١ ، (١٩٨١م)

٥٦- **الراغب الأصفهاني** : مفردات ألفاظ القَرْآن ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، (٢٠٠٩م)

٥٧- **الرُّمَّانيّ عليُّ بن عيسى** : ثلاث رسائل في إعجاز القَرْآن ، ت : مُحَمَّد خلف الله أحمد ، مُحَمَّد زغلول سَلَّام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، (بدون تاريخ للطبعة)

٥٨- **رمضان عبد التواب** : التطور اللغوي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١ ،(بدون تاريخ للطبعة) .

٥٩- **الزَّبيدِي** : تاج العروس من جواهر القاموس ، وزارة الأعلام ، الكويت ، ط٢ ، (١٩٨٧م)

٦٠- **الزَّرْكَشِيّ** : البرهان في علوم القَرْآن ، ت: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة

٦١- **زغلول النجار** : الأرض في القَرْآن الكريم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، (٢٠٠٥م)

٦٢- **الزمخشري** : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، ت : يوسف الحمادي ، مكتبة مصر ، القاهرة ، (بدون بيانات أخرى)

٦٣- **سامي بن عبد الله المغلوث** : سامي بن عبد الله المغلوث : أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ، مكتبة العبيكان ، الرياض ط٦ ، (٢٠٠٥م)

٦٤- **ستيفن أولمان** : دور الكلمة في اللّغَة ، ترجمة : د . كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ط ١ ، (بدون تاريخ للطبعة) .

٦٥- **السَّكَّاكِيّ** : مفتاح العلوم ، ت : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط١ ، (١٩٨٣م)

٦٦- **سيبويه** : الكتاب ، ت : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، (١٩٨٨م)

٦٧- **سيد رزق الطويل** : في علوم القِراءَات مدخل ودراسة وتحقيق ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ط١ ، (١٩٨٥م)

٦٨- **سيد قطب** : الظلال ، دار الشروق ، القاهرة ، ط٣٢ ، (٢٠٠٣م)

٦٩- **السيوطي** : الإتقان في علوم القُرْآن : ت : مركز الدراسات القُرْآنِيَّة ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف ، السعودية .

٧٠- معترك الأقران في إعجاز القُرْآن ، ت : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ (١٩٨٨م)

٧١- **الشاطبي** : الموافقات ، ت : مشهور بن حسن ، دار ابن عفان ، السعودية ، ط١ ، (١٩٩٧م)

٧٢- **شفيع السيد** : التعبير البياني رؤية بَلاغِيَّة نقدية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (بدون بيانات أخرى)

٧٣- : البحث البَلاغِيّ عند العرب تأصيل وتقييم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (بدون تاريخ للطبعة)

٧٤- **شوقي ضيف** : البَلاغَة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٤ ، (بدوت تاريخ للطبعة)

٧٥- **الصابوني** : تفسير الصابوني : دار القُرْآن الكريم ، بيروت ، ط٤ ، (١٩٨١م)

٧٦- **صبحي الصالح** : مباحث في علوم القُرْآن ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١٧، (١٩٨٨م)

٧٧- **الطبري** : جامع البيان ، ت: محمود مُحَمَّد شاكر وأحمد مُحَمَّد شاكر ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط٢ ، (بدون تاريخ للطبعة)

٧٨- **عباس حسن** : النحو الوافي ، دار المعارف ، القاهرة.

٧٩- **عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني** : البَلاغَة العَرَبِيَّة : أسسها وعلومها وفنونها ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٦م

٨٠- : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنون ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، (١٩٩٦م)

٨١- **عبد السلام هارون** : الأساليب الإنشائية في النَّحْو العربي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ ، (١٩٧٩م)

٨٢- **عبد العزيز عتيق** : في البلاغة العربية علم المعاني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط١ ، (٢٠٠٩م)

٨٣- **عبد القاهر الجرجاني** : دلائل الإعجاز ، ت : محمود شاكر ، دار المدني والخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، (١٩٩٢م)

٨٤- **عبد اللطيف الخطيب** معجم القِراءَات ، دار سعد الدين ، ط١ ، ٢٠٠٢م

٨٥- **عبد الله دراز** : النبأ العظيم ، دار البيان ، القاهرة ، ط٢ ، (بدون تاريخ للطبعة)

٨٦- **عبد الواحد علام** : مدخل إلى البَلاغَة العربية، دار الثقافة العَرَبِيَّة ، القاهرة ، (١٩٨٩م) .

٨٧- **عبد الوهاب حموده** : القُرْآن وعلم النفس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، (١٩٨٥م)

٨٨- **عزيزة فوال بابستي** : المعجم المفصل في النَّحْو العربي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ (١٩٩٢م)

٨٩- **علي توفيق الحمد** : المعجم الوافي في أدوات النَّحْو العربي ، دار الأمل ، الأردن ، ط٢ ، (١٩٩٢م)

٩٠- **عمر رضا كحالة** : معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة .

٩١- **فاضل السامرائي** : الجُمْلَة العَرَبِيَّة والمعنى ،دار ابن حزم ، لبنان ، ط ١ ، (٢٠٠٠م)

٩٢- : معاني النَّحْو ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الأردن ، ط١ ، (٢٠٠٠م)

٩٣- : معاني الأبنية في العربية ، دار عمار، ط٢ ، (٢٠٠٧م)

٩٤- **فضل حسن عَبَّاس** : إتقان البرهان في علوم القُرْآن ، دار الفرقان ، القاهرة ، ط١ ، (١٩٩٧م)

٩٥- **القرطبي** : الجامع لأحكام القُرْآن ، ت : عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، (٢٠٠٦م)

٩٦- **القزويني** : الإيضاح في علوم البَلاغَة ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م

٩٧- **القِفطي** : إنباه الرواة على أنباه النُّحَاة ، ت: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم

، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، (١٩٨٦م)

٩٨- **كريم زكي حسام الدين** : التحليل الدلالي، إجراءاته ومناهجه، دار غريب، القاهرة.

٩٩- **الكفَوي** : الكليات، ت: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، ط ٢، (١٩٩٨م)

١٠٠- **كمال بشر** : التفكير اللغوي بين القديم والحديث، دار غريب، القاهرة، ط١، (٢٠٠٥م)

١٠١- : علم اللغَة العام الأصوات، دار المعارف، القاهرة، ط٧، (١٩٨٠م)

١٠٢- **مجدي وهبة** : معجم المصطلحات العَرَبِيَّة في اللغَة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت ط٢، (١٩٨٤م)

١٠٣- **محمد إبراهيم عبادة** : معجم مصطلحات النَّحْو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، (٢٠١١م)

١٠٤- **محمد أحمد قاسم** : علوم البلاغة :البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب لبنان ط١، ٢٠٠٣م

١٠٥- **محمد التونجي** : المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، (١٩٩٩م)

١٠٦- **محمد العبد** : إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، دار الهاني للطباعة، القاهرة، (بدون بيانات أخرى)

١٠٧- **محمد جلال الشيخ** : أضواء على البحث البَلاغِيّ، دار الاتحاد للطباعة، القاهرة، ط١، (١٩٩٧م)

١٠٨- **محمد حماسة عبد اللطيف** : العلامة الإِعْرابِيَّة في الجُمْلَة بين القديم والحديث، دار غريب، القاهرة، ط ١، (٢٠٠١م)

١٠٩- : بناء الجُمْلَة العَرَبِيَّة، دار غريب، القاهرة، (٢٠٠٣م)

١١٠- **محمد داود** : العربية وعلم اللغَة الحديث، دار غريب للطباعة، القاهرة، ط١، (٢٠٠١م)

١١١- **محمد رواس قلعه جي** : معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط١، (١٩٨٥م)

١١٢- **محمد سمير نجيب اللبدي** : معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، لبنان، ط١، (١٩٨٥م)

١١٣- **محمد عبد الله دراز** : النبأ العظيم، دار البيان، القليوبية، (٢٠١٧م)

١١٤- **مُحَمَّد عبد المطلب** : البلاغة العربية قراءة أخرى ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، القاهرة.

١١٥- **مُحَمَّد عيد** : النَّحْو المُصَفّى ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، (بدون بيانات أخرى)

١١٦- **محمد فؤاد عبد الباقي** : المعجم المفهرس لألفاظ القُرْآن الكريم

١١٧- **محمد مُحَمَّد داود** : معجم الفروق الدلالية في القُرْآن الكريم ، دار غريب ، القاهرة ، ط١ ، (٢٠٠٨م)

١١٨- **محمود شاكر** : أباطيل وأسمار ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، (٢٠٠٥م)

١١٩- **محمود فهمي حجازي** : علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن ، دار غريب ، القاهرة ، ط ١ ، (بدون بيانات أخرى)

١٢٠- **محيي الدين الدرويش** : إعراب القُرْآن الكريم وبيانه ، اليمامة / دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت ، ط٣ ، (١٩٩٢م)

١٢١- **مصطفى بن مُحَمَّد سليم الغلايينى** : جامع الدروس العربية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط٢٨ ، (١٩٩٣م)

١٢٢- **نفوسة زكريا سعيد** : تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر ، دار المعارف ، ط٢ ، ١٩٨٠م

١٢٣- **ول ديورنت** : قصة الحضارة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ط١ ، (٢٠٠١م) .

١٢٤- **ياقوت الحموي** : معجم الأدباء ، ت : إحسان عَبَّاس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، (١٩٩٣م)

١٢٥- **يحيى بن حمزة العلوي** : الطراز المتضمن لأسرار البَلاغَة وعلوم حقائق الإعجاز ، مطبعة المقتطف ، مصر ، ط ، (١٩١٤م)

١٢٦- **يوسف مراد** : مبادئ علم النفس العام، دار المعارف، القاهرة، ط٣ ، (١٩٥٧م)

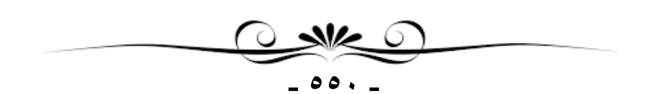
ثانيا : المراجع الأجنبية

١٢٧- **A. F. Scott, Current Literary Terms, A Concise Dictionary of their Origin and Use,**

١٢٨- **J.A.Cuddon, A dictionary of Literary Terms and Literary Theary, fifth edition, 2013**

١٢٩- **Keith Brown and Jim Miller, The Cambridge Dictionary of Linguistics, First published 2013**

ثالثا : الموسوعات العلمية والمجلات والدوريات العلمية



أ- مجلة مجمع اللغَة العربية

من قضايا اللغَة وجوب تحليل البناء اللغويّ من خلال مسرح الحدث الذي دار عليه » : د. بدراوي زهران ، مجلة مجمع اللغَة ع ٥٠

ت- المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل

عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب : مقال « برهان الدين البِقَاعِيّ ومنهجه في تفسيره » المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية) ، المجلد٦ ، ع٢ ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م

ب- مجلة عالم الفكر :

التاريخ والمؤرخون ، مقال د. حسين مؤنس ، مجلة عالم الفكر ، المجلد ٥ ، عدد أبريل ١٩٧٤م ، فلسفة التاريخ ، الكويت .

ت- مجلة العربي الكويتية :

د. مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي : الكَلِمَة القُرْآنِيَّة وسر الإعجاز فيها ، مجلة العربي الكويتية ، ع ١٤٤ ، نوفمبر ، (١٩٧٠م)



الموضوع **الصفحة**



إعانة الأنام على فهم بلاغة القرآن

كثيرًا ما نسألُ أنفسَنا عند سماعِ القُرْآنِ الكريم لماذا يَأْسِرُنا هذا الكلامُ الجميلُ ؟ ولماذا يَشُدُّ انتباهَنا وقلوبَنا وعقولَنا إليه ؟ وتكون الإجابةُ التي يَعْرِفُهَا القَاصِي والداني : هذا الجمالُ يكمن في بلاغته . وإذا انتقلنا إلى السؤال : كيف نفهم هذه البلاغة ونقف عليها؟

عندئذ تختلف الإجابات وتتعقد أحيانًا ويتشتت معها القارئ . وهنا يأتي دور هذا الكتاب الذي يجيب على هذا التساؤل بشكل سهل قدر المستطاع ، ويحاول أن يرسم طريقًا مُتَدَرِّجَة ويضع خطواتٍ مَنْهَجِيَّة تُمَكِّن القارئُ الذي يُحِبُّ أن يقف على بلاغة القرآن أن يصل لهذه البلاغة.

والكتابُ ـ إذ يؤدي هذا الدور في فهم بَلاغة القُرآن ـ يساهمُ في فتح أبوابِ عُلُومٍ أُخْرَى وفهمها وإتقانها تعتمدُ على فهم البَلَاغَةِ القرآنية ، مثل : الفقه ، أصول الفقه ، التفسير ، النقد الأدبي ...

ويستفيد منه طوائف عديدة ينتقل إليها أثر هذه البلاغة : الشعراء والأدباء والمعلمون والمترجمون والصحفيون ... وهلم جرا . ونسأل الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ أن يكون رَزَقَنَا الصوابَ فيما قُلْناه وأن نُصيبَ أَجْرَيْنِ في عَمَلِنا هذا ، وأن يرزقَنا الإخلاصَ في القولِ والعمل .

د. إيهاب عبد الحميد سلامة

المؤهلات العلمية :

- ليسانس دار علوم جامعة القاهرة ١٩٩٥م .
- ليسانس آداب قسم لغة إنجليزية جامعة بنها ٢٠١٠م .
- دبلومة علم اللغة دار علوم جامعة القاهرة بتقدير جيد جدًا ، ٢٠٠٤م
- ماجستير في العلوم اللغوية جامعة القاهرة تقدير امتياز ٢٠١٢م
- دكتوراة في الآداب والدراسات اللغوية والنحوية ، جامعة عين شمس ٢٠١٦م

الجوائز العلمية :

حاصل على جائزة الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر للتفوق العلمي عام ٢٠٠٤م



15 شارع الشيخ محمد عبده - خلف جامعة الأزهر - الأزهر الشريف

01149383472 - 01222900401 - 01223786418

مكتبة زهران للطبع والنشر والتوزيع /

